

(١٥١٥)

حسن الخاتمة

و سوء الخاتمة

مسائل ومواعظ

من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

" شهيدا وقيل لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة وقيل لأنه الذي يشهد يوم القيامة بابلاغ الرسل وقيل لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة وقيل لأن الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع وقيل لأن الله يشهد له بحسن نيته وإخلاصه وقيل لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره وقيل لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة وقيل لأنه مشهود له بالأمان من النار وقيل لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا وبعض هذه يختص بمن قتل في سبيل الله وبعضها يعم غيره وبعضها قد ينازع فيه وهذه الترجمة لفظ حديث أخرجه مالك من رواية جابر بن عتيك بفتح المهملة وكسر المثناة بعدها تحتانية ساكنة ثم كاف أن النبي صلى الله عليه و سلم جاء يعود عبد الله بن ثابت فذكر الحديث وفيه ما تعدون الشهيد فيكم قالوا من يقتل في سبيل الله وفيه الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله فذكر زيادة على حديث أبي هريرة الحريق وصاحب ذات الجنب والمرأة تموت بجمع وتوارد مع أبي هريرة في المبطون والمطعون والغريق وصاحب الهدم فأما صاحب ذات الجنب فهو مرض معروف ويقال له الشوصة وأما المرأة تموت بجمع فهو بضم الجيم وسكون الميم وقد تفتح الجيم وتكسر أيضا وهي النفساء وقيل التي يموت ولدها في بطنها ثم تموت بسبب ذلك وقيل التي تموت بمزدلفة وهو خطأ ظاهر وقيل التي تموت عذراء والأول أشهر قلت حديث جابر بن عتيك أخرجه أيضا أبو داود والنسائي وبن حبان وقد روى مسلم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة شاهدا لحديث جابر بن عتيك ولفظه ما تعدون الشهداء فيكم وزاد فيه ونقص فمن زيادته ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ولأحمد من حديث عبادة بن الصامت نحو حديث جابر بن عتيك ولفظه وفي النفساء يقتلها ولدها جمعا شهادة وله من حديث راشد بن حبيش نحوه وفيه والسل وهو بكسر المهملة وتشديد اللام وللنسائي من حديث عقبة بن عامر خمس من قبض فيهن فهو شهيد فذكر فيهم النفساء وروى أصحاب السنن وصححه الترمذي من حديث سعيد بن زيد مرفوعا من قتل دون ماله فهو شهيد وقال في الدين والدم والأهل مثل ذلك وللنسائي من حديث سويد بن مقرن مرفوعا من قتل دون مظلمته فهو شهيد قال الإسماعيلي الترجمة مخالفة للحديث وقال بن بطال لا تخرج هذه الترجمة من الحديث أصلا وهذا يدل على أنه مات قبل أن يهذب كتابه وأجاب بن المنير بأن ظاهر كلام بن بطال أن البخاري أراد أن يدخل حديث جابر بن عتيك فاعجلته المنية عن ذلك وفيه نظر قال ويحتمل أن يكون أراد التنبيه على أن الشهادة لا تنحصر في القتل بل لها أسباب أخر وتلك الأسباب اختلفت الأحاديث في عددها ففي بعضها خمسة وفي بعضها سبعة والذي وافق شرط البخاري الخمسة فنبه بالترجمة على أن العدد الوارد ليس على معنى التحديد انتهى وقال بعض المتأخرين يحتمل أن يكون بعض الرواة يعني رواة الخمسة نسي الباقي قلت وهو احتمال بعيد

لكن يقربه ما تقدم من الزيادة في حديث أبي هريرة عند مسلم وكذا وقع لأحمد من وجه آخر عنه والمجنوب شهيد يعني صاحب ذات الجنب والذي يظهر أنه صلى الله عليه و سلم أعلم بالأقل ثم أعلم زيادة على ذلك فذكرها في وقت آخر ولم يقصد الحصر في شيء من ذلك وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة فإن مجموع ما قدمته مما اشتملت عليه الأحاديث التي ذكرتها أربع عشرة خصلة وتقدم في باب من ينكب في سبيل الله حديث أبي مالك الأشعري مرفوعا من وقصه فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه على أي حتف شاء الله تعالى فهو شهيد وصحح الدارقطني من حديث بن عمر موت الغريب شهادة ولابن حبان من حديث أبي هريرة من مات مرابطا مات شهيدا ." (١)

" ظرف مكان والعامل فيه قالوا وفي رواية فقالوا والعامل فيه رجعوا قوله رجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا قال الماوردي ظاهر هذا إنهم آمنوا عند سماع القرآن قال والإيمان يقع بأحد أمرين إما بأن يعلم حقيقة الإعجاز وشروط المعجزة فيقع له العلم بصدق الرسول أو يكون عنده علم من الكتب الأولى فيها دلائل على أنه النبي المبشر به وكلا الأمرين في الجن محتمل والله أعلم قوله وأنزل الله عز و جل على نبيه صلى الله عليه و سلم قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن زاد الترمذي قال بن عباس وقول الجن لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال لما رأوه يصلي وأصحابه يصلون بصلاته يسجدون بسجوده قال فتعجبوا من طواعية أصحابه له قالوا لقومهم ذلك قوله وإنما أوحى إليه قول الجن هذا كلام بن عباس كأنه تقرر فيه ما ذهب إليه أولا أنه صلى الله عليه و سلم لم يجتمع بهم وإنما أوحى الله إليه بأنهم استمعوا ومثله قوله تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا الآية ولكن لا يلزم من عدم ذكر اجتماعه بهم حين استمعوا أن لا يكون اجتمع بهم بعد ذلك كما تقدم تقريره وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن وأنهما لمسمى واحد وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان وفيه أن الصلاة في الجماعة شرعت قبل الهجرة وفيه مشروعيتها في السفر والجهر بالقراءة في صلاة الصبح وأن الاعتبار بما قضى الله للعبد من حسن الخاتمة لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها ومع ذلك فغلب عليهم ما قضى لهم من السعادة بحسن الخاتمة ونحو ذلك قصة سحرة فرعون وسيأتي مزيد لذلك في كتاب القدر أن شاء الله تعالى

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة، ٤٣/٦

(قوله سورة المزمل والمدثر)

كذا لأبي ذر واقتصر الباقون على المزمل وهو أولى لأنه أفرد المدثر بعد بالترجمة والمزمل بالتشديد أصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي وقد جاءت قراءة أبي بن كعب على الأصل قوله وقال مجاهد وتبتل أخلص وصله الفريابي وغيره وقد تقدم في كتاب قيام الليل قوله وقال الحسن أنكالا قيودا وصله عبد بن حميد والطبري من طريق الحسن البصري وقال أبو عبيدة الأنكال وأحدها نكل بكسر النون وهو القيد وهذا هو المشهور وقيل النكل الغل قوله منفطر به مثقلة به وصله عبد بن حميد من وجه آخر عن الحسن البصري في قوله السماء منفطر به قال مثقلة به يوم القيامة ووصله الطبري وبن أبي حاتم من طريقه بلفظ مثقلة موقرة ولابن أبي حاتم من طريق أخرى عن مجاهد منفطر به تنفطر من ثقل ربها تعالى وعلى هذا فالضمير لله ويحتمل أن يكون الضمير ليوم القيامة وقال أبو عبيدة أعاد الضمير مذكرا لأن مجاز السماء مجاز السقف يريد قوله منفطر ويحتمل أن يكون على حذف والتقدير شيء منفطر قوله وقال بن عباس كثيبا مهيلا الرمل السائل وصله بن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن بن عباس به وأخرجه ." (١)

" ذر بصريون وقد دخلها هو أيضا وفي رواية مسلم من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا أبي حدثنا الحسين المعلم قوله عن أبي ذر في رواية الإسماعيلي من وجهين عن أبي معمر شيخ البخاري فيه بالسند إلى أبي الأسود أن أبا ذر حدثه قوله لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كما قال وفي رواية للإسماعيلي إلا حار عليه وفي أخرى الا ارتدت عليه يعني رجعت عليه وحار بمهملتين أي رجع وهذا يقتضي أن من قال لآخر أنت فاسق أو قال له أنت كافر فإن كان ليس كما قال كان هو المستحق للوصف المذكور وأنه إذا كان كما قال لم يرجع عليه شيء لكونه صدق فيما قال ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقا ولا كافرا أن لا يكون آثما في صورة قوله له أنت فاسق بل في هذه الصورة تفصيل إن قصد نصحه أو نصح غيره ببيان حاله جاز وأن قصد تعييره وشهرته بذلك ومحض أذاه لم يجز لأنه مأمور بالستر عليه وتعليمه وعظته بالحسنى فمهما أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفعله بالعنف لأنه قد يكون سببا لإغرائه وإصراره على ذلك الفعل كما في طبع كثير من الناس من الآنفة لا سيما إن كان الآمر دون المأمور في المنزلة ووقع في رواية مسلم بلفظ ومن دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه ذكره في أثناء حديث في ذم من ادعى إلى غير أبيه وقد تقدم صدره في مناقب قريش بالإسناد المذكور هنا فهو حديث واحد فرقه البخاري حديثين وسيأتي هذا المتن في باب من أكفر

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – دار المعرفة، ٦٧٥/٨

أخاه بغير تأويل من حديث أبي هريرة ومن حديث بن عمر بلفظ فقد باء بها أحدهما وهو بمعنى رجع أيضا قال النووي اختلف في تأويل هذا الرجوع فقيل رجع عليه الكفر إن كان مستحلا وهذا بعيد من سياق الخبر وقيل محمول على الخوارج لأنهم يكفرون المؤمنين هكذا نقله عياض عن مالك وهو ضعيف لأن الصحيح عند الأكثرين أن الخوارج لا يكفرون ببدعتهم قلت ولما قاله مالك وجه وهو أن منهم من يكفر كثيرا من الصحابة ممن شهد له رسول الله صلى الله عليه و سلم بالجنة وبالايمان فيكون تكفيرهم من حيث تكذيبهم للشهادة المذكورة لا من مجرد صدور التكفير منهم بتأويل كما سيأتي إيضاحه في باب من أكفر أخاه بغير تأويل والتحقيق أن الحديث سيق لزجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم وذلك قبل وجود فرقة الخوارج وغيرهم وقيل معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره وهذا لا بأس به وقيل يخشى عليه أن يؤل به ذلك إلى الكفر كما قيل المعاصي بريد الكفر فيخاف على من أدامها وأصر عليها سوء الخاتمة وأرجح من الجميع أن من قال ذلك لمن يعرف منه الإسلام ولم يقم له شبهة في زعمه أنه كافر فإنه يكفر بذلك كما سيأتي تقريره فمعنى الحديث فقد رجع عليه تكفيره فالراجع التكفير لا الكفر فكأنه كفر نفسه لكونه كفر من هو مثله ومن لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام ويؤيده أن في بعض طرقه وجب الكفر على أحدهما وقال القرطبي حيث جاء الكفر في لسان الشرع فهو جحد المعلوم من دين الإسلام بالضرورة الشرعية وقد ورد الكفر في الشرع بمعنى جحد النعم وترك شكر المنعم والقيام بحقه كما تقدم تقريره في كتاب الإيمان في باب كفر دون كفر وفي حديث أبي سعيد يكفرن الإحسان ويكفرن العشير قال وقوله باء بها أحدهما أي رجع بإثمها ولازم ذلك واصل البوء اللزوم ومنه أبوء بنعمتك أي ألزمها نفسي وأقر بها قال والهاء في قوله بها راجع إلى التكفيرة الواحدة التي هي أقل ما يدل عليها لفظ كافر ويحتمل أن يعود إلى الكلمة والحاصل أن المقول له ان كان كافرا كفرا شرعيا فقد صدق القائل وذهب بها المقول له وإن لم يكن رجعت ." (١)

" هذا ان الجميع مرفوع وبذلك جزم المحب الطبري وحينئذ تحمل رواية سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب على ان عبد الله بن مسعود لتحقق الخبر في نفسه اقسم عليه ويكون الادراج في القسم لا في المقسم عليه وهذا غاية التحقيق في هذا الموضع ويؤيد الرفع أيضا انه مما لا مجال للرأي فيه فيكون له حكم الرفع وقد اشتملت هذه الجملة على أنواع من التأكيد بالقسم ووصف المقسم به وبأن وباللام والأصل في التأكيد انه يكون لمخاطبة المنكر أو المستبعد أو من يتوهم فيه شيء من ذلك وهنا لما كان الحكم مستبعدا وهو

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة، ٤٦٦/١٠

دخول من عمل الطاعة طول عمره النار وبالعكس حسن المبالغة في تأكيد الخبر بذلك والله اعلم قوله أحدكم او الرجل ليعمل وقع في رواية آدم فان أحدكم بغير شك وقدم ذكر الجنة على النار وكذا وقع للأكثر وهو كذا عند مسلم وأبي داود والترمذي وبن ماجة وفي رواية حفص فان الرجل واخر ذكر النار وعكس أبو الأحوص ولفظه فان الرجل منكم قوله بعمل أهل النار الباء زائدة والأصل يعمل عمل أهل النار لان قوله عمل اما مفعول مطلق واما مفعول به وكلاهما مستغن عن الحرف فكان زيادة الباء للتأكيد أو ضمن يعمل معنى يتلبس في عمله بعمل أهل النار وظاهره انه يعمل بذلك حقيقة ويختم له بعكسه وسيأتي في حديث سهل بلفظ ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو محمول على المنافق والمرائي بخلاف حديث الباب فإنه يتعلق بسوء الخاتمة قوله غير ذراع أو باع في رواية الكشميهني غير باع أو ذراع وفي رواية أبي الأحوص الا ذراع ولم يشك وقد علقها المصنف لآدم في آخر هذا الحديث ووصل الحديث كله في التوحيد عنه ومثله في رواية أبي الأحوص والتعبير بالذراع تمثيل بقرب حاله من الموت فيحال من بينه وبين المكان المقصود بمقدار ذراع أو باع من المسافة وضابط ذلك الحسى الغرغرة التي جعلت علامة لعدم قبول التوبة وقد ذكر في هذا الحديث أهل الخير صرفا وأهل الشر صرفا إلى الموت ولا ذكر للذين خلطوا وماتوا على الإسلام لأنه لم يقصد في الحديث تعميم أحوال المكلفين وانما سيق لبيان ان الاعتبار بالخاتمة قوله بعمل أهل الجنة يعني من الطاعات الاعتقادية والقولية والفعلية ثم يحتمل أن الحفظة تكتب ذلك ويقبل بعضها ويرد بعضها ويحتمل ان تقع الكتابة ثم تمحى واما القبول فيتوقف على الخاتمة قوله حتى ما يكون قال الطيبي حتى هنا الناصبة وما نافية ولم تكف يكون عن العمل فهي منصوبة بحتى وأجاز غيره ان تكون حتى ابتدائية فتكون على هذا بالرفع وهو مستقيم أيضا قوله فيسبق عليه الكتاب في رواية أبي الأحوص كتابه والفاء في قوله فيسبق إشارة إلى تعقيب ذلك بلا مهلة وضمن يسبق معنى يغلب قاله الطيبي وقوله عليه في موضع نصب على الحال أي يسبق المكتوب واقعا عليه وفي رواية سلمة بن كهيل ثم يدركه الشقاء وقال ثم تدركه السعادة والمراد يسبق الكتاب سبق ما تضمنه على حذف مضاف أو المراد المكتوب والمعنى انه يتعارض عمله في اقتضاء السعادة والمكتوب في اقتضاء الشقاوة فيتحقق مقتضى المكتوب فعبر عن ذلك بالسبق لان السابق يحصل مراده دون المسبوق ولأنه لو تمثل العمل والكتاب شخصين ساعيين لظفر شخص الكتاب وغلب شخص العمل ووقع في حديث أبي هريرة عند مسلم وان الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة زاد احمد من وجه اخر عن أبي هريرة سبعين سنة وفي

حديث أنس عند احمد وصححه بن حبان لا عليكم ان لا تعجبوا بعمل أحد حتى تنظروا بم يختم له فان العامل يعمل زمانا من عمره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملا ." (١)

" تلك الاطوار إلى ان صار انسانا جميل الصورة مفضلا بالعقل والفهم والنطق كان حقا عليه ان يشكر من أنشأه وهيأه ويعبده حق عبادته ويطيعه ولا يعصيه وفيه ان في تقدير الأعمال ما هو سابق ولاحق فالسابق ما في علم الله تعالى واللاحق ما يقدر على الجنين في بطن أمه كما وقع في الحديث وهذا هو الذي يقبل النسخ وأما ما وقع في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السماوات والأرض بخمسين الف سنة فهو محمول على كتابة ذلك في اللوح المحفوظ على وفق ما في علم الله سبحانه وتعالى واستدل به على ان السقط بعد الأربعة اشهر يصلي عليه لأنه وقت نفخ الروح فيه وهو منقول عن القديم للشافعي والمشهور عن احمد وإسحاق وعن احمد إذا بلغ أربعة اشهر وعشرا ففي تلك العشر ينفخ فيه الروح ويصلي عليه والراجح عند الشافعية انه لا بد من وجود الروح وهو الجديد وقد قالوا فإذا بكى أو اختلج أو تنفس ثم بطل ذلك صلى عليه والا فلا والأصل في ذلك ما أخرجه النسائي وصححه بن حبان والحاكم عن جابر رفعه إذا استهل الصبي ورث وصلى عليه وقد ضعفه النووي في شرح المهذب والصواب انه صحيح الإسناد لكن المرجح عند الحفاظ وقفه وعلى طريق الفقهاء لا اثر للتعليل بذلك لان الحكم للرفع لزيادته قالوا وإذا بلغ مائة وعشرين يوما غسل وكفن ودفن بغير صلاة وما قبل ذلك لا يشرع له غسل ولا غيره واستدل به على ان التخليق لا يكون الا في الأربعين الثالثة فأقل ما يتبين فيه خلق الولد أحد وثمانون يوما وهي ابتداء الأربعين الثالثة وقد لا يتبين الا في آخرها ويترتب على ذلك انه لا تنقضي العدة بالوضع الا ببلوغها وفيه خلاف ولا يثبت للامة أمية الولد الا بعد دخول الأربعين الثالثة وهذا قول الشافعية والحنابلة وتوسع المالكية في ذلك فأداروا الحكم في ذلك على كل سقط ومنهم من قيده بالتخطيط ولو كان خفيا وفي ذلك رواية عن احمد وحجتهم ما تقدم في بعض طرقه ان النطفة إذا لم يقدر تخليقها لا تصير علقة وإذا قدر انها تتخلق تصير علقة ثم مضغة الخ فمتى وضعت علقة عرف ان النطفة خرجت عن كونها نطفة واستحالت إلى أول أحوال الولد وفيه ان كلا من السعادة والشقاء قد يقع بلا عمل ولا عمر وعليه ينطبق قوله صلى الله عليه و سلم الله اعلم بما كانوا عاملين وسيأتي الإلمام بشيء من ذلك بعد أبواب وفيه الحث القوي على القناعة والزجر الشديد عن الحرص لان الرزق إذا كان قد سبق تقديره لم يغن التعني في طلبه وانما شرع الاكتساب لأنه من جملة الأسباب التي اقتضتها الحكمة

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – دار المعرفة، ٤٨٧/١١

في دار الدنيا وفيه ان الأعمال سبب دخول الجنة أو النار ولا يعارض ذلك حديث لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله لما تقدم من الجمع بينهما في شرحه في باب القصد والمداومة على العمل من كتاب الرقاق وفيه ان من كتب شقيا لا يعلم حاله في الدنيا وكذا عكسه واحتج من اثبت ذلك بما سيأتي قريبا من حديث على اما من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة الحديث والتحقيق ان يقال ان أريد انه لا يعلم أصلا ورأسا فمردود وان أريد انه يعلم بطريق العلامة المثبتة للظن الغالب فنعم ويقوى ذلك في حق من اشتهر له لسان صدق بالخير والصلاح ومات على ذلك لقوله في الحديث الصحيح الماضي في الجنائز أنتم شهداء الله في الأرض وان أريد انه يعلم قطعا لمن شاء الله ان يطلعه على ذلك فهو من جملة الغيب الذي استأثر الله بعلمه واطلع من شاء ممن ارتضى من رسله عليه وفيه الحث على الاستعاذة بالله تعالى من سوء الخاتمة وقد عمل به جمع جم من السلف وأئمة الخلف وأما ما قال عبد الحق في كتاب العاقبة أن سوء الخاتمة لا يقع لمن استقام باطنه وصلح ظاهره وانما يقع لمن في طويته فساد أو ارتياب ويكثر وقوعه للمصر على الكبائر والمجزىء على العظائم فيهجم عليه الموت بغتة فيصطلمه ." (١)

" الشيطان عند تلك الصدمة فقد يكون ذلك سببا لسوء الخاتمة نسأل الله السلامة فهو محمول على الأكثر الاغلب وفيه ان قدرة الله تعالى لا يوجبها شيء من الأسباب الا بمشيئته فإنه لم يجعل الجماع علة للولد لأن الجماع قد يحصل ولا يكون الولد حتى يشاء الله ذلك وفيه ان الشيء الكثيف يحتاج إلى طول الزمان بخلاف اللطيف ولذلك طالت المدة في اطوار الجنين حتى حصل تخليقه بخلاف نفخ الروح ولذلك لما خلق الله الأرض اولا عمد إلى السماء فسواها وترك الأرض لكثافتها بغير فتق ثم فتقتا معا ولما خلق آدم فصوره من الماء والطين تركه مدة ثم نفخ فيه الروح واستدل الداودي بقوله فتدخل النار على ان الخبر خاص بالكفار واحتج بأن الإيمان لا يحبطه إلا الكفر وتعقب بأنه ليس في الحديث تعرض للاحباط وحمله على المعنى الأعم أولى فيتناول المؤمن حتى يختم له بعمل الكافر مثلا فيرتد فيموت على ذلك فنستعيذ بالله من ذلك ويتناول المطيع حتى يختم له بعمل العاصي فيموت على ذلك ولا يلزم من إطلاق دخول النار انه يخلد فيها ابدا بل مجرد الدخول صادق على الطائفتين واستدل له على انه لا يجب على الله رعاية الاصلح خلافا لمن قال به من المعتزلة لأن فيه ان بعض الناس يذهب جميع عمره في طاعة الله ثم يختم له بالكفر والعياذ بالله فيموت على ذلك فيدخل النار فلو كان يجب عليه رعاية الاصلح لم يحبط جميع عمله الصالح بكلمة الكفر التي مات عليها ولا سيما ان طال عمره وقرب موته من كفره واستدل به

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – دار المعرفة، ٤٨٩/١١

بعض المعتزلة على ان من عمل عمل أهل النار وجب ان يدخلها لترتب دخولها في الخبر على العمل وترتب الحكم على الشيء يشعر بعليته وأجيب بأنه علامة لا علة والعلامة قد تتخلف سلمنا انه علة لكنه في حق الكفار واما العصاة فخرجوا بدليل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فمن لم يشرك فهو داخل في المشيئة واستدل به الأشعري في تجويزه تكليف مالا يطاق لأنه دل على ان الله كلف العباد كلهم بالإيمان مع انه قدر على بعضهم انه يموت على الكفر وقد قيل ان هذه المسألة لم يثبت وقوعها الا في الإيمان خاصة وما عداه لا توجد دلالة قطعية على وقوعه واما مطلق الجواز فحاصل وفيه ان الله يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات لتصريح الخبر بأنه يأمر بكتابة أحوال الشخص مفصلة وفيه انه سبحانه مريد لجميع الكائنات بمعنى انه خالقها ومقدرها لا أنه يحبها ويرضاها وفيه ان جميع الخير والشر بتقدير الله تعالى وايجاده وخالف في ذلك القدرية والجبرية فذهبت القدرية إلى ان فعل العبد من قبل نفسه ومنهم من فرق بين الخير والشر فنسب إلى الله الخير ونفى عنه خلق الشر وقيل انه لا يعرف قائله وان كان قد اشتهر ذلك وانما هذا رأي المجوس وذهبت الجبرية إلى ان الكل فعل الله وليس للمخلوق فيه تأثير أصلا وتوسط أهل السنة فمنهم من قال أصل الفعل خلقه الله وللعبد قدرة غير مؤثرة في المقدور واثبت بعضهم ان لها تأثيرا لكنه يسمى كسبا وبسط ادلتهم يطول وقد اخرج احمد وأبو يعلى من طريق أيوب بن زياد عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت حدثني أبي قال دخلت على عبادة وهو مريض فقلت اوصني فقال إنك لن تطعم طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره وهو أن تعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك الحديث وفيه وان مت ولست على ذلك دخلت النار وأخرجه الطبراني من وجه اخر بسند حسن عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء مرفوعا مقتصرا على قوله ان العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وسيأتي الإلمام بشيء منه في كتاب التوحيد في الكلام على خلق افعال العباد ان شاء الله تعالى وفي الحديث ان ." (١)

" الاقدار غالبة والعاقبة غائبة فلا ينبغي لأحد ان يغتر بظاهر الحال ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين وبحسن الخاتمة وسيأتي في حديث علي الاتي بعد بابين سؤال الصحابة عن فائدة العمل مع تقدم التقدير والجواب عنه اعملوا فكل ميسر لما خلق له وظاهره قد يعارض حديث بن مسعود المذكور في هذا الباب والجمع بينهما حمل حديث علي على الأكثر الاغلب وحمل حديث الباب على الاقل ولكنه لما

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة، ٩٤/١١.

كان جائزا تعين طلب الثبات وحكى بن التين ان عمر بن عبد العزيز لما سمع هذا الحديث أنكره وقال كيف يصح ان يعمل العبد عمره الطاعة ثم لا يدخل الجنة انتهى وتوقف شيخنا بن الملقن في صحة ذلك عن عمر وظهر لي انه ان ثبت عنه حمل على ان راويه حذف منه قوله في آخره فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها أو أكمل الراوي لكن استبعد عمر وقوعه وان كان جائزا ويكون إيراده على سبيل التخويف من سوء الخاتمة الحديث الثاني حديث أنس

٦٢٢٢ - قوله حماد هو بن زيد وعبيد الله بن أبي بكر أي بن أنس بن مالك قوله وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة الخ أي يقول كل كلمة من ذلك في الوقت الذي تصير فيه كذلك كما تقدم بيانه في الحديث الذي قبله وقد مضى شرحه مستوفي فيه وتقدم شيء منه في كتاب الحيض ويجوز في قوله نطفة النصب على إضمار فعل والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وفائدة ذلك انه يستفهم هل يتكون منها اولا وقوله ان يقضي خلقها أي يأذن فيه

(قوله باب بالتنوين جف القلم)

أي فرغت الكتابة إشارة إلى أن الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يتغير حكمه فهو كناية عن الفراغ من الكتابة لأن الصحيفة حال كتابتها تكون رطبة أو بعضها وكذلك القلم فإذا انتهت الكتابة جفت الكتابة والقلم وقال الطيبي هو من إطلاق اللازم على الملزوم لأن الفراغ من الكتابة يستلزم جفاف القلم عند مداده قلت وفيه إشارة إلى ان كتابة ذلك انقضت من امد بعيد وقال عياض معنى جف القلم أي لم يكتب بعد ذلك شيئا وكتاب الله ولوحه وقلمه من غيبه ومن علمه الذي يلزمنا الإيمان به ولا يلزمنا معرفة صفته وانما خوطبنا بما عهدنا فيما فرغنا من كتابته ان القلم يصير جافا للاستغناء عنه قوله على علم الله أي على حكمه لان معلومه لا بد ان يقع فعلمه بمعلوم يستلزم الحكم بوقوعه وهذا لفظ حديث أخرجه احمد وصححه بن حبان من طريق عبد الله بن الديلمي عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول ان الله عز و جل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن اصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن اخطأه ضل فلذلك ." (١)

"ومن المهم معرفة سبب الحديث يعني السبب الذي لأجله حدث النبي بذلك الحديث كما في سبب نزول القرآن الكريموقد صنف فيه بعض شيوخ القاضي أبي يعلى ابن الفراء الحنبلي وهو أبو حفص العكبري بضم فسكون وفتح الموحدة وراء نسبة إلى عكبراء بلد على دجلة فوق بغداد وقد ذكر تقي الدين

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة، ١١/٤٩١

بن دقيق العيد في أوائل شرح العمدة آخر الكلام على حديث إنما الأعمال بالنيات أن أهل عصره شرع في جمع ذلك وكأنه ما رأى تصنيف العكبري المذكور عبارة ابن دقيق العيد شرع بعض المتأخرين من أهل الحديث هو لا ينافي أنه لم يكن اطلع على تصنيف العكبريلا يقال قوله شرع ظاهر في ذلكلأ (نا) نقول يحمل أن مراده أن بعض المتأخرين ممن تقدمه شرع في تصنيف ولم يتمه فلا دلالة في ذلك على أنه من أهل عصرهوصنفوا في غالب هذه الأنواع على ما أشرنا إليه فيما تقدم في هذا الكتاب غالبا أشار به إلى أنه ترك الإشارة إلى بعض تلك الأنواع وہو كذلك كما تقدم بعض ذلك مضمونا لكلامهوهي أي هذه الأنواع المذكورة في هذه الخاتمة نقل محض بل وكثير مما قبلها (نقل محض) ظاهرة التعريف مستغنية عن التمثيل وحصرها متعسر أو متعذر إذ لا ضابط لها تدخل تحته فليراجع لها مبسوطاتها المشار إلى كثير منها فيما تقدم ليحصل الوقوف على حقائقها والله الموفق الهادي إلى الصواب لا غيره لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب أي ارجع بالتوبة وحسبنا الله ونعم الوكيلثم قال مؤلفه – متعنا الله بحياته وقد انتهى شرح شرح النخبة مع انتهاء شهر شعبان المعظم قدره سنة ثلاثة وثلاثين بعد الألف ونسأل سر الفاتحة حسن الخاتمة والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي قبله ولا بعدهوقد تم نسخه ليلة الاثنين المبارك خلال ستة أيام من غرة ربيعالأول سنة ألف ومائة وسبعة عشر بعد الألف على يد أضعف العباد مصطفى بن مرتضى غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين---. "(١)

"""""""" صفحة رقم ١١٢ """"""الأبدان وأهلكت الجمال ومات منها من بني آدم عدد كثير ، منهم القاضي محب الدين محمد بن أبي الحسن البكري نائب الحكم ، وكان عارفا بالأحكام متثبتا في القضايا ، وقورا عاقلا ، كثير الاحتمال ، مشاركا في الفقه ولم يشتغل في غيره وقد درس في المدرسة الخروبية بشاطئ النيل نحوا من عشر سنين ، وكان قد توجه إلى الحجاز في الرجبية فجاور ثم رجع ، وذكر لي من أثق به من أنه كان كثير الطواف وأنه واظب على خمسين أسبوعا في كل يوم ، وهو من قدماء معارفنا وأهل الاختصاص بنا – فالله يعظم أجرنا فيه ويبدلنا به خير منه وقد غبطته بما اتفق له من حسن الخاتمة بالحج والمجاورة وزيارة الحضرة الشريفة النبوية والموت عقب ذلك في الغربة ، وكانت وفاته بالينبع وصلى عليه هناك ودفن به ، وقد جاوز السبعين بسنتين .شهر ذي الحجة الحرام اختتام السنة أوله الثلاثاء بالرؤية – يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة بالرؤية ، فيه استقر نور الدين علي بن أحمد ابن آقبرس في نظر الأوقاف عوضا عن تقي الدين بن عبد الرحمن – ابن تاج الدين عد الوهاب ابن ناصر الدين – بن نصر الله ابن أخي

---

(١) اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، ص/٢٤٩

الصاحب بدر الدين – وكان تقي الدين استقر فيها بعد صلاح الدين ابن عمه ، وكان عمه الصاحب بدر الدين إذ ذاك موعوكا فبلغه ذلك فشق عليه وشغله الضعف ، ثم توجه للعافية واستمر نور الدين في الوظيفة .وفي الثامن من ذي الحجة ورد الخبر بموت أقبغا التركماني في." (١)

"ص –٣٥٧– هؤلاء الملائكة . وأما الكروبيون الذين يرتفعون عن ذلك فلا أحد أفضل منهم، وربما خص بعضهم نبينا صلى الله عليه وسلم . واستثناوه من عموم البشر، إما تفضيلا على جميع أعيان الملائكة، أو على المدبرين منهم أمر العالم .هذا ما بلغني من كلمات الآخرين في هذه المسألة، وكنت أحسب أن القول فيها محدث حتى رأيتها أثرية سلفية صحابية، فانبعثت الهمة إلى تحقيق القول فيها، فقلنا حينئذ بما قاله السلف، فروى أبو يعلي الموصلي في [كتاب التفسير] المشهور له عن عبد الله ابن سلام وكان عالما بالكتاب الأول، والكتاب الثاني؛ إذ كان كتابيا، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بحسن الخاتمة، ووصية معاذ عند موته، وأنه أحد العلماء الأربعة الذين يبتغي العلم عندهم قال : ما خلق الله خلقا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم . الحديث عنه .قلت : ولا جبرائيل، ولا ميكائيل ؟ قال : يا بن أخي، أو تدري ما جبرائيل وميكائيل ؟ إنما جبرائيل وميكائيل خلق مسخر، مثل : الشمس، والقمر، وما خلق الله تعالى خلقا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم .وروى عبد الله في [التفسير] وغيره عن معمر، عن زيد بن أسلم؛ أنه قال : قالت الملائكة : يا ربنا، جعلت لبني آدم الدنيا، يأكلون فيها ويشربون، فاجعل لنا الآخرة . فقال : (وعزتي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان) .." (٢)

"ص –٦٨١– الفرس فيظن أنه إذا قال قطعا أنه نفي لقدرة الله على تغيير ذلك وهذا جهل فإن هذه الفرس فرس قطعا في هذه الحال والله قادر على أن يغيرها . وأصل [شبهة هؤلاء] أن السلف كانوا يستثنون في الإيمان فيقول أحدهم : أنا مؤمن – إن شاء الله – وكانت ثغور الشام : مثل عسقلان قد سكنها محمد بن يوسف الفريابي – شيخ البخاري – وهو صاحب الثوري وكان شديدا على المرجئة وكان يرى [الاستثناء في الإيمان] كشيخه الثوري وغيره من السلف .والناس لهم في الاستثناء [ثلاثة أقوال] : منهم من يحرمه كطائفة من الحنفية ويقولون من يستثني فهو شكاك . ومنهم من يوجبه : كطائفة من أهل الحديث . ومنهم من يجوزه – أو يستحبه – وهذا أعدل الأقوال فإن الاستثناء له وجه صحيح فمن قال : أنا مؤمن إن شاء الله وهو يعتقد أن الإيمان فعل جميع الواجبات ويخاف أن لا يكون قائما بها فقد أحسن ولهذا كان

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ١١٢/٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩/٦٤

الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم قال ابن أبي مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ومن اعتقد أن المؤمن المطلق هو الذي يستحق الجنة؛ فاستثنى خوفا من سوء الخاتمة فقد أصاب وهذا معنى ما يروى عن ابن مسعود أنه قيل له : عن رجل أنت مؤمن ؟." (١)

" خاتمة الطبع

قد تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الثالث من الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة بالطبعة الثانية يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٩٤ هـ = ١٣ أغسطس سنة ١٩٧٤ م تحت مراقبة مدير الدائرة وعميدها أحد أعلام الهند من أولى الألباب أفضل العلماء بروفسور السيد عبد الوهاب البخارى أبقاه الله لخدمة العلم والدين

واعتنى بتصحيحه ثانيا والتعليق عليه ووضع الاستدراكات الملحقة بآخر الكتاب مواضعها فى المتن مصحح الدائرة الحافظ عزيز بيك كامل الفقه من الجامعة النظامية - حفظه الله تعالى وقد رمز فى الهامش إلى تصحيحه هذا بحرف ع كما رمز الى تصحيح المصحح الأول المستشرق المرحوم سالم كرنكو الألمانى بحرف ك

وعنى بتنقيحه خادم العلم والعلماء راقم هذه الخاتمة غفر الله له ولوالديه أو يليه الجزء الرابع إن شاء الله تعالى أوله وذكر من اسمه على

وفى الختام ندعو الله سبحانه ان ينفعنا به ويوفقنا لما يحبه ويرضاه وهو المسؤل لحسن الخاتمة ونصلى ونسلم على من علم فواتح الخير وخواتمه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد رئيس قسم التصحيح من الدائرة المعارف العثمانية

." (٢)

" & خاتمة الطبع &

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣/١١٨

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٣/٢٧٢

قد تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الرابع من الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة بالطبعة الثانية يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٥ = = ٥ \ يونيو سنة ١٩٧٥ م تحت مراقبة مدير الدائرة وعميدها أفضل العلماء بروفسور السيد عبد الوهاب البخارى – ابقاه الله لخدمة العلم والدين

وأعتنى بتصحيحه ثانيا والتعليق عليه ووضع الاستدراكات الملحقة بآخر الكتاب مواضعها فى المتن مصحح الدائرة سابقا الحافظ السيد خورشيد على كامل التفسير من الجامعة النظامية – حفظه الله تعالى وقد رمز فى الهامش إلى تصحيحه هذا بحرف خ كما رمز إلى تصحيح المصحح الأول المستشرق المرحوم سالم كرنكو الالمانى بحرف ك

وعنى بتنقيحه خادم العلم والعلماء راقم هذه الخاتمة – غفر الله له ولوالديه ويليه الجزء الخامس إن شاء الله تعالى أوله ذكر من اسمه محمد

وفى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به ويوفقنا لما يحبه ويرضاه وهو المسؤل لحسن الخاتمة ونصلى ونسلم على من علم فواتح الخير وخواتمه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد رئيس قسم التصحيح من الدائرة المعارف العثمانية

". (١)

" أمر محقق وحسن الخاتمة أمر موهوم لعطلوا الأعمال جملة وكذلك الاجراء والصناع والملوك والجند وكل طالب امر من الامور الدنيوية والأخروية لولا بناؤه على الغالب وما جرت به العادة لما احتمل المشقة المتيقنة لأمر منتظر ومن هاهنا قيل أن إنكار هذه المسئلة يسلتزم تعطيل الدنيا والآخرة من وجوه متعددة

الوجه السابع والخمسون قولكم ويعارضه معنى ثالث وراءهما فيفكر العقل في انواعه وشروط أخرى وراء مجرد الانسانية من العقل والبلوغ والعلم والجهل والكمال والنقص والقرابة والاجنبية فيتحير العقل كل التحير فلا بد إذا من شارع يفصل هذه الخطة ويعين قانونا يطرد عليه امر الامة ويستقيم عليه مصالحهم

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٣٢٥/٤

فيقال لا ريب أن الشرائع تأتي بما لا تستقل العقول بإدراكه فإذا جاءت به الشريعة اهتدى العقل حينئذ إلى وجه حسن مأموره وقبح منهيه فسرته الشريعة على وجه الحكمة والمصلحة الباعثين اشرعه فهذا مما لا ينكر وهذا الذي قلنا فيه ان الشرائع تأتي بمجازات العقول لا بمحالات العقول ونحن لم ندع ولا عاقل قط أن العقل يستقل بجميع تفاصيل ما جاءت به الشريعة بحيث لو ترك وحده لاهتدى إلى كل ما جاءت به إذا عرف هذا فغاية ما ذكرتم أن الشريعة الكاملة اشترطت في وجوب القصاص شروطا لا يهتدي العقل إليها وأي شيء يلزم من هذا وماذا يقبح لكم ومنازعكم يسلمونه لكم وقولكم ان هذا معارض للوصف المقتضى لثبوت القصاص من قيام مصلحة العالم إما غفلة عن الشروط المعارضة وإما إصلاح طار سيم فيه مالا يهتدي العقل إليه من شروط اقتضاء الوصف لموجبه معارضة فيالله العجب أي معارضة ها هنا إذا كان العقل والفطرة قد شهدا بحسن القتل قصاصا وانتظامه للعالم وتوقفا في اقتضاء هذا الوصف هل يضم إليه شروط آخر غيره أم يكفي بمجرد وفي تعيين تلك الشروط فأدرك العقل ما استقل بإدراكه وتوقف عما لا يستقل بإدراكه حتى اهتدى إليه بنور الشريعة يوضح هذا

الوجه الثامن والخمسون أن ما وردت به الشريعة في اصل القصاص وشروطه منقسم إلى قسمين أحدهما ما حسنه معلوم بصريح العقل الذي لا يستريب فيه عاقل وهو اصل القصاص وانتظام مصالح العالم به والثاني ما حسنه معلوم بنظر العقل وفكره وتأمله فلا يهتدي إليه إلا الخواص وهو ما اشترط اقتضاء هذا الوصف أو جعل تابعا له فاشترط له المكافأة في الدين وهذا في غاية المراعاة للحكمة والمصلحة فإن الدين هو الذي فرق بين الناس في العصمة وليس في حكمة الله وحسن شرعه أن يجعل دم وليه وعبده وأحب خلقه إليه وخير بريته ومن خلقه لنفسه واختصه بكرامته واهله لجواره في جنته والنظر إلى وجهه وسماع كلامه في دار كرامته كدم عدوه وامقت خلقه عليه وشر بريته والعادل به عن عبادته إلى عبادة الشيطان الذي خلقه للنار وللطرود عن بابه والإبعاد عن رحمته وبالجملة فحاشا حكمته أن يسوى بين دماء خير البرية ودماء شر ." (١)

" ذلك وأدهي وأمر وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال الى الله تعالى فربما تعذر عليه النطق بالشهادة كما شاهد الناس كثيرا من المحتضرين أصابهم ذلك حتى قيل لبعضهم قل لا إله إلا الله فقال آه آه لا أستطيع أن أقولها وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فقال شاه رخ غلبتك ثم قضى وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فقال

---

(١) مفتاح دار السعادة، ٩٩/٢

يارب قائلة يوما وقد تعبت ... أين الطريق الى حمام منجاب

ثم قضى وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فجعل يهذي بالغناء ويقول تاتا نتنتا فقال وما ينفعني ما تقول ولم أدع معصية الا ركبتها ثم قضى ولم يقلها وقيل لآخر ذلك فقال وما يغني عني وما أعلم اني صليت لله تعالى صلاة ثم قضى ولم يقلها وقيل لآخر ذلك فقال هو كافر بما تقول وقضي وقيل لآخر ذلك فقال كلما أردت أن أقولها فلساني يمسك عنها وأخبرني من حضر بعض الشحاذين عند موته فجعل يقول لله فليس لله فليس حق قضي وأخبرني بعض التجار عن قرابة له انه احتضر وهو عنده فجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله وهو يقول هذه القطعة رخيصة هذا مشتري جيد هذه كذا حتى قضي وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرا والذي يخفي عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم وإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد تمكن منه الشيطان واستعمله بما يريده من المعاصي وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى وعطل لسانه من ذكره وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند سقوطه قواه واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزع وجمع الشيطان له كل قوته وهمته وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرضته فان ذلك آخر العمل فاقوي ما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت وأضعف ما يكون هو في تلك الحالة فمن تري يسلم علي ذلك فهناك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء فكيف يوفق لحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطا فبعيد من قلب بعيد من الله تعالى غافل عنه متعبد لهواه مصير لشهواته ولسانه يابس من ذكره وجوارحه معطلة من طاعته مشتغلة بمعصية الله أن يوفق لحسن الخاتمة ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين وكأن المسيئين الظالمين قد أخذوا توقيعا بالايمان أم لكم أيمان علينا بالغة الي يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم

يا آمنا من قبيح الفعل يصنعه ... هل أتاك تواقيع أم أنت تملكه

جمعت شيئين أمنا واتباع هوى ... هذا وإحداهما في المرء تهلكه

والمحسنون على درب المخاوف قد ... ساروا وذلك درب لست تسلكه ." (١)

" عقوبة له وقل أن ترى من كان كذلك فى صغره إلا وهو فى كبره شر مما كان ولا يوفق لعمل صالح ولا لعلم نافع ولا توبة نصوحا والتحقيق فى هذه المسألة أن يقال إن تاب المبتلى بهذا البلاء وأتاب ورزق توبة نصوحا وعملا صالحا وكان فى كبره خيرا منه فى صغره وبدل سيئآته بحسنات وغسل عار ذلك عنه

---

(١) الجواب الكافي، ص/٦٢

بأنواع الطاعات والقربات وغض بصره وحفظ فرجه عن المحرمات وصدق الله فى معاملته فهذا مغفور له وهو من أهل الجنة فإن الله يغفر الذنوب جميعا وإذا كانت التوبة تمحو كل ذنب حتى الشرك بالله وقتل أنبيائه وأوليائه والسحرا والكفر وغير ذلك فلا تقصر عن محو هذا الذنب وقد استقرت حكمة الله به عدلا وفضلا أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقد ضمن الله سبحانه لمن تاب من الشرك وقتل النفس والزنا أنه يبدل سيئاته حسنات وهذا حكم عام لكل تائب من ذنب وقد قال تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم فلا يخرج من هذا العموم ذنب واحد ولكن هذا فى حق التائبين خاصة وأما مفعول به كان فى كبره شرا مما كان في صغره لم يوفق لتوبة نصوحا ولا لعمل صالح ولا استدرك ما فات ولا أحيي ما مات ولا بدل السيئات بالحسنات فهذا بعيد أن يوفق عند الممات لخاتمة يدخل الجنة عقوبة له على عمله فإن الله سبحانه وتعالى يعاقب على السيئة بسيئة أخرى وتتضاعف عقوبة السيئآت بعضها ببعض كما يثيب على الحسنة بحسنة أخرى فتضاعف الحسنات وإذا نظرت إلي حال كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين حسن الخاتمة عقوبة لهم على أعمال السيئة قال الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي رحمه الله وأعلم أن لسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسباب ولها طرق وأبواب أعظمها الإنكباب على الدنيا وطلبها والحرص عليها والإعراض عن الأخرى والإقدام والجرأة علي معاصي الله عز و جل وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية وجانب من الإعراض ونصيب من الجرأة والإقدام فملك قلبه وسبي عقله وأطفأ نوره وأرسل عليه حجبه فلم تنفع فيه تذكرة ولا نجعت فيه موعظة فربما جاءه الموت على ذلك فسمع النداء من مكان بعيد فلم يتبين له المراد ولا علم ما أراد وإن كرر عليه الداعي وأعاد قال ويروي أن بعض رجال الناصر نزل به الموت فجعل ابنه يقول له قل لا إله إلا الله فقال الناصر مولاي فأعاد عليه القول فقال مثل ذلك أصابته غشية فلما أفاق قال الناصر مولاي وكان هذا دأبة كلما له قيل لا إله إلا الله قال الناصر مولاي ثم قال لإبنه يا فلان الناصر إنما يعرفك بسيفك والقتل القتل ثم مات على ذلك قال عبد الحق رحمه الله وقيل لآخر ممن أعرفه قل لا إله إلا الله فجعل يقول الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا والبستان ." (١)

" ذنوبه عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنى وقد ذكر الإمام أحمد عن أبى الدرداء أنه لما اختصر جعل يغمى عليه ثم يفيق ويقرأ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون فمن هذا خاف السلف من الذنوب أن تكون حجابا بينهم وبين الخاتمة الحسني قال

---

(١) الجواب الكافي، ص/١١٦

وأعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله تعالى منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به ولله الحمد وإنما تكون لمن فساد فى العقيدة أو اصرار على الكبيرة وإقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتي نزل به الموت قبل التوبة فيأخذه قبل إصلاح الطوية ويصطلم قبل الإنابة فيظفر به الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله قال ويروي أنه كان بمصر رجل يلزم المسجد للأذان والصلات فيه وعليه بهاء الطاعة ونور العبادة فرقى يوما المنارة على عادته للأذان وكان تحت المنارة دارا لنصراني فاطلع فيها فرأي إبنة صاحب الدار فافتتن بها فترك الأذان ونزل إليها ودخل الدار عليها فقالت له ما شأنك وما تريد قال اريدك قالت لماذا قال قد سلبت لبي وأخذت بمجامع قلبي قالت لا أجيبك إلى رية أبدا قال أتزوجك قالت أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك قال اتنصر قالت إن فعلت أفعل فتنصر الرجل ليتزوجها وأقام معهم فى الدار فلما كان فى آثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان فى الدار فسقط منه فمات فلم يظفر بها وفاته دينه فصل

ولما كانت مفسدة اللواط من أعظم المفاسد كانت عقوبتة فى الدنيا والآخرة من اعظم العقوبات وقد أختلف الناس هل هو أغلظ عقوبة من الزنا أو الزنا أغلظ عقوبة منه أو عقوبتهما سواء على ثلاثة أقوال فذهب أبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب وخالد بن الوليد وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وخالد بن زيد وعبد الله بن معمر والزهرى وربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك وإسحق بن راهويه والإمام أحمد فى أصح الروايتين عنه والشافعي فى أحد قوليه إلى أن عقوبته أغلظ من عقوبة الزنا وعقوبته القتل على كل حال محصنا كان أو غير محصن وذهب عطاء بن أبي رباح والحسن البصري وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعى وقتادة والأوزاعى والشافعي فى ظاهر مذهبه والإمام أحمد فى الرواية الثانية عنه وأبو يوسف ومحمد إلى عقوبته وعقوبة الزانى سواء وذهب الحاكم والإمام أبو حنيفة إلى أن عقوبته دون عقوبة الزانى وهى التعزير قالو ، لأنه معصية من المعاصى لم يقدر الله ولا رسوله فيه حدا مقدرا فكان ." (١)

٤٠ – حدثني شيخي ، إمام الأئمة ، أبو الفضل بن علي الحافظ – رحمه الله – مما كتبته عنه إملاء بالكاملية في ' بين القصرين ' من القاهرة قال : أنا عبد الرحمن بن أحمد ، أنا علي بن إسماعيل (ح) .

وأنبأني عاليا محمد بن أحمد ، عن محمد بن محمد البكري ، قالا : أنا عبد اللطيف بن عبد المنعم ، قال الثاني : إذنا إن لم يكن سماعا ، عن مسعود الجمال ، أنا أبو علي الحداد ، أنا أبو نعيم

(١) الجواب الكافي، ص/١١٨

الحافظ ، ثنا محمد بن علي بن حبيش ومحمد بن إبراهيم قال الأول : ثنا أحمد بن يحيى الحلواني وأحمد بن شعيب الحراني قال أولهما : ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، وقال ثانيهما : ثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد قالا : ثنا أبو خيثمة زهير بن معاوية وقال الثاني : ثنا أحمد بن علي ، ثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ، ثنا جرير ، كلاهما عن الأعمش ، عن أبي حازم هو سلمان الأشجعي ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ؛ إذا اشتهاه أكله وإلا تركه . ولفظ جرير ' شيئا ' بدل ' طعاما ' و ' إن كرهه تركه ' بدل ' وإلا تركه ' . هذا حديث صحيح . أخرجه مسلم عن أحمد بن يونس . وعن زهير بن حرب ، ويحيى بن يحيى ، وإسحاق بن إبراهيم ، ثلاثتهم عن جرير . فوقع لنا موافقة له في شيخيه الأولين ، وبدلا له في الآخرين بعلو . وهو عند البخاري من حديث شعبة ، وسفيان ، كلاهما عن الأعمش به .

" (١).

" الأصل ، ثم القاهري الشافعي – رحمه الله ورضي عنه ورضي عنا به – الشيخ ، الإمام ، الكامل ، الفاضل ، المحصل ، المحقق ، المجد ، المجتهد في تحصيل الفضائل المقرئ ، المحدث ، أحد المدرسين بالجامع الكبير الأموي بحلب المحروسة ، بدر الدين ، أبوالثناء ، محمود بن شقيقي المرحوم الشيخ الفاضل المدرس بالجامع المذكور شمس الدين أبي البركات محمد ، وقد أجزت له أن يرويه عني بحق روايتي له ، عن والدي الشيخ الإمام المعمر أحد المدرسين أيضا بالجامع المذكور ، شمس الدين ، أبي عبد الله محمد بن الشيخ ، الإمام ، العامل ، بدر الدين أبي الثناء حسن ، وعن الشيخ ، الإمام ، المرشد ، أبي بكر الحيشي المذكور قبيل ذلك في خط المؤلف . وعن الإمام ، الفقيه ، المحدث ، محي الدين عبد القادر بن الأبار ، بحق روايتهم – رحمهم الله ، ورضي عنهم وعنا بهم – عن المؤلف – رحمه الله تعالى -بمكة شرفها الله ، متفرقين ، وأجزت له أيضا ولإخوته وأهل بيته جميع ما يجوز لي وعني روايته من سائر كتب الحديث وغيرها ، وما هو مذكور في ثبت الحافظ رحمه الله تعالى . قال ذلك وكتبه الفقير شمس الدين ، أبو اليسر محمد بن محمد بن البدر حسن الشهير بابن البيلوني ، حامدا مصليا مسلما ، سائلا من المجاز المذكور أن لا ينساني من دعواته ؛ في جميع حالاته ، وأن يدعو لي بإصلاح فساد القلب ، **وحسن الخاتمة** ، ورضى الرب . صح ذلك ، وثبت بتاريخ ختام شوال ، من

(١) البلدانيات، ص/٢٤٠

شهور سنة ثلاث وأربعين وتسع مئة عدا تاريخ الإجازة المتقدمة على القراءة ، وأما القراءة وغيرها من السماع فبعد ذلك . والحمد لله وحده . * * * الحمد لله على نعمه . قرأت قطعة من أول هذا الكتاب وهو ' بلدانيات ' الحافظ ، شمس الدين .

---

(١) ".

"" الحديث التاسع والثلاثون " في ذكر الموت واختلاف أحوال الموتى وذكر عذاب القبر وثوابه إلخ.
" الحديث الأربعون " في قضية المحشر وهوله وذكر الجنة والنار وما يتصل بذلك. وبذلك يتم ما رمناه من ترتيب هذا الكتاب. ونسأل الله عز وجل **حسن الخاتمة** والتوفيق في كافة الأسباب.

الأحاديث

الحديث الأول

الإيمان وكلمة التوحيد

وصفة المؤمن وحرمته وما يتصل بذلك

أخبرنا الشيخ الأجل السيد الإمام محي الدين وزين الموحدين بقية السلف أحفظ الحفاظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الوليد القرشي الصنعاني قراءة عليه. قال أخبرنا الشريف الأمير الأجل الفاضل بدر الدين فخر المسلمين الداعي إلى الحق المبين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الهادي إلى الحق عليهم السلام، مناولة في رمضان من سنة سبع وتسعين وخمسماية بمدينة " صعدة " المحروسة بالمشاهد المقدسة على ساكنيها السلام. قال وأنا أرويه مناولة وإجازة عن السيد الشريف الأجل عماد الدين الحسن ابن عبد الله رحمه الله تعالى. قال أخبرنا القاضي الإمام العالم الأوحد الزاهد قطب الدين شرف الإسلام عماد الشريعة أحمد بن أبي الحسن بن علي القاضي الكنى أدام الله تأييده بقراءته علينا في ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وخمسماية. قال أخبرنا القاضي الإمام المرشد أبو منصور عبد الرحيم بن المظفر بن عبد الرحيم الحمدوني رحمه الله تعالى في رمضان سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة قراءة عليه. قال أخبرني والدي الشيخ أبو سعد المظفر بن عبد الرحيم بن علي الحمدوني. قال حدثنا السيد الإمام المرشد بالله أبو الحسين يحيى بن الموفق بالله أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن جعفر بن الحسن ابن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن الحسن بن

---

(١) البلدانيات، ص/٣٠٢

زيد بن الحسن بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة.

" ح " قال وأخبرنا الشيخ القاضي الإمام العالم الزاهد الأوحد قطب الدين شرف الإسلام أحمد بن أبي الحسن الكنى أدام الله تأييده. قال أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو العباس أحمد بن الحسن بن أبي القاسم باب الآذوني رحمه الله قراءة عليه سنة ست وثلاثين وخمسماية. قال حدثنا المرشد بالله إملاء في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وأربعماية. قال أخبرنا محمد بن محمد بن إبراهيم السمسمار المعروف بابن غيلان بقراءتي عليه غير مرة. قال أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي قراءة عليه. قال حدثنا عبد الله بن روح المدايني ومحمد بن رزيح البراز. قال حدثنا يزيد بن هارون. قال حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص يقول سمعت عمر بن الخطاب على المنبر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: " إنما الأعمال بالنية وإنما لكل امرئ ما نوى: فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله، فهجرته إلى الله وإلى رسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه " .

وبهذين الإسنادين إلى السيد الإمام المرشد بالله رضي الله عنه قال أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن علي ابن محمد البيع المعروف بابن مورى. قال حدثنا أبو سهل أحمد بن محمد بن حمان الجواليقي وكان ثقة. قال حدثنا محمد بن أيوب قال أخبرنا مسدد قال حدثنا حماد عن المعلا بن زياد عن معاوية بن قرة عن معقل ابن يسار قال. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " العبادة في الهرج كهجرة إلى " .

" وبه "

قال أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن ريذة قراءة عليه بأصفهان. قال أخبرنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني. قال أخبرنا إدريس بن جعفر. قال حدثنا يزيد بن هارون. قال حدثنا سعيد، عن قتادة عن أنس عن أسيد بن حضير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأنصار: " إنكم سترون من بعدي أثرة، قالوا فما تأمرنا؟ قال اصبوا حتى تلقوني على الحوض " .

" وبه "." (١)

"""إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما –أو قال: أربعين ليلة– ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله –عز وجل– الملك، فيؤمر بأربع كلمات".

قال: "فيكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم

---

(١) الأمالي الشجرية، ٣/١

ليعمل بعمل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل النار، فيكون من أهل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل الجنة، فيكون من أهلها"١.

---

١ في الحديث أن الأعمال -حسنها وسيئها- أمارات، وليست بموجبات، وأن مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء، وجرى به القدر في الابتداء، وفيه القسم على الخبر الصدق تأكيدا في نفس السامع.
وفيه التنبيه على صدق البعث بعد الموت؛ لأن من قدر على خلق الشخص من ماء مهين، ثم نقله إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم ينفخ فيه الروح، قادر على نفخ الروح بعد أن يصير ترابا، ويجمع أجزاءه بعد أن يفرقها. ولقد كان قادرا على أن يخلقه دفعة واحدة؛ ولكن اقتضت الحكمة بنقله في الأطوار رفقا بالأم؛ لأنها لم تكن معتادة، فكانت المشقة تعظم عليها، فهيأه في بطنها بالتدريج إلى أن تكامل. وإذا تأمل الإنسان في أصل خلقه من نطفة، وتنقله في تلك الأطوار إلى أن صار إنسانا جميل الصورة، مفضلا بالعقل والفهم والنطق كان حقا عليه أن يشكر من أنشأه وهيأه، ويعبده حق عبادته، ويطيعه ولا يعصيه.
وفيه الحث على الاستعاذة من **سوء الخاتمة**، وقد عمل به جمع جم من السلف وأئمة الخلف.
وفيه أن الله يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات لتصريح الخبر بأنه يأمر بكتابة أحوال الشخص مفصلة.
وفيه أنه سبحانه مريد لجميع الكائنات بمعنى أنه خالقها ومقدره، لا أنه يحبها يرضاها.
وفيه أن الأقدار غالبة، فلا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال؛ ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين **وبحسن الخاتمة**.
وقال ابن رجب في شرح الجزء الأخير من الحديث:
وقد روي هذا الحديث عن النبي -صلى الله عليه سلم- من وجوه متعددة، وخرجه الطبراني من حديث علي بن أبي طالب عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وزاد فيه: "صاحب الجنة مختوم له بعمل أهل الجنة، وصاحب النار مختوم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل، وقد يسلك بأهل السعادة طريق أهل الشقاوة حتى يقال: ما أشبههم بهم بل هم منهم وتدركهم فتستنقذهم، وقد يسلك بأهل الشقاوة طريق أهل السعادة =". (١)

---

(١) العمدة في مشيخة شهدة مكتبة الخانجي - الرقمية، ص/٢٩

"أخرجه البخاري ومسلم من حديث الأعمش عن زيد أبي سليمان الجهني.

= حتى يقال: ما أشبههم بهم بل هم منهم وتدركهم الشقاة، من كتبه الله سعيدا في أم الكتاب لم يخرجه من الدنيا حتى يستعمله بعمل يسعده قبل موته ولو بفواق ناقة"، ثم قال: "الأعمال بخواتيمها، الأعمال بخواتيهما".

وخرج البزار في مسنده بهذا المعنى أيضا من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد أن النبي –صلى الله عليه وسلم– التقى هو والمشركون، وفي أصحابه رجل لا يدع شاذة وفاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هو من أهل النار"، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه فاتبعه، فجرح الرجل جرحا شديدا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه على الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: أشهد أنك رسول الله، وقص عليه القصة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة". زاد البخاري رواية: "إنما الأعمال بالخواتيم".

وقوله: "فيما يبدو للناس" إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب **سوء الخاتمة** عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير، فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره فتوجب له **حسن الخاتمة**.

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلا عن الموت يلقن الشهادة "لا إله إلا الله"، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه، فإذا هو مدمن خمر، وكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب؛ فإنها هي التي أوقعته.

وفي الجملة فالخواتيم ميراث السوابق، فكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق، وقد قيل: إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: بماذا يختم لنا؟ وقلوب المقربين معلقة بالسوابق، يقولون: ماذا سبق لنا؟

وبكى بعض الصحابة عند موته فسئل عن ذلك فقال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول:

"إن الله تعالى قبض خلقه قبضتين فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار، ولا أدري في أي القبضتين كنت؟"، فقال بعض السلف: ما أبكى العيون وما أبكاها الكتاب السابق.

وقال سفيان لبعض الصالحين: هل أبكاك قط علم الله فيك؟ فقال له ذلك الرجل: تركني لا أفرح أبدا. وكان سفيان يشتد قلقه من السوابق والخواتيم فكان يبكي ويقول: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيا، ويبكي ويقول: أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت.

وكان مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضا على لحيته ويقول: يا رب، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أي الدراين منزل مالك؟

وقال حاتم الأصم: من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطار فهو مغتر فلا يأمن الشقاء:

الأول: خطر يوم الميثاق حين قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، فلا يعلم في أي الفريقين كان.

والثاني: حين خلق في ظلمات ثلاث، فنادى الملك بالشقاوة والسعادة، ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء.

والثالث: ذكر هول المطلع، فلا يدري أيبشر برضا الله أم بسخطه.

والرابع: يوم يصدر الناس أشتاتا، فلا يدري أي الطريقين يسلك به.

وقال سهل التستري: المريد يخاف أن يبتلى المعاصي، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر. ومن هنا كان =." (١)

"[٢] أخبرنا طراد، نا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران السكري المعدل، أنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار قراءة في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، أنا أحمد بن منصور، ونا عبد الرزاق بن همام، ثنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله، إني بني أبي سلمة في حجري١، ليس لهم شيء إلا ما أنفقت عليهم، ولست بتاركتهم، أفلي أجر أن أنفقت عليهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنفقي عليهم؛ فإن لك أجر ما أنفقت عليهم".

أخرجه مسلم عن إسحاق بن راهويه، وعن عبد الرزاق.

---

(١) العمدة في مشيخة شهدة مكتبة الخانجي - الرقمية، ص/٣٠

= الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح يخافون على أنفسهم النفاق ويشتد قلقهم وجزعهم منه، فالمؤمن يخاف على نفسه النفاق الأصغر، ويخاف أن يغلب ذلك عليه عند الخاتمة فيخرجه إلى النفاق الأكبر، كما تقدم أن دسائس السوء الخفية توجب **سوء الخاتمة**، وقدكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول في دعائه: "يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك"، فقيل له: يا نبي الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ فقال: "نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن -عز وجل- يقبلها كيف شاء" خرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس.

وخرج الإمام أحمد من حديث أم سلمة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يكثر في دعائه أن يقول: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"، فقلت: يا رسول الله، أوإن القلوب لتنقلب؟ قال: "نعم، ما من خلق الله من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله -عز وجل- فإن شاء الله -عز وجل- أقامه وإن شاء أزاغه"، فنسأل الله ربنا ألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، قالت: قلت: يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: "بلى، قولي: اللهم رب النبي محمد صلى الله عليه وسلم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني"، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة.

وخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن -عز وجل- كقلب واحد يصرفه حيث يشاء"، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك".

"جامع العلوم والحكم ٦٩-٧١".

[٢] م "٢/ ٦٩٥" "١٢" كتاب الزكاة - "١٤" باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين - من طريق أبي أسامة، عن هشام به.

ومن طريق إسحاق بن إبراهيم وعبد الرزاق عن معمر به.

خ "٣/ ٤٢٨" "٦٩" كتاب النفقات - "١٤" باب ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ وهل على المرأة من شيء - من طريق موسى بن إسماعيل، عن وهيب، عن هشام به.

١ حجري: أي كنفي وحمايتي.." (١)

---

(١) العمدة في مشيخة شهدة مكتبة الخانجي - الرقمية، ص/٣١

"" الحديث التاسع والثلاثون " في ذكر الموت واختلاف أحوال الموتى وذكر عذاب القبر وثوابه إلخ.
" الحديث الأربعون " في قضية المحشر وهوله وذكر الجنة والنار وما يتصل بذلك. وبذلك يتم ما رمناه من ترتيب هذا الكتاب. ونسأل الله عز وجل **حسن الخاتمة** والتوفيق في كافة الأسباب.

الأحاديث

الحديث الأول

الإيمان وكلمة التوحيد

وصفة المؤمن وحرمته وما يتصل بذلك

أخبرنا الشيخ الأجل السيد الإمام محي الدين وزين الموحدين بقية السلف أحفظ الحفاظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الوليد القرشي الصنعاني قراءة عليه. قال أخبرنا الشريف الأمير الأجل الفاضل بدر الدين فخر المسلمين الداعي إلى الحق المبين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الهادي إلى الحق عليهم السلام، مناولة في رمضان من سنة سبع وتسعين وخمسماية بمدينة " صعدة " المحروسة بالمشاهد المقدسة على ساكنيها السلام. قال وأنا أروي‍ه مناولة وإجازة عن السيد الشريف الأجل عماد الدين الحسن ابن عبد الله رحمه الله تعالى. قال أخبرنا القاضي الإمام العالم الأوحد الزاهد قطب الدين شرف الإسلام عماد الشريعة أحمد بن أبي الحسن بن علي القاضي الكنى أدام الله تأييده بقراءته علينا في ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وخمسماية. قال أخبرنا القاضي الإمام المرشد أبو منصور عبد الرحيم بن المظفر بن عبد الرحيم الحمدوني رحمه الله تعالى في رمضان سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة قراءة عليه. قال أخبرني والدي الشيخ أبو سعد المظفر بن عبد الرحيم بن علي الحمدوني. قال حدثنا السيد الإمام المرشد بالله أبو الحسين يحيى بن الموفق بالله أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن جعفر بن الحسن ابن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة.
" ح " قال وأخبرنا الشيخ القاضي الإمام العالم الزاهد الأوحد قطب الدين شرف الإسلام أحمد بن أبي الحسن الكنى أدام الله تأييده. قال أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو العباس أحمد بن الحسن بن أبي القاسم باب الآذوني رحمه الله قراءة عليه سنة ست وثلاثين وخمسماية. قال حدثنا المرشد بالله إملاء في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وأربعماية. قال أخبرنا محمد بن محمد بن إبراهيم السمسمار المعروف بابن غيلان بقراءتي عليه غير مرة. قال أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي قراءة عليه. قال

حدثنا عبد الله بن روح المدايني ومحمد بن رزيح البراز. قال حدثنا يزيد بن هارون. قال حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص يقول سمعت عمر بن الخطاب على المنبر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: " إنما الأعمال بالنية وإنما لكل امرئ ما نوى: فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله، فهجرته إلى الله وإلى رسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه " .

وبهذين الإسنادين إلى السيد الإمام المرشد بالله رضي الله عنه قال أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن علي ابن محمد البيع المعروف بابن مورى. قال حدثنا أبو سهل أحمد بن محمد بن حمان الجواليقي وكان ثقة. قال حدثنا محمد بن أيوب قال أخبرنا مسدد قال حدثنا حماد عن المعلا بن زياد عن معاوية بن قرة عن معقل ابن يسار قال. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " العبادة في الهرج كهجرة إلى " .

" وبه "

قال أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن ريذة قراءة عليه بأصفهان. قال أخبرنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني. قال أخبرنا إدريس بن جعفر. قال حدثنا يزيد بن هارون. قال حدثنا سعيد، عن قتادة عن أنس عن أسيد بن حضير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأنصار: " إنكم سترون من بعدي أثرة، قالوا فما تأمرنا؟ قال اصبوا حتى تلقوني على الحوض " .

" وبه "." (١)

"تأخير الصلاة لمدافعة الأخبثين

١٧٣٣٧ ،

خبر

إخبار

إخبار الأنبياء بالنبى

٥٦٨٦ حتى ٥٦٨٩ ،

خبر

(١) ترتيب الأمالي الخميسية، ١/٣

٩٢٣ ، ١٨٢٦ ، ١٨٦١ ، ١٨٦٢ ،

خدج

خديجة

مناقب خديجة

٣٠٨ ، ٣٢٠ ، ٣٠٩٧ ، ٤٠٩٣ ،

خدم

الخادم

العفو عن الخادم

٣٨٠٧ ، ٣٨١٤ ،

خدم

الخادم

حسن معاملة الخادم

١٧٢١ ، ٢٧٣٤ ، ٢٧٣٥ ،

خدم

الخادم

سيد القوم خادمهم

١٣٢٢٢ ، ١٣٢٢٣ ،

خرج

الخروج

الصلاة قبل الخروج من المنزل

١٨٥٠ ، ١٩١٥ ،

خرج

الخروج

النهى عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن

١١٩٩

خرج

الخروج." (١)

"[رواه البخاري، ومسلم].

الحديث الثلاثون

في وجوب العدل بين الأولاد

عن النعمان بن بشير — رضي الله عنهما — أن أباه أتى به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: إني نحلت (١) ابني هذا غلاما كان لي، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «أفعلت هذا بأولادك كلهم؟» قال: لا. قال: «اتقوا الله، واعدلوا (٢) في أولادكم»، فرجع أبي فرد تلك الصدقة. [رواه البخاري، ومسلم].

الحديث الحادي والثلاثون

في الجليس الصالح وجليس السوء

---

(١) النحلة: هي العطية.

(٢) اعدلوا: أي ساووا.

أراد بشير بن سعد – رضي الله عنه – أن يخصص ولده النعمان بهذه العطية دون إخوته، ورغب أن يشهد عليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ؛ ليتم مقصوده، ولما كانت العدالة والمساواة واجبة على الآباء بين أولادهم، أبى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن ينفذ رغبة بشير بن سعد، وعد ذلك من الجور، فقال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم».

والحديث يدل على وجوب العدالة والمساواة بين الأولاد، ولا عدالة أحسن وأكمل من قسمة الله — تعالى

---

(١) جامع الأحاديث، ٤٨٥/٤١

– في ذوي الأرحام في كتابه العزيز فإنه لم يدعها لأحد يتصرف فيها بعقله ورأيه كما يفعل من لا حظ له في العدالة من إيقاف تركته على أولاده الذكور دون الإناث، أو عليهم جميعا دون أولاد البنات، فهذا باطل وظلم يجب إزالته، ومنعه، وإبطاله، وإجراء حكم الله – تعالى – وعدله، وحكمته بإعطاء كل ذي حق حقه: ﴿ فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما ﴾ [النساء: ١١]. نعوذ بالله من الجور والفجور **وسوء الخاتمة**." (١)

""إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما –أو قال: أربعين ليلة– ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله –عز وجل– الملك، فيؤمر بأربع كلمات".

قال: "فيكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل النار، فيكون من أهل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل الجنة، فيكون من أهلها"١.

---

١ في الحديث أن الأعمال –حسنها وسيئها– أمارات، وليست بموجبات، وأن مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء، وجرى به القدر في الابتداء، وفيه القسم على الخبر الصدق تأكيدا في نفس السامع.

وفيه التنبيه على صدق البعث بعد الموت؛ لأن من قدر على خلق الشخص من ماء مهين، ثم نقله إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم ينفخ فيه الروح، قادر على نفخ الروح بعد أن يصير ترابا، ويجمع أجزاءه بعد أن يفرقها. ولقد كان قادرا على أن يخلقه دفعة واحدة؛ ولكن اقتضت الحكمة بنقله في الأطوار رفقا بالأم؛ لأنها لم تكن معتادة، فكانت المشقة تعظم عليها، فهيأه في بطنها بالتدريج إلى أن تكامل. وإذا تأمل الإنسان في أصل خلقه من نطفة، وتنقله في تلك الأطوار إلى أن صار إنسانا جميل الصورة، مفضلا بالعقل والفهم والنطق كان حقا عليه أن يشكر من أنشأه وهيأه، ويعبده حق عبادته، ويطيعه ولا يعصيه.

وفيه الحث على الاستعاذة من **سوء الخاتمة**، وقد عمل به جمع جم من السلف وأئمة الخلف.

وفيه أن الله يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات لتصريح الخبر بأنه يأمر بكتابة أحوال الشخص مفصلة.

وفيه أنه سبحانه مريد لجميع الكائنات بمعنى أنه خالقها ومقدرها لا أنه يحبها يرضاها.

وفيه أن الأقدار غالبة، فلا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال؛ ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين

---

(١) المختارات السلفية من الأحاديث النبوية، ص/١٩

وبحسن الخاتمة.

وقال ابن رجب في شرح الجزء الأخير من الحديث:

وقد روي هذا الحديث عن النبي –صلى الله عليه سلم– من وجوه متعددة، وخرجه الطبراني من حديث علي بن أبي طالب عن النبي –صلى الله عليه وسلم– وزاد فيه: "صاحب الجنة مختوم له بعمل أهل الجنة، وصاحب النار مختوم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل، وقد يسلك بأهل السعادة طريق أهل الشقاوة حتى يقال: ما أشبههم بهم بل هم منهم وتدركهم فتستنقذهم، وقد يسلك بأهل الشقاوة طريق أهل السعادة =." (١)

"أخرجه البخاري ومسلم من حديث الأعمش عن زيد أبي سليمان الجهني.

= حتى يقال: ما أشبههم بهم بل هم منهم وتدركهم الشقاة، من كتبه الله سعيدا في أم الكتاب لم يخرجه من الدنيا حتى يستعمله بعمل يسعده قبل موته ولو بفواق ناقة"، ثم قال: "الأعمال بخواتيمها، الأعمال بخواتيهما".

وخرج البزار في مسنده بهذا المعنى أيضا من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد أن النبي –صلى الله عليه وسلم– التقى هو والمشركون، وفي أصحابه رجل لا يدع شاذة وفاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هو من أهل النار"، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه فاتبعه، فجرح الرجل جرحا شديدا، فاستجعل الموت، فوضع نصل سيفه على الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: أشهد أنك رسول الله، وقص عليه القصة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة". زاد البخاري رواية: "إنما الأعمال بالخواتيم".

وقوله: "فيما يبدو للناس" إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب **سوء الخاتمة** عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال

---

(١) العمدة من الفوائد والآثار الصحاح في مشيخة شهدة شهدة ص/٢٩

الخير، فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره فتوجب له **حسن الخاتمة**.

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلا عن الموت يلقن الشهادة "لا إله إلا الله"، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه، فإذا هو مدمن خمر، وكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب؛ فإنها هي التي أوقعته.

وفي الجملة فالخواتيم ميراث السوابق، فكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق، وقد قيل: إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: بماذا يختم لنا؟ وقلوب المقربين معلقة بالسوابق، يقولون: ماذا سبق لنا؟

وبكى بعض الصحابة عند موته فسئل عن ذلك فقال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "إن الله تعالى قبض خلقه قبضتين فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار، ولا أدري في أي القبضتين كنت؟ "، فقال بعض السلف: ما أبكى العيون وما أبكاها الكتاب السابق.

وقال سفيان لبعض الصالحين: هل أبكاك قط علم الله فيك؟ فقال له ذلك الرجل: تركني لا أفرح أبدا. وكان سفيان يشتد قلقه من السوابق والخواتيم فكان يبكي ويقول: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيا، ويبكي ويقول: أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت.

وكان مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضا على لحيته ويقول: يا رب، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أي الدراين منزل مالك؟

وقال حاتم الأصم: من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطار فهو مغتر فلا يأمن الشقاء:

الأول: خطر يوم الميثاق حين قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، فلا يعلم في أي الفريقين كان.

والثاني: حين خلق في ظلمات ثلاث، فنادى الملك بالشقاوة والسعادة، ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء.

والثالث: ذكر هول المطلع، فلا يدري أيبشر برضا الله أم بسخطه.

والرابع: يوم يصدر الناس أشتاتا، فلا يدري أي الطريقين يسلك به.

وقال سهل التستري: المريد يخاف أن يبتلى المعاصي، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر. ومن هنا كان = ". (١)

---

(١) العمدة من الفوائد والآثار الصحاح في مشيخة شهدة شهدة ص/٣٠

"[٢] أخبرنا طراد، نا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران السكري المعدل، أنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار قراءة في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، أنا أحمد بن منصور، ونا عبد الرزاق بن همام، ثنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله، إني بني أبي سلمة في حجري١، ليس لهم شيء إلا ما أنفقت عليهم، ولست بتاركتهم، أفلي أجر إن أنفقت عليهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنفقي عليهم؛ فإن لك أجر ما أنفقت عليهم".

أخرجه مسلم عن إسحاق بن راهويه، وعن عبد الرزاق.

= الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح يخافون على أنفسهم النفاق ويشتد قلقهم وجزعهم منه، فالمؤمن يخاف على نفسه النفاق الأصغر، ويخاف أن يغلب ذلك عليه عند الخاتمة فيخرجه إلى النفاق الأكبر، كما تقدم أن دسائس السوء الخفية توجب **سوء الخاتمة**، وقدكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول في دعائه: "يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك"، فقيل له: يا نبي الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ فقال: "نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن -عز وجل- يقبلها كيف شاء" خرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس.

وخرج الإمام أحمد من حديث أم سلمة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يكثر في دعائه أن يقول: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"، فقلت: يا رسول الله، أوإن القلوب لتنقلب؟ قال: "نعم، ما من خلق الله من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله -عز وجل- فإن شاء الله -عز وجل- أقامه وإن شاء أزاغه"، فنسأل الله ربنا ألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، قالت: قلت: يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: "بلى، قولي: اللهم رب النبي محمد صلى الله عليه وسلم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني"، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة.

وخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن -عز وجل- كقلب واحد يصرفه حيث يشاء"، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك".

"جامع العلوم والحكم ٦٩-٧١".

[٢] م "٢/ ٦٩٥" "١٢"كتاب الزكاة – "١٤" باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين – من طريق أبي أسامة، عن هشام به.

ومن طريق إسحاق بن إبراهيم وعبد الرزاق عن معمر به.

خ "٣/ ٤٢٨" "٦٩"كتاب النفقات – "١٤" باب ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ وهل على المرأة من شيء – من طريق موسى بن إسماعيل، عن وهيب، عن هشام به.

١ حجري: أي كنفي وحمايتي.." (١)

"شيوخي منها كثرة وأرجو الله **حسن الخاتمة**

٤٠ – حدثني شيخي إمام الأئمة أبو الفضل بن علي الحافظ – رحمه الله – مما كتبته عنه إملاء بالكاملية في بين القصرين من القاهرة قال أنا عبد الرحمن بن أحمد أنا علي بن إسماعيل (ح)

وأنبأني عاليا محمد بن أحمد عن محمد بن محمد البكري قالا أنا عبد اللطيف بن عبد المنعم قال الثاني إذنا إن لم يكن سماعا عن مسعود الجمال أنا أبو علي الحداد أنا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن علي بن حبيش ومحمد بن إبراهيم قال الأول ثنا أحمد بن يحيى الحلواني وأحمد بن شعيب الحراني قال أولهما ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس وقال ثانيهما ثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد قالا ثنا أبو خيثمة زهير بن معاوية وقال الثاني ثنا أحمد بن علي ثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ثنا جرير كلاهما عن الأعمش عن أبي حازم هو سلمان الأشجعي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال ما عاب رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ طعاما قط إذا اشتهاه أكله وإلا تركه ولفظ جرير شيئا بدل طعاما وإن كرهه تركه بدل وإلا تركه هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أحمد بن يونس وعن زهير بن حرب ويحيى بن يحيى وإسحاق بن إبراهيم ثلاثتهم عن جرير فوقع لنا موافقة له في شيخيه الأولين وبدلا له في الآخرين بعلو وهو عند البخاري من حديث شعبة وسفيان كلاهما عن الأعمش به." (٢)

"الأصل ثم القاهري الشافعي – رحمه الله ورضي عنه ورضي عنا به – الشيخ الإمام الكامل الفاضل المحصل المحقق المجد المجتهد في تحصيل الفضائل المقرئ المحدث أحد المدرسين بالجامع الكبير الأموي بحلب المحروسة بدر الدين أبوالثناء محمود بن شقيقي المرحوم الشيخ الفاضل المدرس بالجامع المذكور شمس الدين أبي البركات محمد وقد أجزت له أن يرويه عني بحق روايتي له عن والدي الشيخ

---

(١) العمدة من الفوائد والآثار الصحاح في مشيخة شهدة شهدة ص/٣١

(٢) البلدانيات للسخاوي السخاوي، شمس الدين ص/٢٤٠

الإمام المعمر أحد المدرسين أيضا بالجامع المذكور شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الإمام العامل بدر الدين أبي الثناء حسن وعن الشيخ الإمام المرشد أبي بكر الحيشي المذكور قبيل ذلك في خط المؤلف وعن الإمام الفقيه المحدث محي الدين عبد القادر بن الأبار بحق روايتهم - رحمهم الله ورضي عنهم وعنا بهم - عن المؤلف - رحمه الله تعالى - بمكة شرفها الله متفرقين وأجزت له أيضا ولإخوته وأهل بيته جميع ما يجوز لي وعني روايته من سائر كتب الحديث وغيرها وما هو مذكور في ثبت الحافظ رحمه الله تعالى قال ذلك وكتبه الفقير شمس الدين أبو اليسر محمد بن محمد بن البدر حسن الشهير بابن البيلوني حامدا مصليا مسلما سائلا من المجاز المذكور أن لا ينساني من دعواته في جميع حالاته وأن يدعو لي بإصلاح فساد القلب وحسن الخاتمة ورضى الرب صح ذلك وثبت بتاريخ ختام شوال من شهور سنة ثلاث وأربعين وتسع مئة عدا تاريخ الإجازة المتقدمة على القراءة وأما القراءة وغيرها من السماع فبعد ذلك والحمد لله وحده الحمد لله على نعمه قرأت قطعة من أول هذا الكتاب وهو بلدانيات الحافظ شمس الدين." (١)

"٢٨٢٣ - حدثنا مسدد، حدثنا معتمر، قال: سمعت أبي، قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ﷺاللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من عذاب القبر»

________ ٢٦٦٨w (١٠٣٩/٣) -[ش أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة باب التعوذ من العجز والكسل وغيره رقم ٢٧٠٦. (الهرم) كبر السن الذي يؤدي إلى ضعف القوى والأعضاء. (فتنة المحيا والممات) الاشتغال بزخرف الدنيا عن الآخرة وفتنة الممات سوء الخاتمة عند الموت]

[٤٤٣٠، ٦٠٠٦، ٦٠٠٨، ٦٠١٠]." (٢)

"ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات، فيقول: اكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أم سعيد، فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة،

---

(١) البلدانيات للسخاوي السخاوي، شمس الدين ص/٣٠٢

(٢) صحيح البخاري البخاري ٢٣/٤

فيدخلها" (١).

٧٧ - حدثنا علي بن محمد، حدثنا إسحاق بن سليمان، قال: سمعت أبا سنان، عن وهب بن خالد الحمصي، عن ابن الديلمي، قال:

وقع في نفسي شيء من هذا القدر، خشيت أن يفسد علي ديني وأمري، فأتيت أبي بن كعب، فقلت: أبا المنذر، إنه قد وقع في نفسي (٢) شيء من هذا القدر فخشيت على ديني وأمري، فحدثني

---

(١) إسناده صحيح. أبو معاوية: هو محمد بن خازم الضرير.

وأخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣)، وأبو داود (٤٧٠٨)، والترمذي (٢٢٧١ - ٢٢٧٣)، والنسائي في "الكبرى" (١١١٨٢) من طريق الأعمش، بهذا الإسناد.

وهو في "مسند أحمد" (٣٦٢٤)، و"صحيح ابن حبان" (٦١٧٤).

قوله: "الكتاب"، قال السندي: أي: المكتوب الذي كتبه الملك. والحديث لا ينافي عموم المواعيد الواردة في الآيات القرآنية والأحاديث، مثل: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ [الكهف: ٣٠]، لأن المعتبر في كلها الموت على سلامة العاقبة **وحسن الخاتمة**.

(٢) في (ذ) و (م): إنه قد وقع في قلبي.." (١)

". . . . .

= من " الكبرى " كما في " التحفة " ٦/٢٩، وابن ماجه (٧٦) في المقدمة: باب في القدر، وابن أبي عاصم في " السنة " (١٧٥) و (١٧٦) ، وأبو يعلى (٥١٥٧) ، والدارمي، واللالكائي في " أصول الاعتقاد " (١٠٤٠) و (١٠٤١) و (١٠٤٢) " والبيهقي في " الأسماء والصفات " ص ٣٨٧ وفي " الاعتقاد " ص ١٣٧-١٣٨، وأبو القاسم البغوي في " الجعديات " (٢٦٨٨) ومن طريقه أبو محمد البغوي في " شرح السنة " (٧١) من طرق عن الأعمش، به.

وأخرجه أحمد ١/٤١٤ والنسائي في " الكبرى" من طريقين عن فطر بن خليفة، عن سلمة بن كهيل، عن زيد بن وهب، به. وانظر الحديث رقم (٦١٧٧) .

وفي الحديث أن الأعمال حسنها وسيئها أمارات، وليست بموجبات، وأن مصير الأمور في العاقبة إلى ما

---

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط ابن ماجه ١/٥٥

سبق به القضاء وجرى به القدر في الابتداء.

وفيه أن السعيد قد يشقى، وأن الشقي قد يسعد، لكن بالنسبة إلى الأعمال الظاهرة، وأما ما في علم الله تعالى، فلا يتغير.

وفيه أن الاعتبار بالخاتمة، فلا ينبغي أن يغتر بظاهر الحال، قال ابن أبي جمرة: هذه التي قطعت أعناق الرجال مع ما هم فيه من حسن الحال، لأنهم لا يدرون بماذا يختم لهم.

وفيه الحث على الاستعاذة بالله تعالى من **سوء الخاتمة**، وقد عمل به جمع من السلف وأئمة الخلف، وقول الحافظ عبد الحق الإشبيلي، في كتاب " العاقبة ": إن **سوء الخاتمة** لا يقع لمن استقام باطنه، وصلح ظاهره، وإنما يقع لمن في طويته فساد أو ارتياب، ويكثر وقوعه للمصر على الكبائر، والمجترئ على العظائم، فيهجم عليه الموت بغتة، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، فقد يكون ذلك سببا **لسوء الخاتمة**، نسأل الله السلامة؛ محمول على الأكثر الأغلب.

وفيه التنبيه على صدق البعث بعد الموت، لأن من قدر على الخلق =." (١)

"ذكر خبر قد يوهم غير المتبحر في صناعة العلم أنه مضاد لخبر ابن عباس الذي ذكرناه

٦٥٢٧ - أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الأعلى، حدثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: سألت علقمة بن قيس: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: فقال: سألت عبد الله بن مسعود:

= أوله: "ما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الجن ولا رآهم، انطلق ... إلخ" وهكذا رواه مسلم، عن شيبان بن فروخ، عن أبي عوانة بالسند الذي أخرجه البخاري فكأن البخاري حذف هذه اللفظة عمدا، لأن ابن مسعود أثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ على الجن، فكان ذلك مقدما على نفي ابن عباس.

وقال البيهقي في " الدلائل " ٢/٢٢٧: وهذا الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعلمت بحاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى، فذهب معه وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود ورأى آثارهم وآثار نيرانهم، والله أعلم، وعبد الله بن مسعود حفظ القصتين معا.

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٤٩/١٤

ومن فوائد الحديث: إثبات وجود الشياطين والجن، وأنهما لمسمى واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم، إنه شيطان، وفيه أن الصلاة في جماعة شرعت قبل الهجرة، وفيه مشروعيتها في السفر، والجهر بالقراءة في صلاة الصبح، وأن الاعتبار بما قضى الله للعبد من **حسن الخاتمة**، لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ، لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر، ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك فغلب عليهم ما قضي لهم من السعادة **بحسن الخاتمة**، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون. انظر " الفتح " ٦٧٥/٨.." (١)

"قال ابن عرفة: السبيل يجوز عندي أن يكون حالا في (تضلوا) حالة كونهم في السبيل، وهو سبيل الحق وهذا أشد أن (تضلوا) حالة كونهم مستقرين في طريق قويم ويصح أن يكون طرفا، وقرئ (تضلون) بالتاء وبالياء، فعلى قراءتها بالياء يكون تأسيسا؛ لأنهم كفروا بضلالهم [وبإرادتهم إضلال غيرهم*]، وعلى قراءة [الياء*] فيكون تأكيدا بمعنى إرادتهم الدوام على ذلك.

قوله تعالى: ﴿وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا (٤٥)﴾

قال ابن عرفة: كلام أبي حيان في أن الفاعل ضمير عائد على مصدر (وكفى) الاكتفاء بالله وأنه [...]، ثم قال ابن عرفة: هذا غير صحيح؛ لأنا نقول: كفى القتال بالسيف والرمح وإن جعلته متعلقا بكفى يكون زيد مكتفيا وهو غير صحيح هنا؛ لأنه يكون الله تعالى مكتفيا وليس كذلك، قال أبو حيان: وهذا يحتاج إلى تأويل.

ابن عرفة: إن أراد كفى أنها تدخل على الفاعل بقول: كفى بالله ولا تدخل على المفعول بوجه.

قوله تعالى: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه ... (٤٦)﴾

وفي العقود (من بعد مواضعه) والفرق أنا إذا فسرنا التحريف والتأويلات الباطلة فالمعنى هذا أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص، وليس فيها بيان أنهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب، ومعنى ما في العقود أنهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظ من الكتاب، فقوله: (يحرفون الكلم) إشارة إلى التأويل الباطل، و (من بعد مواضعه) إشارة إلى إخراجه من الكتب ابن عرفة: فإن قلت: يؤخذ منه منع

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٤٦١/١٤

نقل الحديث بالمعنى، فالجواب: أن هؤلاء إنما ذموا على قصدهم التخويف بدليل قوله تعالى: (عن مواضعه).

قوله تعالى: (لكان خيرا لهم).

باعتبار المعنى يا قوم باعتبار اللفظ.

قوله تعالى: (ولكن لعنهم الله بكفرهم).

قال ابن عرفة: يؤخذ منه منع الدعاء على الإنسان **بسوء الخاتمة** بخلاف قوله تعالى: (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب." (١)

"ببيته ببلدة أزنكميد في عيش رغيد، وإكرام ما عليه من مزيد، كما تقدم ذكر ذلك مع ما اتفق لنا هنالك، وقد أخذ عني وسمع مني وقرأ علي حديث رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم الملكين وإسرائهما به، ورؤيته لإبراهيم الخليل عليه السلام، ومالك خازن النار عليه السلام وأصحاب التنور والسابح في البحر وما مع ذلك الحديث المشهور بطوله وبعض كتابي الزبدة في شرح البردة وبعض شرحي المنظوم على الألفية وغير ذلك، واستجازني بما يجوز لي وعني روايته له ولأولاده الثلاثة عبد الكريم المراهق وعبد اللطيف السداسي وعبد المطلب الثلاثي، ثم اجتمع بي في القسطنطينية عند رحلته إليها للملازمة، والله تعالى يرزقنا وإياه **حسن الخاتمة** بمنه وكرمه آمين.

ومنهم الشيخ الجليل الكبير النبيل المتخشع الخاضع المتواضع الشهير بالدين والخير السائر بين أمثاله أحسن سير، شيخ محمد المتولي بعمارة السلطان سليم خان تغمده الله بالرحمة والرضوان، وهو قرابة شيخ كمال ناظر النظار بالشام كان سلم مرات متواضعا وملتمسا للبركة والدعاء، وأضافني إلى منزله واحتفل فيما هيئه من مأكله وأحضر ابنه وولدي كمال وهما محمد وجمال للسلام علي والمثول بين يدي، والله تعالى يصلح الأحوال ويوفقنا لما يحب في الحال والمال بمنه وكرمه آمين.

ومنهم الشيخ العالم، المواظب على الخير والملازم، العالم الأريب، البليغ الأديب، الفصيح الخطيب، المتولي خطابة العمارة المذكورة، وخوجا باش الينكجرية المنصورة، رجل لطيف الذات، كامل الأذوات، مشتهر بعلمه وفضله، ذو رغبة في الخير وأهله، وبيني وبينه أكد صحبة وأشد محبة، والله تعالى يعاملنا وإياه

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢/٢٩

والمسلمين بخفي لطفه ووفي كرمه آمين.
ومنهم الشيخ الأمجد، والفاضل الأوحد، والحافظ للقرآن المجيد، والمقرئ بالإتقان." (١)
"وحسن العمارة وسعة المكان، وقال لسان النظر لما شاهد جمالها الباهر وجلالها القاهر: ما في الإمكان أبدع مما كان، وكيف لا وقد تزينت بحلول من رتع العالم في ظل عدله بالأمان، صاحب البند والعلم والسيف والقلم، سر الله تعالى في الوجود المشرق بدره في أفق السعود، الملك الموفق للسداد، السلطان مراد، علا على كل سلطان بسطوته، وقدمته ملوك الأرض بصولته، وكيف لا وهو الخليفة على الخليقة، وصاحب السلطنة العظمى في الحقيقة، فلا زالت أصول دوحته الشريفة ثابتة، وفروعها بأنواع ثمار اللطائف

المنيفة نابتة، وأفلاك زهر العدل بدولته القاهرة مشرقة الأنوار، ورياض زهر الأمن بآياته الباهرة مونقة النوار، ولا برحت أركان البيوت العلوية بشرف همته العلية قائمة، وله من مسك الثناء على مكارم أخلاقه **حسن الخاتمة**.

عليك إذا ما رمت ذكر مديحه ... يقول لسان الحال وهو صواب

تجاوز قدر المدح حتى كأنه ... بأحسن ما يثنى عليه يعاب

ولما أحلنيها الحظ، وسرحت فيها اللحظ:

رأيت بها ما يملأ العين قرة ... ويسلي عن الأوطان كل غريب

غير أني أقول كما قيل:

كيف يلذ العيش في بلدة ... سكان قلبي غير سكانها

لو أنها الجنة قد أزلفت ... لم أرضها إلا برضوانها

فأول مولى تشرفت بالمثول بين يديه، وتحققت أن السيادة قد طنبت لديه، المولى الذي تطرزت ديباجة هذه الرسالة، ببعض ألقابه التي هي لبدر محاسنه هالة.

أتيته فرأيت الناس في رجل ... والدهر في ساعة والأرض في دار

فلا زال سعيه الطالع مسعود الجناب، ولا برح يحيا في سعد ممدود الإطناب، فقابلني بالقبول التام، وعاملني

(١) المطالع البدرية في المنازل الرومية، الغزي، أبو البركات ص/٢٧١

بالبر والإكرام:

بشاشة وجه المرء خير من القرى ... فكيف الذي يأتي به وهو ضاحك." (١)

"خاطىء آخر وهو أنه يمكنهم المحافظة على الإسلام في قلوبهم سرا متظاهرين بالنصرانية إلى أن يأتي فرج من الله. وكان فقهاؤهم ينشرون قصصا مؤملة تعدهم برجوع سطوة الإسلام إلى الأندلس لإنقاذهم. وكان الأندلسيون على صلة وثيقة بإخوانهم في المغرب، وكان المتطوعة في غياب مساندة دول المغرب يقطعون البحر باستمرار لمساعدة إخوانهم أو تهريبهم وإيصال المراسلات إليهم من تشجيع وفتاوى.

وهكذا أرسل مفتي وهران، أحمد بن بوجمعة المغراوي، وهو أندلسي من بلدة المغرو بمقاطعة قلعة رباح، فتوى بتاريخ غرة رجب سنة ٩١٠ هـ (١٨/ ١١ / ١٥٠٤ م) هذا نصها: " الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

إخواننا القابضين على دينهم كالقابض على الجمر، من أجزل الله ثوابهم فيما لقوا في ذاته، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته، الغرباء القرباء إن شاء الله، من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته، وارثو سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق، وإن بلغت النفوس إلى التراق. نسأل الله أن يلطف بنا، وأن يعيننا وإياكم على مراعاة حقه بحسن إيمان وصدق، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجا ومن كل ضيق مخرجا. بعد السلام عليكم من كتابه إليكم، من عبيد الله أصغر عبيده، وأحوجهم إلى عفوه ومزيده، عبيد الله تعالى أحمد بن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني، كان الله للجميع بلطفه وستره، سائلا من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء **بحسن الخاتمة** والنجاة من أهوال هذه الدار، والحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار".

" مؤكدا عليكم في ملازمة دين الإسلام، آمرين به من بلغ من أولادكم إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم. فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، وإن ذاكر الله بين الغافلين كالحي بين الموتى. فاعلموا أن الأصنام خشب منجور، وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع، وأن الملك الله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله. فاعبدوه، واصطبروا لعبادته. فالصلاة ولو بالإيماء، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أو رياء. لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم. والغسل من الجنابة ولو عوما في البحور. وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء، وعليكم بالتيمم ولو مسحا

---

(١) رحلة الشتاء والصيف، محمد كبريت ص/١٤٣

بالأيدي للحيطان، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد، إلا أن يمكنكم الإشارة إليه." (١)

"لكنني سأذكر سببا واحدا مهما من أسباب سوء الخاتمة، من أسباب سوء الخاتمة الخوض في أعراض الناس، أعظم أسباب سوء الخاتمة الخوض في أعراض الناس، كان أحد الصالحين -وأحيانا أترك الأسماء عمدا- محبوبا من طلابه، وهذه ذكرها الذهبي في الأعلام، وذكرها ابن خلان -إن لم أنس- في وفيات الأعيان، والشاهد فكان رجل يحسده على هذه المنزلة من طلابه، فكان إذا جاء الشيخ يحدث يقوم هذا ويشغب عليه في الحلقة، فقام ذات يوم والناس مستمعون للشيخ فقام، وهذا الذي قام حافظ للقرآن حسن الصوت به، فلما أغضب الشيخ قال الشيخ: اجلس فوالله إني لأخشى أن تموت على غير ملة الإسلام ، ثم قدر لهذا الرجل الذي شغب على الشيخ أن يزور بغداد رجل من النصارى من السفراء من القسطنطينية من سفراء الروم، فلما أراد الرجوع أحب هذا الذي يحفظ القرآن وندي الصوت به أن يرى بلاد الروم فذهب معه إلى القسطنطينية، فلما ذهب معه إلى القسطنطينية أعجبه عالمهم وترك الإسلام وبقي على النصرانية، ثم إن أحد تجار المسلمين دخل القسطنطينية فرآه وعرفه وكان يعرف جمال صوته بالقرآن، فرآه وهو على باب إحدى الكنائس يهش الذباب عن نفسه، فقال له: يا هذا ما فعل الله بك؟، قال: أنا كما ترى، قال: إنني كنت أراك حافظا للقرآن فما بقي في صدرك منه؟، قال ما بقي منه ولا آية إلا آية واحدة ثم مات -والعياذ بالله- على الكفر، فصدقت عليه مقولة الشيخ لما كان يراه في الحلقة يشغب عليه أنه قال له: إني لأخشى أن تموت على غير ملة الإسلام.." (٢)

"والإنسان إذا سلم قلبه من الحقد على الناس وسلم لسانه من الخوض في أعراضهم كان أدعى إلى أن يوفق إلى حسن الخاتمة، وقد كان عندنا في المدينة -مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم- رجل يمني، وهذا من دلائل حسن الخاتمة، وقد ذكرت هذا في بعض المحاضرات، كان رجل يمني ليس له علاقة بالناس، يدخل إذا جاء وقت الصلوات ويخرج وليس له أي ارتباط بالناس، وكان لا يقرأ ولا يكتب، فكان إذا دخل المسجد يأتي لأي إنسان ليس عنده شيء -يعني خال- فيأخذ مصحفا ويعطيه للرجل الخالي ويقول: اقرأ علي من كلام ربي ويستمع، والناس يعرفونه خاصة من يكثر الصلاة في الحرم ، فيأتي على هذه الطريقة سنين، حتى كان عام ١٤١٨هـ دخل الحرم فرأى رجلا خاليا فأخذ مصحفا كالعادة وأعطاه

---

(١) انبعاث الإسلام في الأندلس، علي المنتصر الكتاني ص/٧١

(٢) الأيام النضرة والسيرة العطرة لرسولنا صلى الله عليه وسلم، ص/٩٢

للرجل هذا وقال اقرأ علي من كلام الله، فلما قال له اقرأ علي من كلام الله مر بآية سجدة، لما مر بآية سجدة سجد الاثنان القارئ والأخ اليمني، فانتهى القارئ من التسبيح ورفع رأسه وبقي الأخ اليمني ساجدا وقبضه الله جل وعلا وهو ساجدا، فمات في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم في هيأة ليس بعدها ولا أشرف منها هيأة وهي هيأة السجود لرب العالمين.

نحن نتكلم عن الظاهر، أما سريرته فأمرها إلى الله، لا نحكم لأحد بجنة ولا نار، لكن أقول هذا عبيد الله بن جحش يأخذ زوجته ويفر من مكة إلى الحبشة بدينه ثم يتنصر، ثق تماما أنه لا يهلك على الله إلا هالك، دواخل القلوب هي من أعظم أسباب **سوء الخاتمة**، لكن الله جل وعلا أكرم وأرحم أن يكون أحد صادق معه ثم إن الله جل وعلا يقدر ويميته ميتة السوء، لكن من صدقت سريرته تصدق خاتمته، ومن صدق إلى الله فراره صدق مع الله قراره، أعيد، من صدق إلى الله فراره صدق مع الله قراره، من صدق إلى الله فراره –أي صادق في أوبته إلى الله– صدق مع الله قراره، أي يبقى مع ربه جل وعلا، المقصود يبقى مع ربه يعني في إيمانه بربه تبارك وتعالى.." (١)

"﴿ ١٠٢ – ١٠٣ ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ .

هذا أمر من الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلى الممات، فإن من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال صحته ونشاطه وإمكانه مداوما لتقوى ربه وطاعته، منيبا إليه على الدوام، ثبته الله عند موته ورزقه **حسن الخاتمة**، وتقوى الله حق تقواه كما قال ابن مسعود: وهو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وهذه الآية بيان لما يستحقه تعالى من التقوى، وأما ما يجب على العبد منها، فكما قال تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ وتفاصيل التقوى المتعلقة بالقلب والجوارح كثيرة جدا، يجمعها [ص ١٤٢] فعل ما أمر الله به وترك كل ما نهى الله عنه، ثم أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم

---

(١) الأيام النضرة والسيرة العطرة لرسولنا صلى الله عليه وسلم، ص/٩٣

ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام، ثم ذكرهم تعالى نعمته وأمرهم بذكرها فقال: ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ﴾ يقتل بعضكم بعضا، ويأخذ بعضكم مال بعض، حتى إن القبيلة يعادي بعضهم بعضا، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والاقتتال، وكانوا في شر عظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعثه الله وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تآلف قلوبهم وموالاة بعضهم لبعض، ولهذا قال: ﴿ فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار ﴾ أي: قد استحقيتم النار ولم يبق بينكم وبينها إلا أن تموتوا فتدخلوها ﴿ فأنقذكم منها ﴾ بما من عليكم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿كذلك يبين الله لكم آياته ﴾ أي: يوضحها ويفسرها، ويبين لكم الحق من الباطل، والهدى من الضلال ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ بمعرفة الحق والعمل به، وفي هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها.." (١)

"يقال : جنف بكسر النون ، يجنف ، بفتحها ، فهو جنف ، وجانف ، وأجنف : جاء بالجنف ، ك " ألأم " أي : أتى بما يلام عليه.

والفرق بين الجنف والإثم : أن الجنف هو الميل مع الخطأ ، والثم : هو العمد.

فصل في سوء الخاتمة بالمضارة في الوصية روي عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الرجل ، أو المرأة ، ليعمل بطاعة الله سبعين سنة ، ثم يحضرهما الموت ، فيضاران في الوصية ؛ فتجب لهما النار " ، ثم قرأ أبو هريرة : " من بعد وصية " إلى قوله : ﴿غير مضآر وصية﴾ [النساء : ١٢].

فصل والضمير في " بينهم " عائد على الموصي ، والورثة ، أو على الموصى لهم ، أو على الورثة والموصى لهم ، والظاهر عوده على الموصى لهم ، إذ يدل على ذلك لفظ " الموصي " ، وهو نظير " وأداء إليه " في أن الضمير يعود للعافي ؛ لاستلزام " عفي " له ؛ ومثله ما أنشد الفراء : [الوافر] ٩٢٧ – وما أدري إذا يممت أرضا

أريد الخير أيهما يليني

---

(١) تفسير السعدي، ص/١٤١

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٤٥
فالضمير في " أيهما " يعود على الخير والشر ، وإن لم يجر ذلك الشر ، لدلالة ضده عليه ، والضمير في " عليه " وفي " خاف " وفي " أصلح " يعود على " من ".
فصل في بيان المراد من المصلح هذا المصلح [من هو ؟] الظاهر أنه الوصي ، وقد يدخل تحته الشاهد ، وقد يكون
٢٤٧
المراد منه من يتولى ذلك بعد موته ؛ من وال ، أو ولي ، أو من يأمر بمعروف ، فلا وجه للتخصيص ، بل الوصي أو الشهد أولى بالدخول ؛ لأن تعلقهم أشد ، وكيفية الإصلاح أن يزيل ما وقع فيه الجنف ، ويرد كل حق إلى مستحقه.
قال القرطبي : الخطاب في قوله : ﴿فمن خ◌اف من موص﴾ لجميع المسلمين ، أي : إن خفتم من موص جنفا ، أي : ميلا في الوصية ، وعدولا عن الحق ، ووقوعا في إثم ، ولم يخرجها بالمعروف بأن يوصي بالمال إلى زوج ابنته ، أو لولد ابنته ؛ لينصرف المال إلى ابنته [أو إلى ابن ابنه ، والغرض أن ينصرف المال إلى ابنه ، أو أوصى لبعيد] ، وترك القريب ؛ فبادروا إلى السعي في الإصلاح بينهم ، فإذا وقع الصلح ، سقط الإثم عن المصلح ، والإصلاح فرض على الكفاية ، إذا قام أحدهم به ، سقط عن الباقين ، وإن لم يفعلوا ، أثم الكل.
فإن قيل : هذا الإصلاح طاعة عظيمة ، ويستحق الثواب عليه ، فكيف عبر عنه بقوله : ﴿فلا إثم عليه﴾ ؟ فالجواب : من وجوه : أحدها : أنه تعالى ، لما ذكر إثم المبدل في أول الآية وهذا أيضا من التبديل ، بين مخالفته للأول ، وأنه لا إثم عيه ؛ لأنه رد الوصية إلى العدل.
وثانيها : أنه إذا أنقص الوصايا ، فذلك يصعب على الموصى لهم ، ويوهم أن فيه إثما ، فأزال ذلك الوهم ، فقال : ﴿فلا إثم عليه﴾.
وثالثها : أن مخالفة الموصي في وصيته ، وصرفها عمن أحب إلى من كره ؛ فإن ذلك يوهم القبح فبين تعالى أن ذلك حسن ؛ بقوله : ﴿فلا إثم عليه﴾.
ورابعها : أن الإصلاح بين جماعة يحتاج إلى إكثار من القول ، ويخاف أن يتخلله بعض ما لا ينبغي من القول والفعل ؛ فبين تعالى أنه لا ثم عليه في هذا الجنس ، إذا كان قصده في الإصلاح جميلا.
فإن قيل : قوله تعالى : ﴿إن الله غفور رحيم﴾ إنما يليق بمن فعل فعلا لا يجوز ، وهذا الإصلاح من

جملة الطاعات ، فكيف يليق به هذا الكلام ؟ فالجواب من وجوه : أحدهما : ان هذا من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى ، فكأنه قال : انا الذي أغفر للذنوب ، ثم أرحم المذنب ؛ فبأن اوصل رحمتي وثوابي إليك ، م ع أنك تحملت المحن الكثيرة في إصلاح هذا المهم كان أولى.

٢٤٨

وثانيها : يحتمل أن يكون المراد : أن ذلك الموصي الذي أقدم على الجنف والإثم ، متى أصلحت وصيته ؛ فإن الله غفور رحيم يغفر له ، ويرحمه بفضله.

وثالثها : أن المصلح ، ربما احتاج في الإصلاح إلى أفعال وأقوال ، كان الأولى تركها ، فإذا علم الله تعالى منه أنه ليس غرضه إلا الإصلاح ، فإنه لا يؤاخذه بها ؛ لأنه غفور رحيم.

فصل في أفضلية الصدقة حال الصحة قال القرطبي رحمه الله تعالى : والصدقة في حال الصحة أفضل منها عند الموت ؛ لقوله – عليه الصلاة والسلام – وقد سئل : أي الصدقة أفضل ؟ فقال : " أن تصدق ، وأنت صحيح شحيح " ، وقال – عليه الصلاة والسلام – : " لأن يتصدق المرء في حياته بدرهم خير له من أن يتصدق عند موته بمائة " وقال – عليه السلام – : " مثل الذي ينفق ، ويتصدق عند موته مثل الذي يهدي بعد ما يشبع " فصل ومن لم يضر في وصيته ، كانت كفارة لما ترك من زكاته ؛ لقوله _ عليه الصلاة والسلام _ : "من حضرته الوفاة ، فأوصى ، فكانت وصيته على كتاب الله ؛ كانت كفارة لما ترك من زكاته".

٢٤٩

." (١)

"وقال الزجاج : النعمة هي الجزاء والفضل زائد عليه قدر الجزاء. وقيل : النعمة قدر الكفاية ، والفضل المضاعف عليها مع مضاعفة السرور بها واللذة. وقيل : الفضل داخل في النعمة دلالة على اتساعها ، وأنها ليست كنعم الدنيا. وقرأ الكسائي وجماعة : وإن الله بكسر الهمزة على الاستئناف ويؤيده قراءة عبد الله ومصحفه : والله لا يضيع أجره. وقال الزمخشري : وعلى أن الجملة اعتراض ، وهي قراءة الكسائي انتهى. وليست الجملة هنا اعتراضا لأنها لم تدخل بين شيئين أحدهما يتعلق بالآخر ، وإنما جاءت لاستئناف أخبار. وقرأ باقي السبعة والجمهور : بفتح الهمزة عطفا على متعلق الاستبشار ، فهو داخل فيه. قال أبو علي : يستبشرون بتوفير ذلك عليهم ، ووصوله إليهم ، لأنه إذا لم يضعه وصل إليهم ولم يبخسوه. ولا يصح

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٤٠

الاستبشار بأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، لأن الاستبشار إنما يكون بما لم يتقدم به علم ، وقد علموا قبل موتهم إن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، فهم يستبشرون بأن الله ما أضاع أجورهم حتى اختصهم بالشهادة ومنحهم أتم النعمة ، وختم لهم بالنجاة والفوز ، وقد كانوا يخشون على إيمانهم ، ويخافون **سوء الخاتمة** المحبطة للأعمال ، فلما رأوا ما للمؤمنين عند الله من السعادة وما اختصهم به من **حسن الخاتمة** التي تصح معها الأجور وتضاعف الأعمال ، استبشروا ، لأنهم كانوا على وجل من ذلك انتهى كلامه. وفيه
١١٦
تطويل شبيه بالخطابة. قيل : ويجوز أن يكون الاستبشار لمن خلفوه بعدهم من المؤمنين لما عاينوا منزلته عند الله.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١١٥

﴿الذين استجابوا لله والرسول منا بعد مآ أصابهم القرحا للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ قيل : الاستجابة كانت أثر الانصراف من أحغد. استنفر الرسول لطلب الكفار ، فاستجاب له تسعون. وذلك لما ذكر للرسول أن أبا سفيان في جمع كثير ، فأبى الرسول إلا أن يطلبهم ، فسبقه أبو سفيان ودخل مكة فنزلت ، قاله : عمرو بن دينار. وفي ذكر هذا السبب اختلاف في مواضع. وقيل : الاستجابة كانت من العام القابل بعد قصة أحد ، حيث تواعد أبو سفيان ورسول الله صلى الله عليه وسلم موسم بدر ، فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان فارعب ، وبدا له الرجوع وقال لنعيم بن مسعود : واعدت محمدا وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى ، وهو عام جدب لا يصلح لنا ، فثبطتهم عنا واعلمهم أنا في جمع كثير ففعل ، وخوفهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه وأقاموا ببدر ينتظرون أبا سفيان فنزلت. قال معناه : مجاهد وعكرمة. وقيل : لما كان الثاني من أحد وهو يوم الأحد ، نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس باتباع المشركين ، وقال : ﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا﴾ وكانت بالناس جراحة وفرح عظيم ، ولكن تجلدوا ، ونهض معه مائتا رجل من المؤمنين حتى بلغ حمراء الأسد وهي : على ثمانية أميال من المدينة وأقام بها ثلاثة أيام ، وجرت قصة معبد بن أبي معبد ، وقد ذكرت ومرت قريش ، فانصرف الرسول إلى المدينة فنزلت. وروى أنه خرج أخوان وبهما جراحة شديدة ، وضعف أحدهما فكان أخوه يحمله عقبة ويمشي هو عقبة ، ولما لم تتم استجابة العبد لله إلا باستجابته للرسول جمع بينهما ، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. قيل : والاستجابتان مختلفتان ، فإنهما بالنسبة إلى الله بالتوحيد والعبادة ، وللرسول بتلقي الرسالة منه والنصيحة له. والظاهر أنها استجابة واحدة ،

وهو إجابتهم له حين انتدبهم لاتباع الكفار على ما نقل في سبب النزول. والإحسان هنا ما هو زائد على الإيمان من الاتصاف بما يستحب مع الاتصاف بما يجب.

والظاهر إعراب الذين مبتدأ ، والجملة بعده الخبر. وجوزوا الاتباع نعتا ، أو بدلا ، والقطع إلى الرفع والنصب. ومن في منهم قال الزمخشري : للتبيين مثلها في قوله تعالى : ﴿وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحاتا لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا ، إلا بعضهم. وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة : أن أبويك لممن استجابوا لله والرسول تعني : أبا بكر والزبير انتهى. وقال أبو البقاء : منهم حال من الضمير في أحسنوا ، فعلى هذا تكون من للتبعيض وهو قول من لا يرى أن من تكون لبيان الجنس.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١١٥

". (١)

"﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ﴾ لما توعدهم فرعون جزعوا وتضجروا فسكنهم موسى عليه السلام وأمرهم بالاستعانة بالله وبالصبر وسلاهم ووعدهم النصر وذكرهم ما وعد الله بني إسرائيل من إهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم.

﴿إن الارض لله يورثها من يشآء من عباده﴾ . أي أرض مصر وأل فيه للعهد وهي ﴿الارض﴾ التي كانوا فيها ، وقيل : ﴿الارض﴾ أرض الدنيا فهي على العموم ، وقيل : المراد أرض الجنة لقوله ﴿وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشآء﴾ وتعدى ﴿استعينوا ﴾ هنا بالباء وفي ﴿وإياك نستعين﴾ بنفسه وجاء اللهم إنا نستعينك.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٦٢

﴿والعاقبة للمتقين﴾ قيل : النصر والظفر ، وقيل : الدار الآخرة ، وقي : السعادة والشهادة ، وقيل : الجنة ، وقال الزمخشري : الخاتمة المحمودة ﴿للمتقين﴾ منهم ومن القبط وإن المشيئة متناولة لهم انتهى ، وقرأت فرقة ﴿يورثها﴾ بفتح الراء ، وقرأ الحسن ﴿يورثها﴾ بتشديد الراء على المبالغة ورويت عن حفص ، وقرأ ابن مسعود وأبي ﴿والعاقبة﴾ بالنصب عطفا على ﴿إن الارض﴾ وفي وعد موسى تبشير لقومه بالنصر وحسن الخاتمة ونتيجة طلب الإعانة توريث الأرض لهم ونتيجة الصبر العاقبة المحمودة والنصر على من عاداهم فلذلك كان الأمر بشيئين ينتج عنهما شيئان. قال الزمخشري : فإن قلت : لم أخليت هذه الجملة

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣/٩٢

عن الواو وأدخلت على الذي قبلها ؟ قلت : هي جملة مبتدأة مستأنفة وأما ﴿وقال الملأ﴾ فمعطوفة على ما سبقها من قوله ﴿قال الملا من قوم فرعون﴾ انتهى.

﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومنا بعد ما جئتنا ﴾ أي بابتلائنا بذبح أبنائنا مخافة ما كان يتوقع فرعون من هلاك ملكه على يد المولود الذي يولد منا ﴿من قبل أن تأتينا﴾ ، قال الزمخشري : من قبل مولد موسى إلى أن استنبأ ﴿ومنا بعد ما جئتنا ﴾ إعادة ذلك عليهم قاله ابن عباس وزاد الزمخشري : وما كانوا يستعبدون ويمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب انتهى ، وقال ابن عطية : والذي من بعد مجيئه يعنون به وعيد فرعون وسائر ما كان خلال تلك المدة من الإخافة لهم ، وقال الحسن : بأخذ الجزية منهم قبل بعث موسى إليهم وبعد بعثه ما زاد على ذلك ، وقال الكلبي : كانوا يضربون له اللبن ويعطيهم التبن فلما جاء موسى غرمهم التبن وكان النساء يغزلن له الكتان وينسجنه ، وقال جرير : استسخرهم من قبل إتيان موسى في أول النهار إلى نصف النهار فما جاء موسى استسخرهم النهار كله بلا طعام ولا شراب ، وقال علي بن عيسى ﴿من قبل﴾ بالاستعباد وقتل الأولاد ﴿ومنا بعد﴾ بالتهديد والإبعاد ، وروي مثله عن عكرمة ، وقيل من ﴿قبل أن تأتينا﴾ بعهد الله بالخلاص ﴿ومن﴾ به قالوه في معرض الشكوى من فرعون واستعانة عليه بموسى ، وقال ابن عباس والسدي : قالوا ذلك حين اتبعهم واضطرهم إلى البحر فضاقت صدورهم ورأوا بحرا أمامهم وعدوا كثيفا وراءهم لما أسرى بهم موسى حتى هجموا على البحر التفتوا فإذا هم برهج دواب فرعون فقالوا هذه المقالة وقالوا هذا البحر أمامنا وهذا فرعون وراءنا قد رهقنا بمن معه انتهى.

وهذا القول فيه بعد وسياق الآيات يدل على الترتيب وقد جاء بعد هذه ﴿ولقد أخذنآ ءال فرعون بالسنين﴾ ، قال ابن عطية : وهو كلام يجري على المعهود من بني إسرائيل من اضطرابهم على أنبيائهم وقلة يقينهم وصبرهم على الدين انتهى ، قيل ولا يدل قولهم ذلك على كراهة مجيء موسى لأن ذلك يؤدي إلى الكفر وإنما قالوه لأنه كان وعدهم بزوال المضار فظنوا أنها نزول على الفور فقولهم ذلك استعطاف لا نفرة.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٦٢

﴿قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون﴾

٣٦٨

". (١)

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢٩٧/٤

تمالأ عليه رجال ونساء قال : (ظن المؤمنون) أي منكم) والمؤمنات (وكان الأصل : ظننتم ، ولكنه التفت غلى الغيبة تنبيها على التوبيخ ، وصرح بالنساء ، ونبه على الوصف المقتضي لحسن الظن تخويفا للذي ظن السوء من **سوء الخاتمة** : (بأنفسهم (حقيقة) خيرا (وهم دون من كذب عليها ، فقطعوا ببراءتها لأن الإنسان لا يظن بالناس إلا ما هو متصف به أو بإخوانهم ، لأن المؤمنين كالجسد الواحد ، أو ظنوا ما يظن بالرجل لو خلا بأمه ، وبالمرأة إذا خلت بابنها ، فإن نساء النبي (صلى الله عليه وسلم) أمهات المؤمنين) وقالوا هذا إفك) أي كذب عظيم خلف منكب على وجهه) مبين) أي واضح في نفسه ، موضح لغيره ، وبيانه وظهوره أن المرتاب يكاد يقول : خذوني فهو يسعى في التستر جهده ، فإتيان صفوان بعائشة رضي الله عنها راكبة على جملة داخلا به الجيش في نحر الظهيرة والناس كلهم يشاهدون ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين أظهرهم ينزل عليه الوحي ، إدلالا بحن عمله ، غافلا عما يظن به أهل الريب ، أدل دليل على البراءة وكذب القاذفين ، ولو كان هناك أدنى ريبة لجاء كل منهما وحده على وجه من التستر والذعر ، تعرف به خيانته ، فالأمور تذاق ، ولا يظن الإنسان بالناس غلا ما في نفسه ، ولقد عمل أبو أيب الأنصاري وصاحبته رضي الله عنهما بما أشارت إليه هذه الآية ؛ قال ابن اسحاق : حدثني أبي اسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها ؟ قال : بلى وذلك كذب ، أكنت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت لا والله ما كنت لأفعله ، فنزلت الآية على وفق قوله رضي الله عنه .

ثم علل سبحانه بيان كذب الآفكين بأن قال موبخا لمن اختلقه وأذاعه ملقنا لمن ندبه غلى ظن الخير : (لولا) أي هلا ولم لا) جاؤوا) أي المفترون له أولا) عليه (إن كانوا صادقين) بأربعة شهداء (كما تقدم أن القذف لا يباح إلا بها .

ولما تسبب عن كونهم لم يأتوا بالشهداء كذبهم قال) فإذا (اي فحين) لم يأتوا بالشهداء (اي الموصوفين) فأولئك (اي البعداء من الصواب) عند الله) أي في حكم الملك الأعلى ، بل وفي هذه الواقعة بخصوصها في علمه) هم الكاذبون (اي الكذب العظيم ظاهرا وباطنا .

ولما بين لهم بإقامة الدليل على كذب الخائضين في هذا الكلام أنهم استحقوا الملام ، وكان ذلك مرغبا لأهل التقوى ، بين أنهم استحقوا بالتقصير في الإنكار عموم الانتقام في سياق مبشر بالعفو ، فقال عاطفا

على) ولولا (الماضية : (ولولا فضل الله) أي المحيط بصفات الكمال) عليكم ورحمته) أي معاملته لكم بمزيد الأنعام ، الناظر." (١)

" صفحة رقم ٦١٥

جميع نوائبه ، وأقبل عليه بكل همومه ، وبذل نفسه له بذل من يعلم أنه مملوك مربوب فقد أمر ربه على نفسه واتخذه وكيلا فاستراح من المخاوف ، ولم يمل إلى شيء من المطامع فصار حرا .

ولما حذر من الإقبال على الدنيا ، رغب في بذلها مخالفة للمنافقين فقال : (وأنفقوا) أي ما أمرتم به من واجب أو مندوب ، وزاد في الترغيب بالرضى منهم اليسير مما هو كله له بقوله : (من ما رزقناكم) أي من عظمتنا وبلغ النهاية في ذلك بالرضا بفعل ما أمر به مع التوبة النصوح في زمن ما ولو قل بما أرشد إليه إثبات الجار ، فقال مرغبا في التأهب للرحيل والمبادرة لمباغتة الأجل ، محذرا من الاغترار بالتسويف في أوقات السلامة : (من قبل (وفك المصدر ليفيد (أن) مزيد القرب فقال : (أن يأتي (ولما كان تقديم المفعول كما تقدم في النسا أهوال قال : (أحدكم الموت) أي برؤية دلائله وأماراته ، وكل لحظة مرت فهي من دلائله وأماراته .

ولما كانت الشدائد تقتضي الإقبال على الله ، سبب عن ذلك بقوله : (فيقول (سائلا في الرجعة ، وأشار إلى ترقيقها للقلوب بقوله : (رب لولا) أي هل لا ولم لا) أخرتني) أي أخرت موتي إمهالا لي) إلى أجل) أي زمان ، وبين أن مراده استدراك ما فات ليس إلا بقوله : (قريب فأصدق) أي للتزود في سفري هذا الطويل الذي أنا مستقبله ، قال الغزالي في كتاب التوبة من الإحياء : قال بعض العارفين : إن ملك الموت إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقي من عمرك ساعة ، وأنك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدوا للعبد من الأسف والحسرة مما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه ، يقول : يا ملك الموت أخرني يوما أعتذر فيه إلى ربي وأتوب وأتزود فيها صالحا لنفسي ، فيقول : فنيت الساعات فلا ساعة ، فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتردد أنفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة البأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر ، فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأهوال ، فإذا زهقت نفسه فإن كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد ، فذلك **حسن الخاتمة** ، وإن سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله تعالى خرجت روحه على الشك والاضطراب ، وذلك **سوء الخاتمة** ، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين :

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٢٤٣

أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو ، الثاني أن يعاجلة المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ، فيأتي الله تعالى بقلب غير سليم ، والقلب أمانة الله عند عبده ، قال بعض العارفين : إن لله تعالى إلى عبده سرين على سبيل الإلهام : أحدهما إذا خرج من بطن أمه." (١)

" صفحة رقم ٦٢٣

خص نفيس علمها وللأناسي عما تنطق من تغنى بها وإن يكونوا بكما أفعالها جليلة أعيذها بالأسما سهل ربي أمره علي حتى تما في أربع وعشرة من السنين صما قال لسان عدها دونك بدرا تما وليس يلغي ناقصا يا صاحبي يوما أعيذه بالمصطفى من شر وغد ذما ومن حسود قد غدا من أجله مهتما فليس يبغي ذمه إلا بغيضا أعما كفاه ربي شرهم وزان منه الأسما ورد في تدبيرهم تدميرهم والغرما وردهم بغيظهم لما ينالوا غلما وزاده سعادة ولازمته النعما

قال ذلك منشبه أحوج الخلائق إلى عفو الخالق أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى قائلا : الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكان الفراغ من هذا الجزء على يد أقل عبيد الله وأحوجهم إلى لطف الله وعفوه عبد الكريم بن علي بن محمد المحولي الشافعي نزيل بلد الله الحرام - غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين -. . .

بمكة المشرفة في يوم السبت المبارك الساجس والعشرين من شهر صفر الخير سنة أربع وأربعين وتسعمائة ، وقد تجاوز سني الآن خمسة وسبعين عاما - أسأل الله **حسن الخاتمة** والثبات على دين الإسلام والوفاة بأحد حرميه بمنه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العي العظيم .." (٢)

"تحريما وأن العامل بالحديث يصب على فمه الرصاص والنحاس ويخشى عليه **سوء الخاتمة** ونحو هذه الالفاظ ولعمري إن لم يكن في هذا ارتداد فهو قريب منه ومنهم من يقول لو ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث صحيح سالم عن المعارض لا يعمل بها إلا إذا عمل بها إمامه الذي يقتدي به فتأمل هذه العبارة الشنيعة إنا لله وإنا إليه راجعون

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٦١٥/٧

(٢) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٢٣/٨

وقال الحافظ أبو عمر أيضا لا خلاف بين أئمة الإنصاف في فساد التقليد فأغنى ذلك عن الإكثار وقال ايضا يقال لمن قال بالتقليد لم قلت به وخالفت السلف في ذلك فإنهم لم يقلدوا فإن قال قلدت لأن كتاب الله عز وجل لا علم لي بتأويله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحصها والذي قلدته قد علم ذلك فقلدت من هو أعلم مني قيل له أما العلماء إذا أجمعوا على شيء من تأويل الكتاب أو حكاية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اجتمع رأيهم على شيء فهو الحق لا شك فيه ولكن قد اختلفوا فيما قلدت فيه بعضهم دون بعض فما حجتك في تقليد بعض دون بعض وكلهم عالم ولعل الذي رغبت عن قوله أعلم من الذي ذهبت إلى مذهبه فإن قال قلدته لأني علمت أنه صواب قيل له علمت ذلك من كتاب أو سنة أو إجماع فإن قال نعم فقد أبطل التقليد وطولب بما ادعاه من الدليل وإن قال قلدته لأنه أعلم مني قيل له فقلد كل من هو أعلم منك فإنك تجد من ذلك خلقا كثيرا ولا يخص من قلدته إذ علتك فيه أنه أعلم منك فإن قال قلدته لأنه أعلم الناس قيل له فهو إذا أعلم من الصحابة وكفى بقول مثل هذا قبحا وإن قال إنما أقلد بعض الصحابة قيل له فما حجتك في ترك من لم تقلد منهم ولعل من تركت قوله منهم أفضل ممن أخذت بقوله على أن القول لا يصح لفضل قائله وإنما يصح بدلالة الدليل عليه

وقد ذكر ابن فرين عن عيسى بن دينار عن ابن القاسم عن مالك قال ليس كل ما قال رجل قولا وإن كان له فضل يتبع عليه لقول الله تعالى " الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه " فإن قال قصري وقلة همتي وعلمي يحملني على التقليد قيل له أما من قلد في نازلة معينة تنزل به من أحكام الشريعة عالما يتفق له على علمه فيصدر في ذلك علما يخبر به فمعذور لأنه قد أتى ما عليه وأدى ما لزمه فيما نزل به لجهله ولا بد له من تقليد عالمه فيما جله لإجتماع المسلمين أن المكفوف يقلد من يثق بخبره في القبلة لأنه لا يقدر على أكثر من ذلك ولكن من كانت هذه حاله هو يجوز له الفتوى في شرائع دين الله تعالى فيحمل غيره على إباحة الفروج وإراقة الدماء واسترقاق الرقاب وإزالة الأملاك وتصييرها إلى غير من كانت في يده بقول لا يعرف صحته ولا قام له الدليل عليه وهو مقر أن قائله يخطئ ويصيب وإن خالفه في ذلك ربما كان المصيب فيما خالفه فيه فإن أجاز الفتوى لمن جهل الأصل والمعنى لحفظه الفروع لزمه أن يجيزه للعامة." (١)

"وروي أن مروان بن الحكم لما جيء برأس الضحاك إليه ساءه ذلك وقال: الآن حين كبرت سني ودق عظمي، وصرت في مثل ظمء الحمار(١)، أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض(٢). وروي أنه بكى

---

(١) إيقاظ همم أولي الأبصار للإقتداء بسيد المهاجرين والأنصار، ص/٨٦

على نفسه يوم مرج راهط(٣) وقال: أبعد ما كبرت وضعفت صرت إلى أن أقتل بالسيوف على الملك(٤) وفي رواية عن مالك قال: قال مروان: قرأت كتاب الله منذ أربعين سنة، ثم أصبحت فيما أنا فيه من إهراق الدماء، وهذا الشأن(٥). إن ندم مروان في مثل هذا الموقف وبعد أن تحقق له النصر، وتأكدت له طرق الحكم، وتمهدت له سبل الوصول إلى غايته، لدليل قاطع على ما كان يجيش به قلب مروان من عامل الخير، لقد كان هذا النصر جديرا أن ينسيه كل منغصات الحياة، وكان فوزه بالخلافة حقيقا بأن ينفي عنه كل ما يسبب له الندم، ويعكر له الصفو، فما بال مروان يندم وهو

في هذه الظروف التي تزيل الهم عن النفس وتبعد الندم(٦) لطالبي الملك

والزعامة والسلط ان؟!

وأغلب الظن أنه تورط في طلبه للخلافة، ودفعه إلى هذا المستنقع

الآسن أناس لهم مصالح دنيوية لا تخفى، فشعر بوخز الضمير، وخاف

على نفسه من **سوء الخاتمة** بعد أن ولغت يداه في دماء المسلمين من أجل

الحطام الزائل.

ثالثا: ضم مصر إلى الدولة الأموية ومحاولة إعادة العراق والحجاز

---

(١) تاريخ الطبري (٦/٤٧٤).

(٢) تاريخ الطبري (٦/٤٧٤).

(٣) البداية والنهاية (١١/٦٧٦).

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/٤٧٩).

(٦) الأمويون، محمد الوكيل (١/٣٠٧).." [١]

"(٩) أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية عبد شمس بن عبد مناف الأموية، أمها: صفية بنت أبي العاص بن أمية، ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاما وأسلمت مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي وهاجر إلى الحبشة فولدت حبيبة، وتمسكت بدينها ثم هاجرت وتنصر زوجها (١) ، وأبدلها الله زوجا خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي أقرب نسائه إليه نسبا، تلتقي معه في عبد مناف،

---

(١) خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، ص/٧٥

توفيت سنة ٤٤هـ.

- ومن مناقبها:

١- إكرامها فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يجلس عليه أبوها وهو مشرك لما قدم لتمديد الهدنة بين المسلمين وقريش.

٢- هاجرت الهجرة الثانية إلى الحبشة (٢) .

(١٠) صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية من بني النضير من ذرية هارون بن عمران، كانت تحت سلام بن مشكم قبل إسلامها ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق فقتل يوم خيبر ثم صارت مع السبي فأخذها دحية الكلبي وكاتبها، وقد وفى النبي صلى الله عليه وسلم كتابتها فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها، توفيت سنة اثنين وخمسين من الهجرة.

- ومن مناقبها:

١- زوجة نبي وابنة نبي وعمها نبي.

---

(١) ومات عبيد الله بن جحش على النصرانية (نعوذ بالله من **سوء الخاتمة**) وهو الوحيد من إخوة السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها الذي مات على غير الإسلام.

(٢) وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم من هاجر إلى الحبشة وجعل لهم هجرتين. انظر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم رضي الله عنهم، برقم (٢٥٠٢).." [١]

"الدرس ١٢/ ٥٠ : سيرة الصحابي : مصعب بن عمير ، لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي

تفريغ : م . م . حسان العودة

التدقيق اللغوي : الأستاذ غازي القدسي .

التنقيح النهائي : المهندس غسان السراقبي .

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) شذى الياسمين في فضائل أمهات المؤمنين، ص/٢٦

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علما و أرنا الحق حقا و ارزقنا إتباعه ، و أرنا الباطل باطلا و ارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الأخوة الأكارم :

مع الدرس الثاني عشر من دروس سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين . صحابي اليوم شاب متألق أشد التألق ، رخي ، يرفل في حلل أنيقة ، كان مضرب المثل في شباب قريش ، إنه : مصعب بن عمير.

وقبل أن أمضي في الحديث عن هذا الصحابي الجليل ، لا بد من تعليق ضروري ، لماذا ندرس سير صحابة رسول الله ؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

إن الله اختارني ، واختار لي أصحابي .

فأصحابه نماذج للبطولة ، كل صحابي يمثل . بالتعبير الاجتماعي . نموذجا اجتماعيا .

فأحدنا إذا قرأ سير صحابة رسول الله ، لابد من أن يجد في بعض الصحابة ما ينطبق عليه ، فيعد هذا الصحابي إذا لهذا الأخ الكريم قدوة .

سيدنا مصعب بن عمير ، شاب من شباب مكة الذين يشار إليهم بالبنان ، منحه الله وسامة ونجابة ، ومروءة ، وحدث عن هذا ولا حرج ، لكن الذي كان يلفت نظر الناس إليه أناقته المتناهية ، أثوابه الجميلة ، رقة حاشيته ، وقد تجد في شباب اليوم من يستهويه الثوب الأنيق ، والشعر المرجل والرائحة العبقة ، والأناقة في الحديث ، والتعبير ، والحركة ، والثياب والبيت ، هذا الصحابي ، يمثل هذا النموذج .

يصفه كتاب السيرة بأنه كان فتى ريان ، مدللا ، منعما ، كان حديث حسان مكة ، لؤلؤة ندواتها ومجالسها .

انظروا أيها الأخوة :

إلى هذا الشاب الأنيق ، الناعم ، الذي حباه الله ببحبوحة الحياة و بأناقة المظهر ، وبحسن الطلعة ، هذا الشاب سمع حديث النبي عليه الصلاة والسلام ، وكيف أنه جاء بالتوحيد ، وكيف أنه دعا الناس إلى الإسلام وكيف أنه مع أصحابه القلة ، الخلص ، كانوا في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، هذا الصحابي ، بدافع حب الحقيقة ، بدافع رغبته الجامحة في معرفة شأن هذا النبي ، توجه إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ليلتقي

النبي عليه الصلاة والسلام ويبدو أن هذا الشاب ينطوي على حب للحقيقة ، وإيثار للحق ، فما إن رأى النبي عليه الصلاة والسلام حتى تجاوبت نفسه معه ، وهفا قلبه إليه ، ومد النبي عليه الصلاة والسلام يده ليصافحه ، وليمسح عن صدره آثار الجاهلية ، وكانت لحظة إيمان رائعة سرت في أحناء هذا الصحابي الجليل ، وأعلن إسلامه على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن !. لهذا الصحابي أم أسمها خناس بنت مالك ، تتمتع هذه الأم بقوة في شخصيتها فذة ، وقد تجد في كل عصر أما قوية الشخصية يهابها أبناؤها ، إلى درجة الخوف ، يأتمرون بأمرها بقوة سحرية يخافون غضبها ، يرجون رضاها ، أم هذا الصحابي الجليل سيدنا مصعب بن عمير ، اسمها خناس بنت مالك ، تتمتع بقوة فذة في شخصيتها ، وكانت مهابة إلى حد الرهبة . قال مصعب حينما أسلم : لم يكن يخاف أحدا ، ولا يخشى أحدا ولا يحسب حساب أحد إلا أمه ، لو قيل له واجه الناس جميعا ، واجه كل من في مكة لا يهابهم ، لكن قلبه كان يرتعد ، وأعصابه تتوتر حينما يذكر كيف سيواجه أمه بإسلامه .

كما هي العادة فكر في كتمان إسلامه ، كتم إسلامه وبالمناسبة : فإن الإنسان أحيانا يمر في ظروف صعبة جدا ، وفي حالات استثنائية يجد من المناسب أن يكتم إيمانه ، وقد ورد في القرآن الكريم إشارة إلى ذلك :

(سورة غافر : ٢٨) .

في حالات صعبة جدا ، وفي ظروف قاهرة ،وفي فتن مستعرة وفي حالات حرجة لا تستطيع أن تظهر ، والله عز وجل ما كلف الإنسان فوق طاقته ، فهذه الإشارة في القرآن الكريم ، تسلية لكل من كتم إيمانه :

(سورة غافر : ٢٨) .

فسيدنا مصعب رأى من المناسب أن يكتم إيمانه أو إسلامه عن أمه ، فظل يتردد على دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ويجلس إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو قرير العين بإيمانه، لكنه تفادى غضب أمه بهذا الكتمان هناك قاعدة أنه لا شيء يختفي ، مهما حاولت أن تخفي شيئا لا بد وأن يظهر ، بالمناسبة ، إذا أيقنت أن شيئا لا يختفي فكن صادقا ، هذه الحقيقة إذا ظهرت بادئ ذي بدء منك أفضل من أن تظهر ، أو أن تضبط متلبسا بها .

على كل رجل اسمه عثمان بن طلحة ، أبصر به وهو يدخل خفية إلى دار الأرقم ، هذا الرجل عثمان بن طلحة حينما رآه يدخل دار الأرقم ، سابق الريح إلى أمه ليخبرها أن أبنك يتردد على دار الأرقم مقر النبي

عليه الصلاة والسلام ، حينما واجهته أمه ، يعني ضبط متلبسا ، وهو يدخل دار الأرقم ، أجل حينما واجهته أمه ما استطاع أن ينكر الحقيقة ، بل قرر أن يظهرها ، وقف أمام أمه وعشيرته وأشراف مكة المتجمعين حوله يتلو عليهم في يقين ، وثبات القرآن الذي غسل قلبه وغذى فؤاده ، وملأ جوانحه سعادة .

ألم أقل لكم قبل قليل أن أمه كانت قاسية جدا ، همت أمه أن تسكته بلطمة قاسية ، ولكن اليد التي امتدت لتلطمه ، ما لبثت أن استرخت وترنحت أمام النور الذي زاده وسامة في وجهه .

يعني لا أدري ماذا أقول لكم ، المؤمن أحيانا يهبه الله هيبة ورقة ، و وضاءة ، وجمالا ، بحيث إن الذي يريد أن يناله بالأذى يجمد في مكانه .

وذات مرة وقف الحسن البصري رحمه الله تعالى ، موقفا فيه جرأة بالغة جدا ويعني بلغة العصر تهور ، بلغ الحجاج موقفه ، وانتقاده فأمر السياف أن يقطع رقبته ومد النطع في مجلس الحجاج ، والنطع عبارة عن جلد إذا قطع رأس هذا الرجل ، لئلا تصل الدماء إلى الأثاث الفخم ، والطنافس ، والأرائك ، فيمد جلد كبير جدا ، يقف هذا الذي يراد أن يقطع رأسه في وسطه وتضرب عنقه ، فإذا نفر الدم أصاب هذا النطع ، أجل مد النطع ، وطلب الحسن كي تقطع رقبته ، فلما دخل الحسن البصري على الحجاج ، تمتم بشفتيه ولم يسمع أحد ماذا قال لكنه فيما يبدو طلب من الله عز وجل أن يحميه ، من بطش هذا الرجل ، و ما إن دخل ووجهه يتلألأ نورا ، حتى وقف له الحجاج ودعاه إلى أن يجلس جنبه ، وسأله الدعاء وآنسه ، وطيب قلبه ، واحترمه أشد الاحترام ، وضيفه ، ثم ودعه فالسياف وقف مذهولا ، لا يدري ماذا يقول ، إذا فلماذا جئتم بي إلى هنا .

فالمؤمن له هيبة أيها الأخوة ، والله ، إذا كنت مع الله لاكتسبت هيبة لا يعلمها إلا الله ، من هاب الله هابه كل شيء ، المؤمن له هيبة ، له شخصية قوية ليست من صنعه ، ولكن من تفضل الله عليه . على كل هذا الصحابي الجليل حينما همت أمه أن تلطمه على وجهه وهو يتلو القرآن ، استرخت يدها ، وأخذت بأنوار وجهه ، لكنها ما لبثت أن أخذته بعد أن تلا على قومه القرآن ، لتحبسه في غرفة قصية من غرف البيت وكأنها بسذاجة إذا حبسته كف عن متابعة النبي الكريم ، وعن زيارته ولكن كان حبسها له بلا جدوى.

وبلغ سيدنا مصعبا أن النبي عليه الصلاة والسلام ، أمر أصحابه ، أن يهاجروا إلى الحبشة ، بطريقة أو بأخرى ، فانسل من غرفته القصية ، التي حبسته أمه بها ، ولحق بالقافلة ، وهاجر مع من هاجر إلى الحبشة ، وبعد أن أقام هناك ردحا من الزمن ، عاد والتحق بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وخرج يوما على بعض المسلمين .

وهم جلوس حول النبي صلى الله عليه وسلم بثياب رثة بالية بينما كان يرتدي أجمل الثياب ، وأغلاها ثمنا وأكثرها أناقة في الجاهلية .

يعني أن المجتمع الراقي بالتعبير اليومي فيه من يقول لك : بأن بذته اشتراها بثمانين ألف من لندن وحذاؤه بثمانية عشر ألفا فهناك أشخاص يكتسب مكانته من ثيابه فقط ، وهذا مصداق ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام : في آخر الزمان ، قيمة الرجل متاعه .

هذا الصحابي يمثل الطبقة الغنية ، الأنيقة ، صاحبة الأذواق الرفيعة ، في اختيار الثياب ، في اختيار الحاجات . فخرج يوما على بعض المسلمين وهم جلوس حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما إن بصروا به ، حتى حنوا رؤوسهم وغضوا أبصارهم ، وذرفت بعض عيونهم دمعا شجيا . ذلك أنهم رأوه يرتدي جلبابا مرقعا باليا ، وعاودتهم صورته الأولى قبل إسلامه ، حيث كانت ثيابه كزهور الحديقة نضرة ، وعطرة ...

تملى النبي الكريم تملاه جيدا ، تملى مشهده بنظرات حكيمة شاكرة ، محبة ، وتألقت على شفتيه ابتسامة جليلة وقال : لقد رأيت مصعبا هذا ، وما بمكة فتى أنعم عند أبويه منه ، ثم ترك ذلك كله حبا لله ورسوله .

فلتقف إذا وقفة قصيرة . يعني إذا كان الإنسان ذا دخل محدود ، وبإمكانه أن يحصل على أموال طائلة بطريق غير مشروع ، فاختار طاعة الله ، ودخله المحدود جعله يرتدي ثيابا من الدرجة الخامسة ، وبيته متواضع ، وأكله خشن ، فأنا أرى أن هذا وسام شرف ، كله زائل أيها الأخوة ، يعني إذا أنت آثرت الحق آثرت أن تستقيم على أمر الله ، آثرت أن ترضي الله عز وجل ، آثرت ألا تأكل حراما ، آثرت أن تأكل من كد يدك ، وعرق جبينك ، آثرت ألا تأكل مالا ليس لك ، هذا الدخل الشرعي الحلال ، الطيب ، قليل لكن هذا الدخل القليل جعلك

تسكن بيتا صغيرا ، وأن تأكل طعاما خشنا وأن ترتدي ثيابا من الدرجة الخامسة ، فهل تستحيي مما أنت عليه ؟ إن كنت تستحي مما أنت فيه ، فأنت لا تعرف الله .

والله أخ كريم محام ، قال لي : يا أستاذ : جاءني رجل عرض علي قضية لأكون وكيلا له فيها وهذه القضية مشمولة بقانون العفو فكنت صادقا معه ، قلت له يا فلان قضيتك لا تحتاج إلى محام ، تقدم بطلب إلى المحكمة الفلانية ، وسيصدر حكم فوري بإعفائك من هذه الجنحة لأن قانون العفو يشملك ، لكنه لم يقتنع فذهب إلى محام آخر بث في روعه أن القضية خطيرة جدا ، و يجوز أن يسجن فيها عشر سنوات

، حتى ابتز منه عشرين ألفا ، ولم يكتف بهذا بل اتهمني أنني لا أفقه شيئا بالمحاماة وقال عني :هذا أجدب ، مو فهمان .... فكان هذا المحامي متألما لما اتهم به . أما أنا فوالله أيها الأخوة ، حينما قال لي هذا الكلام ، رأيته إنسانا كبيرا في نظري قلت له والله كلام الناس عنك ، بأنك محام مبتدئ أو ساذج، والله هذا وسام شرف عند الله عز وجل ، هذا هو المؤمن ، وهكذا يجب أن يكون .

أنا أتمنى على إخواننا الكرام أن يتحلوا بالاستقامة ، فالإنسان عندما يستقيم فقد تكون عنده إمكانيات كبيرة ، ولكن إذا استقام وأرضى الله عز وجل فهو ملك في الدار الآخرة .

فمصعب بن عمير ، من أسرة غنية جدا ، ولو بقي على دين آبائه لعاش حياة ناعمة جدا ، لكن لأنه أسلم ، والتحق بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وكان أصحاب النبي رضوان الله عليهم فقراء ضعفاء :

(سورة هود : ٢٧) .

أي فقراء وهذا شأن كل نبي ، كبراء القوم ، أصحاب الغنى ، هؤلاء غارقون في شهواتهم ، أصحاب القوة غارقون في وجاهاتهم ، لكن الضعاف يتبعونه ، هؤلاء الضعاف سيغنيهم الله عز وجل .

وهذه كلمة قالها النبي الكريم ، لعدي بن حاتم ، لا أنساها ما حييت ، قال له :

لعلك يا عدي ، إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، من فقرهم ، وايم الله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة البابلية تحج البيت على بعيرها لا تخاف ، ولعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، فو الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البابلية مفتحة للمسلمين .

فالبطولة أن تكون مع الحق ، وليكن ما يكون ، البطولة أن تكون على منهج الله عز وجل غنيا كنت أو فقيرا ، طبعا الغنى مع الإيمان وارد ، فسيدنا ابن عوف كان غنيا ، وكان يقول وماذا أفعل والله لأدخلتها خببا ، فلقد جاءته قافلة من سبعمائة بعير محملة ببضاعة ثمينة من الشام ، حتى ضجت أسواق المدينة ، فقالت عائشة ما هذا الضجيج ؟ قالوا قافلة لعبد الرحمن بن عوف ، فقالت : أخشى أن يدخل الجنة حبوا فلما بلغه ذلك قال والله لأدخلنها خببا ، وما علي إذا كنت أنفق مائة في الصباح فيؤتيني الله ألفا في المساء ، اشهدوا أن هذه القافلة كلها لله عز وجل . تصور والآن أن واحدا جاءته قافلة من سبعمائة سكسويل سبعمائة شاحنة براد كبيرة، سبعمائة ، فقال اشهدوا أنها كلها في سبيل الله . على كل فالنبي الكريم قال عن هذا الصحابي: لقد رأيت مصعبا هذا وما بمكة فتى أنعم عند أبويه منه ، ثم ترك ذلك كله حبا لله

ورسوله .
إذا كنت مستقيما ، وحياتك متواضعة فافتخر وازهو.

(سورة الأحزاب : ٧١) .

(سورة الأعراف : ١٢٨) .

(سورة الحجرات : ١٢) .
آيات كثيرة ، تبشر المستقيمين على أمر الله ، بالفوز في الدنيا والآخرة ، حاولت أمه مرة ثانية أن تحبسه ولكنه أصر وقال : والله لأقتلن كل من تستعين به أمي على حبسي ، علمت أنه صادق وأنه يعني ما يقول ، فكفت عنه .
فلما جرى نقاش بينه وبينها قال لها يا أمي : إني لك ناصح وعليك شفوق ، فاشهدي أنه لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله أجابته غاضبة مهتاجة : قسما بالثواقب لا أدخل في دينك ، فيزرى برأيي ويضعف عقلي .
والله هذه عقلها ضعيف ولو أن عقلها كان راجحا لآمنت بالنبي عليه الصلاة والسلام .
قال عليه الصلاة والسلام : أرجحكم عقلا أشدكم لله حبا .
و حينما أسلم وأصر على إسلامه ، وترك دين آبائه ، حرمه أهله من كل شيء ، يقول كتاب السيرة : خرج مصعب من النعمة الوارفة التي كان يعيش فيها مؤثرا الشظف والفاقة وأصبح الفتى المتأنق المعطر ، لا يرى إلا مرتديا أخشن الثياب . أنا أعرف فتاة مؤمنة تنتمي إلى أسرة غنية جدا ، لكنها اصطلحت مع الله وأنابت إليه ، فحينما أنابت إلى الله عز وجل ما بقي أحد من الشباب الأغنياء الذين يعرفونها قبل توبتها يرغبون بها خطبها رجل فقير دخله محدود ، فقلبت ، وانتقلت من بيت واسع جدا إلى بيت صغير ، ومن طعام نفيس ، إلى طعام خشن ومن ثياب أنيقة إلى ثياب متوسطة معتدلة ، وقالت بملء فيها : أنا سعيدة بمعرفة الله ، وسعيدة بهذا الزوج ، وأنا أرضى أن أتخلى عن كل دنياي من أجل طاعة الله عز وجل .
أعرف فتاة سمعت عنها ، وأن أباها يدير أكبر ملهى من الملاهي التي تدر عليه أرقاما فلكية ، ولو أنها طلبت من أبيها عدة ملايين لأعطاها إياها لكنها تعمل معلمة في إحدى قرى دمشق وتأكل من دخلها ولا تأخذ من مال أبيها شيئا ، لأنها تعتقد أن مال أبيها كله حرام .

فهذه الأخبار عن مصعب تعني أن هذا الصحابي الجليل نموذج لكل شاب ، ينتمي إلى أسرة غنية فلما خرج عن نمط حياة أسرته ، وحرمه أهله ، عاش حياة متقشفة فله بهذا الصحابي الجليل ، أسوة حسنة . مرة ثانية لأنك مستقيم فدخلك محدود ، والله عز وجل لحكمة أرادها جعل الحرام سهلا ، وجعل الحلال صعبا ، الحرام سهل ، يعني امرأة تشتغل أحيانا ثماني ساعات تأخذ مائة وخمسين ليرة في خدمة شاقة في البيوت ، وامرأة تبيع ما وهبها الله من جمال تبيعه بمبالغ طائلة لوقت قصير ، فهذه امرأة وهذه امرأة !! ولكن أين الثرى من الثريا؟

و الإنسان حينما يخلص لله عز وجل ربنا عز وجل يندبه لأعظم المهمات ، وعندما يخلص ، فالله عز وجل يستخدمه في الحق .

سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام كان في أصحابه من هو أكبر من مصعب سنا ، وأعلى شأنا ، وأكثر جاها ، وأقرب إلى النبي نسبا ، لكن عليه الصلاة والسلام ندبه ليكون خليفة له في المدينة قبل أن يهاجر إليها .

وهناك بالسيرة أمر أقف أمامه محتارا ، أنه حينما هاجر النبي إلى المدينة ، كيف أن أهلها خرجوا عن بكرة أبيهم يستقبلونه ، ويعظمونه ويصدقونه ، ويحبونه ، وهم لم يلتقوا بها من قبل ، فهل عرفتم ما السر ؟

السر أن هذا الصحابي الجليل الذي أرسله النبي إلى المدينة قبل أن يهاجر إليها جعل الله هداية كبار أصحابه من الأنصار على يديه .

منهم مثلا سيدنا سعد بن عبادة ، سيدنا سعد بن معاذ ، كبار الصحابة أسلموا على يده ، قبل أن يأتي النبي . هذا الشيء نقلني إلى فكرة ، فأحيانا ترى الجامع ملأن ، فهل تعرف الفضل لمن يعود ؟ لبعض الأخوة النشيطين الذين يندفعون لنشر الحق ، يقنع جاره ويقنع أخاه ، يقنع ابنه ، يقنع أباه ، يقنع زميله في العمل ، يعني يدعوه إلى المسجد ، يدله على الله ، يسمعه بعض الأشرطة ، يناقشه ، يخدمه ، فغص الجامع وامتلأ ، هذا الجامع أساسه أخ نشيط بذل كل شيء ، حتى أقنع الناس بالحق ، وحتى أقنعهم بالهدى ، وحتى حملهم على التوبة .

المدينة عن بكرة أبيها تخرج لاستقبال النبي و لم يلتقوا به من قبل ، ولم يسمعوا كلامه ، من الذي جلس بينهم ، ودعاهم إلى الهدى ، وقرأ عليهم القرآن ، وحدثهم عن النبي عليه الصلاة والسلام ، بين لهم شمائله الشريف ، عرفهم بربهم ، بين كمال الله عز وجل ، بأسمائه الحسنى ،و صفاته الفضلى من هذا الذي كان يعمل ليلا ونهارا ، سيدنا مصعب ...

يعني ماذا أقول إن صح التعبير ، إن الأنصار كلهم في صحيفته . تضيق عليك دنياك ويقل دخلك ، لكن الله عز وجل يعطيك أضعاف مضاعفة عطاء لا ينتهي بالموت ، يبدأ بعد الموت.
فالإنسان لا يقيس نفسه ويقيس الآخرين بالأمور المادية ، هذا قياس فاسد ، رب أشعث أغبر ذي طمرين ، مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره لا تقس نفسك بمساحة بيتك ، ولا بمستوى بيتك ، ولا بدخلك ، ولا بمركبتك ، قس نفسك بطاعتك لله ، واجعل قوله تعالى نصب عينيك :

(سورة الحجرات : ١٢) .
صحيح أن هذا الصحابي ، فقد الثوب الجميل ، والرائحة العطرة لكنه صار من الخالدين في دنيا الناس وعند الله تعالى و الإنسان ما له حق في أن يفتخر بدنياه أيها الأخوة ، فإذا افتخر بدنياه أفسد حياة الناس وصرفهم عن الآخرة ، أما إذا حدثهم عن الله عز وجل ، فقد قربهم إلى الله وأصلح عليهم دنياهم لا أفسدها .
وعندنا قصة يبدو أن فيها حكمة فهذا الصحابي الجليل ، قال ذات يوم وهو يعظ الناس ، وقد فاجأه أسيد بن حضير ، سيد بني عبد الأشهل بالمدينة وكان يدرس وحوله هؤلاء الذين أحبوا الإسلام ، وانشرحت صدورهم له ، فاجأه أسيد بن حضير شاهرا حربته يتوهج غضبا على هذا الذي جاء يفتن قومه عن دينهم ، وقال له ما جاء بكما إلى حينا ؟ هو وأسعد بن زرارة ،
وهما أخوان في الإسلام كريمان ، ما جاء بكما إلى حينا ؟ تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا إذا كنتما لا تريدان الخروج من المدينة . و الإنسان ، إذا وقف الموقف اللين ، والموقف الحكيم ،فهو عاقل رشيد ، و هذا من نعمة الله عز وجل أن موقفا لينا فيه حكمة ، فقال له مصعب بلسان طيب ، أولا تجلس فتسمع فإن رضيت أمرنا قبلته ، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره اسمع أولا . فهل سمعتم بإنسان جاءته رسالة ، مختومة لا يدري ما بها مزقها ، وسب مرسلها ؟ أقرأها أولا ، لعل فيها حوالة ، لعل فيها دعوة ، قبل أن تمزقها وتسب مرسلها أقرأها ، هذا منطق سليم وصحيح .
قال : أولا تجلس فتستمع فإن رضيت أمرنا قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره ، فقال أسيد بن حضير وكان رجلا عاقلا ، والله أنصفت ، معقول ، ما أحسن هذا القول وأصدقه ، فجلس وكان مصعب يتلو عليهم القرآن فاستمع إلى القرآن ، ودخل إلى قلبه ، وشرح الله صدره ، فقال أسيد : ما أحسن هذا القول وأصدقه ، كيف يصنع من يريد أن يدخل في هذا الدين ، ما العمل ؟ فأرشدوه إلى ذلك .
سيدنا عمير بن وهب مرة قال : والله لولا أولاد صغار أخاف عليهم العنت ، ولولا ديون ركبتني لذهبت

وقتلت محمدا وأرحتكم منه ، فرجل أسمه صفوان كان قاعدا ، قال له ديونك علي بلغت ما بلغت ، وأولادك أولادي مهما امتد بهم العمر ، اذهب لما أردت .

فعمير من فوره سم سيفه وذهب ، ولما وصل للمدينة ، رآه سيدنا عمر فقال : هذا عدو الله ساقه إلى رسول الله ، القصة تعرفونها لكن المغزى ، هذا عمير بن وهب عدو لدود ، حاقد ، ابنه قتل في بدر ، قال له سيدنا النبي ما الذي جاء بك إلينا ؟ قال جئت أفك ابني ، قال له : وهذا السيف الذي على عاتقك ، قال له : قاتلها الله من سيوف ، فقال له النبي : ألم تقل لصفون كذا وكذا وكذا فوقف ، وقال أشهد أنك رسول الله ، لأن الذي قلته لصفوان لا يعلمه إلا الله ، وأنت رسوله ، فدخل عدوا لدودا ينوي القتل وخرج مسلما ، يعني الصلحة مع الله تتم بلمحة أحيانا . فهذا أسلم وخرج لكي يطهر ثوبه وبدنه ، ويشهد أن لا إله إلا الله ، بعد قليل عاد وقد أغتسل ، وأعلن الشهادة وأسلم ، أسلم أسيد بن حضير ، أسلم سعد بن عبادة ، أسلم سعد بن معاذ ، فلما يسلم الكبار ، فالصغار يتبعونهم ، إذا وفقك الله أن تتحه لإنسان له مكانته له شأنه ، مثقف ثقافة عالية ، يحتل مركزا مرموقا وقنع بالإسلام ، فهذا له أتباع يحذون حذوه فهي نعمة من نعم الله .

فسيدنا مصعب وفقه الله في دعوته ، فلانت قلوب كبراء المدينة ، فلما لانت قلوبهم وأسلموا معه ، ودخلوا في هذا الدين العظيم ، كل أتباعهم تبعوهم ، كلكم يعلم أن هذا الصحابي الجليل خاض معركة أحد ((غزوة أحد)) وحمل لواء من ألوية أجنحتها وكلكم يعلم أنه لما جال المسلمون واشتبكوا مع عدوهم ثبت مصعب فأقبل ابن قميئة وهو فارس فضربه على يده اليمنى فقطعها ، ومصعب يقول :

(سورة آل عمران : ١٤٤) .

وأخذ اللواء بيده اليسرى تم حمل حنا عليه ، عدو الله ثانية فضرب يده اليسرى فقطعها ، وحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره ، وهو يقول :

ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء ، ووقع شهيدا بل كان كوكبا بين الشهداء . الشيء الذي يدمي القلب أن هذا الصحابي قال عنه بعض أصحاب رسول الله ، قالوا : هاجرنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام في سبيل الله نبتغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره في دنياه شيئا .

والإنسان عندما يستقيم ويتعرف إلى الله ، ويكبر ، فالله عز وجل يكرمه ويتزوج يسكن بيتا، ويكون له دخل

جيد ، يترفه ويأكل ويسعد ويقوم بنزهات كثيرة ، يتمتع بالدنيا ، فيقول لك : الله أكرمني والحمد لله لقد استقمت على أمر الله والله أكرمني ، لكن هذه الدنيا ليست دار نعيم إذا الله أكرمك فالحمد لله ، هذه من نعم الله الكبرى ، لكن لو أن الله عز وجل ، تبعن إنسانا بعد أن أسلم ، وأحب الله عز وجل واختاره إلى جواره فهل ضاع عليه شيء ؟ لا ، فهذه فكرة سخيفة جدا ، إذا لم يخسر شيئا ولا أضاع شيئا :

(سورة آل عمران : ١٦٩) .

و الإنسان عندما يخلص لله عز وجل ، ويتوكل على الله عز وجل فقد ربح ورب الكعبة فهذا الصحابي الجليل حياته كلها دعوة إلى الله ، حياته كلها جهاد ، وما عليك إلا أن تتصور أن أهل المدينة الأنصار جميعا في صحيفته ، ثم مات شهيدا فقد فاز ورب البيت .

يقول عنه خباب بن الأرت : هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله نبتغي وجه الله ، فوجب أجرنا على الله ، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره في دنياه شيئا .

سيدنا عمر مرة قدم له طعام طيب ، فبكى ، لماذا بكى ؟ تذكر أصحاب النبي الذين ماتوا قبل أن يفتح الله الدنيا على المسلمين ثم جاءتهم الدنيا بعد ذلك راغمة .

جاءوا بكنز كسرى ووضع الكنز على الأرض ، بحيث أن أحدا لو أمسك برمحه ، وأمسك رجل آخر برمحه في الطرف الثاني فالأول لا يرى الثاني .

فتحت عليهم الدنيا ، لكن صحابة كرام ماتوا قبل أن تفتح عليهم الدنيا هؤلاء لهم عند الله أجر مضاعف .

فالإنسان يستسلم لله عز وجل ، هو الرحمن الرحيم ، الآية التي تؤثر بالنفس :

(سورة آل عمران : ١٥٨) .

(سورة الزخرف : ٣٢) .

والإنسان دائما يبحث عن رزقه ، ثم يبلغ درجة من الكفاية والحاجة ويبقى همه الجمع ، لكن الله تعالى يقول :

هذا سيدنا مصعب قتل يوم أحد ، ولم يجدوا له شيئا ليكفن به إلا نمرة ، يعني رداء خشن ، فكنا إذا وضعناها على رأسه ، تعرت رجلاه ، وإذا وضعناها على رجليه برزت رأسه ، فقال عليه الصلاة والسلام :

اجعلوها مما يلي رأسه ، واجعلوا على رجليه من نبات الإذخر ضعوا قليلا من حشيش على رجليه وارفعوا الثوب إلى رأسه .

هذا سيدنا مصعب بن عمير الذي كان من أرفه ، ومن أنعم ومن أكثر فتيان قريش أناقة ، ونعومة ، ورخاء ، وغنى ، باع دنياه في سبيل الله عز وجل .

وإذا اختار الإنسان عملا نظيفا ، عملا شريفا ، متعبا و دخله قليل لكن شريف ، ما به شبهات،و ما به مداخلات ، وما به ما يثير القلق ، فإذا اختار عملا شريفا متعبا دخله قليل ، وعاش حياة مع الله وادعة ، مطمئنة ، فهذا وسام شرف له ، افرح بالدخل الحلال ، إن كان كثيرا فالحمد لله ، هذا من نعم الله عز وجل لكن إن كان قليلاً ، وهو حلال ، فهذا أفضل من كثير لا

يرضي الله عز وجل ، حتى إن النبي عليه الصلاة والسلام ، قال مرة لثعلبة : يا ثعلبة قليل تؤدي شكره ، خير من كثير لا تؤدي شكره . وقف النبي عليه الصلاة والسلام عند مصعب بن عمير ، وعيناه تذرفان بالدموع ، وقال :

(سورة الأحزاب : ٢٣) .

ومنذ مدة قرأت نعوة ضخمة مكتوب فيها :

فممكن لكل من أراد أن يضع في النعوة هذه الآية أن يفعل ، ولكن المهم العبرة ، **وحسن الخاتمة** .يمكنك أن تأخذ إشارة أرقى ماركة سيارة تضعها على طنبر ، لكن يبقى الطنبر طنبرا والسيارة سيارة ، فهذه الآية تلاها النبي الكريم عندما وقف على جثمان مصعب :

ثم ألقى في أسى نظرة على بردته التي كفن بها وقال : يا مصعب لقد رأيتك بمكة ، وما بها أرق حلة ، ولا أحسن لمة منك ، ثم ها أنت شعث الرأس في بردة ، عندئذ قال عليه الصلاة والسلام : إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة . نعم ، أنا أشهد ، وهناك صحابي لما أسلم ثم خاض مع رسول الله معركة والله نجاه ، ووزعت الغنائم ، قال ما هذا ؟ قالوا هذه غنيمة لك قال والله ما على هذا أسلمت !! أنا أسلمت على الذبح ، أنا أسلمت على أساس أن أقدم حياتي في سبيل الله ، وفي المعركة الثانية ، وجد مقتولا ، فالنبي الكريم قال : أهو ؟ هو ؟ هو ، قالوا هو ، هو ، فبكى النبي عليه الصلاة والسلام وقال :

اللهم إني أشهد أن هذا قاتل في سبيلك .
أهذه شهادة قليلة ؟ قال : له إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة ، ما في الدنيا شيء يؤسف عليه ، فالدنيا تغر ، وتضر ، وتمر .
فإذا استقمنا ، وقرأنا القرآن ، وفهمنا القرآن ، وخدمنا من حولنا و كنا أبرارا بوالدينا ، وأمهاتنا ، ونصحنا المسلمين في بيعنا وشرائنا ، وما كذبنا و ما غششنا ، وما اعتدينا ،وإن غضضنا أبصارنا عن محارم الله ، فالمطالبة قضية سهلة جدا ، ما لك مطالب أن تخوض معركة ، مطالب فقط أن تستقيم ، مطالب تتعلم ، مطالب أن تعلم تقرأ القرآن ، تفهم القرآن ، تعلم القرآن ، تستقيم على أمر الله ، تعامل الناس بالإحسان تكون صادقا ، تكون أمينا ، إذا
فعلت هذا في عصر الفتن ، وعصر الضلالات ، وعصر الشبهات ، وفي عصر فيه القابض على دينه كالقابض على جمر فلك أجر عظيم . النبي الكريم قال : اشتقت لأحبابي ، قالوا أو لسنا أحبابك قال لا : أنتم أصحابي ، أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان ، القابض منهم على دينه كالقابض على جمر ، أجره كأجر سبعين ، قالوا : منا أم منهم ، قال : بل منكم ، قالوا ولم ؟ قال : لأنكم تجدون على الخير معوانا ولا يجدون . المسلم المؤمن غريب ، يعني أن أقرب الناس إليه يستنكر استقامته يستنكر إذا أراد ألا يختلط مع الناس ، ترى إنسانا أهله بالمظهر دينين وإسلام ومسلمين ، يوصفون بأنهم محافظون ، فهؤلاء الذين زعموا أنهم محافظون يريدون اختلاط للجنسين ويريدون أن يسفر وجه المرأة ، ويحتالون ليجدوا إلى التفلت من أمر الله عز وجل سبيلا يسلكوه . على كل فالشيء الذي يبرز في حياة هذا الصحابي الجليل ، أنه كان من أسرة غنية ، فلما أصر على إسلامه وإيمانه ، فقد كل ما يمكن أن يناله من والديه فعاش فقيرا ، ونذر نفسه لهذا الدين العظيم فاختاره الله ليكون خليفة النبي في المدينة .
لذلك يمكن أن نذكر ثانية أن أكثر الأنصار كانوا في صحيفته ، هذا عمل عظيم والنبي الكريم كان إذا أراد أن يصلي أزاحت السيدة عائشة رجليها لأن غرفته لا تتسع لصلاته ونومها ، والآن اذهب إلى مقامه الشريف يطالعك أضخم مسجد في العالم .
ولقد حججت قبل ثلاثة أعوام فكان المقام الذي كان في العهد العثماني تقريبا في عرض مسجدنا هذا ، وإلى نصفه ، هذا المسجد النبوي الذي وسعه العثمانيون ، يعني أضافوا إليه إضافة ثم وسعه السعوديون توسعة تعدل عشرة أمثال ما كان عليه تقريبا ، يعني صار البناء على العرض نفسه ممتدا إلى الشمال وفيه فسحتان سماويتان ، في العام الماضي حينما حججت أية مساحة هذه ؟! أكثر من عشرة أمثال المساحة

السابقة فهو مدينة كاملة ،و الإنسان

أحب أن يطوف حوله فالمسافة تقريبا خمسة كيلومترات ، يعني كان الحج بأيام حارة جدا ، وسمعت أنه مكيفا و يعد أعظم تكييف في العالم ، والأجهزة على بعد سبعة كيلومترات،ومساحتها مائتان وسبعون ألف متر مربع تكون درجة الحرارة خارج الحرم ستا وخمسين درجة ، أو اثنين وخمسين ، كأنما تلفح وجوههم النار ، بينما هي بالحرم ثماني عشرة درجة أو نحوها .

النبي عاش حياة خشنة ، لكن عرف المسلمون قيمته وقدره ، كل هذا الاعتناء دليل مقامه العظيم عند الله عز وجل ، الدنيا تضر ، وتمر وتغر ، حاول أن تكون على أمر الله ، و أن تكون مستقيما و أن تكون ملتزما ، و أن تتعلم ، و أن تعلم ، فإذا كنت كذلك ، فهذا الصحابي الجليل قدوة لنا ، والله ولا يخفضك عند الله ! دخلك القليل ، لا والله ، لا يخفضك عند الله بيتك الصغير ، ولا يرفعك العكس ، لكن ترفعك طاعتك ، وتخفضك معصيتك .

لذلك مصعب هذا قدوة لكل شاب عاش بأسرة مرفهة ، ناعمة ، فلما أصر على إيمانه وإسلامه، والناس تخلوا عنه عاش حياة خشنه ، ومن كان كذلك فله بهذا الصحابي الجليل ، أسوة حسنة .

والحمد لله رب العالمين." (١)

"الأول: طهارة الفؤاد، وهي صرفه عما دون الله تعالى.

الثاني: طهارة السر، وهي رؤية المشاهدة.

الثالث: طهارة الصدر، وهي الرجاء والقناعة.

الرابع: طهارة الروح، وهي الحياء والهيبة.

الخامس: طهارة البطن، وهي الأكل من الحلال والعفة.

السادس: طهارة البدن، وهي ترك الشهوات.

السابع: طهارة اليدين، وهي الورع والاجتهاد.

الثامن: طهارة المعصية، وهي الحسرة والندامة.

التاسع: طهارة اللسان، وهي الذكر والاستغفار.

العاشر: طهارة التقصير، وهي خوف **سوء الخاتمة** نسأل الله تعالى السلامة.

وسمي صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه المستجمع لجميع أنواع الطهارة، لأن الله تعالى طيب باطنه وظاهره

---

(١) سيرة خمسين صحابي، ص/

وزكى علانيته وسرائره.

وسيأتي في الخصائص القول بطهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم.

" الطيب " " خا " " عا " فعيل بمعنى فاعل من الطب، وهو علاج الجسم والنفس بما يزيل السقم، أي الذي يبرئ الأسقام ويذهب ببركته الآلام.

" الطراز المعلم ": أي العلم المشهور الذي يهتدى به.

والطراز في الأصل - بكسر الطاء آخره زاي: علم الثوب، فارسي معرب.

وسمي به صلى الله عليه وسلم لتشريف هذه الأمة به، كما يشرف الثوب بالطراز.

والمعلم بالبناء للمفعول: المرسوم من العلامة، وهي ما يحصل به امتياز الشئ عن غيره صفة للطراز.

" طس ".

" طسم ".

ذكرهما " ذ " والنسفي، من أسمائه صلى الله عليه وسلم، وذكرهما جماعة في أسماء الله تعالى، وهذه الأسماء على ضربين: أحدهما: ما لا يتأتى فيه الإعراب نحو كهيعص.

والثاني: ما يتأتى فيه الإعراب وهو نوعان: الأول ما كان اسما مفردا كصاد وقاف.

فهو محكى لا غير.

والثاني: أن يكون أسماء عدة مجموعها بوزن اسم مفرد كحم وطس ويس، فإنها بوزن قابيل وهابيل فيجوز فيه الإعراب والحكاية، وكذلك " طسم " يتأتى أن تفتح نونها وتصير مضمومة إليها فيجعلا اسما واحدا مركبا ك " دارا بجرد " لأنه مركب من " دارا " اسم الملك " وبجرد " اسم بلد.

" طه ": ذكره خلائق في أسمائه صلى الله عليه وسلم وورد في حديث رواه ابن مردويه بسند ضعيف." (١)

"تمهيد

... ثبت فيما سبق ثبوتا قطعيا من خلال القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، عصمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها من كل ما يمس قلبه وعقيدته بسوء، من التمسح بالأصنام، أو الحلف بها، أو أكل ما ذبح على النصب أو نحو ذلك من مظاهر الكفر، والشرك، والشك، والضلال والغفلة، وكذا عصمته صلى الله عليه وسلم من تسلط الشيطان عليه، وعصمته من كل ما يمس عقله وخلقه

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٤٨٤/١

بسوء؛ ومن ظن بأن الله تعالى يمكن أن يقدر على نبيه صلى الله عليه وسلم، عكس ذلك بعد اصطفائه فقد ظن السوء بربه. أعوذ بالله تعالى من الخزى والخذلان، **وسوء الخاتمة** والمنقلب.." (١)

"خامسا : وقيل فى الجواب عن الآيات التى معنا، أن الخطاب فى الظاهر فيها للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد بها غيره، إذ هو معصوم من مخالفة الأوامر، وارتكاب النواهى الواردة فى الآيات، ومستحيل عليه فعلها، لعصمة الله عز وجل له، وإنما هذا إفهام لغيره من المسلمين، أن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو رسول رب العالمين، ذو المنزلة الرفيعة، والمقام الأسمى عند الله عزوجل، إن افترض وقوع ذلك منه، فإن الله تعالى يجازيه على ما فرط، فكيف إذا فعل ذلك أحد من المؤمنين؟! فسيلقى عقابه من باب أولى، وذلك أيضا إيضاح لقدرة الله عزوجل، وأنه عدل، ولا يحابى أحدا من خلقه فليس أحد من المشركين بمأمن من عذابه تعالى حتى ولو كان نبيا، وهنا يفهم المؤمنون عامة، هذه الحقائق، فيرتدعون عن المعاصى والذنوب والآثام، خوفا منه تعالى وخشية، مادام سبحانه لا يستثنى أحدا من عذابه، إن أشرك.. حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام – ولكنهم لا يشركون لعصمة الله عز وجل لهم(١).

... ومن ظن بأن الله تعالى يمكن أن يقدر على الأنبياء، وعلى خاتمهم صلى الله عليه وسلم ارتكاب الكبائر من الكفر والشرك والشك أو نحو ذلك، فقد ظن السوء بربه، أعوذ بالله تعالى من الخزى والخذلان، **وسوء الخاتمة** والمنقلب أهـ.

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

المطلب الرابع : شبهتهم حول آيات ورد فيها مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعرض الشيطان له والجواب عنها

---

(١) ينظر : نوال المنى فى إثبات عصمة أمهات وأزواج الأنبياء من الزنى للشيخ محمد نسيب الرفاعى ص١١٤، ١١٥ .." (٢)

"الفوائد البديعية فى فضائل الصحابة وذم الشيعة.

جمع وترتيب

---

(١) رد شبهات حول عصمة النبى صلى الله عليه وسلم، ص/١٧٧

(٢) رد شبهات حول عصمة النبى صلى الله عليه وسلم، ص/٢١٤

دكتور . أحمد فريد

غفر الله له ولوالديه

الناشر

الدار السلفية للنشر والتوزيع

مقدمة

نسأل الله حسن الخاتمة

الحمد لله الذى أرسل محمدا رحمة للعالمين ، وأيده بآله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين ، الذين زكاهم الله تعالى فى كتابه المبين ، وأثنى عليهم ، ورضى عنهم ، ووعدهم الحسنى ، فهل يمكن أن يصلهم مكروه بعد أن رضى عنهم الملك الجليل ، أو يلحقهم عيب بعد أن جملهم بثنائه الجميل ، او يصل إليهم سوء بعد أن وعدهم الحسنى ، وجعلهم من رضوانه فى المحل الأسنى ؟ حاشا وكلا ، وكفى بمن يعتقد خلاف ذلك ضلالا وجهلا ، أما يكفى رضاه تعالى عنهم أن يكون لهم من الأسواء حصنا ، ومن المخاوف أمنا ؟ بلى والله إن فيه أعظم كفاية وأقوى وقاية ، وأفضل صلوات الله وتسليماته وتحياته وبركاته على مشرفهم بصحبته ، ومصرفهم بحكمته ، وجاعلهم بإذن الله تعالى خير أمته .

أما بعد :

فإنى أردت من هذا الكتاب أن يكون تذكرة للإخوان بفضائل الصحابة الكرام ، وتسلية لهم فى طريق دعوتهم إلى الله عز وجل ، يلهب عواطفهم ، ويشحذ هممهم فى الصبر على الدعوة ، وبذل النفس والنفيس فى سبيل انتشار هذا الدين ، وفتح قلوب العباد والبلاد لدعوة سيد المرسلين ، وفيه براءة الصحابة الكام مما افتراه عليهم أو على بعضهم من غلبت عليه الشقاوة ، وتردوا بأردية الحماقة والغباوة ، ومرقوا من الدين ، واتبعوا سبيل الملحدين ، وركبوا متن عمياء ، وخبطوا خبط عشواء ، فباءوا من الله بعظيم النكال ، ووقعوا فى أهوية الوبال والضلال مالم يتداركهم اله بالتوبة والرحمة ، فيعظموا خير الأمم وهذه الأمة ، أماتنا الله على محبتهم ، وحشرنا فى زمرتهم.." (١)

"قال أتبكي كل قبر رأيته قبرا تساوى بين اللوى والدكادك

فقلت إن الشجى يبعث الشجى فدعني فهذا كله قبر مالك

وقوله ((فهذا كله قبر مالك : أي الأرض كلها تمثل لي قبرا لمالك)) .

---

(١) الفوائد البديعة في فضائل الصحابة وذم الشيعة، ص/١

٢) وهذا عنتر بن شداد يذكر أنه تذكر محبوبته في وقت تتطاير فيه الرؤوس وتضرب في الأعناق ، وأنه ود تقبيل السيوف لأن بريقها كبريق ثغرها الباسم ، فيقول :

ولقد ذكرتك والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

فوددت تقبيل السيوف لأنها برقت كبارق ثغرك المتبسم

٣) وهذا محب آخر يقول : أنه أحب عدوه لأن فيه خصلة من خصال محبوبه فيقول :

وقف بي الهوى حيث وقفت فلا متأخر لي عنه ولا متقدم

وأهنتني ،وأهنت نفسي جاهدا ما من يهون عليك ممن يكرم

شابهت أعدائي فصرت أحبهم لبقاء حظي منك بحظي منهم

أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم

أي : أهنتني فأهنت نفسي لأن إهانتي ترضيك ، وعدوي ماذا يريد أن يفعل بي أكثر من أن يهينني ، فلما أهنتني وأهانني عدوي صرت مثل عدوي ، فأحببت عدوي لأنه قد صار فيه خصلة منك .

ولكن شتان بين حب هؤلاء الذي يبنى غالبا على الرغبات والشهوات الفانية ، وبين حب أولئك الأخيار الذي تجرد من كل ما من شأنه يقدح في المحبة ويعيب معناها الجميل ، إلا من رغبة الوصول إلى رضى الله والفوز بدار رحمته .

أما حب هؤلاء الدنيويين فقد أطروه بإطار الرغبة وغلفوه بغلاف الشهوة ، وقد يصاب الإنسان في كثير من الأحيان من شدة وطئته بالجنون ، فيجعله يهيم على وجهه بالبراري والفلوات وقد فقد عقله ورشده ، وبعضهم من شدة تعلق قلبه به يبتلى عند موته **بسوء الخاتمة** والعياذ بالله تعالى .." (١)

"تواضعه جم، وجوده عم، ونوره تم، فهو مرضي الفعال، صادق الأقوال، شريف الخصال﴿وإنك لعلى خلق عظيم (٤) ﴾ القلم.

لين الجانب، سهل الخليقة، يسير الطبع﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ آل عمران ١٥٩.

ظاهر العناية، ملحوظ بعين الرعاية، منصور الراية، موفق محظوظ، مظفر مفتوح عليه ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا (١) ﴾ الفتح.

أصلح الله قلبه، وأنار له دربه، وغفر له ذنبه ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ الفتح ٢.

---

(١) القول المبين في بيان منزلة رسول رب العالمين، ص/١٤٦

فهو المصلح الذي عمر الله به القلوب، وأسعد به الشعوب، وأعتق به الرقاب من عبودية الطاغوت، وحرر به الإنسان من رق الوثنية ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (٥٢)﴾ الشورى.

وهو الذي أعفى البشرية من التكاليف الشاقة، وأراحها من المصاعب، وأبعدها من المعاطب، وسهل لها بإذن الله أمر الحياة، وبصرها بسنن الفطرة ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ الأعراف ١٥٧.

فهو رحمة للإنسان، إذا علمه الرحمن، وسكب في قلبه نور الإيمان، ودله على طريق الجنان..

وهو رحمة للشيخ الكبير، إذ سهل له العبادة، وأرشده **لحسن الخاتمة**، وأيقظه لتدارك العمر واغتنام بقية الأيام..

وهو رحمة للشاب إذ هداه إلى أجمل أعمال الفتوة وأكمل خصال الصبا، فوجه طاقته لأنبل السجايا وأجل الأخلاق..

وهو رحمة للطفل، إذ سقاه مع لبن أمه دين الفطرة، وأسمعه ساعة المولد أذان التوحيد، وألبسه في عهد الطفولة حلة الإيمان..

وهو رحمة للمرأة، إذ أنصفها في عالم الظلم، وحفظ حقها في دنيا الجور، وصان جانبها في مهرجان الحياة، وحفظ لها عفافها وشرفها ومستقبلها، فعاش أبا للمرأة وزوجا وأخا ومربيا..." (١)

"الحكم في قراءة المولد

السؤال:

"اللهم صلي صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على سيدنا محمد الذي (الذي كما ينطق بها بعضهم) تنحل به العقد، وتتفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج ، وتنال به الرغائب، وحسن الخواتيم ويستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس"

ما ورد أعلاه يسمى بالصلاة النارية في الهند وتقرأ ٤٤٤٤ مرة إذا وقعت فاجعة أو كارثة في إحدى البيوت حيث يؤتى بالعديد من التلاميذ ورئيس المدرسة .

١- ما هو معنى الكلمات الواردة أعلاه ؟

٢- يقول الناس بأنه إذا كانت الكلمات لا تحتوي على شرك، فلا مانع من الاستمرار في قراءتها لأنها ليست ضارة فهي نوع من أنواع الذكر وأنها تذكرهم بالله وأننا نقوم بنوع من الدعاء الاضافي ليقربنا من الله

---

(١) محمد صلى الله عليه وسلم كأنك تراه، ص/٤٩

وليبعد عنا بعض المصائب.

٣- ما هو الحكم في قراءة المولد، هل هناك أي ضرر من قراءته على نحو دوري من قبل تلاميذ المدرسة أو من إمام المسجد؟ .

الجواب:

الحمد لله

١. الكلمات الواردة في الصلاة المبتدعة واضحة ، ولا بأس من بيانها أكثر :

"تنحل به العقد": أي: يجد المخرج لما يواجهه من تعقيدات وأمور يصعب حلها عليه.

وقد يراد به : يسكن به الغضب.

"تنفرج به الكرب": أي : يزول الغم والحزن من النفس .

"تقضى به الحوائج": أي : يحصل ما يريده ويسعى قضائه .

"تنال به الرغائب وحسن الخواتيم": أي : تتحقق أمنياته سواء ما في الدنيا أو ما في الآخرة، ومنه: أن يختم له بخير.

" يستسقى الغمام بوجهه الكريم " : أي : يطلب منه دعاء الله تعالى بإنزال المطر .

والغمام : السحاب .

٢. ما قاله لكم بعض الناس أن هذه الصلاة لا تحوي شركا ، وأنه يجوز لكم الاستمرار بها .. إلخ : باطل وذلك لما احتوته تلك الصلاة المزعومة من مخالفات شرعية واضحة منها :

أ. أنه جعلها تقال عند المصائب ، وهذا من اختراع الأسباب في إحداث العبادة .

ب. أنه جعل لها حدا (٤٤٤٤) مرة ! وهذا من اختراع الكم في إحداث العبادة .

ت. أنه جعل قراءتها جماعية ، وهذا من اختراع الكيف في إحداث العبادة .

ث. أن فيها عبارات مخالفة للشرع ، وشرك وغلو في النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسبة أفعال له لا يصح أن تنسب إلا لله عز وجل ، كقضاء الحوائج ، وحل العقد ، ونيل الرغائب ، **وحسن الخاتمة** . وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول : (قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) ،

ج. أنه ترك ما جاء به الشرع ، وذهب ليخترع صلاة ودعاء من عنده ، وفي هذا اتهام للنبي صلى الله عليه وسلم بالتقصير في بيان ما يحتاجه الناس ، وفيه استدراك على الشرع .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" .

رواه البخاري (٢٥٥٠) ومسلم (١٧١٨) ، وفي رواية "مسلم" (١٧١٨) : "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد".

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله : وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث "الأعمال بالنيات" ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى ؛ فليس لعامله فيه ثواب ، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله؛ فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء.أ.هـ "جامع العلوم والحكم" (١/١٨٠)

وقال النووي رحمه الله : وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام ، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه صريح في رد البدع والمخترعات، وفي الرواية الثانية زيادة وهي: أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها، فإذا احتج عليه بالرواية الأولى – أي: " من أحدث " – يقول: أنا ما أحدثت شيئا، فيحتج عليه بالثانية – أي : "من عمل" – التي فيها التصريح برد كل المحدثات، سواء أحدثها الفاعل، أو سبق بإحداثها... وهذا الحديث مما ينبغي حفظه، واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به. "شرح مسلم" (١٢/١٦).

٣. أما بالنسبة للمولد : فإن عمله بدعة ، ولو كان خيرا لسبقنا أكثر الناس حبا للنبي صلى الله عليه وسلم وهم الصحابة رضي الله عنهم ، وما يقرأ فيه فأكثره ضعيف أو موضوع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه غلو بنبينا صلى الله عليه وسلم ، وهذه أقوال العلماء :

أ. سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عمن يعمل كل سنة ختمة في ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم هل ذلك مستحب أم لا ؟

فأجاب :." (١)

"ما تقولون فيمن يزعم أن هؤلاء الخلفاء الفاتحين العظام والذين تحقق على أيديهم وعد الله قد خانوا الله ورسوله والمؤمنين وأنهم كفروا بالله ورسوله أجمعين ، وأن الدين الذي نشروه والمصحف الذي رفعوه ليس من دين الإسلام ولا من مصحف المسلمين في شيء؟

سبحانك هذا بهتان عظيم !

تبشير الله لهم بالجنة :

---

(١) موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ٧/٧٩

إن شهادة القرآن الكريم لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالإيمان لا تقف في حدود الدنيا فقط بل تمتد لتشمل **حسن الخاتمة** بالموت على ذلك وما يستتبعه من وعد الله لهم بالمغفرة والرضوان وحسن المثوبة في الجنان .

قال تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) "التوبة : ١٠٠"

ففي هذه الآية يخبر الله عز وجل عن رضاه عن السابقين من المهاجرين و الأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاهم بما أعده لهم من جنات النعيم ، وهذا يعني الموت على الإيمان بشهادة محكم القرآن فأين من الإيمان بالقرآن من يسبون من رضي الله عنه ووعده بجنة الخلد وفوز الأبد ؟

وقال تعالى : (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون – أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) "التوبة : ٨٨-٨٩"

وفيها وعد كريم من الله عز وجل للرسول والذين آمنوا معه بالخيرات والدرجات العلى في جنات الفردوس . فهل يكون ذلك لقوم علم الله أنهم سيرتدون على أعقابهم بعد موت نبيهم ؟ ! وهل كان هؤلاء أفراد ثلاثة أو عشرة كما يزعم الزاعمون أم جيشا تحقق به نصر الله وتمكن من الوقوف في وجه جحافل الروم أقوى وأعظم دولة في ذلك الزمان ؟." (١)

"جاء معنى ذلك في الحديث. وما وجد فيها من الخطإ فليصلحه من ذلك، لأن المؤلف رجل جاهل عجمي سيء الحفظ جدا ولا يكاد أن يحفظ فاتحة الكتاب. وليس هذا من التواضع، بل حقيقة كما يدل عليه عبارته، بل ذلك خلقة جبلية. والله أسأل أن يزيله عنه بوجهه الكريم وإليه أسأل وإياهم، العلماء المذكورون، وأن يرزقنا وإياهم **حسن الخاتمة** والقيام/.../ رب الأرباب وأن يغفر لنا ولوالدينا وأشياخنا وأحبابنا ولمن أحسن إلينا ولمن أسأنا إليه من المؤمنين والمؤمنات آمين يا رب العالمين يا مجيب السائلين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام." (٢)

"يا رب كان عليك أن لا تخلقني وتدعني جليسا في زوايا العدم وتتركني. يقول الرب يا عبدي شأني الجود. وإفاضة الوجود. لا سيما وقد طلبته مني بجميع شراشرك. واقترحته علي بباطنك وظاهرك. وأنا الملك

(١) منزلة الصحابة في القرآن، ص/١٣

(٢) مجلة التاريخ العربي، ص/٩٧٥١

الحكيم. والرب الكريم. والإيجاد في نفسه رحمة. ولا يضر في ذلك أنه قد يترتب عليه نقمة. لا سيما إن كان ذلك مما تقتضيه الحكمة)قال الشيخ محيي الدين قدس سره(هذا يعني طلب الاستعداد الأزلي الغير المجعول لما يكون عليه العبد في الخارج هو حجة الله تعالى البالغة المذكورة في قوله تعالى)ولله الحجة البالغة(وإلى ذلك الطلب يشير ما حكي من أن عليا كرم الله تعالى وجهه دخل يوما على عمر رضي الله تعالى عنه فرآه مغموما فقال له ما عراك يا أمير المؤمنين فقال خوف **سوء الخاتمة**. فقال أما أنا فخوفي من سوء الفاتحة. فافهم ذاك. والله تعالى يتولى هداك.)لا يقال(يترائى من خلال الكلام أن للعلم التابع للمعلوم مدخلا في وجود الفعل وامتناعه وسلب القدرة والاختيار ويلزم ذلك أن لا يكون الله عز وجل فاعلا مختارا لكونه سبحانه عالما بأفعاله وجودا وعدما وهو خلاف مذهب المسلمين)لأنا نقول(ذاك غير لازم لأن الله تعالى غني بالذات عن العالمين ومقتضى غناه عنهم أن لا يكون صدور شيء من أجزاء العالم لازما لذاته وكلما كان كذلك جاز أن يرجح ما شاء منها لداع أو غير داع لأن الله تعالى غني حميد وكلما. كان له سبحانه الترجيح لما شاء من طرفي الممكن بالنظر إلى ذاته الغني عن العالمين كان فاعلا مختارا في الترجيح لا يتعين عليه ترجيح أحد الطرفين بخصوصه. وهذا هو الاستقلال في الاختيار لكن الله تبارك وتعالى مع استقلاله في الاختيار لا يرجح إلا ما اقتضته الحكمة. لما يقتضيه الجود والرحمة. من مراعاة مقتضى الحكمة. فهو تعالى بالنظر إلى غناه الذاتي مستقل في الاختيار يرجح أي طرف شاء وبالنظر إلى ما سبق به العلم من ترجيح ما اقتضته الحكمة بمقتضى الجود والرحمة لا للوجوب عليه سبحانه لا يرجح إلا أحد الطرفين على التعيين. ولا مناقاة بين الاعتبارين لأن الاستقلال في الاختيار بالنظر إلى الغنى الذاتي والتعيين بالنظر إلى مراعاة الحكمة فلا يلزم من تعيين أحد الطرفين بالترجيح نظرا إلى سبق العلم لمراعاة الحكمة أن لا يكون مستقلا بالاختيار في الترجيح من غير تعيين نظرا إلى غناه الذاتي وأما العبد فليس له جهة الغنى الذاتي حتى يصح له الاستقلال بالاختيار بوجه ما فإنه فقير بالذات إلى الله تعالى الغني بالذات في أصل وجوده وكمالاته النابعة لوجوده التي منها قدرته وإرادته إذ لا فعل إلا بقوة بالضرورة ولا قوة إلا بالله بالنص المتواتر. ثم أنه لا يفعل إلا ما يشاء بالضرورة ولا يشاء إلا ما يشاء الله فلا يفعل إلا ما يشاء الله تعالى ولا يشاء الله سبحانه إلا ما سبق به العلم لأن الإرادة نابعة للعلم ولا سبق العلم إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه لمكان التبعية فلا يفعل العبد إلا ما يقتضيه استعداده الأزلي وليس في استطاعته ترجيح غير ذلك فإنه لا ترجيح له بالنظر إلى ذاته إذ لا ترجيح له إلا بالله وإلا جاز الانقلاب وكلما كان كذلك بطل استقلال العبد بوجه ما في الاختيار في الطوع والإباء. واتضح الفرق بين الحق عز وجل والخلق وانكشف

الغطاء. والحمد لله تعالى الذي نور الأرض والسماء. قاله العلامة الكوراني)وبالجملة(ما أبرز سبحانه ولا يبرز شيئا من خزائن علمه إلا موافقا لما هو عليه في نفسه وذلك عين الحكمة فهو عز وجل لا يسأل عما يفعل لأنه لا يفعل ما يسأل عنه لحكمته جل شأنه. وعز سلطانه. وليس نفي سؤاله تعالى عما يفعله لمجرد عظمته وجبروته أي أنه لا يجبر أحد أن يسأله الرهبة منه إذ ذاك شأن كثير من الملوك الظلمة فأي تمدح فيه ولو شاء سبحانه لهدى الناس جميعا لكنه جل وعلا لم يشأ ذلك لأنه خلاف ما سبق به العلم التابع للمعلوم فقول الذين أشركوا)لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء(كلمة حق أرادوا بها باطلا ولا يصح أن يكون حجة لهم على الله تعالى لما أشرنا إليه من أن مشيئته تعالى تابعة لعلمه التابع للمعلوم على ما هو عليه فانتقاء مشيئة عدم إشراكهم وتحريمهم ليس إلا من قبلهم وذلك سوء استعدادهم الأزلي الغير المجعول. وقد أشار سبحانه إلى ذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع." (١)

"...أما المصيبة الثانية والأعظم: فهي أن هناك خيانة كبرى من أمراء الأناضول والموصل المسلمين... هذه الخيانة فتحت الأبواب لجيش التتار، ولم يحدث أي نوع من المقاومة، وسار الجيش التتري في هدوء وكأنه في نزهة، وبالطبع لم يرتكب في طريقه مذابح لكي لا يلفت أنظار الخلافة في بغداد، ورضي الناس منه بتجنب شره، وخافوا أن يدلوا عليه لكي لا ينتقم منهم بعد ذلك..

...خيانة عظمى من كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع أمراء الأناضول..

وخيانة أعظم من بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل..

...فبدر الدين لؤلؤ لم يكتف بتسهيل مهمة التتار، وبالسماح لهم باستخدام أراضيه للانتقال والعبور، بل أرسل مع التتار فرقة مساعدة تعينهم على عملية "تحرير العراق" من حكم الخلافة العباسية!!..

ومن الجدير بالذكر أن بدر الدين لؤلؤ قام بهذه الخيانة وهو يبلغ من العمر ثمانين عاما! وقيل: مائة..!!!

وجدير بالذكر أيضا أنه مات بعد هذه الخيانة بشهور معدودات!!!..

...ونسأل الله **حسن الخاتمة**..

...كانت هذه هي تحركات الجيش التتري..

الوضع في بغداد قبل السقوط:

...كانت بغداد في ذلك الوقت من أشد مدن الأرض حصانة.. وكانت أسوارها من أقوى الأسوار.. فهي عاصمة الخلافة الإسلامية لأكثر من خمسة قرون، وأنفق على تحصينها مبالغ طائلة وجهود هائلة.. لكن

---

(١) غرائب الاغتراب، ص/٢٠٥

وا أسفاه على المدينة الحصينة!!..

...لقد كانت الحصون تحتاج إلى رجال.. ولكن ندر الرجال في ذلك الزمن!..

من على رأس الدولة في الخلافة العباسية؟

...إنه الخليفة السابع والثلاثون والأخير من خلفاء بني العباس في بغداد..

...إنه "المستعصم بالله".....

اسم كبير "المستعصم بالله".. ولقب كبير أيضا: "خليفة المسلمين"..

...ولكن أين مقومات الخلافة في "المستعصم بالله"؟..

...عندما تقرأ عن صفات الخليفة الذاتية في كتب السير مثل تاريخ الخلفاء للسيوطي، أو البداية والنهاية لابن كثير أو غيرها من الكتب تجد أمرا عجبا..." (١)

" الحافظ الحجة أبو الفرج ابن الجوزي في المنتظم من القدح في الدين ، وأيضا ما ذكره عنه الإمام الناقد البارع [شمس الدين] يوسف بن قزاغلي في تاريخه ((مرآة الزمان)) ما نقله عنه من العظائم في دينه ودنياه . نسأل الله السلامة في الدين **وحسن الخاتمة** . إنتهى . وقد خرجنا عن المقصود ، ولنعود إلى ذكر الرشيد ووفاته . ولما كانت سنة ثلاث وتسعين ومائة خرج الرشيد إلى الغزو ؛ فأدركته المنية بطوس – من أعمال خراسان – في ثالث جمادى الآخرة [من] سنة ثلاث وتسعين المذكورة ، وصلى عليه ابنه صالح . ودفن بطوس وله خمس وأربعين سنة . [وتخلف بعده ابنه الأمين محمد ابن زبيدة] . وكانت [خلافة الرشيد] ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وخمسة عشر يوما ،

." (٢)

"وقد جمعها ولده الفقير محمد سعيد بن الشيخ محمد المؤلف، ورقة ورقة، وعجزت عن ترتيبها، لأن جمعها كان سنة سبع وثمانين، وقد جمعتها وإن كانت غير مرتبة، لأنها لا تخلو عن الفائدة، لأن فيها تراجم بعض الصالحين والعلماء والأولياء والسلاطين.

ونسئله **حسن الخاتمة** وأن تكون سيرتنا بعد وفاتنا حسنة عند الله وعند العباد، وهو حسبي ونعم الوكيل،

---

(١) قصة التتار، ص/١١٧

(٢) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ١/١٣٦

ولا حول ولا قوة إلا به، نعم الولي ونعم النصير.

حرر في نهار الخميس، يوم عشرين ربيع الأول سنة سبع وثمانين ومائة وألف." (١)

"ج- بكاء مروان بن الحكم في مرج راهط:

وروي أن مروان بن الحكم لما جيء برأس الضحاك إليه ساءه ذلك وقال: الآن حين كبرت سني ودق عظمي، وصرت في مثل ظمء الحمار (١) ، أقبلت

بالكتائب أضرب بعضها ببعض (٢). وروي أنه بكى على نفسه يوم مرج راهط (٣) وقال: أبعد ما كبرت وضعفت صرت إلى أن أقتل بالسيوف على الملك (٤) وفي رواية عن مالك قال: قال مروان: قرأت كتاب الله منذ أربعين سنة، ثم أصبحت فيما أنا فيه من إهراق الدماء، وهذا الشأن (٥). إن ندم مروان في مثل هذا الموقف وبعد أن تحقق له النصر، وتأكدت له طرق الحكم، وتمهدت له سبل الوصول إلى غايته، لدليل قاطع على ما كان يجيش به قلب مروان من عامل الخير، لقد كان هذا النصر جديرا أن ينسيه كل منغصات الحياة، وكان فوزه بالخلافة حقيقا بأن ينفي عنه كل ما يسبب له الندم، ويعكر له الصفو، فما بال مروان يندم وهو في هذه الظروف التي تزيل الهم عن النفس وتبعد الندم (٦) لطالبي الملك والزعامة والسلطان؟ !

وأغلب الظن أنه تورط في طلبه للخلافة، ودفعه إلى هذا المستنقع الآسن أناس لهم مصالح دنيوية لا تخفى، فشعر بوخز الضمير، وخاف على نفسه من **سوء الخاتمة** بعد أن ولغت يداه في دماء المسلمين من أجل الحطام الزائل.

ثالثا: ضم مصر إلى الدولة الأموية ومحاولة إعادة العراق والحجاز

مكن انتصار مروان في معركة مرج راهط لدولته في الشام فبسط نفوذه عليها، وكانت خطوته التالية هي المسير إلى مصر لاستردادها من عامل ابن

الزبير، وكانت هذه خطوة تدل على ذكاء مروان، فلمصر أهميتها الكبيرة، واستيلاؤه عليها يدعم موقفه في مواجهة ابن الزبير، ولم يكن استيلاؤه عليها صعبا، فمعظم المصريين هواهم مع بني أمية، وبيعتهم لابن الزبير لم تكن خالصة وإنما كانت بيعة ضرورة (٧) ، ودعا مروان شيعة بني أمية بمصر سرا (٨) وهذا ما يفسر سهولة استيلاء مروان على مصر، فقد سار إليها بجيشه، ومعه عمرو بن سعيد، وخالد بن يزيد بن معاوية،

---

(١) يوميات شامية، ص/١٤٢

وحسان بن مالك، ومالك بن هبيرة وابنه عبد العزيز (٩) ، ودارت بين مروان وابن جحدم عدة معارك انتصر فيها مروان وهرب ابن جحدم، ثم جاء إلى مروان طالبا العفو على أن يخرج إلى مكة،

فعفا عنه.

وكان نجاح مروان في استرداد مصر في جمادى الآخرة سنة ٦٥هـ (١٠) ، وأقام في مصر شهرين لترتيب الأوضاع والاطمئنان عليها، ولما عزم على العودة

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٤٧٤).

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٤٧٤).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٦٧٦).

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧٩).

(٦) الأمويون، محمد الوكيل (١/ ٣٠٧).

(٧) العالم الإسلامي في العصر الأموي ص١٤٤.

(٨) الولاة والقضاء للكندي ص٤١،٤٢.

(٩) المصدر نفسه ص٤٢.

(١٠) المصدر نفسه ص٤١، العالم الإسلامي في العصر الأموي ص١٤٤.." (١)

"يخشون من سابق قدر الله فيهم، حيث يخافون من **سوء الخاتمة،** فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن جل جلاله يقلبها كيف يشاء وقيل له كيف أصبحت؟ قال: قريبا أجلي بعيدا أملي، سيئا عملي (١). وهذا من عمق الإدراك وقوة تصور ما بعد الموت، وإذا كان محمد بن واسع الذي قيل عنه إنه أفضل أهل البصرة في زمنه يتهم نفسه بطول الأمل وسوء العمل فكيف بحال المقصرين (٢) _ أمثالي. وذات يوم قال له رجل لمحمد بن واسع: أوصيني، قال: أوصيك أن تكون ملكا في الدنيا والآخرة، قال: كيف؟ قال: ازهد في الدنيا (٣) وهذه وصية نافعة من طبيب ماهر في طب القلوب فهذا الرجل يطلب الوصية من محمد بن واسع فيوصيه بأعلى مرتبة تطمح لها النفوس عادة، وهي أن يكون ملكا في الدنيا والآخرة، فيتعجب الرجل لأنه لم يرد الدنيا حينما طلب منه الوصية، ثم كيف يجمع بين الأمرين، فيكون

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ١/٥٨١

ملكا في الدنيا ولآخرة، فلذلك استفهم منه استفهام تعجب، فكان جواب ابن واسع له: ازهد في الدنيا (٤) ، ومن كلامه التربوى العميق قوله: ما آسى على الدنيا إلا على ثلاث: صاحب إذا اعوججت قومني، وصلاة في جماعة يحمل عني سهوها وأفوز بفضلها، وقوت من الدنيا ليس لأحد منه فيه منة ولا لله على فيه تبعة (٥). فهذا العالم الرباني كان من ضمن جنود الفاتحين الذين نفع الله بهم شعوب المشرق، كأهل بخارى، وسمرقند وخراسان وغيرها.

٦ . المشرق بعد مقتل قتيبة بن مسلم:

لم تحدث فتوحات إسلامية فيما تبقى في عهد الدولة الأموية في هذه الجهات بعد فتوحات قتيبة، وتوقفه عن كاشغر على حدود الصين، ذلك لأن الظروف التي مرت بها الدولة الأموية منذ هذا التاريخ، وحتى سقوطها سنه ١٣٢هـ – لم تكن تسمح بذلك. فقد انشغلت بالثورات التي بدأت تهب في وجهها من جديد مثل ثورات الخوارج وثورة يزيد بن المهلب في عهد يزيد بن عبد الملك ١٠١ – ١٠٥ هـ كما أن الخلافات نشبت من جديد بين العرب في خراسان، وفي هذا الجو بدأت الدعوة السرية للرضا من آل محمد وهي الدعوة التي كان يوجهها العباسيون لمصلحتهم بكتمان ومقدرة رائعة، والتي نجحت في النهاية في الإطاحة بالدولة الأموية، كما أن التناحر والتنافس والنزاع قد احتدم بين أبناء البيت الأموي أنفسهم، وأصبحوا يقاتل بعضهم البعض، مما أضعف هيبة الدولة في عيون الناس، كما أن هذه البلاد نفسها التي فتحها قتيبة لم تكف عن التمرد والثورة ونقض العهود، فأصبح جهد الخلفاء والولاة منصبا – بعد مرحلة قتيبة – على إخضاع الثائرين والمتمردين وردهم إلى الطاعة

---

(١) المصدر نفسه (٦/ ١٢١).

(٢) التاريخ الإسلامي (١٩/ ٩٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ١٢١).

(٤) المصدر نفسه (٦/ ١٢٠).

(٥) التاريخ الإسلامي (١٩/ ٣٩٤).." [١]

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ٢/ ٥٠

"ثم قطعت بحر الروم إلى مملكة ابن عثمان فأقمت بها نحوا من عشر سنين، فترجمت للملك غياث الدين أبي الفتح محمد بن أبي يزيد بن مراد بن أدرخان بن عثمان رحمه الله تعالى كتاب جامع الحكايات ولا مع الروايات من الفارسي إلى التركي في نحو ست مجلدات، وتفسير الإمام أبي الليث السمرقندي، وتعبير القادري بالتركي نظما، ثم باشرت عنده الإنشاء، فكتبت عنه إلى ملوك الأطراف عربيا وفارسيا وتركيا، وقرأت المفتاح على مولانا برهان الدين حيدرة الخوافي.

فلما انتقل إلى رحمة الله تعالى ابن عثمان سنة أربع وعشرين وثمانمائة توجهت إلى الوطن القديم فدخلت حلب المحروسة يوم الجمعة عيد الأضحى سنة أربع وعشرين وابن قصروه بها عاص، فأقمت بها نحوا من أربعة أشهر، ثم توجهت إلى الشام فدخلتها في شهر ربيع الآخرة سنة خمس وعشرين وثمانمائة، فلم أتوجه إلى أحد، وكففت قدم السعي في ذيل القناعة، إلى أن قدم العلامة العارم العامل الزاهد العابد مولانا علا الدين أبو عبد الله مولانا محمد بن محمد بن محمد البخاري سقاه الله من رحيق رضوانه وأسكنه فردوس جنانه في أواخر المحرم سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة مع الركب الشامي من الحجاز الشريف فانقطعت إليه، ولازمت خدمته إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس ثامن شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ودفن بسطح المزة، ونسأل الله تعالى **حسن الخاتمة** بمنه ويمنه، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه أجمعين، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، كتب فقير عفو الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عربشاه الحنفي سامحه الله تعالى في غرة شهر الله المبارك ذي الحجة الحرام عام ثلاث وخمسين وثمانمائة بالقاهرة المنصورة جعلها الله دار الإسلام إلى يوم القيامة بخانقاه سعيد السعداء، أقامه الله تعالى في زمرة الشهداء، والحمد لوليه، والصلاة على نبيه، وآله الطاهرين وأصحابه والتابعين والسلام.

من نظمه أيضا معمى:

وجهك الزاهي كبدر ... فوق غصن طلعا

واسمك الزاكي كمشكا ... ة سناها لمعا

في بيوت أذن الل ... ه لها أن ترفعا

عكسها صحفه تلق ... الحسن فيه أجمعا

قلت وناهيك بها دلالة على علم كثير وفضل غزير، فلله دره، ما كان أحرصه على ملازمة الأفاضل لتحصيل الفضائل.

وتوفي يوم الاثنين خامس عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين وثمانمائة بالقاهرة، رحمه الله تعالى وعفا عنه، عن اثنتين وستين سنة وستة أشهر وعشرين يوما، رحمه الله تعالى.

علم الدين الأخنائي

...... – ٨٤٢هـ – ...... – ١٤٣٩م أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران، القاضي علم الدين بن القاضي تاج الدين بن علم الدين بن كمال الدين بن قاضي القضاة علم الدين الأخنائي المالكي، أحد نواب الحكم بالقاهرة.

كان فقيها فاضلا مستحضرا لقروع مذهبه، وهو من بيت علم ورئاسة وفضل، ناب في الحكم عدة سنين، وكان مشكور السيرة في أحكامه، وله ثروة وحشم، مات بعد مرض طويل بالقاهرة في يوم الأربعاء خامس عشرين شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، رحمه الله تعالى.

قاضي القضاة شهاب الدين بن المحمرة

٧٦٩ – ٨٤٠هـ – ١٣٦٨ – ١٤٣٦م أحمد بن محمد بن صلاح، قاضي القضاة شهاب الدين المعروف بابن المحمرة، قاضي قضاة الشافعية بدمشق، وشيخ الخانقاه الناصرية المعروف بدار سعيد السعداء، ثم شيخ الصلاحية بالقدس.." (١)

"ثم أمر بإنشاء مدرسته ببين القصرين، وكان المتحدث عمارتها الأمير جاركس الخليلي أمير آخور إلى أن استتم عملها في أوائل شهر جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة. فعندما تكاملت رسم السلطان بأن تنقل رمم أولاده ووالده آنص من موضع دفنهم إلى الفسقية بها؛ ففي رابع عشره يوم الخميس نقلت الرمم وقت العشاء والأمراء مشاة أمامهم حتى دفنوا بالقبة من المدرسة المذكورة، ثم نزل الأمير جاركس الخليلي من الغد، وهيأ الأطعمة والحلوى والفاكهة، ونزل الملك الظاهر برقوق من القلعة بأمرائه وعسكره إلى المدرسة المذكورة، ومدت الأسمطة بين يديه، وحضرت القضاة والأعيان، ثم مدت الحلاوات والفواكه وملئت البحرة من مشروب السكر المكرر، ثم خلع على العلامة علاء الدين السيرامي، وجعله شيخ الصوفية بها ومدرس السادة الحنفية، وفرش الأمير جاركس الخليلي السجادة بيده، ثم خلع السلطان على الأمير جاركس الخليلي، وعلى المعلم شهاب الدين أحمد بن الطولوني المهندس، وأركبا فرسين بأقمشة ذهب، وخلع على خمسة عشر من مماليك جاركس الخليلي، وأنعم على كل منهم بخمس مائة درهم، وتكلم العلاء السيرامي لما جلس على السجادة على قوله تعالى: " قل اللهم مالك الملك " الآية، ثم قرأ القارئ عشرا من

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ١/١١٢

القرآن، ودعا؛ وقام السلطان وركب إلى القلعة، فكان يوما مشهودا.
وفي هذا المعنى يقول شهاب الدين أحمد المصري الأديب.
قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة ... فاقت على إرم مع سرعة العمل
يكفي الخليلي أن جاءت لخدمته ... شم الجبال لها تسعى على عجل
وفي هذا المعنى أيضا يقول شرف الدين عيسى بن حجاج، وقد عمل فيها خيمة جديدة.
بنى الظاهر السلطان خانقة زهت ... على غيرها في الشام جمعا وفي مصر
كأن نحاة صيروا خيمة بها ... معلقة بالرفع والنصب والجر
قلت: ومما وقع من الغرائب في هذه السنين ما حكاه قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي في تاريخه، قال: وفي شعبان رأت امرأة النبي – صلى الله عليه وسلم – في منامها، وهو ينهاها عن لبس الشاش، وكانت غالب نساء مصر يلبسنه، فانتهت، وتابت عن لبسه، ثم عادت ولبسته؛ فرأت النبي – صلى الله عليه وسلم – مرة ثانية، وقال لها: ننهاك عن لبس الشاش، فلم تسمع؟ ما تموتين إلا نصرانية؛ فأخبرت أمها بذلك، فأخذتها، وأتت بها إلى الشيخ سراج الدين البلقيني، فحكت له ما جرى، فقال: قول النبي – صلى الله عليه وسلم – حكم، ولكن اذهبي إلى الكنيسة وصلي بها ركعتين، ثم أحضري حتى يتوسل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لعل ذلك ينفعها؛ فتوجهت إلى الكنيسة وصلت، ثم خرت ميتة؛ فتركتها والدتها ومضت؛ فأخذتها النصارى ودفنوها عندهم. انتهى كلام العيني.
قلت: نسأل الله **حسن الخاتمة** بمنه وكرمه. وقد رأيت أنا هذا الشاش المذكور، كان على صفة الحلى التي تحلى به العروس، بل كان أكثر تعبا في تعديله، انتهى.
ودام الملك الظاهر في ملكه إلى أن قدم عليه البريد في تاسع عشر شوال سنة تسع وثمانين وسبعمائة بأن الأمير تمربغا الأفضلي المدعو منطاش نائب ملطية خامر ووافقه القاضي برهان الدين أحمد صاحب سيواس، وقرأ محمد التركماني؛ فصار السلطان يأخذ في هذا الكلام ويعطي، ثم رسم لنواب البلاد الشامية بالتوجه لقتال منطاش.
واستمر إلى أن ورد عليه في أول سنة تسعين قاصد الأمير منطاش يخبر بأنه تحت طاعة السلطان، وأن ما قيل عنه كذب؛ فقدم في إثر القاصد البريد من حلب يخبر بأنه خارج عن الطاعة، وأن ما أرسله دهاء ومكر، وقصد بذلك المدافعة عنه حتى يدخل فصل الربيع وتذوب الثلوج؛ فعند ذلك سير السلطان الأمير ملكتمر الدوادار بعشرة آلاف دينار للأمراء المجردين؛ تقوية لهم، وليعرف حقيقة أمر منطاش.

ثم ورد الخبر بمخامرة ألطنبغا الجوباني نائب دمشق، وأنه ضرب طرنطاي حاجب حجاب دمشق، وأنه استكثر من استخدام المماليك.

وبلغ الجوباني هذا الخبر، فاستأذن في الحضور إلى القاهرة، فأذن له؛ فركب البريد حتى وصل سرياقوس ليلة الخميس سابع عشرين شهر رمضان من السنة؛ فبعث السلطان الأمير فارس الصرغتمشي أمير جندار، فقيده، وسيره إلى الإسكندرية.." (١)

"قلت: كان يستحق هذا وأكثر؛ لما احتوى عليه من العلم، والفضل، والعقل، والكرم، والسياسة؛ فهؤلاء كانوا هم الأمراء، لا مثل أمراء عصرنا، هذا البقر العاجزة. انتهى.

السلاري

بيبرس بن عبد الله السلاري، الأمير ركن الدين حاجب صفد.

كان أولا من أمراء الديار المصرية، ثم أخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى صفد بعد سنة سبع وعشرين وسبعمائة؛ فدام بصفد إلى أن مات الأمير أقطوان الجمالي الحاجب؛ فتولى بيبرس هذا حجوبية صفد من بعده، واستمر في الحجوبية إلى أن ولى الأمير أصلم السلاري نيابة صفد، نقل بيبرس هذا إلى دمشق على إمرة حتى لا يجتمعا؛ لأن كلا منهما كان سلاريا، ثم أعيد المذكور إلى حجوبية صفد، بعد مت الملك الناصر محمد؛ فدام بها إلى أن مات في أوائل شهر رجب الفرد سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

الأحمدي

بيبرس بن عبد الله الأحمدي، الأمير ركن الدين، أميرجندار.

كان أحد أعيان أمراء الدولة، وكان أمير جندار في الدولة الناصرية محمد ابن قلاوون والمشار إليه، ثم عظم حتى صار له كلمة في الدولة وأمر ونهي.

ولما مات الملك الناصر محمد بن قلاوون صار هو صاحب العقد والحل في المملكة، وهو الذي قوى عزم قوصون على تولية الملك المنصور أبي بكر بعد موت والده الملك الناصر محمد، وخالف بشتك، وقال له: هذا السلطان أستاذك قد ولى ولده، وما اختار الذي تختاره أنت، وأبوهما أخبر بهما.

ولما نسب إلى الملك المنصور الذي نسب من اللهو، واللعب، واستعمال الشراب، حضر بيبرس هذا إلى باب القصر، وقال: إيش هذا اللعب؟ فانفل الجماعة الذين كانوا عند السلطان. ثم رغب عن وظيفته، ووليها الأمير أرنبغا إلى أن ولى الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون السلطنة، ولاه نيابة صفد؛ فباشرها إلى

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٢٥٩/١

أن وقع له بها أمور. وخرج عن صفد بعد لبس آلة الحرب، وألبس مماليكه، ثم توجه إلى دمشق على تلك الهيئة؛ فأراد أمراء دمشق القبض عليه؛ فقال لهم: أنا جئت إليكم غير محارب؛ فإن جاء أمر من السلطان بإمساكي؛ فأمسكوني، وأنا ضيف عندكم. فأخرجوا الإقامة له، وبات تلك الليلة وأصبح والأمراء معه، فجاء البريد من الكرك بإمساكه؛ فكتب الأمراء إلى السلطان الملك الناصر أحمد يسألونه فيه، وقالوا له: هذا مملوكك ومملوك والدك، وركن من أركان دولتك، وما له ذنب، واليوم يعيش وغدا يموت، ونسأل صدقات السلطان العفو عنه، وأن يكون أميرا بدمشق، فرد الجواب بإمساكه، فردوا الجواب بالسؤال فيه، فأبى ذلك، وقال: أمسكوه، وانهبوه، وخذوا أمواله لكم؛ وابعثوا إلي برأسه؛ فأبوا ذلك، وخلعوا طاعته، وشقوا العصا عليه، فلم يكن إلا مدة يسيرة، وقدم عليهم الأمير طقتمر الصلاحي من الديار المصرية مخبرا بأن الأمراء المصريين خلعوا الملك الناصر أحمد المذكور، وولوا السلطان الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون؛ فاطمأنت نفوس الأمراء الشاميين.

ودام بيبرس هذا مقيما بدمشق – بقصر الأمير تنكز بالمزة – إلى أن ورد مرسوم الملك الصالح له بنيابة طرابلس؛ فتوجه إليها، وأقام بها نحو الشهرين، وطلب إلى الديار المصرية، وولى عوضه طرابلس الأمير أرنبغا أمير جندار، ثم جهز بيبرس هذا بحصار الملك الناصر أحمد بالكرك؛ فحصره مدة، وبالغ فلم ينل منه قصدا، وعاد إلى ديار مصر، وأقام بها إلى أن مات في أوائل سنة ست وأربعين وسبعمائة. وهو في عشر الثمانين.

وكان شكلا تاما، ذا شيبة منورة، ووجه أحمر. وكان يميل إلى دين وخير، ويحب الفقراء وأهل الصلاح، وكان مثريا، وله عدة أملاك ودور معروفة به. رحمه الله تعالى.

الموفقي

بيبرس بن عبد الله الموفقي المنصوري. الأمير ركن الدين.

أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون الصالحي الألفي، وترقى إلى أن صار من جملة الأمراء بالقاهرة، ثم وقع حوادث نقل فيها أميرا بدمشق؛ فدام بها إلى أن مات في يوم الأربعاء ثالث عشرين جمادى الآخرة سنة أربع وسبعمائة، وصلى عليه ودفن، ثم ظهر بعد ذلك أن مماليكه خنقوه وهو نائم سكران، نسأل الله حسن الخاتمة.

الأتابكي

بيبرس بن عبد الله الظاهري الأتابكي، أحد مماليك الملك الظاهر برقوق وابن أخته.

استقدمه الملك الظاهر برقوق صغيرا مع والدته وأقاربه في حدود سنين نيف وثمانين وسبعمائة؛ فربى في الحرم السلطاني إلى أن كبر أنعم عليه بإمرة عشرة.." (١)

"ما أومى إليه الذهبي من بعض الطعن فيه.ومما يحكى من مكاشفاته أنه سأله إنسان عن أخيه محمد، أين هو؟ فقال: في الدم،ثم طلبه السائل فوجده في المسجد، فتعجب من قول أخيه في الدم، وذكر له ذلك فقال: صدق، كنت أفكر في مسألة من مسائل المستحاضة – رحمة الله تعالى عليهما.وفيها توفي أبو بحر الأسدي. سفيان بن العاصي محدث قرطبة.وصاعد بن سيار أبو العلاء الهروي الدهان، قال السمعاني: كان حافظا متقنا، كتب الكتب الكثيرة، وجمع الأبواب، وعرف الرجال.وأبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المالكي، قاضي الجماعة بقرطبة ومفتيها. روى عن أبي علي الغساني وأبي مروان بن مروان وخلق، وكان من أوعية العلم، له تصانيف مشهورة، عاش سبعين سنة.وفيها توفي أبو عبدالله محمد بن بركات السعيدي المصري النحوي اللغوي، روى عن القضاعي وغيره، وسمع البخاري من كريمة بمكة.

وفيها توفي أبو الفتح أحمد بن علي المعروف بابن برهان الفقيه الشافعي، كان متبحرا في الأصول والفروع والمتفق والمختلف، وتفقه على أبي حامد الغزالي وأبي بكر الشاشي وأبي الحسن المعروف بالكيا، وصار ماهرا في فنونه، وصنف كتاب الوجيز في أصول الفقه، وولي التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد دون الشهر، وبرهان بفتح الباء الموحدة وسكون الراء.وفيها توفي الإمام أبو بكر بن الوليد القريشي الفهري الأندلسي، الفقيه المالكي الطرطوشي. بضم الطائين المهملتين بينهما راء ساكنة وبعدهما واو ساكنة ثم شين معجمة منسوبا إلى طرطوشة: مدينة في آخر بلاد المسلمين بالأندلس. صحب أبا الوليد الباجي، وأخد عنه مسائل الخلاف، وسمع منه وأجاز له، وقرأ الفرائض والحساب، وقرأ الأدب على أبي محمد بن حزم، ورحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة،. وحج ودخل بغداد والبصرة، وتفقه على أبي بكر محمد الشاشي المعروف بالمستظهري الفقيه الشافعي، وعلى أبي العباس أحمد الجرجاني، وسكن الشام ودرس بها، وكان إماما عالما عاملا زاهدا ورعا دينا متواضعا متقشفا متقللا من الدنيا، راضيا منها باليسير، على ما ذكره بعض المؤرخين. وكان يقول: إذا عرض لك أمران: أمر دنيا وأمر أخرى، فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا والأخرى، وكان كثيرا ما ينشد:

إن لله عبادا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

فكروافيها فلماعلموا ... أنها ليست لحي وطنا

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٣٠١/١

جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

قلت: هكذا قال بعضهم: فكروا فيها، وقال بعضهم: نظروا فيها، والكل معناه واحد، فإن المراد: ينظروا نظرة القلب، وله من التصانيف: سراج الملوك، وغيره وله طريقة في الخلاف، ونسب إليه أشعار من ذلك:

إذا كنت في حاجة مرسلا ... وأنت بإنجازها معزم

فأرسل بأكمه خلانه ... به صمم أعطش أبكم

ودع عنك كل رسول سوى ... رسول يقال له الدرهم

وحكي أنه اجتمع بالإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في بلاد الشام، وقصد مناظرته، فقال له أبو حامد: هذا شيء تركناه بصبية بالعراق، يعني: ترك المغالبة بالعلم والمفاخرة فيه لصبية - جميع صبي - كأنه شبه من يطلب هذا بالصبيان لغلبة الهوى عليهم،نسأل الله التوفيق لصالح الأعمال **وحسن الخاتمة** عند منتهى الآجال.

؟سنة إحدى وعشرين وخمس مائة." (١)

"وفي السنة المذكورة توفي الإمام العلامة البارع الفقيه، المفتي الشافعي الأصولي النحوي، الخطيب المصقع الوحيد الفريد، الصوفي المتكلم، لسان الحقيقة، ودليل الطريقة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن اللبان المصري المنزل ذو الإفادة الدمشقي المنشأ والولادة، ولد سنة تسع وسبعين وست مائة، وعاش سبعين سنة.

وأخذ الفقه عن جمال الدين السريشي، ونجم الدين ابن الرفعة، وكمال الدين ابن الزملكاني، وصدر الدين ابن الوكيل وأذنوا له جميعا بالفتيا، وأخذ العربية عن شمس الدين أبي الفتح، وقرأ الشاطبية في القراءات على والده شهاب الدين، وسمع الحديث عن جماعة منهم ناصر الدين ابن الفراس، والخطيب شرف الدين الفزاري وغيرهما، وصحب الشيخ الكبير الولي الشهير أبا الدر ياقوت الشاذلي، وبورك في صحبته، وفتح عليه في كلامه، وسرعة عبارته.

وله مصنفات جليلة منها كتاب إزالة الشبهات عن الآيات و ا لأحاديث المتشابهات. ومنها ترتيب الأم للإمام الشافعي على مسائل الروضة واختصرها في أربع مجلدات، ومنها مختصر الروضة والرافعي واستدرك عليهما.

ومنها ألفية في النحو ضمنها كثيرا من فوائد التسهيل والمعرب. قبل لم يصنف مثلها في العربية، ووضع لها

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٢/٢

شرحا بين فيه مجملها، وفتح مقفلها، وله ديوان خطب جمعة وفي كل جمعة يضيف خطبه يخطب بها، وله في علم الحديث مصنف مفيد جمع فيه كتب ابن الصلاح والنووي، وتوفي وهو يصنف تفسير القرآن جاءت سورة البقرة في مجلدين منه قيل: لو كمل لم يوجد في التفاسير مثله لأنه كان رحمه الله نهاية في علوم القرآن، وفي الأصلين والجدل، وإمامته في الفقه مشهورة، وبراعته في العلوم مذكورة، وله نظم رائق، وشعر فائق.

سنة خمسين وسبع مائة

فيها توفي الإمام العلامة، المدرس المفتي نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف الأصفهاني الشافعي نزيل الحرم الشريف مولده سنة سبع وسبعين وست ماىٔة، وفيها توفي آخر أيام التشريق في منى، ودفن بالمعلى سمع الحديث على جماعة، وتفقه وقرأ الأصول والعربية والفرائض والجبر والمقابلة، وقرأ القراءات السبعة، وله مصنفات منها مختصر الروضة في مجلدين اشتهر كثير من البلاد، وكان رحمه الله حسن الأخلاق، سليم الباطن، مشهورا بالصلاح، وكثرة المحاسن، حسن الاعتقاد رآني في وقت، وقال لي: كنت إذا رأيتك في المنام في بلادي، وأنا مريض تعافيت، وقال لي لما وقف على بعض كتبي هذا الكتاب ما يجيء تصنيفه إلا بعلوم كثيرة، ثم قال لي: ينبغي لك أن تصنف كتابا في الرد على المبتدعين، فلما وضعت كتابي الموسوم بمرهم العلل المعضلة في الرد على فئة المعتزلة بالبراهين القاطعة المفصلة، وذكر عقيدة أهل السنة المفصلة والفرق الاثنتين والسبعين، والمخالفين المبتدعين ذكرت بعد ذلك أنه كان رحمه الله قد حرضني على ذلك، نسأل الله تعالى **حسن الخاتمة**، والسلامة من المهالك.

ولما وضعت كتاب نشر المحاسن في العقيدة وغيرها، ولقبته بكفاية المعتقد ونكاية المنتقد في فضل سلوك الطريقة، والجمع بين الشريعة والحقيقة، ووقف عليه، وطالعه الفقيه الإمام مفتي الأنام البارع العلامة فخر الدين المصري، قال لي: لقد انتفعت بهذا الكتاب بعد أن سمع على أشياء رحمه الله تعالى من كتاب الإرشاد، نسأل الله تعالى الكريم التوفيق، وسلوك طريق الرشاد، والعفو والعافية، والفوز يوم المعاد، مع سائر الأحباب والمحبين آمين.

تنبيه

اعلم أيها الواقف على هذا الكتاب أني إنما لم أذكر تاريخ موت أحد من أعيان متأخري شيوخ اليمن الصالحين، وعلمائه العاملين مع كثرتهم سوى ستة مضى ذكرهم إلا لأني لم أظفر بتاريخ يكون لهم جامعا لا واقفا عليه ولا سامعا.

وأما المتقدمون منهم فقد سمعت بتاريخ الإمام ابن سمرة اليمني، ولم أزل حريصا على روايته، حتى وقفت عليه، فوجدته قد تتبعهم منذ زمن الصحابة إلى زمانه، فذكر من هاجر من أعيان أهل اليمن، ومن روى منهم الحديث، ومن بعثه النبي صلى الله عليه واله وسلم إلى اليمن من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، إما قاضيا وإما عاملا، وقد تعرضت لذكر شيء من ذلك فيما مضى.." (١)

"وبالصعيد بقايا سحر قديم، حكى الأمير طقطبا والي قوص في أيام الناصر محمد بن قلاون قال: أمسكت امرأة ساحرة، فقلت لها: أريد أن أبصر شيئا من سحرك. فقالت: أجود عملي أن أسحر العقرب على اسم شخص بعينه، فلا بد أن تقع عليه ويصيبه سمها، فتقتله. فقلت: أريني هذا واقصديني بسحرك. فأخذت عقربا وعملت ما أحبت، ثم أرسلت العقرب فتبعني وأنا أتنحى عنه، وهو يقصدني فجلست على تخت وضعته على بركة ماء، فأقبل العقرب إلى ذلك الماء، وأخذ في التوصل إلي، فلم يطق ذلك، فمر إلى الحائط وصعد فيه، وأنا أشاهده، حتى وصل إلى السقف ومر فيه إلى أن صار فوقي وألقى نفسه صوبي، وسعى نحوي حتى قرب مني، فضربته فقتلته، ثم قتلت الساحرة أيضا.

وأرض الصعيد كثيرة المواشي من الضأن وغير ذلك لكثرة نتاجه، حتى أن الرأس الواحد من نعاج الضأن، يتولد عنه في عشر سنين، ألف وأربع وعشرون رأسا وذلك بتقدير السلامة، وأن تلد كلها إناثا، وتلد مرة واحدة في كل سنة، ولا تلد في كل بطن غير رأس واحد، وإلا فإن ولدت في السنة مرتين، وكان في كل بطن رأسان تضاعف العدد، وتأمل حساب ما قلناه تجده صحيحا، وقد شوهد كثيرا أن من أغنام الصعيد، ما يلد في السنة ثلاث مرات ويلد في البطن الواحد، ثلاثة أرؤس.

وكانت الكثرة والغلبة ببلاد الصعيد لست قبائل، وهم: بنو هلال، وبلى، وجهينة، وقريش، ولواته، وبنو كلاب، وكان ينزل مع هؤلاء عدة قبائل سواهم من الأنصار، ومن مزينة، وبني دراج وبني كلاب وثعلبة وجذام.

وبلغ من عمارة الصعيد، أن الرجل في أيام الناصر، محمد بن قلاون، وما بعدها كان يمر من القاهرة إلى أسوان، فلا يحتاج إلى نفقة، بل يجد بكل بلد وناحية، عدة دور للضيافة، إذا دخل دارا منها، أحضر لدابته علفها، وجيء له بما يليق به من الأكل ونحوه، وآل أمره الآن إلى أن لا يجد الرجل أحدا فيما بين القاهرة وأسوان يضيفه لضيق الحال، ثم تلاشى أمر بلاد الصعيد منذ سنة الشراقي في أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون سنة ست وسبعين وسبعمائة، وتزايد تلاشيه في أيام الظاهر برقوق لجور الولاة، ولم يزل في إثبار، إلى أن كانت سنة ست وثمانمائة، وشرقت مصر بقصور مد النيل، فدهي أهل الصعيد

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٢/٢٧١

من ذلك بما لا يوصف، حتى أنه مات من مدينة قوص سبعة عشر ألف إنسان، وذلك كله سوى الطرحى على الطرقات، ومن لا يعرف من الغرباء ونحوهم، ثم دمر في أيام المؤيد شيخ، فلم يبق منه إلا رسوم تبذل الولاة الجهد في محوها، نسأل الله **حسن الخاتمة**.

ذكر الجنادل ولمع من أخبار أرض النوبة

الجندل: ما يقل الرجل من الحجارة، وقيل: هو الحجر كله، الواحدة، جندلة، والجندل: الجنادل.

قال سيبويه: وقالوا جندل يعنون: الجنادل، وصرفوه لنقصان البناء عما لا ينصرف، وأرض جندلة، ذات جندل وقيل: الجندل، المكان الغليظ فيه حجارة، ومكان جندل، كثير الجندل.

قال عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني في كتاب أخبار النوبة: والمقرة وعلوة والبجة والنيل، وأول بلد النوبة، قرية تعرف بالقصر من أسوان إليها خمسة أميال، وآخر حصن للمسلمين، جزيرة تعرف ببلاق، بينها وبين قرية النوبة ميل، وهو ساحل بلد النوبة، ومن أسوان إلى هنا الموضع، جنادل كثيرة الحجر لا تسلكها المراكب إلا بالحيلة، ودلالة من يخبر بذلك في الصيادين الذين يصيدون هناك، لأن هذه الجنادل متقطعة وشعاب معترضة في النيل، ولانصبابه فيها خرير عظيم ودوي يسمع من بعد، وبهذه القرية مسلحة، وباب إلى بلد النوبة، ومنها إلى الجنادل الأولى من بلد النوبة، عشر مراحل، وهي الناحية التي يتصرف فيها المسلمون، ولهم فيما قرب أملاك ويتجرون في أعلاها، وفيها جماعة من المسلمين قاطنون، لا يفصح أحدهم بالعربية، وشجرها كثير، وهي ناحية ضيقة شظفة كثيرة الجبال، وما تخرج عن النيل، وقراها متسطرة على شاطئه وشجرها النخل و ا لمقل، وأعلاها أوسع من أدناها، وفي أعلاها الكروم، والنيل لا يروي مزارعها لارتفاع أرضها، وزرعها، الفدان والفدانان والثلاثة على أعناق البقر بالدواليب، والقمح عندهم قليل والشعير أكثر والسلت، ويعتقبون الأرض لضيقها، فيزرعونها في الصيف بعد تطريتها بالزبل والتراب. الدخن والذرة والجاورس والسمسم واللوبيا.." (١)

"نسأل **حسن الخاتمة** و العفو و العافية في الدين و الآخرة، آمين. و قد بلغت مؤلفاتي الآن عشرة مؤلفات، و إن من الله علي بطول العمر خدمت صحيح البخاري بتعليق شرح عليه، و أكملت محاكمتي بين الدماميني و الشمني «٢» الواقعين على مغني اللبيب «٣».

النفحة المسكية فى الرحلة المكية، ص: ٨٨

[الرحلة]

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/ ٢٣٨

(٣٤ أ) و أشرع في المقصود فأقول:

كان استئذاننا لأجل الحج من الوزير المحترم، و الدستور المكرم، حضرة أحمد باشا «١»- أدام الله نصره- يوم السبت الثامن عشر من ربيع الأول عام سبع و خمسين و مئة و ألف من الهجرة «٢». و إنما احتجت إلى الاستئذان لأن العادة في بغداد إذا كان لأحد جهة تدريس أو خطابة أو إمامة لا بد من أن يستأذن من والي بغداد، و قدمت في صدر الاستئذان قصيدة دالية «٣»:

كم للهوى من رياق فوق أجياد شوقا إلى ساكني أكناف أجياد

و للجفون انهمال لا ي شابهه «٤» من السواري هتون رائح غادي

صب يبيت على فرش الضنا و له قلب ثوى بين أعواد و عواد

يهيم وجدا إذا سار الحجيج ضحى و تستحث قواه نغمة الحادي

تزيده شجنا «٥» و رقاء إن صدحت و ذكرت «٦» نغمات الشادن الشادي

إذا تذكرت و الذكرى تهيج جوى مهابط الوحي شبت نار إنكادي

(٣٤ ب)

من لي بكو ماء مرسال تبلغني أرض الحجاز لتطفي نار أكبادي

النفحة المسكية فى الرحلة المكية، ص: ٨٩

موافيا مكة الغراء ذا جذل بشراي إذ ذاك في عرس و أعياد

متى أراني للأكوار ممتطيا أفري فيافي أغوار و أنجاد

و كلما نهضت آمال مكتئب فالعجز يقعدها قهرا بأقياد

و كيف يبرد قلبا بات مضطرما و جذوة في حشاه ذات إيقاد

و كيف يهدأ طرف ظل منسجما و القلب ظمآن وجد شيق صادي

(٣٥ أ)

يئست لولا رجائي بالذي سطعت به مآثر آباء و أجداد

هو الوزير الذي عمت مواهبه داني الحواضر و القاصي من البادي

هو الغياث إذا ما أزمة فدحت و هو المرام لقصاد و وراد

كهف العفاة ملاذ المستجير به غوث الصريخ به غيث لمرتاد." (١)

" يدرس ويفتي في مدينة تعز إلى قيام دولة مولانا صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب فبعد قيام دولة مولانا صلاح الدين ترك التدريس ونشر العلم لاشتغاله بالوزارة مع السلطان المذكور إلى أن توفي وهو على الحال المذكور سنة ثمان وتسعين وثمانمئة نسأل الله **حسن الخاتمة**

ومن المتوفين قديما بمدينة تعز من الذين لم يذكرهم المؤرخون جماعة منهم الشيخ الصالح رضي الدين أبو بكر بن أحمد البزاز الشهير بابن قرينع اشتهرت عنه فضائل وبراهين بعد وفاته وفي الحياة وقبره بالأجيناد معروف يزار ويتبرك به

ومنهم الشيخ رضي الدين أبو بكر بن أحمد الجبرتي اشتهر بصاحب ذي النون وظهرت له فضائل وبراهين ولم يزل أهل تعز يقصدون قبره للتبرك به وهو بالأجيناد رحمه الله ونفع به

ومنهم الإمام العلامة عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الأحمر الخزرجي كان فقيها عالما مدرسا مفتيا محققا مدققا توفي بتعز ودفن بالأجيناد رحمه الله ونفع به

وأما المتوفين بجبل صبر وحوالي مدينة تعز وذخر وما والى ذلك فمنهم المشايخ الصلحاء بنو الرميمة قد ذكر الجندي أكثرهم واقدمهم وهو الشيخ علي الرميمة وقال إنه تلميذ الشيخ مدافع وحقق له وللشيخ مدافع كرامات

وأما ذرية الشيخ علي فمنهم الشيخ الصالح إبراهيم بن مسعود أخبرت أنه كان

". (٢)

" عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته واولاده وحفظ ذلك او كتبه ويستخبر من هذا عن ذاك بلطف ورقة فاذا ورد عليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده فيقول له فلان من بلدة كذا فلا يخلو ما أن يكون عرفه من غيره سابقا او عرف جاره او قريبه فيقول له فلان طبيب فيقول نعم سيدي ثم يسأله عن اخيه فلان وولده فلان وزوجته وابنته ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها فيقوم ذلك المغربي ويقعد ويقبل الارض تارة ويسجد تارة ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح فتراهم في ايام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على

---

(١) النفحة المسكية فى الرحلة المكية، ص/٧٦

(٢) تاريخ البريهي، ص/٢٥٠

بابه من الصباح الى الغروب وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئا ما فضة او تمرا او شمعا على قدر فقره وغناه وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ويلتمسون منه الاجوبة فمن ظفر منم بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة فكأنما ظفر **بحسن الخاتمة** وحفظها معه كالتميمة ويرى انه قد قبل حجه و ا لا فقد باء بالخيبة والندامة وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ودامت حسرته الى يوم ميعاده وقس على ذلك ما لم يقل وشرع في شرح كتاب احياء العلوم للغزالي وبيض منه اجزاء وأرسل منها الى الروم والشام والغرب ليشتهر مثل شرح القاموس ويرغب في طلبه واستنساخه وماتت زوجته في سنة ست وتسعين فحزن عليها حزنا كثيرا ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية وعمل على قبرها مقاما ومقصورا وستورا وفرشا وقناديل ولازم قبرها اياما كثيرة وتجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون ويعمل لهم الاطعمة والثريد والكسكسو والقهوة والشربات واشترى مكانا بجوار المقبرة المذكورة وعمره بيتا صغيرا وفرشه واسكن به امها ويبيت به احيانا وقصده الشعراء بالمراثي فيقبل منهم ذلك ويجيزهم عليه

ثم تزوج بعدها بأخرى وهي التي مات عنها واحرزت ما جمعه من مال وغيره ولما بلغ مالا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام وكثرت عليه الوفود من سائر الاقطار واقبلت عليه ." (١)

"عكس، لكن، توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وكثير منهم إذا عرف التوحيد، إنما يعرفه بأنه توحيد الربوبية، كما ذكرت عن الشيخ محمد عبده وسائر من تأثر بالأشاعرة الذين اشتهر عنهم هذا المنهج في تعريفهم التوحيد، ومعلوم أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي عن الإتيان بلازمه، وهو توحيد الألوهية، وكم من يقر بالربوبية وينكر توحيد الإلهية لله

ولعل في ذلك كفاية في بيان عدم صحة الرأي القائل بأن مثل هذه الدعوات والحركات متأثرة بالشيخ ودعوته وحركته وحركة أنصاره من أجل نصرة دين الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - والله أعلم.

وبهذا نأتي على ختام هذا الفصل، وبختامه أختم الباب الثاني في أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في العالم الإسلامي، ونأتي إلى خاتمة البحث كله، سائلين الله **حسن الخاتمة**.

الخاتمة

وتشتمل على خلاصة البحث ونتيجته

نحمد الله تبارك وتعالى ونشكره على م ا يسر من هذا البحث، وقد أتيت فيه على مقدمة، بدأتها بالثناء

---

(١) عجائب الآثار، ١٠٩/٢

على الله بما هو أهله، وثنيت بالصلاة والسلام على رسوله – صلى الله عليه وسلم – وأشرت إلى خير الحديث وخير الهدي، وحالة الناس حين أرسل الله خاتم الرسل – صلى الله عليه وسلم – وظهور دين الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – على الدين كله، ثم حدوث ما أخبر به الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الفتن في الأمة الإسلامية، وبقاء طائفة منها على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة، لتقوم بهم الحجة الرسالية، ومن هذه الطائفة المجددون في الإسلام، ومن هؤلاء المجددين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن ناصره من آل سعود.

وإنني اخترت عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي موضوعا لرسالة الدكتوراه؛ لأهمية هذا الموضوع، ولأسباب ركزتها في ثلاثة، خلاصتها: أنها عقيدة نعتمدها في ديننا ودنيانا، وهي أساس وحدة المملكة العربية السعودية، فأردت." (١)

"وانحط قدره عنده من ذلك الوقت وذلك بعد موت والده في سنة سبع وثمانين ومائة وألف. وأملق حاله وتكدر باله، ثم سافر إلى دمياط وأقام بها مدة يفتي على مذهب الحنفية، وراج أمره هناك لشغور الثغر عن مثله، ثم قدم مصر لأمر عرض له فأقام بمصر وأراد بيع داره ليصرف ثمنها في شؤونه فلم يجد من يشتريها بالثمن المرغوب. وكان إنسانا حسنا يذاكر بفوائد مع حسن المعرفة وصحة الذهن، وربما تعلق ببعض فنون غريبة، ولذا قل حظه وأنشدني لنفسه أبياتا مدح بها قاضي الثغر واسمه محمد نصري وبيت تاريخها هذا:

رجاه مذهب النعمان أرخ ... بشرع محمد نصري مقدم

وهما تاريخان كما ترى، توفي رحمه الله سنة سبع ومائتين وألف وحيدا في داره وهو جالس من غير سابقة مرض ولا إشارة نسأل الله **حسن الخاتمة**.

السيد عبد الرحمن بن بكار الصفاقسي نزيل مصر

العمدة الجليل والنبيه النبيل، العلامة الفقيه الشريف والفهامة اللطيف، قرأ في بلاده على علماء عصره ودخل كرسي مملكة الروم فأكرم وانسلخ عن هيئة المغاربة، ولبس ملابس المشارقة مثل التاج والفراجة وغيرها، وأثرى وقدم إلى مصر وألقى دروسا بالمشهد الحسيني، واتحد مع شيخ السادات الوفائية السيد أبي الأنوار فراج حاله، وزادت شوكته على أبناء جنسه وتردد إلى الأمراء وأشير إليه، ودرس كتاب الغرر في مذهب السادة الحنفية، وتولى مشيخة المغاربة بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن البناني، وسار فيها أحسن سيرة مع

---

(١) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، ص/٣٨٦

شهامة وصرامة وفصاحة لفظ في الإلقاء. وكان جيد البحث مليح المفاكهة والمحادثة واستحضار اللطائف والمناسبات، ليس فيه غلظة ولا فظاظة، ويميل بطبعه إلى الحظ والخلاعة وسماع الألحان والآلات المطربة. توفي رحمه الله سنة تسع ومائتين وألف كما نقله الجبرتي.

الشيخ عبد الرحمن الأجهوري النحراوي الشهير بمقري الشيخ عطية الشافعي المصري

قال الجبرتي: الإمام العلامة، المفيد الفهامة، عمدة المحققين ونخبة المدققين، الصالح الورع المهذب. خدم العلم وحضر فضلاء الوقت ودرس ومهر في المعقول وبرع في المنقول، ولازم الشيخ عطية الأجهوري ملازمة كلية، وأعاد الدروس بين يديه، واشتهر بالمقري وبالأجهوري لشدة نسبته إلى الشيخ المذكور، ودرس بالجامع الأزهر وأفاد الطلبة، وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ الحفني ولقنه الأذكار وألبسه الخرقة والتاج وأجازه بالتلقين والتسليك. وكان يجيد حفظ القرآن بالقراءات، ويلازم المبيت في ضريح الإمام الشافعي في كل ليلة سبت، يقرأ مع الحفظة بطول الليل، وكان إنسانا حسنا متواضعا لا يرى لنفسه مقاما، يحمل طبق الخبز على رأسه ويذهب به إلى الفران ويعود به إلى عياله، فإن اتفق أن أحدا رآه ممن يعرفه حمله عنه وإلا ذهب به، ووقف بين يدي الفران حتى يأتيه الدور ويخبزه له. وكان كريم النفس جدا يجود وما لديه قليل. ولم يزل مقبلا على شأنه وطريقته حتى نزلت به البرودة وبطل شقه، واستمر على ذلك نحو السنة، وتوفي إلى رحمة الله في السنة العاشرة بعد المائتين والألف.

الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي

العالم المشهور، والهمام الذي فضله مأثور. ولد في بلاد نجد، ثم أن محمد علي باشا وزير مصر لما أمره المرحوم السلطان محمود بمقاتلة الوهابيين أرسل ولده إبراهيم باشا ومعه معسكر عظيم من الأكراد والأرناؤوط وعرب مصر أغواره لمحاربة عبد الله بن سعود أمير نجد، فقاتلهم وقتل ونهب وحرق وخرب، وأسر عبد الله بن سعود وأرسله إلى مصر، فبعثه والي مصر إلى السلطان محمود فصلبه. وأما باقي عائلة أمراء الوهابيين المعبر عنهم بآل المقرن وباقي بيت الشيخ محمد بن عبد الوهاب المعبر عنهم ببيت الشيخ فإنه نقلهم جميعا إلى مصر وأسكنهم هناك، ورتب لهم معاشات تكفيهم، وكان من جملتهم المترجم المرقوم، فالتفت إلى الطلب والتعلم والتعليم والاستفادة والإفادة إلى أن صار في الأزهر شيخ رواق الحنابلة، وكان ظاهر التقوى والصلاح والزهادة والعبادة، ولم يزل على حالته المرضية وطاعته وعبادته وإفادته السنية، إلى أن

اخترمته المنية سنة أربع وسبعين ومائتين وألف رحمه الله تعالى.

الشيخ عبد الرحمن الكردي النقشبندي الخالدي." (١)

"يقول الحقير إني كنت مشاهدا وحاضرا في غالب هذه المجالس والدروس، ومجالس أخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة، وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق، وأماكن أخر كنا نذهب إليها للنزهة مثل غيض المعدية والأزبكية وغير ذلك، فكنا نشتغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها، وهو كثير بثبوت المسموعات على النسخ، وفي أوراق كثيرة موجودة إلى الآن. وانجذب إليه بعض الأمراء الكبار مثل مصطفى بك الاسكندراني وأيوب بك الدفتردار، فسعوا إلى منزله، وترددوا لحضور مجالس دروسه، وواصلوه بالهدايا الجزيلة والغلال. واشترى الجواري وعمل الأطعمة للضيوف، وأكرم الواردين والوافدين من الآفاق البعيدة. وحضر عبد الرزاق أفندي الرئيس من الديار الرومية إلى مصر،وسمع به فحضر إليه والتمس منه الإجازة وقراءة مقامات الحريري، فكان يذهب إليه بعد فراغه من درس شيخون، ويطالع له ما تيسر من المقامات ويفهمه معانيها اللغوية. ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده وأصعده إليه وخلع عليه فروة سمور، ورتب له تعيينا من كلاره لكفايته من لحم وسمن وأرز وحطب وخبز، ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة وغلالا من الأنبار، وأنهى إلى الدولة شأنه، فأتاه مرسوم بمرتب جزيل بالضربخانة، وقدره مائة وخمسون نصفا فضة في كل يوم، وذلك في سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، فعظم أمره وانتشر صيته. وطلب إلى الدولة في سنة أربع وتسعين، فأجاب ثم امتنع، وترادفت عليه المراسلات من أكابر الدولة، وواصلوه بالهدايا والتحف والأمتعة الثمينة في صناديق. وطار ذكره في الآفاق، وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق، وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة، وكثرت عليه الوفود من كل ناحية، وترادفت عليه منهم الهدايا والصلات والأشياء الغريبة، وأرسلوا إليه من أغنام فزان وهي عجيبة الخلقة عظيمة الجثة يشبه رأسها رأس العجل، وأرسلها إلى أولاد السلطان عبد الحميد، فوقع لهم موقعا، وكذلك أرسلوا له من طيور الببغا، والجواري والعبيد والطواشية، فكان يرسل من طرائف الناحية إلى الناحية المستغرب ذلك عندها، ويأتيه في مقابلتها أضعافها، وأتاه من طرائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة، وماء الكاري والمربيات والعود والعنبر والعطر شاه بالأرطال، وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة واعتقاد زائد، وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى، حتى أن أحدهم إذا ورد إلى مصر حاجا ولم يزره ولم يصله بشيء لا يكون حجه كاملا، فإذا ورد عليه أحدهم

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١/٣٧٠

سأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده، وحفظ ذلك أو كتبه، ويستخبر من هذا عن ذاك بلطف ورقة، فإذا ورد عليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده، فيقول له فلان من بلدة كذا، فلا يخلو إما أن يكون عرفه من غيره سابقا أن عرف جاره أو قريبه، فيقول له فلان طيب فيقول نعم سيدي، ثم يسأله عن أخيه فلان وولده فلان وزوجته وابنته ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها، فيقوم ذلك المغربي ويقعد ويقبل الأرض تارة ويسجد تارة، ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح، فتراهم في أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح إلى الغروب، وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئا ما، أو تمرا أو شمعا على قدر فقره وغناه، وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها، ويلتمسون منه الأجوبة، فمن ظفر منهم بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة فكأنما ظفر **بحسن الخاتمة**، وحفظها معه كالتميمة، ويرى أنه قد قبل حجه، وإلا فقد باء بالخيبة والندامة، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده، ودامت حسرته إلى يوم ميعاده، وقس على ذلك ما لم يقل.

وشرع في شرح كتاب إحياء العلوم للغزالي وبيض منه أجزاء، وأرسل منها إلى الروم والشام والغرب ليشتهر مثل شرح القاموس، ويرغب في طلبه واستنساخه.." (١)

"وفي يوم الخميس سابع عشره استر الأمين عبد الرحمن ابن الدبري في نظر الحرمين القدس والخليل بمال وعد به بعد وفاة الغرس خليل السخاوي وفي يوم الاثنين ثامن عشرية استقر القاضي عز الدن ابن البساطي المالكي في قضاء دمشق عوضا عن يحيى المغربي بحكم عزله.

جمادى الآخرة أوله الأربعاء في يوم السبت رابعه عزل العز المذكور عن قضاء دمشق. وفي يوم الاثنين سابع عشرية وصل إلى القاهرة قاصد القآن معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك وقاصد جهان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز.

رجب أوله الجمعة شعبان ورمضان لم يقع فيهما شيء أوله الأربعاء وفي يوم الأربعاء تاسع عشرية خلع على البدر محمد بن فتح الدين صدقة المحرقي باستقراره في نظر الجوالي عوضا عن والده بحكم ضعفه وكبر سنة وكذا استقر في سائر وظائف والده.

سنة ثمان وأربعين وثمانمائة

استهلت والولاة على حالهم والأسعار متوسطة وسعر الدينار الذهب مائتا درهم وخمسة وثمانون درهما في الصرف وتسعون في المعاملة والأفرنتي بأنقص من الأشرفي خمسة دراهم في الجالبين والمثقال الذهب

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١٤٧/٢

بثلاثمائة وخمسة وثلاثين والدرهم من الفضة بأربعة وعشرين من الفلوس والدرهم من الفلوس بثمانية أعداد مخلوطة بالنحاس وغيره وكان سعر القمح في وسط السنة الماضية بثلاثمائة الإردب وهو الآن بمائتين فما دونها وبقية الأسعار رخيصة غير أن الطاعون كان ابتدأ في أوائل ذي الحجة من السنة الخالية وفشا الآن في أوائل هذه فنسأل الله **حسن الخاتمة**.

المحرم أوله الاثنين فيه فشا الطاعون وصار يزيد في يوم وينقص في أخر إلى أن أخذ في التزايد وبلغ من يموت في كل يوم اكثر من ثلاثمائة.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرة ركب المحتسب الشيخ على الخراساني فكبس المعاصر بساحل بولاق فتكاثرت العبيد عليه ورجموه وكادوا يقتلونه عدما ولولا إنه التجأ إلى بيت الكمال ابن البارزي كاتب السر هلك صفر أوله الأربعاء وفي يوم الخميس ثانيه استقر ابن ظهير ناظر الأوقاف عوضا عن علاء الدين علي بن اقبرس بحكم عزله.

ربيع الأول أوله الجمعة فيه نفى السلطان يونس الأمير أخوه وفي يوم الأحد ثالثه ضرب السلطان المحب أبا البركات الهيتمي أحد النواب وحبسه بالمقشرة لا لأمر اقتضى ذلك ولما بلغ ذلك شيخ الإسلام ابن حجر عزل نفسه ثم أعاده السلطان بعد ذلك وأطلق أبا البركات المذكور وفي يوم الست تاسعه نفى السلطان سودون مملوك طوغان أمير آخور كان إلى حلب، ولو أبعد به كان أحسن.

وفي هذه الأيام أمر السلطان بنفي الشيخ شمس الدين محمد ابن العطار الحنفي أحد الصوفية بخانقاه شيخو إلى ملطية وخرج إلى أن وصل إلى خالقاه سرياقوس ثم تكلم فيه فعاد إلى القاهرة على حاله وكان السبب في ذلك شمس الدين الكاتب فأنه كان واسطة سوء عند السلطان وأما الشمس ابن العطار فأنه من خيار الناس من أعيان فقهاء الحنفية.

وفيه أيضا أمر السلطان الأمير شادبك الجكمي وطوخ من تمراز المدعو بيني بازق ومعناه غليظ الرقبة وكلاهما أمير مائة ومقدم ألف بمصر بالسفر إلى بلاد الصعيد دفع فساد العربان وكان قبل تاريخه أرسل ايتمش من ازوباي المؤيدي استادار الصحبة ومعه خمسون سنة مملوكا من المماليك السلطانية إلى الصعيد أيضا فضعف ايتمش بمن معه عن قتالهم وهم عرب الكنوز.

وفي يوم السبت خامس عشرة استقر سودون البردبكي أمير جاندار واحد الحجاب في نيابه ثغر دمياط وخلع عليه ف يوم الاثنين عوضا عن السيفي طوغان السيفي أقبردي المنقار بحكم عزله وتوجهه إلى البلاد الشامية على إمرة.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرة استقر دولات باي الدوادار الثاني ناظر ما الجامع الأزهر ووفي النيل فنزل المقام الفخري عثمان ابن السلطان من القلعة وبين يديه أعيان الدولة من الأمراء وغيرهم حتى عدي النيل وخلق المقياس وعاد ففتح الخليج وركب وطلع إلى القلعة وخلع عليه والده فوفانيا بطرز ذهب على العادة ولبعض الشعراء)الكامل(

واها لهذا النيل أي عجيبة ... نكر بمثل حديثها لا يسمع

يلقى الثري في العام وهو مسلم ... حتى إذا ما عاد وهو موزع

مستقبل مثل الهلال فدهره ... أبدا يزيد كما يزيد ويرجع." (١)

"ويقال: هو أول من أحدث المحراب. ثم زاد فيه المهدي بن أبي جعفر المنصور. وكان أمرهم بذلك، ولم يقض له، وكتب إليه الحسن بن زيد يرغبه في الزيادة فيه من جهة الشرق، ويقول: إنه إن زيد في شرقيه توسطت الروضة الكريمة المسجد الكريم. فاتهمه أبو جعفر بأنه إنما أراد هدم دار عثمان رضي الله عنه. فكتب إليه: إني قد عرفت الذي أردت، فاكفف عن دار عثمان وأمر أبو جعفر أن يطلل الصحن أيام القيظ بستور تنشر على حبال ممدودة على خشب، تكون في الصحن، لتكن المصلين من الحر، وكان طول المسجد في بناء الوليد مائتي ذراع. فبلغه المهدي إلى ثلاثمائة ذراع، وسوى المقصورة بالأرض، وكانت مرتفعة عنها بمقدار ذراعين، وكتب اسمه على مواضع من المسجد. ثم أمر الملك المنصور قلاوون ببناء دار للوضوء عند باب السلام – فتولى بناءها الأمير الصالح علاء الدين المعروف بالأقمر. وأقامها متسعة الفناء تستدير بها البيوت، وأجرى إليها الماء. وأراد أن يبني بمكة شرفها الله تعالى مثل ذلك، فلم يتم له، فبناه ابنه الملك الناصر بين الصفا والمروة. وسيذكر إن شاء الله. قبلة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبلة قطع لأنه صلى الله عليه وسلم أقامها. وقيل: أقامها جبريل عليه السلام. وقيل: كان يشير جبريل له إلى سمتها وهو يقيمها. وروي أم جبريل عليه السلام أشار إلى الجبال، فتولضعت فتنحت حتى بدت الكعبة. فكان صلى الله عليه وسلم يبني وهو ينظر إليه عيانا. وبكل اعتبار فهي قبلة قطع وكانت القبلة أول ورود النبي صلى الله عليه وسلم المدينة إلى بيت المقدس. ثم حولت إلى الكعبة بعد ستة عشر شهرا. وقيل: بعد سبعة عشر شهرا.

ذكر المنبر الكريم وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كان يخطب إلى جزع نخلة بالمسجد، فلما صنع له المنبر وتحول إليه حن الجذع حنين الناقة إلى حوارها .وروي: أن رسول الله صلى

---

(١) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ص/٤

اللہ عليه وسلم تسليما نزل إليه فالتزمه فسكن. وقال: لو لم ألتزمه لحن إلى يوم القيامة. واختلفت الروايات فيمن صنع المنبر الكريم. فروي أن تميما الداري رضي الله عنه هو الذي صنعه. وقيل: إن غلاما للعباس رضي الله عنه صنعه، وقيل: غلام لأمرأة من الأنصار ورد ذلك في الحديث الصحيح. وصنع من طرفاء الغابة، وقيل من الأثل. وكان له ثلاث درجات. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد على علياهن، ويضع رجليه الكريمتين في وسطاهن. فلما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه قعد على وسطاهن، وجعل رجليه على أولاهن. فلما ولي عمر رضي الله عنه جلس على أولاهن وجعل رجليه على الأرض، وفعل ذلك عثمان رضي الله عنه صدرا من خلافته، ثم ترقى إلى الثالثة. ولما أن صار الأمر إلى معاوية رضي الله عنه أراد نقل المنبر إلى الشام، فضج المسلمون. وعصفت ريح شديدة، وخسفت الشمس، وبدت النجوم نهارا، وأظلمت الأرض، فكان الرجل يصادم الرجل ولا يتبين مسلكه، فلما رأى ذلك معاوية تركه، وزاد فيه ست درجات من أسفله، فبلغ تسع درجات.

ذكر الخطيب والإمام بمسجد رسول الله وكان الإمام بالمسجد الشريف في عهد دخولي إلى المدينة بهاء الدين بن سلامة من كبار أهل مصر، وينوب عنه العالم االصالح الزاهد بقية المشايخ، عز الدين الواسطي، نفع الله به، وكان يخطب قبله ويقضي بالمدينة الشريفة سراج الدين عمر المصري.

حكاية

يذكر أن سراج الدين هذا أقام في خطة القضاء بالمدينة والخطابة بها نحو أربعين سنة، ثم إنه أراد الخروج بعد ذلك إلى مصر، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ثلاث مرات، في كل مرة ينهاه عن الخروج منها، وأخبره باقتراب أجله، فلم ينته عن ذلك وخرج، فمات بموضع يقال له: سويس ، على مسيرة ثلاث من مصر، قبل أن يصل إليها، نعوذ بالله من **سوء الخاتمة**. وكان ينوب عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون رحمه الله، وأبناؤه الآن بالمدينة الشريفة: أبو محمد عبد الله مدرس المالكية، ونائب الحكم، وأبو عبد الله محمد وأصلهم من مدينة تونس، ولهم بها حسب وأصالة. وتولي الخطابة والقضاء بالمدينة الشريفة بعد ذلك جمال الدين الأسيوطي من أهل مصر. وكان قبل ذلك قاضيا بحصن الكرك.

ذكر خدام المسجد الشريف والمؤذنين به." (١)

"وأما جواريه وحظاياه في قصره فمسلمات كلهن. ومن أعجب ماحدثنا به خديمه المذكور، وهو يحيى بن فتيان الطراز، وهو يطرز بالذهب في طراز الملك: أن الافرنجية من النصرانيات تقع في قصره فتعود

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/٥٤

مسلمة، تعيدها الجواري المزكورات مسلمة، وهن علتكتم من ملكهن في ذلك كله، ولهن في فعل الخير أمور عجيبة. وأعلمنا أنه كان في هذه الجزيرة زلازل مرجفة ذعر لها هذا المشرك. فكان يتطلع في قصره فر يسمع الا ذاكرا لله ولرسوله من نسائه وفتيانه، وربما لحقتهم دهشة عند رؤيته، فكان يقول لهم: ليذكر كل أحد منكم معبوده ومن يدين به؛ تسكينا لهم.

وأما فتيانه الذين هم عيون دولته وأهل عمالته في ملكه فهم مسلمون، ما منهم إلا من يصوم الأشهر تطوعا وتأجرا، ويتصدق تقربا الله وتزلفا، ويفتك الأسرى ويربي الأصاغر منهم ويزوجهم ويحسن إليهم، ويفعل الخير ما استطاع. وهذا كله صنع من الله عز وجل لمسلمي هذه الجزيرة وسر من أسرار اعتناؤ الله عز وجل بهم. لقينا منهم بمسينة فتى اسمه عبد المسيح، من وجوههم وكبرائهم، بعد تقدمه رغبة منه تلينا في ذلك، فاحتفل في كرامتنا وبرنا وباح لنا بسره المكنون بعد مراقبة منه مجلسه أزال لها كل من كان حوله ممن يتهمه من خدامه محافظة على نفسه. فسألنا عن مكلة قدسها الله وعن مشاهدها المعظمة وعن مشاهد المدينة المقدسة ومشاهد الشام، فأخبرناه، وهو يذوب شوقا وتحرقا، واستهدى منا بعض ما استصحبناه من الطرف المباركة من مكة والمدينة قدسهما الله، ورغب في أن لا نبخل عليه بما أمكن من ذلك. وقال لنا: أنتم مدلون بإظهار الإسلام، فائزون بما قصدتم له، رابحون إن شاء الله في متجركم. ونحن كاتمون إيماننا، خائفون على أنفسنا، متمسكون بعبادة الله وأداء فرائضه سرا، معتقلون في ملكة كافر بالله، قد وضع في أعناقنا ربقة الرق، فغايتنا التبرك بلقاء أمثالكم من الحجاج، واستهداء أدعيتهم، والاغتباط بما نتلقاه منهم من تحف تلك المشاهد المقدسة، لنتخذها عدة للإيمان، وذخيرة للأكفان، فتفطرت قلوبنا له إشفاقا ودعونا له **بحسن الخاتمة**، واتحفناه ببعض ما كان عندنا مما رغب فيه. وأبلغ في مجازاتنا ومكافأتنا واستكتمناه سائر اخوانه من الفتيان.

ولهم في فعل الجميل أخبار مأثورة، وفي افتكاك الأسرى صنائع عند الله مشكورة. وجيمع خدمتهم على مثل أحوالهم. ومن عجيب شأن هؤلاء الفتيان أنهم يحضرون عند مولاهم فيحين وقت الصلاة فيخرجون أفذاذا من مجلسه فيقضون صلاتهم. وربما يكونون بموضع تلحقه عين ملكهم فيسترهم الله عز وجل، فلا يزالون بأعمالهم ونياتهم وبنصائحهم الباطنة للمسلمين في جهاد دائم، والله ينفعهم ويجعل خلاصهم بمنه. ولهذا الملك بمدينة مسينة المذكورة دار صنعة البحر تحتوي من الأساطيل على ما لايحصى عدد مراكبه، وله بالمدينة مثل ذلك.

مغادرة صقلية

فكان نزولنا في أحد الفن،دق، وأقمنا بها تسعة أيام، فلما كان ليلة الثلاثاء الثاني عشر للشهر المبارك المذكور، والثامن عشر لدجنبر، ركبنا في زورق متوجهين المدينة المتقدم ذكرهان، وصرنا قريبا من الساحل بحيث نبصره رأي العين، وأرسل الله علينا ريحا شرقية رخاء طيبة زجت الزورق أهنأ تزجيه وسرنا نسرح اللحظ في عمائر وقرى متصلة وحصون ومعاقل في قنن الجبال مشرفة، وأبصرنا عن يمننا في البحر تسع جزائر قد قامت جبالا مرتفعة: على مقربة من بر الجزيرة اثنتان منها، تخرج منهما النار دائما، وابصرنا الدخان صاعدا منهما، ويظهر بالليل نارا حمراء ذات السن تصعد في الجو، وهو البركان المشهور خبره، وأعلمنا أن خروجها من منافس في الجبلين المذكورين يصعد منها نفس ناري بقوة شديدة تكون عنه النار، وربما قذف فيها الحجر الكبيرر فتلقي به في الساعة الهواء لقوة ذلك النفس وتمنعه من الاستقرار والانتهاء القعر، وهذا من أعجب المسموعات الصحيحة.

وأما الجبل الشامخ الذي بالجزيرة، المعروف بجبل النار، فشأنه أيضا عجيب، وذلك أن نارا تخرج منه في بعض السنين كالسيل العرم، فلا تمر بشيء الا أحرقته حتى تنتهي البحر فتركب ثبجه على صفحة حتى تغوص فيه، فسبحان المبدع في عجائب مخلوقاته، لا اله سواه. أن حللنا عشي يوم الأربعاء، بعد يوم الثلاثاء المؤرخ، مرسى مدينة سفلودي، وبينهاوبين مسينة مجرى ونصف مجرى.

مدينة شفلودي من جزيرة صقلية." (١)

"وأما الرحمة فهي دخول الجنة وعلو درجاتها، وجميع ما في الجنة من النعيم بالمخلوقات، ومن رضى الله عز وجل وقربه ومشاهدته وزيارته فإنه من رحمة الله تعالى، وفي الحديث الصحيح: "إن الله عز وجل يقول للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي". فكل ما في الجنة فهو من رحمة الله عز وجل، وإنما تنال برحمته لا بالعمل كما قال): "لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله". قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟!. قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته".

قوله): "وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون": المقصود من هذا الدعاء سلامة العبد من فتن الدنيا مدة حياته، فإن قدر الله عز وجل على عباده فتنة قبض عبده إليه قبل وقوعها، وهذا من أهم الأدعية فإن المؤمن إذا عاش سليما من الفتن ثم قبضه الله تعالى إليه قبل وقوعها وحصول الناس فيها كان في ذلك نجاة له من الشر كله، وقد أمر النبي) أصحابه أن يتعوذوا بالله من الفتن ما ظهر وما بطن. وفي حديث آخر: "وجنبنا الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن". وكان يخص بعض الفتن العظيمة بالذكر، فكان

---

(١) رحلة ابن جبير، ص/١٢٥

يتعوذ بالله في صلاته من أربع، ويأمر بالتعوذ منها: "أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال".

ففتنة المحيا تدخل فيها فتن الدين والدنيا كلها، كالكفر والبدع والفسوق والعصيان. وفتنة الممات يدخل فيها **سوء الخاتمة** وفتنة الملكين في القبر، فإن الناس يفتنون في قبورهم مثل أو قريبا من فتنة الدجال. ثم خص فتنة الدجال بالذكر لعظم موقعها، فإنه لم يكن في الدنيا فتنة قبل يوم القيامة أعظم منها، وكلما قرب الزمان من الساعة كثرت الفتن.

وفي حديث معاوية عن النبي) أنه قال: "إنه لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة". وقد أخبر النبي) عن الفتن التي كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا.." (١)

"بالتواضع وفيه أن فعل الثلاثة إنما هو بفضل الله وتوفيقه (وإذا أدرت) بتقديم الدال على الراء من الإدارة أوقعت (في الناس) ويروى بتقديم الراء على الدال من الإرادة (فتنة) بلايا ومحن (فاقبضني إليك غير مفتون) الفتنة لغة الاختبار والامتحان وتستعمل عرفا لكشف ما يكره قاله عياض وتطلق على القتل والإحراق والنميمة وغير ذلك وفيه إشارة إلى طلب العافية واستدامة السلامة إلى **حسن الخاتمة**

(مالك أنه بلغه) مما صح من طرق شتى عن أبي هريرة وجرير وغيرهما (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع يدعو إلى هدى) أي إلى ما يهتدى به من العمل الصالح ونكر ليشيع فيتناول الحقير كإماطة الأذى عن الطريق (إلا كان له مثل أجر من اتبعه) سواء ابتدعه أو سبق إليه لأن اتباعهم له تولد عن فعله الذي هو من سنن المرسلين (لا ينقص ذلك) الإشارة إلى مصدر كان (من أجورهم شيئا) دفع به توهم أن أجر الداعي إنما يكون بتنقيص أجر التابع وضمه إلى أجر الداعي فكما يترتب الثواب والعقاب على ما يباشره يترتب كل منهما على ما هو سبب فعله كالإرشاد إليه والحث عليه قال الطيبي الهدى إما الدلالة الموصلة إلى البغية أو مطلق الإرشاد وهو في الحديث ما يهتدى به من الأعمال وهو بحسب التنكير مطلق شائع في جنس ما يقال له هدى يطلق على الكثير والقليل والعظيم والحقير فأعظمه هدى من دعا إلى الله وعمل صالحا وأدناه هدى من دعا إلى إماطة الأذى ولذا عظم شأن الفقيه الداعي المنذر حتى فضل واحد منهم على ألف عابد ولأن نفعه يعم الأشخاص والأعصار إلى يوم الدين

---

(١) شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ص/٤٩

(وما من داع يدعو إلى ضلالة) ابتدعها أو سبق بها (إلا كان عليه مثل أوزارهم) أي من اتبعه لتولده عن فعله الذي هو من خصال الشيطان والعبد يستحق العقوبة على السبب وما تولد منه كما يعاقب السكران على جنايته حال سكره لمنع السبب فلم يعذر السكران فإن الله يعاقب على الأسباب المحرمة وما تولد منها كما يثيب على الأسباب المأمور بها وما تولد منها ولذا كان على قابيل القاتل لأخيه كفل من ذنب كل قاتل لأنه أول من سن القتل كما في الحديث (لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا) ضمير الجمع فيه وفيما قبله عائد على من باعتبار المعنى قال البيضاوي أفعال العباد وإن كانت غير موجبة ولا مقتضية للثواب ولا للعقاب بذاتها لكنه تعالى أجرى عادته بربط الثواب والعقاب بها ارتباط المسببات بالأسباب وفعل ما له تأثير في صدوره بوجه ولما كانت الجهة التي استوجب بها الجزاء غير الجهة التي استوجب بها المباشر لم ينقص أجره من أجره ولا من وزره شيئا انتهى

". (١)

"وقيل لأنه يشهد له بالأمان من النار وقيل لأن عليه شاهدا بكونه شهيدا وقيل لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة وقيل لأنه الذي يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل وقيل لأن الملائكة تشهد له **بحسن الخاتمة** وقيل لأن الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع لهم وقيل لأن الله يشهد له بحسن نيته وإخلاصه وقيل لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره وقيل لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة وقيل لأن عليه علامة شاهدة أي حاضرة بأنه قد نجا

وبعض هذه يختص بمن قتل في سبيل الله وبعضها يعم غيره وبعضها قد ينازع فيه وقد زاد على هذه الثمانية مسلم في حديث أبي هريرة الميت على فراشه في سبيل الله وأحمد من حديث راشد بن حبيش والطبراني من حديث سلمان والسل وهو بكسر المهملة وشد اللام

وروى أصحاب السنن وصححه الترمذي عن سعيد بن زيد مرفوعا من قتل دون ماله فهو شهيد وقال في الدين والدم والأهل مثل ذلك

وللنسائي عن سويد بن مقرن مرفوعا من قتل دون مظلمته فهو شهيد ولأبي داود والطبراني والحاكم عن أبي مالك الأشعري مرفوعا من وقصه فرسه أو بعيره في سبيل الله أو لدغته هامة أو مات على أي حتف شاء الله فهو شهيد

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٦١/٢

ولابن ماجه عن ابن عباس والبيهقي عن أبي هريرة والدارقطني وصححه عن ابن عمر والصابوني في المائتين عن جابر كله مرفوعا موت الغريب شهادة

وللطبراني من حديث ابن عباس أن اللذيغ والشريق والذي يفترسه السبع والخار عن دابته شهيد وفي أبي داود من حديث أم حرام المائد في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد وتقدم قريبا أحاديث في من طلب الشهادة بنية صادقة أنه يكتب شهيدا

والطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح من تردى من رؤوس الجبال شهيد وفي البخاري من حديث عائشة ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد فهذه سبع وعشرون خصلة زائدة على القتل في سبيل الله ذكر الحافظ أن طرقها جيدة وأنه وردت خصال أخرى في أحاديث لم أعرج عليها لضعفها انتهى

وروى الديلمي من حديث أنس صاحب الحمى وابن منده من حديث علي الميت في السجن وقد حبس ظلما والديلمي من حديث ابن عباس الميت عشقا والبزار من حديث أبي ذر وأبي هريرة الميت وهو طال للعلم قال الباجي وتبعه ابن التين هذه ميتات فيها شدة الألم فتفضل الله تعالى على أمة محمد أن جعلها تمحيصا لذنوبهم وزيادة في أجورهم حتى يبلغهم بها مراتب الشهداء

قال الحافظ والذي يظهر أن المذكورين ليسوا في المرتبة سواء ويدل عليه ما روى أحمد وابن حبان عن جابر والدارمي وأحمد والطحاوي عن عبد الله بن حبشي وابن ماجه عن عمرو بن عنبسة أن النبي سئل أي الجهاد أفضل قال من عقره جواده وأهريق دمه وروى الحسن بن علي الحلواني في كتاب المعرفة له بإسناد حسن عن علي قال كل موتة يموت بها المسلم فهو شهيد غير أن الشهادة تتفاضل وتحصل مما ذكر في هذه الأحاديث أن الشهداء قسمان شهداء الدنيا والآخرة وهو من قتل في حرب الكفار مقبلا

". (١)

" ٥٤٩١ – من درك الشقاء بفتح الراء والمعجمة والمد أي لحاقه والمراد به سوء الخاتمة نعوذ بالله منه وشماتة الأعداء هو الحزن بفرح عدوه بما يحزنه وسوء القضاء ." (٢)

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٢/١٠٠

(٢) شرح السيوطي لسنن النسائي، ٨/٢٦٨

"مالك الملوك في الآخرة، كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا، وحقيقته النظر في تصفية القلب وتهذيب النفس باتقاء الأخلاق الذميمة التي ذمها الشارع كالرياء والعجب والغش وحب العلو والثناء والفخر والطمع، ليتصف بالأخلاق الحميدة المحمدية كالإخلاص والشكر والصبر والزهد والتقوى والقناعة، ليصلح عند أحكامه ذلك لعلمه بعلمه ليرث ما لم يعلم، فعلمه بلا عمل وسيلة بلا غاية وعكسه جناية وإتقانهما بلا ورع كلفة بلا أجرة، فأهم الأمور زهد واستقامة لينتفع بعلمه ومحمله، وسأشير

إلى نبذة منثورة في هذا الكتاب من مقاصد هذا النوع إن شاء الله تعالى بألطف إشارة، وأعبر عن مهماته الشريفة بأرشق عبارة جميعا لفرائد الفوائد.

وأما النوع الثاني: فهو علم المكاشفة وهو نور يظهر في القلب عند تزكيته فتظهر به المعاني المجملة فتحصل له المعرفة بالله تعالى وأسمائه وصفاته وكتبه ورسله؛ وتنكشف له الأستار عن مخبآت الأسرار فافهم. وسلم تسلم، ولا تكن من المنكرين تهلك مع الهالكين. قال بعض العارفين: من لم يكن له من هذا العلم شيء أخشى عليه **سوء الخاتمة** وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله، والله تعالى أعلم.

٢ - باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل

(باب من سئل) بضم السين وكسر الهمزة (علما) بالنصب مفعول ثان (وهو مشتغل في حديثه) جملة وقعت حالا من الضمير، (فأتم الحديث ثم أجاب السائل) عطفه بثم لتراخيه.

٥٩ - حدثنا محمد بن سنان قال: حدثنا فليح. ح.

وحدثني إبراهيم بن المنذر قال: حدثنا محمد بن فليح قال: حدثني أبي قال: حدثني هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: بينما النبي -صلى الله عليه وسلم- في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحدث. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة». قال كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». [الحديث ٥٩ - طرفه في: ٦٤٩٦].

وبالسند إلى المؤلف قال: (حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين المهملة وبالنونين أبو بكر البصري (قال:

حدثنا فليح) بضم الفاء وفتح اللام وبسكون المثناة التحتية وفي آخره حاء مهملة وهو لقب له واسمه عبد الملك وكنيته أبو يحيى (ح). قال البخاري: (وحدثني) بالإفراد، وفي رواية ابن عساكر قال: وحدثنا (إبراهيم بن المنذر) المدني (قال: حدثنا محمد بن فليح) المذكور (قال: حدثني) بالإفراد وفي رواية الأصيلي وابن عساكر وأبي الوقت: حدثنا. (أبي) فليح (قال: حدثني) بالإفراد (هلال بن علي) ويقال له هلال بن أبي ميمونة وهلال بن أبي هلال وه‌ال بن أسامة نسبة إلى جده وقد يظن أنهم أربعة والكل واحد (عن عطاء بن يسار) مولى ميمونة بنت الحرث (عن أبي هريرة) عبد الرحمن بن صخر أنه (قال):
(بينما) بالميم (النبي -صلى الله عليه وسلم- في مجلس يحدث القوم) أي الرجال فقط أو والنساء تبعا لأن القوم شامل للرجال والنساء (جاءه) أي النبي -صلى الله عليه وسلم- (أعرابي) الأعراب سكان البادية لا واحد له من لفظه ولم

يعرف اسمه نعم سماه أبو العالية فيما نقله عنه البرماوي رفيعا، وفيه استعمال بينما بدون إذ وإذا وهو فصيح (فقال: متى الساعة) استفهام عن الوقت التي تقوم فيه (فمضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحدث) أي القوم، وفي رواية ابن عساكر وأبي ذر عن المستملي والحموي والكشميهني يحدثه بالهاء أي يحدث القوم الحديث الذي كان فيه فلا يعود الضمير المنصوب على الأعرابي (فقال بعض القوم: سمع) عليه الصلاة والسلام (ما قال فكره ما قال) أي الذي قاله فحذف العائد (وقال بعضهم: بل لم يسمع) قوله، وبل حرف إضراب وليه هنا جملة وهي لم يسمع فيكون بمعنى الإبطال لا العطف، والجملة اعتراض بين فمضى وبين قوله (حتى إذا قضى) -صلى الله عليه وسلم- (حديثه) فحتى إذا يتعلق بقوله فمضى يحدث لا بقوله لم يسمع، وإنما لم يجبه عليه الصلاة والسلام لأنه يحتمل أن يكون لانتظار الوحي أو يكون مشغولا بجواب سائل آخر، ويؤخذ منه أنه ينبغي للعالم والقاضي ونحوهما رعاية تقدم الأسبق فالأسبق، (قال) -صلى الله عليه وسلم- (أين أراه) بضم الهمزة أي أظن أنه قال أين (السائل عن الساعة) أي عن زمانها، والشك من محمد بن فليح ولم يضبط همزة أراه في اليونينية، وفي رواية أين السائل وهو في الروايتين بالرفع على الابتداء وخبره أين المتقدم وهو سؤال عن المكان بني لتضمنه حرف الاستفهام.
(قال) الأعرابي: (ها أنا) السائل (يا رسول الله) فالسائل المقدر خبر المبتدأ الذي هو أنا." (١)

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١/١٥٤

" ٢٥٨٣ – لعن الله السارق الخ أي ابعده الله تعالى عن رحمته والمذهب ان اللعن على رجل مخصوص لم ينص كفره عن الشارع كابليس وفرعون وأبي جهل غير جائز وإنكان كافرا لأنا لا نقطع **بسوء الخاتمة** لاحد ولم يبين الشارع لنا ولذا منع السلف عن اللعن على يزيد وجوزوا اللعن على قاتل مؤمن لقوله تعالى من قتل مؤمنا متعمدا فجزاءه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما فاللعن على قوم مخصوص بفعل كالسرقة والقتل جائز وقد ورد أمثاله على لسان الشرع كثيرا ثم المراد من البيضة قيل بيضة الحديد وهو ما يلبسه المحارب عند القتال ومن الحبل هو حبل السفينة وهما ذو ثمن وقيل المراد منهما الشيء اليسير فإن عشرة دراهم مثلا يسيرة في جنب اليد بفوات المنفعة العظيمة بقطعها فكأنه قال لعن الله السارق يسرق الشيء التافه فتقطع يده بسببه إنجاح

٩ – قوله يسرق البيضة قال في النهاية يعني بالبيضة الخوذة وقال بن قتيبة الوجه في الحديث ان الله لما انزل والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما قال النبي صلى الله عليه و سلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما نزل عليه يعني بيضة الدجاجة ونحوها ثم أعلم الله بعد ان القطع لا يكون الا في ربع دينار فما فوقه وانكرتا ويلها بالخوذة لأن هذا ليس موضع تكثير لما يأخذه السارق إنما هو موضع تقليل فإنه لا يقال قبح الله فلانا عرض نفسه للضرب في عقد جوهر إنما يقال لعن الله فلانا تعرض لقطع يده في خلق رث أو كبة شعر زجاجة

٩ – قوله يسرق البيضة قيل أراد بيضة الفضة وحبل السفينة والا فالبيضة والحبل المعروفان من الأشياء التافهة ولا يصح فيها قطع العضو والحق ان ذلك وارد بطريق التمثيل وليس الغرض بيان حكم القطع فيهما بخصوصهما وهذا كما جاء في حديث الجمعة من قرب دجاجة من قرب بيضة مع ان الدجاجة والبيضة لا يصح التقرب بهما وإنما الغرض تصوير الثواب القليل لمولانا المعظم الشيخ عبد العزيز الدهلوي قدس الله سره

٢٥٨٥ – لا تقطع اليد الا في ربع دينار وبه اخذ الشافعي وذهب مالك وأحمد الى انه سبع دينار أو ثلاثة دراهم وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يقطع الا في عشرة دراهم وقالوا ان الاخذ بالأكثر في هذا الباب أولى احتيالا للدرء فاعرف انه قد قيل في ثمن المجن أكثر مما ذكر ولحديث ايمن رواه الحاكم عن مجاهد عن ايمن قال لم تقطع اليد على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم الا في ثمن المجن وثمنه يومئذ دينار وقد اختلف في تقويم المجن فروى ثلاثة أو عشرة فيجب الاخذ بالأكثر لايجاب الشرع الدرء ما أمكن ثم يقوى ما رواه النسائي بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان ثمن المجن على

عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم عشرة دراهم وقال الترمذي وقد روى عن بن مسعود أنه قال لا قطع الا في دينار أو عشرة دراهم وهو مرسل وروى الدارقطني والبيهقي عن علي رضي قال لا تقطع اليد في أقل من عشرة دراهم ولا يكون المهر أقل من عشرة دراهم وقال محمد بلغنا ذلك عن علي وعبد الله بن عمر وعامر وإبراهيم فتح القدير مختصرا

٢ – قوله

٢٥٨٩ – فبيعوه بنش النش عشرون درهما وهو بإظهار العيب لأنه لا يليق المسلم ان يغتر المسلم وفي الحديث الصحيح تحب لاخيك ما تحب لنفسك قال الطيبي العبد إذا سرق قطع آبقا كان أو غير آبق وعن عمر بن عبد العزيز أمر به وهو قول مالك والشافعي وعامة أهل العلم إنجاح

٣ – قوله

٢٥٩٠ – من رقيق الخمس أي المال الذي خمس من المغنم وإنما لم يقطعه إما بعدم الحرز وإما لكونه في دار الحرب وذلك بسبب خوف الارتداد واللحوق بهم والله أعلم إنجاح

٤ – قوله

٢٥٩٥ – فهلا قبل ان تأتيني به أي فهلا تصدقت وتركت حقك قبل وصوله الي وأما الآن فقطعه واجب ليس لك فيه حق بل هو حق الشرع ثم انهم شرطوا في كون المسجد حوزا ان يكون هنا محافظ وقال في الدر ويعتبر أي الحافظ في المسجد لأنه ليس بحرز وبه يغتي انتهى إنجاح

٥ – قوله

٢٥٩٦ – ما اخذ في أكمامه الاكمام جمع كم وهو بالكسر دعاء الطلع وغطاء النور كالكمامة بالكسر فيهما وجمعه اكمة واكمام وكمام كذا في القاموس إنجاح

٦ – قوله فاحتمل أي حمل تلك الثمار وذهب بها فثمنه أي فعليه غرامة ثمنه ومثله معه وهذه سياسة والا فقد قال الله جل ذكره فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وما كان في الجرن في القاموس الجرن بالضم وكامير ومنير البيدر انتهى وفي المجمع هو موضع لتجفيف التمر وهو له كالبيدر للحنطة والشعير انتهى ففيه القطع قال الطيبي الحرز مشروط فلا قطع الا فيما سرق من حرز والمعتبر فيه العرف قلت اما عندنا فلا قطع فيما يتسارع اليه الفساد كاللبن واللحم والفواكه الرطبة لقوله عليه السلام لا قطع في ثمر وقوله عليه السلام لا قطع في الطعام والمراد ما يتسارع اليه الفساد كالمهيا للأكل وما في معناه كاللحم والتمر كذا في اللمعات إنجاح

٧ - قوله وان أكل ولم يأخذ فليس عليه وهذا أيضا محمول على العرف فإن لم يرض به صاحب البستان فيعزر قال الشاة الحريسة أي التي تحرس بالجبل ففيه ثمنها ومثله معه وهذا أيضا سياسة كما مر والنكال العقوبة وقوله ما كان في المراح وهو مأوى الإبل والغنم بالليل ففيه القطع للحرز إنجاح

٨ - قوله

٢٥٩٧ - ما اخالك سرقت بكسر الهمزة أفصح أي ما اظنك وفيه انه لو انكر فلا قطع قال في الدر وندب تلقينه كيلا يقر بالسرقة وأما إذا كان عليه شهود فلا يسقط الحد إنجاح

٩ - قوله استغفر الله الخ هذا منه صلى الله عليه و سلم يدل على ان الحد ليس مطهرا بالكلية مع فساد النية وإنما مطهر لعين ذلك الذنب فلا عتاب عليه ثانيا من جهة الرب قال القاضي بهذا الحديث يستشهد على ان للامام ان يعرض للسارق بالرجوع قال بن الهمام ويجب القطع بإقراره مرة واحدة وهذا عند أبي حنيفة ومالك والشافعي وأكثر علماء الأمة وقال أبو يوسف لا يقطع وهو قول أحمد وابن أبي ليلى وزفر وابن شبرمة لهذا الحديث حيث لم يقطعه الا بعد تكرار اقراره ولأبي حنيفة ما اسنده الطحاوي الى أبي هريرة في هذا الحديث قالوا يا رسول الله ان هذا سرق فقال ما اخاله سرق فقال السارق بلى يا رسول الله قال اذهبوا به فاقطعوه ثم احسموه ثم ائتوني به قال فذهب به فقطع الحديث فقد قطعه بإقراره مرة انتهى مرقاة

١ قوله ." (١)

"والذي ذهب إليه الإمام الشافعي وأصحابه والإمام مالك وأصحابه والإمام أحمد وأصحابه وأكثر العلماء وأكثر السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى جواز قول الإنسان: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى وبه قالت الأشعرية هذا إذا كان جازما بالإيمان حال التكلم، أما إذا شك في إيمانه حال التكلم وقال: إن شاء الله للشك في إيمان فإن إيمانه يكون منفيا لأن الشك في ثبوته الحال كفر وليس محل قول إن شاء الله بالاتفاق بل محل النزاع بين الفريقين إنما هو إيمان الموافاة وهو الذي يموت العبد عليه، ويأتي متصفا به آخر حياته أول منازل آخرته، وهو المعتبر في النجاة في الدار الآخرة، وهو الملحوظ عند المتكلم بالمشيئة، فإذا جزم الإنسان بالإيمان في الحال ولكن لا يعلم هذا الحال يبقى هذا الإيمان إلى الوفاة أم، فله عند الفريق الثاني أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى أي: أنا أموت على الإيمان إن شاء الله وهو أمر مستقبل فالقائل: أنا مؤمن إن شاء الله مقتد بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وعامل بقوله تعالى ولا

---

(١) شرح سنن ابن ماجه - السيوطي وآخرون، ص/١٨٦

تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا * إلا أن يشاء الله[الكهف: ٢٣، ٢٤] أيضا يقول: إن شاء الله للتبرك بالمشيئة خوفا من **سوء الخاتمة**، مع جزمه بالإيمان في الحال فكان القائل: أنا مؤمن إن شاء الله يقول: أطلب **حسن الخاتمة**، فكم من إنسان سلب الإيمان عند موته، نسأل الله العظيم أن يختم لنا وللمسلمين بخير في عافية بلا محنة.." (١)

"ففرغوا قلوبكم للاعتبار فيما يجري في الليل والنهار، كم من بعيد قرب وكم من قريب أبعد، وجفاه الأهل والجيران، كان حظ الأول الجنة، وحظ الثاني النار فاعتبروا يا أولي الإبصار، ندم العابد على تغيير نيته بلا شك ولا خفاء، وبكى على تفريطه بعد عبادته إذ زل، وهنا يود لو أن يرد ويرجع إلى الوفاء، وسيعلم أنه كان يبني على شفا جرف هار فاعتبروا الإبصار، ولقد أحسن من قال:

أناس عرضوا عنا ... بلا جرم ولا معنى

أساؤا ظنهم فينا ... فهلا أحسنوا الظنا

فإن عادوا لما عدنا ... وإن خانوا فما خنا

وإن كانوا قد استغنوا ... فأنا عنهم أغنى

وقال الإمام أبو محمد رحمه الله تعالى: خرج ثلاثة من الزهاد يريدون الحج إلى بيت الله الحرام في وسط السنة متوكلين بغير زاد، فنزلوا قرية بها نصارى فوقع نظر رجل منهم على محاسن امرأة فتعلق بها، فلما عزموا على السفر احتال بحيلة، فقعد وسار صاحباه وتركاه في القرية، فأفشى سره لأبي المرآة وخطبها منه فقال: مهرها كثير لا تقدر عليه فقال: وما هو فقال: تترك دين الإسلام وتدخل في دينها دين النصرانية، فتنصر وتزوجها وولد له منها ولدان ومات على دين النصرانية، فرجع صاحباه من سياحتهما وسألا عنه فقيل لهما: إنه توفى على دين النصرانية ودفنوه في مقابرهم، فذهبا إلى المقبرة فوجد امرأته وولديه يبكيان عليه، فجعل صاحباه يبكيان من بعيد فقالت لهما المرآة: مما تبكيان من بعيد، فقصا عليها القصة وذكرها عبادته وزهده وصلاحه، فلما سمعت رق قلبها إلى الإسلام فأسلمت هي وولداها فقال الشيخ أبو محمد: سبحان الله مات من كان مسلما على الكفر وأسلم من كان كافرا، فلذلك ينبغي أن يخاف المسلم عاقبة أمره ويسأل الله **حسن الخاتمة** ولله در القائل:

سبحان من خلف الأشياء وقدرها ... ومن يجود على العاصي يستره

(١) شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري، ١٢/١٤

يخفي القبيح ويبدي كل صالحة ... ويغمر العبد إحسانا ويشكره

ويغفر الذنب للعاصي ويقبله ... إذا تاب وبالغفران يجبره." (١)

"ومن يلوذ به في دفع نائبة ... يعطيه من فضله عزا وينصره

ولا يضيع مقالا لمجتهد ... في ماله بل يربيه ويدخره

ومن يكن قلبه من ذنبه فاسدا ... فبالمدامع والتقوى طهره

فليس للعبد تصريف وأن له ... مولاه إن شاء يغنيه ويفقره

فلا الحذار ينجي العبد من قدر ... يريده الله وأمر يدبره

فنسأل الله حقا حسن خاتمة ... عند الممات وصفوا لا يكدره

وعن أبي يزيد البسطامي -رحمه الله- أنه كان إذا توضأ وقعت الزلزلة على أعضائه إلى أن يقوم إلى الصلاة ويكبر فيسكن عنه ذلك، فقيل في ذلك فقال: أخاف أن تدركني الشقاوة فأخطي إلى كنائس اليهود والنصارى وبيعهم، فتعوذ بالله من مكر الله.

وعن سفيان الثوري -رحمه الله- أنه خرج إلى مكة حاجا فكان يبكي من أول الليل إلى آخره في المحمل فقال له شيبان الراعي: يا سفيان، فما بكاؤك فإن كان لأجل المعصية فلا تعصه فقال: أما الذنوب فما خطرت ببالي قط كبيرها وصغيرها، وليس بكائي يا شيبان من أجل المعصية ولكن خوف العاقبة، لأني رأيت شيخا كبيرا كتبنا عنه العلم، وكان تلتمس بركته ويستقى به الغيث، فلما مات تحول وجهه عن القبلة ومات على الشرك كافرا، فما أخاف إلا من **سوء الخاتمة** فقال له: إن ذلك من شؤم المعصية والإصرار على الذنوب، فلا تعص ربك طرفة عين.

وقال منصور بن عمار -رحمه الله-: إذا دنا موت العبد قسم حاله على خمسة أقسام المال للوارث، والروح لملك الموت، واللحم للدود، والعظم للتراب، والحسنات للخصوم، ثم إن ذهب الوارث للمال يجوز، وإن ذهب ملك الموت بالروح يجوز، فيا ليت الشيطان لا ينهب بالإيمان عند الموت، فيكون فراقا من الرب سبحانه وتعالى، نعوذ بالله من ذلك، فإن كل فراق إلى اجتماع، وفراق الرب سبحانه صعب لا يدركه أحد.

وعن محمد بن نعيم قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما جاءني جبريل - عليه السلام - إلا وهو رعد فرقا وخوفا من الجبار - عز وجل -»(١).

---

(١) شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري، ١٤/١٤

(١) لم نقف عليه.." (١)

"مسلم يستحق أن يقتص منه (لم يكن له ثواب إلا الجنة) أي دخولها أوليا ورواه الخطيب ، عن ابن عباس بعينه والحديث مقتبس من قوله تعالى : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وبه (عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من داوم) أي واظب (ولازم أربعين) ولازم أربعين يوما (على صلاة الغدوة) أي الصبح (والعشاء في جماعة) أي مع طائفة ولو واحدا (في مسجد وغيره كتب له براءة) ، أي ونزاهة (من النفاق) ، وهو أن يكون ظاهره خلاف باطنه وبراءة من الشرك أي جليه وخفيه فيكون مرجوا له **حسن الخاتمة**.

فضيلة التكبيرة الأولى

ولعل الحكمة في عدد الأربعين أن الملازمة للطاعة في الدين إذا استمرت في هذه المدة المبينة ، فالغالب أن يتلذذ بالعبادة ، ويذهب عنه كلفة المجتهدين فتحصل له الاستقامة والله الموفق والمعين : وللأربعين حكم كثيرة وليس هذا محل بسطها وإنما خص الصلاتين لأنهما وقت الراحة ومحل الاستراحة فإذا داوم الشخص على ما هو أشق على النفس فبالأولى أن لا يترك الأهون ، وأيضا كان المنافقون لا يحضرونها حيث لا سمعة ولا رياء فيهما ، ويؤيده ما رواه أحمد وأبو داود والنسائي ، وابن ماجه وابن حبان ، والحاكم عن أبي هريرة مرفوعا : أن هاتين." (٢)

"رضي الله تعالى عنهما سمرا) بفتح الميم ، أي سمرا في أول الليل ، وتحدثا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذات ليلة) أي ليلة من ليالي (قال) أي ابن مسعود ، أو الرجل عنه (فخرجا) أي الشيخان (وخرج) أي النبي صلى الله عليه وسلم (معهما ، فمروا) أي ثلاثتهم (بابن مسعود) فيه وضع الظاهر موضع الضمر ، على أنه نوع التفات منه على الأول ، فتأمل ، (وهو يقرأ) ، أي والحال ، أن ابن مسعود يقرأ القرآن في صلاة أو غيرها بصوت حسن ، وأداء مستحسن.

وفي رواية ابن عبد الله : وافتتح بالنساء (فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من سره) أي أعجبه (أن يقرأ القرآن كما أنزل) أي مرفلا طريا معدلا ، لا تغييرا ولا تبديلا (فليقرأ) أي القرآن (على قراءة ابن أم عبد) يعني ابن مسعود ، وفيه منقبة عظيمة

---

(١) شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري، ١٤/١٥

(٢) شرح مسند أبي حنيفة، ص/١٥١

في حضرة جماعة جسيمة ، (وجعل) أي وشرع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (له) أي لابن مسعود وهو غائب عنه (سل) أي اطلب (ما شئت تعطيه) بصيغة المجهول (فأتاه أبو بكر وعمر) أي بعد مفارقتهما صلى الله عليه وسلم ، إما في آخر الليل ، وإما في أول النهار (يبشرانه) أي يريدان بإتيانهما إليه أن يبشراه بما صدر عن صدر الأنبياء من مدح قراءته ، وأمره بالدعاء وإجابته (فسبق أبو بكر أو عمر إليه) أي في النزول عليه ، وفي الكلام لديه (فبشره) أي إجمالا (وأخبره) أي تفصيلا (أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بالدعاء ، فقال) أي ابن مسعود (في دعائه : اللهم إني أسألك إيمانا دائما) أي مستمرا مستقرا (لا يزول) تفسير لما قبله ، أو تأكيد له ، وفي رواية : إيمانا لا يرتد ، وهذا يدل على كمال خوفه من **سوء الخاتمة**.

(ونعيما لا تنفذ) بفتح الفاء ، فدال المهملة ، أي لا يفنى ولا يحول ، وهذا يشير إلى كمال زهده في الدنيا ، ورغبته في نعيم العقبى (ومرافقة نبيك في جنة الخلد)." (١)

"فلا جرم كان قليل الرواية ، كثير الدراية ، وكذلك يدل حال أجلاء الصحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين ، حيث كانوا مشتغلين بالعمل ، حتى قلت روايتهم.

وقد أنشد فارن بن الجدي : يا طالب العلم الذي ذهبت بمدته الرواية كن في الرعاية ذا العناية والدراية وارو القليل وراعه فالعلم ليس له نهاية فنسأل الله **حسن الخاتمة** والموت على الهداية والتوبة مما صدر في البداية والنهاية وأن يحشرنا في زمرة الأنبياء وأرباب الولاية." (٢)

"شهد لا إله الا الله وإني رسول الله كان مؤمنا كإيمان جبريل عليه السلام قلت ذكره ابو سعيد النقاش في (الموضوعات) وقال ابن بطال لما طالت أعمارهم حتى رأوا ما لم يقدروا على إنكاره خشيوا على أنفسهم أن يكونوا في حيز من نافق أو داهن ويقال عن عائشة رضي الله عنها إنها سألت النبي عليه السلام عن قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة (المؤمنون ٦٠) فقال هم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون ويفرقون ان لا يتقبل منهم وقال بعض السلف في قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (الزمر ٤٧) أعمال كانوا يحتسبونها حسنات بدت سيئات وقال الكرماني ويحتمل أن يكون قوله وما منهم إشارة إلى مسألة زائدة استفادها من أحوالهم أيضا وهي أنهم كانوا قائلين بزيادة الإيمان ونقصانه قلت لا يفهم ذلك من حالهم وإنما الذي يفهم من حالهم أنهم كانوا خائفين **سوء الخاتمة** لعدم

---

(١) شرح مسند أبي حنيفة، ص/٤٠٧

(٢) شرح مسند أبي حنيفة، ص/٥٩٧

العصمة ويؤيد ذلك ما روي عن عائشة وبعض السلف

ويذكر عن الحسن ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق." (١)

"قوله من العجز هو ضد القدرة وقال ابن بطال اختلف في معنى العجز فأهل الكلام يجعلونه مالا استطاعة لأحد على ما يعجز عنه لأنها عندهم مع الفعل وأما الفقهاء فيقولون إنه هو ما يستطيع أن يعمله إذا أراد لأنهم يقولون إن الحج ليس على الفور ولو كان على المهلة عند أهل الكلام لم يصح معناه لأن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل والذين يقولون بالمهملة يجعلون الاستطاعة قبل الفعل قوله والكسل هو ضعف الهمة وإيثار الراحة للبدن على التعب وإنما استعيذ منه لأنه يبعد عن الأفعال الصالحة قوله والهرم قال الكرماني ضد الشباب وفي

(المغرب) الهرم كبر السن الذي يؤدي إلى تماوت الأعضاء وتساقط القوى وإنما استعاذ منه لكونه من الأدواء التي لا دواء لها قوله من فتنة المحيى المحيي والممات مصدران ميميان بمعنى الحياة والموت وفتنة المحيى أن يفتتن بالدنيا ويشتغل بها عن الآخرة وفتنة الممات أن يخاف عليه من **سوء الخاتمة** عند الموت وعذاب القبر مما يعرض له عند مساءلة الملكين ومشاهدة أعماله السيئة في أقبح الصور أعاذنا الله منه بمنه وكرمه

٢٦ -(باب من حدث بمشاهده في الحرب)

أي هذا باب في بيان من حدث بمشاهده وهو جمع مشهد موضع الشهود أي الحضور في الحرب أراد بهذا أن للرجل أن يحدث بما تقدم له من العناء في إظهار الإسلام وإعلاء كلمته ليتأسى بذلك المتأسي ويقتدي به وليرغب الناس في ذلك وأما الذي يحدث لإظهار شجاعته والافتخار بما صنع فذلك لا يجوز قاله أبو عثمان عن سعد

أي قال ذلك أبو عثمان عبد الرحمن النهدي بفتح النون عن سعد بن أبي وقاص وهذا تعليق ذكره موصولا في المغازي." (٢)

" وما سواها فمعرض للفساد

وقال بن التين وصفت بالتامة لأن فيها أتم القول وهو لا إله إلا الله

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٣٤/٢

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٥٣/٢١

وقال الطيبي من أوله إلى قوله محمدا رسول الله هي الدعوة التامة (والصلاة القائمة) أي الدائمة التي لا يغيرها ملة ولا ينسخها شريعة وأنها قائمة ما دامت السماوات والأرض (ات) أي اعط وهو أمر من الإيتاء وهو الإعطاء (الوسيلة) هي المنزلة العلية وقد فسرها النبي صلى الله عليه و سلم بقوله فإنها منزلة في الجنة كما مر في الحديث السابق ووقع هذا التفسير في رواية مسلم أيضا (والفضيلة) أي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسيرا للوسيلة (وابعثه مقاما محمودا) أي يحمد القائم فيه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات ونصب على الظرفية أي ابعثه يوم القيامة فأقمه مقاما محمودا أو ضمن ابعثه معنى أقمه أو على أنه مفعول به ومعنى ابعثه أعطه ويجوز أن يكون حالا أي ابعثه ذا مقام محمود

قاله الحافظ

وقال في المرقاة وإنما نكر المقام للتفخيم أي مقاما يغبطه الأولون والآخرون محمودا يكل عن أوصافه ألسنة الحامدين

(الذي وعدته) زاد في رواية البيهقي إنك لا تخلف الميعاد وقال الطيبي المراد بذلك قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وأطلق عليه الوعد لأن عسى من الله واقع كما صح عن بن عيينة وغيره والموصول إما بدل أو عطف بيان أو خبر مبتدأ محذوف وليس صفة للنكرة

ووقع في رواية النسائي وبن خزيمة وغيرهما المقام المحمود بالألف واللام فيصح وصفه بالموصول

قال بن الجوزي والأكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة وقيل إجلاسه على العرش وقيل على الكرسي ووقع في صحيح بن حبان من حديث كعب بن مالك مرفوعا يبعث الله الناس فيكسوني ربي حلة خضراء فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود ويظهر أن المراد بالقول المذكور هو الثناء الذي يقدمه بين يدي الشفاعة ويظهر أن المقام المحمود هو مجموع ما يحصل له في تلك الحالة

قاله الحافظ (إلا) وفي البخاري بدون إلا وهو الظواهر وأما مع إلا فيجعل من في قوله من قال استفهامية للانكار

قاله في فتح الودود (حلت له) أي وجبت وثبتت (الشفاعة) فيه بشارة إلى **حسن الخاتمة** والحض على الدعاء في أوقات الصلوات لأنه حال رجاء الإجابة

قال المنذري والحديث أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وبن ماجه ." (١)

---

(١) عون المعبود، ٢/١٦٣

" معاوية فغلط باتفاق أهل العلم من المحدثين وأصحاب التواريخ والمغازي والسير وغيرهم (عوف بن مالك) عطف بيان أو بدل من الحبيب الأمين (فقال ألا تبايعون رسول الله) فيها التفات من التكلم إلى الغيبة (فلقد كان بعض أولئك النفر إلخ) قال النووي فيه التمسك بالعموم لأنهم نهوا عن السؤال فحملوه على عمومه

وفيه الحث على التنزه عن جميع ما يسمى سؤالا وإن كان حقيرا انتهى

قال المنذري وأخرجه مسلم والنسائي وبن ماجه (حديث هشام) بن عمار (لم يروه إلا سعيد) بن عبد العزيز أي هذا المتن من حديث عوف بن مالك لم يرو عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس عن عوف إلا سعيد بن عبد العزيز فسعيد تفرد بهذا المتن عن ربيعة وروى عن سعيد جماعة الوليد بن مسلم عند المؤلف وعند بن ماجه في الجهاد ومروان بن محمد الدمشقي عند مسلم في الزكاة وأبو مسهر عند النسائي في الصلاة

[١٦٤٣] (من تكفل) من استفهامية أي ضمن والتزم (لي) ويتقبل مني (أن لا يسأل الناس شيئا) أي من السؤال أو من الأشياء (فأتكفل) بالنصب والرفع أي أتضمن (له بالجنة) أي أولا من غير سابقة عقوبة

وفيه إشارة إلى بشارة **حسن الخاتمة** (فقال ثوبان أنا) أي تضمنت أو أتضمن (فكان) ثوبان بعد ذلك (لا يسأل أحدا شيئا) أي ولو كان به خصاصة

واستثنى منه إذا خاف على نفسه الموت فإن الضرورات تبيح المحظورات بل قيل إنه لو لم يسأل حتى يموت يموت عاصيا

٨ -

(باب في الاستعفاف) ." (١)

" النعمة الظاهرة إلى النعم الباطنة فذكر ما هو أشرفها وختم به لأن المدار على **حسن الخاتمة** مع مافيه من الإشارة إلى كمال الانقياد في الأكل والشرب وغيرهما قدرا ووصفا ووقتا احتياجا واستغناء بحسب ما قدره وقضاه كذا قال القارىء في المرقاة

قال المنذري وأخرجه الترمذي والنسائي وذكره البخاري في تاريخه الكبير وساق اختلاف الرواة فيه

---

(١) عون المعبود، ٥/٣٩

[٣٨٥١] (عن أبي عبد الرحمن الحبلي) بضم المهملة والموحدة اسمه عبد الله بن يزيد وثقه بن معين (إذا أكل وشرب) قال القارىء في شرح المشكاة الظاهر أن أو بمعنى الواو كما في نسخه أي إذا جمع بينهما (قال الحمد لله الذي أطعم وسقى) لعل حذف المفعول لإفادة العموم (وسوغه) بتشديد الواو أي سهل دخول كل من الطعام والشراب في الحلق (وجعل له) أي لكل منهما (مخرجا) أي من السبيلين فتخرج منهما الفضلة فإنه تعالى جعل للطعام مقاما في المعدة زمانا كي تنقسم مضاره ومنافعه فيبقى ما يتعلق باللحم والدم والشحم ويندفع باقيه وذلك من عجائب مصنوعاته ومن كمال فضله ولطفه بمخلوقاته فتبارك الله أحسن الخالقين

وقال الطيبي رحمه الله ذكر ها هنا نعما أربعا الإطعام والسقي والتسويغ وهو تسهيل الدخول في الحلق فإنه خلق الأسنان للمضغ والريق للبلع وجعل المعدة مقسما للطعام لها مخارج فالصالح منه ينبعث إلى الكبد وغيره يندفع من طريق الأمعاء كل ذلك فضل من الله الكريم ونعمة يجب القيام بمواجبها من الشكر بالجنان والبث باللسان والعمل بالأركان

قال المنذري وأخرجه النسائي

٤ -

([٣٨٥٢] باب في غسل اليد من الطعام)

(وفي يده غمر) بفتحتين أي دسم ووسخ وزهومة من اللحم (ولم يغسله) أي ذلك الغمر ." (١)

" وإن من شيء إلا يسبح بحمده (على الفرش) بضمتين جمع فراش (لخرجتم) أي من منازلكم (إلى الصعدات) بضمتين أي الطرق وهي جمع صعد وصعد جمع صعيد كطريق وطرق وطرقات وقيل هي جمع صعدة كظلمة وهي فناء باب الدار وممر الناس بين يديه كذا في النهاية

وقيل المراد بالصعدات هنا البراري والصحاري (تجأرون إلى الله) أي تتضرعون إليه بالدعاء ليدفع عنكم البلاء (لوددت أني كنت شجرة تعضد) بصيغة المجهول أي تقطع وتستأصل وهذا قول أبي ذر رضي الله عنه كما ستعرف

قوله (وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وبن عباس وأنس) أما حديث عائشة وحديث بن عباس فلينظر من أخرجهما وأما حديث أبي هريرة فأخرجه الترمذي في هذا الباب وأما حديث أنس فأخرجه

---

(١) عون المعبود، ١٠/٢٣٦

البخاري في تفسير سورة المائدة وفي الرقاق وفي الاعتصام ومسلم في فضائل النبي صلى الله عليه و سلم والترمذي في التفسير والنسائي في الرقائق وبن ماجة في الزهد

قوله (هذا حديث حسن غريب) وأخرجه أحمد وبن ماجة

قوله (ويروى من غير هذا الوجه أن أبا ذر قال لوددت الخ) رواه أحمد في مسنده وفيه تجأرون إلى الله قال فقال أبو ذر والله لوددت أني شجرة تعضد

[٢٣١٣] قوله (لو تعلمون ما أعلم) أي من عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب لضحكتم جواب لو (ولبكيتم كثيرا) أي بكاء كثيرا أو زمانا كثيرا أي من خشية الله ترجيحا للخوف على الرجاء وخوفا من سوء الخاتمة

قال الحافظ والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله وانتقامه ممن يعصيه والأهوال التي تقع عند النزاع والموت وفي القبر ويوم القيامة ومناسبة كثرة البكاء وقلة الضحك في هذا المقام واضحة والمراد به التخويف وقد جاء لهذا الحديث سبب ." (١)

" رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره وهذا لا بأس به

وقيل يخشى عليه أن يؤول به ذلك إلى الكفر كما قيل المعاصي بريد الكفر فيخاف على من أدامها وأصر عليها سوء الخاتمة وأرجح من الجميع أن من قال ذلك لمن يعرف منه الاسلام ولم يقم له شبهة في زعمه أنه كافر فإنه يكفر بذلك فمعنى الحديث فقد رجع عليه تكفيره فالراجع التكفير لا الكفر فكأنه كفر نفسه لكونه كفر من هو مثله

ومن لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الاسلام ويؤيده أن في بعض طرقه وجب الكفر على أحدهما

قوله (هذا حديث صحيح) وأخرجه أحمد والشيخان

٧ -

(باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله)

[٢٦٣٨] قوله (عن بن محيريز) اسمه عبد الله بن محيريز بضم ميم وفتح مهملة وسكون ياءين بينهما راء مكسورة وبزاي بن جنادة بن وهب الجمحي المكي كان يتيما في حجر أبي محذورة بمكة ثم نزل بيت المقدس ثقة عابد من الثالثة

---

(١) تحفة الأحوذي، ٤٩٦/٦

قوله (عن الصنابحي عن عبادة بن الصامت أنه قال دخلت عليه) قال النووي هذا كثير يقع مثله وفيه صنعة حسنة وتقديره عن الصنابحي أنه حدث عن عبادة بحديث قال فيه دخلت عليه (فقال مهلا) بفتح الميم وسكون الهاء معناه انظرني

قال الجوهري يقال مهلا يا رجل بالسكون وكذلك للاثنين والجمع والمؤنث وهي موحدة بمعنى أمهل (والله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه و سلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه الخ) قال القاضي عياض فيه دليل على أنه كتم ما خشي الضرر فيه والفتنة مما لا يحتمله عقل كل أحد وذلك فيما ليس تحته عمل ولا فيه ." (١)

" ٤٥ -

(باب ما جار ما يقول إذا ودع إنسانا)

[٣٤٤٢] قوله (حدثنا أحمد بن أبي عبيد الله) إسم أبي عبيد الله هذا بشر ووقع في النسخة الأحمدية أحمد بن عبيد الله بغير لفظ أبي وهو غلط (عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد بن أمية) المدني مجهول من السابعة

قوله (إذا ودع رجلا) أي مسافرا (أخذ بيده فلا يدعها) أي فلا يترك يد ذلك الرجل من غاية التواضع ونهاية إظهار المحبة والرحمة (ويقول) أي للمودع أستودع الله دينك أي أستحفظ وأطلب منه حفظ دينك وأمانتك أي حفظ أمانتك فيما تزاوله من الأخذ والإعطاء ومعاشرة الناس في السفر إذ قد يقع منك هناك خيانة وقيل أريد بالأمانة الأهل والأولاد الذين خلفهم وقيل المراد بالأمانة التكاليف كلها كما فسر بها قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا الآية وآخر عملك أي في سفرك أو مطلقا كذا قيل قال القارىء والأظهر أن المراد به **حسن الخاتمة** لأن المدار عليها في أمر الآخرة وأن التقصير فيما قبلها مجبور بحسنها ويؤيده قوله وخواتيم عملك في الرواية الآتية

قال الطيبي قوله أستودع الله هو طلب حفظ الوديعة وفيه نوع مشاكلة للتوديع وجعل دينه وأمانته من الودائع لأن السفر يصيب الإنسان فيه المشقة والخوف فيكون ذلك سببا لإهمال بعض أمور الدين فدعا له صلى الله عليه و سلم بالمعونة والتوفيق ولا يخلو الرجل في سفره ذلك من الاشتغال بما يحتاج فيه إلى

---

(١) تحفة الأحوذي، ٣٢٧/٧

الأخذ والإعطاء والمعاشرة مع الناس فدعا له بحفظ الأمانة والاجتناب عن الخيانة ثم إذا انقلب إلى أهله يكون مأمون العاقبة عما يسوءه في الدين والدنيا

قوله (هذا حديث غريب) وأخرجه بن ماجة

[٣٤٤٣] قوله (حدثنا سعيد بن خثيم) بمعجمة ومثلثة مصغر بن رشد الهلالي أبو معمر الكوفي صدوق رمي بالتشيع له أغاليط من التاسعة (عن حنظلة) بن أبي سفيان الجمحي

قوله (أن ." (١)

" الخطابي

وقال القزاز معناه أنه غير مكتف بنفسي عن كفايته

وقال الداودي معناه لم أكتف من فضل الله ونعمته

قال بن التين وقول الخطابي أولى لأن مفعولا بمعنى مفتعل فيه بعد وخروج عن الظاهر وهذا كله على أن الضمير لله ويحتمل أن يكون الضمير للحمد

وقال إبراهيم الحربي الضمير للطعام ومكفي بمعنى مقلوب من الإكفاء وهو القلب غير أنه لا يكفي الإناء للاستغناء عنه انتهى ربنا روى بالرفع والنصب والجر فالرفع على تقدير هو ربنا أو أنت ربنا إسمع حمدنا ودعاءنا أو على أنه مبتدأ وخبره غير بالرفع مقدم عليه والنصب على أنه منادي حذف منه حرف النداء أو على المدح أو الاختصاص أو إضمارا عني والجر على أنه بدل من الله وقيل على أنه بدل من الضمير في عنه

قوله (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وبن ماجة

[٣٤٥٧] قوله (عن رياح) بكسر أوله ثم تحتانية (بن عبيدة) بفتح العين المهملة وكسر الموحدة السلمي الكوفي ثقة من الرابعة (قال حفص عن بن أخي أبي سعيد وقال أبو خالد عن مولى لأبي سعيد عن أبي سعيد) قال الحافظ في تهذيب التهذيب في ترجمة رياح بن عبيدة روى عن أبي سعيد الخدري وقيل عن بن أخي أبي سعيد وقيل عن مولى لأبي سعيد وقيل عن عبد الرحمن بن أبي سعيد في القول عند الفراغ من الطعام انتهى

ولم أقف على ترجمة بن أخي أبي سعيد ولا مولى لأبي سعيد

---

(١) تحفة الأحوذي، ٢٨٤/٩

قوله الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا الخ فائدة الحمد بعد الطعام أداء شكر المنعم وطلب زيادة النعمة لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وفيه استحباب تجديد حمد الله عند تجدد النعمة من حصول ما كان الإنسان يتوقع حصوله واندفاع ما كان يخاف وقوعه ثم لما كان الباعث هنا هو الطعام ذكره أولا لزيادة الاهتمام به وكان السقي من تتمته لكونه مقارنا له في التحقيق غالبا ثم استطرد من ذكر النعمة الظاهرة إلى النعم الباطنة فذكر ما هو أشرفها وختم به لأن المدار على **حسن الخاتمة** مع ما فيه من الإشارة إلى كمال الانقياد في الأكل والشرب وغيرهما قدرا ووصفا ووقتا احتياجا واستغناء بحسب ما قدره وقضاه

وحديث أبي سعيد هذا أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وبن ماجة وذكره البخاري في تاريخه الكبير وساق اختلاف الرواة فيه ." (١)

" وأدواتها (على مائتا بعير) أي غير تلك المائة لا بانضمامها كما يتوهم قاله القارىء

قلت في رواية أحمد خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها قال ثم حث فقال عثمان على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها قال ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان بن عفان على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها فرواية أحمد هذه ترد قول القارىء هذا (على ثلاثمائة بعير) قال القارىء فالمجموع ستمائة بعير قلت لا بل المجموع ثلاثمائة بعير كما عرفت آنفا (ما على عثمان) ما هذه نافية بمعنى ليس وفي قوله (ما عمل بعد هذه) موصولة اسم ليس أي ليس عليه ولا يضره الذي يعمل في جميع عمره بعد هذه الحسنة والمعنى أنها مكفرة لذنوبه الماضية مع زيادة سيئاته الاتية كما ورد في ثواب صلاة الجماعة وفيه إشارة إلى بشارة له **بحسن الخاتمة** وقيل ما فيه إما موصولة أي ما بأس عليه الذي عمله من الذنوب بعد هذه العطايا في سبيل الله أو مصدرية أي ما علىى عثمان عمل من النوافل بعد هذه العطايا لأن تلك الحسنة تنوب عن جميع النوافل

قال المظهر أي ما عليه أن لا يعمل بعد هذه من النوافل دون الفرائض لأن تلك الحسنة تكفيه عن جميع النوافل كذا في المرقاة

قوله (هذا حديث غريب) وأخرجه أحمد

قوله (وفي الباب عن عبد الرحمن بن سمرة) أخرجه الترمذي بعد هذا

[٣٧٠١] قوله (حدثنا محمد بن إسماعيل) هو الإمام البخاري (أخبرنا الحسن بن واقع) بواو وقاف بن القاسم أبو علي الرملي خراساني الأصل ثقة من العاشرة (أخبرنا ضمرة) بن ربيعة الفلسطيني أبو

---

(١) تحفة الأحوذي، ٩/٢٩٨

عبد الله أصله دمشقي صدوق يهم قليلا من التاسعة (عن بن شوذب) اسمه عبد الله (عن عبد الله بن القاسم) شيخ لعبد الله بن شوذب صدوق من الثالثة كذا في التقريب وقال في تهذيب التهذيب روي عن كثير بن أبي كثير مولى بن سمرة وغيره وعنه عبد الله بن شوذب وقال عثمان الدارمي عن بن معين ليس به بأس وذكره بن حبان في الثقات له عند الترمذي في تجهيز ." (١)

"قال ابن رسلان: فيه السلام على الركب المسافرين إذا لقيهم وإن لم يعرفهم، وأن الذي يسلم يكون كبير القوم، وأن من لقي غيره لا يكلمه قبل أن يسلم عليه، وكذا لا يجيب من كلمه قبل أن يسلم لحديث: «السلام قبل الكلام» (قالوا المسلمون) فيه دليل على إطلاق ذلك ولا يحتاج إلى فصله بقوله إن شاء الله خوفا من **سوء الخاتمة** أي لأن الأصل بقاء الفصل وإن كان الإتيان بها نظرا لذلك أفضل (فقالوا من أنت) وعند أبي داود «من أنتم».

قال القاضي عياض: يحتمل أن يكون هذا اللقاء كان ليلا فلم يعرفوه، ويحتمل كونه نهارا لكنهم لم يروه قبل ذلك لعدم هجرتهم فأسلموا في بلدانهم ولم يهاجرو قبل ذلك (فقال أنا) وفي رواية أبي داود فقالوا (رسول الله فرفعت إليه امرأة صبيا) زاد أبو داود «فأخذت بعضده فأخرجته من محفتها» (فقالت يا رسول الله) كما في أبي داود (ألهذا) وعند أبي داود «هل لهذا» (حج) أي: يصح له (قال: نعم) فيه حجة للشافعي، والجمهور على انعقاد حج الصبي وإن كان غير مميز، إذ من يخرج من المحفة بعضده لا تمييز له، فيحرم عنه الولي إن كان غير مميز ويخير بين ذلك والإذن للصبي إن كان مميزا فيثاب الصبي عليه في الحالين وإن كان لا يجزيه عن حجة الإسلام بل يقع تطوعا (ولك أجر) أي ويثبت لك الأجر، وبسبب الحمل وتجنيبه المحرم وفعل ما يفعله المحرم.

أما الإحرام عنه، فإن كانت وصية أو قيمة صح وإلا فلا، ولا أجر لها في الإحرام عنه حيئذ، أما أجر حجة فيكتب له مع سائر ما يعمله من الطاعات من طواف وسعي وطهارة وصلاة وغيرها من الطاعات ولا يكتب له معصية بالإجماع (رواه مسلم) وأبو داود.." (٢)

"الكتاب) لتضمنه معنى يغلب: أي يغلب عليه ما كتب عليه قبل النفخ من الشقوة (فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) بفصل القضاء السابق المحتوم لشقوته (وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون)

---

(١) تحفة الأحوذي، ١٣٢/١٠

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١٥٠/٢

أي إلى أن لا يبقى (بينه وبينها إلا ذراع فسيبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة) من الإنابة والاستغفار وعمل الأبرار (فيدخلها) فالخاتمة نسخت السابقة، وبذر السعادة والشقاوة قد اختفى في الأطوار الإنسانية، ولا يظهر إلا إذا انتهى إلى الغاية الإيمانية أو الطغيانية، ففي الحديث إيماء إلى عدم الاغترار بصور الأعمال والركون إليها، بل بالخاتمة، وقد جاء في بعض روايات الحديث زيادة «وإنما الأعمال بالخواتيم» فلا يقطع لأحد معين بدخول الجنة إلا من أخبر أنه من أهلها، فعليك أن لا تتكل على عمل ولا تعجب به واسأل الله **حسن الخاتمة** واستعذ به من سوئها، ولا تقل قوله تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ (الكهف:٣٠) مخبر بأن من أخلص عمله أمن من سوئها. لأنا نقول: يجوز أن يكون ذلك معلقا على شرط القبول وحسنه. ثم قال القاضي عياض: الثاني كثير، وأما الأول فقليل لأن الله كريم يستحي أن ينزع السر من أهله، وفيه إثبات القدر، وهو مذهب أهل الحق، وأن جميع ما في الكون بقضاء وقدر من نفع أو ضرر (متفق عليه) وكذا رواه أصحاب السنن الأربعة.
". (١)

"من عدم دخوله إليها، ثم يحتمل أن يراد لا يدخلها دخول تخليد وتأبيد، ويحتمل أن يتسبب عنه بفضل الله تعالى من **حسن الخاتمة** ما يدخل به قائله الجنة مع الفائزين وهو المتبادر من متن الحديث (رواه الترمذي) في الدعوات من «جامعه» (وقال: حديث حسن) ثم أشار إلى أن شعبة قد رواه عنهما بنحوه ووقفه عليهما.

١٤٦ ـ باب استحباب سؤال أهل المريض عن حاله

وذلك لما فيه من العناية بحال المريض والاحتفال بأمره وإدخال السرور عليه.

١ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن علي بن أبي طالب رضيالله عنه خرج من عند رسول الله في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ؟) يؤخذ منه استحباب السؤال عن حال المريض إذا عسر الوصول إليه لعارض كغلبة مرض أو شرب دواء فيسن سؤال أهله حينئذ عن حاله، قال ابن حجر الهيتمي: وهذا الندب وإن لم يصرح به أصحابنا لكنه ظاهر المعنى لأن المريض إذا بلغه ذلك سر به (قال: أصبح بحمد الله) أي متلبسا بحمد الله (بارئا) اسم فاعل من البرء خبر بعد خبر أو حال ضمير أصبح ويجوز عكسه، والمعنى قريبا من البرء بحسب ظنه، أو للتفاؤل أو بارئا مما يعتري المريض من قلق

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١٢٦/٤

وغفلة. وفيه أن ينبغي لمن يسأل عن حال المريض أن يجيب بمثل ما ذكره فيه مما يشعر برضا المريض بما هو فيه عن الله تعالى، وأنه مستمر على حمده وشكره لم نغيره عنه شدة ولا مشقة، وبما يؤذن بخفة مرضه وقرب عافيته: قال ابن حجر أيضا: وهذا وإن لم يصرح به أصحابنا لكنه واضح (رواه البخاري) في الاستئذان، وأخرجه في المغازي أيضا من وجهين وزاد بعد بارئا، فقال العباس: «والله إني لأرى رسول الله سيتوفى من وجعه هذا، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت» الحديث.

١٤٧ ـ باب ما يقوله من أيس

بالبناء للفاعل (من حياته) أي بظهور علامات الموت التي لا يتخلف عنها عادة.." (١)

"فإن قلت: إن الحديث قتاله كفر وقد أخرجه في الباب الآتي. قلت: لكنه لم يبوب عليه بكفر دون كفر بل بوب بباب آخر ولم يستفد منه هذا المعنى. والحاصل أنه إذا بوب بترجمة أمكنت أن تكون إشارة إلى تحقيق الحافظ ابن تيمية لم يخرج تحتها حديثا، أطلق فيه الكفر على المعصية، لتكون إشارة إلى شرحها، وإن أخرج حديثا كذلك لم يترجم عليها بترجمة تكون مشعرة بشرحها، ولو كان أراد التحقيق المذكور لجمع بينهما. ولما حجر في الباب الآتي عن إطلاق الكفر على العاصي إلا بالشرك، وقال: «ويكفر صاحبها» مكان ولا يكفر، وأيضا لوجب عليه أن يقيد قوله: «ولا يكفر صاحبها» بقيد ما، كالكفر بالله ليتم مراده، ولا أخال عبارة المصنف رحمه الله تعالى تكون ناقصة في مثل هذا الموضع، وأيضا لما ذكر التحذير من الإصرار على التقاتل في باب خوف المؤمن أن يحبط عمله، وخشية أصحابه صلى الله عليه وسلمعلى أنفسهم النفاق، لأن حاصل ہذه الترجمة أنه ليس بكافر في الحال، ولكنه يخشى عليه **سوء الخاتمة**، أعاذنا الله منه وأماتنا على الملة البيضاء المحمدية على صاحبها الصلاة وألف ألف تحية.

فهناك تحذير من الكفر بكفر يوجب الخروج عن الملة، لا حكم بالكفر بكفر دون كفر في الحالة الراهنة، كما سيأتي، وهذا يخالف تحقيق الحافظ ابن تيمية فإنه يجوز إطلاق الكفر في الحال بكفر دون كفر، فينبغي أن يلاحظ في شرح هذا الباب هذان البابان أيضا، فإن لهما تعلقا بهذا الباب، وقد علمت: أن الترجمة التالية: ولا يكفر صاحبها يشعر بعدم اختياره هذا التحقيق، وكذا فيما بعده يدل على التحذير من

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢٠٥/٦

الكفر المخرج عن الملة، وليس فيه تعرضا إلى كفر دون كفر، مع عدم الإشارة إلى هذا التوجيه في باب من أبوابه، فلا يصح عندي إدخال هذا التحقيق في شرح تراجمه.." (١)

"وحاصلها عندي: التحذير من الجراءة على المعاصي، وأنه ينبغي للمؤمن أن يخاف من **سوء الخاتمة**، ولا يغتر بكونه على صلاح الحال، فإن الكفر قد يطرأ في وسط العمر، وأخرى عند الموت، والعياذ بالله. وهذا كفر تكوينا لا تشريعا، يعني أن الرجل ربما يرتكب المعاصي ولا يحكم عليه بالكفر لأجلها، لكنها قد تؤدي إلى سلب الإيمان عند الموت من جانب الله تكوينا، فحذر المصنف رحمه الله تعالى عن هذا النوع من الكفر، أو أراد به الرد على المرجئة خاصة القائلين: بأنه لا تضر مع الإيمان معصية، فرد عليهم: بأن المعاصي من شأنها إحباط العمل حتى تؤدي إلى سلب الإيمان أيضا، كما كان رد قبلها على المعتزلة في باب المعاصي من أمر الجاهلية.

ومن أقوى شبه المعتزلة: أن المعصية دليل لنقصان التصديق، فإن من أذعن بكون الحية في هذا الحجر مثلا، لا يدخل يده فيها أبدا، فكذلك من صدق بأن الزنا موجب للنار، ينبغي أن لا يأتي بهـ. وإتيانه دليل على ضعف في تصديقه ونقصان في اعتقاده.

قلت: كلا، بل الإنسان قد يقتحم المعاصي مع بقائه على التصديق واليقين، اعتمادا على أبواب المغفرة وتوثقا برحمة الله تعالى. فإذا هم بالسيئة تطلع قلبه في تلك الأبواب حتى يقع في المعصية. وهذا كالسارق يسرق مع أنه مذعن بأن السرقة جريرة، وجزاؤه الحبس في الحكومة الحاضرة وما ذلك إلا لتطلعه في أبواب أخر، فيزعم لعله لا يظفر به مثلا، ولو ظفر به فلعله لا تثبت عليه جريرته، ولو ثبتت فلعله يعفى عنه إلى غير ذلك من الاحتمالات. فكذلك فيما نحن فيه، يخوض الإنسان في المعاصي ويعتمد على رحمته تعالى، أو أنه يتوب قبل الموت وغير ذلك.." (٢)

" التفسير لحديث عثمان وهو من توضأ نحو وضوئي الخ وعلى هذا فقوله أحسن الوضوء هو أن يتوضأ نحو ذلك الوضوء وقوله في حديث عثمان لا يحدث نفسه فيهما هو أن يقبل عليهما بقلبه ووجهه وقوله في ذلك الحديث غفر له الخ أريد به أنه يجب له الجنة ولا شك أن ليس المراد دخول الجنة مطلقا فإنه يحصل بالإيمان بل المراد دخولا أوليا وهذا يتوقف على مغفرة الصغائر والكبائر جميعا بل مغفرة ما يفعل بعد ذلك أيضا نعم لا بد من اشتراط الموت على **حسن الخاتمة** وقد يجعل هذا الحديث بشارة

---

(١) فيض الباري شرح البخاري، ١/١٧١

(٢) فيض الباري شرح البخاري، ١/٢٠٧

بذلك أيضا والله تعالى أعلم قوله الوضوء من المذي بفتح الميم وسكون ذال معجمة وتخفيف ياء أو بكسر ذال وتشديد ياء هو الماء الرقيق اللزج يخرج عادة عند الملاعبة والتقبيل قوله مذاء بالتشديد والمد للمبالغة في كثرة المذي لرجل جالس إلى جنبي الظاهر أن المراد أي في مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم فهذا يدل على حضوره مجلس الجواب كما جاء في بعض الروايات وهذا يرد على من استدل بالحديث على جواز الاكتفاء بالظن مع إمكان حصول العلم وفيه أنه ينبغي أن لا يذكر ما يتعلق بالجماع والاستمتاع عند الاصهار قوله

١٥٣ – إذا بنى الرجل إلى قوله فسل كان جواب إذا مقدر أي ماذا عليه ما أدري فسل يغسل مذاكيره هو جمع ذكر على غير قياس وقيل جمع لا واحد له وقيل واحده مذكار وإنما جمع مع أنه في الجسد ." (١)

" ٥٤٩١ – من درك الشقاء الدرك بفتحتين وحكى سكون الثاني اللحاق والشقاء بالفتح والمد الشدة أي من لحاق الشدة وقال السيوطي والمراد بالشقاء **سوء الخاتمة** نعوذ بالله منه وسوء القضاء قال الكرماني هو بمعنى المقضي إذ حكم الله من حيث هو حكمه كله حسن لا سوء فيه قالوا في تعريف القضاء ." (٢)

" – قال الترمذي بعد اخراج هذا الحديث هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه

وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انتهى

وأخرجه أيضا ابن حبان وصححه

قوله : " أوصيكم بأصحابي " قد وقع الأختلاف فيمن يستحق إطلاق اسم الصحابي عليه وهو مبسوط في مواطنه من علم الأصطلاع

قوله : " الجابية " بالجيم قال في القاموس هو حوض ضخم والجماعة وقرية بدمشق وباب الجابية من أبوابها انتهى . والمراد هنا القرية

قوله : " ثم يفشو الكذب " رتب صلى الله عليه وآله وسلم فشو الكذب على انقراض الثالث . فالقرن الذي بعده ثم من بعده إلى القيامة قد فشا فيهم الكذب بهذا النص . فعلى المتيقظ من حاكم أو عالم أن يبالغ في تعريف أحوال الشهادة والمخبرين وأن لا يجعل الأصل في ذلك الصدق لأن كل شهادة وكل خبر قد دخله الاحتمال ومع دخول الاحتمال يمتنع القبول إلا بعد معرفة صدق المخبر والشاهد بأي

---

(١) حاشية السندي على النسائي، ٩٦/١

(٢) حاشية السندي على النسائي، ٢٦٩/٨

دليل . وأقل الأحوال أنه ليس ممن يتجارأ على الكذب ويجازف في أقواله . ومن هذه الحيثية لم يقبل المجهول عند علماء المنقول لأن العدالة ملكة والملكات مسبوقة بالعدم فمن لا تعرف عدالته لا تقبل روايته لأن الفسق مانع فلا بد من تحقق عدمه . وكذلك الكذب مانع فلا بد من تحقق عدمه كما تقرر في الأصول

وفي الحديث التوصية بخير القرون وهم الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

وقد وعدنا أن نذكر ههنا طرقا من الكلام على ما ورد من معارضة الأحاديث القاضية بأفضلية الصحابة فنقول قد تقدم في باب من أعلم صاحب الحق بشهادة له عنده وذم من أدى شهادة من غير مسألة حديث عمران ابن حصين وحديث أبي هريرة أن خير القرون قرنه صلى الله عليه وآله وسلم وفي ذلك دليل على أنهم الخيار من هذه الأمة وأنه لا أكثر خيرا منهم وقد ذهب الجمهور إلى أن ذلك باعتبار كل فرد فرد وقال ابن عبد البر إن التفضيل إنما هو بالنسبة إلى مجموع الصحابة فإنهم أفضل ممن بعدهم لا كل فرد منهم

وقد أخرج الترمذي بإسناد قوي من حديث أنس مرفوعا " مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره " وأخرجه أبو يعلى في مسنده بإسناد ضعيف وصححه ابن حبان من حديث عمار وأخرج ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير بإسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدركن المسيح أقواما أنهم لمثلكم أو خير ثلاثا ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها ولكنه مرسل لأن عبد الرحمن تابعي وأخرج الطيالسي بإسناد ضعيف عن عمرو رفعه أفضل الخلق إيمانا قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولا يروني

وأخرج أحمد والدارمي والطبراني بإسناد حسن من حديث أبي جمعة قال قال أبو عبيدة يا رسول الله أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني وقد صححه الحاكم وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة رفعه بدا الإسلام غيبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء

وأخرج أبو داود والترمذي من حديث ثعلبة رفعه تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل منهم أو منا يا رسول الله قال بل منكم وجمع الجمهور بأن الصحبة لها فضيلة ومزية لا يوازيها شيء من الأعمال فلمن صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضيلة الصحبة وإن قصر في الأعمال وفضيلة من بعد الصحابة باعتبار كثرة الأعمال المستلزمة لكثرة الأجور فحاصل هذا الجمع أن التنصيص على فضيلة الصحابة باعتبار فضيلة الصحبة وأما باعتبار أعمال الخير فهم كغيرهم قد يوجد فيمن بعدهم من هو أعمالا منهم أو من

بعضهم فيكون أجره باعتبار ذلك أكثر فكان أفضل من هذه الحيثية ويشكل على هذا الجمع ما ثبت في الأحاديث الصحيحة في الصحابة بلفظ " لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " فإن هذا التفضيل باعتبار خصوص أجور الأعمال لا باعتبار فضيلة الصحبة ويشكل عليه أيضا حديث ثعلبة المذكور فإنه قال للعامل فيهن أجر خمسين رجلا ثم بين أن الخمسين من الصحابة وهذا صريح في أن التفضيل باعتبار الأعمال فاقتضى الأول أفضيلة الصحابة في الأعمال إلى حد يفضل نصف مدهم مثل أحد ذهبا واقتضى الثاني تفضيل من بعدهم إلى حد يكون أجر العامل أجر خمسين رجلا من الصحابة وفي بعض ألفاظ حديث ثعلبة فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن كالقبض على الجمر أجر العامل فيهن أجر خمسين رجلا فقال بعض الصحابة منا يا رسول الله أو منهم فقال بل منكم فتقرر بما ذكرناه عدم صحة ما جمع به الجمهور وقال النووي في حديث " أمتي كالمطر " أنه يشبته على الدين يرون عيسى ويدركون زمانه وما فيه من الخير أي الزمانين أفضل قال وهذا الأشتباه مندفع بصريح قوله صلى الله عليه وآله وسلم خير القرون ولا يخفى ما في هذا من التعسف الظاهر والذي أوقعه فيه عدم ذكر فاعل يدري فحمله على هذا وغفل عن التشبيه بالمطر المفيد لوقوع التردد في الخيرية من كل أحد والذي يستفاد من مجموع الأحاديث أن للصحابة مزية لا يشاركهم فيها من بعدهم وهي صحبته صلى الله عليه وآله وسلم ومشاهدته والجهاد بين يديه وإنفاذ أوامره ونواهيه ولمن بعده مزية لا يشاركه الصحابة فيها وهي إيمانهم بالغيب في زمان لا يرون فيه الذات الشريفة التي جمعت من المحاسن ما يقود بزمام كل مشاهد إلى الإيمان إلا من حقت عليه الشقاوة وأما باعتبار الأعمال فأعمال الصحابة فاضلة مطلقا من غير تقييد لحالة مخصوصة كما يدل عليه لو أنفق أحدكم ومثل أحد الحديث . إلا أن هذه المزية للسابقين منهم فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاطب بهذه المقالة جماعة من الصحابة الذين تأخر إسلامهم كما يشعر بذلك السبب وفيه قصة مذكورة في كتب الحديث فالذين قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا هم جماعة من الصحابة الذين تأخرت صحبتهم فكان بين منزلة أول الصحابة وأخرهم أن إنفاق مثل أحد ذهبا من متأخيرهم لا يبلغ مثل إنفاق نصف مد من متقدميهم وأما أعمال من بعد الصحابة فلم يرد ما يدل على كونها أفضل على الإطلاق إنما ورد ذلك مقيدا بأيام الفتنة وغلبة الدين حتى كان أجر الواحد يعدل أجر خمسين رجلا من الصحابة فلم يرد ما يدل على كونها أفضل على الإطلاق إنما ورد ذلك مقيدا بأيام الفتنة وغربة الدين حتى كان أجر الواحد يعدل أجر خمسين رجلا من الصحابة فيكون هذا مخصصا لعموم ما ورد في أعمال الصحابة فأعمال الصحابة فاضلة وأعمال من بعدهم مفضولة إلا في مثل تلك الحالة ومثل

حالة من أدرك المسيح إن صح ذلك المرسل وبانضمام أفضلية الأعمال إلى مزية الصحبة يكونون خير القرون ويكون قوله لا يدري خير أوله أم أخره باعتبار أن في المتأخرين من يكون بتلك المثابة من كون أجر خمسين هذا باعتبار أجور الأعمال وأما باعتبار غيرها فلكل طائفة مزية كما تقدم ذكره لكن مزية الصحابة فاضلة مطلقة باعتبار مجموع القرن لحديث خير القرون قرني فإذا اعتبرت كل قرن قرن ووازنت بين مجموع القرن الأول مثلا ثم الثاني ثم كذلك إلى إنقراض العالم فالصحابة خير القرون ولا ينافي هذا تفضيل الواحد من أهل قرن أو الجماعة على الواحد أو الجماعة من أهل قرن أخر فإن قلت ظاهر الحديث المتقدم أن أبي عبيدة قال يا رسول الله أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك فقال قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولا يروني يقتضي تفضيل مجموع قرن هؤلاء على مجموع قرن الصحابة قلت ليس هذا الحديث ما يفيد تفضيل المجموع على المجموع وإن سلم ذلك وجب المصير إلى الترجيح لتعذر الجمع ولا شك أن حديث خير القرون قرني ارجح من هذا الحديث بمسافات لو لم يكن إلا كونه في الصحيحين وكونه ثابتا من طرق وكونه متلقي بالقبول فظهر بهذا وجه الفرق بين المزيتين من غير نظر إلى الأعمال كما ظهر وجه الجمع باعتبار الأعمال على ما تقدم تقريره فلم يبق ههنا إشكال والله أعلم

قوله : " لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان " سبب ذلك أن الرجل يرغب إلى المرأة لما جبل عليه من الميل إليها لما ركب فيه من شهوة النكاح وكذلك المرأة ترغب إلى الرجل لذلك فمع ذلك يجد الشيطان السبيل إلى إثارة شهوة كل واحد منهما إلى الآخر فتقع المعصية

قوله : " بحبوحة الجنة " قال في النهاية بحبوحة الدار وسطها يقال بحبح إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام والبحبوحة بمهملتين وموحدتين والمراد أن لزوم الجماعة سبب الكون في بحبوحة الجنة لأن يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار كما ثبت في الحديث قوله " من سره حسنته " الخ فيه دليل على أن السرور لأجل الحسنة والحزن لأجل السيئة من خصال الإيمان لأن من ليس من أهل الإيمان لا يبالي أحسن أم أساء وأما من كان صحيح الإيمان خالص الدين فإنه لا يزال من سيئته في غم لعلمه بأنه مأخوذ بها محاسب عليها ولا يزال من حسنته في سرور لأنه يعلم أنها مدخرة له في صحائفه فلا يزال حريصا على ذلك حتى يوفقه الله عز و جل **لحسن الخاتمة** . وإلى هنا انتهى الشرح الموسوم بنيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار بعناية مؤلفة (محمد بن علي بن محمد الشوكاني) غفر الله له ذنوبه وستر عيوبه وتقبل

أعماله وأصلح أقواله و أفعاله وختم له بخير ودفع عنه كل بؤس وضير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ." (١)

" رجل لا يدع شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه فقالوا ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم هو من أهل النار فقال رجل من القوم أنا أصاحبه فأتبعه فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه على الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال أشهد أنك رسول الله وقص عليه القصة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة زاد البخاري رواية إنما الأعمال بالخواتيم وقوله فيما يبدو للناس إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك وإن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس إما من جهة عمل سيىء ونحو ذلك فتلك الخصلة الخفية توجب **سوء الخاتمة** عند الموت وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفيه من خصال الخير فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره فتوجب له **حسن الخاتمة** قال عبد العزيز بن أبي رواد حضرت رجلا عند الموت يلقن الشهادة لا إله إلا الله فقال في آخر ما قال هو كافر بما تقول ومات على ذلك قال فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر وكان عبد العزيز يقول اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته وفي الجملة فالخواتيم ميراث السوابق فكل ذلك سبق في الكتاب السابق ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق وقد قيل إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم يقولون بماذا يختم لنا وقلوب المقربين معلقة بالسوابق يقولون ماذا سبق لنا وبكى بعض الصحابة عند موته فسئل عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول إن الله تعالى قبض خلقه قبضتين فقال هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار ولا أدري في أي القبضتين كنت قال بعض السلف ما أبكى العيون ما أبكاها الكتاب السابق وقال سفيان لبعض الصالحين هل أبكاك قط علم الله فيك فقال له ذلك الرجل تركني لا أفرح أبدا وكان سفيان يشتد قلقه من السوابق والخواتيم فكان يبكي ويقول أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيا ويبكي ويقول أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت وكان مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضا على لحيته ويقول يا رب قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ففي أي الدارين منزل مالك وقال حاتم الأصم من خلا قلبه من ذكر

---

(١) نيل الأوطار، ١٦٨/٩

أربعة أخطار فهو مغتر فلا يأمن الشقاء الأول خطر يوم الميثاق حين قال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فلا يعلم في أي الفريقين كان والثاني حين خلق في ظلمات ثلاث فنادى الملك ." (١)

" بالشقاوة والسعادة ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء والثالث ذكر هول المطلع فلا يدري أيبشر برضا الله أم بسخطه والرابع يوم يصدر الناس أشتاتا فلا يدري أي الطريقين يسلك به وقال سهل التستري المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر ومن هنا كان الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح يخافون على أنفسهم النفاق ويشتد قلقهم وجزعهم منه فالمؤمن يخاف على نفسه النفاق الأصغر ويخاف أن يغلب ذلك عليه عند الخاتمة فيخرجه إلى النفاق الأكبر كما تقدم أن دسائس السوء الخلفية توجب **سوء الخاتمة** وقد كان النبي صلى الله عليه و سلم يكثر أن يقول في دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقيل له يا نبي الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا فقال نعم إن القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن عز و جل يقلبها كيف شاء خرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس وخرج الإمام أحمد من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يكثر في دعائه أن يقول اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله أو إن القلوب لتتقلب قال نعم ما من خلق الله من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين اصبعين من أصابع الله عز و جل فإن شاء عز و جل أقامه وإن شاء أزاغه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب قالت قلت يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي قال بلى وقولي اللهم رب النبي محمد صلى الله عليه و سلم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة وخرج مسلم من حديث عبدالله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول إن قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن عز و جل كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك الحديث الخامس عن أم المؤمنين أم عبدالله عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ." (٢)

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص/٥٧

(٢) جامع العلوم والحكم، ص/٥٨

"والأثر الذي ذكره البخاري عن ابن أبي مليكة : هو معروف عنه من رواية الصلت بن دينار عنه (١) . وفي الصلت ضعف . وفي بعض الروايات : عنه ، عن ابن أبي مليكة قال : أدركت زيادة على خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات أحد منهم إلا وهو يخاف النفاق على نفسه . وأما الأثر الذي ذكره عن الحسن : فقال : ويذكر عن الحسن قال : ما خاف إلا مؤمن ، ولا أمنه إلا منافق ، فهذا مشهور عن الحسن ، صحيح عنه . والعجب من قوله في هذا : ويذكر ، وفي قوله في الذي قبله : وقال ابن أبي مليكة – جزما (٢) .

قال الإمام أحمد في كتاب " الإيمان " له : حدثنا مؤمل قال : سمعت حماد بن زيد قال : ثنا أيوب قال : سمعت الحسن يقول : والله ما أصبح على وجه الأرض مؤمن ولا أمسى على وجهها مؤمن إلا وهو يخاف النفاق على نفسه، وما أمن النفاق إلا منافق .

حدثنا روح بن عبادة قال : ثنا هشام قال : سمعت الحسن يقول : والله ما مضى مؤمن ولا بقي إلا يخاف النفاق ولا أمنه إلا منافق . وروى جعفر الفريابي في كتاب " صفة المنافق " من حديث جعفر بن سليمان ، عن معلى بن زياد قال : سمعت الحسن يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق ، ولا مضى منافق ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن . قال : وكان يقول : من لم يخف النفاق فهو منافق (٣) .

وعن حبيب بن الشهيد ، عن الحسن قال : إن القوم لما رأوا هذا النفاق يغول الإيمان لم يكن لهم هم غير النفاق(٤) .

والروايات في هذا المعنى عن الحسن كثيرة . وقول البخاري بعد ذلك : " وما يحذر من الإصرار عل النفاق والعصيان من غير توبة لقول الله تعالى ﴿ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ١٣٥] : فمراده أن الإصرار على المعاصي وشعب النفاق من غير توبة يخشى منها أن يعاقب صاحبها بسلب الإيمان بالكلية وبالوصول إلى النفاق الخالص وإلى **سوء الخاتمة** ، نعوذ بالله من ذلك ، كما يقال : إن المعاصي بريد الكفر .

---

(١) أخرجه البخاري في " تاريخه الكبير " (٥ / ١٣٧) من طريق ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، به .
(٢) . قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (١ / ١١١) : " وقد يستشكل ترك البخاري الجزم به مع صحته عنه ، وذلك محمول على قاعدة ذكرها لي شيخنا أبو الفضل بن الحسين الحافظ رحمه الله ، وهي

: أن البخاري لا يخص صيغة التمريض بضعف الإسناد ؛ بل إذا ذكر المتن بالمعنى أو اختصره أتى به – أيضا – لما علم من الخلاف في ذلك ، فهنا كذلك " أ . هـ وقال القسطلاني في " إرشاد الساري " (١ / ١٣٦) " .... وأتى بـ " يذكر " الدالة على التمريض نع صحة هذا الأثر ؛ لأن عادته الإتيان بنحو ذلك فيما يختصره من المتون أو يسوقه بالمعنى ؛ لا أنه ضعيف " أ . هـ

(٣) أخرجه الفريابي في " صفة المنافق " (ص : ١٢١) .

(٤) المصدر السابق (ص : ١١٩) .." [1]

" شهيدا وقيل لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة وقيل لأنه الذي يشهد يوم القيامة بابلاغ الرسل وقيل لأن الملائكة تشهد له **بحسن الخاتمة** وقيل لأن الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع وقيل لأن الله يشهد له بحسن نيته وإخلاصه وقيل لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره وقيل لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة وقيل لأنه مشهود له بالأمان من النار وقيل لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا وبعض هذه يختص بمن قتل في سبيل الله وبعضها يعم غيره وبعضها قد ينازع فيه وهذه الترجمة لفظ حديث أخرجه مالك من رواية جابر بن عتيك بفتح المهملة وكسر المثناة بعدها تحتانية ساكنة ثم كاف أن النبي صلى الله عليه و سلم جاء يعود عبد الله بن ثابت فذكر الحديث وفيه ما تعدون الشهيد فيكم قالوا من يقتل في سبيل الله وفيه الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله فذكر زيادة على حديث أبي هريرة الحريق وصاحب ذات الجنب والمرأة تموت بجمع وتوارد مع أبي هريرة في المبطون والمطعون والغريق وصاحب الهدم فأما صاحب ذات الجنب فهو مرض معروف ويقال له الشوصة وأما المرأة تموت بجمع فهو بضم الجيم وسكون الميم وقد تفتح الجيم وتكسر أيضا وهي النفساء وقيل التي يموت ولدها في بطنها ثم تموت بسبب ذلك وقيل التي تموت بمزدلفة وهو خطأ ظاهر وقيل التي تموت عذراء والأول أشهر قلت حديث جابر بن عتيك أخرجه أيضا أبو داود والنسائي وبن حبان وقد روى مسلم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة شاهدا لحديث جابر بن عتيك ولفظه ما تعدون الشهداء فيكم وزاد فيه ونقص فمن زيادته ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ولأحمد من حديث عبادة بن الصامت نحو حديث جابر بن عتيك ولفظه وفي النفساء يقتلها ولدها جمعا شهادة وله من حديث راشد بن حبيش نحوه وفيه والسل وهو بكسر المهملة وتشديد اللام وللنسائي من حديث عقبة بن عامر خمس من قبض فيهن فهو شهيد فذكر فيهم النفساء وروى أصحاب السنن وصححه الترمذي من حديث سعيد بن زيد مرفوعا من قتل دون ماله فهو شهيد وقال في الدين والدم والأهل

---

(١) فتح الباري لابن رجب، ١/١٠٠

مثل ذلك وللنسائي من حديث سويد بن مقرن مرفوعا من قتل دون مظلمته فهو شهيد قال الإسماعيلي الترجمة مخالفة للحديث وقال بن بطال لا تخرج هذه الترجمة من الحديث أصلا وهذا يدل على أنه مات قبل أن يهذب كتابه وأجاب بن المنير بأن ظاهر كلام بن بطال أن البخاري أراد أن يدخل حديث جابر بن عتيك فاعجلته المنية عن ذلك وفيه نظر قال ويحتمل أن يكون أراد التنبيه على أن الشهادة لا تنحصر في القتل بل لها أسباب أخر وتلك الأسباب اختلفت الأحاديث في عددها ففي بعضها خمسة وفي بعضها سبعة والذي وافق شرط البخاري الخمسة فنبه بالترجمة على أن العدد الوارد ليس على معنى التحديد انتهى وقال بعض المتأخرين يحتمل أن يكون بعض الرواة يعني رواة الخمسة نسي الباقي قلت وهو احتمال بعيد لكن يقربه ما تقدم من الزيادة في حديث أبي هريرة عند مسلم وكذا وقع لأحمد من وجه آخر عنه والمجنوب شهيد يعني صاحب ذات الجنب والذي يظهر أنه صلى الله عليه و سلم أعلم بالأقل ثم أعلم زيادة على ذلك فذكرها في وقت آخر ولم يقصد الحصر في شيء من ذلك وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة فإن مجموع ما قدمته مما اشتملت عليه الأحاديث التي ذكرتها أربع عشرة خصلة وتقدم في باب من ينكب في سبيل الله حديث أبي مالك الأشعري مرفوعا من وقصه فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه على أي حتف شاء الله تعالى فهو شهيد وصحح الدارقطني من حديث بن عمر موت الغريب شهادة ولابن حبان من حديث أبي هريرة من مات مرابطا مات شهيدا ." (١)

" ظرف مكان والعامل فيه قالوا وفي رواية فقالوا والعامل فيه رجعوا قوله رجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا قال الماوردي ظاهر هذا إنهم آمنوا عند سماع القرآن قال والإيمان يقع بأحد أمرين إما بأن يعلم حقيقة الإعجاز وشروط المعجزة فيقع له العلم بصدق الرسول أو يكون عنده علم من الكتب الأولى فيها دلائل على أنه النبي المبشر به وكلا الأمرين في الجن محتمل والله أعلم قوله وأنزل الله عز و جل على نبيه صلى الله عليه و سلم قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن زاد الترمذي قال بن عباس وقول الجن لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال لما رأوه يصلي وأصحابه يصلون بصلاته يسجدون بسجوده قال فتعجبوا من طواعية أصحابه له قالوا لقومهم ذلك قوله وإنما أوحي إليه قول الجن هذا كلام بن عباس كأنه تقرر فيه ما ذهب إليه أولا أنه صلى الله عليه و سلم لم يجتمع بهم وإنما أوحى الله إليه بأنهم استمعوا ومثله قوله تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا الآية ولكن لا يلزم من عدم ذكر اجتماعه بهم حين استمعوا أن لا يكون اجتمع بهم بعد ذلك كما

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – دار المعرفة، ٦/٤٣

تقدم تقريره وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن وأنهما لمسمى واحد وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان وفيه أن الصلاة في الجماعة شرعت قبل الهجرة وفيه مشروعيتها في السفر والجهر بالقراءة في صلاة الصبح وأن الاعتبار بما قضى الله للعبد من **حسن الخاتمة** لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها ومع ذلك فغلب عليهم ما قضى لهم من السعادة **بحسن الخاتمة** ونحو ذلك قصة سحرة فرعون وسيأتي مزيد لذلك في كتاب القدر أن شاء الله تعالى

(قوله سورة المزمل والمدثر)

كذا لأبي ذر واقتصر الباقون على المزمل وهو أولى لأنه أفرد المدثر بعد بالترجمة والمزمل بالتشديد أصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي وقد جاءت قراءة أبي بن كعب على الأصل قوله وقال مجاهد وتبتل أخلص وصله الفريابي وغيره وقد تقدم في كتاب قيام الليل قوله وقال الحسن أنكالا قيودا وصله عبد بن حميد والطبري من طريق الحسن البصري وقال أبو عبيدة الأنكال وأحدها نكل بكسر النون وهو القيد وهذا هو المشهور وقيل النكل الغل قوله منفطر به مثقلة به وصله عبد بن حميد من وجه آخر عن الحسن البصري في قوله السماء منفطر به قال مثقلة به يوم القيامة ووصله الطبري وبن أبي حاتم من طريقه بلفظ مثقلة موقرة ولابن أبي حاتم من طريق أخرى عن مجاهد منفطر به تنفطر من ثقل ربها تعالى وعلى هذا فالضمير لله ويحتمل أن يكون الضمير ليوم القيامة وقال أبو عبيدة أعاد الضمير مذكرا لأن مجاز السماء مجاز السقف يريد قوله منفطر ويحتمل أن يكون على حذف والتقدير شيء منفطر قوله وقال بن عباس كثيبا مهيلا الرمل السائل وصله بن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن بن عباس به وأخرجه ." (١)

" ذر بصريون وقد دخلها هو أيضا وفي رواية مسلم من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا أبي حدثنا الحسين المعلم قوله عن أبي ذر في رواية الإسماعيلي من وجهين عن أبي معمر شيخ البخاري فيه بالسند إلى أبي الأسود أن أبا ذر حدثه قوله لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كما قال وفي رواية للإسماعيلي إلا حار عليه وفي أخرى الا ارتدت عليه يعني رجعت عليه وحار بمهملتين أي رجع وهذا يقتضي أن من قال لآخر أنت فاسق أو قال له أنت كافر فإن كان ليس كما قال كان هو المستحق للوصف المذكور وأنه إذا كان كما قال لم يرجع عليه شيء لكونه صدق فيما

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – دار المعرفة، ٦٧٥/٨

قال ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقا ولا كافرا أن لا يكون آثما في صورة قوله له أنت فاسق بل في هذه الصورة تفصيل إن قصد نصحه أو نصح غيره ببيان حاله جاز وأن قصد تعييره وشهرته بذلك ومحض أذاه لم يجز لأنه مأمور بالستر عليه وتعليمه وعظته بالحسنى فمهما أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفعله بالعنف لأنه قد يكون سببا لإغرائه وإصراره على ذلك الفعل كما في طبع كثير من الناس من الآنفة لا سيما إن كان الآمر دون المأمور في المنزلة ووقع في رواية مسلم بلفظ ومن دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه ذكره في أثناء حديث في ذم من ادعى إلى غير أبيه وقد تقدم صدره في مناقب قريش بالإسناد المذكور هنا فهو حديث واحد فرقه البخاري حديثين وسيأتي هذا المتن في باب من أكفر أخاه بغير تأويل من حديث أبي هريرة ومن حديث بن عمر بلفظ فقد باء بها أحدهما وهو بمعنى رجع أيضا قال النووي اختلف في تأويل هذا الرجوع فقيل رجع عليه الكفر إن كان مستحلا وهذا بعيد من سياق الخبر وقيل محمول على الخوارج لأنهم يكفرون المؤمنين هكذا نقله عياض عن مالك وهو ضعيف لأن الصحيح عند الأكثرين أن الخوارج لا يكفرون ببدعتهم قلت ولما قاله مالك وجه وهو أن منهم من يكفر كثيرا من الصحابة ممن شهد له رسول الله صلى الله عليه و سلم بالجنة وبالايمان فيكون تكفيرهم من حيث تكذيبهم للشهادة المذكورة لا من مجرد صدور التكفير منهم بتأويل كما سيأتي إيضاحه في باب من أكفر أخاه بغير تأويل والتحقيق أن الحديث سيق لزجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم وذلك قبل وجود فرقة الخوارج وغيرهم وقيل معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره وهذا لا بأس به وقيل يخشى عليه أن يؤل به ذلك إلى الكفر كما قيل المعاصي بريد الكفر فيخاف على من أدامها وأصر عليها سوء الخاتمة وأرجح من الجميع أن من قال ذلك لمن يعرف منه الإسلام ولم يقم له شبهة في زعمه أنه كافر فإنه يكفر بذلك كما سيأتي تقريره فمعنى الحديث فقد رجع عليه تكفيره فالراجع التكفير لا الكفر فكأنه كفر نفسه لكونه كفر من هو مثله ومن لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام ويؤيده أن في بعض طرقه وجب الكفر على أحدهما وقال القرطبي حيث جاء الكفر في لسان الشرع فهو جحد المعلوم من دين الإسلام بالضرورة الشرعية وقد ورد الكفر في الشرع بمعنى جحد النعم وترك شكر المنعم والقيام بحقه كما تقدم تقريره في كتاب الإيمان في باب كفر دون كفر وفي حديث أبي سعيد يكفرن الإحسان ويكفرن العشير قال وقوله باء بها أحدهما أي رجع بإثمها ولازم ذلك واصل البوء اللزوم ومنه أبوء بنعمتك أي ألزمها نفسي وأقر بها قال والهاء في قوله بها راجع إلى التكفيرة الواحدة التي هي أقل ما يدل عليها لفظ

كافر ويحتمل أن يعود إلى الكلمة والحاصل أن المقول له ان كان كافرا كفرا شرعيا فقد صدق القائل وذهب بها المقول له وإن لم يكن رجعت ." (١)

" هذا ان الجميع مرفوع وبذلك جزم المحب الطبري وحينئذ تحمل رواية سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب على ان عبد الله بن مسعود لتحقق الخبر في نفسه اقسم عليه ويكون الادراج في القسم لا في المقسم عليه وهذا غاية التحقيق في هذا الموضع ويؤيد الرفع أيضا انه مما لا مجال للرأي فيه فيكون له حكم الرفع وقد اشتملت هذه الجملة على أنواع من التأكيد بالقسم ووصف المقسم به وبأن وباللام والأصل في التأكيد انه يكون لمخاطبة المنكر أو المستبعد أو من يتوهم فيه شيء من ذلك وهنا لما كان الحكم مستبعدا وهو دخول من عمل الطاعة طول عمره النار وبالعكس حسن المبالغة في تأكيد الخبر بذلك والله اعلم قوله أحدكم او الرجل ليعمل وقع في رواية آدم فان أحدكم بغير شك وقدم ذكر الجنة على النار وكذا وقع للأكثر وهو كذا عند مسلم وأبي داود والترمذي وبن ماجة وفي رواية حفص فان الرجل واخر ذكر النار وعكس أبو الأحوص ولفظه فان الرجل منكم قوله بعمل أهل النار الباء زائدة والأصل يعمل عمل أهل النار لان قوله عمل اما مفعول مطلق واما مفعول به وكلاهما مستغن عن الحرف فكان زيادة الباء للتأكيد أو ضمن يعمل معنى يتلبس في عمله بعمل أهل النار وظاهره انه يعمل بذلك حقيقة ويختم له بعكسه وسيأتي في حديث سهل بلفظ ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو محمول على المنافق والمرائي بخلاف حديث الباب فإنه يتعلق **بسوء الخاتمة** قوله غير ذراع أو باع في رواية الكشميهني غير باع أو ذراع وفي رواية أبي الأحوص الا ذراع ولم يشك وقد علقها المصنف لآدم في آخر هذا الحديث ووصل الحديث كله في التوحيد عنه ومثله في رواية أبي الأحوص والتعبير بالذراع تمثيل بقرب حاله من الموت فيحال من بينه وبين المكان المقصود بمقدار ذراع أو باع من المسافة وضابط ذلك الحسى الغرغرة التي جعلت علامة لعدم قبول التوبة وقد ذكر في هذا الحديث أهل الخير صرفا وأهل الشر صرفا إلى الموت ولا ذكر للذين خلطوا وماتوا على الإسلام لأنه لم يقصد في الحديث تعميم أحوال المكلفين وانما سيق لبيان ان الاعتبار بالخاتمة قوله بعمل أهل الجنة يعني من الطاعات الاعتقادية والقولية والفعلية ثم يحتمل أن الحفظة تكتب ذلك ويقبل بعضها ويرد بعضها ويحتمل ان تقع الكتابة ثم تمحى واما القبول فيتوقف على الخاتمة قوله حتى ما يكون قال الطيبي حتى هنا الناصبة وما نافية ولم تكف يكون عن العمل فهي منصوبة بحتى وأجاز غيره ان تكون حتى ابتدائية فتكون على هذا بالرفع وهو مستقيم أيضا قوله فيسبق عليه الكتاب في رواية أبي الأحوص

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – دار المعرفة، ١٠/٤٦٦

كتابه والفاء في قوله فيسبق إشارة إلى تعقيب ذلك بلا مهلة وضمن يسبق معنى يغلب قاله الطيبي وقوله عليه في موضع نصب على الحال أي يسبق المكتوب واقعا عليه وفي رواية سلمة بن كهيل ثم يدركه الشقاء وقال ثم تدركه السعادة والمراد يسبق الكتاب سبق ما تضمنه على حذف مضاف أو المراد المكتوب والمعنى انه يتعارض عمله في اقتضاء السعادة والمكتوب في اقتضاء الشقاوة فيتحقق مقتضى المكتوب فعبر عن ذلك بالسبق لان السابق يحصل مراده دون المسبوق ولأنه لو تمثل العمل والكتاب شخصين ساعيين لظفر شخص الكتاب وغلب شخص العمل ووقع في حديث أبي هريرة عند مسلم وان الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة زاد احمد من وجه اخر عن أبي هريرة سبعين سنة وفي حديث أنس عند احمد وصححه بن حبان لا عليكم ان لا تعجبوا بعمل أحد حتى تنظروا بم يختم له فان العامل يعمل زمانا من عمره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملا ." (١)

" تلك الاطوار إلى ان صار انسانا جميل الصورة مفضلا بالعقل والفهم والنطق كان حقا عليه ان يشكر من أنشأه وهيأه ويعبده حق عبادته ويطيعه ولا يعصيه وفيه ان في تقدير الأعمال ما هو سابق ولاحق فالسابق ما في علم الله تعالى واللاحق ما يقدر على الجنين في بطن أمه كما وقع في الحديث وهذا هو الذي يقبل النسخ وأما ما وقع في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السماوات والأرض بخمسين الف سنة فهو محمول على كتابة ذلك في اللوح المحفوظ على وفق ما في علم الله سبحانه وتعالى واستدل به على ان السقط بعد الأربعة اشهر يصلي عليه لأنه وقت نفخ الروح فيه وهو منقول عن القديم للشافعي والمشهور عن احمد وإسحاق وعن احمد إذا بلغ أربعة اشهر وعشرا ففي تلك العشر ينفخ فيه الروح ويصلي عليه والراجح عند الشافعية انه لا بد من وجود الروح وهو الجديد وقد قالوا فإذا بكى أو اختلج أو تنفس ثم بطل ذلك صلى عليه والا فلا والأصل في ذلك ما أخرجه النسائي وصححه بن حبان والحاكم عن جابر رفعه إذا استهل الصبي ورث وصلى عليه وقد ضعفه النووي في شرح المهذب والصواب انه صحيح الإسناد لكن المرجح عند الحفاظ وقفه وعلى طريق الفقهاء لا اثر للتعليل بذلك لان الحكم للرفع لزيادته قالوا وإذا بلغ مائة وعشرين يوما غسل وكفن ودفن بغير صلاة وما قبل ذلك لا يشرع له غسل ولا غيره واستدل به على ان التخليق لا يكون الا في الأربعين الثالثة فأقل ما يتبين فيه خلق الولد أحد وثمانون يوما وهي ابتداء الأربعين الثالثة وقد لا يتبين الا في آخرها ويترتب على ذلك انه لا تنقضي العدة بالوضع الا ببلوغها وفيه خلاف ولا يثبت للامة أمية الولد الا بعد دخول

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة، ١١/٤٨٧

الأربعين الثالثة وهذا قول الشافعية والحنابلة وتوسع المالكية في ذلك فأداروا الحكم في ذلك على كل سقط ومنهم من قيده بالتخطيط ولو كان خفيا وفي ذلك رواية عن احمد وحجتهم ما تقدم في بعض طرقه ان النطفة إذا لم يقدر تخليقها لا تصير علقة وإذا قدر انها تتخلق تصير علقة ثم مضغة الخ فمتى وضعت علقة عرف ان النطفة خرجت عن كونها نطفة واستحالت إلى أول أحوال الولد وفيه ان كلا من السعادة والشقاء قد يقع بلا عمل ولا عمر وعليه ينطبق قوله صلى الله عليه و سلم الله اعلم بما كانوا عاملين وسيأتي الإلمام بشيء من ذلك بعد أبواب وفيه الحث القوي على القناعة والزجر الشديد عن الحرص لان الرزق إذا كان قد سبق تقديره لم يغن التعني في طلبه وانما شرع الاكتساب لأنه من جملة الأسباب التي اقتضتها الحكمة في دار الدنيا وفيه ان الأعمال سبب دخول الجنة أو النار ولا يعارض ذلك حديث لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله لما تقدم من الجمع بينهما في شرحه في باب القصد والمداومة على العمل من كتاب الرقاق وفيه ان من كتب شقيا لا يعلم حاله في الدنيا وكذا عكسه واحتج من اثبت ذلك بما سيأتي قريبا من حديث على اما من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة الحديث والتحقيق ان يقال ان أريد انه لا يعلم أصلا ورأسا فمردود وان أريد انه يعلم بطريق العلامة المثبتة للظن الغالب فنعم ويقوى ذلك في حق من اشتهر له لسان صدق بالخير والصلاح ومات على ذلك لقوله في الحديث الصحيح الماضي في الجنائز أنتم شهداء الله في الأرض وان أريد انه يعلم قطعا لمن شاء الله ان يطلعه على ذلك فهو من جملة الغيب الذي استأثر الله بعلمه واطلع من شاء ممن ارتضى من رسله عليه وفيه الحث على الاستعاذة بالله تعالى من سوء الخاتمة وقد عمل به جمع جم من السلف وأئمة الخلف وأما ما قال عبد الحق في كتاب العاقبة أن سوء الخاتمة لا يقع لمن استقام باطنه وصلح ظاهره وانما يقع لمن في طويته فساد أو ارتياب ويكثر وقوعه للمصر على الكبائر والمجزىء على العظائم فيهجم عليه الموت بغتة فيصطلمه ." (١)

" الشيطان عند تلك الصدمة فقد يكون ذلك سببا لسوء الخاتمة نسأل الله السلامة فهو محمول على الأكثر الاغلب وفيه ان قدرة الله تعالى لا يوجبها شيء من الأسباب الا بمشيئته فإنه لم يجعل الجماع علة للولد لأن الجماع قد يحصل ولا يكون الولد حتى يشاء الله ذلك وفيه ان الشيء الكثيف يحتاج إلى طول الزمان بخلاف اللطيف ولذلك طالت المدة في اطوار الجنين حتى حصل تخليقه بخلاف نفخ الروح ولذلك لما خلق الله الأرض اولا عمد إلى السماء فسواها وترك الأرض لكثافتها بغير فتق ثم فتقتا معا ولما خلق آدم فصوره من الماء والطين تركه مدة ثم نفخ فيه الروح واستدل الداودي بقوله فتدخل النار على ان

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – دار المعرفة، ١١/٤٨٩

الخبر خاص بالكفار واحتج بأن الإيمان لا يحبطه إلا الكفر وتعقب بأنه ليس في الحديث تعرض للاحباط وحمله على المعنى الأعم أولى فيتناول المؤمن حتى يختم له بعمل الكافر مثلا فيرتد فيموت على ذلك فنستعيذ بالله من ذلك ويتناول المطيع حتى يختم له بعمل العاصي فيموت على ذلك ولا يلزم من إطلاق دخول النار انه يخلد فيها ابدا بل مجرد الدخول صادق على الطائفتين واستدل له على انه لا يجب على الله رعاية الاصلح خلافا لمن قال به من المعتزلة لأن فيه ان بعض الناس يذهب جميع عمره في طاعة الله ثم يختم له بالكفر والعياذ بالله فيموت على ذلك فيدخل النار فلو كان يجب عليه رعاية الاصلح لم يحبط جميع عمله الصالح بكلمة الكفر التي مات عليها ولا سيما ان طال عمره وقرب موته من كفره واستدل به بعض المعتزلة على ان من عمل عمل أهل النار وجب ان يدخلها لترتب دخولها في الخبر على العمل وترتب الحكم على الشيء يشعر بعليته وأجيب بأنه علامة لا علة والعلامة قد تتخلف سلمنا انه علة لكنه في حق الكفار واما العصاة فخرجوا بدليل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فمن لم يشرك فهو داخل في المشيئة واستدل به الأشعري في تجويزه تكليف مالا يطاق لأنه دل على ان الله كلف العباد كلهم بالإيمان مع انه قدر على بعضهم انه يموت على الكفر وقد قيل ان هذه المسألة لم يثبت وقوعها الا في الإيمان خاصة وما عداه لا توجد دلالة قطعية على وقوعه واما مطلق الجواز فحاصل وفيه ان الله يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات لتصريح الخبر بأنه يأمر بكتابة أحوال الشخص مفصلة وفيه انه سبحانه مريد لجميع الكائنات بمعنى انه خالقها ومقدرها لا أنه يحبها ويرضاها وفيه ان جميع الخير والشر بتقدير الله تعالى وايجاده وخالف في ذلك القدرية والجبرية فذهبت القدرية إلى ان فعل العبد من قبل نفسه ومنهم من فرق بين الخير والشر فنسب إلى الله الخير ونفى عنه خلق الشر وقيل انه لا يعرف قائله وان كان قد اشتهر ذلك وانما هذا رأي المجوس وذهبت الجبرية إلى ان الكل فعل الله وليس للمخلوق فيه تأثير أصلا وتوسط أهل السنة فمنهم من قال أصل الفعل خلقه الله وللعبد قدرة غير مؤثرة في المقدور واثبت بعضهم ان لها تأثيرا لكنه يسمى كسبا وبسط ادلتهم يطول وقد اخرج احمد وأبو يعلى من طريق أيوب بن زياد عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت حدثني أبي قال دخلت على عبادة وهو مريض فقلت اوصني فقال إنك لن تطعم طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره وهو أن تعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك الحديث وفيه وان مت ولست على ذلك دخلت النار وأخرجه الطبراني من وجه اخر بسند حسن عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء مرفوعا مقتصرا على قوله ان العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه

وسيأتي الإلمام بشيء منه في كتاب التوحيد في الكلام على خلق افعال العباد ان شاء الله تعالى وفي الحديث ان ." (١)

" الاقدار غالبة والعاقبة غائبة فلا ينبغي لأحد ان يغتر بظاهر الحال ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين **وبحسن الخاتمة** وسيأتي في حديث علي الاتي بعد بابين سؤال الصحابة عن فائدة العمل مع تقدم التقدير والجواب عنه اعملوا فكل ميسر لما خلق له وظاهره قد يعارض حديث بن مسعود المذكور في هذا الباب والجمع بينهما حمل حديث علي على الأكثر الاغلب وحمل حديث الباب على الاقل ولكنه لما كان جائزا تعين طلب الثبات وحكى بن التين ان عمر بن عبد العزيز لما سمع هذا الحديث أنكره وقال كيف يصح ان يعمل العبد عمره الطاعة ثم لا يدخل الجنة انتهى وتوقف شيخنا بن الملقن في صحة ذلك عن عمر وظهر لي انه ان ثبت عنه حمل على ان راويه حذف منه قوله في آخره فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها أو أكمل الراوي لكن استبعد عمر وقوعه وان كان جائزا ويكون إيراده على سبيل التخويف من **سوء الخاتمة** الحديث الثاني حديث أنس

٦٢٢٢ - قوله حماد هو بن زيد وعبيد الله بن أبي بكر أي بن أنس بن مالك قوله وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة الخ أي يقول كل كلمة من ذلك في الوقت الذي تصير فيه كذلك كما تقدم بيانه في الحديث الذي قبله وقد مضى شرحه مستوفي فيه وتقدم شيء منه في كتاب الحيض ويجوز في قوله نطفة النصب على إضمار فعل والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وفائدة ذلك انه يستفهم هل يتكون منها اولا وقوله ان يقضي خلقها أي يأذن فيه

(قوله باب بالتنوين جف القلم)

أي فرغت الكتابة إشارة إلى أن الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يتغير حكمه فهو كناية عن الفراغ من الكتابة لأن الصحيفة حال كتابتها تكون رطبة أو بعضها وكذلك القلم فإذا انتهت الكتابة جفت الكتابة والقلم وقال الطيبي هو من إطلاق اللازم على الملزوم لأن الفراغ من الكتابة يستلزم جفاف القلم عند مداده قلت وفيه إشارة إلى ان كتابة ذلك انقضت من امد بعيد وقال عياض معنى جف القلم أي لم يكتب بعد ذلك شيئا وكتاب الله ولوحه وقلمه من غيبه ومن علمه الذي يلزمنا الإيمان به ولا يلزمنا معرفة صفته وانما خوطبنا بما عهدنا فيما فرغنا من كتابته ان القلم يصير جافا للاستغناء عنه قوله على علم الله أي على حكمه لان معلومه لا بد ان يقع فعلمه بمعلوم يستلزم الحكم بوقوعه وهذا لفظ حديث أخرجه احمد وصححه بن

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة، ١١/٤٩٠.

حبان من طريق عبد الله بن الديلمي عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول ان اللہ عز و جل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن اصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن اخطأه ضل فلذلك ." (١)

"نعوذ بالله من سوء المقصد **وسوء الخاتمة** ونسأل الله جل وعلا أن يمنحنا إيمانا ويقينا وعملا صالحا نفوز به في الدار الآخرة . وبالله التوفيق .

باب العتق

تعريف العتق قال ابن الملقن هو في الشرع إزالة ملك عن آدمي لا إلى مالك تقربا إلى الله تعالى .

وأقول : الأولى في التعريف به : إزالة المالك المختار الذي يصح تصرفه ملكه عن آدمي تقربا إلى الله عز وجل ورغبة في ثواب العتق ذلك لأن المعتق يتخلص من الملكة التي تجعل تصرفه في يد غيره والإسلام يرغب في عتق المسلم ويجعله سببا في العتق من النار لمن اعتق ذلك المعتق وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه) (١)

والإسلام يرغب في العتق ويحث عليه وبالأخص إذا كان المعتق مسلما ومن أجل ترغيبه في العتق فإنه يجعل عتق الحصة في العبد موجبا لعتق الجميع إذا كان المعتق موسرا كما في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما

الحديث الأول : عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال من أعتق شركا له في عبد فكان له مال يبلغ ثمن العبد قوم عليه قيمة عدل فأعطى شركاءه حصصهم وعتق عليه العبد وإلا فقد عتق منه ما عتق .

قال المحقق رواه البخاري برقم ٢٥٢١ ومسلم برقم ١٥٠١

موضوع الحديث : عتق الحصة في العبد وأنه يسري العتق في الجميع إذا كان المعتق غنيا وعليه لشركائه حصصهم

المفردات

من أعتق شركا له في عبد : أي شراكة له فيه بأن حرر نصيبه مبتغيا بذلك وجه الله

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – دار المعرفة، ١١/٤٩١

(١) صحيح البخاري في كتاب كفارات الأيمان باب قول الله أو تحرير رقبة وأي الرقاب أزكى رقم ٦٧١٥ ومسلم في كتاب العتق باب فضل العتق رقم ١٥٠٩ والترمذي في كتاب النذور والأيمان عن رسول الله باب ما جاء في ثواب من أعتق رقبة رقم ١٥٤١." (١)

" ١٧١ - (اجتنبوا) أبعدوا وهو أبلغ من لا تفعلوا لأن نهي القربان أبلغ من نهي المباشرة ذكره الطيبي (السبع) أي الكبائر السبع ولا ينافيه عدها في أحاديث أكثر لأنه أخبر في كل مجلس بما أوحى إليه أو ألهم أو سنح له باعتبار أحوال السائل أو تفاوت الأوقات أو لزيادة فحشها وفظاظة قبحها أو لأن مفهوم العدد غير حجة أو لغير ذلك (الموبقات) بضم الميم وكسر الموحدة التحتية المهلكات جمع موبقة وهي الخصلة المهلكة أو المراد الكبيرة أجملها وسماها مهلكات ثم فصلها ليكون أوقع في النفس وليؤذن بأنها نفس المهلكات وقول التاج السبكي الموبقة أخص من الكبيرة وليس في حديث أبي هريرة أنها الكبائر تعقبه الحافظ ابن حجر بالرد قال ابن عباس وهي إلى السبعين أقرب وابن جبير إلى السبع مئة أقرب أي باعتبار أصناف أنواعها وللحافظ الذهبي جزء فيه نحو الأربع مئة ذكره الأذرعي (الشرك) بنصبه على البدل ورفعه وكذا ما بعده على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ومنها الشرك (بالله) أي جعل أحد شريكا لله والمراد الكفر به وخصه لغلبته حينئذ في الوجود فذكره تنبيها على غيره من صنوف الكفر (و) الثانية (السحر) قال الحراني : وهو قلب الحواس في مدركاتها عن الوجه المعتاد لها في ضمنها من سبب باطل لا يثبت مع ذكر الله تعالى عليه وفي حاشية الكشاف للسعد هو مزاولة النفس الخبيثة لأقوال وأفعال يترتب عليها أمور خارقة للعادة قال التاج السبكي والسحر والكهانة والتنجيم والسيمياء من واد واحد (و) الثالثة (قتل النفس التي حرم الله) قتلها عمدا كان أو شبه عمد لا خطأ كما صرح به شريح الروياني والهروي وجمع شافعيون أي فإنه لا كبيرة ولا صغيرة لأنه غير معصية (إلا بالحق) أي بفعل موجب للقتل وأعظم الكبائر والشرك ثم القتل ظلما وما عدا ذلك يحتمل كونه في مرتبة واحدة لكونه سردها على الترتيب لأن الواو لا توجبه والأظهر أن هذا النهي وشبهه إنما ورد على أمر مخصوص فأجاب السائل على مقتضى حاله وصدور هذه الخصال منه أوهمه بها أو كان في المجلس من حاله ذلك فعرض به إما أنه مما أوحي إليه أو عرفه بما له معجزة (و) الرابعة (أكل مال اليتيم) يعني التعدي فيه وعبر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع (و) الخامسة (أكل الربا) أي تناوله بأي وجه كان . قال ابن دقيق العيد : وهو مجرب **لسوء الخاتمة** ولهذا ذكره عقب ما هو علامة سوء خاتمتها وتردد ابن عبد السلام في تقييده بنصاب السرقة (و) السادسة

---

(١) تأسيس الأحكام، ٥/٢٥٣

(التولي) أي الإدبار من وجوه الكفار (يوم الزحف) أي وقت ازدحام الطائفتين إلا إن علم أنه إن ثبت قتل بغير نكاية في العدو فليس بكبيرة بل ولا صغيرة بل يباح بل يجب . قال ابن عبد السلام : وأشد منه ما لو دل الكفار على عورة المسلمين عالما بأنهم يستأصلونهم ويسبون حريمهم والزحف الجيش الدهم سمي به لكثرته وثقل حركته يرى كأنه يزحف زحفا أي يدب دبيبا (و) السابعة (قذف المحصنات) بفتح الصاد المحفوظات من الزنا وبكسرها الحافظات فروجهن منه والمراد رميهن بزنا أو لواط (المؤمنات) بالله تعالى احترازا عن قذف الكافرا ت فإنه من الصغائر قال الراغب : والقذف الرمي البعيد استعير للشتم والعيب والبهتان (الغافلات) عن الفواحش وما قذفهن به فهو كناية عن البريئات \ لأن الغافل بريء عما بهت به من الزنا والقذف [ص ١٥٤] به كبيرة إلا لصغيرة لا تحتمل الوقاع ومملوكة وحرة متهتكة فصغيرة لأن الإيذاء في قذفهن دونه في كبيرة مستترة قاله الحليمي وتوقف الأذرعي ونظر الزركشي في المملوكات لخبر من قذف عبدة أقيم عليه الحد يوم القيامة وإلا في قذف المحصنة بخلوة بحيث لا يسمعه أحد إلا الله والحفظة فليس بكبيرة موجبة للحد لانتفاء المفسدة قاله ابن عبد السلام لكن خالفه البلقيني تمسكا بظاهر ﴿ الذين يرمون المحصنات ﴾ والخبر المشروح قال الزركشي : ويظهر قول ابن عبد السلام في الصادق لا الكاذب لجرأته عليه تعالى وإلا فقذفه زوجته إذا علم زناها أو ظنه مؤكدا فليس بكبيرة بل ولا صغيرة وكذا جرح راو وشاهد بالزنا إن علم به بل يجب قال ابن عبد السلام وأشد منه ما لو أمسك محصنة لمن يزني بها أو مسلما لمن يقتله

(ق د ن عن أبي هريرة) ." (١)

" ٣٧٦ - (إذا أراد الله بعبد خيرا جعل غناه في نفسه) أي جعله قانعا بالكفاف لئلا يتعب في طلب الزيادة وليس له إلا ما قدر له والنفس معدن الشهوات وشهواتها لا تنقطع فهي أبدا فقيرة لتراكم ظلمات الشهوات عليها فهي مفتونة بذلك وخلصت فتنتها إلى القلب فصار مفتونا فأصمته عن الله وأعمته لأن الشهوات ظلمة ذات رياح هفافة والريح إذا وقع في أذن أحد أصم والظلمة إذا وقعت في العين أعمت فلما صارت الشهوة من النفس إلى القلب حجبت النور فعميت وصمت فإذا أراد الله بعبد خيرا قذف في قلبه النور فأضاء ووجدت النفس لها حلاوة وروحا ولذة تلهي عن لذات الدنيا وشهواتها وتذهب مخاوفها وعجلتها وحرقتها وتلهبها فيطمئن القلب فيصير غنيا بالله والنفس جارة وشريكة ففي غنى الجار غنى وفي غنى الشريك غنى (وتقاه) بضم المثناة فوق وخفة القاف خوفه من ربه (في قلبه) بأن يقذف فيه [ص

---

(١) فيض القدير، ١٥٣/١

٢٥٥] نور اليقين فينخرق الحج ا ب ويضيء الصدر فذلك تقواه يتقي بها مساخط الله ويتقي بها حدوده . وبه يؤدي فرائض ربه وبه يخشاه فيصير ذلك النور وقايته (وإذا أراد الله بعبد شرا جعل فقره بين عينيه) كناية عن كونه يصير مستحضرا له أبدا ومشفقا من الوقوع فيه سرمدا فهو نصب عينيه على طول المدى فلا يزال فقير القلب حريصا على الدنيا متهافتا عليها منهمكا في تحصيلها وإن كان موسرا ممتد الطمع وإن طال الأمد فلا يزال بين طمع فارغ وأمل كاذب حتى توافيه المنية وهو على هذه الحالة الردية وذلك من علامات سوء الخاتمة والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث تحملها عليه وتقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما لا يتصور اتصاف الباري تبارك وتعالى به ولذلك اختلف العلماء في معنى إرادته فقيل إرادته الأفعال أنه غير ساه ولا مكره وقيل اشتمال الأمر على النظام الأكمل والوجه الأصلح والحق أنها ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى يوجب هذا الترجيح ذكره القاضي

(الحكيم) الترمذي (فر عن أبي هريرة) كتب الحافظ ابن حجر على هامش الفردوس بخطه ينظر في هذا الإسناد انتهى وأقول فيه دراج أبو السمح نقل الذهبي عن أبي حاتم تضعيفه وقال أحمد أحاديثه مناكير ." (١)

" ٣٨٨ - (إذا أراد الله بأهل بيت خيرا) نكره لإفادة التعميم أي إذا أراد جميع الخير والمقام يقتضيه (فقههم في الدين) أي جعلهم فقهاء فيه والفقه لغة الفهم أو لما دق وعرفا العلم بالأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد وقيل معرفة النفس ما لها وعليها عملا قال الكرماني : والأنسب هنا المعنى اللغوي ليشمل فهم كل علم من علوم الدين . وقال الغزالي : أراد فهمهم أمره ونهيه بنور رباني يقذفه في قلوبهم (ووقر) بشد القاف عظم ويجل (صغيرهم كبيرهم) في السن أو المراد بالكبير العالم وبالصغير غيره أي ورحم كبيرهم صغيرهم كما يدل عليه خبر ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا وإنما لم يذكره هنا لأنه كان يخاطب كل أحد بما يليق بحاله ففهم من المخاطب التقصير في التوقير دون القرينة الثانية (ورزقهم الرفق) بكسر الراء اللطف والدربة وحسن التصرف والسياسة (في معيشتهم) أي ما يتعيشون به أو ما يتوصلون به إلى العيش أي إلى الحياة وفي ذلك البركة والنمو كما صرح به في خبر الخرق شؤم والرفق يمن ثم عطف عليه عطف خاص على عام اهتماما بشأنه بقوله (والقصد) بفتح وسكون (في نفقاتهم) [ص ٢٦١] أي الوسط المعتدل بين طرفي الإفراط والتفريط فيها قال تعالى ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان

---

(١) فيض القدير، ١/٢٥٤

بين ذلك قواما ﴾ والقصد العدل والاستقامة يقال قصد في الأمر إذا توسط وطلب الأسد ولم يجاوز الحد (وبصرهم عيوبهم) أي ذنوبهم أي عرفها لهم وجعلها نصب أعينهم وشغلهم بها عن عيوب غيرهم (فيتوبوا) أي ليتوبوا أي يرجعوا إلى الله (منها) بالطاعة وترك المنهي والعزم على عدم العود (وإذا أراد بهم غير ذلك) أي أراد بهم شرا . ولم يذكره لاقتضاء المقام استهجان ذكره يعني **سوء الخاتمة** أو العذاب (تركهم هملا) بالتحريك أي ضلالا بأن لا يلهمهم فعل ذلك ويخلي بينهم وبين أنفسهم حتى يهلكوا لغضبه عليهم وإعراضه عنهم وهذا كقوله تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ الآية قال ابن عطاء الله : كل من وكل إلى نفسه لم تفته معصية وإن لم يكن فاعلا ومن نصرته العناية لم تفته طاعة وإن لم يكن فاعلا وقال : الكلب المعلم يغل في السلاسل ليعمل بمقتضى علمه والكلب الجاهل يترك ويتخلى وشهواته وأنشد بعضهم :

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه . . . كما يجلي سواد الظلمة القمر

والعلم فيه حياة للقلوب كما . . . تحيا البلاد إذا ما مسها المطر

(قط) في كتاب (الأفراد) بفتح الهمزة (عن أنس) وقال غريب تفرد به ابن المنكدر عنه ولم يروه عنه غير موسى ابن محمد بن عطاء وهو متروك انتهى وفي ل ؟ ؟ (١) كذبه أبو زرعة وأبو حاتم

---

(١) [أحرف ساقطة في الأصل .] ." (١)

" ٣٩٤ - (إذا أراد الله بعبيد خيرا رزقهم الرفق في معايشهم) أي مكاسبهم التي يعيشون بها جمع معيشة ولهذا لا تهمز (وإذا أراد بهم شرا رزقهم الخرق) بضم أوله المعجم وسكون الراء ضد الرفق (في معايشهم) والخرق شؤم كما يجيء مصرحا به في خبر فالمراد إذا أراد بأحد خيرا رزقه ما يستعين به مدة حياته ووفقه في الأمور ولينه في تصرفه مع الناس وألهمه القناعة والمداراة التي هي رأس العقل وملاك الأمر وإذا أراد به سوءا ابتلاه بضد ذلك والأول علامة **حسن الخاتمة** والثاني بضده

(هب عن عائشة) لم يرمز له بشيء وهو ضعيف فيه سويد بن سعيد فإن كان الدقاق فقال الذهبي منكر الحديث أو غيره فقال أحمد متروك وأبو حاتم صدوق ." (٢)

---

(١) فيض القدير، ١/٢٦٠

(٢) فيض القدير، ١/٢٦٣

" [ص ٢٦٤] ٣٩٦ - (إذا أراد الله بالأمير) على الرعية وهو الإمام ونوابه (خيرا جعل له وزيرا) من الوزر وهو الثقل لتحمله عن الملك أو من الوزير وهو الملجأ لاعتصامه برأيه وإلتجائه إليه أو من المؤازرة وهي المعاونة (صدق) أي صالحا صادقا في نصحه ونصح رعيته قال الطيبي : أصله وزير صادق ثم قيل وزير صدق على الوصف به ذهابا إلى أنه نفس الصدق ثم أضيف لمزيد الاختصاص بالقول ولم يرد بالصدق الاختصاص بالقول فقط بل بالأقوال والأفعال (إن نسي) شيئا من أحكام الشرع وآدابه أو نصر المظلوم أو مصلحة الرعية (ذكره) بالتشديد أي ما نسيه ودله على الأصلح والأنفع والأرفق (وإن ذكر) بالتخفيف أي الأمير واحتاج لمساعدة (أعانه) بالرأي أو اللسان أو البدن أو بالكل (وإذا أراد به غير ذلك) أي شرا ولم يعبر به استهجانا للفظه واستقباحا لذكره (جعل له وزير سوء) بالفتح والإضافة (إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه) على ما فيه الرشد والفلاح بل يحاول ضده وذلك علامة **سوء الخاتمة** كما أن الأول علامة حسنها قال في الكشاف : والسوء الرداءة والقبح في كل شيء [١] قال الأحنف : لا يتم أمر السلطان إلا بالوزراء والأعوان ولا تنفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة ولا تنفع المودة والنصيحة إلا بالرأي والعفاف وأعظم الأمور ضررا على الملوك خاصة وعلى الناس عامة أن يحرموا صالح الوزراء والأعوان وأن يكون وزراؤهم وأعوانهم غير ذي مروءة ولا حياء وقال ليس شيء أهلك للوالي من وزير أو صاحب يحسن القول ولا يحسن العمل وقال حلية الولاة وزينتهم وزراؤهم فمن فسدت بطانته كان كمن غص بالماء ولم يصلح شأنه (تتمة) أخرج البيهقي عن علي الجراح قال سألت أولاد بني أمية ما سبب زوال دولتكم قالوا خصال أربع أولها أن وزراءنا كتموا عنا ما يجب إظهاره لنا الثانية أن جباة خراجنا ظلموا الناس فرحلوا عن أوطانهم فخلت بيوت أموالنا الثالثة انقطعت الأرزاق عن الجند فتركوا طاعتنا الرابعة يئسوا من انصافنا فاستراحت نفوسهم لغيرنا

(د هب عن عائشة) قال في الرياض رواه أبو داود بإسناد جيد على شرط مسلم لكن جرى الحافظ العراقي على ضعفه فقال ضعفه ابن عدي وغيره ولعله من غير طريق أبي داود ." [٢]

" ٥٤٥ - (إذا جاء الموت لطالب العلم) الشرعي العامل به وقال الغزالي : المراد به في هذا ونحوه علم طريق الآخرة والمراد بطالبه هنا ما يشمل من يطلب نشره ونفع عباد الله فيدخل فيه المعلم والمدرس والمفتي [ص ٣٢٥] والمؤلف فليس المراد المتعلم فقط (وهو على هذه الحالة) أي حالة طلبه له لله

---

(١) تنبيه

(٢) فيض القدير، ١/٢٦٤

خالصا (مات وهو شهيد) شهادة أخروية أي في حكم شهيد الآخرة فينال درجة شهيد الآخرة فذلك دليل **حسن الخاتمة** وفيه ترغيب عظيم في طلب العلم والدوام عليه وإن طعن في السن وأشرف على الهرم ليأتيه الموت على تلك الحالة فيكون من الشهداء

(البزار) في مسنده (عن أبي ذر) الغفاري (و) عن (أبي هريرة) معا وضعفه المنذري وقال الهيتمي وغيره فيه هلال بن عبد الرحمن الحنفي متروك وهذا من الأباطيل التي زعم حاتم المغافري أن مالكا حدثه بها عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة انتهى ولذلك قال المصنف في الأصل وضعفه ." (١)

" ٦٧٧ - (إذا سرتك) أي أفرحتك وأعجبتك وأصل السرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه (حسنتك) أي عبادتك لكونك جازما بصدق الشارع فيما جاء به عن الله تعالى من حصول الثواب عليها سميت حسنة لأن بها يحسن حال فاعلها وهي سبب إحسان الله تعالى وإضافتها له من حيث الكسب (وساءتك سيئتك) أي أحزنك ذنبك لكونك قاطعا بصدق الشارع فيما توعد به من العقاب عليها سميت سيئة لأن بها يسوء حال فاعلها وهي سبب كل سوء ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ (فأنت مؤمن) أي فذلك علامة إيمانك بل ذلك هو حقيقة الإيمان وليس الإيمان إلا تصديق الشارع فيما جاء به وفي الحزن على السيئة إشعار بالندم الذي هو أعظم أركان التوبة فكأنه قال إذا أتيت بالطاعة المأمور بها وكلما أذنبت ذنبا تبت منه كان ذلك علامة **حسن الخاتمة** وأنك تموت على الإيمان حقا وقد أشار إلى ما قررته أولا قول الطيبي يعني إذا صدرت منك طاعة وفرحت بها متيقنا بأنك تثاب عليها وإذا أصابتك معصية وحزنت عليها فذلك علامة الإيمان

(حم حب طب ك هب والضياء عن أبي أمامة) قال قيل يا رسول الله ما الإيمان فذكره قال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبي قال العراقي في أماليه حديث صحيح وقال الهيتمي رجال الطبراني رجال الصحيح إلا أن فيه يحيى بن أبي كثير مدلس وإن كان من رجاله ورواه الإمام أحمد أيضا عن أبي موسى بإسناد رجاله ثقات لكن فيه انقطاع بلفظ من عمل حسنة فسر بها ومن عمل سيئة فساءته فهو مؤمن ." (٢)

" ١٩٧١ - (إن الرجل) (١) بضم الجيم وفيه لغة بسكونها وذكر الرجل وصف طردي والمراد المكلف رجلا أم امرأة إنسيا أم جنيا وكذا يقال فيما بعده (ليعمل عمل) أهل (الجنة) من الطاعات (

---

(١) فيض القدير، ١/٣٢٤

(٢) فيض القدير، ١/٣٧٤

فيما يبدو للناس) أي فيما يظهر لهم (٢) قال الزركشي وهذه زيادة حسنة ترفع الإشكال من الحديث (وهو من أهل النار) بسبب دسيسة باطنة لا يطلع الناس عليها (٣) (وإن الرجل ليعمل عمل) أهل (النار) من المعاصي (فيما يبدو) أي يظهر (للناس وهو من أهل الجنة) لخصلة خير خفية تغلب عليه آخر أثر عمره فتوجب **حسن الخاتمة** أما باعتبار ما في نفس الأمر فالأول لم يصح له عمل قط لأنه كافر باطنا وأما الثاني فعمله الذي لا يحتاج لنية صحيح وما يحتاجها باطل من حيث عدم وجودها قال النووي فيه التحذير من الاغترار [ص ٣٣١] بالأعمال وأن لا يتكل عليها ولا يركن إليها مخافة من انقلاب الحال للقدر السابق وكذا ينبغي للعاصي أن لا يقنط من رحمة ربه

(ق عن سهل) بن سعد الساعدي (زاد خ) في روايته على مسلم (وإنما الأعمال بخواتيمها) فعلى الخاتمة سعادة الآخرة وشقاوتها قيل ولا تنكشف إلا بدخول الجنة وقيل بل تستبين في أول منازل الآخرة وقال الزمخشري : هذا تذييل للكلام السابق مشتمل على معناه لمزيد التقدير أي إن العمل السابق غير معتبر والمعتبر العمل الذي ختم به اه

---

(١) وسببه عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه و سلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال أي رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وبعد فراغ القتال في ذلك اليوم وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا تبعها يضربها بسيفه وشاذة وفاذة بتشديد المعجمة : ما انفرد عن الجماعة وهما صفة لمحذوف أي نسمة شاذة ولا فاذة - فقال - أي بعض القوم - ما أجزأ اليوم أحد كما أجزأ فلان - أي ما أغنى - فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم أما إنه من أهل النار فقال رجل أنا أصاحبه قال فخرج معه كلما وقف وقف معه فإذا أسرع أسرع معه قال فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت فجعل نصل سيفه بالأرض وذؤابته بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل الذي تبعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أشهد أنك رسول الله قال صلى الله عليه وآله وسلم وما ذاك ؟ قال الرجل الذي ذكرته آنفا إنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذؤابته بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الرجل فذكره وقد استشكل ما ذكر من كون الرجل من أهل النار بأنه لم يتبين منه إلا قتل

نفسه وهو بذلك عاص لا كافر وأجيب بأنه يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اطلع على كفره في الباطن وأنه استحل قتل نفسه اه

(٢) قال العلقمي قال شيخ شيوخنا هو محمول علي المنافق والمرائي اه

(٣) كما وقع لبرصيصا العابد حكي أنه كان له ستون ألفا من التلامذة وكانوا يمشون في الهواء وكان يعبد الله تعالى حتى تعجبت منه الملائكة فقال لهم الله تعالى لماذا تتعجبون منه إني أعلم ما لا تعلمون في علمي أنه يكفر ويدخل النار أبد الآبدين فكان الأمر كما قال الله تعالى وقصته مشهورة . وكسحرة فرعون عاشوا كفارا ثم ختم لهم بالإيمان قال قتادة كانوا أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة ثم إن من لطف الله تعالى وسعة رحمته أن انقلاب الناس من الشر إلى الخير كثير وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندرة ونهاية القلة ولا يكون إلا لمن أصر على الكبائر . قال بعضهم ومن علامة البشرى للميت أن يصفر وجهه ويعرق جبينه وتذرف عيناه دموعا ومن علامات السوء والعياذ بالله أن تحمر عيناه وتزبد شفتاه ويغط كغطيط البكر اه ." (١)

" [ص ٣٨٤] ٣٧١٦ - (حسبي رجائي من خالقي) أي يكفيني قوة رجائي فيه أنه يفيض علي صنوف الخيرات ويرفعني في أعلى الدرجات والرجاء ارتياح القلب لانتظار محبوب متوقع وهذا بالنسبة لمنصب المعصوم ظاهر أما غيره فإنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما لا يدخل تحت اختياره وهو فضل الله بصرف القواطع فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات وطهر قلبه عن شر الأخلاق الرديئة انتظر من فضل الله تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا باعثا على القيام بمقتضى الإيمان وإن قطع عرى بذر الإيمان تعهده بماء الطاعة أو ترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق وانهمك في اللذات ثم تشبث بالرجاء فهو حمق وغرور (وحسبي ديني من دنياي) لأن المال غاد ورائح والعاقل من آثر ما يبقى على ما يفنى والدنيا مزرعة الآخرة . والحاصل أن قوة رجاء عبد في ربه تعالى يكفي صاحبه لمهمات الدارين

(حل) من حديث الحسن بن عبد الله القطان عن إسماعيل بن عمرو الحمصي عن يزيد بن عبد ربه عن بقية (عن إبراهيم بن أدهم) بن منصور العجلي وقيل التميمي البلخي الزاهد ذي الكرامات والخوارق

---

(١) فيض القدير، ٢/٣٣٠

(عن أبي ثابت) أيمن بن ثابت أو محمد بن عبد الله (مرسلا) وإبراهيم هو البلخي الزاهد العارف المشهور روى عن منصور وأبي إسحاق وطائفة من التابعين وعنه بقية والفزاري وضمرة وخلق ." (١)

" ٣٩٢٤ - (خلقان) تثنية خلق بالضم وهو الطبع والسجية (يحبهما الله) أي يرضاهما ويثيب عليهما ثوابا جزيلا (وخلقان يبغضهما الله) أي ينهى عنهما ويعاقب عليهما (فأما اللذان يحبهما الله فالسخاء) بالمد الجود والكرم (والسماحة) أي الإعطاء بطيب نفس وفي رواية للديلمي الشجاعة بدل السماحة (وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل) وهما مما يقرب إلى النار ويقود إليها كما في عدة أخبار (وإذا أراد الله بعبد خيرا) أي عظيما جدا كما يفيده التنكير (استعمله على قضاء حوائج الناس) أي ثم ألهمه القيام بحقها والوفاء بما استعمل عليه فمن وفقه الله لذلك فقد أنعم عليه بنعم جليلة يلزمه الشكر عليها وذلك علامة **حسن الخاتمة** لكن الأمر كله على النية والعمل لوجه الله تعالى لا الغرض ولا لعرض وإلا انعكس الحال فاعلم ذلك فإنه لا بد منه

(هب) وكذا أبو نعيم والديلمي (عن ابن عمرو) بن العاص ورواه الأصفهاني وغيره ." (٢)

" ٣٩٦٢ - (خمس من عملهن في يوم) أي يوم كان (كتبه الله) أي قدر أو أمر الملائكة أن تكتب أنه من (أهل الجنة) وهذا علامة على **حسن الخاتمة** وبشرى له بذلك (من صام يوم الجمعة) صوم تطوع (وراح إلى الجمعة) أي إلى محلها [ص ٤٥٨] لصلاتها (وعاد مريضا) ولو أجنبيا (وشهد جنازة) أي حضرها وصلى عليها (وأعتق رقبة) لوجه الله تعالى أي خلصها من الرق

(ع حب عن أبي سعيد) الخدري قال الهيثمي : رجاله ثقات ." (٣)

" ٤٦٣٣ - (سباب) بكسر السين والتخفيف (١) (المسلم) أي سبه وشتمه يعني التكلم في عرضه بما يعيبه وهو مضاف إلى المفعول (فسوق) أي خروج عن طاعة الله ورسوله ولفظه يقتضي كونه من اثنين قال النووي : فيحرم سب المسلم بغير سبب شرعي قال : ومن الألفاظ المذمومة المستعملة عادة قوله لمن يخاصمه يا حمار يا كلب ونحو ذلك فهذا قبيح لأنه كذب وإيذاء بخلاف قوله يا ظالم ونحو ذلك فإن ذلك يتسامح به لضرورة المخاصمة مع أنه صدق غالبا فقل إنسان إلا وهو ظالم لنفسه ولغيرها (وقتاله) أي محاربته لأجل الإسلام (كفر) حقيقة أو ذكره للتهديد وتعظيم الوعيد أو المراد الكفر اللغوي

---

(١) فيض القدير، ٣/٣٨٤

(٢) فيض القدير، ٣/٤٤٤

(٣) فيض القدير، ٣/٤٥٧

وهو الجحد أو هضم أخوة الإيمان قال الحافظ ابن حجر : لما كان المقام مقام الرد على المرجئة اهتم لذلك وبالغ في الزجر معرضا عما يقتضيه ظاهره من تقوية مذهب الخوارج المكفرين بالذنب اعتمادا على ما تقرر من دفعه في محله اه وتقدمه لنحوه ابن العربي فقال : قال الخوارج : لما غاير المصطفى صلى الله عليه و سلم بينهما وجعل القتال كفرا كان يكفر بقتاله قلنا : فيلزمكم كونه كافرا بفسوقه فالتزموه وقد بينا في الأصول بطلانه وإنما فائدة خبر المصطفى صلى الله عليه و سلم إن الفسوق خفيف لجريانه عادة بين الناس ولا يتعدى صورته إلى المشاهدة والحس والقتال إنما يجري عند اختلاف الدين فإذا فعلوه كان كفعل الكفار وربما جر **لسوء الخاتمة** لهتك الحرمة فيكون من أهل النار

(حم ق) في الإيمان (ت) في البر (ن) في المحاربة (هـ عن ابن مسعود هـ عن أبي هريرة وعن سعد) بن أبي وقاص (طب عن عبد الله بن مغفل) وفيه عند الطبراني كثير بن يحيى وهو ضعيف ذكره الهيثمي (وعن عمرو بن مقرن) بضم الميم وفتح القاف وشدة الراء مكسورة ونون (قط في الأفراد عن جابر)

---

(١) مصدر سب وهو أبلغ من السب فإن السب شتم الإنسان والتكلم في عرضه بما يعيبه والسباب أن يقول فيه بما فيه وما ليس فيه ." (١)

" ٤٩٩٦ - (صدقة المرء المسلم تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء) بكسر الميم وفتح السين أصله موتة قلبت الواو ياء وهي الحالة التي يكون عليها الإنسان من الموت وأراد بميتة السوء ما لا تحمد عاقبته ولا تؤمن غائلته من الحالات التي يكون عليها الإنسان عند الموت فالفقر المدقع والوصب الموجع وموت الفجاءة والغرق والحرق ونحوها ذكره التوربشتي وقال الحكيم وتبعه جمع : هي ما تعوذ منه المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم في دعائه وقال الطيبي : هي **سوء الخاتمة** ووخامة العاقبة (ويذهب الله بها الفخر والكبر) لا ينافي زيادتها في العمر ﴿ وما يعمر من معمر ﴾ لأنه من تسمية الشيء بما يؤول إليه [ص ١٩٤] أي وما يعمر من أحد ألا ترى أنه يرجع الضمير في قوله ولا ينقص من عمره إليه والنقصان من عمر المعمر محال وهو من التسامح في العبارة فقد يفهم السامع هذا بحسب الجليل من النظر وقضية النظر الدقيق أن المعمر الذي قدر له العمر الطويل يجوز أن يبلغ حد ذلك العمر (١) وأن لا يزيد عمره على الأول وينقص على الثاني ومع ذلك لا يلزم التغير في التقدير لأن المقدر على كل شخص الأنفاس المعدودة

---

(١) فيض القدير، ٨٤/٤

لا الأيام المحدودة والأعوام الممدودة وما قدر من الأنفاس يزيد وينقص بالصحة والحضور والمرض والتعب ذكره ابن الكمال أخذا من الكشاف وغيره (١) مما ورد أنه يزيد في العمر إسباغ الوضوء فقد روى ابن عدي عن أنس مرفوعا أسبغ الوضوء يزد في عمرك

(أبو بكر بن مقسم في جزئه عن عمرو بن عوف) الأنصاري البدري قضية صنيع المصنف أن ذلك لم يخرجه أحد من المشاهير والأمر بخلافه بل خرجه الطبراني والديلمي عن عمرو المذكور باللفظ المزبور من هذا الوجه

---

(١) قال كعب الأحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لو دعا ربه أن يؤخر أجله لأخره قيل له إن الله عز و جل يقول ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ فقال هذا إذا حضر الأجل وما قبل ذلك فيجوز أن يزاد أو ينقص وقرأ هذه الآية ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾ ." (٢)

" ٥١٤٣ - (الصدقة تمنع ميتة السوء) بكسر الميم الحالة التي يكون عليها الإنسان من الموت قال التوربشتي : وأراد بها ما لا تحمد عاقبته ولا تؤمن غائلته من الحالات كالفقر المدقع والوصب الموجع والألم المقلق والعلل المفضية إلى كفران النعمة ونسيان الذكر والأهوال الشاغلة عما له وعليه ونحوها وقال الطيبي : الأولى أن يحمل موت السوء على سوء الخاتمة ووخامة العاقبة من العذاب في الآخرة قال أبو زرعة : ليس معناه أن العبد يقدر له ميتة السوء فتدفعها الصدقة بل الأسباب مقدرة كما أن المسببات مقدرة فمن قدر له ميتة السوء لا تقدر له الصدقة ومن لم يقدر له ميتة السوء يقدر له الصدقة قال العامري : ميتة السوء قد تكون في الصعوبة بسبب الموت كهدم وذات جنب وحرق ونحوها وقد تكون سوء حالة في الدين كموته على بدعة أو شك أو إصرار على كبيرة فحث على الصدقة لدفعها لذلك

(القضاعي) في مسند الشهاب (عن أبي هريرة) قال ابن حجر : فيه من لا يعرف وبه يرد قول العامري : صحيح ." (٣)

" ٥٤٧٣ - (علم الباطن) كذا هو بالميم في خط المصنف ورأيته أيضا في نسخة قديمة من الفردوس مضبوطة مصححة بخط الحافظ ابن حجر علم الباطن فما في نسخ من أنه على تحريف (سر

---

(١) تنبيه

(٢) فيض القدير، ٤/١٩٣

(٣) فيض القدير، ٤/٢٣٦

من أسرار الله عز و جل وحكم من حكم الله يقذفه في قلوب من يشاء من عباده) قال الغزالي : علم الآخرة قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة وعلم المكاشفة هو علم الباطن وذلك غاية العلوم وقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب منه يخاف عليه **سوء الخاتمة** وأدنى النصيب منه التصديق وتسليمه لأهله وقال بعضهم : من كان فيه خصلتان لم يفتح عليه منه بشيء بدعة أو كبر ومن كان محبا للدنيا أو مصرا على الهوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره من الصفات المذمومة وهذا هو العلم الخفي الذي أراده المصطفى صلى الله عليه و سلم بقوله إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله

(فر عن علي) أمير المؤمنين ورواه أيضا ابن شاهين وغيره ." (١)

" ٧٨٥٤ - (ما بر أباه من شد إليه الطرف بالغضب) وما بعد البر إلا العقوق فهو إشارة إلى أن العقوق كما يكون بالقول والفعل يكون بمجرد اللحظ المشعر بالغضب وقد ذم الله العقوق في كتابه وجاء من السنة فيه ما لا يكاد يحصى وأقبح بخصلة هي علامة على **سوء الخاتمة** إن لم يتدارك الله العبد بلطفه وعفوه ومن ثم كان من أعظم الكبائر وإذا كانت [ص ٤٣٢] نظرة الغضب عقوقا للأب فللأم أولى لأنها مقدمة عليه في البر والملاطفة

(طس وابن مردويه) في تفسيره (عن عائشة) قال الهيثمي : فيه صالح بن موسى وهو متروك ." (٢)

" [ص ٥٢] ٨٣٩٧ - (من ازداد علما ولم يزدد في الدنيا زهدا لم يزدد من الله إلا بعدا) ومن ثم قال الحكماء : العلم في غير طاعة الله مادة الذنوب وقال الماوردي : قال الحكماء : أصل العلم الرغبة وثمرته السعادة وأصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة فإذا اقترن العلم والزهد فقد تمت السعادة وعمت الفضيلة وإن افترقا فياويح مفترقين ما أضر افتراقهما وأقبح انفرادهما وقال مالك بن دينار : من لم يؤت من العلم ما يقمعه فما أوتي من العلم لا ينفعه وقال حجة الإسلام : الناس في طلب العلم ثلاثة رجل طلبه ليتخذه زادا إلى المعاد لم يقصد إلا وجه الله فهذا من الفائزين ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال به الجاه والمال ومع ذلك يعتقد خسة مقصده وسوء فعله فهذا من المخاطرين فإن عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه **سوء الخاتمة** وإن وفق لها فهو من الفائزين ورجل استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر

---

(١) فيض القدير، ٣٢٦/٤

(٢) فيض القدير، ٤٣١/٥

بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الأتباع وهو مع ذلك يضمر أنه عند الله بمكان لاتسامه بسمة العلماء فهذا من الهالكين المغرورين إذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين

(فر عن علي) أمير المؤمنين قال الحافظ العراقي : سنده ضعيف أي وذلك لأن فيه موسى بن إبراهيم قال الذهبي : قال الدارقطني : متروك ورواه ابن حبان في روضة العقلاء موقوفا عن الحسن بن علي وروى الأزدي في الضعفاء من حديث علي من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد من الله عليه غضبا ". (١)

" ٨٥١٦ - (من أكل بالعلم) يعني اتخذ علمه ذريعة إلى جلب المال والتكالب على جمعه رجاء أن يقضي من الدنيا وطره ويتنعم بأكل الطيبات (طمس الله على وجهه) وفي رواية الديلمي طمس الله عز و جل عينيه (ورده على عقبيه وكانت النار أولى به) وإن انتفع الناس بعلمه لأن ما أفسد بعلمه أكثر مما أصلحه بقوله إذ لا يستجرى الجاهل على الرغبة في الدنيا إلا باستجراء العالم واتخاذهم العلم مجلبة لحطامها فقد صار علمه سببا لجرأة عباد الله على معاصيه ونفسه الجاهلة مع ذلك تمنيه وترجيه وتخيل له أنه خير من كثير من الناس وبذلك ينقطع عن التوبة فيخاف عليه **سوء الخاتمة** فإياك يا مسكين أن تذعن لتزويره وتتدلى بحبل غروره قال حجة الإسلام : والعلم النافع مما يزيد الخوف من الله والبصيرة بعيوب النفس ويقلل الرغبة في الدنيا ويزيد الرغبة في الآخرة ويطلع على مكائد الشيطان وغروره وكيفية تلبيسه على علماء الشر حتى عرضهم لمقت الله وسخطه حيث أكلوا الدنيا بالدين واتخذوا العلم ذريعة إلى أخذ الأموال من السلاطين وأكل أموال الأوقاف واليتامى والمساكين وصرف هممهم طول نهارهم الى طلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق واضطرهم ذلك إلى المماراة والمنافسة والمباهاة - إلى هنا كلام الحجة

(الشيرازي) في الألقاب (عن أبي هريرة) ورواه عنه أيضا أبو نعيم والديلمي ." (٢)

" ٨٨٥٦ - (من عفا عن قاتله دخل الجنة) أي مع السابقين الأولين أو من غير سبق عذاب أو هو إعلام بوفاته على الإسلام والأمن من **سوء الخاتمة**

(ابن منده) الحافظ المشهور (عن جابر) بن عبد الله (الراسبي) قال صالح جزرة نزل البصرة قال الذهبي في الصحابة : جاء في حديث مظلم عن أبي شداد عنه اه . وهنا أمران الأول أن المصنف أطلق العزو لابن منده فاقتضى أنه خرجه ساكتا عليه والأمر بخلافه بل تعقبه بقوله هذا حديث غريب إن

---

(١) فيض القدير، ٥٢/٦

(٢) فيض القدير، ٨٤/٦

كان محفوظا اه . الثاني أنه تبعه على قول الراسبي وليس بصواب فقد قال أبو نعيم قوله الراسبي وهم وإنما هو الأنصاري اه . بنصه وأقره عليه الحافظ ابن حجر ." (١)

" ٨٩٠٣ – (من قام ليلتي العيد) الفطر والأضحى أي أحياهما (محتسبا) لله (لم يمت قلبه يوم تموت القلوب) أي لا يشغف بحب الدنيا لأنه موت أو يأمن من سوء الخاتمة ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه ﴾ أي كافرا فهديناه ويحصل ذا بمعظم الليل وقيل بصلاة العشاء والصبح جماعة على ما مر (هـ عن أبي أمامة) الباهلي ." (٢)

" ٩١٠٤ – (من يرد الله به خيرا) بالتنكير في سياق الشرط فيعم أي من يرد الله به جميع الخيرات (يفقهه) بسكون الهاء لأنها جواب الشرط (في الدين) أي يفهمه علم الشريعة بالفقه لأنه علم مستنبط بالقوانين والأدلة والأقيسة والنظر الدقيق بخلاف علم اللغة والنحو والصرف . روى أن سلمان نزل على نبطية بالعراق فقال : هنا مكان نظيف نصلي فيه قالت : طهر قلبك وصل حيث شئت فقال : فقهت أي فهمت فمفهوم الحديث أنه من لم يتفقه في الدين أي يتعلم قواعد الإسلام لم يرد الله به خيرا (ويلهمه برشده) بباء موحدة أوله بخط المصنف وفيه كالذي قبله شرف العلم وفضل العلماء وأن التفقه في الدين علامة على حسن الخاتمة وروى البخاري في الصحيح معلقا من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما العلم بالتعلم هكذا ذكره معلقا بهاتين الجملتين ووصله ابن أبي عاصم من حديث معاوية

(حل عن ابن مسعود) رمز لحسنه وهو فيه تابع لابن حجر حيث قال في المختصر : إسناده حسن لكن قال الذهبي : هو حديث منكر ورواه عنه الطبراني أيضا ." (٣)

" ٩٩٦٢ – (لا يدخل الجنة قاطع) أي قاطع رحم كما جاء مبينا هكذا في مسلم عن سفيان بل وردت هذه اللفظة في الأدب المفرد للبخاري فقول الشيخ شهاب الدين ابن حجر الهيثمي أن لفظ رحم لم ترد وإنما هو حكاية لاختلاف العلماء في معنى قاطع قصور عجيب وهجوم قبيح وكان الأدب أن يقول لا أقف على ذلك والمراد لا يدخل الجنة التي أعدت لوصال الأرحام أو لا يدخلها مع اتصافه بذلك بل يصفي من خبث القطيعة إما بالتعذيب أو بالعفو وكذا يقال في نحو لا يدخل الجنة متكبر وشبهه وهو محمول على المستحل أو على سوء الخاتمة وقد ورد الحث فيما لا يحصى من الأخبار على صلة الرحم

---

(١) فيض القدير، ٦/١٨٠

(٢) فيض القدير، ٦/١٩١

(٣) فيض القدير، ٦/٢٤٢

ولم يرد لها ضابط فالمعول على العرف ويختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمنة والواجب منها ما يعد به في العرف واصلا وما زاد تفضل ومكرمة الرحم والقرابة وهو من بينك وبينه نسب وإن لم يرث ولم يكن محرما على الأصح

(حم ق) في الأدب (د) في الزكاة (ت) في البر (عن جبير) بن مطعم ." (١)

"وعنه أي عن أنس قال قال رسول الله ثلاث من كن فيه مبتدأ والشرطية خبر وجاز مع أنه نكرة لأن التقدير خصال ثلاث قال ابن مالك مثال الإبتداء بنكرة هي وصف قول العرب ضعيف عاذ بحرملة أي إنسان ضعيف التجأ إلى ضعيف والحرملة شجرة ضعيفة أو ثلاث خصال والتنوين عوض عن المضاف إليه على ما قاله ابن حجر وفيه أنه لم يعرف هذا في غير كل وبعض أو تنوينه للتعظيم فساغ الإبتداء به ويجوز أن تكون الشرطية صفة لثلاث ويكون الخبر من كان والمعنى ثلاث من وجدن واجتمعن فيه وجد أي أدرك وصادف وذاق بهن أي بسبب وجودهن في نفسه حلاوة الإيمان أي لذته ورغبته زاد النسائي وطعمه وأوثرت الحلاوة لأنها أظهر اللذات الحسية وقد ورد إن حلاوة الإيمان إذا دخلت قلبا لا تخرج منه أبدا ففيه إشارة إلى بشارة **حسن الخاتمة** له وقيل معنى حلاوة الإيمان استلذاذا الطاعات وإيثارها على جميع الشهوات والمستلذات وتحمل المشاق في مرضاة الله ورسوله وتجرع المرارات في المصيبات والرضا بالقضاء في جميع الحالات وفيه تلميح إلى الصحيح الذي يدرك الطعوم على ما هي عليه والمريض الصفراوي الذي بضده إذ يجد طعم العسل من نقص ذوقه بقدر نقص صحته فالقلب السليم من أمراض الغفلة والهوى يذوق طعمه ويتلذذ منه ويتنعم به كما يذوق الفم طعم العسل وغيره من لذيذ الأطعمة ويتنعم بها بل تلك اللذة الإيمانية أعلى فإن في جنبها يترك لذات الدنيا بل جميع نعيم الأخرى من كان لا بد من تقدير مضاف قبله لأنه على الوجه الأول أما بدل أو بيان أو خبر لمبتدأ محذوف هو هي أو هن أو إحداها وعلى الثاني خبر أي محبة من كان الله ورسوله أحب إليه بالنصب على أنه خبر وإفراده لأنه وصل بمن والمراد الحب الإختياري المذكور مما سواهما يعم ذوي العقول وغيرهم من المال والجاه وسائر الشهوات والمرادات وقد جمع النبي بين الله ونفسه بلفظ الضمير في ما سواهما مع نهيه عنه قائلا ومن عصاهما فقد غوى لأنه قد يجوز له ما لا يجوز لغيره ولذا." (٢)

---

(١) فيض القدير، ٦/٤٤٨

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/١٨٥

"جهة الإنتصاب وتنقسم إلى استقامة العمل وهو الإقتصاد فيه غير متعد من منهج السنة ولا متجاوز عن حد الإخلاص إلى الرياء والسمعة أو رجاء العوض أو طلب الغرض واستقامة القلب وهي الثبات على الصواب وعند المحققين هي استواء القصد في السير إلى الله وثبات القوى على حدودها بالأمر والنهي وهي دون الإستقامة في السير في الله لأن هذه في الطريق والسلوك إليه بأحدية الطريق المستقيم وأما السير في الله فهو الإتصاف بصفاته والإستقامة في الله دون الإستقامة في السير في الله المأمور بها نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في قوله فاستقم كما أمرت لأن تلك في مقام جمع الجمع والبقاء بعد الفناء والأولى للمريدين والثانية للمتوسطين واستقامة الروح وهي الثبات على الحق والسر وهي الثبات على الحقيقة قال القشيري الإستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما ضاع سعيه وخاب جهده وأنشد إذا أفشيت سرك ضيق صدر أصابتك الملامة والندامة وإن أخلصت يوما في فعال تنال جزاءه بالاستقامة وقال بعض العارفين معنى الحديث أنه إذا وفقت بالتوحيد ورؤية جلال قدمه فدر مع الحق حيث دار أما قضاء وأما رضاء ولا تنزل عن مقام الرضا إلى فترة النفس والهوى وقال الغزالي لعزة الإستقامة والإحتياج إليها في كل حالة أمر الله تعالى عباده بقراءة الفاتحة المتضمنة للدعاء بالإستقامة أمر وجوب في الأوقات الخمسة نسأل الله تعالى الإستقامة الشاملة **بحسن الخاتمة** رواه مسلم ورواه النسائي والترمذي وابن ماجة وزاد قلت يا رسول الله ما أخوف ما أخاف علي فأخذ بلسانه ثم قال هذا وقال الترمذي حسن صحيح وزاد في الإحياء قلت ما أتقي فأومأ بيده إلى لسانه وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يكنى أبا محمد القرشي أحد العشرة المبشرة بالجنة أسلم قديما وشهد المشاهد كلها غير بدر وضرب له سهمه لأن النبي كان بعثه مع سعيد بن زيد يتعرفان خبر العير التي كانت لقريش." (١)

"على تدبير الربوبية وذلك لا يبطل تكليفهم العمل بحق العبودية فكل من الخلق ميسر لما دبر له في الغيب فيسوقه العمل إلى ما كتب له في الأزل من سعادة أو شقاوة فمعنى العمل التعرض للثواب والعقاب ونظيره الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب ثم فصل عليه الصلاة والسلام ما أجمله بقوله أما من كان أي في علم الله أو كتابه أو في آخر أمره وخاتمة عمله من أهل السعادة أي الإيمان في الدنيا والجنة في العقبى فسييسر أي يسهل ويوافق ويهيأ لعمل السعادة أي لعمل أهلها وأما من كان من أهل الشقاوة وهو ضد السعادة وفي المصابيح بلفظ الشقوة بكسر الشين وهو مصدر بمعنى الشقاوة فسييسر لعمل الشقاوة أي أهلها من الكفرة والفجرة ثم قرأ أي النبي استشهادا أو اعتضادا فأما من أعطى أي حق الله من المال أو

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/٢١٠

الإمتثال واتقى أي خاف مخالفته أو عقوبته واجتنب معصيته وصدق بالحسنى أي بكلمة لا إله إلا الله وأخر في الذكر ترقيا أو إشارة إلى **حسن الخاتمة** الآية لا يخفى أن الحسنى رأس آية فالمراد ما بعدها من الآيات المتعلقة بها المناسبة لها وهي فسنيسره لليسرى قال البيضاوي أي فسنهيئه للخلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة وأما من بخل أي بما أمر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى أي بكلمة التوحيد فسنيسره للعسرى أي للخلة المؤدية إلى العسر والشدة كدخول النار وفي الكشاف سمى طريقة الخير باليسر لأن عاقبته اليسر وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبته العسر وفي المعالم فسنيسره أي نهيئه في الدنيا لليسرى للخلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه وأما من بخل بالنفقة الخير واستغنى عن ثواب الله تعالى ولم يرغب فيه فسنيسره للعسرى أي سنهيئه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله ويستوجب به النار قال مقاتل يعسر عليه بأن يأتي خيرا ا هـ ولا يخفى أن ما في البيضاوي غير ملائم لمعنى الحديث لإنعكاسه بالمعنى المقصود منه فالمدار على ما في المعالم والكشاف لكن." (١)

"ويجيبه اللهم رب هذه الدعوة التامة أي الكاملة الفاضلة قال التوربشتي وصف الدعوة بالتامة لأنها ذكر الله عز وجل يدعى بها إلى عبادته وهذه الأشياء وما والاها هي التي تستحق صفة الكمال والتمام وما سوى ذلك من أمور الدنيا يعرض به النقص والفساد ويحتمل أنه وصفت بالتمام لكونها محمية عن النسخ وقيل التامة أي في إلزام الحجة وإيجاب الإجابة والمسارعة إلى المدعو إليه وسمى الأذان دعوة لأنه يدعو إلى الصلاة والذكر والصلاة القائمة أي الدائمة ولا تغيرها ملة ولا تنسخها شريعة قاله الطيبي وقال ابن الملك لقيامها إلى يوم القيامة أو لأنه أمر بإقامتها فتكون هي قائمة آت أي أعط محمدا الوسيلة أي المنزلة الرفيعة والمرتبة المنيعة والفضيلة أي الزيادة المطلقة والمزية الغير المنتهية وأما زيادة والدرجة الرفيعة المشتهرة على الألسنة فقال السخاوي لم أره في شيء من الروايات وابعثه أي أرسله وأوصله مقاما محمودا أي مقام الشفاعة الذي وعدته الموصول إما بدل منصوب المحل أو نصب على المدح بتقدير أعني أو رفع عليه بتقدير هو ولا يجوز أن يكون صفة النكرة وإنما نكر المقام للتفخيم أي مقاما يغبطه الأولون والآخرون محمودا يكل عن أوصافه السنة الحامدين قال الأشرف المراد بوعده قوله تعالى أي عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا أي قال ابن عباس أي مقاما يحمدك فيه الأولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك ذكره الطيبي وفي رواية لابن حبان المقام المحمود وزاد البيهقي

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/٣٦٣

في رواية إنك لا تخلف الميعاد وأما زيادة يا أرحم الراحمين فلا وجود لها في كتب الحديث قيل والحكمة في سؤال ذلك مع كونه واجب الوقوع بوعد الله وعسى في الآية للتحقيق إظهار لشرفه وعظم منزلته وتلذذ بحصول مرتبته ورجاء لشفاعته حلت أي وجبت وثبتت له شفاعتي يوم القيامة وفيه إشارة إلى بشارة حسن الخاتمة رواه البخاري والأربعة قاله ميرك وعن أنس قال كان النبي." (١)

"صحيحة وما هن بزيادة الواو قلت مشى الأقدام إلى الجماعات أي للصلوات المكتوبات والجلوس في المساجد أي التي هي روضات الجنات بعد الصلوات أي المقضيات وإسباغ الوضوء بفتح الواو ويضم أي إكماله حين الكريهات أي وقت المكروهات من أيام البرودات أو أزمنة الغلاء في ثمن الماء قال ثم فيم أي فيم يختصم الملأ الأعلى أيضا وفيه إشارة إلى تقديم الكفارات قلت وفي نسخة

قال قلت في الدرجات أي في درجات الجنات العاليات قال وما هن بالواو قلت وفي نسخة قال قلت إطعام الطعام أي اعطاؤه للخاص والعام ولين الكلام أي لطفه مع الأنام والصلاة أي بالليل كما في نسخة والناس نيام الجملة حالية والنيام جمع نائم قال وفي نسخة ثم قال سل وفيه إشارة إلى أنه ينبغي أن تكون الدعوات بعد الطاعات قلت وفي نسخة قال قلت اللهم إني أسألك فعل الخيرات بكسر الفاء وقيل بفتحها أي المأمورات وترك المنكرات أي المنهيات وحب المساكين يحتمل الإضافتين والأنسب بما قبله إضافته إلى المفعول وأن تغفر لي ما فرط مني من السيئات وترحمني بقبول ما صدر عني من العبادات وإذا أردت فتنة أي ضلالة أو عقوبة في قوم أي جمع أو قبيلة فتوفني غير مفتون وهو إشارة إلى طلب العافية واستدامة السلامة إلى حسن الخاتمة وأسألك حبك قال الطيبي يحتمل أن يكون معناه أسألك حبك إياي أو حبي إياك أقول لا شك أن الأول أكمل فعليه المعول قال تعالى يحبهم ويحبونه قال الطيبي وعلى هذا يحمل قوله وحب من يحبك ولا يخفى أن الإضافة هنا إلى المفعول أنسب لأنه إلى التواضع أقرب قال الطيبي وأما قوله وحب عمل يقربني إلى حبك فيدل على أنه طالب لمحبته ليعمل حتى يكون وسيلة إلى محبة الله إياه فينبغي أن يحمل الحديث على أقصى ما يمكن من المحبة في الطرفين ولعل السر في تسميته بحبيب الله لا يخلو من هذا القول ا هـ وقوله لا يخلو ظاهر ولا يخلو من احتمال آخر فقال رسول الله إنها أي هذه الرؤيا حق إذ رؤيا الأنبياء وحي فادرسوها أي." (٢)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١١٣/٣

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢٤٢/٣

"الحشمة ولا شك أن الصلاة في الحضور أفضل من الغيبة انتهى لأن الغالب حضور القلب عند الحضرة والغفلة عند الغيبة ومن صلى علي نائيا أي من بعيد كما في رواية أي بعيدا عن قبري أبلغته وفي نسخة صحيحة بلغته من التبليغ أي أعلمته كما في رواية والضمير راجع إلى مصدر صلى كقوله تعالى اعدلوا هو أقرب للتقوى رواه البيهقي في شعب الإيمان قال ميرك نقلا عن الشيخ ورواه أبو الشيخ وابن حبان في كتاب ثواب الأعمال بسند جيد وعن عبد الله بن عمرو قال من صلى على النبي واحدة أي صلاة واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة ولعل هذا مخصوص بيوم الجمعة إذ ورد أن الأعمال في يوم الجمعة بسبعين ضعفا ولهذا يكون الحج الأكبر عن سبعين حجة رواه أحمد قال السخاوي ورواه ابن زنجويه في ترغيبه بإسناد حسن وحكمه الرفع إذ لا مجال للاجتهاد فيه وعن رويفع بالتصغير وهو ابن ثابت الأنصاري أن رسول الله قال من صل على محمد وقال عطف على صلى وهو يحتمل أن يكون عطف تفسير لأن المقصود من الصلاة إنما هو التعظيم وأن يكون المعنى وقال بعد الصلاة اللهم أنزله وهو الظاهر لما في رواية من قال اللهم صل على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك هو المقام المحمود لقوله يوم القيامة وفي رواية المقرب عندك في الجنة فيحتمل أن يراد به الوسيلة التي هي أعلى درجة في الجنة لا تكون إلا له عليه السلام قيل لرسول الله مقامان أحدهما مقام حلول الشفاعة عن يمين عرش الرحمن يغبطه الأولون والآخرون والثاني مقعده من الجنة ومنزله الذي لا منزلة بعده ذكره الطيبي ويحتمل أن يكون الثاني هو المراد وأريد بيوم القيامة الدار الآخرة وجبت أي ثبتت وفي رواية حلت وهي بمعناها أي وقعت وتحتمت بمقتضى وعد الله الصادق له شفاعتي أي نوع من أنواع شفاعاته عليه السلام الخاصة ببعض أمته من رفع درجته أو نحوها وفيه إشارة إلى بشارة **حسن الخاتمة** رواه أحمد قال ميرك ورواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وبعض أسانيدهم." (١)

"عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى أوحى إلى الدنيا أن تمرري وتكدري على أوليائي حتى يحبوا لقائي ومنه الحديث المشهور الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء الجملتان لوجه الشبه بينهما قال الطيبي التشبيه أما تمثيلي

وأما مفرق فيقدر للمشبه معان بإزاء ما للمشبه به وفيه إشارة إلى أن المؤمن ينبغي أن يرى نفسه عارية معزولة عن استعمال اللذات معروضة للحوادث ومثل المنافق كمثل شجرة الأرزة بسكون الراء وتفتح لا تهتز أي لا تتحرك حتى تستحصد على بناء المفعول وقال ابن الملك بصيغة الفاعل أي يدخل وقت حصادها فتقطع

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/٢٢

اه فكذلك المنافق يقل بلاؤه في الدنيا لئلا يخف عذابه في العقبى قال الطيبي دل على **سوء الخاتمة** متفق عليه قال ميرك ورواه الترمذي واللفظ له ولمسلم وعن جابر قال دخل رسول الله على أم السائب فقال مالك تزفزفين بالزايين بصيغة المعلوم والمجهول فإنه لازم ومتعد وفي نسخة صحيحة بالراءين المهملتين على بناء الفاعل قال الطيبي رفرف الطائر بجناحيه إذا بسطهما عند السقوط على شيء والمعنى مالك ترتعدين ويروي بالزاي من الزفزفة وهي الارتعاد من البرد والمعنى ما سبب هذا الارتعاد الشديد قالت الحمى أي النوع المركب من البلغم والصفراء الموجب لإنزعاج البدن وشدة تحركه لا بارك الله فيها مبتدأ وخبر والجملة تتضمن الجواب أو تقديره تأخذني الحمى أو الحمى معي والجملة بعده دعائية فقال لا تسبي الحمى أي بجميع أقسامها فإنها تذهب أي تمحو وتكفر وتزيل خطايا بني آدم أي مما يقبل التكفير كما يذهب الكير بالكسر خبث الحديد بفتحتين أي وسخه قال الطيبي كير الحداد وهو المبني من الطين وقيل الزق الذي ينفخ به النار والمبني الكور رواه مسلم وذكر السيوطي في كشف الغمى في أخبار الحمى عن الحسن مرفوعا قال إن الله ليكفر عن المؤمن خطاياه كلها بحمى ليلة قال ابن المبارك هذا من جيد الحديث وعن أبي الدرداء قال حمى ليلة كفارة سنة وعن أبي أمامة." (١)

"بالجنة أي لا تتمن لأنك من أهل الجنة وكلما طال عمرك زادت درجتك ونظيره في التعليل قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنت

الأعلون إن كنتم مؤمنين آل عمران فقيل له الشهادة خير لك مما طلبت وهي إنما تحصل بالجهاد ويعضده ما ورد في المتفق عليه عن سعد أنه قال أخلف بعد أصحابي قال إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضربك آخرون اه والأظهر أن الترديد فرضى وتقديري مع احتمال أن البشارة تكون مقيدة بالاستمرار على حال وقت البشارة ولهذا ما أزالت عنهم الخوف من **سوء الخاتمة** ومن عذاب القبر وأهوال يوم القيامة وسبق عذاب النار وغير ذلك والله أعلم مع جواز أن هذا الحديث وقع له قبل البشارة رواه أحمد وعن حارثة بن مضرب اسم مفعول من التضريب العبدي الكوفي تابعي مشهور سمع عليا وابن مسعود وغيرهما ذكره المؤلف قال دخلت على خباب بالتشديد أي ابن الأرت بتشديد الفوقية تميمي سبى في الجاهلية وبيع بمكة ثم حالف بني زهرة وأسلم في السنة السادسة وهو أول من أظهر إسلامه فعذب عذابا شديدا لذلك وشهد بدرا والمشاهد كلها أو مات سنة سبع سبع وثلاثين منصرف على كرم الله وجهه من صفين فمر بقبره فقال رحم الله خبابا أسلم راغبا

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٥/٢٦٧

وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى في جسمه أحوالا ولن يضيع الله أجره وقد اكتوى سبعا أي في سبع مواضع من بدنه قال الطيبي الكي علاج معروف في كثير من الأمراض وقد ورد النهي عن الكي فقيل النهي لأجل أنهم كانوا يرون أن الشفاء منه وأما إذا اعتقد أنه سبب وإن الشافي هو الله فلا بأس به ويجوز أن يكون النهي من قبل التوكل وهو درجة أخرى غير الجواز اه ويؤيده خبر لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقال لولا أني سمعت رسول الله يقول لا يتمن بصيغة النهي أحدكم الموت أي لضر نزل به لتمنيته أي لأستريح من شدة المرض الذي من شأن الجبلة البشرية أن تنفر منه ولا تصبر عليه ولقد رأيتني مع." (١)

"المبلغ من رسول الله ما تلفظ به في الغيبة اه وفيه إشارة إلى أن الصبر يورث الثواب والجزع يفوته عن المصاب وهذا الحديث أصل في التعزية ولذا قال الجزري في الحصن فإذا عزى أحدا يسلم ويقول إنا لله الخ قال وكتب إلى معاذ يعزيه في ابن له بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل سلام عليكم فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ورزقنا وإياك الشكر فإن أنفسنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا من مواهب الله عز وجل الهنيئة وعواريه المستودعة متع بها إلى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى فكان ابنك من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة متعك به في غبطة وسرور وقبضه منك بأجر كثير الصلاة والرحمة والهدى إن احتسبت فاصبر ولا يحبط جزعك أجرك فتندم واعلم أن الجزع لا يرد شيئا ولا يدفع حزنا وما هو نازل فكان والسلام رواه الحاكم وابن مردويه عن معاذ بن جبل قال الحاكم حسن غريب ومن الأمور الغريبة والقضايا العجيبة إنه في أثناء كتابتي هذا الكتاب وقع من قضاء رب الأرباب إن مات لي ابن اسمه حسن وفي الصورة والسيرة حاوي الفواضل وجامع الفضائل حسن الله مثواه وزين مضجعه ومأواه فحصل لي بهذا الحديث تعزية كاملة وتسلية شاملة ونرجو من الله **حسن الخاتمة** مع الإثابة التامة فأرسلت أي ابنته إليه أي مرة أخرى تقسم عليه أي تحلف عليه ليأتينها بالنون المؤكدة فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت كبراء الصحابة وفضلاؤهم ورجال أي آخرون ممن هم دونهم فرفع بصيغة المجهول إلى رسول الله الصبي الظاهر أنه رفع الصبي على يد أحد منهم وقال ابن الملك أي وضعه أحد

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٥/٣٢٦

في حجره ونفسه أي روحه تتقعقع أي تضطرب وتتحرك ولا تثبت على حالة واحدة كذا في النهاية ففاضت أي سالت عيناه والنسبة مجازية والمعنى نزل الدمع من عيني رسول الله فقال سعد أي المذكور." (١)

"يجر إليه وإن الإياس بمعنى اليأس من الناس غني وإن المرء تفسير لما تقدم إذا يئس وفي نسخة صحيحة إذا أيس عن شيء استغنى عنه ولذا قيل اليأس إحدى الراحتين وقال السيد أبو الحسن الشاذلي لما طلب منه علم الكيمياء هو في كلمتين اطرح الخلق عن نظرك واقطع طمعك عن الله أن يعطيك غير ما قسم لك رواه رزين وعن ثوبان قال الطيبي هو أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن من السراة

موضع بين مكة واليمن أصابه سبي فاشتراه النبي ولم يزل معه حضرا وسفرا حتى توفي رسول الله فخرج إلى الشام ونزل الرملة ثم انتقل إلى حمص وتوفي بها سنة أربع وخمسين قال قال رسول الله من يكفل بفتح الياء وضم الفاء مرفوعا قال الطيبي من استفهامية وفي نسخة بصيغة الماضي من التكفيل أي من يضمن ويلتزم لي ويتقبل مني أن لا يسأل الناس شيئا أي من السؤال أو من الأشياء فأتكفل بالنصب والرفع أي أتضمن له بالجنة أي أولا من غير سابقة عقوبة وفيه إشارة إلى بشارة **حسن الخاتمة** فقال ثوبان أنا أي تضمنت أو أتضمن فكان أي ثوبان بعد ذلك لا يسأل أحدا شيئا أي ولو كان به خصاصة واستثنى منه إذا خاف على نفسه الموت فإن الضرورات تبيح المحظورات بل قيل إنه لو لم يسأل حتى يموت يموت عاصيا رواه أبو داود والنسائي وعن أبي ذر قال دعاني رسول الله أي إلى المبايعة الخاصة وهو يشترط علي أي والحال أنه يقول لي على جهة الاشتراط أبايعك على أن لا تسأل الناس شيئا بفتح اللام وكسرها وعلى الأول أكثر النسخ قال الطيبي إن مفسرة داخلة على النهي لما في يشترط من معنى القول قيل ويحتمل أن تكون مصدرية قلت نعم أي بايعتك على ذلك قال أي النبي للمبالغة ولا سوطك أي ولا تسأل أحدا أن يناوله لك إن سقط منك حتى تنزل إليه فتأخذه أي بنفسك وفي هذا النزول حصول علو رواه أحمد." (٢)

"وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله اعبدوا الرحمن أي الذي علمكم القرآن وأطعموا الطعام أي للخاص والعام وأفشوا السلام أي للأنام تدخلوا الجنة بسلام أي في خير مقام رواه الترمذي وابن ماجه وعن أنس قال قال رسول الله إن الصدقة لتطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء أي لتمنع من إنزال المكروه والبلاء في الحال وتدفع **سوء الخاتمة** في المآل والميتة بالكسر أصلها موتة فقلبت واوها ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وهي الحالة التي يكون عليها الإنسان في الموت والسوء بفتح السين ويضم والمراد ما لا

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤٧٢/٥

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٦٥/٦

تؤمن غائلته ولا تحمد عاقبته كالفقر المدقع والوصب الموجع والأغلال التي تفضى به إلى كفران النعمة ونسيان الذكر وقيل موت الفجأة والحرق والغرق والتردي والهدم ونحو ذلك وفي حاشية ميرك قال الشارح الأول المراد بالميتة السوء الحالة التي يكون عليها عند الموت كالفقر المدقع والوصب الموجع والألم المفلق وال إغلال التي تفضى إلى كفران النعمة والأهوال التي تشغله عماله وعليه وموت الفجأة التي هو أخذة الأسف ونحوها وقال الطيبي نقلا عن المظهر أراد به ما تعوذ منها رسول الله في دعائه اللهم إني أعوذبك من الهدم وأعوذ بك من التردي ومن الغرق والحرق والهرم وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبرا وأعوذ بك من أن أموت لديغا ثم قال ويجوز أن يحمل إطفاء الغضب على المنع من إنزال المكروه في الدنيا كما ورد لا يرد القضاء إلا الصدقة وموت السوء على **سوء الخاتمة** ووخامة العاقبة من العذاب في الآخرة كما ورد الصدقة تطفىء الخطيئة وقد سبق أنه من باب إطلاق السبب على المسبب وقد تقرر أن نفي المكروه لإثبات ضده أبلغ من العكس فكأنه نفي الغضب وأراد الرضا ونفي الميتة السوء وأراد الحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الحسنى في العقبى وعليه قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون النحل رواه الترمذي." (١)

"بالأحاديث الصحيحة ومنه الدعاء بلفظ أعجمي جهل معناه ومنه الدعاء على من لم يظلمه مطلقا أو على من ظلمه بأزيد مما ظلمه ولا ينافيه قصة سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرة حيث دعا على من ظلمه بأكثر لأنه مذهب صحابي ومع حله يذهب أجره لحديث الترمذي من دعا على ظالمه فقد انتصر واختلفوا في الدعاء على الظالم **بسوء الخاتمة** ونحوه فقيل يباح كما قال نوح ولا تزد الظالمين إلا ضلالا نوح وقال موسى واشدد على قلوبهم يونس ودعا نبينا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته وشج وجهه فقال اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرا فكان كذلك وقيل يمنع قال ابن حجر وجمع بعضهم بحمل الأول على متمرد عم ظلمه والثاني على غيره وأقول الصواب أن الأول محمول على الكافر والثاني." (٢)

"وقال الطيبي أي ما يقرب ملأها من الصغائر والكبائر خطيئة تمييز لا يشرك بي حال من فاعل لقيني العائد إلي من شيئا مفعول مطلق أو مفعول به أخذا من قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به النساء لقيته بمثلها مغفرة أي أن أردت ذلك له لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء النساء ونكتة حذفه في

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢٠٤/٦

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١١٦/٧

الحديث استغناء بعمله منها ومبالغة في سعة باب الرجاء قال الطيبي المقصود من الحديث دفع اليأس بكثرة الذنوب فلا ينبغي أن يغتر في الاستنكار من الخطايا قال ابن الملك فإنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولا يعلم أنه من أيهم ا هـ أي يغفر لمن يشاء على الذنب الكبير ويعذب من يشاء على الذنب الحقير أو يغفر لمن يشاء الذنوب الكثيرة ويعذب من يشاء على السيئة الصغيرة وهذا المقصود من آخر الحديث وأما أوله ففيه الترغيب والتحثيث على المجاهدة في الطاعة والعبادة دفعا للفتور والتكاسل والقصور فالحديث معجون مركب نافع لأمراض قلوب السالكين ومحرك لشوق الطالبين ومقو لصدور المذنبين واعلم أنه قلما يوجد في الأحاديث حديث أرجى من هذا الحديث فإنه رتب قوله لقيته بمثلها مغفرة على عدم الإشراك بالله فقط ولم يذكر الأعمال الصالحة لكن لا يجوز لأحد أن يغتر ويقول إذا كان كذلك فأكثر الخطيئة حتى يكثر الله المغفرة وإنما قال تعالى ذلك كيلا ييأس المذنبون من رحمته ولا شك أن لله مغفرة وعقوبة ومغفرته أكثر ولكن لا يعلم أحد أنه من المغفورين أو من المعاقبين لإبهام قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير الشورى فإذا ينبغي أن يكون المؤمن بين الخوف والرجاء فإن الذي دل عليه الأحاديث المتواترة المعنى وصار كالمعلوم من الدين بالضرورة ولذا كفر منكره أنه لا بد من دخول جماعة من موحدي هذه الأمة النار ثم خروجهم عنها مع أن العبرة **بحسن الخاتمة** وهي حالة مبهمة رواه مسلم قال ابن حجر كما في النسخة المعتمدة واغتر شارح بنسخة سقيمة وجدها مخالفة لذلك فاعترض بسببها على المصابيح." (١)

"التابعين عن أبيه عن رسول الله أنه أسر إليه أي تكلم معه سرا أو جهرا أو الإسرار والإعلان والإخفاء كذا ذكره بعض الشراح وكأنه أراد أن الهمزة قد تكون للسلب فيصير معناه الإعلان وقال غيره أي تكلم معه

خفية وال الطيبي في الإسرار وترغيبه فيه حتى يتلقاه ويتمكن في قلبه تمكن السر المكنون لا الضنة أي البخل به من غيره فقال إذا انصرفت أي فرغت وأغرب ابن الملك وقال أي رجعت من صلاة المغرب فقل قبل أن تكلم أي بكلام الدنيا أحدا فإنك حينئذ على ما كنت عليه في الصلاة من الخشوع والتدبر فيقع الدعاء على وجه الكمال في الثناء اللهم أجرني أي خلصني من النار سبع مرات ظرف لقل أي كرر ذلك سبع مرات ولعل النكتة في هذا العدد مراعاة سبعة أبواب النار وطبقاتها أو سبعة أعضاء المتكلم بها فإنك إذا قلت ذلك أي الدعاء المذكور سبعا ثم مت بالضم والكسر في ليلتك كتب أي قدر لك جواز بفتح

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٢/٨

الجيم أي خلاص منها أي من النار أي دخولها أو خلودها ففيه إشارة إلى بشارة **حسن الخاتمة** ووقع في شرح ابن حجر من النار موضع منها وهو مخالف للأصول المعتمدة والجواز في الأصل البراءة التي تكون مع الرجل في الطريق حتى لا يمنعه أحد من المرور وحينئذ فلا يدفعه إلا تحلة القسم وإذا صليت الصبح أي وانصرفت فقل أي هذا الذكر سبعا كذلك أي قبل أن تكلم أحدا فإنك إذا مت في يومك كتب لك جواز منها رواه أبو داود ورواه النسائي وابن حبان قال ميرك كلهم من حديث سلم بن الحارث ويقال الحارث بن مسلم التميمي والأول أصح ا هـ والله تعالى أعلم وعن ابن عمر قال لم يكن رسول الله يدع أي يترك هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح والظاهر إن كان ناقصة وجملة يدع خبر لها أي لم يكن تاركا لهن في هذين الوقتين بل يداوم عليها فيهما وأغرب ابن حجر رحمه الله حيث قال الظاهر أن يكن تامة وأن يد جملة حالية من الفاعل أي لم يوجد رسول الله حال كونه تاركا لها حين يمسي وحين يصبح ا هـ ولا يخفى ما فيه من ركاكة." (١)

"بن أبي أو في قال كان رسول الله إذا أصبح قال

أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله والكبرياء أي الصفات الذاتية والعظمة أي الصفات الفعلية لله أي وحده لا شريك له كما في الحديث القدسي الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما قصمته والخلق أي الإيجاد التدريجي والأمر أي الإيجاد الآتي أو واحد الأوامر والمراد به الجنس أو واحد الأمور والمراد به التصرف والحكم أو المراد بالخلق الإيجاد بالأمر الأمد وقد يشار بالأول لعالم الصور وبالثاني لعالم المعاني ومنه أي قل الروح من أمر ربي أي والليل والنهار أي زمانهما ومكانهما وما سكن فيهما أي وتحرك فهو من باب الاكتفاء نحو سرابيل تفيكم الحر أي والبرد أو سكن بمعنى ثبت لله أي لا شريك له وفيه رمز إلى قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار الأنعام وفي رواية وما يضحى فيهما لله وحده أي وما يدخل في وقت الضحوة أو ما يظهروا ويبرز فيه لا صنع لغيره في الحقيقة ولا في الصورة اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحا أي فوزا بالمطالب المناسبة لصلاح الدارين وآخره فلاحا أي ظفرا بما يوجب **حسن الخاتمة** وعلو المرتبة في درجات الجنة والظاهر أن المراد من الأول والآخر والأوسط استيعاب الأوقات والساعات في صرفها إلى العبادات والطاعات لحصول حسن الحالات والمعاملات في الدنيا ووصول أعلى الدرجات في الأخرى قال الطيبي رحمه الله صلاحا في ديننا بأن يصدر مناما ننخرط به في زمرة الصالحين من عبادك ثم أشغلنا بقضاء مآربنا في دنيانا لما هو صلاح في ديننا فانجحنا واجعل خاتمة

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/٢٦٧

أمرنا بالفوز بما هو سبب لدخول الجنة فنندرج في سلك من قيل في حقهم أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ا هـ ولذا قالوا أحمع كلمة في الشريعة كلمة الفلاح أقول ولذا قال تعالى قد أفلح المؤمنون إلى آخر الآيات ثم قال أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس يا أرحم الراحمين ختم بهذا لأنه سبب لسرعة إجابة الدعاء كما جاء في حديث وروي." (١)

"بالأمانة التكاليف كاها كما فسر بها قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا الأحزاب الآية وآخر عملك أي في سفرك أو مطلقا كذا قيل والأظهر أن المراد به **حسن الخاتمة** لأن المدار عليها في أمر الآخرة وإن التقصير فيما قبلها مجبور بحسنها ويؤيده قوله زفي رواية وخواتيم عملك وهو جمع خاتم به عملك أي أخيره والجمع لإفادة عموم أعماله قال الطيبي قوله استودع الله هو طلب حفظ الوديعة وفيه نوع مشاكلة للتوديع وجعل دينه وأمانته من الودائع لأن السفر يصيب الإنسان فيه المشقة والخوف فيكون ذلك سببا لإهمال بعض أمور الدين فدعا له بالمعونة والتوفيق ولا يخلو الرجل في سفره ذلك من الاشتغال بما يحتاج فيه إلى الأخذ والإعطاء والمعاشرة مع الناس فدعا له بحفظ الأمانة والاجتناب عن الخيانة ثم انقلب إلى أهله يكون مأمون العاقبة عما يسوءه في الدين والدنيا رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وكذا النسائي والحاكم وابن حبان وفي روايتهما أي أبي داود وابن ماجه لم يذكر بصيغة المجهول وآخر عملك أي بل ذكر وخواتيم عملك على ما يفهم من الحصن وعن عبد الله الخطمي بفتح الخاء المعجمة ويكسر قال الطيبي هو الأوسي الأنصاري أبو موسى عبد الله بن يزيد بن حصين بن عمرو بن الحرث بن حطمة بن خثعم بن مالك بن أوس حضر الحديبية وهو ابن سبع عشرة سنة قال كان رسول الله إذا أراد أن يستودع الجيش أي العسكر المتوجه إلى العدو قال استودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم فيه مقابلة الجمع بالجمع رواه أبو داود وعن أنس قال جاء رجل إلى النبي قال يا رسول الله إني أريد سفرا فزودني من التزويد وهو إعطاء الزاد هو المدخر الزائد على ما يحتاج إليه في الوقت والتزود أخذ الزاد ومنه قوله تعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى البقرة أي التحرر." (٢)

"محمول على أن تحمله تعالى التبعات من قبيل ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهذا لا تكفير فيه وإنما يكون فاعله تحت المشيئة فشتان ما بين الحكم بتكفير الذنب وتوقفه على المشيئة ولذا قال البيهقي

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/٢٩٠

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/٣٢٦

فلا ينبغي لمسلم أن يغر نفسه بأن الحج يكفر التبعات فإن المعصية شؤم وخلاف الجبار في أوامره ونواهيه عظيم وأحدنا لا يصبر على حمى يوم أو وجع ساعة فكيف يصبره على عقاب شديدوعذاب أليم لا يعلم وقت نهايته إلا الله وإن كان قد ورد خبر الصادق بنهايته دون بيان غايته متى كان مؤمنا وهذا لا ينافي قول ابن المنذر فيمن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه إن هذا عام يرجى أن يغفر له جميع ذنوبه صغائرها وكبائرها وإنما الكلام في الوعد الذي لا يخلف وقد ألف في هذه المسألة شيخ ازسلام العسقلاني رحمه الله الباري تأليفا سماه قوت الحجاج في عموم المغفرة للحاج رد فيه قول ابن الجوزي رحمه الله أن الحديث موضوع بأنه جاء من رواية جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وإنما غايته أنه ضعيف ويعضد بكثرة طرقه وقد أخرج أبو داود في سننه طرفا منه وسكت عليه فهو صالح عنده وأخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي رحمه الله في الأحاديث المختارة مما ليس في الحديثين وقال البيهقي له شواهد كثيرة فإن صح شواهده ففيه الحجة فإن لم يصح فقد قال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وظلم بعضهم بعضا دون الشرك ا هـ ولا يخفى أن الأحاديث الصحيحة الصريحة لا تكون إلا ظنية فما بالك بالأحاديث الضعيفة ولا شك أن المسائل الاعتقادية لا تثبت إلا بالأدلة القطعية رواية ودراية نعم يغلب على الظن رجاء عموم المغفرة قلن لمن حج حجا مبرورا وسعيا مشكورا وأين من يجزم بذلك في نفسه أو غيره وإن كان عالما أو صالحا في علو مقامه هتالك فمن المعلوم أن غير المعصوم يجب أن يكون بين الخوف والرجاء فنسأل الله حسن الخاتمة المقرونة بقبول التوبة وحسن العمل الموجب للمثوبة من غير سبق العقوبة." (١)

"ويبعد اتفاقهم على الشك وقيل تقسيم أي شفيعا للعاصي شهيدا للمطيع أو شهيدا لمن مات في زمانه شفيعا لمن مات بعده وقيل أو بمعنى الواو يوم القيامة وفيه إشارة إلى بشارة حسن الخاتمة قال القاضي رحمه الله وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين عامة وعلى شهادته لجميع الأمة وقد قال عليه الصلاة والسلام في شهداء إحدانا شهيد على هؤلاء فيكون تخصيصهم بذلك مزية مرتبة ورفعة منزلة رواه مسلم وفيه تنبيه أنه ينبغي للمؤمن أن يكون صابرا بل شاكرا على إقامته في الحرمين الشريفين ولا ينظر إلى ما فيما عداهما من النعم الصورية لأن العبرة بالنعم الحقيقية الأخروية لحديث اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ولحديث من صبر على حر مكة ساعة تبعد من نار جهنم مائتي سنة ونعم ما قال إذا لم يطب في طيبة عند طيب تطيب به الدنيا فأين تطيب وقد قال عز وعلا أي ألم يرو إنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٩/٧٥

الناس من حولهم أي وقال عز وجل أي فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أي وأصل الحياة الطيبة في وصول الرزق وحصول الأمن الذي به كما الرفق." (١)

"ورائهم وإقامة الحدود والأحكام فيهم ورعاية الرجل أهله فالقيام عليهم بالحق في النفقة وحسن العشرة ورعاية المرأة في بيت زوجها فحسن التدبير في أمر بيته والتعهد بخدمة أضيافه ورعاية الخادم فحفظ ما في يده من مال سيده والقيام بشغله ألا للتنبيه ثانيا للتأكيد فكلكم قال الطيبي الفاء جواب شرط محذوف يعني تقديره فإذا كان الأمر كذلك على ما فصلناه فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته كما أجملناه فالجملة فذلكة للكلام وخلاصة للمرام كقوله تعالى تلك عشرة كاملة البقرة بعد ذكر الثلاث والسبعة قال الطيبي والفذلكة هي التي يأتي بها المحاسب بعد التفصيل ويقول فذلك كذا ضبطا للحساب وتوقيا عن الزيادة والنقصان فيما فصله في الكتاب اه والظاهر أن فاء الفذلكة تكون تعريضية والله تعالى أعلم بالصواب متفق عليه وفي الجامع الصغير كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته رواه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي عنه وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت بالرفع عطفا على يلي وفي نسخة بالنصب على جواب النفي قال الطيبي الفاء فيه وفي قوله فلم يحطها يعني الآتي كاللام في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهو غاش بتشديد الشين المعجمة أي خائن لهم أو ظالم بهم لا يعطي حقوقهم ويأخذ منهم ما لا يجب عليهم إلا حرم الله عليه الجنة أي دخولها مع الناجين أو محمول على المستحل أو زجر وكيد ووعيد شديد أو تخويف **بسوء الخاتمة** نعوذ بالله من ذلك وفي قوله فيموت وهو غاش دليل على أن التوبة قبل حالة الموت باقية وفيه إشارة إلى عرض التوبة على من لم يكن ناصحا في الرعية قال الطيبي." (٢)

"رسول الله أي في زمانه فما كانت امرأة تقين بصيغة المفعول من التقيين وهو التزيين والمقينة الماشطة أي تزين لزفافها بالمدينة إلا أرسلت إلي تستعيره والمقصود تغير أهل الزمان مع قرب العهد فصح كل عام ترذلون بل صح في الخبر على ما رواه البخاري

وأحمد والنسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعا لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذي بعده شر منه

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢١٠/٩

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٢٢/١١

حتى تلقوا ربكم والسبب هو البعد عن أنواره والاحتجاب عن أسراره المقتضى لظلمات الظلم على أنفسنا فنسأل الله **حسن الخاتمة** في أنفس أنفسنا رواه البخاري وعن جابر قال لبس رسول الله يوما قباء ديباج بكسر الدال ويفتح أهدي له أي أرسل له هدية فكأنه لبسه مراعاة لخاطر المهدي على ما هو المتعارف وكان لبسه إذ ذاك مباحا ثم أوشك أن نزعه أي أسرع إلى نزعه فأرسل به إلى عمر فقيل قد أوشك ما انتزعته أي قد أسرع انتزاعك إياه يا رسول الله فقال نهاني عنه أي عن لبسه جبريل فجاء عمر عطف على مقدر أي فسمع عمر هذه القضية فجاء يبكي أي باكيا فقال يا رسول الله كرهت أمرا أي ليس هذا الثوب وأعطيتنيه أي لألبسه فما لي أي فكيف حالي ومآلي فقال إني لم أعطكه تلبسه بالرفع وفي نسخة بالنصب إنما أعطيتكه تبيعه بالوجهين قال الطيبي تلبسه وتبيعه مرفوعان على الاستئناف لبيان الغرض من الإعطاء قلت ولعل وجه النصب أن أصله لأن تلبسه ولأن تبيعه فحذف اللام ثم حذف إن وأبقى الإعراب على أصله كما قيل في قوله تسمع بالمعيدي فباعه أي عمر الثوب بألفي درهم رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنها قال إنما نهى رسول الله عن الثوب المصمت بضم الميم الأولى وفتح الثانية وهو الثوب الذي يكون سداه ولحمته من الحرير لا شيء غيره كذا ذكره الطيبي فقوله من الحرير للتأكيد أو بناء على التجريد وفي القاموس ثوب مصمت لا يخالط لونه لون فأما العلم أي من الحرير قدر أربعة أصابع وسدي الثوب بفتح السين والدال المهملتين ضد اللحمة وهي التي تنسج من." (١)

"احتمال أن يكون كل فصل من الحديث على حدة سمعه الراوي فجمعهما في الأداء ثم قوله عنده أعم من أن يكون اليتيم له أو لغيره كنت أنا وهو أي المحسن وأتى بضمير الفصل ليصح العطف على الضمير في الجنة خبر كان فيجب أن يقدر متعلقه خاصا يوافق قوله كهاتين أي متقارنين في الجنة اقترانا مثل هاتين الاصبعين ويجوز أن يكون كهاتين حال من الضمير المستقر في الخبر وأن يكون هو الخبر وفي الجنة ظرف لكنت كذا حققه الطيبي وقرن بين أصبعيه أي المسبحة والوسطى وفي الحديث إشارة إلى بشارة **حسن الخاتمة** رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث غريب وفي الجامع الصغير من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو في الجنة كهاتين رواه الحكيم عن أنس وفي رواية الطبراني عن ابن عباس بلفظ من آوى يتيما أو يتيمين ثم صبر واحتسب كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله من آوى بمد الهمزة ويقصر في النهاية آوى وأوى بمعنى واحد والمقصور منهما لازم ومتعد أي ضم يتيما واليتيمة بالأولى أو هو من باب الاكتفاء إلى طعامه وشرابه أي سواء أكل معه أم لا

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١١٥/١٣

والضميران لمن ويحتمل أن يكونا لليتيم وإلى بمعنى مع فيكون أبلغ في الترغيب ويفهم الأول بالأولى أوجب أي أنبت الله له الجنة أو أوجب الله سبحانه على نفسه بمقتضى وعده ألبتة أي إيجابا قاطعا بلا شك وشبهة إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر المراد منه الشرك لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء النساء كذا ذكره الطيبي وهو ظاهر وقال شارح وتبعه ابن الملك أي الشرك وقيل مظالم الخلق قلت والجمع هو الأظهر للإجماع على أن حق العباد لا يغفر بمجرد ضم اليتيم ألبتة مع أن من جملة حقوق العباد أكل مال اليتيم نعم يكون تحت المشيئة فالتقدير إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر إلا بالتوبة أو بالاستحلال ونحوه وحاصله أن سائر الذنوب التي بينه وبين الله تغفر إن شاء الله تعالى ومن عال ثلاث بنات أي تعهدهن." (١)

"الله والبغض في الله عز وجل وروى أبو داود والضياء عن أبي أمامة مرفوعا من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان وفي رواية فقد استكمل إيمانه وعن أبي هريرة أن النبي قال إذا عاد المسلم أخاه أي مريضا أو زاره

أي صحيحا فأو للتنويع ويحتمل أن تكون للشك بناء على تغليب أحدهما أو نظر الأصل المعنى اللغوي لأن العيادة والزيارة متقاربان في المعنى إلا أن العيادة تستعمل غالبا في المرض والزيارة في الصحة والأظهر أن الزيارة أعم في العيادة كما أن كلا منهما أخص من العبادة قال الله تعالى أي بلا واسطة أو على ألسنة بعض الملائكة طبت بكسر الطاء أي صرت طيب العيش في الآخرة أو حصل لك طيب عيش فيها وهو إخبار ويحتمل الدعاء وطاب ممشاك أي صار مشيك سبب طيب عيشك فيها كذا ذكره بعض الشراح ولا بعد في تعميم طيب العيش ليشمل طيب الحياة في الدنيا بالقناعة والرضاء وبركة الرزق وسعة القلب وحسن الخلق وتوفيق العلم والعمل ويمكن أن يكون الطيب كناية عن قبول نيته وشكر سعيه وتبوأت من الجنة منزلا أي هيأت منها بهذه العيادة منزلة عظيمة ومرتبة جسيمة فإن إدخال السرور في قلب المؤمن أفضل من عبادة الثقلين لا سيما والعيادة فرض كفاية وفيها موعظة وعبرة وتذكرة وتنبيه على استغنام الصحة والحياة ورفع الهموم الزائدة نسأل الله العفو والعافية **وحسن الخاتمة** رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن المقدام بن معدي كرب مر ذكره عن النبي قال إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه أي ليحبه أيضا أو ليدعوه لمحبة الله له كما سيأتي فيكونا من المتحابين قال الخطابي معناه الحث على التودد والتألف وذلك أنه إذا أخبر أنه يحبه استمال قلبه واجتلب به وده وفيه أنه إذا علم أنه محب له قبل نصحه ولم يرد عليه

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤/٢٦٥

قوله في عيب أن أخبره به نفسه رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح قال ميرك ورواه النسائي في اليوم والليلة اه وفي الجامع الصغير إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه." (١)

"ما لم تعمل به لأنه عمل هنا بالقول اللساني والمتجاوز عنه هو القول النفساني انتهى والمعتمد ما قاله العلماء المحققون إن هذا إذا لم يوطن نفسه ولم يستقر قلبه بفعلها فإن عزم واستقر يكتب معصية وإن لم يعمل ولم يتكلم وقد تقدم والله تعالى أعلم رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح قال المندري حديث أبي كبشة رواه أحمد والترمذي واللفظ له وقال حسن

صحيح وابن ماجه بمعناه ذكره ميرك وفي الجامع وكذا رواه أحمد في مسنده وروى ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن عبد الرحمان بن عوف صدر الحديث فقط ولفظه ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها إلا زاده الله تعالى جل جلاله لها عزا فاعفوا يزدكم الله عزا ولا فتح رجل باب مسألة يسأل الناس إلا فتح الله عليه باب فقر فهذا يدل على أن الحديث الأول مركب من حديثين جمعهما الراوي وجعلهما حديثا واحدا وما يدل عليه أن لفظ الجامع عن الأنماري ثلاث أقسم عليهن إلى قوله باب فقر ثم قال وأحدثكم حديثا فاحفظوه إنما الدنيا الخ فالتفسيرات المحتاجة إلى التأويلات إنما هي من تصرفات بعض الرواة والله تعالى أعلم وعن أنس أن النبي قال إن الله تعالى إذا أراد بعبد خيرا أي في عاقبته استعمله أي جعله عاملا في الطاعة فإنه الفرد الأكمل عند إطلاق العمل فقيل وكيف يستعمله يا رسول الله أي والحال أنه دائم الاستعمال قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت أي حتى يموت على التوبة والعبادة فيكون له **حسن الخاتمة** وزاد ذي الجامع ثم يقبضه عليه رواه الترمذي أي وقال صحيح الإسناد نقله ميرك عن التصحيح ورواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما ذكره المنذري وفي الجامع رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم ورواه الطبراني عن أبي أمامة ولفظه إذا أراد الله بعبد خيرا طهره قبل موته قالوا وما طهر العبد قال عمل صالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه ورواه أحمد والطبراني عن أبي عتبة ولفظه إذا أراد الله بعبد خيرا عسله بفتح." (٢)

"باب البكاء والخوف

جمع بينهما تنبيا لتلازمهما غالبا وقدم البكاء ولو سببه الخوف لظهوره أولا أو أريد بالخوف التعميم فذكره بعد البكاء كالتتميم ثم البكاء بالقصر خروج الدمع مع الحزن وبالمد

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤/٣١٤

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٥/١٩٨

خروجه مع رفع الصوت كذا قيل والمد أشهر والظاهر أن المراد به ههنا المعنى الأعم فحمله على التجريد في أحد معينيه هو ألا تم

$الفصل الأول

عن أبي هريرة قال قال أبو القاسم والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم أي من عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب للعتاة وكشف السرائر وخبث النيات لبكيتم جواب القسم السادس جواب لو كثيرا أي بكاء كثيرا أو زمانا كثيرا أي من خشية الله ترجيحا للخوف على الرجاء وخوفا من **سوء الخاتمة** ولضحكتم قليلا وكأن الحديث مقتبس من قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا التوبة هذا قال الغزالي رحمه الله هذا الحديث من الأسرار التي أودعها قلب محمد الأمين الصادق ولا يجوز إفشاء السر فإن صدور الأحرار قبور الأسرار بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا فإن البكاء ثمرة شجرة حياة القلب الحي بذكر الله واستشعار عظمته وهيبته وجلاله والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك فبيان الحقيقة حث الخلق على طلب القلب الحي والتعوذ من القلب الغافل رواه البخاري أي من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث أنس وكذا رواه الترمذي والنسائي ذكره ميرك وفي الجامع رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس والحاكم عن أبي هريرة ورواه الضياء عن أبي ذر وزاد ولما ساغ لكم الطعام والشراب ورواه الطبراني والحاكم والبيهقي عن أبي الدرداء ولفظه لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى لا تدرون تنجون أو لا تنجون وسيأتي هذا الحديث في الفصل الثاني مطولا وروي أن المنادي ينادي من السماء ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وعن الصديق الأكبر أنه قال وددت." (١)

"والجمع نجباء والمنتجب المختار ونجائب القرآن أفضله هذا وقد أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود مرفوعا إن لله تعالى ثلاثمائة نفس قلوبهم على قلب آدم عليه الصلاة والسلام وله أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه الصلاة والسلام وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه الصلاة والسلام وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه الصلاة والسلام وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه الصلاة والسلام وله واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه الصلاة والسلام كلما مات الواجد أبدل الله مكانه من الثلاثة وكلما مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وكلما مات من الخمسة واحد أبدل الله مكانه من السبعة وكلما مات

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٥/٢٦٥

واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وكلما مات واحد من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة وكلما مات واحد من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة بهم يدفع الله تعالى الهم عن هذه الأمة انتهى وأرجو من الله تعالى وحسن فضله وكرمه وعموم جوده أنه إذا وقع محلولا من هذه المناصب العلية أن يجعلني منصوبا على طريق البدلية ولو من مرتبة العامة إلى أدنى مرتبة الخاصة ويتم علي هذه النعمة مع الزيادة إلى **حسن الخاتمة** ثم." (١)

"من الاستقصاء على أنه يمكن اختلافه باختلاف الأحوال والرجال والشهر

أي من السنة كالجمعة أي كالأسبوع والجمعة يعني الأسبوع من الشهر كاليوم أي كالنهار واليوم كاضطرام السعفة في النار بفتحتين واحدة السعف وهو غصن النخل أي كسرعة التهاب النار بورق النخل والاضطرام الالتهاب والاشتعال فالمعنى إن اليوم كالساعة رواه أي البغوي في شرح السنة أي بإسناده وعن والجمعة أي كالأسبوع أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله يتبع الدجال من أمتي أي أمة الإجابة أو الدعوة وهو الأظهر لما سبق أنهم من يهود أصفهان سبعون ألفا عليهم السيجان بكسر السين جمع ساج كتيجان وتاج وهو الطيلسان الأخضر وقيل المنقوش ينسج كذلك قال ابن الملك أي إذا كان أصحاب الثروة سبعين ألفا فما ظنك بالفقراء قلت الفقراء لكونهم مفلسين هم في أمان الله إلا إذا كانوا طامعين في المال والجاه فهم في المعنى من أصحاب الثروة التابعين لتحصيل الكثرة سواء يكون متبوعهم على الحق أو الباطل كما شوهد في الأزمنة السابقة من أيام يزيد والحجاج وابن زياد وهكذا يزيد الفساد كل سنة بل كل يوم في البلاد فيتبع العلماء العباد والمشايخ الزهاد على ما يشاهد بشر العباد للأغراض الفاسدة والمناصب الكاسدة ونسأل الله العفو والعافية **وحسن الخاتمة** رواه في شرح السنة قيل في سنده أبو هارون وهو متروك وعن أسماء بنت يزيد أي ابن السكن قالت كان النبي في بيتي فقال إن بين يديه أي قدام الدجال وقبيل زمان خروجه ثلاث سنين أي مختلفة في ذهاب البركة سنة بالرفع وفي نسخة بالنصب تمسك السماء أي تمنع بإمساك الله فيها أي في تلك السنة ثلث قطرها بفتح القاف أي مطرها المعتاد في البلاد والأرض أي وتمسك الأرض ثلث نباتها أي ولو كانت تسقى من غير المطر والثانية أي السنة الثانية وهي بالرفع ويجوز نصبها إما على البدلية وإما على الظرفية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها." (٢)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٥/٤٥٩

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٦/٣٤

"كسرا للنفس وعجبها حتى لا يتوهم أنه من عنده

وينصره قوله أني عبد الله يا بلال قم فأذن أي فأعلم الناس لا يدخل الجنة إلا مؤمن أي خالص احترازا عن المنافق أو مؤمن كامل فالمراد دخولها مع الفائزين دخولا أوليا غير مسبوق بعذاب وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر أي المنافق أو الفاسق ممن يعمل رياء أو يخلط به معصية وربما يكون عمل عملا به **سوء الخاتمة** نسأل الله العافية والجملة يحتمل أن تكون داخلة تحت التأذين أو استئناف بيان لاختلاف أحوال القائلين ومن نظائره من يصنف أو يدرس أو يعلم أو يتعلم أو يؤذن أو يؤم أو يأتم وأمثال ذلك كمن يبني مسجدا أو مدرسة أو زاوية لغرض فاسد وقصد كاسد مما يكون سببا لنظام الدين وقوام المسلمين وصاحبه من جملة المحرومين جعلنا الله تعالى من المخلصين بل من المخلصين رواه البخاري وكذا مسلم وفي الجامع إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم رواه النسائي وابن حبان عن أنس وأحمد والطبراني عن أبي بكرة وفي رواية للطبراني عن ابن عمر بلفظ أن الله تعالى ليؤيد الإسلام برجال ما هم من أهله وعن عائشة قالت سحر رسول الله أي سحر يهودي حتى أنه ليخيل إليه بصيغة المفعول أي ليظن أنه فعل الشيء أي الفلاني مثلا وما فعله أي والحال أنه ما فعل ذلك الشيء قيل معناه أنه غلب عليه النسيان بحيث يتوهم من حيث النسيان أنه فعل الشيء الفلاني وما فعله أو أنه ما فعله وقد فعل وذلك في أمر الدنيا لا في الدين ونظيره ما قال تعالى في حق موسى فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى طه أي والحال أنها ما تسعى بل إنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت فخيل إليه أنها تتحرك فأوجس في نفسه خيفة موسى طه قال البيضاوي يعني فأضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية وقد قرىء يخيل على إسناده إلى الله سبحانه قال النووي قد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعم أنه يحط من منزل النبوة لذلك وأن." (١)

"وسكون اللام وهو كساء رقيق يجعل تحت البرذعة والأقتاب جمع قتب بفتحتين وهو رحل صغير على قدر سنام البعير وهو للجمل كالأكاف لغيره يريد علي هذه الإبل بجميع أسبابها وأدواتها في سبيل الله أي في طريق رضاه ثم حض بتشديد المعجمة أي حث وحرض على الجيش أي في ذلك المقام أو في غيره من الزمان فقام عثمان فقال علي مائتا بعير أي غير تلك المائة لا بانضمامها كما

يتوهم والله أعلم بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض أي ثالثا وفي رواية ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال علي ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله فالتزم عثمان رضي الله عنه في كل مرتبة

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤٨/١٧

بحكم رتبة المقام ففي المقام الأول ضمن مائة واحدة وفي الثاني مائتين وفي الثالث ثلثمائة فالمجموع ستمائة وسيأتي له من الزيادة قال طلحة فأنا أي بنفسي من غير أن أسمع من غيري رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عن المنبر وهو يقول ما على عثمان ما هذه نافية بمعنى ليس وفي قوله ما عمل بعد هذه موصولة اسم ليس أي ليس عليه ولا يضره الذي يعمل في جميع عمره بعد هذه الحسنة والمعنى أنها مكفرة لذنوبه الماضية مع زيادة سيئاته الآتية كما ورد في ثواب صلاة الجماعة وفيه إشارة إلى بشارة له **بحسن الخاتمة** وقال شارح ما فيه إما موصولة أي ما بأس عليه الذي عمله من الذنوب بعد هذه العطايا في سبيل الله أو مصدرية أي ما على عثمان عمل من النوافل بعد هذه العطايا لأن تلك الحسنة تنوب عن جميع النوافل قال المظهر أي ما عليه أن لا يعمل بعد هذه من النوافل دون الفرائض لأن تلك الحسنة تكفيه عن جميع النوافل اه وهو حاصل المعنى وإلا فلا يطابق المبنى ما على عثمان ما عمل بعد هذه كررة تأكيدا لما قرره قال الطيبي ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث حاطب بن أبي بلتعة لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم اه ولا يخفى ما بينهما من الفرق عند ذوي النهى إذ الأول مجزوم به قطعا والثاني." (١)

"الكفار فيدخلونهم في دينهم فهم خير أمة للناس وقيل قوله للناس من صلة قوله أخرجت ومعناه ما أخرج الله للناس أمة خيرا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد أشار إليه صاحب البردة بقوله لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم إشارة خفية إلى أن المفهوم من كون الأمة موصوفة بنعت الخيرية أن يكون رسولهم منعوتا بنعت الأكرمية ولكنه عكس القضية الاستدلالية إجلالا لمرتبة الرسالة العلية فإن كوننا خير أمة من بقايا جائزته وجدوى متابعته لأن تكريم التبع من تكريم المتبوع على مقتضى المعقول والمشروع وإلا فينعكس المطبوع والموضوع ولا يظهر حسن المصنوع قال أي النبي صلى الله عليه وسلم أنتم تتمون بضم فكسر فتشديد أي تكملون وتوفون سبعين أمة أي من الأمم الكبار أنتم خيرها وأكرمها على الله قال الطيبي في قوله تعالى أي في تفسير قوله تعالى فالمراد بسبعين التكثير لا التحديد ليناسب إضافة الخبر إلى المفرد النكرة لأنه لاستغراق الأمم الفائتة للحصر باعتبار أفرادها أي إذا نقصت أمة أمة من الأمم كنتم خيرها وتتمون علة للخيرية لأن المراد به الختم كما أن نبيكم خاتم الأنبياء أنتم خاتم الأمم اه وفيه إيماء إلى أن ختامه مسك في الاختتام كما أشار لفظ النبوة في نفس الحديث الشريف بالإتمام رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده والطبراني والحاكم في مستدركه وقال الترمذي هذا

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٩٧/١٧

حديث حسن وفيه إشعار إلى حسن المقطع وقد ذكر البغوي بسنده مرفوعا قال إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي اه وهذا إشارة إلى **حسن الخاتمة** المنبئة على حسن البداءة كما أشار إليه قوله سبحان إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الأنبياء فنحن الآخرون الأولون واللاحقون السابقون والحمد لله الذي جعلنا من أهل الإسلام وعلى دين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبشكره تزيد البركات." (١)

""""""" صفحة رقم ٢٥٨ """""

في الوفاة فشق بصره بفتح الشين بمعنى شخص في الرواية الأخرى وقد فسرناه وقوله ومن يشاق يشقق الله عليه قيل يحتمل أن يريد به الخلاف وشق العصا ويحتمل أن يريد أنه يحمل الناس على ما يشق عليهم وقوله لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك أي أثقل عليهم ومنه لقد شق عليه اختلاف أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) أي ثقل وعظم على يقال منه شققت عليه شقا بفتحهما إذا دخلت عليه مشقة وثقل ومنه وما أريد أن أشق عليك وبالكسر الجهد ومنه قوله تعالى إلا بشق الأنفس وقوله في العبد غير مشقوق عليه من هذا أي غير مجهود وملتزم ما يثقل عليه وقوله جئناك من شقة بعيدة أي من مسير بعيد فيه مشقة وقوله في القمر كأنه شق جفنه بالكسر أي نصفها وشق كل شيء نصفه وقوله يشق عصاهم أي يفرق جماعتهم وقد تقدم في العين وقوله فتنحى لشق وجهه الذي أعرض عنه بالكسر أي بجانبه والشق بالكسر الجانب

(ش ق ه) قوله نهى عن بيع الثمار حتى تشقه بمعنى تشقح في الحديث الآخر وقد ذكرناه وقيل هو على البدل كما قالوا مدحه ومدهه وقيل المعروف بالحاء وضبطناه على أبي بحر تشقه بسكون الشين وقدمنا أنه يقال شقحت وأشقحت وهذا مثله

(ش ق ي) قوله أعوذ بك من درك الشقاء وشقى ولا يشقى بهم جليسهم وقيل في التعوذ من درك الشقاء أنه قد يكون في أمور الدنيا والآخرة ويكون في **سوء الخاتمة** عند الموت أو في الآخرة من العقوبة أو يكون من الجهد وقلة المعيشة في الدنيا والشقاء ممدود والشقوة بالفتح والكسر والشقاوة بالفتح لا غير ضد السعادة وأصله بمعنى الخيبة يقال لمن سعى في أمر يبطل سعيه شقى به وضده سعد به.

فصل الاختلاف والوهم

قوله وجدني في أهل غنيمة بشق بالكسر قال أبو عبيد كذا يقول المحدثون قال الهروي والصواب بشق قال

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٨/١٨٣

أبو عبيد هو بالفتح موضع بعينه وقال ابن الأنباري هو بالفتح والكسر موضع وقال ابن حبيب وابن أبي أويس يعني بشق جبل لقلتهم وقلة غنمهم وهذا يصح على رواية الفتح أي شق فيه كالغار ونحوه على رواية الكسر أي في ناحيته وبعضه والفتح على هذا التفسير أظهر وقال القتبي ونفطويه أن الشق بالكسر هنا الشظب من العيش والجهد وهو صحيح وهو أولى الوجوه عندي قال الله تعالى) إلا بشق الأنفس (أي بجهدها قوله في خبر موسى هوى شقي كذا لكافتهم ورواه بعضهم شقي والمعروف الأول إلا على لغة طيء وقوله ينظر من صائر الباب شق الباب بالفتح للجماعة وضبطه الأصيلي شق بكسر الشين وصحح عليه وقال صح لهم وهو وهم

الشين مع السين

(ش س ع) قوله شاسع الدار أي بعيدها قوله إذا انقطع شسع نعل أحدكم أي الشرك الذي يدخل بين أصابع الرجل وهو القبال

الشين مع الهاء

(ش ه ب) قوله وأرسلت عليهم الشهب وبشهاب من نار الشهاب الكوكب الذي يرمي به وجمعه شهب وشهاب النار كل عود شعلت في طرفه النار وهو القبس والجذوة وقوله تعالى بشهاب قبس من باب إضافة الشيء إلى نفسه في قراءة من لم ينون

(ش ه د) قوله كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة كذا جاء في هذا الكتاب قيل هو على الشك ويبعد عندي لأن هذا الحديث رواه نحو العشرة من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) بهذا اللفظ ويبعد تطابقهم فيه على الشك والأشبه أنه صحيح وأن أو للتقسيم فيكون." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٥٩ """"""

شهيدا لبعضهم شفيعا للآخرين أما شهيدا لمن مات في حياته كما قال (صلى الله عليه وسلم) أما أنا شهيد على هؤلاء

شفيعا لمن مات بعده أو شهيدا على المطيعين شفيعا للعاصين وشهادته لهم بأنهم ماتوا على الإسلام ووفوا بما عاهدوا الله عليه أو تكون أو بمعنى الواو فيختص أهل المدينة بمجموع الشهادة والشفاعة وغيرهم بمجرد الشفاعة والله أعلم وقد روى حديث فيه له شهيدا وشفيعا قوله اللاعنون لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة يحتمل أن يريد لا يشهدون فيمن يشهد مع النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة على الأمم

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢/٢٥٨

الخالية ولا يشفعون معاقبة لهم بلعنهم وقد قيل هذا في معنى الشهيد المقتول أو تكون شهادتهم هنا أن يروا ويشاهدوا ما لهم من الخير والمنازل حين موتهم وقيل هذا أيضا في معنى تسمية الشهيد وقيل سمي الشهيد شهيدا لأن الله وملائكته شهدوا له بالجنة وقيل لأنه شاهد ما له وأحيى كما قال الله تعالى) أحياء عند ربهم يرزقون (وقوله الشهداء سبعة المبطون شهيد قيل سمي الشهيد وهؤلاء شهداء وغيرهم ممن سمي بذلك لأنهم أحياء قال ابن شميل الشهيد الحي كأنه تأويل قوله أحياء عند ربهم أي أحضرت أرواحهم دار السلام من حين موتهم وغيرهم لا يحضرها إلا يوم دخولها كما جاء في أرواح الشهداء أنها في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة وتأوى إلى قناديل تحت العرش وقيل في معناه ما تقدم فيكون شهيد هنا بمعنى شاهد وقيل سمي بذلك لأنه شهد له بالإيمان **وحسن الخاتمة** لظاهر حالته فيكون هنا بمعنى مشهود له وقيل سمي بذلك لجرى دمه على الأرض والشهادة وجه الأرض وقيل بل لأن الملائكة تشهد له وقيل لأنه شهد له بوجوب الجنة وقيل سمي بذلك من أجل شاهده على قتله في سبيل الله وهو دمه كما جاء في الحديث فيمن يكلم في سبيل الله والشهيد من أسماء الله تعالى قال القشيري معناه المشهود أي كان العباد يشهدونه ويعرفونه ويحققون وجوده وقيل هو بمعنى المبين الدلائل والحجج وقد قيل في قوله تعالى) شهد الله أنه لا إله إلا هو (أي يبين قاله ثعلب ومنه سمي الشاهد لأنه يبين الحكم وقيل مثله في قوله تعالى) إنا أرسلناك شاهدا (أي مبينا وقيل شاهدا على أمتك بتبليغك إليها وقيل الشهيد معناه الذي لا يغيب عنه شيء شاهد وشهيد كعالم وعليم وقيل الشاهد للمظلوم الذي لا شاهد له والناصر لمن لا ناصر وقوله يشهد إذا غبنا أي يحضر وقوله حتى يطلع الشاهد فسره في الحديث النجم وبه سميت المغرب صلاة الشاهد وقيل لأنها لا تقصر في السفر كما تصلي في الحضر وهي كصلاة الحاضر أبدا بخلاف غيرها وقوله يشهدون ولا يستشهدون بالباطل وبما لم يشهدوا به ولا كان وقيل معناه هنا يحلفون كذبا ولا يستحلفون كما قال في الرواية الأخرى تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته والحلف يسمى شهادة قال الله تعالى) فشهادة أحدهم (الآية وقوله كانوا ينهوننا عن الشهادة والعهد ونحن صغار قيل هو أن يحلف بعهد الله أو يشهد بالله كما قال في الرواية الأخرى أن يحلف بالشهادة والعهد وقيل معناه أن يحلف إذا شاهد وإذا عهد فإذا كان هذا فتكون الواو بمعنى مع ويكون الفاء بمعنى في أي في الشهادة والعهد قول أبي هريرة في قوله (صلى الله عليه وسلم) وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيا ثم أقتل وكان أبو هريرة يقول ثلاثا أشهد بالله أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قالها ثلاثا أي الحلف وقوله شاهداك أو يمينه كذا الرواية وهو كلام العرب قال سيبويه معناه ما قال شاهداك ارتفعا بفعل مضمر

(ش هـ ر) قوله إنما الشهر تسع وعشرون قيل المراد بالشهر هنا الهلال وبه سمي الشهر لاشتهاره أي إنما فائدة ارتقاب الهلال لتسع." (١)

"وكان فصيحا ، شاعرا ، مفوها ، كاتبا ، قارئا لكتاب الله ، عالما بالفرائض والفقه ، قديم الهجرة ، والسابقة ، والصحبه ، مات سنة (٥٨) بمصر ، ودفن بالمقطم ، له خمسة وخمسون حديثا ، اتفقا على سبعة ، وانفرد البخاري بحديث ، ومسلم بتسعة ، روى عنه خلق كثير. (ثم يقوم) حقيقة أو حكما سيما إذاكان بعذر ، فإطلاقه جرى على الغالب لا أنه قيد احترازى ، وثم للترقى. (مقبلا عليهما بقلبه وجهه) الإقبال بالقلب أن لا يغفل عنهما ولا يتفكر في أمر لا يتعلق بهما ، ويصرف نفسه عنه مهما أمكن ، والإقبال بالوجه أن لا يلتفت به إلى جهة لا يليق بالصلاة الالتفات إليها ، ومرجعه الخشوع والخضوع ، فإن الخشوع في القلب والخضوع في الأعضاء ، قال السندهي : يمكن أن يكون هذا الحديث بمنزلة التفسير لحديث عثمان "وهو من توضأ نحو وضوئي" الخ ، وعلى هذا فقوله "أحسن الوضوء" هو أن يتوضأ نحو ذلك الوضوء. وقوله في حديث عثمان : "لايحدث نفسه فيهما" هو أن يقبل عليهما بقلبه ووجهه. وقوله في ذلك الحديث "غفر له" الخ. أريد به أنه يجب له الجنة ، ولا شك أن ليس المراد دخول الجنة مطلقا فإنه يحصل بالإيمان ، بل المراد دخولا أوليا ، وهذا يتوقف على مغفرة الصغائر والكبائر جميعا ، بل مغفرة ما يفعل بعد ذلك أيضا ، نعم لابد من اشتراط الموت على حسن الخاتمة ، وقد يجعل هذا الحديث بشارة بذلك أيضا. انتهى. (إلا وجبت له الجنة) أي أنه تعالى يدخله الجنة بفضله بحيث لا يخالف وعده ، كمن وجب عليه شيء. (رواه مسلم) وأخرجه أيضا أبوداود والنسائي.
". (٢)

"(ج٢ : ص٢٥) : بين وجوهكم ، يعني مقاصدكم ، فإن استواء القلوب يستدعي استواء الجوارح واعتدالها ، فإذا اختلفت الصفوف دل على اختلاف القلوب ، فلا تزال الصفوف تضطرب وتهمل ، حتى يبتلي الله باختلاف المقاصد ، وقد فعل ، ونسأل الله حسن الخاتمة. وقال القرطبي : معناه تفترقون فيأخذ كل واحد وجها غير الذي يأخذه صاحبه ؛ لأن تقدم الشخص على غيره مظنة الكبر المفسد للقلب الداعي إلى القطعية. والحاصل أن المراد بالوجه إما ذات الشخص ، فالمخالفة بحسب المقاصد ، وإما العضو المخصوص ، فالمخالفة إما بحسب الصورة الإنسانية ، وإما بحسب الصفة ، وإما يجعل القدام وراء.

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢٥٩/٢

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٢٢/٢

والحديث فيه غاية التهديد والتوبيخ. قال الطيبي : إن مثل هذا التركيب متضمن للأمر توبيخا ، أي والله ليكونن أحد الأمرين إما تسويتكم صفوفكم أو أن يخالف الله بين وجوهكم. وفيه دليل على وجوب تسوية الصف وتعديله. وقيل : إن هذا الوعيد من باب التغليظ والتشديد تأكيدا وتحريضا على فعلها ، أي فلا يدل على الوجوب. قال العيني بعد ذكره : كذا قاله الكرماني ، وليس بسديد ؛ لأن الأمر المقرون بالوعيد يدل على الوجوب. (رواه مسلم) وأخرجه

١٠٩٢- (٢) وعن أنس ، قال : ((أقيمت الصلاة ، فأقبل علينا رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بوجهه ، فقال : أقيموا صفوفكم وتراصوا ، فإني أراكم من وراء ظهري)) رواه البخاري. وفي المتفق عليه قال : ((أتموا الصفوف ، فإني أراكم من وراء ظهري)).

أيضا أحمد والترمذي وأبوداود والنسائي وابن ماجه والبيهقي (ج٣ : ص١٠٠) و (ج٢ : ٢١) كلهم من طريق سماك عن النعمان بن بشير. وأخرج البخاري ومسلم والبيهقي من طريق سالم بن أبي الجعد عن النعمان بن بشير الفصل الأخير منه ، ولأحمد وأبي داود في رواية. والبيهقي قال : فرأيت الرجل يلزق كعبه بكعب صاحبه ، وركبته بركبته ، ومنكبه بمنكبه.

". (١)

"لا يفسدها (وكان يقول في بعض صلاته) زاد في رواية للبخاري : في صلاة الفجر ، وهو بيان لقوله في بعض صلاته. قال الحافظ : فيه إشارة إلى أنه كان لا يداوم على ذلك. (اللهم العن فلانا فلانا لأحياء) أي لقبائل جمع حي بمعنى القبيلة. (من العرب) أي أبعدهم وأطردهم عن رحمتك ، وهذا لا يستلزم الدعاء بالإماتة على الكفرة **وسوء الخاتمة** ، وأراد بفلانا وفلانا القبائل نفسها لا إعلاما خاصة لما وقع تسميتهم في رواية يونس عن الزهري عند مسلم بلفظ : اللهم العن رعلا وذكوان وعصية ، وكذا وقع تسميتهم بذلك في حديث ابن عباس الآتي ، وسنذكره قصتهم في شرح حديث أنس. (حتى أنزل الله ليس لك من الأمر شيء) المعنى أن الله مالك أمرهم. فأما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم أن أسلموا أو يعذبهم أن أصروا على الكفر وماتوا عليه وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت مبعوث ؛ لأنذارهم ومجاهدتهم ، فليس لك من الأمر إلا التفويض والرضى بما قضى. (الآية) بتثليثها وتمامها أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون واستشكل هذا بأن قصة رعل وذكوان كانت بعد أحد ونزول ليس لك من الأمر من شيء في قصة أحد ، كما بينه في حديث أنس عند مسلم وأحمد والترمذي وغيرهم ، وفي حديث ابن عمر عند البخاري

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٩/٤

وغيره فكيف يتأخر السبب عن النزول وأجاب في الفتح بأن قوله : حتى أنزل الله. منقطع من رواية الزهري عمن بلغه ، كما بين ذلك مسلم في رواية يونس المذكورة فقال هنا قال يعني الزهري ثم أنه ترك ذلك لما نزلت ، قال : وهذا البلاغ لا يصح وقصة رعل وذكوان أجنبية عن قصة أحد ويحتمل أن كان محفوظا أن يقال إن قصتهم كانت عقب ذلك وتأخر نزول الآية عن سببها قليلا ثم نزلت في جميع ذلك. (متفق عليه) وأخرجه أيضا أحمد والنسائي وغيرهما واللفظ المذكور للبخاري في تفسير آل عمران.
". (١)

"١٨٧٢- قوله : (من يكفل) بفتح الياء وضم الفاء مرفوعا في بعض النسخ بصيغة الماضي من التكفل ، وكذا وقع في سنن أبي داود ولفظ النسائي من يضمن و"من" استفهامية أي أيكم يضمن ويلتزم ويتقبل (لي أن لا يسأل الناس شيئا) أي من مالهم وإلا فطلب ماله عليهم لا يضر ، والمراد من يديم على ذلك (فأتكفل) بالنصب والرفع أي أتضمن وأتقبل (له بالجنة) أي أولا من غير سابقة عقوبة ، وفيه إشارة إلى بشارة **حسن الخاتمة** (فقال ثوبان أنا) أي تضمنت أو أتضمن (فكان) أي ثوبان بعد ذلك (لا يسأل أحدا شيئا) وفي رواية عند أحمد وابن ماجه ، فكان ثوبان يقح سوطه وهو راكب أي على بعيره فلا يقول لأحد ناولنيه حتى ينزل فيأخذه (رواه أبوداود والنسائي) واللفظ لأبي داود ، ولفظ النسائي من يضمن لي واحدة وله الجنة. قال يحيى : (أحد
١٨٧٣- (٢٣) وعن أبي ذر ، قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((وهو يشترط على أن لا تسأل الناس شيئا قلت نعم. قال : ولا سوطك إن سقط منك حتى تنزل إليه فتأخذه)). رواه أحمد.
((٥)) باب الإنفاق وكراهية الإمساك
"الفصل الأول "
١٨٧٤- (١) عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لو كان لي مثل أحد ذهبا رواته) ههنا كلمة معناها أن لا يسأل الناس شيئا -انتهى.والحديث أخرجه أحمد (ج٥ : ص٢٧٥-٢٧٦-٢٧٧-٢٧٩-٢٨١) وابن ماجه والحاكم (ج١ : ص٤١٢) والبيهقي (ج٤ : ص١٩٧) وسكت عنه أبوداود والمنذري في مختصر السنن. وقال في الترغيب : إسناده صحيح وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.." (٢)

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرح مرعاة المفاتيح، ٤/٦٠٦
(٢) مشكاة المصابيح مع شرح مرعاة المفاتيح، ٦/٥٥٩

"١٩٢٦- قوله : (إن الصدقة لتطفئ غضب الرب) أي سخطه على من عصاه (وتدفع ميتة السوء) بكسر الميم وسكون الياء ، أصلها موته مصدر للنوع ، كالجلسة أبدلت واوه ياء لسكونها وكسرة ما قبلها وهي الحالة التي يكون عليها الإنسان في الموت. والسوء بفتح السين ويضم. والمراد بميتة السوء الحالة السيئة التي يكون عليها عند الموت ، مما يؤدي إلى كفران النعمة من الآلام والأوجاع المفضية إلى الفزع والجزع والغفلة عن ذكر الله. ومنها موت الفجاءة وسائر ما يشغله عن الله مما يؤدي إلى **سوء الخاتمة**. وقيل : إن المراد إنها تقية من الفتانات عند الموت ، أو أنه يوفق للتوبة فلا يموت ، وهو عاص مصر على ذنب. أو أنه يموت ميتة سالمة من نحو هدم وغرق وحرق ولا مانع من إرادة الجميع. وقال العراقي : الظاهر إن المراد بها ما استعاذ منه النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ من الهدم والتردي والغرق والحرق ، وأن يتخبطه الشيطان عند الموت ، وأن يقتل في سبيل الله مدبرا. وقال بعضهم : هي موت الفجاءة. وقيل : ميتة الشهرة كالمصلوب- انتهى. (رواه الترمذي) في الزكاة. وقال : هذا حديث حسن غريب ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، وروى ابن المبارك في كتاب البر شطره الأخير ، ولفظه إن الله ليدرأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء كذا في الترغيب للمنذري.

(١) ".

"معتقدا لجميع مدلولها إجمالا أو تفصيلا (فمات من يومه قبل أن يمسي) أي : قبل الغروب (فهو من أهل الجنة) أي : يموت مؤمنا فيدخل الجنة أو مع السابقين أو بغير عذاب أو هو بشارة **بحسن الخاتمة** ، وفي رواية الترمذي : إلا وجبت له الجنة ، وفي رواية النسائي : دخل الجنة . قال السندي : أي : ابتداء وإلا فكل مؤمن يدخل الجنة بإيمانه ، وهذا فضل من الله تعالى . وقال الكرماني : فإن قيل المؤمن وإن لم يقلها فهو من أهل الجنة . قلت : المراد أنه يدخلها ابتداء من غير دخول النار لأن الغالب أن الموقن بحقيقتها المؤمن بمضمونها لا يعصي الله تعالى أو إن الله يعفو عنه ببركة هذا الاستغفار ، فإن قلت : فما الحكمة في كونه سيد الاستغفار ؟ قلت : هذا وأمثاله من التعبديات والله أعلم بذلك لكن لا شك أن فيه ذكر الله تعالى أكمل الأوصاف وذكر العبد نفسه بأنقص الحالات وهي أقصى غاية التضرع ونهاية الاستكانة لمن لا يستحقها إلا هو

. رواه البخاري .

الفصل الثاني

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٦/٦٨١

٢٣٥٩- (١٤) وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء

". (١)

"الحديث (لا يحصيهما رجل مسلم) ، أي لا يحافظ عليهما كما في رواية أحمد (ج٢ : ص٢٠٦) ، والحميدي (ج١ : ص٢٦٥) ، وأبي داود ، يعني لا يواظب عليهما . قيل : والأظهر أنه ليس المراد إجراء هذه الألفاظ على اللسان فقط بل التذكر والتيقظ في فهم معانيها وإن لم يحرم من البركة من يذكرها وقلبه لاه عنها (إلا دخل الجنة) ، أي مع الناجين . وقيل : أي مع السابقين وإلا فإنه يدخل الجنة كل مؤمن إن شاء الله تعالى وإن كان بعد أمد والاستثناء مفرغ وفيه بشارة عظيمة **بحسن الخاتمة** للمواظب على هذه الأذكار (ألا) بالتخفيف حرف تنبيه (وهما) ، أي الخصلتان وهما الوصفان كل واحد منهما (يسير) ، أي سهل خفيف لعدم صعوبة العمل بهما على من يسره الله (ومن يعمل بهما) ، أي على وصف المداومة (قليل) عددهم ، أي نادر لعزة التوفيق وجملة التنبيه معترضة لتأكيد التحضيض على الإتيان بهما والترغيب في المداومة عليهما ، والظاهر أن الواو في ((وهما للحال والعامل فيه معنى التنبيه . قاله القاري . (يسبح الله) بأن يقول سبحان الله ، وهو بيان لإحدى الخلتين والضمير للرجل المسلم (في دبر) بضمتين ، أي عقب (كل صلاة) ، أي مكتوبة كما في رواية أحمد (ج٢ : ص١٦٢) (عشرا) ، أي من المرات (ويحمده) بأن يقول الحمد لله (ويكبره) بأن يقول الله أكبر (قال) ، أي ابن عمرو (يعقدها) ، أي العشرات (بيده) ، أي بأصابعها أو بأناملها أو بعقدها . والمراد يضبط الأذكار المذكورة وبحفظ عددها أو يعقد لأجلها بيده . (قال) : أي النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ (فتلك) ، أي العشرات الثلاث دبر كل صلاة من الصلوات الخمس (خمسون ومائة) ، أي في يوم وليلة حاصلة من ضرب ثلاثين في خمسة ، أي مائة وخمسون حسنة (باللسان) ، أي بمقتضى نطقه في العدد (وألف وخمسمائة في الميزان) ، لأن كل حسنة." (٢)

"٢٤٣٧- قوله : (الكبرياء) أي : العظمة والتجبر (والعظمة) بفتح العين والظاء قال في القاموس : العظم بكسر العين حرف عظم كصغر عظما وعظامة فهو عظيم وعظم الرجل تكبر ، والعظمة محركة الكبر

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٧٨/٨

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٣١٣/٨

والنخوة والزهو ، وأما عظمة الله فلا توصف بهذا ، ومتى وصف عبد بالعظمة فهو ذم – انتهى . والعظيم من أسماءه تعالى هو الذي جاوز قدره كل قدر وجل عن حدود العقول حتى لا تتصور الإحاطة بكهنة وحقيقته ، والعظيم في صفات الأجسام كبر الطول والعمق والله تعالى جل عن ذلك (والخلق) أي : الإيجاد أو هو بمعنى المخلوق (والأمر) واحد الأوامر والمراد به الجنس أو واحد الأمور والمراد به التصرف والحكم ، وقال الشوكاني في تفسير قوله تعالى : " ألا له الخلق والأمر " (٧ : ٥٤) الخلق المخلوق والأمر كلامه وهو كن في قوله تعالى " إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون " أو المراد بالأمر ما يأمر به على التفصيل أو التصرف في مخلوقاته (وما سكن فيه١٢) أي وتحرك فهو من باب الاكتفاء نحو " سرابيل تقيكم الحر " (١٦ : ٨١) أي والبرد ، أو سكن بمعنى ثبت (لله) أي وحده لا شريك له وفيه رمز إلى قوله تعالى : " وله ما سكن في الليل والنهار " (٦ : ١٣) وفي رواية ابن أبي شيبة : وما يضحى فيهما لله وحده . وهو بفتح الياء التحتية وإسكان الضاد المعجمة ، وفتح الحاء المهملة ، أي يبرز ويظهر ، (اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحا) أي في ديننا ودنيانا ، (وأوسطه نجاحا) أي فوزا بالمطالب المناسبة لصلاح الدارين (وآخره فلاحا) . أي ظفرا بما يوجب **حسن الخاتمة** وعلو المرتبة في درجات الجنة ، والظاهر أن المراد من الأول والآخر والأوسط استيعاب الأوقات والساعات في صرفها إلى العبادات." (١)

"٢٤٥٩- قوله (إذا ودع رجلا) أي مسافرا (أخذ بيده فلا يدعها) ، أي فلا يترك يد ذلك الرجل من غاية التواضع ونهاية إظهار المحبة والرحمة (حتى يكون الرجل هو) الذي (يدع يد النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾) باختياره (ويقول) للمودع (استودع الله دينك) ، أي استحفظ واطلب منه حفظ دينك (وأمانتك) ، أي حفظ أمانتك فيما تزاوله من الأخذ والإعطاء ومعاشرة الناس في السفر إذ قد يقع منك هناك خيانة . وقيل : أريد بالأمانة الأهل والأولاد الذين خلفهم – قال الخطابي : الأمانة ها هنا : أهله ومن يخلفه منهم وماله الذي يودعه ويستحفظه أمينة ووكيله ومن في معناهما ، وجرى ذكر الدين مع الودائع لأن السفر موضع خوف وخطر وقد يصيبه فيه المشقة والتعب فيكون سببا لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين فدعا له بالمعونة والتوفيق فيهما – انتهى . وقال في فتح الودود : قوله ((أمانتك)) ، أي ما وضع عندك من الأمانات من الله أو من أحد من خلقه أو ما وضعت عند أحد أو ما يتعلق بك من الأمانات – انتهى . وقيل المراد بالأمانة التكاليف كلها كما فسر بها قوله تعالى " إنا عرضنا الأمانة على السماوات

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٣٣٧/٨

والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا " (٣٣ : ٧٢) الآية (وآخر عملك) ، أي في سفرك أو مطلقا كذا قيل . قال القاري : والأظهر أن المراد به **حسن الخاتمة** لأن المدار عليها في أمر الآخرة وأن التقصير فيما قبلها مجبور بحسنها ويؤيده قوله : ((وخواتيم عملك)) في الرواية الأخرى وهو جمع خاتم ، أي ما يختم به عملك ، أي أخيره . والجمع لإفادة عموم أعماله . قال الطيبي : قوله : ((استودع الله)) هو طلب حفظ الوديعة وفيه نوع مشاكلة للتوديع وجعل دينه وأمانته من الودائع لأن." (١)

"فيها معاشي) أي : بإعطاء الكفاف فيما يحتاج إليه وكونه حلالا معينا على الطاعة . وقيل : معناه احفظ من الفساد ما أحتاج إليه في الدنيا (وأصلح لي آخرتي) أي : بالتوفيق للعبادة والإخلاص في الطاعة **وحسن الخاتمة** (التي فيها معادي) مصدر عاد إذا رجع أي : وفقني للطاعة التي هي إصلاح معادي قاله القاري . وقال الجزري : أي : ما أعود إليه يوم القيامة وهو إما مصدر أو ظرف انتهى أي : مكان عودي أو زمان إعادتي (واجعل الحياة زيادة لي في كل خير) أي : اجعل حياتي سبب زيادة الخيرات من العبادة والطاعة والإخلاص وقيل : أي : اجعل عمري مصروفا فيما تحب وترضى وجنبني عما تكره (واجعل الموت راحة لي من كل شر) أي : من الفتن والمحن والابتلاء بالمعصية والغفلة . وقال زين العرب : أي : بأن يكون على شهادة واعتقاد حسن وتوبة حتى يكون موتي سبب خلاصي عن مشقة الدنيا والتخليص من غمومها وهمومها وحصول الراحة في العقبى . وقيل : فيه إشارة إلى قوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : ((إذا أردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون)) وهذا هو النقصان الذي يقابل الزيادة في القرينة السابقة . قال الشوكاني في تحفة الذاكرين (ص٢٨٤) : هذا الحديث من جوامع الكلم لشموله لصلاح الدين والدنيا ، ووصف إصلاح الدين بأنه عصمة أمره لأن صلاح الدين هو رأس مال العبد وغاية ما يطلبه ، ووصف إصلاح الدنيا بأنها مكان معاشه الذي لا بد منه في حياته وسأله إصلاح آخرته التي هي المرجع وحولها يدندن العباد وقد استلزم ذلك سؤال إصلاح الدين لأنه إذا أصلح دين الرجل فقد أصلح له آخرته التي هي دار معاده ، وسأله أن يجعل الحياة زيادة له في كل خير لأن من زاده الله خيرا في حياته كانت حياته صلاحا وفلاحا وسأله أن يجعل له الموت راحة له من كل شر لأنه إذا كان الموت دافعا للشرور قاطعا لها ففيه الخير الكثير." (٢)

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرح مرعاة المفاتيح، ٤٠٥/٨

(٢) مشكاة المصابيح مع شرح مرعاة المفاتيح، ٥٣٦/٨

"النووي في شرح مسلم وغيره وأقروه (يوم القيامة) في الحديث إشارة إلى بشارة **حسن الخاتمة** وتنبيه على أنه ينبغي للمؤمن أن يكون صابرا بل شاكرا على إقامته في المدينة ولا ينظر إلى ما في عداها من النعم الصورية لأن العبرة بالنعم الحقيقية الأخروية (رواه مسلم) وأخرجه أيضا أحمد (ج١ : ص ١٨١ ، ١٨٥) والبيهقي (ج ٥ : ص ١٩٧) .

٢٧٥٥- قوله (لا يصبر على لأواء المدينة) أي شدة جوعها (وشدتها) عطف تفسير على قول بعض الشراح ، وقال أبو عمر : يعني المدينة والشدة والجوع واللأواء تعذر الكسب وسوء الحال . وقال المازري : اللأواء الجوع وشدة المكسب ، وضمير شدتها يحتمل أن يعود على اللأواء

ويحتمل أن يعود إلى المدينة . وقال الباجي : اللأواء هو الجوع وتعذر التكسب والشدة يحتمل أن يريد بها اللأواء ويحتمل أن يريد بها كل ما يشتد به سكانها وتعظم مضرته (أحد من أمتي إلا كنت له شفيعا يوم القيامة " . رواه مسلم .

٢٧٥٦ - (٤) وعنه قال : كان الناس إذا رأوا أول الثمرة جاءوا به إلى النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ، فإذا أخذه قال : " اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ،

". (١)

""""""""" صفحة رقم ١١٢ """"""""

الأبدان وأهلكت الجمال ومات منها من بني آدم عدد كثير ، منهم القاضي محب الدين محمد بن أبي الحسن البكري نائب الحكم ، وكان عارفا بالأحكام متثبتا في القضايا ، وقورا عاقلا ، كثير الاحتمال ، مشاركا في الفقه ولم يشتغل في غيره وقد درس في المدرسة الخروبية بشاطئ النيل نحوا من عشر سنين ، وكان قد توجه إلى الحجاز في الرجبية فجاور ثم رجع ، وذكر لي من أثق به من أنه كان كثير الطواف وأنه واظب على خمسين أسبوعا في كل يوم ، وهو من قدماء معارفنا وأهل الاختصاص بنا - فالله يعظم أجرنا فيه ويبدلنا به خير منه وقد غبطته بما اتفق له من **حسن الخاتمة** بالحج والمجاورة وزيارة الحضرة الشريفة النبوية والموت عقب ذلك في الغربة ، وكانت وفاته بالينبع وصلى عليه هناك ودفن به ، وقد جاوز السبعين بسنتين .

شهر ذي الحجة الحرام اختتام السنة أوله الثلاثاء بالرؤية - يوم الثلاثاء م ستهل ذي الحجة بالرؤية ، فيه استقر نور الدين علي بن أحمد ابن آقبرس في نظر الأوقاف عوضا عن تقي الدين بن عبد الرحمن - ابن

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ١٠٦٨/٩

تاج الدين عد الوهاب ابن ناصر الدين – بن نصر الله ابن أخي الصاحب بدر الدين – وكان تقي الدين استقر فيها بعد صلاح الدين ابن عمه ، وكان عمه الصاحب بدر الدين إذ ذاك موعوكا فبلغه ذلك فشق عليه وشغله الضعف ، ثم توجه للعافية واستمر نور الدين في الوظيفة .

وفي الثامن من ذي الحجة ورد الخبر بموت أقبغا التركماني في." (١)

"ومن المهم معرفة سبب الحديث يعني السبب الذي لأجله حدث النبي بذلك الحديث كما في سبب نزول القرآن الكريم

وقد صنف فيه بعض شيوخ القاضي أبي يعلى ابن الفراء الحنبلي وهو أبو حفص العكبري بضم فسكون وفتح الموحدة وراء نسبة إلى عكبراء بلد على دجلة فوق بغداد وقد ذكر تقي الدين بن دقيق العيد في أوائل شرح العمدة آخر الكلام على حديث إنما الأعمال بالنيات أن أهل عصره شرع في جمع ذلك وكأنه ما رأى تصنيف العكبري المذكور عبارة ابن دقيق العيد شرع بعض المتأخرين من أهل الحديث هو لا ينافي أنه لم يكن اطلع على تصنيف العكبري

لا يقال قوله شرع ظاهر في ذلك

لأ (نا) نقول يحمل أن مراده أن بعض المتأخرين ممن تقدمه شرع في تصنيف ولم يتمه فلا دلالة في ذلك على أنه من أهل عصره

وصنفوا في غالب هذه الأنواع على ما أشرنا إليه فيما تقدم في هذا الكتاب غالبا أشار به إلى أنه ترك الإشارة إلى بعض تلك الأنواع و ه و كذلك كما تقدم بعض ذلك مضمونا لكلامه

وهي أي هذه الأنواع المذكورة في هذه الخاتمة نقل محض بل وكثير مما قبلها (نقل محض) ظاهرة التعريف مستغنية عن التمثيل وحصرها متعسر أو متعذر إذ لا ضابط لها تدخل تحته فليراجع لها مبسوطاتها المشار إلى كثير منها فيما تقدم ليحصل الوقوف على حقائقها والله الموفق الهادي إلى الصواب لا غيره لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب أي ارجع بالتوبة وحسبنا الله ونعم الوكيل

ثم قال مؤلفه – متعنا الله بحياته وقد انتهى شرح النخبة مع انتهاء شهر شعبان المعظم قدره سنة ثلاثة وثلاثين بعد الألف ونسأل سر الفاتحة **حسن الخاتمة** والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي قبله ولا بعده

وقد تم نسخه ليلة الاثنين المبارك خلال ستة أيام من غرة ربيع

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ١١٢/٩

الأول سنة ألف ومائة وسبعة عشر بعد الألف على يد أضعف العباد مصطفى بن مرتضى غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين

ـــ ." (١)

" خاتمة الطبع

قد تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الثالث من الدرر الكامنة فى أعيان المانة الثامنة بالطبعة الثانية يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٩٤ هـ = ١٣ أغسطس سنة ١٩٧٤ م تحت مراقبة مدير الدائرة وعميدها أحد أعلام الهند من أولى الألباب أفضل العلماء بروفسور السيد عبد الوهاب البخارى أبقاه الله لخدمة العلم والدين

واعتنى بتصحيحه ثانيا والتعليق عليه ووضع الاستدراكات الملحقة بآخر الكتاب مواضعها فى المتن مصحح الدائرة الحافظ عزيز بيك كامل الفقه من الجامعة النظامية – حفظه الله تعالى وقد رمز فى الهامش إلى تصحيحه هذا بحرف ع كما رمز الى تصحيح المصحح الأول المستشرق المرحوم سالم كرنكو الألمانى بحرف ك

وعنى بتنقيحه خادم العلم والعلماء راقم هذه الخاتمة غفر الله له ولوالديه أو يليه الجزء الرابع إن شاء الله تعالى أوله وذكر من اسمه على

وفى الختام ندعو الله سبحانه ان ينفعنا به ويوفقنا لما يحبه ويرضاه وهو المسؤل **لحسن الخاتمة** ونصلى ونسلم على من علم فواتح الخير وخواتمه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد رئيس قسم التصحيح من الدائرة المعارف العثمانية

." (٢)

" & خاتمة الطبع &

قد تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الرابع من الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة بالطبعة الثانية يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٥ = = ٥ \ يونيو سنة

---

(١) اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، ص/٢٤٩

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٢٧٢/٣

١٩٧٥ م تحت مراقبة مدير الدائرة وعميدها أفضل العلماء بروفسور السيد عبد الوهاب البخارى – ابقاه الله لخدمة العلم والدين

وأعتنى بتصحيحه ثانيا والتعليق عليه ووضع الاستدراكات الملحقة بآخر الكتاب مواضعها فى المتن مصحح الدائرة سابقا الحافظ السيد خورشيد على كامل التفسير من الجامعة النظامية – حفظه الله تعالى وقد رمز فى الهامش إلى تصحيحه هذا بحرف خ كما رمز إلى تصحيح المصحح الأول المستشرق المرحوم سالم كرنكو الالمانى بحرف ك

وعنى بتنقيحه خادم العلم والعلماء راقم هذه الخاتمة – غفر الله له ولوالديه ويليه الجزء الخامس إن شاء الله تعالى أوله ذكر من اسمه محمد

وفى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به ويوفقنا لما يحبه ويرضاه وهو المسؤل **لحسن الخاتمة** ونصلى ونسلم على من علم فواتح الخير وخواتمه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد رئيس قسم التصحيح من الدائرة المعارف العثمانية

". (١)

"الثالثة: من كانت بدايته حسنة، ونهايته سيئة، كالذي نشأ على طاعة الله، وقبل الموت ارتد عن الإسلام ومات على الردة.

الرابعة: من بدايته سيئة، ونهايته حسنة، كالسحرة الذين مع فرعون، الذين آمنوا برب هارون وموسى، وكاليهودي الذي يخدم النبي * وعاده النبي * في مرضه، وعرض عليه الإسلام فأسلم، فقال النبي *: ((الحمد لله الذي أنقذه من النار))، وهو في صحيح البخاري (١٣٥٦).

والحالتان الأخيرتان دل عليهما هذا الحديث.

٨ . دل الحديث على أن الإنسان يعمل العمل الذي فيه سعادته أو شقاوته بمشيئته وإرادته، وأنه بذلك لا يخرج عن مشيئة الله وإرادته، وهو مخير باعتبار أنه يعمل باختياره، ومسير بمعنى أنه لا يحصل منه شيء لم يشأه الله، وقد دل على الأمرين ما جاء في هذا الحديث من أنه قبل الموت يسبق عليه الكتاب، فيعمل

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٣٢٥/٤

بعمل أهل الجنة أو يعمل بعمل أهل النار.

٩ ـ أن الإنسان يجب أن يكون على خوف ورجاء؛ لأن من الناس من يعمل الخير في حياته ثم يختم له بخاتمة السوء، وأنه لا ينبغي له أن يقطع الرجاء؛ فإن الإنسان قد يعمل بالمعاصي طويلا، ثم يمن الله عليه بالهدى فيهتدي في آخر عمره.

١٠ ـ قال النووي في شرح هذا الحديث: ((فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا دysM"د="﵁ء٩$# إنا لا نضيع urچ_ô& من أحسن عملا (٣٠) ﴾ ، ظاهر الآية أن العمل الصالح من المخلص يقبل، وإذا حصل القبول بوعد الكريم أمن مع ذلك من **سوء الخاتمة**، فالجواب من وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك معلقا على شروط القبول **وحسن الخاتمة**، ويحتمل أن من آمن وأخلص العمل لا يختم له دائما إلا بخير.." (١)

"ثانيهما: أن خاتمة السوء إنما تكون في حق من أساء العمل أو خلطه بالعمل الصالح المشوب بنوع من الرياء والسمعة، ويدل عليه الحديث الآخر: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس)، أي فيما يظهر لهم من إصلاح ظاهره مع فساد سريرته وخبثها، والله تعالى أعلم)).

١١ ـ مما يستفاد من الحديث:

١ ـ بيان أطوار خلق الإنسان في بطن أمه.

٢ ـ أن نفخ الروح يكون بعد مائة وعشرين يوما، وبذلك يكون إنسانا.

٣ ـ أن من الملائكة من هو موكل بالأرحام.

٤ ـ الإيمان بالغيب.

٥ ـ الإيمان بالقدر، وأنه سبق في كل ما هو كائن.

٦ ـ الحلف من غير استحلاف لتأكيد الكلام.

٧ ـ أن الأعمال بالخواتيم.

٨ ـ الجمع بين الخوف والرجاء، وأن على من أحسن أن يخاف **سوء الخاتمة**، وأن من أساء لا يقنط من رحمة الله.

٩ ـ أن الأعمال سبب دخول الجنة أو النار.

١٠ ـ أن من كتب شقيا لا يعلم حاله في الدنيا، وكذا عكسه.

---

(١) فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين، ص/٣٣

* * *

الحديث الخامس

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله *: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)).

١ . هذا الحديث أصل في وزن الأعمال الظاهرة، وأنه لا يعتد بها إلا إذا كانت موافقة للشرع، كما أن حديث ((إنما الأعمال بالنيات)) أصل في الأعمال الباطنة، وأن كل عمل يتقرب فيه إلى الله لا بد أن يكون خالصا لله، وأن يكون معتبرا بنيته.

٢ . إذا فعلت العبادات كالوضوء والغسل من الجنابة والصلاة وغير ذلك، إذا فعلت على خلاف الشرع فإنها تكون مردودة على صاحبها غير معتبرة، وأن المأخوذ بالعقد الفاسد يجب رده على صاحبه ولا يملك، ويدل لذلك قصة العسيف الذي قال النبي * لأبيه: ((أما الوليدة والغنم فرد عليك)) رواه البخاري (٢٦٩٥) ومسلم (١٦٩٧).." [١]

"عليها أمور حارقة للعادة ،قال التاج السبكي:والسحر والكهانة والتنجيم والسيمياء من واد واحد ،والثالثة

(قتل النفس التي حرم الله) قتلها عمدا كان أو شبه عمد لا خطا كما صرح به شريح الروياني والهروي ،وجمع شافعيون ،أي فإته لا كبيرة ولا صغيرة لآنه غير معصية (إلا بالحق) أي بفعل موجب للقتل .وأعظم الكبائر الشرك ثم القتل ظلما وما عدا ذلك يحتمل كونه في مرتبة واحدة لكونه سردها على الترتيب لان الواو لاتوجبه ،والاظهر أن هذا النهي وشبهه إنما ورد على أمر مخصوص فأجاب السائل على مقتضى حاله وصدور هذه الخصال منه أو همه بها أو كان في المجلس من حاله ذلك فعرض به إما أنه مما أوحي إليه أو عرفه بما له معجزة .

والرابعة (أكل مال اليتيم) يعني التعدي فيه وعبر بالاكل لانه أعم وجوه الانتفاع والخامسة (أكل الربا) أي تناوله بأي وجه كان ،قال ابن دقيق العيد :وهو مجرب **لسوء الخاتمة** ولهذا ذكره عقب ما هو علامة سوء

خاتمتها وتردد ابن عبد السلام في تقييده بنصاب السرقة . والسادسة (التولي) أي الادبار من وجوه الكفار (يوم الزحف) أي وقت ازدحام الطائفتين إلا إن علم أنه إن ثبت قتل بغير نكاية في العدو فليس بكبيرة بل

---

(١) فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين، ص/٣٤

ولا صغيرة بل يباح بل يجب .قال ابن عبد السلام:وأشد منه ما لو دل الكفار على عورة المسلمين عالما بأنهم
يستأصلونهم ويسبون حريمهم ،والزحف الجيش الدهم سمي به لكثرته وثقل حركته يرى كأن هيزحف زحفا أي يدب دبيبا.والسابعة (قذف المحصنات) بفتح الصاد المحفوظات من الزنا وبكسرها الحافظات فروجهن منه والمرادرميهن بزنا أو لواط (المؤمنات) بالله تعالى احترازا عت قذف الكافرات غإنه من الصغائر .قال الراغب:والقذف الرميالبعيد استعسر ببشتم والعيب والبهتان (الغافلات) عن الفواحشومت قذفن به فهو كناية عن البريئات لات الغافل بريء عما بهت به من الزنا والقذف كبيرة إلا لصغيرة لا تحتمل الوقاع." (١)

"١- تأكيد الرواية بالتصديق بالتحديث (حدثنا)، وأصرح منها التصريح بالسماع.

٢- تأكيد الرواية بذكر صدق المخبر وصدق من أخبره، وهو الصادق المصدوق.

٣- أن خلق الإنسان أطوار.

٤- أن أطوار الجنين —قبل نفخ الروح- ثلاثة : نطفة فعلقة فمضغة، وقد ذكر الله هذه الأطوار مجتمعة في آيتين في سورة الحج والمؤمنون، وذكرها متفرقة في مواضع.

٥- أن مدة كل طور أربعون يوما.

٦- علم من أعلام نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، لأن هذه الأطوار وهذه المقادير لم يكن في العادة الاطلاع عليها.

٧- أن للأرحام ملكا معينا أو جنسا يتولى تصوير الجنين ونفخ الروح فيه وكتابة قدره.

٨- أن خلق جسد الإنسان قبل خلق روحه.

٩- أن نفخ الروح فيه يكون بعد مئة وعشرين يوما من ابتداء الحمل.

١٠- تقدير أمر الإنسان رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد وهو في بطن أمه، وهذا تقدير خاص لا ينافي القدر العام الأول في اللوح المحفوظ، ولا ينافي وقوع هذه الأمور بأسباب.

١١- أن الملك لا يعلم ذلك ولا يكتبه إلا بأمر الله وإعلامه ذلك وهذا التقدير.

١٢- أن خلق الإنسان يكون بأسباب ظاهرة وأسباب خفية، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات فهو الخالق حقيقة.

---

(١) الجواهر الهريرية، ١/٥٠

١٣- وجوب الإيمان بالقدر.

١٤- الحلف على الفتيا.

١٥- تأكيد اليمين بذكر صفة الوحدانية في الإلهية.

١٦- أن الأعمال بالخواتيم.

١٧- أن من كتب شقيا لابد أن يختم له بسبب ذلك وإن كان يعمل بطاعة الله قبل ذلك.

١٨- أن من كتب سعيدا لابد أن يختم له بسبب ذلك وإن عمل بمعصية الله قبل ذلك.

١٩- وجوب الخوف من **سوء الخاتمة**، والحذر من أسبابها.

٢٠- وجوب الأخذ بأسباب **حسن الخاتمة**.

٢١- استعمال المجاز في الكلام، وذلك في التعبير عن الزمن اليسير بمقياس المساحة وهو الذراع.

٢٢- ترتيب الجزاء على العمل.

٢٣- أن للسعادة أسبابا، وهي الإيمان والتقوى، وللشقاوة أسبابا، وهي الكفر واتباع الهوى.

٢٤- أن كلا ميسر لما جرى به القدر.." (١)

"وأما المذكور في الحديث الآخر : فهي الأمور التي يعلم مصلحتها بل ضرورتها وحاجة كل عبد إليها ، وهي مغفرة الله ورحمته ونحوها . فإن العبد يسألها ويطلبها من ربه طلبا جازما ، لا معلق بالمشيئة وغيرها . لأنه مأمور ومحتم عليه السعي فيها ، وفي جميع ما يتوسل به إليها .

وهذا كالفرق بين فعل الواجبات والمستحبات الثابت الأمر بها ؛ فإن العبد يؤمر بفعلها أمر إيجاب أو استحباب ، وبعض الأمور المعينة التي لا يدري العبد من حقيقتها ومصلحتها ، فإنه يتوقف حتى يتضح له الأمر فيها .

واستثنى كثير من أهل العلم من هذا ، جواز تمني الموت خوفا من الفتنة ، وجعلوا من هذا قول مريم رضي الله عنها : ﴿ ياليتني مت قبل هذا ﴾ [مريم : ٢٣] . كما استثنى بعضهم تمني الموت شوقا إلى الله . وجعلوا منه قول يوسف صلى الله عليه وسلم : ﴿ أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ﴾ [يوسف : ١٠١] .

---

(١) الفوائد المستنبطة من الأربعين النووية - البراك، ص/١٠

وفي هذا نظر ؛ فإن يوسف لم يتمن الموت ، وإنما سأل الله الثبات على الإسلام ، حتى يتوفاه مسلما ، كما يسأل العبد ربه **حسن الخاتمة** . . والله أعلم .." (١)

"غريبة) (١) ليس هذا آخر الحديث وله بقية ستأتي في باب أحكام الهجرة (تخريجه) (طل) وسنده صحيح وروى أبو داود منه النهي عغن الشح وتأثيره بالبخل والقطيعة والفجور وروى الحاكم بعضه وصححه وأقره الذهبي (باب) (٢) (سنده) حدثنا وكيع حدثنا مسعر وسفيان عن سعد بن ابراهيم عن حميد ابن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله بن عمرو (يعني ابن العاص) الخ (غريبة) (٣) (قلت) الحديث جاء عند (م د مذ) مرفوعا فلا يعل بأن وقفه مسعر والرفع زيادة من ثقة بل من ثقات (٤) (سنده) حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا سعد بن ابراهيم عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله ابن عمرو الخ (٥) اي من أكبر الكبائر وتقدم الكلام على ذلك أول الباب السابق (تخريجه) (م د مذ) (٦) (عن ابن عباس الخ) هذا جزء من حديث طويل سيأتي بطوله وسنده وشرحه وتخريجه في كتاب اللعن والسب في باب من لعنهم الله ورسوله (٧) (سنده) حدثنا هشيم ثنا محمد بن عبد الله المعي عن علي ابن زيد عن انس بن مالك الخ (غريبة) (٨) الظاهر والله أعلم انه يريد بيت المقدس سمي بذلك لأنه الموضع الذي يتقدس فيه من الذنوب أي يتطهر منها فلا يقربه مذنب إلا اذا تاب من ذنبه أو المراد الجنة (٩) هكذا بالأصل (ولا المنان عطاءه) بحذف حرف الجر أي بعطائه قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا صدقتكم بالمن والأذى) (تخريجه) لم أقف عليه لغير الامام احمد وفي اسناده علي بن زيد بن جدعان ضعيف (١٠) (سنده) حدثنا ابو جعفر السويدي قال ثنا ابو الربيع ثنا سليمان بن عتبة الدمشقي قال سمعت يونس ابن ميسرة عن أبي ادريس عائذ الله عن أبي الدرداء الخ (١١) قال العلماء يحتمل أنه يخشى عليه **سوء الخاتمة** فلا يدخل الجنة بسببه أو انه لا يدخلها مع أول داخل حتى يطهر بعفو الله عنه (تخريجه) (طب هق) واخرج ابن ماجه الجزء المختص بالخمر منه بسند حديث الباب قال البوصيري في زوائد ابن ماجه اسناده حسن وسليمان بن عتبة مختلف فيه وباقي." (٢)

"غريبه) (١) بصيغة المجهول أي امتحن واختبر من الاختبار والمعنى من اختبر بشيء من البنات ينظر ما يفعل ايحسن اليهن أو يسيء وقال النووي تبعا لابن بطال أنما سماه ابتلاءا لأن الناس يكرهون البنات فجاء الشرع بزجرهم عن ذلك ورغب في ابقائهن وترك قتلهن بما ذكر من الثواب الموعود به من

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، ص/٢٤٨

(٢) الفتح الرباني/ الساعاتي (أجزاء منه)، ٣٣/١

احسن اليهن وجاهد نفسه في الصبر عليهن (٢) أي يكون جزاؤه على ذلك أن يجعل الله عز وجل له حائلا بينه وبين نار جهنم وفيه تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالبا عن القيام بمصالح أنفسهن بخلاف الذكور لما فيهم من قوة البدن وجزالة الرأي وامكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال (تخريجه) (ق مذ) (٣) (سنده) حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا بكر بن مضر عن ابن الهاد أن زياد بن أبي زياد مولى ابن عباس حدثه عن عراك بن مالك قال سمعته يحدث عمر بن عبد العزيز عن عائشة أنها قال جاءتني مكينة الخ (تخريجه) (م وغيره) (باب) (٤) (ز) (سنده) حدثنا محمد بن عباد حدثنا عبد الله بن معاذ يعني الصنعاني عن معمر عن أبي اسحاق عن عاصم بن ضمرة عن الخ (غريبه) (٥) من المعلوم أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وأجاب العلماء بأجوبة أصحها أن قوله صلى الله عليه وسلم (يمد له في عمره) المراد به الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضيع في غير ذلك والمراد بتوسيع الرزق البركة فيه بحيث يكفيه وان كان قليلا (٦) أي موته السوء وهو **سوء الخاتمة** والعياذ بالله تعالى (٧) قال القاضي عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم وإنما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة ويتصل بعضه ببعض نسمي ذلك الاتصال رحما اهـ وقيل هم المحارم فقط والقول الجامع الراجع أن الرحم يطلق على الأقارب وهم من بينه وبين الآخر نسب سواء كان يرثه أم لا وسواء كان ذا محرم أم." (١)

"يريد كلمة لا اله إلا الله ، فقد ثبت عند الشيخين والإمام أحمد وغيرهم من حديث أبي هريرة وسيأتي في تفسير سورة القصص من كتاب تفسير القرآن أن النبي (ص) قال لعمه (يعني أبا طالب عند احتضاره) قل لا اله الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال : لولا أن تعيرني قريش يقولون أنتما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأزل الله عز وجل (إنك لا تهدي من أحببت) فهذه الرواية مفسرة بما أبهم هنا والأحاديث يفسر بعضها بعضا هذا طرف من حديث طويل سيأتي بتمامه وسنده وشرحه وتخريجه في باب تأثير وفاة النبي (ص) على أصحابه من كتاب السيرة النبوية إن شاء الله تعالى يعني نجاة بني آدم من وساوس الشيطان وما يلقيه في أنفسهم من أنواع الشر ويؤيد ذلك بل يفسره قوله في الطريق ألأولى (مذ ينجينا مما يلقي الشيطان في أنفسنا الخ) يعني لا إله إلا الله كما تقدم، في هذا الحديث والذي قبله دلالة على أن كلمة لا إله غرا اله أعظم الحسنات محوا للسيئات: وأنها تحفظ قائلها من وساوس الشيطان

---

(١) الفتح الرباني/ الساعاتي (أجزاء منه)، ١٠٩/١

وتضمن له **حسن الخاتمة** إذا قالها عند الموت (تخريجه) (طس عل بز) وسنده جيد وروى نحوه الشيخان والإمام أحمد أيضا من حديث أبي هيريرة هذا الحديث أعني حديث أبي سعيد وحديث زاد ذالك والذي بعده تقدما في باب ما جاء في المحتضر وتلقينه كلمة التوحيد من كتاب الجنائز من الجزء السابع وتقدم الكلام عليها سندا وشرحا وتخريجا ، وإنما أثبتهما هنا للاستدلال بهما على فضل كلمة التوحيد أنها تنفه قائلها في الصحة و عند الموت (ومنعى قوله موتاكم) أي من حضره الموت وقرب منه، وسمى ميتا باعتبار متا يؤول عليه مجازا فهو من قبيل قوله (ص) (من قتل قتيلا فله سلبه) الديلي بكسر المهملة ويقال الدؤلي بالضم بعدها همزة مفتوحة (سنده) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنى عبد الصمد حدثني أبي ثنى حسين عن ابن بريدة أن يحيى بن يعمر (بوزن جعفر) حدثه أن أبا الأسود الديلي حدثه أن أبا ذر قال أتيت رسول الله (ص) الخ." (١)

"قوله (فلدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعا) (تخريجه) (م. والأربعة) بألفاظ مختلفة. (سنده) حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا اسحاق أنبأنا مالك عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة إلخ (تخريجه) (م. وغيره). (سنده) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن رجل من أسلم إلخ (غريبة). معناه أن أباه كان يفهم من الحديث أن من قالها لا يلدغ، فإن لدغ وقد قالها فلا تضره (تخريجه) (م. والأربعة) من حديث أبي هريرة المتقدم ولم أقف عليه لغير الإمام أحمد عن رجل من أسلم. (سنده) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو كامل ثنا زهير ثنا الوليد بن ثعلبة الطائي عن ابن بريدة عن أبيه (يعني بريدة الأسلمي) إلخ (غريبة). أي سواء قالها في الصباح أو في المساء، فإن قالها في الصباح تحصل على جزائها في اليوم كله، وإن قالها في المساء تحصل على جزائها في الليل كله. أي مقيم عدى ميثاقك الذي أخذت بقولك (ألست بربكم) أو على ما عاهدتني وأمرتني به في كتابك من الإيمان بك وبنبيك وكتابك (وقوله ووعدك) أي مصدق ومؤمن بوعدك الذي لا يخلف، الذي وعدت به أهل الإيمان وراج رحمتك بمقتضاه (ومعنى ما استطعت) أي قدر استطاعتي، فما مصدرية، وفيه اعتراف بالعجز والقصور: أي لا أقدر أن أقوم بعهدك حق القيام به ولكن أجتهد قدر طاقتي. بهمزة في آخره أي أعترف لك، وقد جاء في رواية شداد بن أوس الآتية بعد هذا (أبوء لك) في الموضعين بزيادة لك. أي دخولا أوليا إن مات على الإيمان، وقيل هو بشارة **بحسن الخاتمة** لا أحرمنا الله منها (تخريجه) (نس د جه) وسنده جيد: ويؤيده حديث شداد بن أوس الآتي بعده. (سنده) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد

---

(١) الفتح الرباني/ الساعاتي (أجزاء منه)، ١/٤١٢

بن أبي عدي ثنا حسين يعني المعلم عن عبد الله بن بريدة عن بشير بن كعب عن شداد بن أوس إلخ (غريبة). إنما كان سيد الاستغفار لما فيه من المزايا التي لا توجد في غير

@@@-٢٣٧-." (١)

"وتعوذات عقب الصلاة صحيفة ٦٥ رقم ٧٨٩ أن النبي (ص) كان يقول هذا الذكر عقب السلام من الصلاة الفقه في الأصل الفهم فقوله يفقه أي يفهمه علوم الدين وأسرار الشريعة مع العمل بما يعمل، وفيه شرف العلم وفضل العلماء وأن التفقه في الدين مع العمل علامة على **حسن الخاتمة** (تخريجه) (لك) وسنده جيد (سنده) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا هيثم بن خارجة ثنا محمد بن أيوب ابن ميسرة بن حليس قال سمعت أبي يحدث عن بسر بن أرطاة الخ (بسر) بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة، وفي آخر الحديث قال عبد الله يعني بن الإمام أحمد وسمعته أنا من هيثم ومعناه أن عبد الله روى هذا الحديث مرتين مرة عن أبيه عن هيثم ومرة عن هيثم بغير واسطة أبيه (تخريجه)(طب) وزاد (من كان ذلك دعاؤه مات قبل أن يصيبه ابلاء) قال الهيثمي ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات(سنده) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن موسى الخ (غريبة) هما متضادان (وخطئ وعمدي) هما متقابلان (كل ذلك عندي) أيمكن أي أنا متصف بهذه الأمور فاغفرها لي، قاله تواضعا أو أراد ما وقع سهوا أو ما قبل النبوة أو محض تعليم لامته (تخريجه) (ق. وغيرهما) (سنده) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو الخ (تخريجه) (طب) وقال الهيثمي رواه أحمد والطبراني وإسنادهما حسن هذا طرف من حديث طويل سيأتي بسنده وطوله في باب الترغيب في خصال مجتمعة من كتاب الترغيب في صالح الأعمال إن شاء الله تعالى (غريبة) أي المأثورات من أفعال الخير والمعنى أطلب منك يا الله الأقدار على فعلها والتوفيق لذلك (وترك المنكرات) أي المنهيات (وحب المساكين) قال الباجي هو من فعل القلب ومع ذلك فيختص بالتواضع، وفيه إن فعل الثلاثة إنما هو بفضل الله وتوفيقه أي بلايا ومحن، والفتنة لغة: الاختبار والامتحان، وتستعمل عرفا لكشف." (٢)

"ما يكره قاله القاضي عياض، وتطلق على القتل والإحراق والنميمة

@@@-٢٨٤-

---

(١) الفتح الرباني/ الساعاتي (أجزاء منه)، ٤٦٤/١

(٢) الفتح الرباني/ الساعاتي (أجزاء منه)، ٥٦/٢

ومنها اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي

من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك،وقال رسول الله (ص) إنها الحق فادرسوها وتعلموها (عن ابن القعقاع) عن رجل جعل يرصد نبي الله (ص) فكان يقول في دعائه اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي فما رزقتني، ثم رصده الثانية فكان يقول مثل ذلك (عن عائشة رضي الله عنها) قالت كان رسول الله (ص) يقول اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساؤوا استغفروا (عن ابن بريدة) قال حدثت عن الأشعري أنه قال سمعت رسول الله (ص) يقول اللهم إني أستغفرك لما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت إنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير (عن أم سلمة) رضي الله عنها أن رسول الله (ص) كان يقول رب اغفر لي وارحمني وأهدني للطريق الأقوم

وغير ذلك، وفيه إشارة إلى طلب العافية واستدامة السلامة إلى **حسن الخاتمة** يعني أن هذه الكلمات كلمات حق (فادرسوها) أي تعهدوها بالقراءة والحفظ وادعوا الله بها، وفيه الحث على حفظ هذه الدعوات والدعاء بها (تخريجه)(لك) في الموطأ بلاغا إلى قوله غير مفتون، قال ابن عبد البر رواه طائفة عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن رسول الله(ص) قال اللهم إني أسألك الخ: منهم عبد الله ابن يوسف النيسي قال هو حديث صحيح عب." (١)

"حتى ما يكون : حتى هنا ناصبة ، وما نافية . ويجوز رفع (يكون) على أن (حتى) ابتدائية .

فيسبق عليه الكتاب : يغلب عليه ما تضمنه .

بعمل أهل النار : من المعاصي

يستفاد منه :

١-الإشارة إلى علم المبدأ والمعاد ، وما يتعلق ببدن الإنسان وحاله في الشقاوة والسعادة .

٢-القسم على الخبر الصادق لتأكيده في نفس السامع .

٣-التنبيه على صدق البعث بعد الموت ، لأن من قدر على خلق الشخص من ماء مهين ينقله إلى العلقه ثم إلى المضغة ثم ينفخ الروح فيه ، قادر على نفخ الروح فيه بعد أن يصير ترابا ، وجمع أجزائه بعد تفريغها ، ولقد كان قادرا على أن يخلقه دفعة واحدة . ولكن اقتضت الحكمة نقله في الأطوار المذكورة رفقا بالأم ، لأنها لم تكن معتادة فكانت المشقة تعظم عليها ، فهيأه في بطنها بالتدريج إلى أن تكامل . ومن تأمل أصل خلقته كان حقا عليه أن يعبد ربه حق عبادته ، ويطيعه ولا يعصيه .

---

(١) الفتح الرباني/ الساعاتي (أجزاء منه)، ٥٧/٢

٤-إثبات القدر ، وأن جميع الواقعات بقضاء الله وقدره : خيرها وشرها .

٥-الحث على القناعة . والزجر على الحرص الشديد ، لأن الرزق قد سبق تقد يره ، وإنما شرع الاكتساب لأنه من جملة الأسباب التي اقتضتها الحكمة في دار الدنيا .

٦-أنه لا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال لجهالة العاقبة ، ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين **وحسن الخاتمة** .

٧-أن التوبة تهدم ما قبلها .

٨-أن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر ، إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر تحت المشيئة .

٩-الشقاوة والسعادة قد سبق الكتاب بهما ، وأنهما مقدرتان بحسب خواتم الأعمال ، وأن كلا ميسر لما خلق له .." (١)

"١١ - (٢٣٨٧) حدثنا عبيد الله بن سعيد ، حدثنا يزيد بن هرون ، أخبرنا إبراهيم بن سعد ، حدثنا صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال لى رسوذ الله (صلى الله عليه وسلم) فى مرضه : (ادعى لى أبا بكر ، واخاك ، حتى اكت! كتائا .

فإنى اخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل : أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر) .

المسلمين ، وتقديمه على الجميع ، وعدم النص فى الإشارة لذره جملة واحدة .

ولا حجة فيه للنص عليه ؛ لاءنه أمر هم به ولم يفعله ، ودعوته لاءخيها لكتاب الكتاب بذلك - والله أعلم .

ومثله فى[كتاب] (١) البخارى : ة لقد هممصت أن أوجه إلى ابى بكر وابنه وأعهد) ، وفى رواية أبى ذر الهروى : (او ابنه) مكان (أبيه) .

وقال بعضهم : هو الصواب ، وما فى كتاب مسلم مما لا اختلاف فيه مما قدمناه بين الصواب فى غيره ! إنما صوب ذلك وأنكر ذكر ابنه ؛ إذ لم يفهم المراد بإحضاره ، وقد بينه فى هذا الكتاب بقوله : (حتى أكتب كتابا) مع إتيانه - عليه الصلاة والسلام - حينئذ متعذر عليه ، أو غير ممكن إذ كان فى مرضه - عليه السلام - وتخلفه عن حضور الجماعة ، والصلاة بالناس ، والدور على أزواجه فكيف لغيره ؟!

وقوله : (فإنى أخاف أن يتمنى متمن) : يريد الخلافة .

---

(١) التحفة الربانية شرح الأربعين النووية، ٥/٢

وقوله : ! ويقول قالل : أنا أولى) كذا للهوزنى ، وبعضيم عن ابن ماهان ، وعند أبى العباس الدلائى : (أثى! ولاه) بتشديد النون ، بمعنى كيف .

وعند السمرقندى والسجزى : (أنا ولى) بتخفيف النون .

وعند الطبرى : (أنا ولا) .

والأول أولى ، إنى انا أولى بالأمر .

وأما الدعوى بذلك وتقديم النبى لمن لم يقدم ولا يليق بأحد منهم .

وقوله حتى (٢) سأل : (من اصبح اليوم صائما ؟) ، (ومن اتغ اليوم جنازة ؟ ! ، (ومن اطعم اليوم مسكشا ؟) وقول أبى بكر فى ج!ميعه : أنا ، فقال - عليه الصلاة والسلام - : (ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة) : معناه - والله أعلم - : دون

(١) فى! : روا ية .

(٢) فى! : حين .

جمتاب فضائل الصحابة / باب من فضائل أبى بكر ...

إلخ

٣٩١

١٢ - (١٠٢٨) حدثنا محمد بن أبى عمر المكى ، حد ، شا مروان بن معاوية الفزارى ، عن يزيد - وهو ابن كيسان - عيق ابى حازبم الا"شجعى ، عن أبى هريرة .

قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (من أصبح منكم اليوم صائما ؟ لما .

قال أبو بكر : أنا .

قال : (فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟) .

قال أبو بكر : أنا .

قال : (فمن أطعم منكئم اليوم مسكينا ؟ " .

قال أ بو بكر : أنا .

قال : (فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟ " .

قال ابو بكر : انا .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (ما اجتمعن فى امرفي إلا دخل الجنة) .

محاسبة ولا مجازاة على شيء من عمل ، د لا فمجرد الإيمان يوجب بفضل الله دخول الجنة .

واجتماعها فى يوم يدل على دوام السعادة ، **وحسن الخاتمة** ، ووجوب الجنة بذلك .

وقوله فى كلام البقرة ، وكلام الذئب ، وتعجب الناس من ذلك : (امنت به أنا

وأبو بكر وعمر) وما هما فى القوم : ثقة منه – عليه السلام – وتحقيقا لصحة إيمانهما ، وقوة (١) يقينهما ، ومعرفتهما بسلطان الله ، وعظيم قدرته على ما يشاء .

وفيه خرق العوائد إذا شاءها الله لمن أراد .

وقوله عن الذئب : (من لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيرى ؟) : كذا الرواية بضم الباء ، قال الإمام : بعض أهل اللغة يقولون (٢) : (يو ؟ السبع) بإسكان[البا ، وتفسيره بأنه أراد يوم القيامة .

قال بعضهم : (من لها يوم ألسبع) : السبع] (٣) : الموضع الذى عنده المحشر يوم القيامة ، أراد من لها يوم القيامة .

قال الأمام : وقد سألت بعض أئمة اللغة عن هذا ، فقال لى : ما أعرف لتسمية يوم القيامة بهذا الاسم وجها ، لكنى (٤) أعرف فى اللغة : سبعت الرجل سبعة سبعا : إذا طعنت عليه ، فلعله لم ا كان يوم القيامة يوم الكشف عن المساوئ سمى بذلك اليوم سبعا ، هذا الذى ذكر لى من سألته .

وقد رأيت فى بعض كتب اللغة : يقال : سبعت الأسد : إذا دعوته () .

قال الطرماح :

فلما عواليث السماك سبعته كما أنى أحيانا لهن سبوع

يصف الذئب ، ويكون المعنى على هذا : من لها يوم الفزع ، ويوم القيامة أيضا يوم الفزع ، وحكى صاحب الأفعال : سبعت الرجل سبعا : وقعت فيه ، والقوم صرت

(١) فى ز : وقوله .

(٣) فى هامش خط .

(٥) فى خط : زعرته .

(٢) فى خط : يقول .

(٤) فى ز : لاءنى ، والمثبت من خط .

". (١)

" / وقوله : (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذر ٣ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها لما الحديث : هذا راجع إلى[ان الامر بالخواتيم ، فإذا كل أحد يتوفى على ما سبق له فى أم الكتاب ، وذهب بعضه إلى أن] (٤) المراد به الحيف فى الوصية وهذا يبعد عن سياق هذا الحديث ولا يدل عليه ، دإنما يدل على **سوء الخاتمة** ، بدليل قوله بعده فى حديث أبى هريرة : دا إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ، ثم يختم له بعمل أهل النار) ، وفى البخارى : (وانما الأعمال با لخوا تيم) (٥) .

وفى هذا أن الثواب والعقاب راجع إلى امر الخاتمة ، وأن التوبة تكفر الذنوب ، وأن

من مات على شيء حكم عليه به من خير او سر إلا ما عفا الله عنه من السيئات ، وسمح فيه لأهل الإيمان من التبعات .

وقوله : (ما بينه وبينها إلا ذرل دا على طريق التمثيل للقرب من موته ودخولها بأثره

مئل من وصل الى شيء بينه وبين هذا القدر ثم منع منه .

(١) فى خ : توجيهه .

(٣) طه : ٧٢ .

(٥) البخارى ، كالقدر ، بالعحل بالخواتيم ٨ / ١٥٥ .

(٢) فى خ : أنس .

(٤) فى هامش خ .

كتاب القدر / باب كيفية الخلق الآدمى ...

إلخ ٦ ١٢٩ - (٢٦٤٧) حدثنا عثمان بن أبى شيبة وزهير بن حرب وإسحق بن إبراهيم - واللفظ لزهير - قال إسحق : أخبرنا وقال الاخران : حد"شا - جريرو عن منصور ، عن سعد بن بيدة ، عن أبى عبد الرحمن ، عن على ، قال : كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد ، فأتانا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض، ١٩٦/٧

فقعد وقعلنا حوله ، ومعه مخصرةو ، فنكس فجعل ينكت بمخصرته .
ثم قال : " مأ منكم من احد ، مأ من نفس منفوسة ، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة وا لنار ، ! الا وقد كتبت شقية أو سعيلة " .
قال : فقاذ رجل : يارسول الله ، افلا نمكث على كتابنا ، وندع العمل ؟ فقال : (من كان من أهل السئعادة ، فسيصير إلى عمل أهل السعادة .
ومن كان من أهل الشقاوة ، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة) فقال : اعملوا فكل ميسز ، أمأ أهل السئعادة فييسرون لعمل أهل السئع الة ، وأمأ اهل الشقاوة فيي!مئرون لعمل اهل الشقاوة لما .
ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطئ واتقى .
وصذق بالخسنئ .
فسنيسره لليسرى .
وأما من بخل واستغنى .
وكذب بالحسنى .
فسنيسره للعسرى﴾ (١) .
وقوله فى حديث على : كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد ، فأتانا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعه مخصرة – وفى الرواية الاخرى : وبيده عود – فجعل ينكت بمخصرته ، ثم قال : " ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة ، إلا وقد كتب مكانها من الجنة والنار ، وقد كتبت شقية او سعيدة) .
فقال رجل : ألا نمكث على كتابنا وندع العمل) وفى الرواية الأخرى : أفلا نتكل ؟ فقال : " من كان من أهل السعادة فيصير إلى عمل أهل السعادة) الحديث ، وفيه : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) .
قال الإمام : قول الرجل للنبى (صلى الله عليه وسلم) لما سمع منه : إن الله سبحانه قد كتب السعادة والشقاوة على ما وقع فى هذا الحديث : " أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟) يلاحظ تشنيع المعتزلة علينا بقولهم : اذا قلتم : إن الله – سبحانه – خلق معصية العاصى فلم يعذبه على ما خلقه فيه وقدره عليه ؟ وما فائدة التخليق (٢) ، وكيف يطلب الإنسان بفعل غيره ؟ وأى فائدة فى العمل وقد وقع فى نفس هذا الرجل شبهة من فائدة العمل ، وأراد أن يؤكد ما عنده بقول النبى (صلى الله عليه وسلم) فأجابه (صلى الله عليه وسلم) هذا الجواب ، ودفع اعتراضه ولم يقل له : إنه صحيح ، بل أخبره أن الله – جلت قدرته – يسر أهل السعادة بعمل أهل السعادة ، واهل الشقاوة بعمل أهل الشقاوة ، وتلا (صلى الله عليه وسلم

) القران مصدقا لما قال ، وأخبر أن الله - سبحانه وتعالى - إذا أنفذ قدره بشقاوة عبد يسر له عمل / أهل الشقاوة وهيأه له وسهله عليه ، وأتاح له أسبابه الئى تعينه وثبعثه علىا كتساب المعاصى ، والإنسان عندنا مكتسب لفعله لا مجبورعليه .
(١)١ لليل : ٥ - ١٠ .
(٢) هكذا فى الأصل ، وفى ح والرسالة : التكليف .

٦٠ / ب
١٣٠ كتاب القدر / باب كيفية الخلق الادمى ...
إلخ (...) حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وهناد بن السرى ، قالا : حدثنا أبو الأحوص ، عن منصور ، بهذا الإسناد فى معناه .
وقال : فا"خذ عوداً .
ولم يقل : مخصرة .
وقال ابن أبى شيبة فى حليثه عن أبى الأحوص : ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .
." (١)

"واستعاذته من الهرم وأن يرد إلى أرذل العمر ؛ لما فيه من الخوف ، واختلال الحواس والعقل ، وعدم العلم ، وتشويه المنظر ، والعجز عن آداء الطاعات ، وربما أدى ذلك إلى التساهل فيها ، ويعذر نفسه بتركها .
فاستعاذته - عليه السلام - من جملة هذه الأشياء ليكمل حاله فى كل حين وشرعه تعليمه لاءمته الاستعاذة منها ، وسؤالأ لله تعالى الا يغير ما به من نعمة ، ودليل على جواز الدعاء بما يشاء العبد على التفصيل والجملة .
واستعاذته من المغرم من هذا الباب ، وهو إما من مغرم لزمه لم يقدر على قضائه ، أو
من مغرم فى غير ما يجب اكتسابه ولا يباح التداين فيه ، أو من مغرم[لديه أحبه] (١)
(١) هكذا فى الا"صل ، وفى ح : لديها حبه ، وفى الأبى : لدى بماحبه .

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض، ٦٢/٨

٢٠٤ كتاب الذكر والدعاء / باب التعوذ من العجز والكسل وغيره ٥٢ - (...) حدثنا أبو بكر بن نافع العبدى ، حدثنا بهز بن أسد العمى ، حدثنا هرون الأ ءور ، حدعشا شعيب بن الحبحاب ، عن أنس ، قال : كان النبى! يدعو بهؤلاء الدعوات : (اللهم ، إنى أعوذ بك من البخل وافسل وأرذل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة المحيأ والممات لما .

ومطله به .

والنبى (صلى الله عليه وسلم) فى كل هذا معلم لامته هذه الا"دعية .

وكذلك استعاذته من الجين والبخل ة لما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات ، والقيام فى حقوق الله ، والغلظة على أهل المعاصى ، وتغيير المناكير ، وأداء حقوق المال ؛ اذ بشجاعة النفس المعتدلة يقيم الحفوق ، وينصر المظلوم ، وبسخاء النفس يؤدى حقوق المال ويواسى منه ، ويلم به عند الضرورات شعث المساكين ، ويؤدى واجب المضطرين .

(١٦) باب فى التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره

٥٣ - (٢٧٠٧) حدثنى عمزو الناقد يزهير بن حرب ، قالا : حدثنا سفيان بن عيينق! حدثنى سمى عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ؛ أن النبى (صلى الله عليه وسلم) كان يتعوذ من سوء القضاء ، ومن ! رك الشقاء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن جهد البلاء .

قال عمرو فى حديثه : قال سفيان : أشك أنى زدت واحدة منها .

وقوله : (كان يتعوذ من سوء القضاء ، ودرك الشقاء ، وشماتة الاعداء ، وجهد البلاء) : جهد البلاء : مشقته ، والجهد : ما لا طاقة لحمله ولا يقدر على دفعه ؛ فهو المستعاذ به ، يقال بالضم والفتح .

قال نفطويه (١) : بالضم : الوسبع والطاقة ، وبالفتح : المبالغة والغاية .

وقال الشعبى (٢) : بالفتح ت فى العمل ، وبالضم : فى الفتنة ، يعنى العيش .

وقال غيره : إذا كان من الاجتهاد والمبالغة ففيه الوجهان .

قال ابن دريد : هما لغتان صحيحتان لمعنى جهده ، وجهده .

وفى كتاب العين : الجهد بالضم : الطاقة ، وبالفتح : المشقة .

وروى عن ابن عمر قال : جهد البلاء : قلة المال وكثرة العيال (٣) .

ودرك الشقاء ، بفتح الراء : اسم للإدراك كما يلحق من اللحاق ، وضبطه بعضهم بالإسكان ، والوجه بالفتح هنا .

وقال بعضهم : درك الشقاء يكون فى أمور الدنيا والاخرة وكذلك سوء القضاء فى النفس وفى المال ، ويكون ذلك فى **سوء الخاتمة** .

ودرك الشقاء عند الموت ، ويكون ما يدرك من عقوبة الله فى الاخرة .

وقد يكون من الشقاء أيضا : ما يدرك من ذلك فى الجهد وقلة المعيشة فى الدنيا .

(١)

(٢)

(٣)

هو ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة ، أبو عبد الله العتكى الأسدى الواسطى النحوى ، ولد سنة أربعين ومائتين ولقب " نفطويه) نسبة له بالنفط ، سكن بغدلد وحدث بها وكان صدوقا ، وله مصنفات كثيرة منها : كتاب كبير فى غريب القران ، وكتاب التللخ ، وكان فقيها عالما بمذهب داود رأسا فيه ، وكان مسندا فى الحديث ، وتوفى سنة ثلاث وعرين وثلاثمائة .

تللخ بغداد : ٦ / ١٥٩ – ١٦٢ برقم (٢٣٠٥) ، وله ترجمة فى لسان الميزان ١ / ٩ ، وفيات الأعيان ١ / ١١ .

هو عامر بن شراحيل الثعبى الحميدى أبو عمرو الكوفى ، ممق على توثيقه ، سمع من ثمانية وأربعين من أصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وقال العجلى : مرسل الشعبى صحيح ، لا يرسل إلا صحيحا ، وقد أخرج له الجماعة ، توفى سنة تسع ومائة ، وانظر : طبقات ابن سعد الكبرى ٦ / ١٧١ ، تارلخ بغداد ١٢ / ٢٢٩ وتهذيب التهذيب ٥ / ٦٥ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٧٩ .

ذكره ابن حجر فى الفتح دون تخريج فى بالعوذ من جهد البلاء٣٩٩ / ١٣ .

وجاء القول فى إكمال الإكمال منسوبا لاءبى عمر بن عبد البر ١٣٣ / ٧ .." [1]

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض، ١٠٠/٨

"ومما يشرع فيه التمسكن لله عز وجل حال الصلاة كما في حديث الفضل بن عباس عن النبي (قال: " الصلاة مثنى مثنى، تشهد في كل ركعتين، وتخشع، وتضرع، وتمسكن، وتقنع يديك يقول: ترفعهما،ويقول: يا رب ثلاثا، فمن لم يفعل ذلك فهي خداج " . خرجه الترمذي وغيره.

وكذلك يشرع إظهار المسكنة في الدعاء، وخرج الطبراني من حديث ابن عباس قال: رأيت النبي (يدعو بعرفة، ويداه إلى صدره كاستطعام المسكين. ومن حديثه أيضا أن النبي (قال في دعائه عشية عرفة: " أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق، المقر المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليه ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير " .

وكان بعض السلف يجلس بالليل مطرقا رأسه، ويمد يديه وهو ساكت كحال المسكين المستعطي. وقال طاوس: دخل علي بن الحسين الحجر ليلة فصلى، فسمعته يقول في سجوده: عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك. قال طاوس: فحفظتهن، فما دعت بهن في كرب إلا فرج عني. وكان بعض العباد قد حج ثمانين حجة على قدميه، فبينما هو في الطواف وهو يقول: يا حبيبي! يا حبيبي!. فهتف هاتف: ليس ترضى أن تكون مسكينا حتى تكون حبيبا! فكان بعد ذلك يقول: مسكينك مسكينك.

شعر لابن تيمية رحمه الله:

أنا الفقير إلى رب السموات ... أنا المسيكين في مجموع حالاتي

أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير إن جاءها من عنده يأتي

قوله (: " وأن تغفر لي وترحمني " : المغفرة والرحمة يجمعان خير الآخرة كله، لأن المغفرة ستر الذنب مع وقاية شره، وقد قيل: إنه لا تجتمع المغفرة مع عقوبة عليه، ولذلك سمي المغفر مغفرا، لأنه يستر الرأس ويقيه الأذى، وهذا بخلاف العفو، فإنه يكون تارة قبل العقوبة وتارة بعدها.

وأما الرحمة فهي دخول الجنة وعلو درجاتها، وجميع ما في الجنة من النعيم بالمخلوقات، ومن رضى الله عز وجل وقربه ومشاهدته وزيارته فإنه من رحمة الله تعالى، وفي الحديث الصحيح: " إن الله عز وجل يقول للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي " . فكل ما في الجنة فهو من رحمة الله عز وجل، وإنما تنال برحمته لا بالعمل كما قال (: " لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله " . قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟!. قال: " ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته " .

قوله (: " وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون " : المقصود من هذا الدعاء سلامة العبد من فتن الدنيا مدة حياته، فإن قدر الله عز وجل على عباده فتنة قبض عبده إليه قبل وقوعها، وهذا من أهم الأدعية

فإن المؤمن إذا عاش سليما من الفتن ثم قبضه الله تعالى إليه قبل وقوعها وحصول الناس فيها كان في ذلك نجاة له من الشر كله، وقد أمر النبي (أصحابه أن يتعوذوا بالله من الفتن ما ظهر وما بطن. وفي حديث آخر: " وجنبنا الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن " . وكان يخص بعض الفتن العظيمة بالذكر، فكان يتعوذ بالله في صلاته من أربع، ويأمر بالتعوذ منها: " أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال " .

ففتنة المحيا تدخل فيها فتن الدين والدنيا كلها، كالكفر والبدع والفسوق والعصيان. وفتنة الممات يدخل فيها سوء الخاتمة وفتنة الملكين في القبر، فإن الناس يفتنون في قبورهم مثل أو قريبا من فتنة الدجال. ثم خص فتنة الدجال بالذكر لعظم موقعها، فإنه لم يكن في الدنيا فتنة قبل يوم القيامة أعظم منها، وكلما قرب الزمان من الساعة كثرت الفتن.

وفي حديث معاوية عن النبي (أنه قال: " إنه لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة " . وقد أخبر النبي (عن الفتن التي كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا.." (١)

"قوله صلى الله عليه وسلم : (هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون) اختلف العلماء في معنى هذا الحديث ، والظاهر من معنى الحديث ما اختاره الخطابي ومن وافقه وحاصله ، أن هؤلاء كمل تفويضهم إلى الله عز وجل فلم يتسببوا في دفع ما أوقعه بهم . ولا شك في فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها . وأما تطبب النبي صلى الله عليه وسلم ففعله ليبين لنا الجواز . والله أعلم . وقوله صلى الله عليه وسلم : (وعلى ربهم يتوكلون) قال الإمام الأستاذ أبو القاسم القشيري - رحمه الله تعالى اعلم أن التوكل محله القلب ، وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد أن الثقة من قبل الله تعالى ، فإن تعسر شيء فبتقديره ، وإن تيسر فبتيسره . وقال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه : التوكل الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد ، وقال أبو عثمان الجبري التوكل الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه . وقيل التوكل أن يستوي الإكثار والتقلل . شرح صحيح مسلم النووي .

فضل ترك سؤال الناس

- عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(من تكفل لي أن لا يسأل شيئا وأتكفل له بالجنة

---

(١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ص/٢١

فقال ثوبان أنا فكان لا يسأل أحدا شيئا)صححه الألباني.

قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من تكفل) من استفهامية أي ضمن والتزم (لي) ويتقبل مني (أن لا يسأل الناس شيئا) أي من السؤال أو من الأشياء (فأتكفل) بالنصب والرفع أي أتضمن (له بالجنة) أي أولا من غير سابقة عقوبة ، وفيه إشارة إلى بشارة **حسن الخاتمة** (فقال ثوبان أنا) أي تضمنت أو أتضمن (فكان) ثوبان بعد ذلك (لا يسأل أحدا شيئا) أي ولو كان به خصاصة.." [1]

"إنما الأعمال بالخواتيم

الخواتيم ميراث السوابق

خوف السلف الصالح من **سوء الخاتمة**

الخوف من **سوء الخاتمة** من آثار الإيمان بالقدر

جهل الإنسان بخاتمته يقطع الاعتماد على العمل ويعين على الخوف والرجاء

كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من سؤال الله تعالى الثبات على الدين

أسباب **سوء الخاتمة**

أسباب **حسن الخاتمة**

مسائل متفرقة

مسألة: متى يكون تصوير الجنين ... ...

بيان معنى (التصوير)

التصوير: هو جعل الجنين على هيئة صورة مخططة.

تنبيه: ليس في حديث الباب ذكر لتصوير الجنين

يصور الجنين قبل خلق أعضائه

هذا التصوير كالتخطيط في جسم شفاف

هل التصوير درجات؟

التصوير أحد مراحل الخلق

الفرق بين التخليق والتصوير

تفسير قول الله تعالى: (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء)

---

(١) ارواء الضمآن من فضائل الرحمن، ص/٩٧

حديث حذيفة بن أسيد يدل على أن تصوير الجنين في أول الأربعين الثانية
ذكر ابن رجب روايتين عن ابن مسعود في توقيت تصوير الجنين
الرواية الأولى: أن تصوير الجنين قد يكون قبل الأربعين الثالثة
هذه الرواية ليس فيها تصريح بذكر التصوير
الرواية الثانية: أنه لا تصوير لخلق الجنين قبل ثمانين يوما
الكلام على سند هذه الرواية
ذهب ابن رجب إلى أن تصوير النطفة يكون في اليوم السابع
استدل ابن رجب بحديث مالك بن الحويرث، وبكلام الأطباء
فوائد من كلام الأطباء:
١- أقل مدة يتصور فيها الذكر: خمسة وثلاثون يوما
٢- أقل مدة تتصور فيها الأنثى: أربعون يوما
مسألة: أقل مدة يتبين فيها خلق الولد
الخلاف في هذه المسألة:
القول الأول: أقل ما يتبين خلق الولد في واحد وثمانين يوما
مأخذ هذا القول: أن التخليق راجع إلى المضغة ولا يكون ذلك إلا في الأربعين الثالثة
استدل أصحاب هذا القول بحديث ابن مسعود (حديث الباب)
القول الثاني: قد يتبين خلق الجنين في الأربعين الثانية
استدل أصحاب هذا القول بحديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه، وبكلام الأطباء
هل يقع التخليق في مرحلة العلقة؟
الترجيح بين القولين." (١)

"التقدير السادس: التقدير اليومي
مسألة تغيير القدر
التقدير في اللوح المحفوظ لا يقبل التغيير لأنه مبني على علم الله تعالى المحيط بكل شيء
التقدير العمري وردت النصوص بأنه يغير فيه حتى يكون على وفق ما في اللوح المحفوظ

---

(١) الأربعون النووية، ص/١٩

هذا التغيير لحكم عظيمة يعلمها الله تعالى

على هذا التغيير يحمل دعاء عمر: (اللهم إن كنت كتبتني شقيا فاكتبني سعيدا)

من فوائد حديث ابن مسعود – رضي الله عنه –

توقير الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم

بيان مراحل تكوين الإنسان

الحث على التواضع

عناية الله تعالى بخلقه

الأعمال بالخواتيم

الإيمان بالقضاء والقدر

أن الأعمال سبب دخول الجنة أو النار

الأسئلة:

س١: بين منزلة هذا الحديث؟

س٢: ما مناسبة قول ابن مسعود رضي الله عنه : (وهو الصادق المصدوق)؟

س٣: بين أطوار تقلب الجنين في بطن أمه مع الدليل؟

س٤: ما معنى الجمع وماذا تفيد كلمة يجمع في قوله صلى الله عليه وسلم: (إن أحدكم يجمع خلقه ...)؟

س٥: ما معنى (أمشاج) في قوله تعالى: (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج)؟

س٦: علام يبعث تذكر الإنسان أصل خلقته؟

س٧: كيف تجمع بين رواية للإمام أحمد رحمه الله أن العظام لا تكسى لحما إلا بعد مائة وستين يوما وبين هذا الحديث؟

س٨: علم ما في الأرحام من علوم الغيب فمتى يمكن أن يخرج علم ذلك للخلق؟

س٩: تعلق الروح بالبدن أربعة أنواع اذكرها؟

س١٠: هل في سبق كتابة الأقدار إجبار للعباد على الأفعال؟

س١١: من المقسم في هذا الحديث؟

س١٢: اذكر بعض الآثار عن السلف في الخوف من **سوء الخاتمة؟**

س١٣: ما أقل مدة يتبين فيها خلق الجنين؟

س١٤: متى تكون الكتابة الواردة في الحديث؟

س١٥: ما حكم إسقاط الجنين مع الاستدلال؟

س١٦: هل يصلى على السقط مطلقا؟

س١٧: كتابة المقادير على أنواع ومراحل اذكرها؟

س١٨: بين معنى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (اللهم إن كنت كتبتني شقيا فاكتبني سعيدا)؟." (١)

"وروي أن مروان بن الحكم لما جيء برأس الضحاك إليه ساءه ذلك وقال: الآن حين كبرت سني ودق عظمي، وصرت في مثل ظمء الحمار(١)، أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض(٢) وروي أنه بكى على نفسه يوم مرج راهط(٣): أبعد ما كبرت وضعفت صرت إلى أن أقتل بالسيوف على الملك(٤) وفي رواية عن مالك قال: قال مروان: قرأت كتاب الله منذ أربعين سنة، ثم أصبحت فيما أنا فيه من إهراق الدماء، وهذا الشأن(٥). إن ندم مروان في مثل هذا الموقف وبعد أن تحقق له، وتأكدت له طرق الحكم، وتمهدت له سبل الوصول إلى غايته لدليل قاطع على ما كان يجيش به قلب مروان من عامل الخير، لقد كان هذا النصر جديرا أن ينسيه كل منغصات الحياة، وكان فوزه بالخلافة حقيقا بأن ينفي عنه كل ما يسبب له الندم، ويعكر له الصفو، فما بال مروان يندم وهو في هذه الظروف التي تزيل الهم عن النفس وتبعد الندم(٦)، لطالبي الملك والزعامة والسلطان وأغلب الظن أنه تورط في طلبه للخلافة، ودفعه إلى هذا المستنقع الآسن أناس لهم مصالح دنيوية لا تخفي، فشعر بوخز الضمير وخاف على نفسه من **سوء الخاتمة** بعد أن ولغت يده في دماء المسلمين من أجل الحطام الزائل.

ثالثا : ضم مصر إلى الدولة الأموية ومحاولة إعادة العراق والحجاز:

---

(١) تاريخ الطبري (٦/٤٧٤) .

(٢) المصدر نفسه (٦/٤٧٤) .

(٣) البداية والنهاية (١١/٦٧٦) .

(٤) المصدر نفسه (١١/٦٧٦) .

---

(١) الأربعون النووية، ص/٢٢

(٥) سير أعلام النبلاء (٤٧٩/٣) .

(٦) الأمويون محمد الوكيل (٣٠٧/١) .." [1]

"إن محمد بن واسع رحمه الله تعالى معدود من العلماء الربانيين المشهورين بالزهد والورع والخشوع وهو مدرسة في معالجة أمراض النفوس وتطهير القلوب، ومن أقواله النيرة في الزهد والورع واليقين : إني لأغبط رجلا معه دينه ومامعه من الدنيا شيء وهو راض(١) وإذا كان محمد بن واسع يغبط أهل الدين المجردين من الدنيا فما أكثر من يغبطون أصحاب الأموال، وما أبعد الفرق بين السابقين بالخيرات والمقصرين(٢). وقيل إنه قال لرجل : هل أبكاك قط سابق علم الله فيك(٣) يعني أن المقربين مع ما يقومون به من الورع والعمل الصالح يخشون من سابق قدر الله فيهم، حيث يخافون من **سوء الخاتمة**، فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن جل جلاله يقلبها كيف يشاء وقيل له كيف أصبحت؟ قال : قريبا أجلي بعيدا أملي، سيئا عملي(٤). وهذا من عمق الإدراك وقوة تصور ما بعد الموت، وإذا كان محمد بن واسع الذي قيل عنه إنه أفضل أهل البصرة في زمنه يتهم نفسه بطول الأمل وسوء العمل فكيف بحال المقصرين(٥) – أمثالي . وذات يوم قال له رجل لمحمد بن واسع : أوصيني، قال : أوصيك أن تكون ملكا في الدنيا والآخرة، قال : كيف؟ قال : ازهد في الدنيا(٦) وهذه وصية نافعة من طبيب ماهر في طب القلوب فهذا الرجل يطلب الوصية من محمد بن واسع فيوصيه بأعلى مرتبة تطمح لها النفوس عادة، وهي أن يكون ملكا في الدنيا والآخرة، فيتعجب الرجل لأنه لم يرد الدنيا حينما طلب منه الوصية، ثم كيف يجمع بين الأمرين، فيكون ملكا في الدنيا ولآخرة، فلذلك استفهم منه استفهام تعجب، فكان جواب ابن واسع له : ازهد في الدنيا(٧)، ومن كلامه التربوى العميق قوله : ما آسى على الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا اعوججت

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢١/٦) .

(٢) التاريخ الإسلامي (٩٣/١٩) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢١/٦) .

(٤) المصدر نفسه (١٢١/٦) .

(٥) التاريخ الإسلامي (٩٤/١٩) .

---

[1] عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد، ٤٠٥/٢

(٦) سير أعلام النبلاء (١٢١/٦) .

(٧) المصدر نفسه (١٢٠/٦) .." [1]

"فيها النقل الى المدرسة التي بنتها قبل ذلك في المدينة المزبورة فنقل المرحوم عنها الى هذه المدرسة بالوظيفة المذكورة ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة ايا صوفيه بستين ثم الى احدى المدارس السليمانية ثم قلد قضاء المدينة المنورة ثم نقل الى قضاء مكة المشرفة ولم يتفق لاحد من علماء الروم في سالف العصور تولية القضاء في الحرمين الشريفين غير المولى المزبور ولاختصاصه بهذه الفضيلة من البين لقبه اهل هذه الديار بقاضي الحرمين وانتقل رحمه الله بمكة المشرفة في اوائل ذي الحجة سنة تسع وسبعين وتسعمائة وقد وقع وصول ماء عرفات بمكة في هذه السنة وكان يعمل له في سنة سبعين بهمة السيدة مهروماه بنت السلطان سليمان فانها لما وصلت اليها قلة المياه بمكة ومضايقة اهل الحرم الشريف فيها واخبرت بامكان مجيء ماء عرفات الى مكة شرفها الله تعالى قصدت اليه واعتنت بعمارته وافنت فيه اموالا جزيلة الى ان تيسرت لها هذه المثوبة العظمى في السنة المزبورة فاتفق دخولها بموت المولى المزبور وكذلك مجيء الحاج في السنة المزبورة فاتفق ان اجتمع في جنازته خلق كثير وجم غفير من العلماء والصلحاء وشهدوا له بالخير **وحسن الخاتمة** ودعوا له بالمغفرة الدائمة وكان المرحوم من اعيان افاضل الروم معدودا من الرجال مذكورا في عداد ارباب الفضل والكمال نظيفا وجيها عظيم التؤدة والوقار بحيث نسبه الناس الى الغرور والاستكبار غفر له الملك الغفار ومن العلماء الاعلام وفضلاء الاعجام المولى مصلح الدين اللاري

ولد رحمه الله في اللار وهي بالراء المهملة مملكة بين الهند والشيراز اشتغل رحمه الله على مير غياث بن مير صدر الدين المستغني بشهرته التامة عن التوصيف والتبيين وقرا ايضا على ميركمال الدين حسين تلميذ المولى المعروف لدى القاصي والداني جلال الملة والدين محمد الدواني ثم ذهب الى بلاد الهند واقتحم شدائد الاسفار واتصل بالامير همايون من اعاظم ملوك هذه الديار وحل عنده محلا رفيعا ومنزلا منيعا وتلمذ منه ولقبه بالاستاذ وعامله باللطف والرأفة الى ان افناه الدهر واباد وقامت الفتن والحوادث من بعده في تلك البلاد فخرج المرحوم عنها

". [2]

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد، ١٨٣/٣

(٢) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص/٤١٩

"هذا الحديث في القدر قد أشكل على كثير من الناس واحتج به الجبرية قديما. و لقد مرت حقبة من الزمن يكثر فيها سؤال الناس عن هذا الحديث. و كان الشيخ يحل الإشكال ببيان منزلة الإيمان بالقدر، و أن الإنسان يجب أن لا يأمن من مكر الله. وهذا وجه حسن.

قد ورد حل هذا الإشكال بطريق أخري ذكرها الحافظ ابن رجب في كتابه جامع العلوم و الحكم (١) وذلك أن ما أبهمه في رواية ابن مسعود هذه قد أوضحه في رواية سهل بن سعد التي أخرجها البخاري في كتاب الجهاد والسير (٢) و فيها بيان سبب ورود الحديث، و فيه : (....... إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة" وزاد في كتاب الرقاق: (٣) " وإنما الأعمل بخواتيمها".

لكن الحافظ ابن حجر رحمة الله عليه يري (٤) هذا الحديث في المنافق و المرائي ويحمل حديث ابن مسعود علي من نال **سوء الخاتمة**. والجمع أولي فإن الرياء من أعظم أسباب **سوء الخاتمة**. نعوذ بالله من ذلك.

هذا وهناك أحكام فقهية قام باستنباطها الشيخ من الأحاديث. فلإيضاح ذلك نقول:

---

(١) ١/١٧٢-١٧٣

(٢) صحيح البخاري رقم ٢٨٩٨

(٣) المصدر السابق رقم ٦٤٩٣

(٤) فتح الباري ١١/٤٩٥.." [1]

"وقد ألقى الشيخ حفظه الله تعالى عددا كبيرا من الدروس العلمية والخطب المنبرية والمحاضرات العلمية المختلفة في العقيدة والإيمان والسيرة والتاريخ والإخلاق والسلوك وأعمال القلوب والرقائق وقد فاقت الألف عنوان في التسجيلات والمواقع الإسلامية.

وقد أنشأ موقع الاسلام سؤال وجواب على شبكة الانترنت عام ١٩٩٧ وما زال العمل قائما فيه إلى الآن وقد توسع هذا المشروع الدعوي وتطور وأصبح هذا الموقع جزء من مجموعة مواقع الإسلام مكون من أكثر

---

(١) الشيخ أبوبكر محمود جومي: حياته مواقفه وآراؤه، ص/١٠٣

من سبعة مواقع بعضها يترجم لسبعة لغات نسأل الله لشيخنا الإخلاص **وحسن الخاتمة** والموت على عمل صالح إنه سميع مجيب.." (١)

"الخلق وكان صاحب أحوال وكرامات توفي في ربيع الأول عن أربع وتسعين سنة قاله في العبر ١١١ وقال السخاوي في طبقاته وابن الأهدل أبو يعقوب الهمذاني الفقيه الزاهد العالم الرباني صاحب المقامات والكرامات قدم بغداد في صباه بعد ستين وأربعمائة ولازم الشيخ أبا إسحق الشيرازي وتفقه عليه حتى برع في الأصول والمذهب والخلاف ثم زهد في ذلك واشتغل بالزهد والعبادة والرياضة والمجاهدة حتى صار علما من أعلام الدين يهتدي به الخلق إلى الله ثم قدم بغداد في سنة خمس وخمسمائة وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف بها قبولا عظيما من الناس وكان قطب وقته في فنه وذكر ابن النجار في تاريخه أن فقيها يقال له ابن السقا سأله من مسألة وأساء معه الأدب فقال له الإمام يوسف اجلس فإني أجد ويروى أشم من كلامك رائحة الكفر وكان أحد القراء حفظة القرآن فاتفق أنه تنصر ومات عليها نعوذ بالله من **سوء الخاتمة** وذلك أنه خرج إلى بلد الروم رسولا من الخليفة فافتتن بابنة الملك فطلب زواجها فامتنعوا إلا أن يتنصر فتنصر ورؤي في القسطنطينية مريضا وبيده خلق مروحة يذب بها الذباب عن وجهه فسئل عن القرآن فذكر أنه نسيه إلا آية واحدة وهي) ^ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وذكرت حكاية ابن السقا في البهجة المصنعة في مناقب الشيخ عبد القادر وان ابتلاؤه كان سبب إساءته إلى بعض الأولياء يقال له الغوث فالله أعلم سنة ست وثلاثين وخمسمائة فيها كانت ملحمة عظيمة بين السلطان سنجر وبين الترك الكفرة بما وراء النهر أصيب فيها المسلمون وأفلت سنجر في نفر يسير بحيث أنه وصل بلخ في ستة أنفس وأسرت زوجته وبنته وقتل من جيشه مائة ألف أو أكثر وكانت الترك في ثلاثمائة ألف فارس." (٢)

"

وقال السخاوي في طبقاته وابن الأهدل أبو يعقوب الهمذاني الفقيه الزاهد العالم الرباني صاحب المقامات والكرامات قدم بغداد في صباه بعد ستين وأربعمائة ولازم الشيخ أبا إسحق الشيرازي وتفقه عليه حتى برع في الأصول والمذهب والخلاف ثم زهد في ذلك واشتغل بالزهد والعبادة والرياضة والمجاهدة حتى صار علما من أعلام الدين يهتدي به الخلق إلى الله ثم قدم بغداد في سنة خمس

---

(١) سيرة فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد، ص/٣

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٤/١١٠

وخمسمائة وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف بها قبولا عظيما من الناس وكان قطب وقته في فنه وذكر ابن النجار في تاريخه أن فقيها يقال له ابن السقا سأله عن مسألة وأساء معه الأدب فقال له الإمام يوسف اجلس فإني أجد ويروى أشم من كلامك رائحة الكفر وكان أحد القراء حفظة القرآن فاتفق أنه تنصر ومات عليها نعوذ بالله من **سوء الخاتمة** وذلك أنه خرج إلى بلد الروم رسولا من الخليفة فافتتن بابنة الملك فطلب زواجها فامتنعوا إلا أن يتنصر فتنصر ورؤي في القسطنطينية مريضا وبيده خلق مروحة يذب بها الذباب عن وجهه فسئل عن القرآن فذكر أنه نسيه إلا آية واحدة وهي ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ وذكرت حكاية ابن السقا في البهجة المصنفة في مناقب الشيخ عبد القادر وان ابتلأه كان سبب إساءته إلى بعض الأولياء يقال له الغوث فالله أعلم سنة ست وثلاثين وخمسمائة

فيها كانت ملحمة عظيمة بين السلطان سنجر وبين الترك الكفرة بما وراء النهر أصيب فيها المسلمون وأفلت سنجر في نفر يسير بحيث أنه وصل بلخ في ستة أنفس وأسرت زوجته وبنته وقتل من جيشه مائة ألف أو أكثر وكانت الترك في ثلاثمائة ألف فارس

---

(١) ".

"

١١٨٩ ابن يعيش عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن يعيش أبو الفرج الكاتب سبط قاضي القضاة أبي الحسين علي بن محمد الدامغاني تقدم عبد الرحمن ووالده محمد بن علي والله سبحانه وتعالى أعلم

يتلوه الكتاب الجامع لمصنفه = الكتاب الجامع = بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين هذا كتاب سميته بالجامع وختمت به كتابي الجواهر على عادة علماء المدينة فى ختم تصانيفهم بالجامع أذكر فيه إن شاء الله تعالى فوائد جمة ونفائس مهمة والله أسأله **حسن الخاتمة**

فائدة قال بعضهم الفائدة يجوز أن تكون مشتقة من الفواد لأنها تحصل فى فواد المستفيد إذا فهمها وتثبت فيه

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٤/١١١

فائدة اختلف فيه حد الصحابي فالمعروف عند المحدثين أنه كل مسلم رأي النبي صلى الله عليه وسلم وقال فى كفاية الفحول فى علم الأصول اسم الصحابي يقع على من طالت صحبته مع النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه وعليه الجمهور وبه قال الجاحظ ونصره الشيخ أبو عبد الله وقال كثير من أصحاب الحديث أنه يقع على من لقي الرسول وسمع منه شيئا ولو مرة وعن أصحاب الأصول أو بعضهم أنه من طالت مجالسته على طريق التتبع وعن

". (١)

""""" صفحة رقم ٩٥ """"

ومن الفوائد والملح عنه والأشعار

فمن شعره ما أورده في كتابه المتشابه في الربانيات

تشاغل عنا بوسواسه

وكان قديما لنا يطلب

محب تناسى عهود الهوى

وأصبح في غيرنا يرغب

ونحن نراه ونملي له

ويحسبنا أننا غيب

ونحن إلى العبد من نفسه

ووسواس شيطانه أقرب

ومن مناجاته في هذا الكتاب وهو مما أخذ عليه

إلهي جلت عظمتك أن يعصيك عاص أو ينساك ناس ولكن أوحيت روح أوامرك في أسرار الكائنات فذكرك الناسي بنسيانه وأطاعك العاصي بعصيانه وإن من شيء إلا يسبح بحمدك إن عصى داعي إيمانه فقد أطاع داعي سلطانك ولكن قامت عليه حجتك ولله الحجة البالغة) لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (

ومن كلامه فيه على حديث (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة) الحديث فيه إشارة إلى أن خشية **سوء**

---

(١) طبقات الحنفية، ٤١١/٢

الخاتمة مخصوص بأهل أعمال الجنة وأما أهل الإخلاص لأعمال التوحيد فلا يخشى عليهم سوء الخاتمة ولهذا قال (فيعمل بعمل أهل." (١)

"(٢) وخنت من آمنك وانقاد لك صاغر سودت وجهك في الأول وفي الآخر ولما كان بيبغاروس على دمشق وتوجهنا نحن مع النائب بالشام الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى لد وأقمنا بها زائدا عن أربعين يوما وفي كل يوم نسمع من الأخبار ما ينكد عيشنا من جهة أهل دمشق وأهلنا وأولادنا جاءني من القاضي شرف الدين حسين بن ريان كتاب قبل خروجي من دمشق فلما عدت من لد كتبت جوابه وجاء منه وحاول المملوك الجواب فجاءت هذه العوائق التي ما احتسبت والحوادث التي لم تكن كيوم القيامة فإن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت يا مولانا هذه مصائب عمت وطمت وصرحت بالشر وما عمت وقيدت إليها الأهوال وزمت ودعت الجفلى إلى مآدبها وأصم المسامع نعي نوادبها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قول من ضاقت به حيلته واتسعت عليه بالهموم ليلته وكان ما كان مما كنت أذكره فظن شرا ولا تسأل عن الخبر ونسأل الله تعالى حسن الخاتمة وفجر هذه الليلة العاتمه فقد بلغت القلوب الحناجر وحزت الغلاصم بالخناجر وكسرت براني الصبر وحسد من امتطى ظهر الأرض من استكن في جوانح القبر وهذه رزية شموس التثبت بها كاسفه وليس لها من دون الله كاشفه اللهم اكشف هذه البلية عن البريه ولق النفوس الظالمة ووق البريه وأجرنا على عادة وعجل فك أسرنا بأسرنا إنك بالإجابة جدير وعلى كشف هذه اللأواء قدير ﷺ." (٣)

""""""""" صفحة رقم ٥٩ """""""

خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان

كان يختم القرآن في ثلاث وكان يختم في رمضان سبع عشرة ختمة . قال إبراهيم بن علية : كان يعطيني أكياس الدنانير أقسمها في الصالحين ، وكان يقول : لولا أن الله عز وجل ذكر اللواط في كتابه العزيز ، ما ظننت أن أحدا يفعله . قال الحافظ ابن عساكر : كان الوليد عند أهل الشام من أفضل خلفائهم ، بني المسجد بدمشق وفرض للمجذومين ما يكفيهم وقال : لا تسألوا الناس ، وأعطى كل مقعد خادما وكل أعمى قائدا . وذكر أن جملة ما أنفق على المسجد الأموي أربعمائة صندوق ، في كل صندوق ثمانية

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ، ٩/٩٥

(٢) ٨٦

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق، ٤/٨٦

وعشرون ألف دينار . وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل ، وما كمل بناءه إلا أخوه سليمان لما ولي الخلافة وفعل خيرات كثيرة وآثارا حسنة ، وبعد هذا كله فقد روي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال : لما أدرج في أكفانه وغلت يداه إلى عنقه ، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، ونسأله **حسن الخاتمة** .." (١)

"و على أن تأسفكم لما وقعتم فيه من الغدر لسلطانكم، والخروج لا لضرورة غالبة عن أوطانكم، من الواجب بكل اعتبار عليكم، سيما وقد مددتم إلى التمتع لغيرها عينيكم. ولو لم يكن لهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة إلا ما خصت به من بركة الرباط، ورحمة الجهاد، لكفاها فخرا على ما يجاورها من سائر البلاد، قال رسول الله): " رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم سواه " . وقال عليه السلام: " الروحة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها " . وعلى كل تقدير فإذا لم يكن يا أخي فراركم من الأندلس إلى الله وحده بالتوبة المكملة والاستغفار، مع الانقطاع في أحد المواطن المكرمة المعظمة بالإجماع، وهي طيبة أو مكة أو بيت المقدس، فقد خسرتم صفقة رحلتكم، وتبين أن لغير وجه الله العظيم كانت نية هجرتكم؛ اللهم إلا إن كنتم قد لاحظتم مسألة الرجل الذي قتل مائة نفس، وسأل أعلم أهل الأرض، فأشار عليه بعد إزماع التوبة بمفارقة المواطن التي ارتكب فيها الذنوب، وأكتسب بها العيوب؛ فأمر آخر، مع أن كلام العلماء في هذا الحديث معروف؛ ويقال لكم من الجواب الخاص بكم: فعليكم إذا بترك القيل والقال، وكسر حربة الجدال والقتال، وقصر ما بقي من مدة العمر على الانشغال بصالح الأعمال. ووقعت في مكتوبكم كلمات اوردها النقد في قالب الاستهزاء والازدراء، والجهالة بمقادير الأشياء، منها: ريح صرصر، وهو لغة القرآن، وقاع قرقر: وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد)، ثبت في الصحيح في باب التغليظ فيمن لا يؤدي زكاة ماله، " قيل: يا رسول الله، والبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا، تنطحه بقونها، وتطؤه بأظلافها " . الحديث الشهير. قال صاحب المعلم: بطح لها البقاع قرقر، أي ألقى على وجهه، والقاع: المستوى من الأرض، والقرقر: كذلك؛ هذا ما حض من الجواب. وبقي في مكتوبكم حشو كثير من كلام الإقذاع، وفحش بعيد من الحشمة والحياء، رأيت أن من الصواب الإضراب عن ذكره، وصون اليد عن الاستعمال فيه، والظاهر أنه إنما صدر عنكم وانتم بحال مرض، فلا حرج فيه عليكم إن شاء الله، أجلكم، ومكن أمنكم، وسكن وجلكم، ومنه جل اسمه نسأل لي ولكم **حسن الخاتمة**، والفوز بالسعادة الدائمة، والسلام الأتم يعتمدكم،

---

(١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص/٥٩

والرحمات والبركات من كتابه علي بن عبد الله بن الحسن، وفقه الله.

و ذلك بتاريخ أخريات جمادى الأولى من عام ثلاثة وسبعين وسبع مائة.

و قيد رحمه الله في مدرج طي هذا الكتاب ما نصه: يا أخي، أصلحنى الله وإياكم، وبقي من الحديث شيء، الصواب الخروج عنه لكم، إذ هذا أوانه، وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه، وليكن البناء بعد أن كان على أصل صحيح بحول الله، وحاصله:." (١)

"الإمام النووي

جمع وترتيب أحمد فريد

مقدمة

نسأل الله ـ تعالى ـ **حسن الخاتمة**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما.

ثم أما بعد ،

فما أطيب سيرة العلماء العاملين ، والأئمة الكاملين ، الذين زينهم الله ـ عز وجل ـ بالعلم واليقين وأبقى لهم من الثناء الحسن والذكرى العطرة ، والمحبو التي تملأ قلوب عباده المؤمنين كما وعد الله ـ عز وجل ـ أهل الأيمان والعمل الصالح فقال تعالى " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سجعل لهم الرحمن ودا " (مريم : ٩٦) أي مودة ومحبة ، فيحبهم الله ـ عز وجل ـ ويحببهم إلى عباده وقيل للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرجل يعمل العمل لا يريد به إلا وجه الله فيحبه الناس وفي رواية " فيثني عليه الناس " فقال تلك عاجل بشرى المؤمن " رواه مسلم.

وإمامنا النووي من أوفر العلماء تصيب من هذه المحبة ومن ثناء الخلق ، والدارس لترجمته ـ رحمه الله ـ يرى فيه من الزهد ، والورع والحرص على طلب العلم النافع والعمل الصالح والقوة في الجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخشية والمحبة للهت ـ عزو وجل ـ ولرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يبين سر هذه المحبة التي تملأ قلوب الخلق.

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص/٧٠

لقد فاق الإمام النووي علماء عصره ومن المرجح أنه ـ رحمه الله ـ مات ولم يتعد الخامسة والأربعين عاما ، وترك من الآثار العلمية والتقريرات والكتب المحررات ما فاق به علماء عصره وأئمة دهره.." (١)

"فالحمد لله كثيرا على ما من به علينا من الاتصال بسند السادة الواصلين إلى الله تعالى ، واسطته العظمى نبينا بدر الكمال عن الأساتذة المتمكنين في المقامات العلية ، والأحوال المرضية ، نفعنا الله بعظيم بركاتهم(١) ، وأفاض علينا جزيل إمداداتهم ، وبلغنا بجاههم كل مرام ، وأحسن لنا ولأولادنا وأحبابنا حسن الختام ، وأرجو من كل من وصلت إليه هذه الوريقات ، واتصل بأسانيد هؤلاء الأثبات . أن لا ينساني وأولادي ووالدي وأقاربي ومشايخي من صالح دعواته في خلواته وجلواته ، سيما بصلاح الشأن كله ، دقه وجله ، وبسعادة الدارين والفوز بالأمنية وصلاح الذرية ، وإحياء السنة القائمة ونيل المنى **وحسن الخاتمة** ، فإني لا أنساه إن شاء الله تعالى فهو له مني مبذول ومن الله تعالى تفضلا القبول ، كتب ذلك عجلا ، وقاله خجلا ، المرتجي نوال السعد والفتح القريب ، عبد الحميد بن محمد علي قدس بن عبد القادر الخطيب . خويدم طلبة العلم بالمسجد الحرام المكي أدام الله تعالى له ولذريته خدمة شريعة سيد الأنام صلى الله وسلم عليه وعلى آله وكل منتم إليه .

... حرر في غرة أول الربيعين عام ١٣٣٢ هـ / من هجرة قرة العين عليه وعلى آله وصحبه الكرام أفضل الصلاة وأكمل السلام، صلاة وسلاما نحوز بهما الرضا ونيل المرام ، ونفوز بالغنى والتقى وحسن الختام ، تمت وبالخير عمت .

– – –

المصادر والمراجع

أبجد العلوم الوشى المرقوم في بيان أحوال العلوم – للشيخ صديق بن حسن القنوجي . (طبعة دار الكتب العلمية ١٩٧٨م).

إجازة الشيخ أحمد دحلان للشيخ عبد الحميد قدس . (مخطوط برقم ٩٥ تاريخ . مكتبة مكة المكرمة) .

الأعلام – لخير الدين الزركلي . (طبعة دار العلم للملايين . الطبعة الرابعة – ١٩٧٩م) .

---

(١) الإمام النووي، ص/١

(١) عبارات قد تجاوزت حد التبجيل إلى الغلو الذي يحتاج إلى تصحيح وتصويب للرجوع إلى الاعتدال المحمود لا الغلو المذموم .." (١)

"وفيها توفي شمس الدين أحمد بن علي بن هبة الله بن السديد الإسنائي خطيب إسنا ونائب الحكم بها وبأدفو وقوص في شهر رجب؛ وكانت قد آنتهت إليه رياسة الصعيد، وبنى بقوص مدرسة؛ وكان قوي النفس كثير العطاء مهابا ممدوحا يبذل في بقاء رياسته الآلاف الكثيرة؛ يقال إنه بذل في نيابة الحكم بالصعيد مائتي ألف؛ وصادره الأمير كراي المنصوري وأخذ منه مائة وستين ألف درهم، فقدم القاهرة ومات بها.

وفيها توفي الأمير بيبرس الموفقي المنصوري أحد الأمراء بدمشق بها في يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الآخرة مخنوقا وهو سكران. نسأل الله **حسن الخاتمة** بمنه وكرمه.

وفيها توفي الأمير الشريف عز الدين جماز بن شيحة أمير المدينة، وقد تقدم في الماضية. والأصح أنه في هذه السنة.

وفيها توفي الأمير شمس الدين محمد آبن الصاحب شرف الدين إسماعيل بن أبي سعيد بن التيتي الآمدي أحد الأمراء ونائب دار العدل بقلعة الجبل، كان رئيسا فاضلا.

وفيها توفي الأمير مبارز الدين سوار الرومي المنصوري أمير شكار؛ وكان من أعيان الأمراء وفيه شجاعة وحشمة ورياسة؛ وكان معظما في الدول.

وفيها توفي الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله المنصوري المعروف بسمز أعني سمينا مقتولا بأيدي عرب الشام بعد أن قتل منهم مقتلة كبيرة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وأصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا واثنتا عشرة إصبعا، وكان الوفاء رابع توت.

السنة الثامنة من سلطنة الملك الناصر محمد

بن قلاوون الثانية على مصر وهي سنة خمس وسبعمائة.

فيها قدمت هدية الملك المؤيد هزبر الدين داود صاحب اليمن فوجدت قيمتها أقل من العادة؛ فكتب بالإنكار عليه والتهديد.

وفيها آستسقى أهل دمشق لقلة الغيث فسقوا بعد ذلك، ولله الحمد.

---

(١) المفاخر السنية في الأسانيد العلية القدسية، ص/٥٤

وفيها توفي خطيب دمشق شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباغ الفزاري الفقيه المقرىء النحوي المحدث الشافعي في شوال عن خمس وسبعين سنة.

وفيها توفي الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي الشافعي أحد الأئمة الأعلام والحفاظ والثقات. مولده في سنة ثلاث عشرة وستمائة بتونة وهي بلدة في بحيرة تنيس من عمل دمياط، وقيل في سنة عشر وستمائة؛ وآشتغل بدمياط وحفظ التنبيه في الفقه، وسمع بها وبالقاهرة من الحافظ عبد العظيم المنذري وأخذ عنه علم الحديث؛ وقرأ القرآن بالروايات، وبرع في عدة فنون وسمع من خلائق؛ آستوعبنا أسماء غالبهم في ترجمته في المنهل الصافي. ورحل إلى الحجاز ودمشق وحلب وحماة وبغداد، وحدث وسمع منه خلائق مثل اليوبيني والقونوي والمزي وأبي حيان والبرزالي والذهبي وابن سيد الناس وخلق سواهم؛ وصنف مصنفات كثيرة ذكرنا غالبها في المنهل الصافي، وله كتاب فضل الخيل، وقد سمعت أنا هذا الكتاب بقراءة الحافظ قطب الدين الخيضري في أربعة مجالس آخرها في سلخ شعبان سنة خمس وأربعين وثمانمائة بالقاهرة في منزل المسمع بحارة برجوان على الشيخ الإمام العلامة مؤرخ الديار المصرية تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي بسماعه جميعه على الشيخ ناصر الدين محمد بن علي بن الطبردار الحراوي بسماعه جميعه على الشيخ مؤلفه الحافظ شرف الدين الدمياطي صاحب الترجمة - رحمه الله - وكانت وفاته فجأة بالقاهرة: بعد أن صلى العصر غشي عليه في موضعه، فحمل إلى منزله فمات من ساعته في يوم الأحد خامس عشر ذي القعدة. ومن شعره:

روينا بإسناد عن آبن مغفل ... حديثا شهيرا صح من علة القدح

بأن رسول الله حين مسيره ... لثامنة وافته من ليلة الفتح

وفيها توفي الملك الأوحد، وقيل الزاهر، تقي الدين شادي آبن الملك الزاهر مجير الدين داود آبن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه الصغير ابن الأمير ناصر الدين محمد آبن الملك المنصور أسد الدين شيركوه الكبير آبن شادي بن مروان الأيوبي في ثالث صفر وهو يوم ذاك أحد أمراء دمشق.

وفيها توفي المسند أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الحراني الحنبلي. مولده بحران سنة ثماني عشرة وستمائة، وسمع من آبن روزبة والمؤتمن بن قميرة، وسمع بمصر من ابن الجميزي وغيره وتفرد بأشياء؛ وكان فيه دعابة ودين، وتلا بمكة ألف ختمة.." (١)

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٤٦/٢

"وتوفي الشيخ عز الدين أبو يعلى حمزة بن قطب الدين موسى بن ضياء الدين أحمد بن الحسين الدمشقي الحنبلي الشهير بابن شيخ السلامية بدمشق وقد جاوز ستين سنة. وكان - رحمه الله - إماما عالما فاضلا كتب على المنتقى. وتوفي الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن لؤلؤ الشهير بابن النقيب المصري الشافعي في يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان. وكان - رحمه الله - مفتنا في علوم، وله مصنفات ونظم حسن.

وتوفي الشيخ الإمام المحدث صلاح الدين عبد الله ابن المحدث شمس الدين محمد بن إبراهيم بن غنائم بن أحمد بن سعيد الصالحي الحنفي الشهير بابن المهندس - رحمه الله - بحلب عن نيف وسبعين سنة. وكان محدثا مسندا. سمع الكثير بمصر والشام والحجاز والعراق، وكتب وحدث، وحج غير مرة، وطاف البلاد ثم استوطن حلب إلى أن مات. رحمه الله.

وتوفي القاضي علاء الدين علي ابن القاضي محيي الدين يحيي بن فضل الله القرشي العمري كاتب السر الشريف بالديار المصرية بالقاهرة في ليلة الجمعة تاسع عشرين شهر رمضان عن سبع وخمسين سنة. وكان قبل موته نزل عن وظيفة كتابة السر لولده بدر الدين محمد فتم أمره من بعده. وكان القاضي علاء الدين - رحمه الله تعالى - إماما في فنه، كاتبا عاقلا. طالت أيامه في السعادة، حتى إنه باشر وظيفة كتابة السر نيفا وثلاثين سنة لأحد عشر سلطانا من بني قلاوون. استوعبنا ذلك كله في المنهل الصافي.

قلت: ولا أعلم أحدا ولي كتابة السر هذه المدة الطويلة من قبله ولا من بعده سوى العلامة القاضي كمال الدين محمد بن البارزي - رحمه الله - فإنه وليها أيضا نحوا من ثلاث وثلاثين سنة، على أنه عزل منها غير مرة وتعطل سنين، كما سيأتي ذكره في ترجمته إذا وصلنا إليه، إن شاء الله تعالى. وكان للقاضي علاء الدين - رحمه الله - نظم ونثر وترسل وإنشاء. ومن شعره: البسيط،

بان الحمى لم يمس من بعد بعدكم ... ولا تغنت به ورقاؤه طربا

يا جيرة خلفوني في ديارهم ... أجري الدموع على آثارهم سحبا

قد كان يحزنني واش يراقبني ... واليوم يحزنني أن ليس لي رقبا

وتوفي الأمير علاء الدين طيبغا بن عبد الله الناصري المعروف بالطويل نائب حلب بها في يوم السبت وقت الظهر سلخ شوال ودفن خارج باب المقام، قيل: إنه سم، لأنه كان أراد الخروج عن الطاعة، فعاجلته المنية. وقد تقدم ذكره مع خشداشه يلبغا العمري الخاصكي وما وقع له معه في ترجمة الملك الناصر حسن وكيفية خروجه من الديار المصرية والقبض عليه، فلا حاجة للإعادة ها هنا.

وتوفي الأتابك سيف الدين أسندمر بن عبد الله الناصري، صاحب الوقعة مع الملك الأشرف شعبان، محبوسا بثغر الإسكندرية في شهر رمضان. وقد تقدم أيضا ذكر واقعته مفصلا في ترجمة الملك الأشرف.

وتوفي الأمير سيف الدين قنق بن عبد الله العزي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية على هيئة عجيبة، نسأل الله تعالى **حسن الخاتمة** بمحمد وآله. وخبره أنه كان قد عصى مع أسندمر الناصري المقدم ذكره، ركب معه من جملة اليلبغاوية، فلما انكسرت اليلبغاوية ساق قنق هذا فرسه إلى بركة الحبش، ونزل بشاطئ البركة، وبقي يشرب الماء ويستف الرمل إلى أن مات، فانظر إلى هذا الجاهل وما فعل في نفسه.

وتوفي السلطان الملك المنصور أحمد ابن الملك الصالح ابن الملك المنصور غازي بن قرا أرسلان بن أرتق الأرتقي، صاحب ماردين بها وقد جاوز الستين سنة من العمر. وكانت مدة ملكه ثلاث سنين، وكان صاحب همة علية وحرمة سنية. رحمه الله تعالى.

وتوفي الشاب الفاضل تاج الدين محمد بن السكري، رحمه الله. وكان فاضلا عالما ودرس وبرع، رحمه الله. وفيه يقول ابن نباتة: السريع،

سألته في خده قبلة ... فقال قولا ليس بالمنكر

عليك بالصبر ومن ذا الذي ... ينفعه الصبر عن السكري

وتوفي الأمير علاء الدين ألطنبغا بن عبد الله البشتكي، نائب غزة وأستادار السلطان كان، في رابع عشر شعبان. وتوفي الأمير سيف الدين باكيش بن عبد الله اليلبغاوي الحاجب في صفر وكان من رؤوس الفتن وممن قام على أستاذه يلبغا.." (١)

"وتوفي القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن الزركشى أمين الحكم فجأة بالقاهرة في ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأول، واتهم أنه سم نفسه، حتى مات لمال بقي عليه فنسأل الله تعالى **حسن الخاتمة**.

وتوفي الأمير أحمد ابن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في جمادى الآخرة بمجلسه في قلعة الجبل بالحوش السلطاني.

وتوفي قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن التقي الحنبلي قاضي قضاة الحنابلة بدمشق بها في هذه السنة.

وتوفي الأمير شرف الدين موسى، المعروف بابن الفافا، أستدار الأمير أيتمش البجاسي، في تاسع شوال.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣/٢٢٠

وكانت لديه فضيلة وله ثروة عظيمة وحشم. وكان من رؤوس الظاهرية مذهبا. وأثنى عليه الشيخ تقي الدين المقريزي. رحمه الله.

وتوفي السيد الشريف هيازع بن هبة الله الحسني المدني أمير المدينة النبوية. مات وهو في السجن بثغر الإسكندرية في شهر ربيع الأول.

وتوفي الشيخ شرف الدين صدقة – ويدعى محمد – بن عمر بن محمد بن محمد العادلي، شيخ الفقراء القادرية بالفيوم في جمادى الآخرة. وكان دينا صالحا. أحرم مرة من القاهرة.

وتوفي علم الدين يحيى القبطي الأسلمي، ناظر الدولة، المعروف بكاتب ابن الديناري، في شهر ربيع الآخر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ستة أذرع سواء. مبلغ الزيادة عشرون ذراعا، وقيل: تسعة عشرة ذراعا وسبعة عشرة إصبعا.

السنة السادسة من سلطنة الظاهر برقوق الأولى

وهي سنة تسع وثمانين وسبعمائة.

وفيها توفي الأمير سيف الدين طينال بن عبد الله المارديني الناصري. كان أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، وصار في أيام الملك الناصر حسن أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية. ثم نفاه الناصر حسن إلى الشام، فأقام بها إلى أن طلبه الملك الأشرف شعبان وأعاده إلى تقدمة ألف بديار مصر مدة. ثم انتزعه منه وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه وجعله نائب قلعة الجبل، فدام على ذلك مدة سنين. ثم عزله وأخذ الطبلخاناه منه وأنعم عليه بإمرة عشرة، وترك طرخانا إلى أن مات في شهر رمضان وقد عمر.

وتوفي الأمير تاج الدين إسماعيل بن مازن الهواري أمير عرب هوارة ببلاد الصعيد في هذه السنة وترك أموالا جمة.

وتوفي الوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم المعروف بكاتب أرنان. كان أصله من نصارى مصر، وأسلم وخدم في ديوان الملك الظاهر برقوق في أيام إمرته، بعد أن باشر عند جماعة كبيرة من الأمراء. ولما تسلطن ولاه الوزارة على كره منه، وأحوال الدولة غير مستقيمة فلما وزر نفذ الأمور ومشى الأحوال، مع وفور الحرمة ونفوذ الكلمة، والتقلل في الملبس، بحيث إنه كان مثل أوساط الكتاب. ودخل الوزارة وليس للدولة حاصل من عين ولا غلة، وقد استأجر الأمراء النواحي بأجرة قليلة وكف أيدي الأمراء عن النواحي، وضبط المتحصل، وجدد مطابخ السكر، ومات والحاصل ألف ألف درهم فضة، وثلاثمائة وستون ألف إردب غلة، وستة وثلاثون ألف رأس من الغنم، ومائة ألف طائر من الإوز والدجاج، وألف قنطار من الزيت، وأربعمائة قنطار

ماء ورد، قيمة ذلك كله يوم ذاك خمسمائة ألف دينار هذا بعد قيامه بكلف الديوان تلك الأيام أحسن قيام.
وتوفي الحافظ صدر الدين سليمان بن يوسف بن مفلح الياسوفي الطوسي الحنفي الشافعي بقلعة دمشق قتيلا بها، بعد أن اعتقل بها مدة في محنة رمي بها. وكان من الفضلاء العلماء، عارفا بالفقه، إماما في الحديث والتفسير عفيفا عن أمور الدنيا.
وتوفي الأمير سيف الدين طقتمش بن عبد الله الحسني اليلبغاوي أحد أمراء الطبلخاناه في سابع شهر رجب. كان من أعيان مماليك الأتابك يلبغا العمري، وممن قام مع الملك الظاهر برقوق.
وتوفي الشيخ الزاهد الورع أمين الدين محمد بن محمد بن محمد الخوارزمي النسفي اليلبغاوي الحنفي المعروف بالخلواتي في سابع عشرين شعبان، خارج القاهرة. وكان ممن جمع بين العلم والعمل.." (١)

"وتوفي الأمير الكبير سيف الدين يشبك بن عبد الله السودوني، المعروف بالمشد، أتابك العساكر بالديار المصرية، في يوم الخميس ثالث شعبان؛ وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمني. وتولى الأتابكية من بعده الأمير إينال العلائي الناصري الدوادار الكبير. وكان أصل يشبك هذا من مماليك سودون الجلب نائب حلب، ومات عنه، فباعه الأمير يشبك الساقي الأعرج، وهو يوم ذاك نائب قلعة حلب، للأمير ططر، فأعتقه ططر وجعله من جملة مماليكه؛ فنازعه بعد مدة أيتمش الخضري، وهو يوم ذاك متحدث على أيتام الملك الناصر فرج، وطلبه منه فادعى ططر أنه اشتراه من يشبك الساقي الأعرج، وهو وصي سودون الجلب، فقال أيتمش: بيع يشبك له غير صحيح، لأن سودون الجلب انحصر إرثه في أولاده الملك الناصر، وأنا المتحدث على أولاد الملك الناصر، فاشتراه ططر ثانيا منه بمائة دينار.
ثم جعله ططر شاد شراب خاناته، حتى تسلطن، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وجعله شاد الشراب خاناه السلطانية، فدام على ذلك سنين، إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف برسباي بإمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر، ثم جعله حاجب الحجاب بعد قرقماس الشعباني بعد توجهه إلى نيابة حلب؛ ثم نقله الملك الظاهر جقمق في أوائل سلطنته إلى إمرة مجلس، بعد آقبغا، ثم إلى إمرة صلاح عوضا عن آقبغا التمرازي أيضا؛ ثم بعد أشهر خلع عليه باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية، بعد قدومه من بلاد الصعيد، عوضا عن آقبغا التمرازي أيضا بحكم انتقال آقبغا إلى نيابة دمشق بعد خروج إينال الجكمي عن الطاعة؛ كل ذلك في أشهر قليلة من سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة. فدام يشبك في الأتابكية سنين ونالته السعادة، وعظم وضخم في الدولة، إلى أن اعتراه مرض تمادى به سنين، ويقال إنه سم وحصل له ارتخاء في أعضائه، ثم عوفي قليلا،

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٩١/٣

وركب إلى الخدمة ثم نقض عليه ألمه، فمات منه بعد أيام يسيرة.

وكان عاقلا ساكنا حشما، إلا أنه كان عاريا من كل علم وفن، غير أنه كان يحسن رمي النشاب، على عيوب كانت في رميه. وكنت أظنه أولا دينا، إلى أن أخذ إقطاع الأتابك آقبغا التمرازي، وصار بيننا وبينه مستحق أيتام آقبغا في الإقطاع المذكور، فإذا به لا يحلل ولا يحرم، وعنده من الطمع وقلة الدين ما يقبح ذكره عن كائن من كان؛ هذا مع حدة زائدة وشراسة خلق وظلم زائد على حواشيه وخدمه، حتى إنه كان يضرب الواحد منهم نحو ألف عصاة على الذنب اليسير. ولم يكن له مهابة في النفوس، لكونه كان من مماليك سودون الجلب، وأيضا من قرب عهده بالفقر، وخدم الأمراء، مع من كان عاصره من أكابر الأمراء الظاهرية البرقوقية ممن كان أكبر من أستاذه سودون الجلب، وأعظم في النفوس – انتهى.

وتوفي الأمير سيف الدين قاني باي الجكمي، حاجب حجاب حلب، على هيئة نسأل الله تعالى **حسن الخاتمة**، في أواخر هذه السنة. وكان من خبر موته أنه سكر ونام في أيام الشتاء، وقد أوقد النار بين يديه على عادة الحلبيين وغيرهم، فعظم الدخان عليه وعلى مملوكه في البيت، وصارا من غلبة السكر لا يهتدي كل منهما إلى الخروج من باب الدار، من عظم الدخان وشدة السكر، فماتا على تلك الحالة؛ وكتب بذلك محضر وأرسل إلى السلطان لئلا يتوهم خلافه.

وكان أصل قاني باي هذا من مماليك الأمير جكم من عوض نائب حلب، ثم صار بعد موت الملك المؤيد شيخ خاصكيا. ودام على ذلك دهرا طويلا لا يلتفت إليه، إلى أن خلع عليه الملك الظاهر جقمق باستقراره في حجوبية حجاب حلب دفعة واحدة من الجندية؛ وعيب ذلك على الملك الظاهر لكون قاني باي المذكور لم يكن من أعيان الخاصكية، ولا من المشاهير بالشجاعة والإقدام، ولا من العقلاء العارفين بفنون الفروسية، بل كان مهملا مسرفا على نفسه عاريا من كل علم وفن ولم يدر أحد لأي معنى كان قدمه الملك الظاهر جقمق، فرحمه الله تعالى وسامحه على هذه الفعلة، فإنها عدت من غلطاته الفاحشة التي ليس لها وجه من الوجوه. قلت: وكما جاءته السعادة فجاءة جاءه الموت أيضا فجاءة، عفا الله عنه.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وخمسة عشر إصبعا. مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وتسعة أصابع.

السنة التاسعة من سلطنة الظاهر جقمق

وهي سنة خمسين وثمانمائة.." (١)

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٣٤/٤

"وقد خمس هذه الأبيات الفقيه صالح أحمد بن الفقيه محمد با جابر، وخمسها أيضا الشيخ محمد بن عبد اللطيف مخدوم زاده المذكور، وصدرها وعجزها أيضا صاحبنا الشيخ الصالح العلامة شهاب الدين أحمد بن العلامة علي بن محمد البسكري المكي المالكي المغربي تغمد الله برحمته، وكان والدي رحمه الله رأى في المنام قبل ولادتي بنحو نصف شهر جماعة من أولياء الله تعالى: منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، والشيخ أبو بكر العيدروس رضي الله عنه وغيرهما، وكان الشيخ عبد القادر يريد حاجة من الوالد فذلك هو الذي حمله على تسميتي بهذا الاسم، وكناني أيضا أبا بكر ولقبني محيي الدين، وتقرر عنده انه سيكون لي شأن، وكان قل ان يسلم له أحد من الاولاد بأرض الهند فما عاش له منهم غيري، وكان يحبني جدا وقال لي مرة: إذا وقع زمانك افعل ما شئت وكم لي منه من اشارات تضيق على بسطها العبارات والأولى الآن طي حكايتها والمرجو من الله عود ثمرتها وبركتها، وحكى بعض الثقات قال جاء بعض الوزراء الكبار إلى والدك يطلب منه الدعاء في أمر من الأمور وأنت إذا ذاك صغير جدا وكنت جالسا بين يديه فقرأت في الحال هذه الآية " واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب " فقال الشيخ لهم: يكفيكم هذا الفال هذا مثل الوحي قال: ثم قضيت تلك الحاجة باذن الله تعالى، وكانت أمي أم ولد هندية وهبتها بعض النساء من ارباب الخير وبيت الملك المشهورة بالصدقات الجليلة والهبات الجزيله والكرم والاحسان والفضل والامتنان لأبي رحمه الله واعطتها حينئذ جميع ما تحتاج إليه من أثاث البيت، وأخدمتها جملة من الجواري، وكانت تنظرها مثل ابنتها وتزورها في الشهر مرات، وكانت هي إذ ذاك بكرا ولم تلد له أحدا من الأولاد غيري، وكانت من الصالحات، على جانب عظيم من التواضع وسلامة الصدر وحسن الاخلاق وكثرة الانفاق، توفيت ضحى يوم الجمعة لعشرين خلت من شهر رمضان سنة عشر بعد الالف، وكان آخر كلامها لا أله إلا الله، وقبره بجوار سيدي الوالد خارج قبته الشريفة رحمها الله تعالى، وقرأت القرآن العظيم حتى ختمته على يد بعض أولياء الله تعالى وذلك في حياة الوالد تغشاة الله بالرحمة، واشتغلت بعد قراءة القرآن بتحصيل طرف من العلم، وقرأت عدة من المتون على جماعة من العلماء الأعلام وتصدت لنشر العلم ومزاحمة أهله وذلك بكرم الله وفصله والأخذ عن العلماء والاستفادة منهم، ومعرفة فضلهم وتعظيمهم مع التطفل معهم بالاقوال والتشبه بهم في الأفعال وتكسير سوادهم ورعي ودادهم وشاركت في كثير من الفنون وتفرغت لتحصيل العلوم النافعة لوجه الله تعالى وعملت الهمة في اقتناء الكتب المفيدة وبالغت في طلبها من اقطار البلاد البعيدة مع ما صار الي من كتب الوالد رحمه الله فاجتمع عندي منها جملة عديدة، ولما بلغني ان سيدي الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه قال: من حصل كتاب احياء علوم الدين

وجعله في أربعين جلدا ضمنت له على الله بالجنة فحصلته كذلك بهذه النية ولله الحمد، ووقفت لاستماع الأحاديث النبوية واشتغال الأوقات بها مع صدق النية، وطاعت كثيرا من الكتب باعانة الله تعالى، ووقفت على أشياء غريبة فيها وفيما تلقيته عن المشايخ الأفراد وفضلاء العصر الأمجاد وغيرهم من الثقات. فلم يفتني بحمد الله سبحانه اشارة صوفية، أو مسئلة علمية أو نكتة ادبية، ولكني مع ذلك اظهر التجاهل في ذلك لأن الكلام على اشارات التصوف ومقامات الصوفية لا ينبغي الشخص أن يصفها إلا إذا كان متحققا بها، ومع ذلك فلا يجوز له ان يتكلم فيها مع غير أهلها لانها مبنية على المواجيد والاذواق لا يطلع على بيان حقيقتها بالألسنة والأوراق. واما نكت الأدب فلا يحسن بعاقل أن يشتهر بمعرفة علمها. والله المسؤول ان يجعل ذلك مقربا اليه، وموجبا للزلفى عنده ولديه، وان يتم لنا كمال السعادة بان يرزقنا **حسن الخاتمة** عند الموت حتى نظفر بالحسنى وزيادة مع الدينا وأحبابنا ومشايخنا وأصحابنا وأخواننا وذرارينا انه أكرم مسؤول قريب مجيب وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب، ثم من الله علي بعد ذلك وله الحمد لا أحصى ثناء عليه بما لا كان لي قط في حساب فسبحان المتفضل المنعم المعطي الوهاب حتى سارت بمصنفاتي الرفاق، وقال بفضلي علماء الآفاق ورزقت محبة ارباب القلوب من اولياء الله تعالى وحظيت." (١)

" وفي يوم الثلاثاء خامس عشر شوال وصل ناصر الدين بك بن خليل بن قراجا بن دلغادر وجلس له السلطان في إيوان القصر الكبير جلوسا عاما وأمر الأمراء الكبراء بتلقيه فتلقوه ظاهر القاهرة ودخلوا به من البلد إلى أن أطلعوه القلعة فدخل ومعه أولاده فخدم وخلع عليه وأنزل في بيت نوروز وهو شيخ كبير يقال بلغ الثمانين وتغلب على لونه السمرة الشديدة وتقدم خبره في حوادث سنة ٧٢٧ ، وكان دخل القاهرة في دولة الملك الظاهر مرة قبلها ثم صاهره السلطان وتزوج ابنته وسافر بعده إلى بلاده بعد أن بولغ في إكرامه والإنعامات عليه

وورد الخبر بأن أبا الفضل ابن شيخنا زين الدين ابن حسين اغتيل فوجد لعبه قتله شريف من الرافضة وقيل : إن سبب ذلك أن الحسني كان له دين على القاتل فلما مات أوصى أبا الفضل فطالب أبو الفضل بمال محاجيزه فمطله فألح عليه فاغتاله وصار أهل المدينة في خوف شديد ولم يبق أحد يجسر أن يخرج من بيته سحرا وكان سليمان أمير المدينة غائبا وله نائب اسمه حيدر بن عزيز فخرج في جماعة لتحصيل القاتل وكان تسحب هو وجماعة من عشيرته فما ظفروا بأحد منهم – وكان ما سنذكره في السنة المقبلة

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص/١٦٧

وفي أواخر شوال مر صاحبنا القاضي محب الدين بن أبي الحسن البكري المصري نائب الحكم وكان قد سار مع الرجبية إلى مكة فرأى وهو يطوف بالبيت بعض الصناع من المرخمين يحاول قلع لوح رخام من الحجر وهو في غاية الثبات ليلصقه على كيفية أخرى فأنكر عليه فتوجه المذكور إلى شاد العمارة سودون المحمدي فذكر له ذلك فسال عنه فقيل له إنه نائب الحكم عن الشافعي فقال : لعل هذا هو الذي كاتب فينا فأمر بإحضاره فأهانه وضربه تحت رجليه عصيات ثم أراد أن يركبه حمارا ويطوف به فقيل له : إنه بريء مما اتهمته به وإنه كان حين ورود الكتاب مقيما بالقاهرة فندم على ذلك ولقيه في الطواف فاستحله ؛ وكان المحب المذكور قد امتلأ غيظا بما أصابه بغير جرم وكظم فما لبث إن حم واستمر موعوكا إلى أن قدم الحج فتوجه مع الركب المصري فمات بالينبع بعد أن رجع من زيارة المدينة النبوية – وقد ذكرت ذلك في ترجمته فيما سيأتي وختم له بخير ولعله مات شهيدا ؛ ورأت امرأة من أهل الصدق ليلة دفنه وهي مستيقظة على سطح كأن عمود نور أقبل من نحو المدينة إلى أن غاب في قبر المذكور فأيقظت زوجها وأخرى من أقاربها فشاهدوا ما شاهدت وأخبروا به وفيه ورد الخبر بأنه خرج على الحاج بعد أن انفصلوا من المدينة ريح حارة وأعقبها سموم أضعفت الأبدان وأهلكت الجمال ومات منها من بني آدم عدد كثير منهم القاضي محب الدين محمد بن أبي الحسن البكري نائب الحكم وكان عارفا بالأحكام متثبتا في القضايا وقورا عاقلا كثير الاحتمال مشاركا في الفقه ولم يشتغل في غيره وقد درس في المدرسة الخروبية بشاطئ النيل نحوا من عشر سنين وكان قد توجه إلى الحجاز في الرجبية فجاور ثم رجع وذكر لي من أثق به من أنه كان كثير الطواف وأنه واظب على خمسين أسبوعا في كل يوم وهو من قدماء معارفنا وأهل الاختصاص بنا – فالله يعظم أجرنا فيه ويبدلنا به خير منه وقد غبطته بما اتفق له من **حسن الخاتمة** بالحج والمجاورة وزيارة الحضرة الشريفة النبوية والموت عقب ذلك في الغربة وكانت وفاته بالينبع وصلى عليه هناك ودفن به وقد جاوز السبعين بسنتين

شهر ذي الحجة الحرام اختتام السنة أوله الثلاثاء بالرؤية – يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة بالرؤية فيه استقر نور الدين علي بن أحمد ابن آقبرس في نظر الأوقاف عوضا عن تقي الدين بن عبد الرحمن – ابن تاج الدين عد الوهاب ابن ناصر الدين – بن نصر الله ابن أخي الصاحب بدر الدين – وكان تقي الدين استقر فيها بعد صلاح الدين ابن عمه وكان عمه الصاحب بدر الدين إذ ذاك موعوكا فبلغه ذلك فشق عليه وشغله الضعف ثم توجه للعافية واستمر نور الدين في الوظيفة ." (١)

(١) انباء الغمر، ص/٦٧٢

"ولقد أقول لمعشر ودعتهم يوم ... الفراق ودمع عيني يسكب
لو كان لي حزم وعزم صادق ... لعرفت ما آتي وما أتجنب
لهفي على شرخ الشباب وعصره ... ولى ففارقنا الزمان المذهب
هل بعد شيب الرأس إلا رحلة ... عمن صحبناه ودار تخرب
والمرء يأمل أن يعيش مخلدا ... والعمر يذهب والمنية تقرب
فتغنموا الساعات إن سمعت بما ... ترجونه أو بض ما تتطلب
فلخير زادكم التقى لمعادكم ... يوم مهول وليس منه مهرب
ونقل من خط العليمي ما أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن تاج الأمناء بن عساكر، قراءة عليه بدمشق عنه قال: أنشدنا أبو علي الحسن بن طارق بن الحسن الحلبي من لفظه لنفسه بالموصل وكتبه لي بلفظه:
لما رأيت المشيب قد نزلا ... وأن شرخ الشباب قد رحلا
عاتبت نفسي وقلت ويك ... أما يكفيك أن المشيب قد نزلا
وقد مض دولة الشباب ... فهل آمل من بعده به بدلا
وقرأ بخط العليمي وأخبرنا به أبو عبد الله بن أحمد عنه قال: أنشدني أبو علي الحسن بن طارق بن الحسن المجهز لنفسه وكتبه لي بخطه:
لم أستر الشيب بالخضاب ... لأبتغي صبوة التصابي
ولا تزينت للغواني أستر ... عن مثلهن ما بي
لكن لبست السواد لما ... سلط شيبي على شبابي
قرأت بخط الشريف أبي الرضا فضل الله بن عبيد الله الحسيني الراوندي في ديوان شعره، وأنبأنا عنه أبو حفص عمر بن علي بن قشام الحبي قال: وكتب إلي الشيخ الأجل زكي الدين أبو علي الحسن بن طارق بن الحسن الحلبي أدام الله نعمته، وقد بعث إلي طبقا من الحلوى القاهرية وشيئا من السعترية:
قد أتى الصعتر يسعى ... خادما للقاهرية
هو من صحراء حمص ... وأراضي سلمية
وهي من أكرم أرض ... في البلاد الساحلية
صنعت من كل فن ... فهي حلواء هنية
وهي من أجمل شيء ... يتهادى في الهدية

والهدايا سنة قد ... سنها خير البرية

صلى الله عليه وآله وسلم فكتبت إليه:

مرحبا بالقاهرية ... خدمتها السعترية

بين هاضوم لطيف ... وحلاوات شهية

لزكي الدين فيها ... صنعة جد سوية

أصبحت تحكي حلاه ... وسجاياه الرضية

سيد بين جميع الن؟ ... اس جودا وحمية

حاطه الله إلهي ... من أذى كل بلية

قرأت بخط أبي المكارم محمد بن عبد الملك بن أحمد بن أبي جرادة الحلبي في جزء أحضره إلي رفيقنا أبو الفتح بن الصفار ذكر فيه جماعة من شيوخ حلب وأحوالهم ومواليدهم ووفاتهم فقرأت فيه بخط الشيخ أبو علي: الحسن بن طارق ابن الحسن رحل في التجارة وأقام بخراسان ثلاثين سنة أو أكثر من ذلك، وسمع شيئا من الحديث، مولده سنة أربع وسبعين وأربعمائة، وتوفي في عامنا هذا ليلة الاثنين الثالث عشر من المحرم سنة سبع وخمسين - يعني - وخمسمائة، والله سبحانه وتعالى المسؤول **حسن الخاتمة** وصلاح العاقبة، وإجزال الثواب والعفو والصفح عن الزلل والتوبة.

سمعت القاضي أبا محمد الحسن بن إبراهيم بن الخشاب يقول: أخبرني ابن اليحمولي أن سبب موت الحسن بن طارق أنه كان نائما فانتبه فوجد على صدره حية فمات.

؟ذكر من اسمه طاهر في آباء من اسمه الحسن الحسن بن طاهر بن الحسين: أبو علي الصوري الفقيه، فقيه من فقهاء الشيعة ومتكلميهم وله مصنف في مذهبهم وتصدر في حلب لإقراء الفقه والأصول، قرأ عليه أبو المكارم حمزة بن علي ابن زهرة الحسيني، ومحمد بن عبد الملك بن أبي جرادة الحلبيان.

الحسن بن طاهر بن يحيى:." (١)

"محمد بن محمد بن أحمد العيثاوي الدمشقي كان علامة فهامة في جميع العلوم أحد عن النجم وأخيه أبي الطيب الغزيين وعن الشيخ عبد الرحمن العمادي والشيخ رمضان العكاري والشيخ أحمد البهنسي والشيخ علي القبردي والمنلا حسن الكردي والمنلا أحمد بن حيدر الظهراني والسيد حسن الحجار ومن الواردين عن السري الدروري المصري والشيخ غرس الدين الخليلي المدني ومشايخه يزيدون على الثمانين

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٢/٤٣٧

وفاق أقرانه في الأخذ بأنواع الفنون ودرس وأفاد وانتفع به جماعة منهم السيد محمد بن حسن بن عجلان النقيب وكان كثير الثناء عليه وانتفاعه كان به وكان متصلبا في أمر الدين قوالا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم ومما اتفق له أنه دخل مرة على محافظ الشام في مصلحة متعلقة بالخانقاه السمساطية وطعامها فتشاغل الباشا عنه بأوراق فمسك الباش من طوقه وجذبه وقال له انظر في أمر هؤلاء الفقراء واقض مصلحتهم فالتفت إليه وقضى له ما جاء فيه ودخل مرة أخرى على حاكم آخر بسبب معاليم الجامع الأموي وكان سنان باشا المتولي عليه كتب بها دفترا وأراد قطع شيء منها فوجد الباشا ينظر في دفتر المتولي ويتأمله فجذبه أيضا من طوقه وقال له لا تلتفت إلى ما كتبه هذا الظالم وكان حاضرا في المجلس وانظر إلى عباد الله بنور الله فعمل على مراده وترك ما أراد المتولي وله من هذا القبيل أشياء أخر وله تحريرات على التفسير وغيره لكنها لم تجمع وذهبت وولي آخر أمره تدريس البخاري في الأشهر الثلاثة تحت قبة النسر بجامع بني أمية ودرس وكان يقرر تقريرا جيدا إلا أنه كان ضيق العبارة وكانت وفاته ليلة الخميس رابع شهر ربيع الأول سنة ثمانين وألف بداء الاستسقاء ودفن بتربة باب الصغير.

محمد بن محمد بن موسى بن علاء الدين أبو اليسر الملقب كمال الدين العسيلي القدسي ينتهي نسبه إلى الشيخ عبد الرحمن الصنابحي ذكره ابن قيم الجوزية في صفة الصفوة كان عالما محدثا حافظا لكتاب الله تعالى محبا للفقراء والصالحين محسنا إليهم أجازه جده الشيخ ابن قاضي الصلت الإمام بالمسجد الأقصى بحديث الأولية وكان عمره إذ ذاك اثنتي عشرة سنة ورحل إلى مصر في سنة خمس وخمسين وألف هو وأخوه يوسف وأخذ بها الحديث عن المعمر الشيخ إسماعيل بن ماضي بن يونس بن إسماعيل ابن خطاب السنجيدي الشافعي خطيب جامع الحاكم وله إجازات جمة من علماء الأزهر منهم الشيخ عبد الرحمن اليمني أجازه في القرآت السبع ومنهم البرهان اللقاني والشيخ إبراهيم البيجوري شيخ القراء بمقام الإمام الشافعي وكان مواظبا لزيارته في كل ليلة سبت والقراءة معه في المقرأ الكبير وولي الإمامة بالمسجد الأقصى وحج ثلاث مرات وأخذ بمكة عن ابن علان الصديقي واجتمع القطب الغوث بمكة في المرة الثالثة ودعا له **بحسن الخاتمة** فجاء من الحج في تلك السنة وهي سنة سبع وثمانين وألف متوعكا وتوفي في شهر ربيع الأول من تلك السنة.

محمد ميرزا بن محمد المعروف بالسروجي الدمشقي الميداني كان في ابتداء أمره وهو بدمشق يشتغل السروج ويبيعها ثم طلب العلم وأخذ عن الشمس الميداني والنجم الغزي وعن أبي العباس المقري وأجازه بجميع مؤلفاته ومروياته وأخذ عن العارف بالله تعالى المحقق الصوفي عبد الله الرومي البوسنوي شارح

الفصوص الشهير بعبدي رحمه الله ورحل إلى الحرمين وأخذ بمكة عن الشيخ الولي الكامل تاج الدين النقشبندي قدس الله روحه ونور ضريحه وأخذ بالمدينة المنورة عن الشيخ غرس الدين الخليلي وجاور بالمدينة نحو أربعين سنة وكان يحج غالب السنين وكان تقيا ورعا زاهدا في الدنيا ورياستها ملازما للعبادة والذكر كثير المطالعة لكتب القوم خبيرا باصطلاحاتهم محققا لكتب الحقائق لا سيما كتب الشيخ الأكبر قدس الله سره العزيز وكان يحل المشكلات التي يستشكلها غالب الناس وأقام بمكة سنين قال الشلي وأخذت عنه وصحبته مدة مجاورته وكان حسن الأخلاق متواضعا مشتغلا بما يعنيه وكانت وفاته بمكة في سنة ثمان وثمانين وألف ودفن بالمعلاة.." (١)

"٦٧- شيخنا العلامة عمدة الطالبين وقدوة الصالحين الشيخ حمود الحسين الشغدلي ولد سنة ١٢٩٥هـ وقرأ القرأن على المقرئ الشيخ مبارك بن عواد وأخذ الفقه والفرائض والنحو على الشيخ صالح السالم وكان من أكابر من تخرج عليه علما وعملا وأخذ عن الشيخ عثمان بن عبد الكريم العبيدا وأخذ النحو أيضا عن الشيخ حمد بن فارس وأخذ التوحيد والعقائد عن الشيخ الإمام عبد الله بن عبد اللطيف رحل إليهما سنة ١٣٢٦هـ واجتهد وحصل حتى صار من أكابر العلماء وفحولهم كان صالحا محبا لطلبة العلم رحيما رقيقا بهم عطوفا على الفقير والمسكين شجاعا في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قويا في دين الله لا تلين له شكيمة في ذلك كانت له مجالس للتدريس حضرت بعضها فقرأت عليه أوائل أعمدة الفقه ومتن الزاد وكان يقرر أقوال الفقهاء فتتعجب من فصاحته وإيراده للأدلة بأسلوب واضح يفهمه جميع الطلبة ويحفظون أقواله بدون عناء أخذ عنه العلم جماعة من العلماء منهم الشيخ على الصالح السالم والشيخ عبد الكريم الصالح السالم والشيخ عبد العزيز العريفي والشيخ محمد الخلف العبد الله والشيخ إبراهيم الحماد والشيخ عبد الله الشلاش والشيخ عبد الرحمن العبد الله الملق والشيخ محمد المشاري وأخذ عنه أكثر الموجودين من طلبة العلم بحائل. كان كثير البركة على الطالب لحسن نيته وكان غالب من يحسنون العربية والفرائض من تلك البلاد من تلاميذه وكان ينوب في القضاء الشيخ عبد الله بن بليهد أيام غياب الأخير ثم استقل به من سنة ١٣٦٢هـ إلى عام ١٣٧٨هـ حيث طلب العافية فأجيب إلى طلبه وهو الآن في التسعين نسأل الله لنا وله **حسن الخاتمة.**

* * *." (٢)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٣/٥١

(٢) زهر الخمائل في تراجم علماء حائل، ص/٣٠

"٧٢- الشيخ عبد الله بن عيسى الدقلي ولد سنة ١٣٠٦هـ ونشأ في أول أمره شابا قويا يحب المغازي والأسفار ثم حببت إليه القراءة وطلب العلم فقرأ على الشيخ صالح السالم في الحديث والفقه والنحو والفرائض كما قرأ على الشيخ حمود النحو والفرائض وقرأ على الشيخ عبد الله بن بليهد تاريخ بن جرير بحائل ثم سافر إلى مدينة بريده فقرأ على الشيخ عمر بن محمد بن سليم وبالجملة فقد اجتهد حتى حصل وعد من العلماء وما زال حتى الآن يحب الفائدة ويقبلها ولو من أصغر منه وهذه الخصلة لا ريب أنها من صفات العلماء العاملين المتواضعين وكان يحب العافية في جميع أحواله لا يتكلم بمجلس وفيه من هو أكبر منه سنا وعلما تولى مطوعية السويد ثم صار إماما وخطيبا لأهل جبة القرية المعروفة شمالا غربا عن حائل مسافة تسع ساعات للماشي.

* * *

٧٣- الشيخ ناصر بن حمد الدرسوني ولد سنة ١٣٠٧هـ تقريبا وقرأ القرأن على الشيخ يعقوب بن محمد وأخذ العلم عن الشيخ صالح السالم واجتهد حتى صار من علمائنا الفضلاء تولى إمامة ومطوعية الحفير والهجرة المعرفة تبعد عن حائل مسافة يوم للماشي غربا عن حائل خلف جبل أجا تولى ذلك من سنة ١٣٤٢هـ إلى اليوم كان ورعا متدينا زاهدا له آثار حسنة على أهالي تلك البلاد محبوبا لديهم يعظمونه ويجلونه حتى أنه إذا زار إخوانه بحائل يأتونا في أثره يطلبون عودته إليهم وأحيانا يبعثون خلفه مباشرة لئلا يتأخر عليهم لا يزال بحمد الله يتمتع بعافية وصحة جيدة نسأل الله لنا وله **حسن الخاتمة**.

* * *

٧٤- عبد الرحمن بن إبراهيم المشاري ولد بحائل سنة ١٣١٠هـ وقرأ وتعلم على علمائها وكان حافظا ومجودا يقرأ بتأمل وتدبر لتلاوته تأثير على السامع تولى إمامة مسجد لبدة الشمالي مدة طويلة إلى الآن وهو كذلك.

* * *." (١)

"وفي سنة اثنتين وثلاثين أمر المستنصر بضرب الدراهم الفضية؛ ليعامل بها بدلا عن قراضة الذهب، فجلس الوزير وأحضر الولاة والتجار والصيارفة، وفرشت الأنطاع وأفرغ عليها الدراهم، وقال الوزير: قد رسم

(١) زهر الخمائل في تراجم علماء حائل، ص/٣٣

مولانا أمير المؤمنين بمعاملتكم بهذه الدراهم عوضا عن قراضة الذهب؛ رفقا بكم، وإنقاذا لكم من التعامل بالحرام، ومن الصرف الربوي، فأعلنوا الدعاء له، ثم أديرت وسعرت كل عشرة دراهم بدينار، فقال أبو المعالي، القاسم بن أبي الحويل في ذلك أبياتا: من الخفيف:

لا عدمنا جميل رأيك فينا ... أنت باعدتنا عن التطفيف

ورسمت اللجين حتى ألفنا ... ه وما كان قبل بالمألوف

ليس للجمع كان منعك للصر ... ف ولكن للعدل والتعريف

قلت: تأمل بيته الأخير؛ فما ألطفه! ومن مناقبه أن الوجيه القيرواني امتدحه بقصيدة يقول فيها: من الكامل:

لو كنت في يوم السقيفة حاضرا ... كنت المقدم والإمام الأورعا

فقال له قائل بحضرته: أخطأت؛ قد كان حاضرا العباس جد أمير المؤمنين، ولم يكن المقدم إلا أبو بكر، فأقر ذلك المستنصر وخلع على القائل، ثم أمر بنفي الوجيه فخرج إلى مصر، كذا قاله الذهبي. قلت: العباس - رضي تعالى عنه - لم يحضر السقيفة؛ فالرد مردود، على أن قول الشاعر: حاضر لا يلزم منه حضوره عند السقيفة حتى يرد ما قاله هذا القائل؛ بل مراده: حضوره، أي: وجوده في ذلك الزمن، يعني زمن اجتماعهم في السقيفة، لا حضور نفس الاجتماع فيها.

وكانت مدارس بغداد يضرب بها المثل في ارتفاع العماد، وإتقان المهاد، وطيب الماء، ولطف الهواء، ورفاهية الطلاب، وسعة الطعام والشراب.

وأول مدرسة بنيت في الدنيا مدرسة نظام الملك؛ فلما سمع علماء ما وراء النهر هذا الخبر اتخذوا ذلك العام مأتما، وحزنوا على سقوط حرمة العلم، فقالوا حين سئلوا عن ذلك: إن للعلم ملكة شريفة لا تطلبها إلا النفوس الشريفة، بجانب الشرف الذاتي، فلما جعلت عليه الأجور تطلبته النفوس الرذلة؛ لتجعله مكسبا وسلما لحطام الدنيا، لا لتحصيل شرف العلم؛ بل لتحصيل المناصب الدنيوية الأسفلية الفانية، فيرذل العلم لرذالتهم، ولا يشرفون بشرفه. ألا ترى إلى علم الطب؛ فإنه مع كونه شريفا لما تعاطاه اليهود والنصارى رذل برذالتهم، ولم يشرفوا بشرفه، وهذا حال طلبة العلم في هذا الزمان الفاسد، كذا في الأعلام. قلت: قد كان هذا قبل، وأما اليوم فلا طلب ولا مطلوب، ولا رغبة ولا مرغوب، نسأل الله اللطف **وحسن الخاتمة.**

ومن جملة خدام المستنصر بالله الأمير شرف الدين، وإقبال الشرابي المستنصري.

وفي سنة ست وثلاثين وستمائة وقع باليمن مطر عظيم عمه جميعا، وكان فيه برد عظيم قتل من الدواب والوحوش شيئا كثيرا، ونزلت فيه بردة كالجبل الصغير لها شناخيب، يزيد كل واحد منها على ثلاثة أذرع،

وقعت في مفازة من بلاد سنحان وزراحة، وذلك بمرحلتين بمسير الجمال عن صنعاء فغاب في الأرض أكثرها، وكانت يدور حولها عشرون رجلا فلا يرى بعضهم بعضا. وبشاذروان الكعبة الشريفة في وسط مصلى جبريل عليه الصلاة والسلام، وهي الحفيرة المسماة الآن بالمعجنة، حجر من الرخام الأزرق ومنقور فيه بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بعمارة هذا مطاف الشريف – وذكر اسمه – وذلك في سنة إحدى وثلاثين وستمائة. وصلى الله على سيدنا محمد وآله انتهى. وهذا الحجر باقي إلى يومنا.

ثم توفي المستنصر لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة، وكانت خلافته ست عشرة سنة وعشرة أشهر، وعمره اثنتان وخمسون سنة وأربعة أشهر، رحمه الله تعالى.

خلافة المستعصم بالله

أبي أحمد، عبد الله بن المستنصر بالله، منصور بن الظاهر بأمر الله، محمد بن الناصر لدين الله، أحمد. هو آخر الخلفاء العباسيين بالعراق. أمه أم ولد حبشية اسمها هاجر.." (١)

"فلما بلغ السلطان ذلك تغير خاطره على محمد بن أحمد وعلى عمه كبيش بن عجلان، وولى إمرة مكة للسيد عنان بن مغامس، وكتم ذلك عن الناس، وخادع محمد بن أحمد وعمه كبيش بن عجلان بإرسال الخلع والمراسيم وزينت مكة، فلما تجهز الحاج خرجوا معهم بالسيد عنان بن مغامس كآحاد الناس لا يلتفت إليه إذا حضر كل ذلك لما أضمروه، فلما وصل الحاج إلى الزاهر بعثت أم محمد الشريفة فاطمة بنت ثقبة إلى أمير الحاج شركس الخليلي أمير آخور بعد أن أهدت إليه هدايا تسأله عن حال ابنها محمد وعنان فذكر لها أنه لا يعلم على ابنها سوءا وربما حلف لها على ذلك، فانشرح لذلك خاطرها وحسنت لابنها الإقدام على ملاقاة المحمل المصري، وما زالت به حتى وافقها فخرج في عسكره إلى لقائه على العادة هو وعمه كبيش، فلما أراد أن يقبل الجمل – على ما كان يفعله الشراكسة من الجهل – وثب إليه اثنان من الزعر من المحمل كل واحد بيده خنجر طعناه فمات من حينه، فعوجل بالعقوبة في هذه المدة اليسيرة إذ قد تقدم أن مدة ولايته مستقلا مائة يوم، نسأل الله حسن الخاتمة ونعوذ به من سوء القضاء.

وفر عمه كبيش إلى جده فتبعوه فلم يحصلوه، وألبسوا الشريف عنان بن مغامس الخلعة، ودخلوا به مكة فوليها عنان بن مغامس، فلما وصلوا إلى أجياد تلقاهم بعض أصحاب الشريف محمد من العبيد والقواد، فتقاتلوا معهم فلم يلبثوا أن ولوا هربا.

وحج بالناس الشريف عنان والناس في غاية الاضطراب والخوف.

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/٢٤٨

ثم لما عزم الحاج أرسل عنان إلى كبيش عسكرا ليخرجه من جدة ففر منها.
وسامح الشريف عنان الشيبيين فترك ما كان تأخذه الأشراف منهم بالقوة وهو خمسة آلاف درهم في كل عام وجانب من الكسوة مع البرقع وثوب مقام الخليل.
وجرى بينه وبين كبيش فتن وجموع، ولم تصف البلاد له بحيث إنه عجز عن إقامة الجند والأشراف، فأخذ حاصل السلطان وما فيه، ونهب جدة وأموال التجار والمراكب غير مرة.
ثم إن كبيش المذكور عاد إلى جدة وحده، فنهبها وعاث عبيده في الطرقات، فخشي عنان من كثرتهم، وأشرك معه في الإمرة ابني عمه أحمد بن ثقبة، وعقيل بن مبارك ثم أخاه علي بن مبارك ثم دعا لهم معه على المنبر وزمزم، وظن بذلك أن يقوي أمره، ولم يساعده القدر فبلغت أحواله إلى السلطان برقوق بمصر، فعزل عنان في رجب سنة تسع وثمانين وسبعمائة ثم ولى عوضه علي بن عجلان.
فوليها علي بن عجلان في السنة المذكورة بعد عزل عنان حنقا عليه لما اتفق في ولايته من استيلاء كبيش، وجماعة عجلان وابنه أحمد ومن انضم إليهما وعجز عنان عن دفعهم عن الاستيلاء على جدة، فوصل النجاب إلى عنان ليسلم مكة لعلي بن عجلان، وجماعته في النصف الثاني من شعبان من السنة المذكورة، فأقبل علي بن عجلان في جموع متقدما فمنعهم عنان وأصحابه من دخول مكة، وامتنع هو وجماعته من آل أبي نمي من تسليم مكة لآل عجلان، فتحارب الفريقان بالقرب من ثنية أذاخر في التاسع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة فقتل كبيش بن عجلان، وطائفة من عسكر علي بن عجلان.
فتم النصر لعنان ورجع علي ومن معهم إلى محلهم وهو القصر من وادي مر وذلك في سلخ شعبان من السنة المذكورة.
وفي شهر رمضان توجه علي إلى مصر، فأقبل عليه السلطان، وولاه إمرة مكة فأقبل صحبة الحاج المصري في ظل من ولاه.
واستمر عنان بعد خروج علي إلى القصر، ومن معه مقيما لم يبرح حتى فارقها هو ومن معه عند وصول الحاج المصري إليها وصحبته علي بن عجلان المذكور، فخرج عنان ومن معه وقصدوا الزيمة، فدخلها علي وقرئ توقيعه على مقام الحنابلة، وحج بالناس، وعنان مقيم بالزيمة بوادي نخلة اليمانية وكان أصحابه سبقوه إليها، فقصدهم علي بن عجلان في طائفة من الترك فوجدوهم محاربين لقافلة بجيلة فلما أحسوا بهم هربوا وقتل أصحاب علي بن عجلان منهم مبارك بن عبد الكريم من الأشراف وابن شكران من أتباعهم، وعادوا

إلى مكة ومعهم من خيل الأشراف خمس، ومن دروعهم ثلاثة عشر درعا ووصلت قافلة بجيلة إلى مكة فانتفع الناس بها، وعادوا إلى مكة عشري ذي الحجة الحرام.." (١)

"وأما سؤالك نفسك عوضا عن الملكين فهو صحيح فإن السؤال حقيقة إنما ثمرته، وفائدته للملكين لا لك لأنك لم تزدد بسؤالهما علما عما كنت عليه، وكان رضي الله عنه يقول لا يخرج أحد من الدنيا حتى يكشف له عن حقيقة ما هو عليه، ويتساوى مع أهل الكشف إنما هو تقديم، وتأخير ثم قال رضي الله عنه، وأما نحن فلا كشف لنا محسوس، ولا حس معقول، ولا عقل، ولا نقل، ولا وصف إلا العقل الملازم لنا في رتبة الإيمان العاري عن الدليل بالمدلول. وسأله أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى، وأنا حاضر فقال؛ له إذا كان العبد على يقين من الأمان من سوء الخاتمة هل عليه ضرر فقال رضي الله عنه الخوف من لازم كل مقرب لأن غاية يقينه لا يتعدى نفسه، ولا يمكنه العلم بتعيين الحق تعالى فيما يحكم فيه فإذا ما علم إلا حال نفسه في ذلك الوقت فقط دون ما قبله، وما بعده وعلم الوقت ضرورة يذهب بذهابه، ولا تقييد على الحق تعالى فيما يفعل بل، ولو كلمك تعالى، وأقسم بنفسه على ذاته أنك سعيد فلا تأمنه فإنه واسع عليم "كل يوم هو في شأن " " الرحمن: ٢٩ " ولولا الأدب لقلنا كل نفس له شئون إن كنت قلته فقد علمته وهو على كل شيء رقيب. وسأله أخي أفضل الدين رحمه الله مرة عن التوحيد فقال: الشيخ رضي الله عنه هو عدم فقال له أخي المذكور بل هو وجود فقال وجود فقال له فإذا العدم وجود، والوجود عدم فقال رضي الله عنه نعم فقال له أخي المذكور فانعدم العدم لأنه عدم، والعدم لا كلام فيه، ولم يبق إلا الوجود كما كان، وهو الآن على ما عليه كان فقال: رضي الله عنه نعم " إنا لله وإنا إليه راجعون " " البقرة: ١٥٦ " فهو تعالى الموحد نفسه بنفسه لنفسه حقيقة، والخلق لهم الإيمان، والتصديق لا غير. وسأله أيضا، وأنا حاضر عن الاسم، والرسم هل هما حرفان أو حرف، ومعنى؟ فقال رضي الله عنه المعنى لا يقوم إلا بالحرف، والحرف قائم بنفسه فهو غني عن المعنى كما أشار إليه قوله تعالى: " يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد " فاسم الله الأول هو المعنى، واسم الثاني هو الحرف لأنه قال فيه " وهو الغني الحميد " ثم قال رضي الله عنه، ولا أعلم الآن أحدا في مصر يعلم هذا العلم غير قائله فالحمد لله على كل حال، وسمعته رضي الله عنه يقول إذا صادمكم أحد من أرباب الأحوال من أصحاب النوبة فلا تستعينوا عليه إلا بالله تعالى أو برسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم يرجعون عنكم إجلالا لله تعالى، ولرسوله صلى الله عليه وسلم، والزموا الأدب معهم ظاهرا، وباطنا، ولا تخرجوا قط من سور بلدكم إلى حاجة

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/٤١٣

حتى تستأذنوهم بقلوبكم فإنهم يحبون من يراعي الأدب معهم، وربما صدموا من خرج غافلا عن مراعاتهم فيحصل له الخراب في باطنه حتى يكاد أن يهلك لا يهتدي أحد من الأطباء إلى دوائه كما جربنا لك. وسمعته رضي الله عنه يقول لأخي أفضل الدين رحمه الله تعالى إياك أن ترق لمن أفقره الله تعالى من الدنيا بعد غناه فتعطيه أكثر من قوت يومه فإن الله تعالى ما أفقره إلا لحكمة بالغة، وربما عاقبك الحق تعالى بنظير ذلك كما نقلت بنفسك ما أراد الله تعالى لذلك العبد فتقلق فإنه لا يثبت مع الحق إذا نقله مما يحبه، ويرضاه إلى ما يحبه تعالى، ويرضاه إلا الكاملون المكملون ثم إنه تعالى إذا عفا عنك، ولم يعاقبك بنظير ما فعل بذلك العبد فلا تعلم أنه استدراج أم لا فإن كان استدراجا هلكت مع الهالكين، والغالب أنه استدراج لأنه تعالى حذرك من ذلك، وما حذرك إلا من موجود تقع فيه " وما يعقلها إلا العاقلون " " العنكبوت: ٤٣ " .." (١)

"أحمد بن داود بن سليمان بن صلاح بن إسماعيل الشهاب البيجوري ثم القاهري الأزهري الشافعي. ولد بالبيجور سنة خمس وأربعين وثمانمائة وقدم القاهرة فحفظ القرآن والمنهاجين والألفيتين ويقول العبد وعرض على خلق ولازم الاشتغال عند الشرف عبد الحق السنباطي وأخي أبي بكر في التقسيم وغيره بحيث كان جل انتفاعه بهما، وكذا أكثر من الحضور عند الجوهري والزين السنتاوي والطنتدائي الضرير وقرأ على الشرف موسى البرمكيني وعلى الزين زكريا يسيرا وربما حضر عند العبادي ثم الشهاب العمري والبدر المارداني والشهاب أحمد بن عبد الله المنهلي، وطلب الحديث وأكثر عن بقايا الشيوخ سماعا وإجازة وحصل بعض مسموعه وكان يراجعني في كثير من الأسانيد مع قراءة البخاري وغيره علي وتحصيل جانب من شرح الألفية وقراءة بعضه وربما استملى علي وضبط الأسماء في بعض السنن على المنشاوي بحضرة الخيضري وكذا قرأ على الديمي والسنباطي وآخرين، وحج وتنزل في الصلاحية والبيبرسية وغيرهما وأقرأ ولد العبسي وقتا وتكسب بالشهادة وشارك في الفقه ونحوه وأذن له الجوجري في الإقراء من سنة ست وثمانين والشرف عبد الحق فيه وفي الإفتاء وكذا إجازة المارداني والعميري والمنهلي والسنتاوي والخيضري وغيرهم وكتبت له: وقفت على هذه الأجايز الصادرة ممن صيرهم الله تعالى يشار إليهم بالتدريس والإفادة وأحكام التأسيس والإرادة نفع الله بهم ورفع بالعلم من تمسك بسببهم وعولت على ما أبدوه ومشيت فيما اعتمدوه ورأوه وقلت إن المجاز نفع الله به غير متأخر عن هذه المرتبة لاجتهاده في العلم واعتداله فيما تحمله وكتبه بحيث أنه لازمني رواية ودراية وساومني فيما ارتفع له بين أهل الحديث راية بل قرأ وسمع الكثير وصار المرجع في

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/٤٠٠

معرفة من صار يذكر في هذه الأزمان بالإسناد والتذكير لأنه حصل من ذلك جملة وتفضل على القاصرين بما فضله منه وأجمله كل ذلك مع سلوك الاعتدال واشتهاره بتجنب الطريق المصاحبة للاعتلال بل جلس للتدريس سنين متعددة وأزال عن الطلاب ما كان لديهم فيه الإشكال والتلبيس وبعده وكان يحضر في ختومه الأعيان من الفضلاء والشبان وذكر باستحضار الفقه والمشاركة في غيره ثم لم يزل في ارتقاء في عمله وخيره وكنت ممن سبق مني الأذن له في ذلك وتحقق مني المشي في هذه المسالك رزقني الله وإياه الإخلاص بالقول والعمل ووفقني لما يكون وسيلة **لحسن الخاتمة** عند الأجل. وحج في سنة ست وتسعين في البحر وجاور بقية السنة وجلس بباب السلام بل أقرأ وعاد مع الركب فمات بالمويلحة في المحرم سنة سبع وتسعين وتأسفنا عليه فنعم الرجل كان.

أحمد بن داود بن محمد شهاب الدين الدلاصي. شاهد الطرحي كان من الأعيان المعتبرين بالقاهرة. مات في ربيع الأول سنة اثنتين. قاله شيخنا في أنبائه، وطول المقريزي في عقوده ترجمته وأنه باشر عند جماعة من الأمراء في دواوينهم وناب عنه في الحسبة وسكن في ذلك وأنه زاد على الستين وكان له به أنس، ثم ساق عنه حكاية اتفقت للظاهر برقوق حين كان في سجن الكرك.

أحمد بن دريب بن خلد الشهاب أبو الغواير بن قطب الدين الحسني صاحب جازان وابن صاحبها. حاصره السيد محمد بن بركات في سنة اثنتين وثمانين كما في الحوادث.

أحمد بن دلامة الخواجا الشهاب البصري ثم الدمشقي. أنشأ مدرسة بصالحية دمشق، ومات في ثامن عشر المحرم سنة ثلاث وخمسين فدفن بعد العصر من يومها رحمه الله.." (١)

"٣٨٨ – محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله ناصر الدين الحلبي الأصل القاهري الحنفي ويعرف بلقبه. مات وقد جاز الأربعين في ذي القعدة سنة أربع وسبعين وصلي عليه ثم دفن تجاه الروضة خارج باب النصر، وكان فاضلا بارعا مفنناص متقنا ميدما للاشتغال والأشغال مع الديانة التامة والسكون وعدم التكثر بفضائله والإقبال على شأنه والازدياد من المحاسن بحيث قل أن يكون في أقرانه نظريه. ومن شيوخه الأمين الأقصرائي والشمني والحصني والكافياجي والعز عبد السلام البغدادي والشرواني والكريمي بل وسمع الحديث على الشريف النسابة والنور البارنباري وأم هانئ الهورينية وحضر عندي بعض مجالس الإملاء رحمه الله وعوضه الجنة.

٣٨٩ – محمد بن علي بن أحمد بن عبد المجيب الماضي أبوه. خلفه في المقام الأحمدي بطنتدا وهو

---

(١) الضوء اللامع، ١/١٩١

صغير جدا حتى مات في سنة اثنتين وأربعين.

٣٩٠ – محمد بن علي بن أحمد بن عبد المنعم بن عبد الرحيم بن يحيى بن الحسن بن موسى بن يحيى بن يعقوب بن نجم بن عيسى بن شعبان بن عيسى بن داود بن محمد بن نوح بن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر المحب بن النور ابي الحسن البكري المصري الشافعي ويعرف بابن أبي الحسن. ولد كما قال في سنة إحدى أو اثنتين وسبعين وسبعمائة بدهروط ونقله أبوه إلى مصر فقرأ بها القرآن ثم حفظ العمدة والتبريزي والحاوي والملحة، وعرض على جماعة وبحث الحاوي على الشمس بن القطان والي الحضانة محمد على البدر الطندي وبعضه على السراج البلقيني والتريزي أو بعضه على النور البكري وسمع بعض دروس النحو على ابن القطان وسمع على ابن رزين والزفتاوي أماكن من الصحيح وعلى النجم البالسي الترغيب للأصفهاني وعلى ناصر الدين بن الفرات الشفا؛ وحدث سمع منه الفضلاء، وحج سنة عشرين ثم سنة سبع وثلاثين ثم في سنة اثنتين وأربعين، وسافر إلى دمياط واسكندرية وقوص، وناب في القضاء من ذي القعدة سنة ست عن الشمس الأخنائي فمن بعده وحصلت له بحة قوية بعد سنة خمس وثلاثين لم يكد يسمع معها صوته. مات في آخر ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين بالينبوع وهو راجع من الحج وصلي عليه هناك ثم دفن فيه وقد جاز السبعين بسنتين، أرخه شيخنا في حوادث إنبائه وقال: كان عارفا بالأحكام متثبتا في القضايا وقورا عاقلا كثير الاحتمال مشاركا في الفقه لم يشتغل في غيره درس بالبدرية الخروبية بشاطئ النيل نحوا من عشر سنين وتوجه إلى الحجاز في الرجبية فجاور ثم رجع، وذكر لي من أثق به أنه كان كثير الطواف يواظب على خمسين أسبوعا في كل يوم؛ قال وهو من قدماء معارفنا وأهل الاختصاص بنا فالله يعظم أجرنا فيه ويبدلنا به خيرا منه، قال: وقد غبطته بما اتفق له من **حسن الخاتمة** بالحج والاعتمار والمجاورة وزيارة الحضرة الشريفة النبوية والموت عقب ذلك في الغربة رحمه الله وإيانا. قلت: وقول البقاعي إنه من قضاة السوء على ما نقلوا قاله لغرض على جاري عوائده وإلا فقد علمت بطلانه.." (١)

"٦٠٤ – مراد بك بن أبي الفتح محمد بن با يزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان الملقب غياث الدين كرشجي ومعناه الوتري – نسبة للوتر لكون أبيه مازحه يوما قائلا له ما حالك مع إخوتك بعدي فقال أخنقهم بالوتر فضحك وأعجبه وقال له عافية كرشجي فتم عليه – ابن يلدرم با يزيد بن مراد بك أرخان بن علي أردن بن أرخان بن عثمان بن سليمان بن عثمان جق صاحب بلاد جميع الأوجات والبلاد التي ما وراء بحر الروم من المضيق بأسرها ومن ذلك بر إصطنبول بأسره وبر صاوبولي وأدرنة وهي كرسيه الذين يقيم به،

---

(١) الضوء اللامع، ١٦٨/٤

ووالد محمد الماضي ويقال لكل من ملوكهم خوندكار ويعرف بابن عثمان. ولد في حدود عشر وثمانمائة وملك بعد أبيه في سنة أربع وعشرين وطالت أيامه وعظم وضخم ونالته السعادة وصار من عظماء ملوك الروم وأهلك الله على يديه ملكا عظيما من ملوك بني الأصفر كما أرخته في سنة ثمان وأربعين، أقام في الملك بعد أبيه دهرا أكثر من ثلاثين سنة وكان قائما بدفع الكفار والتوجه لغزوهم مع سذاجة فيما عدا الحرب وانهماك في لذاته ومحبة في العلماء ومآثره كثيرة وأحواله في الطرفين شهيرة. وبالجملة فهو خير ملوك زمانه حزما وعزما وكرما وشجاعة. مات في سابع المحرم سنة خمس وخمسين وهو في أوائل الكهولة وملك عبده ابنه عفا الله عنهما.

٦٠٥ – المرتضى بن يحيى بن أحمد شرف الإسلام الهادي السني الشافعي. كان في سنة إحدى وثلاثين بالمدينة النبوية.

٦٠٦ – مرجان الأرفي برسباي شاد السواقي يقال له ستمائة اشتغل في الحساب والهيئة والهندسة والميقات وصحب عبد القادر بن همام الماضي وكان يجيء معه للسماع على شيخنا. مات وقد أسن في سنة أربع وتسعين وخلف موجودا كثيرا من كتب وغيرها.

٦٠٧ – مرجان التقوى الظاهري وولي مشيخة الخدام بعد سرور الطربيهي سنة أربع وسبعين إلى أن عزل في سنة ثمان وثمانين واستقر بعده إينال الفقيه.

٦٠٨ – مرجان الرومي الشريف تاجر السلطان في المماليك ونزيل بيت قراجا بالقرب من جامع الأزهر. كان ذا وجاهة وشكالة. مات في شعبان سنة ثمانين وقد جاز الخمسين وشهد السلطان الصلاة عليه بسبيل المؤمني، ثم دفن بتربة الدوادار الكبير يشبك من مهدي عفا الله عنه.

٦٠٩ – مرجان العيني زمان الأشرف ثم الناصر صاحبا اليمن بل ولي إمرة زبيد. مات في سنة أربع عشرة. ذكره شيخنا في إنبائه.

٦١٠ – مرجان الزين العادلي المحمودي الحبشي الحصفي الطواشي. أصله من خدام العادل سليمان صاحب حصن كيفا اشتراه ورباه وأدبه وأعتقه واختص به. فلما مات وذلك في سنة سبع وعشرين خرج من الحصن وهو فقير فدار البلاد كفقراء العجم ودخل أذربيجان وغيرها وقاسى فقرا لكنه تأدب وتهذب بالأسفار إلى أن قدم البلاد الشامية فاتصل بخدمه تعزى بردى المحمودي وغيره على حاله في البؤس والقلة حتى صار من جملة خدام الطباق بالقلعة ثم مقدم بعضها فحسنت حاله وملك فرسا وصار يعلف الدجاج ويقدمه لمقدم المماليك ونائبه ثم لمغلباي طاز وزاد في التردد غليه إلى أن قفز به الظاهر جقمق وعمله

نائب المقدم بسفارته بعد توقفه في ذلك ثم رقاه للتقدمة فعظم وضخم ونالته السعادة ثم عزله الأشرف إينال ثم أعيد ببذل؛ وحج في سنة اثنتين وستين أمير الأول فساءت سيرته ورجع فصادر من كان هو معه كالخادم وله عليه من الأيادي ما لا يوصف بالضرب والمال. ولم يلبث أن مات في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وقد قارب الستين وكان جسيما طوالا أسود اللون ظالما عسوفا طماعا مسرفا على نفسه سيئة من سيئات الدهر وغلطاته اشتمل على قبائح أنزه قلمي عنها وتبدل ما كان عليه في أول مباشرته التقدمة من المحاسن نسأل الله **حسن الخاتمة**.

٦١١ – مرجان الزين الهندي المسلمي – بالتشديد – مولى الشهاب بن مسلم المؤيدي. أخذه المؤيد قبل أن يلي السلطنة من أستاذه قهرا فنجب عنده وترقت منزلته جدا بحيث استقر خازنداره ثم عمله ناظر الخاص إلى أن اتضعت في أيام ططر فمن بعده وصودر حتى مات يعني بالطاعون في جمادى الثانية سنة ثلاث وثلاثين. ذكره شيخنا في إنبائه وقال غيره إنه ولي بعد أستاذه أيضا الزمامية عوضا عن كافور الرومي الصرغتمشي أشهرا.." (١)

"الشامية الجوانية بعوض ليحيى بن العطار ا وهو رجل ديون وكان من سنين لا بسا زي الجند نسأل الله تعالى **حسن الخاتمة** وحصل في وظائفه خبط كثير ولم يحصل لأحد من طلبة العلم منها شيئا توفي ليلة الأربعاء عاشرة واجتمع في جنازته خلق كثير من الناس وصلي عليه عند قناة ابن العوني تقدم عليه في الصلاة القاضي السراج الحمصي الشافعي ودفن بباب الفراديس بطرفها الشرقي ولم يظهر له طائل انتهى. وقال الشيخ تقي الدين بن قاضي شهبة: ووليتها أنا عن الشيخ شمس الدين الكفيري بولاية معلقة وحكم بها قاضي القضاة الحنفي وفقد ولم تحصل لي ولا للشيخ تقي الدين انتهى. وقال في صفر سنة ثلاث وعشرين: وفي يوم الأحد عاشره ابتدأت في الدرس بالشامية البرانية ثم في يوم الأربعاء ثالث عشره حضرت في العزيزية في النصف الذي كان للشيخ شمس الدين الكفري وأخذت في باب قسم الفيء والغنيمة من التنبيه انتهى. وقال في شهر ربيع الآخر منها: وفي يوم الأحد ثامن عشريه دعيت بالشامية البرانية وكان جملة الحضور بها في هذه العمالة أول النهار سبعة عشر درسا وحضرت في العزيزية في النصف الذي كان للشيخ شمس الدين الكفيري سبعة دروس وغال مدارس دمشق لم يحضر بها أحد في هذه السنة فلا حول ولا وقوة إلا بالله العلي العظيم انتهى. ثم قال في جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة: دعيت بالشامية البرانية وكان الحضور بها في أول النهار أربعة عشر درسا وكان الحضور بالتقوية ست مرات وبالقوصية سبع

---

(١) الضوء اللامع، ٥/٧٧

مرات وقل من حضر من مدارس دمشق في هذه السنة ولم يحضر قاضي القضاة الشافعية مطلقا والحنفية لم يحضروا إلا قبل البطالة بدرسين وفي يوم الأحد ثانية وهو اليوم الذي دعيت فيه درس القاضي كاتب السر كمال الدين بن ناصر الدين ابن البارزي في المدرسة العزيزية في النصف الذي كان بيد القاضي شمس الدين الكفيري وكنت قد تلقيته عنه بولاية معلقة على الشغور وباشرته في العام الماضي وكان مع

ـ

١ شذرات الذهب ٧: ٢٧٨.." (١)

"وروي أن مروان بن الحكم لما جيء برأس الضحاك إليه ساءه ذلك وقال: الآن حين كبرت سني ودق عظمي، وصرت في مثل ظمء الحمار٣٦٩١، أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض٣٦٩٢ وروي أنه بكى على نفسه يوم مرج راهط٣٦٩٣: أبعد ما كبرت وضعفت صرت إلى أن أقتل بالسيوف على الملك٣٦٩٤ وفي رواية عن مالك قال: قال مروان: قرأت كتاب الله منذ أربعين سنة، ثم أصبحت فيما أنا فيه من إهراق الدماء، وهذا الشأن٣٦٩٥. إن ندم مروان في مثل هذا الموقف وبعد أن تحقق له، وتأكدت له طرق الحكم، وتمهدت له سبل الوصول إلى غايته لدليل قاطع على ما كان يجيش به قلب مروان من عامل الخير، لقد كان هذا النصر جديرا أن ينسيه كل منغصات الحياة، وكان فوزه بالخلافة حقيقا بأن ينفي عنه كل ما يسبب له الندم، ويعكر له الصفو، فما بال مروان يندم وهو في هذه الظروف التي تزيل الهم عن النفس وتبعد الندم٣٦٩٦، لطالبي الملك والزعامة والسلطان وأغلب الظن أنه تورط في طلبه للخلافة، ودفعه إلى هذا المستنقع الآسن أناس لهم مصالح دنيوية لا تخفي، فشعر بوخز الضمير وخاف على نفسه من سوء الخاتمة بعد أن ولغت يده في دماء المسلمين من أجل الحطام الزائل.

ثالثا : ضم مصر إلى الدولة الأموية ومحاولة إعادة العراق والحجاز:." (٢)

"إن محمد بن واسع رحمه الله تعالى معدود من العلماء الربانيين المشهورين بالزهد والورع والخشوع وهو مدرسة في معالجة أمراض النفوس وتطهير القلوب، ومن أقواله النيرة في الزهد والورع واليقين : إني لأغبط رجلا معه دينه ومامعه من الدنيا شيء وهو راض٤٨٨١ وإذا كان محمد بن واسع يغبط أهل الدين المجردين من الدنيا فما أكثر من يغبطون أصحاب الأموال، وما أبعد الفرق بين السابقين بالخيرات والمقصرين٤٨٨٢. وقيل إنه قال لرجل : هل أبكاك قط سابق علم الله فيك٤٨٨٣ يعني أن المقربين مع

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس، ٣٠١/١

(٢) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ٣٠٥/٢

ما يقومون به من الورع والعمل الصالح يخشون من سابق قدر الله فيهم، حيث يخافون من **سوء الخاتمة،** فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن جل جلاله يقلبها كيف يشاء وقيل له كيف أصبحت؟ قال : قريبا أجلي بعيدا أملي، سيئا عملي٤٨٨٤. وهذا من عمق الإدراك وقوة تصور ما بعد الموت، وإذا كان محمد بن واسع الذي قيل عنه إنه أفضل أهل البصرة في زمنه يتهم نفسه بطول الأمل وسوء العمل فكيف بحال المقصرين٤٨٨٥ _ أمثالي . وذات يوم قال له رجل لمحمد بن واسع : أوصيني، قال : أوصيك أن تكون ملكا في الدنيا والآخرة، قال : كيف؟ قال : ازهد في الدنيا٤٨٨٦ وهذه وصية نافعة من طبيب ماهر في طب القلوب فهذا الرجل يطلب الوصية من محمد بن واسع فيوصيه بأعلى مرتبة تطمح لها النفوس عادة، وهي أن يكون ملكا في الدنيا والآخرة، فيتعجب الرجل لأنه لم يرد الدنيا حينما طلب منه الوصية، ثم كيف يجمع بين الأمرين، فيكون ملكا في الدنيا ولآخرة، فلذلك استفهم منه استفهام تعجب، فكان جواب ابن واسع له : ازهد في الدنيا٤٨٨٧، ومن كلامه التربوى العميق قوله : ما آسى على الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا اعوججت قومني، وصلاة في جماعة يحمل عني سهوها وأفوز بفضلها، وقوت من الدنيا ليس لأحد منه فيه منة ولا لله على فيه تبعة٤٨٨٨. فهذا العالم الرباني كان من ضمن جنود الفاتحين الذين نفع الله بهم شعوب." (١)

"وفي الحديث الشريف قال – صلى الله عليه وسلم – : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)(١).

وفي الصحيح عن حذيفة أنه قال : يارسول الله: هل بعد هذا الخير شر؟

قال : (نعم ؛ قوم يستنون بغير سنتي ، ويهتدون بغير هديي).

قال : قلت : هل بعد ذلك الشر شر؟

قال : (نعم؛ دعاة على نار جهنم ، من أجابهم قذفوه فيها).

قلت : يارسول الله : صفهم لنا.

قال : (نعم ؛ هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا) .

قلت: فما تأمرني إن أدركت ذلك؟

قال : (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم).

قلت: فإن لم يكن إمام ولا جماعة؟

قال : (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدرك الموت وأنت على ذلك)(٢).

---

(١) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ٥١/٣

وعن ابي بكر الصديق – رضي الله عنه – قال : (لست تاركا شيئا كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ)(٣).

إن الابتعاد عن المبتدعة ومحاربتهم من صميم الدين ، ل أ ن المبتدع:

– لايقبل منه عمل، وينزع منه التوفيق، وملعون على لسان الشريعة ، ويزداد من الله بعدا، مانعة من شفاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – يوم القيامة، مظنة العداوة والبغضاء بين أهل الاسلام، رافع للسنن، يلقى عليه الذل في الدنيا والآخرة، ويخاف عليه من **سوء الخاتمة**، ويسود وجهه في الآخرة، ويخشى عليه من الفتنة)(٤).

ولذلك كانت وصية السلطان محمد –رحمه الله– لمن بعده (جانب البدع المفسدة وباعد الذين يحرضونك عليها).

٧– وسع رقعة البلاد بالجهاد:

---

(١) مسلم (٣/١٣٤٤).

(٢) مسلم، كتاب الامارة رقم ١٨٤٧.

(٣) انظر: بدر التمام في اختصار الاعتصام لمحمد الجزائري، ص٣٥.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص٣٦ الى ٣٧، ٣٨.." (١)

" وقد اختلف الناس هل يدخل الجنة مفعول به على قولين والصحيح في المسألة أن يقال إن المفعول به إذا تاب توبة صحيحة نصوحا ورزق إنابة إلى الله وصلاحا وبدل سيئاته بحسنات وغسل عنه ذلك بأنواع الطاعات وغض بصره وحفظ فرجه وأخلص معاملته لربه فهذا إن شاء الله مغفور له وهو من أهل الجنة فإن الله يغفر الذنوب للتائبين إليه ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ومن تاب وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم وأما مفعول به صار في كبره شرا منه في صغره فهذا توبته متعذرة وبعيد أن يؤهل لتوبة صحيحة أو لعمل صالح يمحو به ما قد سلف ويخشى عليه من **سوء الخاتمة** كما قد وقع ذلك لخلق كثير ماتوا بأدرانهم وأوساخهم لم يتطهروا منها قبل الخروج من الدينا وبعضهم ختم له بشر خاتمة حتى أوقعه عشق الصور في الشرك الذي لا يغفره الله وفي هذا الباب حكايات كثيرة وقعت للوطية وغرهم من أصحاب الشهوات يطول هذا الفصل ب ذ كرها

---

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ١/١٩٩

والمقصود أن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان فيقع في **سوء الخاتمة** قال الله تعالى وكان الشيطان للإنسان خذولا بل قد وقع **سوء الخاتمة** لخلق لم يفعلوا فاحشة اللواط وقد كانوا متلبسين بذنوب أهون منها **وسوء الخاتمة** أعاذنا الله منها لا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله وصدق في أقواله وأعماله فإن هذا لم يسمع به كما ذكره عبد الحق الاشبيلي وإنما يقع **سوء الخاتمة** لمن فسد باطنه عقدا وظاهره عملا ولمن له جرأة على الكبائر وإقدام على الجرائم فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة

والمقصود أن مفسدة اللواط من أعظم المفاسد وكانت لا تعرف بين العرب قديما كما قد ذكر ذلك غير واحد منهم فلهذا قال الوليد بن عبد الملك لولا أن الله عز و جل قص علينا قصة قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكرا يعلو ذكرا وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ص) قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به رواه أهل السنن وصححه ابن حبان وغيره وقد لعن النبي (ص) من عمل عمل قوم لوط ثلاث مرات ولم يلعن على ذنب ثلاث مرات إلا عليه وإنما أمر بقتل الفاعل والمفعول به لأنه لا خير في بقائهما بين الناس لفساد طويتهما وخبث بواطنهما فمن كان بهذه المثابة فلا خير للخلق في بقائه فإذا أراح الله الخلق منهما صلح لهم أمر معاشهم ودينهم وأما اللعنة فهي الطرد والبعد ومن كان مطرودا مبعدا عن الله وعن رسوله وعن كتابه وعن صالح عباده فلا خير فيه ولا في قربه ومن رزقه الله تعالى تو سما وفراسة ونورا وفرقانا عرف من سحن الناس ووجوههم أعمالهم فإن أعمال العمال بائنة ولا ئحة على وجوههم وفي أعينهم وكلامهم ." (١)

" وممن توفي فيها من الأعيان

أحمد بن كليب الشاعر

وهو أحد من هلك بالعشق روى ابن الجوزي في المنتظم بسنده أن أحمد بن كليب هذا المسكين المغتر عشق غلاما يقال له أسلم بن أبي الجعد من بنى خلد وكان فيهم وزارة أي كانوا وزراء للملوك وحجابا فأنشد فيه أشعارا تحدث الناس بها وكان هذا الشاب أسلم يطلب العلم في مجالس المشايخ فلما بلغه عن ابن كليب ما قال فيه استحى من الناس وانقطع في دارهم وكان لا يجتمع بأحد من الناس فازداد غرام ابن كليب به حتى مرض من ذلك مرضا شديدا بحيث عاده منه الناس ولا يدرون ما به وكان في جملة من عاده بعض المشايخ من العلماء فسأله عن مرضه فقال أنتم تعلمون ذلك ومن أي شيء مرضي وفي أي

---

(١) البداية والنهاية، ٩/١٦٣

شيء دوائي لو زارني أسلم ونظر إلى نظرة ونظرته نظرة واحدة لبرأت فرأى ذلك العالم من المصلحة أن لو دخل على أسلم وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة مختفيا ولم يزل ذلك الرجل العالم بأسلم حتى أجابه إلى زيارته فانطلقا إليه فلما دخلا دربه وم حلته تجتن الغلام واستحى من الدخول عليه وقال للرجل العالم لا أدخل عليه وقد ذكرني ونوه بأسمي وهذا مكان ريبة وتهمة وأنا لا أحب أن أدخل مداخل التهم فحرص به الرجل كل الحرص ليدخل عليه فأبى عليه فقال له إنه ميت لا محالة فإذا دخلت عليه أحييته فقال يموت وأنا لا أدخل مدخلا يسخط الله علي ويغضبه وأبى أن يدخل وانصرف راجعا إلى دارهم فدخل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه وقد كان غلام ابن كليب دخل عليه قبل ذلك وبشره بقدوم معشوقه عليه ففرح بذلك جدا فلما تحقق رجوعه عنه اختلط كلامه واضطرب في نفسه وقال لذلك الرجل الساعي بينهما اسمع يا أبا عبد الله واحفظ عنى ما أقول ثم أنشده ... أسلم يا راحة العليل ... رفقا على الهائم النحيل ... وصلك أشهى إلى فؤادى ... من رحمة الخالق الجليل ... فقال له الرجل ويحك اتق الله تعالى ما خهذه العظيمة فقال قد كان ما سمعت أو قال القول م، سمعت قال فخرج الرجل من عنده فما توسط الدار حتى سمع الصراخ عليه وسمع صيحة الموت وقد فارق الدنيا على ذلك وهذه زلة شنعاء وعظيمة صلعاء وداهية دهياء ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ماذكرتها ولكن فيها عبرة لأولي الألباب وتنبيه لذوي البصائر والعقول أن يسألوا الله رحمته وعافيته وأن يستعيذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات إنه كريم جواد قال الحميدي وأنشدنى أبو علي بن أحمد قال أنشدني محمد بن عبد الرحمن لأحمد بن كليب وقد أهدى إلى أسلم كتاب الفصيح لثعلب ." (١)

" أبيه وسار سيرته ومالأ الفرنج على المسلمين وهم بتسليم البلد والأموال إليهم فقتلوه وتملك أخوه وذلك بعد مراجعتها ومساعدتها وقد كانت قرأت القرآن وسمعت الحديث وكانت حنفية المذهب تحب العلماء والصالحين وقد تزوجها الأتابكي زنكي صاحب حلب طمعا في أن يأخذ بسببها دمشق فلم يظفر بذلك بل ذهبت إليه إلى حلب ثم عادت إلى دمشق بعد وفاته وقد دخلت بغداد وسارت من هناك إلى الحجاز وجاورت بمكة سنة ثم جاءت فأقامت بالمدينة النبوية حتى ماتت بها ودفنت بالبقيع في هذه السنة وقد كانت كثيرة البر والصدقات والصلاة والصوم قال السبط ولم تمت حتى قل ما بيدها وكانت تغربل القمح والشعير وتتقوت بأجرته وهذا من تمام الخير والسعادة وحسن الخاتمة رحمها الله تعالى والله أعلم

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

---

(١) البداية والنهاية، ١٢/٣٨

فيها مات صاحب المغرب عبدالمؤمن بن علي التومرتي وخلفه في الملك من بعده ابنه يوسف وحمل أباه إلى مراكش على صفة أنه مريض فلما وصلها أظهر موته فعزاه الناس وبايعوه على الملك من بعد أبيه ولقبوه امير المؤمنين وقد كان عبدالمؤمن هذا حازما شجاعا جوادا معظما للشريعة وكان من لا يحافظ على الصلوات في زمانه يقتل وكان إذا أذن المؤذن وقبل الأذان يزدحم الخلق في المساجد وكان حسن الصلاة ذا طمأنينة فيها كثير الخشوع ولكن كان سفاكا للدماء حتى على الذنب الصغير فأمره إلى الله يحكم فيه بما يشاء وفيها قتل سيف الدين محمد بن علاء الدين الغزي قتله الغز وكان عادلا وفيها كبست الفرنج نور الدين وجيشه فانهزم المسلمون لا يلوي احد على أحد ونهض الملك نور الدين فركب فرسه والشبحة في رجله فنزل رجل كردي فقطعها فسار نور الدين فنجا وأدركت الفرنج ذلك الكردى فقتلوه رحمه الله فأحسن نور الدين إلى ذريته وكان لا ينسى ذلك له وفيها أمر الخليفة ب بإجلاء بني أسد عن الحلة وقتل من تخلف منهم وذلك لإفسادهم ومكاتبتهم السلطان محمد شاه وتحريضهم له على حصار بغداد فقتل من بني أسد أربعة آلاف وخرج الباقون منها وتسلم نواب الخليفة الحلة وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير وممن توفي فيها من الأعيان السلطان الكبير

أبو محمد عبدالمؤمن بن علي

القيسي الكوفي تلميذ ابن التومرت كان أبوه يعمل في الطين فاعلا فحين وقع نظر ابن التومرت عليه أحبه وتفرس فيه أنه شجاع سعيد فاستصحبه فعظم شأنه والتفت عليه العساكر التي جمعها ابن التومرت من المصامدة وغيرهم وحاربوا صاحب مراكش علي بن يوسف بن تاشفين ملك الملثمين واستحوذ عبدالمؤمن على وهران وتلمسان وفاس وسلا وسبتة ثم حاصر مراكش أحد ." (١)

" فانتهوا في ساعة واحدة إلى بلدة بينها وبين بغداد مسيرة سنة وأن ذلك الرجل قال له إني سأموت في الوقت الفلاني فاشهدني في ذلك الوقت في البلد الفلاني قال فلما كان ذلك الوقت حضرت عنده وهو في السياق وقد استدار إلى جهة الشرق فحولته إلى القبلة فاستدار إلى الشرق لحولته أيضا ففتح عينيه وقال لا تتعب فإني لا أموت إلا على هذه الجهة وجعل يتكلم بكلام الرهبان حتى مات فحملناه فجئنا به إلى دير هناك فوجدناهم في حزن عظيم فقلنا لهم ما شأنكم فقالوا كان عندنا شيخ كبير ابن مائة سنة فلما كان اليوم مات على الاسلام فقلنا لهم خذوا هذا بدله وسلمونا صاحبنا قال فوليناه فغسلناه وكفناه وصلينا عليه

---

(١) البداية والنهاية، ٢٤٦/١٢

ودفناه مع المسلمين وولواهم ذلك الرجل فدفنوه في مقبرة النصارى نسأل الله **حسن الخاتمة** مات الشيخ على في رجب من هذه السنة

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وستمائة

في خامس المحرم وصل الظاهر دمشق من بلاد السواحل التي فتحها وقد مهدها وركب في أواخر المحرم إلى القاهرة فأقام بها سنة ثم عاد فدخل دمشق في رابع صفر وفي المحرم منها وصل صاحب النوبة إلى عيذاب فنهب تجارها وقتل خلقا من أهلها منهم الوالي والقاضي فسار إليه الامير علاء الدين أيد غدي الخزندار فقتل خلقا من بلاده ونهب وحرق وهدم ودوخ البلاد وأخذ بالثأر ولله الحمد والمنة

وفي ربيع الاول توفي الامير سيف الدين محمد بن مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس صاحب صهيون ودفن في تربة والده في عشر السبعين وكان له في ملك صهيون وبزريه إحدى عشرة سنة وتسلمها بعده ولده سابق الدين وأرسل إلى الملك الظاهر يستأذنه في الحضور فأذن له فلما حضر أقطعه خبزا وبعث إلى البلدين نوابا من جهته

وفي خامس جمادي الاخرة وصل السلطان بعسكره إلى الفرات لأنه بلغه أن طائفة من التتار هنالك فخاض إليهم الفرات بنفسه وجنده وقتل من أولئك مقتلة كبيرة وخلقا كثيرا وكان أول من اقتحم الفرات يومئذ الامير سيف الدين قلاوون وبدر الدين بيسرى وتبعهما السلطان ثم فعل بالتتار ما فعل ثم ساق إلى ناحية البيرة وقد كانت محاصرة بطائفة من التتار أخرى فلما سمعوا بقدومه هربوا وتركوا أموالهم وأثقالهم ودخل السلطان إلى البيرة في أبهة عظيمة وفرق في أهلها أموالا كثيرة ثم عاد إلى دمشق في ثالث جمادى الاخرة ومعه الاسرى وخرج منها في سابعة إلى الديار المصرية وخرج ولده الملك السعيد لتلقيه ودخلا إلى القاهرة وكان يوما مشهودا ومما قاله القاضي شهاب الدين محمود الكاتب وأولاده يقال لهم بنو الشهاب محمود في خوض السلطان الفرات بالجيش ... سر حيث شئت لك المهيمن جار ... واحكم فطوع مرادك الاقدار (١) ".

" الكتاب على هذا المنوال لعظيم جدا فاجتمعنا في اليوم الثاني وهو مستهل شعبان في المكان المذكور وحضر قاضي القضاة الشافعي وجماعة من الفضلاء واجتمع العامة محدقين فقرأ على العادة غير أنه لم يطول كأول يوم وسقط عليه بعض الاحاديث وصحف ولحن في بعض الالفاظ ثم جاء القاضيان الحنفي والمالكي فقرأ بحضرتهما أيضا بعض الشيء هذا والعامة محتفون به متعجبون من أمره ومنهم من

---

(١) البداية والنهاية، ١٣/٢٦٣

يتقرب بتقبيل يديه وفرح بكتابتي له بالسماع على الاجازة وقال أنا ما خرجت من بلادي إلا إلى القصد إليك وأن تجيزني وذكرك في بلادنا مشهور ثم رجع إلى مصر ليلة الجمعة وقد كارمه القضاة والاعيان بشيء من الدراهم يقارب الألف

عزل الامير علي عن نيابة دمشق

في يوم الاحد حادي عشر شعبان ورد البريد من الديار المصرية وعلى يديه مرسوم شريف بعزل الامير على عن نيابة دمشق فأحضر الأمراء إلى دار السعادة وقرئ المرسوم الشريف عليهم بحضوره وخلع عليه خلعة وردت مع البريد ورسم له بقرية دومة واخرى في بلاد طرابلس على سبيل الراتب وأن يكون في أي البلاد شاء من دمشق أو القدس او الحجاز فانتقل من يومه من دار السعادة وبباقي أصحابه ومماليكه واستقر نزوله في دار الخليلي بالقصاعين التي جددها وزاد فيها دويداره يلبغا وهي دار هائلة وراح الناس للتأسف عليه والحزن له انتهى

طلب قاضي القضاة تاج الدين عبدالوهاب ابن السبكي الشافعي إلى الديار المصرية

ورد البريد بطلبه من آخر نهار الاحد بعد العصر الحادي عشر من شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة فأرسل إليه حاجب الحجاب قماري وهو نائب الغيبة أن يسافر من يومه فاستنظرهم إلى الغد فأمهل وقد ورد الخبر بولاية أخيه الشيخ بهاء الدين بن السبكي بقضاء الشام عوضا عن أخيه تاج الدين وأرسل يستنيب ابن أختهما قاضي القضاة تاج الدين في التأهب والسير وجاء الناس إليه ليودعوه ويستوحشون له وركب من بستانه بعد العصر يوم الاثنين ثاني عشر شعبان متوجها على البريد إلى الديار المصرية وبين يديه قضاة القضاة والاعيان حتى قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكي حتى ردهم قريبا من الجسورة ومنهم من جاوزها والله المسؤل في **حسن الخاتمة** في الدنيا والآخرة انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

اعجوبة اخرى غريبة

لما كان يوم الثلاثاء العشرين من شعبان دعيت إلى بستان الشيخ العلامة كمال الدين بن الشريشي شيخ الشافعية وحضر جماعة الاعيان منهم الشيخ العلامة شمس الدين بن الموصلي ." (١)

"٤٧٣ - عبد الرحيم بن علي الرومي: عبد الرحيم بن علي المولى الفاضل عبد الرحيم ابن المولى علاء الدين العربي الرومي الحنفي، لقبه والده ببلك، واشتهر به على علي المولى خطيب زاده، وكان فاضلا في الفروع والأصول، ذكيا فصيحا، حسن المحاورة، ودرس ببعض المدارس، ثم بإحدى الثماني، ثم ولي

---

(١) البداية والنهاية، ١٤/٢٩٥

قضاء القسطنطينية، ثم أعيد إلى تدريس إحدى الثماني، ومات وهو مدرس بها سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة رحمه الله تعالى.

٤٧٤ – عبد الرحيم الأبناسي: عبد الرحيم الأبناسي، الشيخ المشهور المصري، من مناقبه ما حكاه عنه الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، أن السلطان قايتباي أرسل إليه مرسوما، بعشرة أنصاف مصرية من الجوالي في كل يوم، فانقبض خاطر الشيخ من ذلك، فوضع المرسوم في عمامته، وركب حمارته، وخرج لحاجة فبينما هو تحت بيت إذ سمع امرأة تقول لجارتها: هذا الشيخ هو الذي أخذ جوالي ولدي، فعرف البيت، وأرسل المرسوم إلى قايتباي، وقال: إن كنت تريد البر لي فامسح اسمي، واكتب اسم ولد المتوفي، وما زال يبرم على السلطان حتى كتب العشرة أنصاف لولد تلك المرأة، وهو ولد المتوفي، ثم جاءها بالمرسوم وأعطاها إياه، وقال: ابرئي ذمة عبد الرحيم، وادعي له بالموت على الإسلام، فإني خائف من **سوء الخاتمة**، فبكت المرأة وبكى الشيخ، ولعله أدرك أوائل هذه الطبقة، رحمه الله تعالى.

٤٧٥ – عبد الرزاق: عبد الرزاق...... الشيخ الصالح المربي المسلك الشافعي الحموي القادري نسبا وخرقة، توفي بحماة في سنة إحدى وتسعمائة، وصلي عليه غائبة بالأموي بدمشق يوم الجمعة تاسع ربيع الأول منها.

٤٧٦ – عبد الرزاق بن أحمد الأريحي: عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الشيخ ولي الدين بن زين الدين الشيخ العلامة شمس الدين الأريحي، ولد سنة خمس وأربعين وثمانمائة، وتوفي سنة اثنتين وتسعمائة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

٤٧٧ – عبد الرزاق بن أحمد العجيمي: عبد الرزاق بن أحمد بن أحمد بن محمود بن موسى، المعروف جده أحمد في القدس الشريف بالعجيمي، وجده الأعلى موسى بالتركماني الشيخ الفاضل المقري المجود زين الدين ابن الشيخ الإمام المقرئ، كاتب المصاحف شهاب الدين أحمد المقدسي الأصل، الدمشقي السافعي، ولد في سادس عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وأخذ القراءات وغيرها عن والده وغيره، وتوفي في سنة تسع وتسعمائة، ودفن بمقبرة المزرعة المعروفة الآن بالجورة بالقرب من ميدان الحصا عند أخيه الشيخ إبراهيم المقدسي.

٤٧٨ – عبد السلام: عبد السلام، الشيخ الصالح، خادم الشيخ علي أبي تراب، الكائن بالحرشف بالقاهرة، مات يوم الأحد ثاني شعبان، سنة اثنتي عشرة وتسعمائة بالقاهرة، ودفن بها رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

٤٧٩ – عبد العال إمام السلطان: عبد العال الشيخ الفاضل الناسك المتقلل زين الدين المصري الحنفي

إمام السلطان جان بلاط، و إمام مدرسته بباب النصر، تيسرت له الرئاسة، وعرضت عليه فأبى إلا التقليل والتقنع، قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي: كان الشيخ عبد العال رجلا صالحا كريما عفيفا لا يكاد يمكن أحد أن يفارقه، حتى يقدم له شيئا يكله قال: ودخلت عليه مرة فلم يجد عنلى طعاما، فقمم إلي الماء فقال: اشرب ولو يسيرا قال: وربما وجد اللقمة اليابسة فيضعها بين يدي الأمير، ونحوه انتهى.

وكانت وفاته في أواخر سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة قال العلائي: وأعقب ولدا فاضلا يسمى أمين الدين من أمة حبشية، نشأ على علم، وخير انتهى، وستأتي ترجمة الشيخ أمين الدين بن عبد العال في الطبقة الثانية رحمه الله تعالى.

٤٨٠ – عبد العال المجذوب: عبد العال المجذوب المصري، كان مكشوف الرأس لا يلبس القميص، وإنما يلبس الإزار صيفا وشتاء، وسواكه مربوط في إزاره، وكان محافظا على الطهارة خاشعا في صلاته، مطمئنا فيها متألها، وك١ن يحمل إبريقا عظيما يسقي به الناس في شوارع مصر، وكان يطوف البلاد والقرى، ثم يرجع إلى مصر، وكان يمدح النبي صلى الله عليه وسلم، فيحصل للناس من إنشاده عبرة ويبكون قال الشعراوي: ولما دنت وفاته دخل إلى الزاوية وقال للفقراء: تدفنوني في أي بلد فقلت: الله أعلم فقال: في قليوب، وكان الأمر كما قال، مات بعد ثلاثة أيام ودفن قريبا من القنطرة، التي في شط قليوب، وبنوا عليه قبة في سنة نيف وثلاثين وتسعمائة رحمه الله تعالى.." (١)

"السلام عليكم، المجاهد الكبير الدكتور رمضان عبدالله شلح الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي أنا فتاة من الخليل أود أن أتطوع في حركة الجهاد الإسلامي وأفدي روحي في سبيل ديني ووطني.. رجاء ساعدوني في ذلك؟

. بارك الله بك وبكل فتاة من أمثالك. ونرجو أن تكوني خير مثال وقدوة لفتيات ونساء فلسطين والأمة، أما عن التطوع في الحركة فبإمكانك الاتصال بمن تعرفين من أبناء أو أنصار حركة الجهاد في منطقتكم للوصول إلى الأخوة المعنيين الذين يمكنهم مساعدتك على تحقيق أمنيتك وهدفك إن شاء الله.

تحية إلى القائد المظفر بعون الله وأدعو لك بالثبات والصبر **وحسن الخاتمة** وأريد أن أعرف منك عن موقف الحركة فيما يخص استراتيجيتها وطبيعة عملها بعد الاندحار الشاروني من غزة؟

. الاندحار الشاروني من غزة، لو تحقق، فهو مجرد خطوة في رحلة الألف ميل نحو تحرير كامل أرضنا واستعادة كامل حقوقنا. لذلك، فإن استراتيجية الحركة لن تتغير، سواء انسحب شارون أو لم ينسحب،

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ص/١٤٨

وستكون المقاومة واستمرارها هي الاستراتيجية الثابتة والمتواصلة إن شاء الله.
في رأيكم ما هو الهدف وراء هذا التصعيد الصهيوني الأخير في رفح ؟
. هدف العدو من هذا التصعيد هو رفع معنويات الشارع الإسرائيلي ورد الاعتبار للجيش الذي قيل عنه بأنه لا يقهر ومرغت المقاومة أنفه بالتراب، وأجبرته سرايا القدس أن يحبو على أربع في معبر (فيلادلفي) يبحث عن فتات اللحم اليهودي.. وأيضا الهدف هو تدمير بنية المقاومة، وبنية المجتمع الفلسطيني، وكسر إرادة الشعب الفلسطيني وإجباره على الإذعان والاستسلام، لكن هذا لن يحدث بإذن الله.
ما هو تفسيركم لعمليات الجهاد النوعية كوسوفيم.. الزيتون.. رفح..؟؟؟ هل هذا يعنى أنكم شكلتم جهاز جديد لسرايا القدس؟." (١)

"الإضافة وحضرت عليه في السلم وعلى محمد الدمنهوري في الاستعارات والكافي في علمي العروض والقوافي قرأها لنا بحاشيته بالجامع الأزهر. عمره الله تعالى

ص -٦٨-

بالعلم والإيمان وجعله محلا للعمل بالسنة وجميع المدن والأوطان انه واسع الامتنان وصلى الله على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.
أملاه الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمن بن حسن١، أحسن الله إليه بمنه وكرمه وكتبه الفقير إلى الله، إبراهيم بن راشد سنة ١٢٤٤هـ ونقله من خطه الفقير إلى رحمة ربه العزيز، محمد بن علي بن محمد البيز، رزقه الله العلم والفضل والعمل **وحسن الخاتمة** عند حلول الأجل انه واسع المن كثير الفضل سنة ١٣٣٤هـ

---

١ سئل شيخنا عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى عن تنصيف المهر: وذلك أن الرجل إذا خطب المرأة من الحمولة "أي العشيرة القبلية" وأجابوه وقربوه وعقدوا له على "ريالين" أو نحوهما يسمونه "مهرا" ومن المعلوم أن المقصود غيره وربما يقع الطلاق قبل الدخول فما الذي ينتصف هل هو المسمى عند العقد أو "المعتاد"

---

(١) المقاومة الفلسطينية وإشكاليات التبني للعمليات العسكرية، ص/٢٠٥

-أجاب- رحمه الله تعالى بقوله اعلم أن هذه المسألة تكثر الفكرة فيها ولم تقف على نص صريح فيها ولكن الذي يستقر في القلب ويغلب في الاعتقاد وهو أقرب إلى أصول الشرع أن التصنيف يكون فبما سمي "جهازا" وهو الذي يبذل قبل الدخول في العادة في مثل نساء هذه المرأة "أي المكافئات لها" نسبا وايسارا ثم وجدنا في الاختيارات "لشيخ الإسلام ابن تيمية" ما يقرر ذلك ويوافقه ولفظه: والشرط المتقدم كالمقارن والاطراد العرفي كاللفظي: قال أبو العباس رحمه الله تعالى"أي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية" وقد سئلت عن مسألة من هذا وقيل ما مهر هذا وقلت ما جرت العادة بأن يؤخذ من الزوج فقالوا إنما يؤخذ المعجل قبل الدخول: فقلت هذا مهر مثلها انتهى وهو واضح لا غبار عليه ويغلب على ظني أني قد أفتيت به." (١)

"أكبر مدائن هذا الإقليم ، ثم زنجان ، و أبهر .

و إقليم قهستان ملاصق لإقليم قومس ، و هو غربي قومس ، و هو شرقي متشامل عن العراق ، متاخم لقزوين ، فالأقاليم التي لا حديث بها يروى ، و لا عرفت بذلك : الصين ، أغلق الباب .

و الهند ، و السند ، و الخطى ، و بلغار ، و صحراء القفحاق ، و سراة ، و قرم .

و بلاد التكرور ، و الحبشة ، والنوبة ، و البجاوة ، و الزنج . و إلى أسوان ، و حضرموت ، والبحرين ، و غير ذلك .

و أما اليوم فقد كاد يعدم علم الأثر من العراق ، و فارس ، و أذربيجان ، بل لا يوجد بأران ، و جيلان ، و إرمينية ، والجبال ، و خراسان التي كانت دار الآثار ، و أصبهان التي كانت تضاهي بغداد في علو الإسناد و كثرة الحديث و الأثر ، و الباقي من ذلك في مصر ، و دمشق ــ حرسها الله تعالى ــ و ما تاخمها ، و شيء يسير بمكة ، و شيء بغرناطة ، و مالقة ، و شيء بسبتة ، و شيء بتونس ، نسأل الله **حسن الخاتمة** .

لكن القرآن و فروع الفقه موجود كثير شرقا و غربا ، و لكن ذلك مكدر في المشرق و غيره بعلوم الأوائل ، و آراء المتكلمين والمعتزلة ، فالأمر لله تعالى ، و هذا تصديق لقول الصادق المصدوق صلى الله عليه و سلم : " لا تقوم الساعة حتى يقل العلم ، و يكثر الجهل " .

فنسأل الله تعالى العظيم علما نافعا ، و عملا متقبلا ، و رزقا حلالا واسعا طيبا ، و **حسن الخاتمة** لنا و لجميع المسلمين أجمعين آمين .

و صلى الله و سلم على سيدنا محمد الأمين ، و آله و صحبه أجمعين .

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم، ٦٧/١

*******************." (١)

"ذي القعدة وأرسلوا إلى الملك الصالح ايوب يستدعونه فأتاه فرج لم يسمع بمثله وسار ومعه الناصر داود إلى مصر وصار يلتقيه في كل يوم فرج من العساكر إلى أن دخل إلى قلعة الجبل بكرة يوم الأحد لست بقين من ذي القعدة وزينت له البلاد وفرح الناس بقدومه ولما استقر في ملك مصر خاف الناصر داود أن يقبض عليه فطلب دستورا وتوجه إلى بلاد الكرك وفي سنة ثمان وثلاثين وستمائة قوى خوف الصالح اسماعيل صاحب دمشق من ابن اخيه الصالح أيوب صاحب مصر فسلم صفد والشقيف إلى الافرنج ليعضدوه ويكونوا معه على ابن اخيه الصالح ايوب فعظم ذلك على المسلمين " ذكر تسليم القدس الشريف إلى الإفرنج " لما دخلت سنة إحدى واربعين وستمائة حصلت فيها المراسلة بين الملك الصالح أيوب صاحب مصر والملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق بالصلح وان صاحب دمشق يطلق الملك المغيث فتح الدين عمر بن الصالح أيوب وحسام الدين بن علي الهدماني وكانا معتقلين عند الصالح اسماعيل فأطلق حسام الدين وجهزه إلى مصر واستمر الملك المغيث في الاعتقال واتفق الصالح اسماعيل مع الناصر داود صاحب الكرك واعتضدا بالافرنج وسلما اليهم طبرية وعسقلان فعمر الافرنج قلعتهما وسلما أيضا اليهم القدس بما فيه من المزارات قال القاضي جمال الدين ومررت إذ ذاك بالقدس متوجها إلى مصر ورأيت القسس قد جعلوا على الصخرة قناني الخمر للقربان فالحكم لله العلي الكبير وكان الناصر داود فتح بيت المقدس – كما تقدم – في سنة سبع وثلاثين ثم فعل هذه الفعلة القبيحة فأبدل حسنة بسيئة وقد انتقم الله منه فيما بعد على ما سنذكره عند وفاته فنعوذ بالله من **سوء الخاتمة** والضلال بعد الهداية

""""" صفحة رقم ٧ """""

(ذكر الفتح الصلاحي النجمي)." (٢)

"أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم: أم حبيبة بنت أبي سفيان، واسمها: رملة بنت صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش

---

(١) الأمصار ذوات الآثار، ص/٧

(٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٢

إلى أرض الحبشة، فتنصر بالحبشة، وأتم الله لها الإسلام، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بأرض الحبشة، وأصدقها عنه النجاشي بأربعمائة دينار، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري فيها إلى أرض الحبشة، وولي نكاحها عثمان بن عفان، وقيل: خالد بن سعيد بن العاصي، توفيت سنة أربع وأربعين].

هذه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكما كانت عائشة وحفصة بنت وزيريه فإن أم حبيبة تزوجها رسول الله وهي بنت عدوه أبي سفيان قبل أن يسلم أبو سفيان.

وكان عبيد الله بن جحش خرج من مكة مسلما إلى الحبشة فارا بدينه، وهناك في الحبشة تنصر ومات على الكفر! فالقلوب بيد الرحمن جل وعلا، ومن أسباب **سوء الخاتمة** الخوض في أعراض الناس، أعظم أسباب **سوء الخاتمة** الخوض في أعراض الناس، كان أحد الصالحين محبوبا من طلابه، وهذه القصة ذكرها الذهبي في الأعلام، وذكرها ابن خلكان، فكان رجل يحسده على هذه المنزلة من طلابه، فكان إذا جاء الشيخ يحدث يقوم هذا ويشغب عليه في الحلقة، مع أنه حافظ للقرآن حسن الصوت به، فمرة أغضب الشيخ فقال الشيخ: اجلس فوالله إني لأخشى أن تموت على غير ملة الإسلام، ثم قدر لهذا الرجل الذي شغب على الشيخ أنه زار بغداد رجل من سفراء النصارى من القسطنطينية، فلما أراد الرجوع أحب هذا الذي يحفظ القرآن الندي الصوت به أن يرى بلاد الروم، فذهب معه إلى القسطنطينية، فلما ذهب معه إلى القسطنطينية أعجبه عالمهم وترك الإسلام وبقي على النصرانية، ثم إن أحد تجار المسلمين دخل القسطنطينية فرآه وعرفه، وكان يعرف جمال صوته بالقرآن، فرآه وهو على باب إحدى الكنائس يهش الذباب عن نفسه، فقال له: يا هذا ما فعل الله بك؟! قال: أنا كما ترى، قال: إنني كنت أراك حافظا للقرآن فما بقي في صدرك منه؟ فقال: لم يبق منه ولا شيء إلا آية واحدة، ثم مات والعياذ بالله على الكفر، فصدقت عليه مقولة الشيخ لما كان يراه يشغب عليه في الحلقة فقال له: إني لأخشى أن تموت على غير ملة الإسلام! والإنسان إذا سلم قلبه من الحقد على الناس وسلم لسانه من الخوض في أعراضهم كان أدعى إلى أن يوفق إلى **حسن الخاتمة**، وقد كان عندنا في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يمني، ليس له علاقة بالناس، يدخل المسجد وقت الصلوات ويخرج، وليس له أي ارتباط بالناس، وكان لا يقرأ ولا يكتب، فكان إذا دخل المسجد يأتي لأي إنسان يعني خال فيأخذ مصحفا ويعطيه للرجل الخالي ويقول: اقرأ علي من كلام ربي، والناس يعرفونه خاصة من يكثر الصلاة في الحرم ، فبقي على هذه الطريقة سنين، حتى كان عام ١٤١٨هـ دخل الحرم فرأى رجلا خاليا فأخذ مصحفا كالعادة وأعطاه للرجل، وقال له: اقرأ علي من

كلام الله، فقرأ عليه ومر بآية سجدة، فسجد الاثنان القارئ والأخ اليمني، فانتهى القارئ من التسبيح ورفع رأسه وبقي الأخ اليمني ساجدا وقبضه الله جل وعلا وهو ساجد، مات في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم في هيأة ليس بعدها ولا أشرف منها هيأة وهي هيأة السجود لرب العالمين، نحن نتكلم عن الظاهر، أما سريرته فأمرها إلى الله، ولا نحكم لأحد بجنة ولا نار.

وهذا عبيد الله بن جحش يأخذ زوجته ويفر بدينه من مكة إلى الحبشة ثم يتنصر! ثق تماما أنه لا يهلك على الله إلا هالك، دواخل القلوب هي من أعظم أسباب **سوء الخاتمة**، لكن الله جل وعلا أكرم وأرحم أن يكون أحد صادقا معه ثم إن الله جل وعلا يخذله ويميته ميتة السوء، فمن صدقت سريرته حسنت خاتمته، ومن صدق إلى الله فراره صدق مع الله قراره، من صدق إلى الله في فراره، وكان صادقا في أوبته إلى الله، صدق مع الله قراره، يبقى مع ربه جل وعلا في إيمانه.

فلما تنصر زوج أم حبيبة ثم مات أكرمها النبي صلى الله عليه وسلم بأن طلبها وخطبها وتزوجها عليه الصلاة والسلام، وسيقت له من الحبشة.." (١)

"أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وعلى سائر من اقتفى أثره، واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذا هو الدرس الخامس من تعليقنا على الدرة المضيئة في السيرة النبوية للإمام المقدسي رحمه الله تعالى، وكنا قد انتهينا بالأمس في ذكر أزواجه صلوات الله وسلامه عليه، وتكلمنا عن أكثرهن، ولم يبق لنا إلا الحديث عن زوجتين من أزواجه رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن، وكما جرت العادة -استدراكا لما كان بالأمس- نراجع بعضا مما ذكرناه، فمما ذكرناه بالأمس أن الله أبطل عادة منع الزواج بالتبني بزواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش، وقلنا: إن زيدا رضي الله تعالى عنه وأرضاه كان زوجا لها، وأنها كانت تفخر عليه بأنها من قريش، ثم إنه جاء إلى النبي عليه الصلاة السلام يشتكي إليه زينب؛ فأنزل الله جل وعلا قوله في سورة الأحزاب: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا * وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه

---

(١) التعليق على الدرة المضيئة في السيرة النبوية للمقدسي، صالح المغامسي ٢/٩

أمسك عليك زوجك﴾ [الأحزاب:٣٦ – ٣٧]، هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ [الأحزاب:٣٧]، والذي أخفاه النبي صلى الله عليه وسلم وسيبديه الله هو زواجه من زينب، أي: أن الله أوحى إلى نبيه أن زينب ستكون زوجة له.

﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ [الأحزاب:٣٧] الذي خشيه صلى الله عليه وسلم من الناس أن يقول الناس: تزوج محمد صلى الله عليه وسلم زوجة ابنه بالتبني.

كما ذكرنا أن من أزوجه صلى الله عليه وسلم أم حبيبة، وأنها كانت قبله تحت عبيد الله بن جحش، وقلنا أنه فر بها من مكة إلى الحبشة فرارا بدينه، لكن وقع أنه تنصر، فعلى الإنسان أن يحرص على الأعمال التي تجعل الإنسان يظفر **بحسن الخاتمة.**

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب بن أبي يحيى بن كعب بن الخزرج النضرية، من ولد هارون بن عمران أخي موسى بن عمران عليهما السلام، سبيت في خيبر سنة سبع من الهجرة، وكانت قبله تحت كنانة ابن أبي الحقيق، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتق صفية، وجعل عتقها صداقها، وتوفيت سنة ثلاثين وقيل: سنة خمسين].

صفية بنت حيي بن أخطب زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين، وحيي بن أخطب أحد زعماء يهود، فلما قدم النبي عليه الصلاة السلام المدينة رآه حيي فعرفه عرف أنه نبي، واليهود كانت تعرف صفات الرسول صلى الله عليه وسلم لما قرأت عنه في التوراة، وقد حدثت صفية بعد ذلك أن أباها وعمها التقيا بعد أن رأيا النبي عليه الصلاة السلام، فقال عمها لأبيها: أهو هو؟ قال: نعم، أعرفه بنعته، قال: فما في صدرك له؟ قال: عداوته ما بقيت! وهذا مصداق قول الله جل وعلا: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ [البقرة:٨٩]، وقال تبارك وتعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ [البقرة:١٤٦]، أي النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ [البقرة:١٤٦]، أي أن أهل الكتاب يعرفون النبي عليه الصلاة السلام ولا يخطئون في وصفه كما يعرف الرجل منهم ابنه، والرجل عادة لا يخطأ في معرفة ابنه.

وحيي ذهب إلى خيبر في الجلاء الأول، وهو من بني النضير، ثم وقعت معركة خيبر وكانت تحت صفية تحت كنانة بن أبي الحقيق فقتل، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها بعد أن أصبحت أمة له –جارية– فأعتقها وجعل عتقها صداقا لها.

واختلف العلماء رحمهم الله هل يكون العتق صداقا أو لا؟ فمنهم من قال: إن هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من قال غير ذلك، والذي يعنينا في شرح السيرة هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أعتقها

وجعل عتقها صداقها، سواء كان هذا خاصا به، أو كان شاملا لأمته.
وقد كانت جميلة رضي الله عنها وأرضاها، وهي من ولد هارون بن عمران أخي موسى على موسى وعلى هارون السلام، وقد أغضبتها بعض أمهات المؤمنين، فجاءت إلى النبي عليه الصلاة السلام تبكي، فقال لها عليه الصلاة السلام: (بما تفخر عليك؟! فإنك ابنة نبي، وعمك نبي -يقصد موسى- وإنك لتحت نبي) يقصد نفسه صلى الله عليه وسلم.
ولما تزوجها عليه الصلاة السلام في انصرافه من خيبر أراد أن يدخل بها على مقربة من خيبر فامتنعت وأبت، ثم لما تقدم قليلا نحو المدينة قبلت ودخل بها صلى الله عليه وسلم، فسألها عن سبب امتناعها أولا: فقالت: خشيت عليك من اليهود، وهذا يدل على أنه وقر في قلبها محبة الدين ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد خشي أبو أيوب الأنصاري على نبينا عليه الصلاة السلام يوم أن دخل عليها، فبات يحرسه، خوفا أن يكون بها شيء من غدر يهود، فهو لا يعرفها، ثم تبين مدى حبها لنبينا صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامها، فبقيت كذلك حتى توفاها الله جل وعلا، فهي زوجة نبينا في الدنيا والآخرة رضي الله عنها وأرضاها.." (١)

"ذكر السكون دون الحركة لأنه هو الأصل حتى تحرك وهو الأقرب إلى العجز والعدم والتحريك حادث جار بأحداث الله تعالى وإجرائه، ويجوز أيضا ذكر السكون ليستدل به على الحركة لأنه ضدها، كما قال الله تعالى: (سرابيل تقيكم الحر) النحل: ٨١ وهي أيضا تقي البرد فذكر أحد الوصفين ليستدل به على الآخر.
وقال سبحانه: (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) الأنعام: ١١٠، وكان قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب لما شهد من عظيم القدرة ولطيف الصنع في التقليب، ولما رأى من سرعة نفاذ القدرة بالمراد في المقلبات مما لم يشهد سواه فجعله قسما له تعظيما لقدرة المحلوف به وخوفا من سابق العلم بالتقليب فكان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا له: وتخاف يا رسول الله؟ قال وما يؤمنني والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وفي لفظ حديث آخر: إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه، وقد روي عنه: مثل القلب مثل العصفور في تقلبه يتقلب في كل ساعة، وفي خبر آخر: مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غليا والخبر المشتهر مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهر البطن، فالقلب مكان للتقليب بما فيه من خزائن

---

(١) التعليق على الدرة المضيئة في السيرة النبوية للمقدسي، صالح المغامسي ٢/٣

الغيب كالليل والنهار مكان للأحكام بالتصريف من اختلاف الأزمان في الأوقات والإيمان بتقليب القلوب وبأن المقلب يحول بين القلب وبين صاحبه واجب.

وقد قرن الله عز وجل الإيمان بالبعث الأمر بهما في قوله تعالى: (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون) الأنفال: ٢٤، وفسره ابن عباس فقال: يحول بين المؤمن وبين الكفر ويحول بين الكافر وبين الإيمان وقيل يحول بين العبد وبين الاستجابة لله تعالى والرسول وقيل: يحول بين المؤمن وبين **سوء الخاتمة** وبين الكافر." (١)

"وبين **حسن الخاتمة** وقيل يحول بين المؤمن وبين أن يلقيه في كبيرة يهلك فيها وبين المنافق وبين أن يوفقه لطاعة فينجو بها ويحول بين الموحد وبين الخاتمة بالتوحيد، وهذه مخاوف للمؤمنين بتحقيق الوعيد وكذلك الكون بأسره عند الموحدين في القدرة بالتقليب كمثل ريشة في ريح عاصف تقلبه القدرة على مشيئة القادر وليس في القدرة ترتيب ولا مسافة ولا بعد ولا يحتاج إلى زمان ولا مكان، فما ظهر من الملك وثبت للعيون بمكان وزمان فلأجل الحكمة والصنعة والإتقان وما خفي من الملكوت وتقلب ببصائر القلوب فبلطف القدرة وقهر السلطان ونصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد ونصيبه من التوحيد حسب قسمه من اليقين وقسمه، من اليقين على قربه من القريب وقربه علي حسب قرب الله تعالى من قلبه وقرب الله تعالى منه بقدر علمه بالله تعالى واتساعه في العلم بالله عز وجل على نحو مكانه من مزيد الإيمان ومزيد إيمانه على قدر إحسان الله تعالى إليه وإحسانه إليه على قدر عنايته به وإيثاره له وعلم الله من وراء ذلك وذاك سر القدرة المحجوب المخزن ونصيب كل عبد من الجهل على قدر نصيبه من الغفلة ونصيبه من الغفلة على حسب حب الدنيا وحبه للدنيا على قدر قوة الهوى وقوة الهوى على قدر غلبة سلطان النفس ونشر صفاتها عليه وقوة صفات النفس على قدر ضعف اليقين وضعف يقينه على كثافة الحجاب والبعد بينه وبين الله عز وجل والحجاب والبعد ميراثه الكبر وقسوة القلب والقسوة تورث الانهماك في المعاصي وإدمان المعاصي عن الإعراض والمقت، والإعراض والمقت، من قلة عناية المولى بعبده وسوء نظره له، ومن وراء ذلك سر القدر الذي به عن الخلق قد استأثره، فهذه الأوصاف المذمومة العبد مبتل بها على تضاد تلك الصفات المحمودة التي هي من المنعم بها ولكل وجهة هو موليها ومكان الهوى من القلب على قدر تزيين العدو له وتسليطه عليه، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا، (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) آل عمران:

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢١٧/١

١٦٠، وان يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله، فإذا كان الهادي هو المضل فمن يهدي؟.

وقد قال تعالى: (فإن الله لا يهدي من يضل) النحل: ٣٧ أي فإن الله من شأنه أن أحدا لا يهدي من أضله ومن كان أضله الله في سابق علمه فكيف يهديه الآن، كذلك قال على الحرف الآخر فإن الله لا يهدي من يضل فإذا كان المعطي هو المانع فمن يعط ولو كان الخير كله في قلب عبد ما قدر أن يوصل إلى قلبه من قلبه ذرة ولا استطاع أن ينفع نفسه بنفسه خردلة لأن قلبه وان كان جارحته فهو خزانته وله فيه ما لا يعلم هو فهو لا يطلع على ما فيه كما قال معجبا لمن جهله وأضله أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا فكيف به أن يملك ما فيه فيصرفه بما يحب، وقد قال: سبحان مصرف القلوب وقد." (١)

"وآيات الله تعالى لا تكون للفاسقين وعهده لا ينال الظالمين وعظمته وقدرته لا تكون شهادة للزائغين ولا وجد للمبطلين إذ في ذلك توهين لآيات الله وحججه وانتقاص لبراهينه وقدرته ودخول الشك في اليقين الذي هو محجة المخلصين والذين هم بقية الله من عباده واشتباه الباطل بالحق الذي هو وصف أهل الصدق الذين هم أدلته عليه من أهل وداده وهذا من أدل دليل على فضل علم المعرفة على غيره قال الله عز وجل: (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) الشعراء: ١٩٧، وقال تعالى: (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) العنكبوت: ٤٩، وقال سبحانه وتعالى: (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) الحجر: ٧٥، وقال: (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) ، البقرة: ١١٨وقال عز وجل: (ولنبينه لقوم يعلمون) ، الأنعام: ١٠٥ فهؤلاء العلماء بالله تعالى الناطقون عن الله عز وجل جعل لهم أنصبة منه ومكانا عنده، ولا يكون ذلك لمن ليس أهلا له ولا حقيقا به لأنهم آيات الله تعالى وبيناته وشهوده وبصائره كاشفو طريقه ومظهرو بيانه إذ يقول تعالى: (ثم إن علينا بيانه) القيامة: ١٩، ثم قال تعالى: (خلق الإنسان) (علمه البيان) الرحمن: ٣ - ٤ بعد قوله: (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) الروم: ٤٧، مع قوله تعالى: (وكانوا أحق بها وأهلها) الفتح: ٢٦ فنصروه بما نصرهم به وتحققوا بما حققهم منه وشهدوا له ما شهد لهم عنه فكانوا للمتقين إماما وإلى الهداية أعلاما.

وقال بعض أهل المعرفة: من لم تكن له مشاهدة من هذا العلم لم يعر من شرك أو نفاق لأنه عار من علم اليقين ومن عري من اليقين وجد فيه دقائق الشك، وقال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه **سوء الخاتمة** وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله وقال آخر من كان فيه خصلتان

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢١٨/١

لم يفتح له من هذا العلم شيء بدعة أو كبر، وقال طائفة من أهله: من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به، وقال أبو محمد سهل: أقل عقوبة من أنكر هذا العلم أن لا يرزق منه شيء أبدا، واتفقوا على أنه علم الصديقين وأن من كان له منه نصيب فهو من المقربين وينال درجة أصحاب اليمين، وأعلم أن علم التوحيد ومعرفة الصفات مباين لسائر العلوم، فالاختلاف في سائر العلوم الظاهرة رحمة والاختلاف في علم التوحيد ضلال وبدعة والخطأ في علم الظاهر مغفور وربما كانت حسنة إذا اجتهد والخطأ في علم التوحيد وشهادة اليقين كفر من قبل أن العباد لم يكلفوا حقيقة العلم عند الله تعالى في طلب العلم الظاهر وعليهم واجب طلب موافقة الحقيقة عند الله في التوحيد ومن ابتدع شيئا ردت عليه بدعته وكان مسؤولا عنه ولم يكن حجة لله تعالى على عباده ولا غيثا نافعا في بلاده بل كان موصوفا بالدنيا وفيها من الراغبين ولم يكن دليلا على الله عز وجل ولا من دعاة الدين ولا إماما للمتقين، وقد جاء في الخبر: العلماء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم، والخبر المشهور: من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد.." (١)

"الفصل الثاني والثلاثون

شرح مقامات اليقين وأحوال الموقنين

أصول مقامات اليقين التي ترد إليها فروع أحوال المتقين تسعة، أولها التوبة، والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والزهد، والتوكل، والرضا، والمحبة وهذه محبة الخصوص وهي محبة المحبوب.

ذكر فروض التوبة

وشرح فضائلها ووصف التوابين

قال الله تعالى في البيان الأول من خطاب العموم: (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) النور: ٣١ معناه: ارجعوا إليه من هوى نفوسكم ومن وقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم في المعاد وكي تبقوا ببقاء الله عز وجل في نعيم لا زوال له ولا نفاد ولكي تفوزوا وتسعدوا بدخول الجنة وتنجوا من النار فهذا هو الفلاح، وقال في البيان الثاني من مخاطبته الخصوص: (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) التحريم: ٨، فنصوحا من النصح جاء على وزن فعول للمبالغة في النصح، وقد قرئت نصوحا بضم النون فتكون حينئذ

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٩٤/١

مصدر نصحت له نصحا ونصوحا فمعناه خالصة لله تعالى وقيل اشتقاقه من النصاح وهو الخيط أي مجردة لا تتعلق بشيء ولا يتعلق بها شيء وهو الاستقامة على الطاعة من غير روغان إلى معصية كما تروغ الثعالب وأن لا يحدث نفسه بعود إلى ذنب متى قدر عليه وأن يترك الذنب لأجل الله تعالى خالصا لوجهه كما ارتكبه لأجل هواه مجمعا عليه بقلبه وشهوته، فمتى أتى الله عز وجل بقلب سليم من الهوى وعلم خالص مستقيم على السنة فقد ختم له **بحسن الخاتمة**، فحينئذ أدركته الحسنى السابقة وهذا هو التوبة النصوح وهذا العبد هو التواب المتطهر الحبيب وهذا إخبار عمن سبقت له من الله الحسنى ومن تداركه نعمة من ربه رحمه بها من تلوث السوأى وهو وصف لمن قصده بخطابه إذ يقول في كتابه: (."[1]

"فيما بقي ولا يتم له ذلك إلا باستعمال علم اليقين في كل شيء ثم المتابعة بأعمال الصالحات ليكون ممن قال الله تعالى: (ويدرؤون بالحسنة السيئة) الرعد: ٢٢ الآية أي يدفعون ما سلف من السيئات بما يعلمون من الحسنات.

وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر فإذا عملت سيئة فأعمل بعدها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية وفي وصية معاذ أتبع السيئة الحسنة تمحها وليدخل في الصالحين كما قال الله تعالى: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) العنكبوت: ٩، ثم المسارعة إلى الخيرات إذا قدر عليها ليدرك بها ما ضيع وفات ليكون من الصالحين وفي هذا المقام يصلح لمولاه فيحفظه ويتولاه كما قال الله: (وهو يتولى الصالحين) الأعراف: ١٩٦، وجمل ما على العبد في التوبة وما تعلق بها عشر خصال، أولها فرض عليه أن لا يعصي الله تعالى، والثانية إن ابتلى بمعصية لا يصر عليها، والخصلة الثالثة التوبة إلى الله تعالى منها، والرابعة الندم على ما فرط منه، والخامسة عقد الاستقامة على الطاعة إلى الموت، والسادسة خوف العقوبة، والسابعة رجاء المغفرة، والثامنة الاعتراف بالذنب، والتاسعة اعتقاد أن الله تعالى قدر ذلك عليه وأنه عدل منه، والعاشرة المتابعة بالعمل الصالح ليعمل في الكفارات لقوله صلى الله عليه وسلم: وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وفي جميع هذه الخصال جمل آثار رويناها عن الصحابة والتابعين يكثر ذكرها، ويقال: إن ملك الموت إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقي من عمرك ساعة وأنك لا تستأخر عنها طرفة عين قال: فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا من أولها إلى آخرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها أو يستبدل بها فلا يجد إلى ذلك سبيلا، وهذا تأويل قوله عز وجل: (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) سبأ: ٥٤ قيل: التوبة وقيل: الزيادة في العمر وقيل: **حسن الخاتمة**

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٠٢/١

حيل بينهم وبين ذلك كما فعل بأشياعهم من قبل أي بنظرائهم وأهل فرقتهم قال: فإذا كل ساعة تمضي على العبد فهي بمنزلة هذه الساعة قيمتها الدنيا كلها إذا عرف قيمة ذلك فلذلك قيل ليس لما بقي من عمر العبد قيمة إذا عرف وجه التقدير من الله تعالى بالتصريف والحكمة

وقيل في معنى قوله تعالى: (من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب) المنافقون: ١٠ قال: الوقت القريب أن يقول العبد عند كشف الغطاء: يا ملك الموت أخرني يوما أعبد فيه ربي وأعتب فيه ذنبي وأتزود صالحا لنفسي فيقول: فنيت الأيام فلا يوم، فيقول: أخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة، قال: فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه عند الغرغرة فيغلق باب التوبة ويحجب عنه وتنقطع الأعمال وتذهب الأوقات وتتصاع الأنفاس يشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحتد بصره فإذا كان في آخر نفس زهقت نفسه فيدركه م١ سبق له من السعادة فتخرج روحه على." (١)

"التوحيد فذلك **حسن الخاتمة** أو يدركه ما سبق له من الشقوة فتخرج روحه على الشرك فهذا الذي قال الله عز وجل: (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) النساء: ١٨، فهذا **سوء الخاتمة** نعوذ بالله منه وقيل: هذا هو المنافق ويقال: المدمن على المعاصي المصر عليها.

وقد قال الله تعالى: (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) النساء: ١٧، قيل: قبل الموت وقبل ظهور آيات الآخرة وقبل الغرغرة أي تغرغر النفس في الحلقوم لأنه تعالى قد حكم أن التوبة بعد ظهور إعلام الآخرة لا تقبل، ومنه قوله عز وجل: (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) الأنعام: ١٥٨ يعني من قبل معاينة الآيات أو كسبت في إيمانها خيرا قيل: التوبة هي كسب الإيمان وأصول الخيرات وقيل: الأعمال الصالحة هي مزيد الإيمان وعلامة الإيقان وقد قيل: ثم يتوبون من قريب أي عن قريب عهد بالخطيئة لا يتمادى فيها ولا يتباعد عن التوبة وتوبته من قريب أن يعقب الذنب عملا صالحا ولا يردفه ذنبا آخر وأن يخرج من السيئة إلى الحسنة ولا يدخل في سيئة أخرى وقيل: أول من يسأل الرجعة من هذه الأمة من لم يكن أدى زكاة ماله أو لم ييكن حج بيت ربه فذلك تأويل قول الله تعالى: (فأصدق وأكن من الصالحين) المنافقون: ١٠، وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول: هذه الآية من أشد شيء على أهل التوحيد هذا لقوله تعالى في أولها: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) المنافقون: ٩، وقد قيل: لا يسأل عبد الرجعة عندا لموت وله عند الله

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٠٤/١

عز وجل مثقال ذرة من خير.

وروينا بمعناه من كان له في الآخرة مثقال ذرة من خير لو أن له الدنيا بما فيها من أولها إلى أخرها لم يحب أن يعود إلى الدنيا، وقال بعض العارفين: إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه يوجده ذلك بإلهام يلهمه، أحدهما إذا ولد وخرج من بطن أمه يقول له: عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك ائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الأمانة وأنظر كيف تلقاني كما أخرجتك، وسر عند خروج روحه يقول: عبدي ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب؟، فهذا داخل في قوله عز وجل: (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) المؤمنون: ٨، وفي قوله تعالى: (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) البقرة: ٤٠ عمر العبد أمانة عنده إن حفظه فقد أدى الأمانة وإن ضيعه فقد خان الله، إن الله لا يحب الخائنين، وفي خبر ابن عباس رضي الله عنه من ضيع فرائض الله عز وجل خرج من أمانة الله وعند التوبة النصوح تكفير السيئات ودخول الجنات، وكان بعضهم يقول: قد علمت متى يغفر الله لي قيل: ومتى؟ قال: إذا تاب علي، وقال آخر: أنا من أن أحرم التوبة أخوف مني من أن أحرم المغفرة، وقال الله تعالى: (ومن أصدق من الله." (١)

"يترك فمظالم العباد أي لا يترك المطالبة به والمؤاخذه عليه، والضرب السادس من الذنوب ما كان بين العبد وبين مولاه من نفسه إلى نفسه متعلق بالشهوات والجري في العادات وهذه أخفها وإلى العفو أقربها، وهذه على ضربين كبائر وصغائر، فالكبائر ما نص عليه بالوعيد وما وجبت فيه الحدود، والصغائر دون ذلك إلى نطرة وخطرة والتوبة النصوح تأتي على الجميع ذلك بعموم قوله تعالى: (فتاب عليكم وعفا عنكم) وبإخباره عز وجل عن حكمه إذ يقول: ثم تاب عليهم ليتوبوا، وبظاهر قوله تعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا) البروج: ١٠، ومثله: (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) النحل: ١١٠ إلى قوله: (إن ربك من بعدها لغفور رحيم) النحل: ١١٠ هكذا قراءة أهل الشام بنصب الفاء والتاء ولأن البغية من التوبة إذا كانت غفران الذنب والزحزحة عن النار ونحن لا نرى أبدية الوعيد على أهل الكبائر بل نجعلهم في مشيئة الله ونجوز تجاوز الله تعالى عنهم في أصحاب الجنة، كما جاء في الخبر في تفسير قوله تعالى: (فجزاؤه جهنم خالدا فيها) النساء: ٩٣، أي إن جازاه، وكما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم: من وعده الله تعالى على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن وعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، وكما قال ابن عباس رضي الله عنه: يغفر لم يشاء الذنب العظيم ويعذب من

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٠٥/١

يشاء على الذنب الصغير، وقد قال الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) النساء: ٤٨، فلم يجد للمغفرة ذنبا غير الشرك وترك المسلمين مع سائر الذنوب في مشيئته فقد يحتج محتج بالخبر المأثور في ترك قبول توبة المبتدع إن الله تعالى احتجر التوبة على كل صاحب بدعة فهذا مخصوص لمن لم يتب ممن حكم عليه بدرك الشقاء، ألا ترى أنه لم يقل إن الله تعالى احتجر قبول التوبة عمن تاب إنما أخبر عن حكم الله تعالى فيمن لم يتب بأن الله تعالى حجب التوبة عنه، فهكذا نقول أيضا: إن القاتل إذا كان قد سبق له **سوء الخاتمة** بأنه يموت على غير توحيد، وكذلك المبتدع إن جعل اسمه في أصحاب النار ثم كان القتل والبدعة علامة ذلك وسببه أنهما جميعا ممنوعان من التوبة فإنها محتجرة عنهما، سورة وكذلك القول فيمن حقت عليه كلمة العذاب بسبق **سوء الخاتمة** فلو أنه تاب سبعين توبة لم تنقذه من النار وليست توبته بأكثر من قوله صلى الله عليه وسلم: إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس: إنه من أهلها ولا يبقى بينه وبينها إلا شبر ثم يدركه الشقاء.

وفي لفظ آخر: ثم يسبق عليه الكتاب بعمل أهل النار فيدخلها فقد دخلت التوبات في صالح أعماله الحسنات ثم أحبطها عنه في جملة عمله بسبق الكتاب بالشقاء له، وأما من لم يسبق له **سوء الخاتمة** ووهب له التوبة النصوح ولم يدركه الشقاء فإنها لم تحتجر." (١)

"إلى الذنب ثم يحزن عليه بقصد له وسعي فيه وإيثاره إياه على الطاعة، إلا أنه يسوف بالتوبة ويحدث نفسه بالاستقامة ويحب منازل التوابين ويرتاح قلبه إلى مقامات الصديقين ولم يأن حينه ولا ظهر مقامه لأن الهوى يحركه والعادة تجذبه والغفلة تغمره إلا أنه يتوب خلال الذنوب ويعاود لتقدم المعتاد فتوبة هذا فوت من وقت إلى وقت ومثله ترجى له الاستقامة لمحاسن عمله وتكفيرها لسالف سيئته وقد يخاف عليه الانقلاب لمداومة خطئه ونفس هذا هي المسولة وهو ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليه فيستقيم فيلحق بالسابقين فهذا بين حالين، بين أن يغلب عليه وصف النفس فيحق عليه ما سبق من القول وبين أن ينظر إليه مولاه نظرة تجبر له كل كسر ويغني له كل فقر فيتداركه بمنة سابقة فتلحقه بمنازل المقربين لأنه قد سلك طريقهم بفضله ورحمته ونيته الآخرة، والعبد الرابع أسوأ العبيد حالا وأعظمهم على نفسه وبالا وأقلهم من الله نوالا عبد يذنب ثم يتبع الذنب مثله أو أعظم منه ويقيم على الإصرار ويحدث نفسه به متى قدر عليه ولا ينوي توبة ولا يعقد استقامة ولا يرجو وعدا بحسن ظنه ولا يخاف وعيدا لتمكن أمنه، فهذا هو حقيقة الإصرار ومقام بين العتو والاستكبار، وفي مثل هذا جاء الخبر: هلك المصرون

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٢٣/١

قدما إلى النار ونفس هذا هي الأمارة وروحه أبدا من الخير فرارة ويخاف على مثله **سوء الخاتمة** لأنه في مقدماتها وسالك طريقتها ولا يبعد منه سوء القضاء ودرك الشقاء ولمثل هذا قيل من سوف الله تعالى بالتوبة أكذبه وأن اللعنة خروج من ذنب إلى أعظم منه، وهذه الطائفة في عموم المسلمين، وهم في مشيئة الله من الفاسقين، كما قال تعالى: (مرجون لأمر الله) التوبة: ١٠٦ أي مؤخرون لحكمه إما يعذبهم بالإصرار وإما يتوب عليهم بما سبق من حسن الاختيار نعوذ بالله تعالى من عذابه ونسأله نعيما من ثوابه، وهذا آخر كتاب التوبة.

ش رح مقام الصبر

ووصف الصابرين وهو الثاني من مقامات اليقين

قد جعل الله عز وجل الصابرين أئمة المتقين وتمم كلمته الحسنى عليهم في الدين فقال تعالى: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) الأنبياء: ٧٣ لما صبروا، وقال تعالى: (وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا) الأعراف: ١٣٧، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وقال المسيح عليه السلام: إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون، وقال بعض الصحابة: ماذا جعل الله تعالى من الشقاء والفضل في التقى والصبر، وقال ابن مسعود: الصبر نصف الإيمان، وقد جعل علي كرم الله وجهه الصبر ركنا من أركان الإيمان وقرنه بالجهاد والعدل والإيقان فقال: بني الإسلام على أربع دعائم، على اليقين، والصبر، والجهاد، والعدل، وقال علي كرم الله وجهه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد لا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له، ورفع رسول الله: الصبر في العلو والفضل إلى مقام اليقين." (١)

"المدثر: ٧، ثم فسره في الكلام المفسر، وأصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا، ومن الصبر حبس النفس على التقوى، والتقوى اسم جامع لكل خير، فالصبر معنى داخل في كل بر فإذا جمعهما العبد فهو من المحسنين وما على المحسنين من سبيل، ومنه قوله تعالى: (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) يوسف: ٩٠ وقال تعالى: (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) آل عمران: ١٨٦ أي إن تصبروا على الأذى عن المكافأة وتتقوا عند الابتلاء والمكاره ولا تجاوزوا فإنه أفضل كما قال تعالى: (وإن

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٢٥/١

عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقتتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) النحل: ١٢٦، وقوله تعالى: (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) الشورى: ٤١ ثم قال عز وجل: (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) الشورى: ٤٣، قال: فالأول أعني المكافأة والانتصار بالحق من العدل والعدل حسن، والثاني أعني العفو والصبر من الفضل وهو الإحسان وهذا مجاز قوله تعالى: (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) الزمر: ١٨، فاستماع القول هو العدل والعدل حسن وهو الانتصار والعفو أحسن وفيه المدح بالهدى والعقل، وهذا هو مقام المخبتين قيل: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا فالمدح بالوصف لأهل هذا المقام هو الإخبات وهو الخشوع والطمأنينة بحسن الجزاء من الله سبحانه وتعالى في الآخرة لقرب اللقاء وسرعة فناء الدنيا أمدح كما قال تعالى: (وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل) الحجر: ٨٥، والتقوى والصبر معينان أحدهما منوط بالآخر لا يتم كل واحد منهما إلا بصاحبه فمن كانت التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر أفضل الأحوال من حيث كان التقوى أعلى المقامات إذ الأتقى هو الأكرم عند الله تعالى، والأكرم على الله تعالى هو الأفضل، وقد شرف الله تعالى الصبر بأن أضافه إليه بعد الأمر به فقال: (واصبر وما صبرك إلا بالله) النحل: ١٢٧ وقال تعالى: (ولربك فاصبر) المدثر: ٧ وإن كان كل شيء به وكل عمل صالح له ولا يصف الله تعالى عبدا ولا يثني عليه حتى يبتليه فإن صبر وخرج من البلاء سليما مدحه ووصفه وإلا بين له كذبه ودعواه، وقيل لسفيان الثوري رضي الله عنه: ما أفضل الأعمال قال الصبر عند الابتلاء.

وقال بعض العلماء: وأي شيء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كتابه في نيف وتسعين موضعا ولا نعلم شيئا ذكره الله تعالى هذا العدد إلا الصبر فلا يطمعن طامع في مدح الله له وحسن ثنائه عليه قبل أن يبتليه فيصبر له ولا يطمعن أحد في حقيقة الإيمان وحسن اليقين قبل أن يمدحه الله تعالى ويثني عليه، ولو أظهر الله تعالى على جوارحه سائر الأعمال ثم لم يمدحه بوصف ولم يثن عليه بخير لم يؤمن عليه **سوء الخاتمة**، وذلك أن من أخلاق الله تعالى أنه إذا أحب عبدا ورضي عمله مدحه ووصفه، فمن ابتلاه بكراهة ومشقة أو بهوى وشهوة فصبر لذلك أو صبر عن ذلك، فإن الله تعالى يمدحه ويثني عليه بكرمه وجوده فيدخل هذا العبد في أسماء الموصوفين ويصير واحدا من الممدوحين فعندها يثبت قدمه من الزلل ويخت له بما سبق من صالح العمل، ومن الصبر، صبر على العوافي أن لا يجريها في المخالفة والصبر على الغنى أن لا يبذله في الهوى، والصبر على النعمة أن لا يستعين بها على معصية، فحاجة المؤمن إلى الصبر في هذه المعاني ومطالبته بالصبر عليها كحاجته ومطالبته بالصبر على المكاره والفقر وعلى الشدائد والضر،

ويقال: إن البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والعوافي لا يصبر فيها إلا صديق، وكان سهل يقول: الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء، وكذلك قالت الصحابة رضي الله عنهم: لما فتحت الدنيا فنالوا من العيش واتسعوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر فعظموا الاختبار بالسراء وهو ما سر على الاختبار بالضراء وهو ما ضر.

وقد قال تعالى: (الذين ينفقون في السراء والضراء) آل عمران: ١٣٤ فمدحهم بوصف واحد في الحالين المختلفين لحسن يقينهم وسخاوة نفوسهم وحقيقة زهدهم، ومن هذا المعنى قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) المنافقون: ٩ لأن فيهما ما يسر ويشغل عن الذكر، ثم قال عز وجل: (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) التغابن: ١٤ لأن في الأواج والأولاد ما يفرح به فيوافق فيه الهوى ويخالف بوجودهما المولى فصار اعدوين في العقبى لما يؤول إليه من شأنهما، ومن هذا الخبر الذي روى عن النبي لما نظر إلى ابنه الحسن يتعثر في قميصه فنزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) التغابن: ١٥ أي لما رأيت ابني هذا لم أملك نفسي أن أخذته، ففي هذا عبرة لأولي الأبصار، وروي عنه في الحديث أيضا: الولد محزنة مبخلة مجبنة، فهذه مصادر الحزن والبخل والجبن أي يحمل حب الأولاد والأموال على ذلك، فمن صبر على السراء وهي العوافي والغنى والأولاد وغير ذلك وأخذ الأشياء من حقها ووضعها في حقها فهو من الصابرين الشاكرين لا يزيد." (١)

"بالمحاربة، ثم أنا الثائر لولي لا أكل نصرته إلى غيري.

وعن جعفر الصادق رضي الله عنه في معنى هذه النعم التي أوجبنا الشكر في إخفائها قال: إن الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث، رضاه في طاعته، فلا تحتقروا منها شيئا لعل رضاه فيه، وخبأ غضبه في معاصيه، فلا تحتقروا منها شيئا لعل غضبه فيه، وخبأ ولايته في عباده المؤمنين، فلا تحتقروا منهم أحدا لعله ولي الله تعالى، ويكون مثل ذلك مثل من آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته وإن الله تعالى نبأه قبل أن يخبره أنه نبي الله عز وجل ورسوه إليه فلا يكون وزره وزر من انتهك حرمة نبي قد أعلمه أنه نبي الله تعالى لعظيم حرمة النبوة، وللشاكرين طريقان: أحدهما أعلى من الآخر أولهما شكر الراجين وهو حسن المعاملة لما أملوه ورجوه من ظواهر النعم فعملوا رجاء إتمامها فكان حالهم المسارعة والمسابقة إلى الأعمال الصالحة شكرا لما ابتدأهم به وخصهم دون سائر خلقه، وأعلاهما شكر الخائفين وهو خوف **سوء الخاتمة** والإشفاق من درك الشقاء بحكم السابقة نعوذ بالله تعالى منه فكان خوفهم دليلا على اغتباطهم بموهبة الإيمان، وكان اغتباطهم يدل

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٣١/١

على عظيم قدر الإسلام في قلوبهم ونفيس مكانه عندهم فعظمت النعمة به عليهم فمعرفتهم بذلك هو شكرهم فصارالخوف والإشفاق طريقا لهم في الشكر للرازق.

وقد جعل الله تعالى ذلك نعمة وكل نعمة تقتضي شكرا في قوله تبارك وتعالى: (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) المائدة: ٢٣ قال بعض المفسرين: أنعم الله عليهما بالخوف وهذا أحد وجهي الكلام ولو لم يشكر العبد مولاه إلا أنه تبارك وتعالى على هذه الأوصاف والأخلاق التي هي صفاته وأخلاقه من نهاية الكرم والجود الذي لا غاية له ومن غاية التفضل والحلم الذي لا نهاية له، فلما كان تبارك وتعالى بهذه الأخلاق المرجوة والصفات الحسنى وجب أن يشكره العبيد لأجله تعالى لا لأجل نعمه وأفعاله؛ وهذا ذكر المحبين إذ لو كان الله تعالى على غير هذه الصفات والأخلاق التي عرفه بها العارفون ولا بد لهم منه أي شيء كان يصنع." (١)

"الإحسان من غير قدم من العبد ولا استحقاق بل بفضل الله وبرحمته، وهذا أحد الوجوه في قوله تعالى: (كلا لما يقض ما أمره) عبس: ٢٣ أي لا يقضي العبد أبدا شكر ما أمره الله تعالى من نعمة الإسلام الي هي أصول النعم في الدنيا والآخرة وهي سبب النجاة من النار ومفتاح دخول الجنة ولا أول للعبد فيها ولاشفيع كان له إلى الله تعالى بها ثم دوام ذلك وثباته مع الطرف والأنفاس بمدد منه نعم مترادفة.

ومن هذا قوله تعالى: (كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) المجادلة: ٢٢ أي قواهم بمدد يثبته ويقويه وهو معنى قوله تعالى: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) إبراهيم: ٢٧ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: يامقلب القلوب أي عن الإيمان ومقلبها في الشك والشرك ثبت قلبي على طاعتك، ومعرفة هذه النعمة اللطيفة العظيمة تستخرج من القلب خوف **سوء الخاتمة** لمشاهدة سرعة تقليب القلب بالمشيئة وذلك مزيد شكرها وهذا داخل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: أحبوا الله تعالى لما أسدى إليكم من نعمه ولما يغذوكم به أيضا، فمن أفضل ما غذانا به نعمة الإيمان له والمعرفة به وغذاؤه لنا منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه في تصريف الأحوال إذ هو أصل الأعمال التي هي مكان النوال، فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا في الذنوب، ولو قلب قلوبنا في الشك والضلال كما يقلب نياتنا في الأعمال أي شيء كنا نصنع وعلى أي شيء كنا نعول وبأي شيء كنا نطمئن ونرجو؛ فهذا من كبائر النعم ومعرفته هو من شكر نعمة الإيمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الإيمان يوجب العقوبة وادعاء الإيمان أنه عن كسب معقول أو استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الإيمان وأخاف على من

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٤٧/١

توهم ذلك أن يسلب الإيمان لأنه بدل شكر نعمة الله كفرا.

وقد جعل الله تعالى الخيرات من كسب الإيمان وليس لنا فيما يكسبنا الخيرات مكان بل الله تعالى من علينا أن هدانا للإيمان وجعله سببا يكسب لنا بإحسانه الإحسان كما قال تعالى: (أو كسبت في إيمانها خيرا) الأنعام: ١٥٨ قيل التوبة، وقيل: الصالحات كلها كسب الإيمان ومن النعم بعد الإيمان توفيقنا للحسنى وتيسيرنا لليسرى، ثم صرف الكفر وأخلاق الكفرة وأعمالهم ثم تزيين الإيمان وتحبيبه إلينا وتكريه الفسوق والعصيان فضلا منه ونعمة إلى ما لا يحصى من نعمه فشكر ذلك لايقام به إلا بما وهب أيضا وأنعم به من المعرفة بذلك والمعونة عليه، والحياء من تتابع النعم هو من الشكر والمعرفة بالتقصير عن الشكر شكر، والاعتذار من قلة الشكر شكر، والمعرفة بعظيم الحلم وكثيف الستر شكر، والاعتراف بما أعطى من حسن الثناء وجميل النشر أنه من النعم من غير استحقاق من العبد بل هو مضاف إلى نعمه بل هو من الشكر، وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر، وشكر الخلق بالدعاء لهم وحسن الثناء عليهم لأنهم ظروف العطاء وأسباب المعطى تخلقا بأخلاق المولى جل وعلا هو من الشكر، وقلة الاعتراض وحسن." (١)

"الذي يستريح إليه المكروب من الذنوب والقنوط من رحمة الله تعالى التي يرجوها المبتلي بالذنوب أعظم من ذنوبه وهو أشد من جميع ذنوبه لأنه قطع بهواه على صفات الله تعالى المرجوة وحكم على كرم وجهه بصفته المذمومة فكان ذلك من أكبر الكبائر وإن كانت ذنوبه كبائر.

وهكذا جاء في التفسير: ولاتلقوا بأيدكم إلى التهلكة قال: هو العبد يذنب الكبائر ويلقى بيده ولا يتوب ويقول: قد هلكت لا ينفعني عمل فنهوا عن ذلك إلا أن الرجاء مقام جليل وحال شريف نبيل لا يصلح إلا للكرماء من أهل العلم، والحياء وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف، يروحون به من الكرب ويستريحون إليه من مقارفة الذنب، ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء، ومن لم يقم في مقام الخوف لم يرفع إلى مقامات أهل الرجاء على صحة وصفاء ورجاء، كل عبد من حيث خوفه ومكاشفته عن أخلاق مرجوة من معنى ما كان كوشف به من صفات مخوفة، فإن كان أقيم مقام المخوفات من المخلوقات مثل الذنوب والعيوب والأسباب، رفع من حيث تلك المقامات إلى مقامات الرجاء، بتحقيق الوعد وغفران الذنب وتشويق الجنان وما فيها من الأوصاف الحسان؛ وهذه مواجهات أصحاب اليمين وإن كان أقيم مقام مخاوف الصفات عن مشاهدة معاني الذات مثل سابق العلم **وسوء الخاتمة** وخفي المكر وباطن الاستدارج وبطش القدرة وحكم الكبر والجبروت، رفع من هذه المقامات إلى مقام المحبة والرضا، فرجا من معاني الأخلاق

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٥٤/١

وأسماء الكرم والإحسان والفضل والعطف واللطف والإمتنان، وليس يصح أن نخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل الرجاء في مقامات الرجاء من قبل أنه لا يصلح لعموم المؤمنين، وهو يفسد من لم يرزقه أشد الفساد فليس يصلح إلا بخصوصة ولا يجديه ولا يستجيب له ولا يستخرج إلا من المحبة ولا محبة إلا بعد نصح القلب من الخوف، وأكثر النفوس لا يصلح إلاعلى الخوف، كعبيد السوء لا يستقيمون إلا بالسوط والعصا ثم يواجهون بالسيوف صلتا، ومن علامة صحة الرجاء في العبد كون الخوف باطنا في رجائه لأنه لما تحقق برجاء شيء خاف فوته لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به، فهو لا ينفك في حال رجائه من خوف فوت الرجاء؛ والرجاء هو ترويحات الخائفين، ولذلك سمت العرب الرجاء خوفا لأنهما وصفان لا ينفك أحدهماعن الآخر، ومن مذهبهم أن الشيء إذا كان لازما لشيء أو وصفا له أو سببا منه، أن يعبروا عنه به فقالوا: مالك لا ترجو كذا وهم يريدون ما لك لا تخاف؟ وعلى هذه اللغة جاء قول الله تعالى: (ما لكم لا ترجون لله وقارا) نوح: ١٣ أجمعوا على تفسيره: مالكم لا تخافون لله عظمة، وهو أيضا أحد وجهي تفسير قوله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه) الكهف: ١١٠ أي يخاف من لقائه ومثل الخوف من الرجاء، مثل اليوم." (١)

"وحننت إليه فقال صلى الله عليه وسلم: هذه علامة الله تعالى فيمن يريد ولو أرادك للأخرى هيأك لها، ثم لم يبال في أي أوديتها هلكت، ومن الرجاء التلذذ بدوام حسن الإقبال والتنعم بمناجاة ذي الجلال وحسن الإصغاء إلى محادثة القريب والتلطف في التملق للحبيب وحسن الظن به في العفو الجميل ومنال الفضل الجزيل، وقال بعض العارفين: للتوحيد نور وللشرك نار، ونور التوحيد أحرق لسيئات المؤمن من نار الشرك لحسنات المشرك، ولما احتضر سليمان التيمي قال لابنه: يابني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله تعالى على حسن الظن به، وكذلك لما حضر سفيان الثوري رضي الله عنه الوفاة جعل العلماء حوله يرجونه، وحدثنا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قال لابنه عند الموت: اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن، فلولا أن الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الأوقات عند فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله **حسن الخاتمة** طول الحياة، ولذلك قيل: إن الخوف أفضل مادام حيا فإذا حضر الموت فالرجاء أفضل، وقد كان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول في مقامات الرجاء: إذا كان توحيد ساعة يحبط ذنوب خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة ماذا سيصنع بالذنوب؟ وقال أبو محمد سهل رضي الله عنه: لا يصبح الخوف إلا لأهل الرجاء، وقال مرة:

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١/ ٣٦٠

العلماء مقطوعون إلا الخائفين، والخائفون مقطوعون إلا الراجين، وكان يجعل الرجاء مقاما في المحبة وهو عند العلماء أول مقامات المحبة، ثم يعلو في الحب على قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن، وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث في الرجاء لا يصلح ذكرها لعموم الناس ولكن نذكر من ذلك ما ظهر خلق الله تعالى لجهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله عز وجل به عباده إلى الجنة، وخبر آخر، يقول الله تعالى: إنما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم أخلقهم لأربح عليهم، وفي حديث عطاء بن يسارعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ماخلق الله تعالى شيئا إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه، والخبر المشهور: إن الله تعالى كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي تغلب غضبي، والأخبار المشهورة عن معاذ بن جبل وأنس بن مالك رضي الله عنهما: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، ومن كان آخركلامه قول: لا إله إلا الله لم تمسه النار، ومن لقي الله تعالى لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه وزن ذرة من إيمان، وقد قال في خبر آخر: لو يعلم الكافر سعة رحمة الله تعالى ما أيس من رحمته أحد وقد قال تعالى في حسن عفوه عن أكبر الكبائر بعد ظهور الآيات: (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك) النساء: ١٥٣،." (١)

"روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من غش أمتي فعليه لعنة الله، قيل وما غش أمتك يا رسول الله؟ قال: أن يبتدع لهم بدعة فيتبع عليها، فإذا فعل ذلك فقد غشهم.

وثمرة الخوف العلم بالله عز وجل والحياء من الله عز وجل وهو أعلى سريات أهل المزيد يستبين أحكام ذلك في معنيين؛ هما جملة العبد إن يحفظ رأسه وما حواه من السمع والبصر واللسان وأن يحفظ بطنه وما وعاه وهو القلب والفرج واليد والرجل: وهذا خوف العموم، وهو أول الحياء.

فأما خوف الخصوص فهو أن لا يجمع ما لا يأكل ولا يبني ما لا يسكن، ولا يكاثر فيما عنه ينتقل ولا يغفل ولا يفرط عما إليه يرتحل، وهذا هو الزهد وهو حياء مزيد أهل الحياء من تقوى أصحاب اليمين، وقد روينا معنى ما ذكرناه في حديثين، أحدهما عام والآخر خاص، وكل من لم يستعمل قلبه في بدايته، ويجعل الخوف حشو إرادته لم ينجب في خاتمته، ولم يكن إماما للمتقين عند علو معرفته.

وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة، لا يسكن إلى علم ولا عمل، ولا يقطع على النجاة بشيء من العلوم وإن علت، ولا لسبب من أعماله وإن جلت، لعدم علمه تحقيق الخواتم، فقد قيل: إنما يوزن من الأعمال خواتمها.

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٦٦/١

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى يقال إنه من أهل الجنة، وفي خبر: حتى ما يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر، ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار ولا يتأتى في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم بالجوارح، إنما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول، وهو شرك التوحيد الذي لم يكن متحققا به، وشك في اليقين الذي لم يكن في الحياة الدنيا مشاهدا له، فظهر له بيان ذلك عند كشف الغطاء، فغلب عليه وصفه وبدت فيه حاله كما يظهر له أعماله السيئة فيستحليها قلبه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجده، فتكون هي خاتمته التي تخرج عليها روحه، وذلك في سابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى: (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) الأعراف: ٣٧ تكون عند مفارقة الروح من الجسد (وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص) هود: ١٠٩ وقد جاء في خبر حتى لايبقى بينه وبين الجنة إلا فواق ناقة، فيختم له بعمل أهل النار، وهذا يكون عند بلوغ الروح التراقي، وتكون النفس قد خرجت من جميع الجسد، واجتمعت في القلب إلى الحلقوم فهذا هو شبر، وفواق ناقة: هو ما بين الحلبتين، وقيل: هو شوط من عدوها بين سيرين؛ وهذا من تقلبات القلوب عند حقيقة وجهة التوحيد إلى وجهة الضلال والشرك عندما يبدو له من زوال عقل الدنيا، وذهاب علم المعقول فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب.

وأكثر ما يقع **سوء الخاتمة** لثلاث طوائف من الناس: أهل البدع والزيغ في الدين،." (١)

"لأن إيمانهم مرتبط بالمعقول، فأول آية تظهر لهم من قدرة الله تعالى أن يطيح عقله عند شهودها فيذهب إيمانه ولا يثبت لمعاينتها، كما تحترق الفتيلة فيسقط المصباح.

والطبقة الثانية أهل الكبر والإنكار لآيات الله عز وجل وكراماته لأوليائه في الحياة الدنيا، لأنهم لم يكن لهم يقين يحمل القدرة ويمده الإيمان؛ فيعتورهم الشك ويقوى عليهم لفقد اليقين.

والطبقة الثالثة ثلاثة أصناف: متفرقون متفاوتون في **سوء الخاتمة**، وجميعهم دون تينك الطائفتين في **سوء الخاتمة**، لأن سوء الختم على مقامات أيضا كمقامات اليقين والشرك في عمر الحياة، منهم المدعي المتظاهر الذي لم يزل إلى نفسه وعمله ناظرا، والفاسق المعلن، والمصر المدمن، يتصل بهم المعاصي إلى آخر العمر، ويدوم تقلبهم فيها إلى كشف الغطاء، فإذا رأوا الآيات تابوا إلى الله تعالى بقلوبهم، وقد انقطعت أعمال الجوارح فليس يتأتى منهم، فلا تقبل توبتهم، ولا تقال عثرتهم، ولاترحم عبرتهم، وهم من أهل هذه الآية، (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال: إني تبت الآن) النساء:

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٧٨/١

١٨ فهم مقصودون بقوله عز وجل: (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) سبأ: ٥٤ وهم معنيون بمعنى قوله تعالى: (فلما رأوا بأسنا قالوا: آمنا بالله وحده) غافر: ٨٤، فنصوص الآية للكفار ومعناها ومقام منها لأهل الكبائر وذوي الإصرارمن الفاسقين الزائغين، من حيث اشتركوا في **سوء الخاتمة** ثم تفاوتوا في مقامات منها، تظهر لهم شهوات معاصيهم، ويعاد عليهم تذكرها، لخلو قلبهم من الذكر والخوف حتى يختم لهم بشهادتها؛ فهذه الأسباب تجلب الخوف وتقطع قلوب ذوي الألباب.

وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول: المريد يخاف أن يبتلي بالمعاصي، والعارف يخاف أن يبتلي بالكفر.

وكذلك قال أبو يزيد رحمه الله تعالى قبله: إذا توجهت إلى المسجد كان في وسطي زنار أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فيقطع عني الزنار، فهذا لي في كل يوم خمس مرات، هذا لعلمهم بسرعة تقلب القلوب في قدرة علام الغيوب.

وقد روينا معنى ذلك عن عيسى عليه السلام أنه قال: يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معشر الأنبياء نخاف الكفر.

وروينا في أخبار الأنبياء: أن نبيا شكا إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين فأوحى الله تعالى إليه: أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا، فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال: بلى قد رضيت يارب فاعصمني من الكفر فلم يذكر له نعمته عليه بنبوته وعرضه للكفر، وجوز دخوله عليه بعد النبوة، فاعترف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، ورضي به واستعصم.." (١)

"وقد كان عبد الواحد بن زيد إمام الزاهدين قبلهما يقول: ماصدق خائف قط ظن أنه لا يدخل النار وما ظن أن يدخل النار إلا خاف أن لا يخرج منها أبدا.

وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى إمام العلماء قبلهم: يخرج من النار رجل بعد ألف عام وياليتني ذلك الرجل، هذا لشدة خوفه من الخلود في الأبدية، قال فبعد أن أخرج منها بوقت لا أبالي.

والعدو يدخل على العارفين من طريق الإلحاد في التوحيد والتشبيه في اليقين والوسوسة في صفات الذات، ويدخل على المريدين من طريق الآفات والشهوات، فلذلك كان خوف العارفين أعظم، ومن قبل أن العدو يدخل على كل عبد من معنى همه فيشككه في اليقين كما يزين له الشهوات، فأرواحهم معلقة بالسابقة ماذا سبق لهم من الكلمة، هناك مشاهدتهم، ومن ثم فزعهم، لايدرون أسبق لهم قدم صدق عند ربهم فيختم

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٧٩/١

لهم بمقعد صدق، فيكونون ممن قال تعالى: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الأنبياء: ١٠١ ويخافون أن يكونوا قد حقت عليهم الكلمة، فيكونون ممن قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم: يقول الله سبحانه وتعالى هؤلاء في النار ولا أبالي فلا ينفعهم شفاعة شافع، ولاينقذهم من النار دافع، كما قال مولاهم الحق: (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) الزمر: ١٩ وكقوله تعالى: (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم) السجدة: ١٣ فهذه الآية ومعناها تخويف لأولي الأبصار.

وقال عالمنا رحمه الله في قوله تعالى (وإياي فاتقون) البقرة: ٤١ عموم أي فيما نهيت عنه: وقوله تعالى (وإياي فارهبون) البقرة: ٤٠ أي في السابقة وهذا خصوص.

وقد نوع بعض العارفين خوف المؤمنين على مقامين فقال: قلوب الأبرار معلقة، بالخاتمة يقولون: ليت شعري ماذا يختم لنا به؟ وقلوب المقربين معلقة بالسابقة يقولون: ليت شعري ماذا سبق لنا به؟ وهذان المقامان عن مشاهدتين: إحداهما أعلى وأنفذ من الأخرى لحالين: أحدهما أتم وأكمل، فهذا كما قيل ذنوب المقربين حسنات الأبرار: أي ما يرغب فيه الأبرار فهو عندهم فضائل، قد زهد فيه المقربون، فهو عندهم حجاب، ومن حقت عليه كلمة العذاب، وسبق له من مولاه الختم بسوء الاكتساب، لم ينفعه شيء، فهو يعمل في بطالة لا أجر له ولا عاقبة قد نظر إليه نظرة بعذ؛ فهو يزداد بأعماله بعدا من قبل أن **سوء الخاتمة** قد تكون في وسط العمر، فلا ينتظر بها آخره يوافق معصية تكون سببها كعند الخاتمة، إذ هما في سبق العلم سواء، فالخاتمة حينئذ فاتحة، والوقتان واحد.

فإذا انقطعت الآجال وانتهت الأعمال تناهي في الإبعاد فحل في دار البعد، وقد روينا في الخبر والله لا يقبل الله تعالى من مبتدع عملا إنه رد على الله تعالى سننه فرد عليه عمله كلما ازداد اجتهادا ازداد من الله تعالى بعدا، كما قال الحكيم:

من غص داوى بشرب الماء غصته ... فكيف يصنع من قد غص بالماء." (١)

"وروينا بمثل معنى هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على طفل منفوس، ففي راوية: إنه سمع يقول في دعائه: اللهم قه عذاب القبر وعذاب جهنم وفي رواية ثانية: إنه سمع قائلة تقول: هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة، فغضب وقال: ما يدريك؟ إنه كذلك والله، إني رسول الله وما أدري ما يصنع بي، إن الله عز وجل خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا لا يزاد فيهم ولاينقص منهم، وقد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة عثمان بن مظعون، وكان من المهاجرين الأول واستشهد لما قالت

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٨٠/١

أم سلمة رضي الله عنها ذلك، وكانت تقول: والله لا أزكي أحدا بعد عثمان رضي الله عنه، وأعجب من ذلك أنا روينا عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه أنه قال: والله لا أزكي أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي الذي ولدني قال: فتكلمت الشيعة، فأخذ يذكر من فضائل علي كرم الله وجهه ومناقبه؛ فهذه المعاني أحرقت قلوب الخائفين ولعل ذكر البعد في الأبعاد الذي شيب الحبيب القريب في قوله صلى الله عليه وسلم: شيبتني هود وأخواتها وسورة الواقعة وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون لأن في سورة هود ألا بعدا لثمود (ألا بعدا لعاد قوم هود) هود: ٦٠ ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود، وفي سورة الواقعة: (ليس لوقعتها كاذبة) الواقعة: ٢ يعني وقعت السابقة لمن سبقت له وحقت الحاقة بمن حقت عليه خافضة رافعة خفضت قوما في الآخرة كانوا مرفوعين في الدنيا حين ظهرت الحقائق وكشفت عواقب الخلائق، وأما سورة التكوير ففيها خواتم المصير وهي صفة القيامة لمن أيقن وفيها تجلي معاني الغضب لمن عاين آخر ذلك، وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت هذا فصل الخطاب أي عند تسعير النيران واقتراب الجنان، حينئذ يتبين للنفس ما أحضرت من شر يصلح له الجحيم أوخير يصلح له النعيم وتعلم إذ ذاك من أي أهل الدارين تكون وفي أي منزلين تحل، فكم من قلوب قد تقطعت حسرات على الأبعاد من الجنان بعد اقترابها وكم من نفوس تصاعدت زفرات عن يقينها بمعاينة لنيران أنها تصيبها، وكم من أبصار ذليلة خاشعة لمشاهدة الأهوال، وكم من عقول طائشة لمعاينة الزلزال.

وحدثنا عن أبي سهل رحمه الله تعالى قال: رأيت كأني أدخلت الجنة فلقيت فيها ثلاثمائة نبي، فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا؟ فقالوا لي: **سوء الخاتمة**، فالخاتمة هي من مكر الله تعالى الذي لا يوصف، ولا يفطن له ولا عليه يوقف، ولا نهاية لمكره، لأن مشيئته وأحكامه لا غاية لها.

ومن ذلك الخبر المشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل بكيا خوفا من الله تعالى، فأوحى الله إليهما لم تبكيان وقد أمنتكما؟ فقالا: ومن يأمن مكرك؟ فلولا أنهما علما أن مكره لانهاية له، لأن حكمه لاغاية له، لم يقولا ومن يأمن مكرك مع قوله: قد أمنتكما ولكان قد انتهى مكره بقوله، ولكانا قد وقفا على آخر مكره، ولكن خافا من بقية المكر الذي هو." (١)

"تعالى: (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض) النحل: ٤٥ الآية، ثم قال تعالى: (أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم) النحل: ٤٧ وليس يصلح أيضا أن نكشف سر المخاوف من الخاتمة والسابقة لأن ذلك يكون عن حقائق معاني الصفات التي ظهرت عن حقيقة الذات فأظهرت

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٨٢/١

بدائع الأفعال وغرائب المآل وأعادت الأحكام على من أظهر بها وجعل لها ممن حقت عليه الكلمات وجعل نصيبه من معاني هذه السريرة من الصفات فيؤدي ذلك منا إلى كشف باطن الأوصاف؛ وهذا غير مأمور به ولا مأذون فيه، لأنه لا يجب فلم يؤمر به، ولأنه لم يبح فلم يؤذن فيه، وهو من سر القدر وقد نهي عن إفشائه في غير خبر ولو لم يطلع الأولياء عليه لما قيل: فلا تفشوه، فإن أقام الله تعالى عبدا مقام هذه المشاهدة أغناه بالمعاينة عن الخبر، وآنسه بالمحادثة عن الأثر، وذلك هو العلم النافع الذي يكون العلام معلمه، وذلك هو الأثر اللازم الذي يكون الجاعل مؤثره، (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) الطلاق: ٣ فالكتب الذي لا يمحي ما كان من نوره والعين التي لا تخفى لأنها بحضوره والنور الذي لا يطفأ لأنه من روحه والروح الذي لا كرب فيه لأنه من ريحانه والمدد الذي لا ينقطع فمن روحه، وقد كتب وأيد وكل كتاب بيد مخلوق فغيرمحفوظ وقد يضيع وكل أيد بغير روحه فمقطوع وما كتبه الصانع بصنعه في قلب حفيظ فمثبت عتيد.

وقد روينا عن زيد بن أسلم في قوله تعالى: (في لوح محفوظ) البروج: ٢٢، قال: قلب المؤمن وقال آخر في قوله: (والبيت المعمور) الطور: ٤ قلب العارف، وقال بعض أهل المعرفة: (في بيوت أذن الله أن ترفع) النور: ٣٦ قلوب المقربين رفعت إلى وصف الخالق عن ذكر المخلوقين ويذكر فيها اسمه بالتوحيد على تجريد الوحدانية عن شهادة الأحدية.

وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله تعالى يقول: الصدر هو الكرسي والقلب هو العرش والله تبارك وتعالى واضع عليه عظمته وجلاله، وهو مشهود بلطفه وقربه، فصدرالمومن أوله صمدية وآخره روحانية وأوسطه ربوبية، فهو صمدي روحاني رباني وقلبه أوله قدرة وآخره بر، وأوسطه لطف، فإذا كان كذلك فهو مشكاة فيها مصباح يرى به الزجاج كأنها كوكب دري تشهد به الآلاء، فهو مرآة جسدي يرى فيرى به الوجه ويجده عنده كما يراه به من وراء مرآة مشاهدة من قلب موقن بعين يقين، يشهد الصدر الكرسي والقلب العرش والله تعالى عليه.

ولا يحل للعلماء أيضا كشف علامات سوء الخاتمة فيمن رأوها فيه من العمال لأن لها علامات جلية عند المكاشفين بها وأدلة خفية عند العارفين المشرف بهم عليها، ولكنها من سر المعبود في العبد خبيئة وخبأة في خزائن النفوس لم يطلع عليها إلا الأفراد وقد ستر ذلك وعطاه بسعة رحمته وحلمه وكثيف ستره وفضله وسيخرج ذلك الخباء يوم تبلى." (١)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٨٥/١

"السرائر عند غضبه وعظيم سطوته، فما له من قوة، من عمل، ولا ناصر من علم لا قوة له فينتصر بها، لأن النصرة عزة وهو ذليل، ولا ناصر، لأن الناصر هو الخاذل والمقوى هو المضعف، فما أسوأ حال من لا ينصر نفسه، وليست له من مولاه صحبة، ولو صحبه لنصره، ولو نصره لأعزه ولو وليه لهرب منه عدوه.

قال تعالى: (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) الأنبياء: ٤٣ وقال تعالى: (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض) الفرقان: ٦ الآية.

فمن حكمته غفره ومن رحمته ستره، وقال تعالى: (يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) النمل: ٢٥؛ فهذه العلوم التي ذكرناها توجب حقائق المخاوف، وهي من سر الملك وخباء الملكوت.

على أن للعبد عند الموت علامات ليس يخفى على العارف **بسوء الخاتمة** بها لمشاهدته لها وللأحياء علامات عند المكاشفين على الاطلاع يعرفون بها **سوء الخاتمة** منهم، وهذا علم مخصوص به: من أقيم مقام مقامات المكاشفات عن مشاهدة حقيقة من ذات، وهوسر علام الغيوب عند من أطلعه عليه من أهل القلوب، لأن الكشف يتنوع أنواعا من المعاني، فمنه كشف معاني الآخرة، ومنه كشف بواطن الدنيا، ومنه الاطلاع على حقائق الأشياء المستورة لظواهر الأحكام، فهذا من سر الملكوت، ومن معاني كشوف الجبروت.

وقد جاء في خبر القدر سر الله فلا تفشوه فهذا خطاب لمن كوشف به، وفي خبر آخر ستر الله فلا تكشفوه فهذا خطاب لمن لم يكاشف به، وهذا نهي عن السؤال عنه، وهو داخل في قوله تعالى (ولاتقف ما ليس لك به علم) الإسراء: ٣٦ أي لا تتبع نفسك علم ما لم تكلف، ولا تسأل عما لم يجعل من علمك ولم يوكل إليك، ولأنه إذا علمه لم ينفعه علمه شيئا، وإنما ينفعه علم الأحكام والأسباب، لأنها طرقات، وبمثل مخاطبة المؤمنين خاطب أنبياءه عليهم السلام في هذا المعنى في قوله تعالى لنوح عليه السلام حين قال: (إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق) هود: ٤٥ لأنه قدكان وعده نجاة أهله فقال سبحانه وتعالى: (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم) هود: ٤٦ أي دعاءك ومسألتك لي ما لم أجعله من علمك ولم أكله إليك عمل غير صالح، فعندها استغفر ربه واسترحمه.

وإن العبد عند موته في آخر ساعة من عمره يكشف له عند كشف الغطاء عن بصره وجوه كثيرة قد اتخذت آلهة من دون الله أو أشرك بها مع الله تعالى وكلها تزيين وغرور فإن وقف القلب مع أحدها، أو زين له

بعضها أوتقلب قلبه في شيئ منها عند آخر أنفاسه ختم له بذلك، فخرجت روحه على الشك أو الشرك، وهذا هو **سوء الخاتمة**، وهو نصيب العبد من الكتاب في السابقة عند خلق الأرواح، معدومة لها في الأشباح في الآباد." (١)

"والآزال قبل إظهار الأكوار والأدوار، فشهدتها الأرواح هناك غرورا، ووقفت معها وقد زادت لها زورا رسوم في القلب في التخطيط قبل خلق الأجسام لها، وقبل حجبها بكشف الهياكل عند ظهورها في الوجود، وقبل إقامتها بشاهد العقل، لكن بشاهد الأولية بدت، وبمعنى القيومية وجدت، وبوصف الجامع جمعت ثم فرقت ههنا، فظهرت الآن عند الفراق، لما كانت شهدت في التلاق، واعترفت في الآخر بما كانت نطقت في الأول وخرجت الروح على ما شهدت، وهذا كان خبر السابقة التي أدركت الأرواح المرافقة لها في الأجسام عند الخاتمة.

ومن ذلك جاء في الأثر: يأخذ ملك الأرحام النطفة في يده فيقول: يارب أذكر أم أنثى؟ أسوى أم معوج، ما رزقه، وما عمله؟ ما أثره ماخلقه؟ قال: ثم يخلق الله تعالى على يده كما قال: فإذا صورة قال: يارب أنفخ فيه بالسعادة أو بالشقاوة فلذلك خرجت الروح بما دخلت به (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين، فسلام لك من أصحاب اليمين، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم، وتصلية جحيم) الواقعة: ٨٨ – ٩٤ (كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) الأعراف: ٢٩ (كما بدأنا أول خلق نعيده) الأنبياء: ١٠٤ (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني) السجدة: ١٣ وقال سبحانه وتعالى: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) الأنبياء: ١٠١ (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك) يونس: ٩٦ (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس) الأعراف: ١٧٩ (ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) المؤمنون: ٦٣ (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) الزمر: ٤٧ (إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين) الأنبياء: ١٠٦ فهذه الآي ونظائرها وردت في السوابق الأول والخواتم الآخر، وفيها سرائر الغيوب وغرائب الفهوم، وهي من آي المطلع لأهل الإشراف على شرفات العرش والأعراف.

وقال بعض العارفين: لو علمت أحدا على التوحيد خمسين سنة ثم حالت بيني وبينه أسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد، لأني لا أدري ما ظهر من التقليب.

وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول: خوف الصديقين من **سوء الخاتمة** عند كل حركة، وكل خطرة

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٨٦/١

وهمة، يخافون البعد من الله تعالى، وهم الذين مدح الله تبارك وتعالى (وقلوبهم وجلة) وقال لا يصح خوفه حتى يخاف من الحسنات كما يخاف من السيئات.
وقال أيضا: أعلى الخوف أن يخاف سابق علم الله تعالى فيه، ويحذر أن يكون منه حدث خلاف السنة يجره إلى الكفر، وقال: خوف التعظيم ميزان خوف السابقة.
وكان بعض العارفين يقول: لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الشهادة، قيل ولم؟ قال: لأني لا أدري ما يعرض." (١)
"بقلبي من المشاهدة فيما بين باب الحجرة وباب الدار فيغير التوحيد.
وروينا عن زهير بن نعيم الباني قال: ما أكبر همي ذنوبي، إنما أخاف ما هو أعظم علي من الذنوب وهو أن أسلب التوحيد، وأموت على غيره، وروي ابن المبارك عن أبي لهيعة عن بكر بن سوادة قال: كان رجل يعتزل الناس أينما كان يكون وحده فجاء أبو الدرداء فقال: أنشدك الله تعالى ما يحملك على أن تعتزل الناس؟ قال: إني أخشى أن أسلب ديني وأنا لا أشعر، قال: أترى في الحي مائة يخافون ما تخاف؟ فلم يزل ينقص حتى بلغ عشرة قال: فحدثت بذلك رجلا من أهل الشام فقال ذلك شرحبيل بن سمط يعني من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان أبوالدرداء يحلف بالله تعالى ويقول: ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه، وقد كان بعض علمائنا يقول: من أعطى التوحيد أعطيه بكماله، ومن منعه منعه بكماله إذا كان التوحيد في نفسه لا يتبعض.
ولما احتضر سفيان الثوري رضي الله عنه جعل يبكي ويجزع فقيل له: يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك فقال: أو على ذنوبي أبكي؟ لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال أن ألقى الله تعالى بأمثال الجبال من الخطايا، وقال مرة: ذنوبي أهون من هذه ورفع حبة من الأرض إنما أخاف أن أسلب التوحيد في آخر الوقت، وقد كان رحمه الله أحد الخائفين، كان يبول الدم من شدة الخوف، وكان يمرض المرضة من المخافة، وعرض بوله على بعض الكتابيين فقال: هذا بول راهب من الرهبان وكان يلتفت إلى حماد بن سلمة فيقول: يا أبا سلمة ترجو لمثلي العفو أو يغفر لمثلي؟ فيقول له حماد: نعم أرجو له.
وقد كان بعض العلماء يقول: لو أني أيقنت أن يختم لي بالسعادة كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس في حياتي أجعله في سبيل الله تعالى.
وحدثني بعض إخواني الصادقين وكان خائفا أنه أوصى بعض إخوانه فقال: إذا حضرتني الوفاة فاقعد عند

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٨٧/١

رأسي فإذا عاينت فانظر إلي فإن رأيتني مت على التوحيد فاعمد إلى جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل المدينة وقل: هذا عرس المنفلت، وإن رأيتني مت على غير التوحيد فأعلم الناس أني قد مت على غير التوحيد حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء فأكون قد خدعت المسلمين فقلت: ومن أين أعلم أنك قد مت على التوحيد؟ فذكر له علامة تظهر من بعض الأموات لم نحب ذكرها، قال: فكنت عند رأسه أنظر إليه كما أمر، حتى أعاين فرأيت علامة حسن الخاتمة وأمارة الموت على التوحيد قد ظهرت وفاضت روحه، قال: فنفذت وصيته كما أمر ولم أحدث بذلك إلا خصوص إخواني من العلماء؛ وذلك أن العبد مهما عمل في حياته من سوء أعيد ذكره عليه عند فراق الحياة ووقعت مشاهدته فيه عند آخرساعة من عمره، فإن استحلى ذلك بقلبه أو استهواه بنفسه وقف معه." (١)

"وإن ثلاث عمر تعدل حجة، وإن العمرة هي الحجة الصغرى؛ وهذا في دليل الخطاب من قوله تعالى: يوم الحج الأكبر، فدل أن الحج الأصغر هو العمرة، ومن العرب من يسمي العمرة حجا، وفي الخبر: عمرة في رمضان تعدل حجة، فمن وفق للعمل بما ذكرناه فهو علامة قبول حجه ودليل نظر الله إليه في قصده.

ذكر فضائل الحج والحاجين لوجه الله

روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وفي حديث آخر: من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجري له أجر الحاج والمعتمر إلى يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب، وقيل له: أدخل الجنة، وروي في الخبر حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها، وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة، وفي الحديث: الحجاج والعمار وفد الله تعالى وزواره، إن سألوه أعطاهم، وإن استغفروه غفر لهم، وإن دعوه استجيب لهم، وإن شفعوا شفعوا، وذكر بعضهم أن إبليس ظهر له في صورة شخص بعرفة، فإذا هو ناحل الجسم، مصفر اللون، باكي العين، مقصوم الظهر، فقال له: ما الذي أبكى عينك؟ فقال: خروج الحاج إليه بلا تجارة، أقول قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزنني ذلك، قال: فما الذي أنحل جسمك؟ قال: صهيل الخيل في سبيل الله تعالى، ولو كانت في سبيلي، كان أحب إلي قال: فما الذي غير لونك؟ قال: تعاون الجماعة على الطاعة،

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٨٨/١

ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلي قال: فما الذي قصم ظهرك؟ قال: قول العبد أسألك **حسن الخاتمة**، أقول: يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله؟ أخاف أن يكون قد، ولقي رجل ابن المبارك وقد أفاض من عرفة إلى مزدلفة فقال: من أعظم الناس جرما يا أبا عبد الرحمن في هذا الوقت؟ فقال: من قال إن الله عز وجل لم يغفر لهؤلاء، وقد روينا حديثا مسندا من طريق أهل البيت: أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله عز وجل لم يغفر له، ويقال إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة، وقد رفعه جعفر بن محمد فاسنده، ويقال: إن الله عز وجل إذا غفر لعبد ذنبا في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف، وزعم بعض السلف: إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر." (١)

"بالسابقة، وقال بعض السلف: إنما يوزن من الأعمال خواتيمها، وكان أبو الدرداء يحلف بالله عز وجل: ما أحد أمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه، ويقال: من الذنوب ذنوب تؤخر عقوبتها إلى **سوء الخاتمة**؛ وهذا من أخوف ما خافه العاملون من قوله تعالى: (ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) المؤمنون: ٦٣، وقيل: من الذنوب ذنوب لا عقوبة لها إلا سلب التوحيد في آخر نفس نعوذ بالله تعالى من ذلك، وقيل: هذا يكون عقوبة الدعوى للولاية والكرامات للافتراء على الله تعالى، وكان سهل رحمه الله تعالى يقول: من علامة الأولياء أنهم يستثنون في كل شيء، وقال من قال: أفعل كذا، ولم يقل إن شاء الله تعالى، سئل عن هذا القول يوم القيامة فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وقد نهى الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يقول شيئا حتى يستثني، وأمره بالاستثناء إذا نسي فقال تعالى: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) الكهف: ٢٣ - ٢٤، ثم قال: (واذكر ربك إذا نسيت) الكهف: ٢٤، أي الاستثناء، أي فاستثن إذا ذكرت فتأدب صلى الله عليه وسلم بذلك أحسن الأدب فكان يستثني في الشيء يقع لا محالة،.

فروي أنه دخل المقابر فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وقال سبحانه معلما لعباده الاستثناء ورادهم إليه بمشيئته؛ وهو أصدق القائلين وأعلم العالمين: (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) الفتح: ٢٧، والاستثناء أصل يرد إليه من عرفه ولم ينكر الاستثناء، والأصل هو أن يزيد وينقص فأما زيادته فقد ثبت بنص الكتاب من قوله تعالى: (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) مريم: ٧٦، ومن قوله تعالى: (فزادهم إيمانا) آل عمران: ١٧٣، إلى نظائرها وما يزيد فهو ينقص لأن معناه موجود في الكتاب بدليل الخطاب من قوله تعالى: (ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) الإسراء: ٨٢، وقوله: (وليزيدن كثيرا منهم ما

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٩٩/٢

أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) المائدة: ٦٤، ومن قوله تعالى: (وفي آذانهم وقرا) الأنعام: ٢٥، وفي قوله تعالى: (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) التوبة: ١٢٥، فما يزيد الظالمين إلا خسارا ينقصهم رجحانا وربحا، وما يزيدهم إلا كفرا ينقصهم إيمانا، وما يكون عليهم عمى ينقصهم بصيرة، وما يكون لهم رجسا يكون لهم من الطهارة نقصا، من قبل أن مزيد الشر نقصان الخير، كما أن مزيد الخير نقصان الشر،، فإذا ثبت أن الإيمان يزيد بالصالحات وينقص بالسيئات وجب الاستثناء فيه، لأن الصالحات درجات يعلو فيها المؤمنون بحسن الولايات والمجاهدات، قال الله تعالى في المجمل من الخطاب: (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) آل عمران: ١٣٩، وقال: (والله ولي المؤمنين) آل عمران: ٦٨، وقال في المفسر: (ولكل درجات مما عملوا) الأحقاف: ١٩، وقال في مثله: (وهو وليهم بما كانوا يعملون) الأنعام: ١٢٧، وقال: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله)." (١)

"فيقول: إني كنت أعمل لي وله، قال: فيعطي جميع ما سأل له ويرفع أخوه إلى درجته معه، فقد كانوا يتواخون ويتعارفون المنافع الآخرة الباقية، لا لمرافقة الدنيا الفانية وأفضل الأخوة، كما قال بعض العلماء: المحبة الدائمة والألفة اللازمة من قبل، أن الأخوة والمحبة عمل، وكل عمل يحتاج إلى حسن خاتمة به ليتم العمل، فيكمل أجره، فإن لم يختم له بالآخرة ولم يحسن عاقبة الصحبة والمحبة، فقد أدركه **سوء الخاتمة**، بطل عنه ما كان قبل ذلك، فقد يصطحب الاثنان ويتواخى الرجلان عشرين سنة، ثم لا يختم لهما بحسن الأخوة فيحبط بذلك ما سلف من الصحبة، فلذلك شرط العالم المحبة الدائمة والألفة اللازمة إلى الوفاة ليختم له به، ويقال: ما حسد العدو ومتعاونين على بر حسده، متواخيين في الله عز وجل ومتحابين فيه، فإنه يجهد نفسه ويحث قبيله على إفساد ما بينهما، وقد قال الصادق عز وجل: (وقل لعبادي يقولوا: التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم) الإسراء: ٥٣ يعني يقولون الكلمة الحسنة بعد نزغ الشيطان، وقال عز وجل مخبرا عن يوسف عليه السلام من: (بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) يوسف: ١٠٠ وقد يقال: ما تواخى اثنان في الله عز وجل ففرق بينهما، إلا بذنب يرتكبه أحدهما، فقال بشر: إذا قصر العبد في طاعة الله تبارك وتعالى، سلبه الله عز وجل من يؤنسه، ويقال للعدو شيطان، قد وكله بالتفريق بين المتواخيين، ليس له عمل إلا ذلك، قد تفرغ له، ومن علامة التقى حسن المقال عند التفرق، وجميل البشر عند التقاطع، أنشدنا بعض العلماء الحكماء في معناه:

إن الكريم إذا تقضى وده ... يخفي القبيح ويظهر الإحسانا

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٢٨/٢

وترى اللئيم إذا تصرم حبله ... يخفي الجميل ويظهر البهتانا

فوصف الكريم في هذا المعنى التخلق بخلق الربوبية، ألم تسمع إلى الدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوله: يا من أظهر الجميل وستر القبيح، ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر، فكذلك صفات المؤمنين على معاني أخلاق المؤمن الأعلى، وقد كان أبو الدرداء يقول: معاتبة الصديق خير من فقده، ومن لك بأخيك كله هن لأخيك، ولن له ولا تطع الشيطان في أمره، غدا يوافيه الموت فيكفيك فقده، كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة تركت وصله، وقد روينا عن علي عليه السلام: أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما، وقد روينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه معناه: لا يكن حبك كلفا وبغضك تلفا، قال: اسلم، قلت: وكيف ذاك، قال: إذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء يحبه، وإذا أبغضت فلا تبغض بغضا تحب أن يتلف صاحبك ويهلك، وفي وصية." (١)

"المؤمن العابد بسبعين درجة (١) وقال صلى الله عليه وسلم إنكم أصبحتم في زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل (٢) وقال صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة (٣) وقيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل أي العلم تريد قال صلى الله عليه وسلم العلم بالله سبحانه فقيل له نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله (٤) وقال صلى الله عليه وسلم يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم (٥) نسأل الله **حسن الخاتمة**

وأما الآثار فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق

وقال علي أيضا رضي الله عنه العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه وقال رضي الله عنه نظما

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٦٢/٢

وقدر كل امرىء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء
وقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فإن الجمل أقوى منه ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه ولا بأكله فإن الثور أوسع بطنا منه ولا ليجامع فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم
وقال بعض العلماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فاته من أدرك العلم
وقال عليه الصلاة والسلام من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى وقال فتح الموصلي رحمه الله أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت
ولقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ حب الدنيا

---

(١) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة أخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف
(٢) حديث إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه الحديث أخرجه الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف
(٣) حديث بين العالم والعابد مائة درجة الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة
(٤) حديث قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف

(٥) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث رواه الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف." (١)

"المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه إلى الحرام

قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس (١) وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدي إلى مقارفة المحظورات

الرابعة ورع الصديقين وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضي إلى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاء وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الإثم في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك (٢) والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فإن جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فإن تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر

وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والإجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون وإنما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال فإن قلت لم سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه

أحدها أنه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع

والثاني أنه لا يستغني عنه أحد من سالكي طريق الآخرة ألبتة لا الصحيح ولا المريض

وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون

والثالث أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١/ ٧

صفات القلوب فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب

وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفاء في المزاج والأخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فمهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة

فإن قلت فصل لي علم طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله

فاعلم أنه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه **سوء الخاتمة** وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله

وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة أو كبر وقيل من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئا وينشد على قوله

وارض لمن غاب عنك غيبته ... فذاك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والمقربين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته

---

(١) حديث لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به الحديث أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدي

(٢) حديث استفت قلبك وإن أفتوك أخرجه أحمد من حديث وابصة." [١]

"ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا هو الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٩/١

حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم (١) فقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم إني أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له أتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ (٢) قيل في التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات

وقال سري السقطي لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيرا في يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في المنافقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت

وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله

فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار

والثاني يفضي بصاحبه إلى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه

وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب وأمور أخر لا يخلو عنها إلا الصديقون

الوجه الرابع وهو أيضا مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتمة فإنه لا يدري أيسلم له الإيمان عند الموت أم لا فإن ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال أنا صائم قطعا فلو أفطر في أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه إذ كانت الصحة موقوفة على التمام إلى غروب الشمس من آخر النهار

وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الإيمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الأزلية التي لا تظهر إلا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لأحد من البشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ أي بالسابقة يعني أظهرتها

وقال بعض السلف إنما يوزن من الأعمال خواتيمها

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه

وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها **سوء الخاتمة** نعوذ بالله من ذلك

وقيل هي عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء

وقال بعض العارفين لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد

---

(١) حديث كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء الحديث أخرجه أحمد والبزار والدارقطني من حديث أنس

(٢) حديث اللهم إني أستغفرك لما علمت وما لم أعلم الحديث أخرجه مسلم من حديث عائشة اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل ولأبي بكر بن الضحاك في الشمائل في حديث مرسل وشر ما أعلم وشر ما لا أعلم." (١)

"الشيطان في يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة (١) وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام إذ يقال إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة (٢) وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لعنه الله عليه ظهر له في صورة شخص بعرفة فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي أبكى عينك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي أنحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله عز وجل ولو كانت في سبيلي كان أحب إلي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد أسألك **حسن الخاتمة** أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجري له أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة (٣) وقال صلى الله عليه وسلم حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة (٤) وقال صلى الله عليه وسلم الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفعوا شفعوا (٥)

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١/١٢٤

وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له (٦) وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين (٧) وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه (٨) ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنبه (٩) ويقال إن الله عز وجل إذا غفر لعبد ذنبا في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف

وقال بعض السلف إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل

---

(١) حديث ما رؤي الشيطان في يوم هو أصغر الحديث أخرجه مالك عن إبراهيم بن أبي عيلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز مرسلا

(٢) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة لم أجد له أصلا

(٣) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة أخرجه البيهقي في الشعب بالشطر الأول من حديث أبي هريرة وروى هو والدارقطني من حديث عائشة الشطر الثاني نحوه وكلاهما ضعيف

(٤) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة أخرجاه من حديث أبي هريرة الشطر الثاني بلفظ الحج المبرور وقال إن الحجة المبرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة

(٥) حديث الحجاج والعمار وفد الله وزواره الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة دون قوله وزواره ودون قوله إن سألوه أعطاهم وإن شفعوا شفعوا وله من حديث ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه ابن حبان

(٦) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له أخرجه الخطيب في المتفق والمفترق وأبو منصور شهر دار بن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف

(٧) حديث ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة أخرجه ابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر

(٨) حديث استكثروا من الطواف بالبيت الحديث أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين

(٩) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه لم أجده هكذا وعند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لفظ الترمذي وحسنه." (١)

"الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة أو علة

وينظر في أحوال السلف وإيثارهم للذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة رضي الله عنهم أجمعين

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم

اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم

أما السبب الأول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فهي إما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع وإما صفة لا تستحق المدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال المتنبي

أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعروض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها

وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الخاتمة غير معلومة وهذا إنما يقتضي الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة غير معلومة وهذا إنما يقتضى الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من **سوء الخاتمة** شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء **حسن الخاتمة** فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فإن اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١/٢٤٠

مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه وما أطيب الروائح التي تفوح منه إذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقذار والأنتان ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فإذا المادح إن صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله عليك وإن كذب فينبغي أن يغمك ذلك ولا تفرح به

وأما السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله وبأن تعلم أن طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به

وأما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لإثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل في بطنه

وقال بعضهم إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل

وروي في بعض الأخبار فإن صح فهو قاصم للظهور." (١)

"فإنما يخشى أن يفسد طريق الاتعاظ فأما أن تخرص ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا

فإن قلت فإن علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو نصح وراعى شرط الصدق والإخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وحبائل الاغترار فاعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأفلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت عليك فما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك ومحلك إذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي إليه ويصدقه ويعجب بنفسه من فراره في الغرور كله فيكون إعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الأكبر فالعجب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت أنك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣/٢٨٩

فإن قلت فلو لم يعجب بنفسه إذ علم أن ذلك من الله تعالى لا منه وإن مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فأقول يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن أمن مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيله أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات إلى عز وهو غافل عنه ويكون خائفا أن يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة

وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه إلا بعد مجاوزة الصراط

ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال أفلت مني يا فلان فقال لا بعد

ولذلك قيل الناس كلهم هلكى إلى العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم

فإذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبدا

فنسأل الله تعالى العون والتوفيق **وحسن الخاتمة** فإن الأمور بخواتيمها

تم كتاب ذم الغرور وبه تم ربع المهلكات ويتلوه في أول ربع المنجيات كتاب التوبة والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

تم الجزء الثالث من كتاب إحياء علوم الدين ويليه الجزء الرابع وأوله كتاب التوبة." (١)

"الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بأرواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها وهذا مثال مطابق فالإيمان كالإنسان وفقد شهادة التوحيد يوجد البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو كإنسان مقطوع الأطراف مفقوع العينين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا أصل الروح وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الأعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر في الأعمال قريب من أن

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣/٤١٤

تقتلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل إيمان لم يثبت في اليقين أصله ولم تنتشر في الأعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه **سوء الخاتمة** لا ما يسقى بالطاعات على توالي الأيام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع إني مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنا شجرة وأنت شجرة وما أحسن جواب شجرة الصنوبر إذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم إذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقطع أصولك وتتناثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن أسباب ثبوت الأشجار

سوف ترى إذا انجلى الغبار ... أفرس تحتك أم حمار

وهذا أمر يظهر عند الخاتمة وإنما انقطع نياط العارفين خوفا من دواعي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها إلا الأقلون فالعاصي إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة إذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وأن الموت غالبا لا يقع فجأة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم إذا مرض خاف الموت وكذلك العاصي يخاف **سوء الخاتمة** ثم إذا ختم له بالسوء والعياذ بالله وجب الخلود في النار فالعاصى للإيمان كالمأكولات المضرة للأبدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الأخلاط وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصي فإذا كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك وإذا كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن يتقيأ ويرجع عن تناوله بإبطاله وإخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه إلا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فإن المخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذى تتصرم أضعاف أعمار الدنيا دون عشر عشير مدته إذ ليس لمدته آخر البتة فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عملا يجاوز الأمر فيه الأطباء واختيارهم ولا ينفع بعده الاحتماء فلا ينجح بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ ولا يغرنك لفظ الإيمان فنقول

المراد بالآية الكافر إذ بين لك أن الإيمان بضع وسبعون بابا وأن الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن فالمحجوب عن الإيمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الإيمان الذي هو أصل كما أن الشخص الفاقد لجميع الأطراف التي هي حروف وفروع سيساق إلى الموت المعدم للروح التي هي أصل فلا بقاء للأصل دون الفرع." (١)

"فقد هلكت هلاكا فاحشا فإن كنت لا تبكي على هذه المعصية فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك أعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها أنه صاحب مصيبة فإن نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد رفع الناس عن التدارك

قال بعض العارفين إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد أعلمه أنه بقي من عمرك ساعة وأنك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد إليه سبيلا وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ وإليه الإشارة بقوله تعالى من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها فقيل الأجل القريب الذي يطلبه معناه أنه يقول عند كشف الغطاء للعبد يا ملك الموت أخرني يوما أعتذر فيه إلى ربي وأتوب وأتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الأيام فلا يوم فيقول فأخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردد أنفاسه في شراسفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال فإذا زهقت نفسه فإن كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك **حسن الخاتمة** وإن سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك **سوء الخاتمة** ولمثل هذا يقال ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾ وقوله ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾ ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحها ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين ﴿أحدهما﴾ أن تتراكم الظلمة على قلبه من

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٨

المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو الثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر إن أكثر صياح أهل النار من التسويف (١) فما هلك من هلك إلا بالتسويف فيكون تسويده القلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة إلى أن يختطفه الموت فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والعمر أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة فمن خان في الأمانة ولم يتدارك خيانته فأمره مخطر

قال بعض العارفين إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإلهام ﴿أحدهما﴾ إذا خرج من بطن أمه يقول له عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر إلى كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فألقاك على الوفاء أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب وإليه الإشارة بقوله تعالى أوفوا بعهدي أوف بعهدكم وبقوله تعالى ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾

---

(١) حديث إن أكثر صياح أهل النار من التسويف لم أجد له أصلا." (١)

"والأنف والأذن وغيره فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الإيمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها أما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكثرتها وأما كثرته فبكثرتها وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو المعني بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وبقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وبقوله تعالى وان ليس للإنسان إلا ما سعى وبقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الأعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة أرجح إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم سبقت رحمتى غضبي (١) وقال تعالى وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فإذن هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فأما التفصيل فلا يعرف إلا ظنا ومستنده ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض أعني الأركان الخمسة ولم يكن منه إلا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه أن يكون عذابه المناقشة في

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٢/٤

الحساب فقط فإنه إذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته إذ ورد في الأخبار إن الصلوات الخمسة والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفرا للصغائر وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية نعم التحاقه باصحاب اليمين أو بالمقربين ونزوله في جنات عدن أو في الفردوس الأعلى فكذلك يتبع أصناف الإيمان لأن الإيمان إيمانان تقليدي كإيمان العوام يصدقون بما يستمعون ويستمرون عليه وإيمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الأعلى وهم على غاية القرب من الملأ الأعلى وهم أيضا على أصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر إذ الإحاطة بكلمة جلال الله غير ممكنة وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وإنما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله تعالى في الأزل فالطريق إلى الله تعالى لا نهاية لمنازله فالسالكون سبيل الله لا نهاية لدرجاتهم وأما المؤمن إيمانا تقليديا فمن أصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم أيضا على درجات فالأعلى من درجات أصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الأدنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى الفرائض كلها أعني الأركان الخمسة التي هى النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الإسلام فإن تاب توبة نصوحا قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ أصلا وإن مات قبل التوبة فهذا أمر مخطر عند الموت إذ ربما يكون موته على الإصرار سببا لتزلزل إيمانه فيختم له **بسوء الخاتمة** لا سيما إذا كان إيمانه تقليديا فإن التقليد وإن كان جزما فهو قابل للانحلال

---

(١) حديث سبقت رحمتى غضب رضي الله عنهم أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة." (١)

"بادنى شك وخيال والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه **سوء الخاتمة** وكلاهما إن ماتا على الإيمان يعذبان إلا أن يعفو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٢٧

أصناف السيئات وعند انقضاء مدة العذاب ينزل البله المقلدون في درجات أصحاب اليمين والعارفون المستبصرون في أعلى عليين ففي الخبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف (١) فلا تظن أن المراد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام كان يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بعشرين فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال بل هذا كقول القائل أخذ منه جملا واعطاه عشرة أمثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فأعطاه مائة دينار فإن لم يفهم من المثل إلا المثل في الوزن والثقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الأخرى عشر عشيره بل هو موازنة معاني الأجسام وارواحها دون أشخاصها وهياكلها فإن الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والفضة بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال أعطيته عشرة امثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهريون فإن روح الجوهرية لا تدرك بمجرد البصر بل بفطنة أخرى وراء البصر فلذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل ألف ألف مثقال فقد كذب في قوله إني أعطيته عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل إلى تحقيق ذلك عنده إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن يحصل في قلبه النور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة إذ يقول صلى الله عليه وسلم الجنة في السموات (٢) كما ورد في الأخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهيم البدوي وكما أن الجوهري مرحوم إذا بلي بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة فالعارف مرحوم إذ يلى بالبليد الأبلة في تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال وغني قوم افتقر وعزيز قوم ذل (٣) والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الأمة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الأزلي وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل (٤) فلا تظنن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذى ينزل بالبدن فإن بلاء نوح عليه السلام أيضا من البلاء العظيم إذ بلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فرارا ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي بأكثر من هذا فصبر (٥) فإذن لا تخلو الأنبياء

---

(١) حديث أن آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٢) حديث كون الجنة في السموات أخرجه البخاري من حديث أبى هريرة في أثناء حديث فيه فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن

(٣) حديث ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال الحديث أخرجه ابن حبان في الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس وعيسى ضعيف ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال عالم تلاعب به الصبيان وفيه أبو البحترى واسمه وهب بن وهب أحد الكذابين

(٤) حديث البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل أخرجه الترمذي وصححه والنسائى في الكبرى وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء فذكره دون ذكر الأولياء وللطبرانى من حديث فاطمة أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون الحديث

(٥) حديث رحم الله أخي موسى لقد اوذي بأكثر من هذا فصبر أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود." (١)

"في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجو فعسى الله أن يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره فربما بختطف قبل التوبة ويقع أمره في المشيئة فإن تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وإن غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى أن يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الأزل لأنه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على أنه سبق له في الأزل أن يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه وإذا يسرت له أسباب المواظبة على التحصيل دل على أنه سبق له في الأزل أن يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الأسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الأغذية والأدوية وارتباط حصول فقه النفس الذي به تستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم إلا نفس صارت فقيهة بطول التفقيه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا القرب من رب العالمين إلا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢٨/٤

والتطهير هكذا سبق في الأزل بتدبير رب الأرباب ولذلك قال تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال صلى الله عليه وسلم إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس إنه من أهلها ولا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها (١) فإذن الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس فهو خاتمة ما قبله إذ يمكن أن يكون الموت متصلا به فليراقب الأنفاس وإلا وقع في المحذور ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر

الطبقة الرابعة أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الأمارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا **سوء الخاتمة** وأمره في مشيئة الله فإن ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وإن ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفي لا تطلع عليه كما لا يستحل أن يدخل الإنسان خرابا ليجد كنزا فيتفق أن يجده وأن يجلس في البيت ليجعله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان الأنبياء صلوات الله عليهم فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الأعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر استغنى وليت من صام وصلى غفر له فالناس كلهم محرومون إلا العالمون والعالمون كلهم محرومون إلا العاملون والعاملون كلهم محرومون إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وكما أن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم أنه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كنزا يجده تحت الأرض في بيته الخرب يعد عنه ذوي البصائر من الحمقى والمغرورين وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك من ينتظر

---

(١) حديث إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد دون قوله سبعين سنة ولمسلم من حديث أبى هريرة إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة الحديث ولأحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبى هريرة إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة وشهر مختلف فيه." (١)

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٤٥

"فرحهم في الآخرة تاب عليهم وكان بعض السلف يقول في دعائه يا رب وأي أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما أحلمك وعزتك إنك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى كأنك يا ربنا لا تغضب

فهذه هي الأسباب التي بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والآيسين فأما الحمقى المغرورون فلا ينبغي أن يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في أسباب الخوف فإن أكثر الناس لا يصلح إلى على الخوف كالعبد السوء والصبى العرم لا يستقيم إلا بالسوط والعصا وإظهار الخشونة في الكلام

وأما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا الشطر الثاني من الكتاب في الخوف وفيه

بيان حقيقة الخوف

وبيان درجاته وبيان أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الأفضل من الخرف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى **سوء الخاتمة** وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين رحمة الله عليهم ونسأل الله حسن التوفيق بيان حقيقة الخوف

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الإستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فإنهما زمانان يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد

وقال أيضا إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف وبالجملة فالمحب إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا في الشهود وإنما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الآن إنما نتكلم في أوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم أيضا من علم وحال وعمل

أما العلم فهو العلم بالسبب المفضى إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والإفلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة عليه بالأسباب المفضية إلى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الإنتقام خاليا عمن يتشفع إليهم في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف

الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرصه وسطوته على الإفتراس غالبا وإن كان إفتراسه بالإختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن الماء يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإعراق وكذا النار على الإحراق فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لإحراق القلب وتألمه وذلك الإحراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون." (١)

"وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا لفظ الأفضل فنقول أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء وذلك لأجل غلبة المعاصي

فأما التقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا

وروي أن عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوي خوفه ورجاؤه فأما العاصي إذا ظن أنه الرجل الذي استثني من الذين أمروا بدخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره

فإن قلت مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يتساوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق في أول كتاب الرجاء وأن قوته ينبغي أن تكون بحسب قوة أسبابه كما مثل بالزرع والبذر ومعلوم أن من بث البذر الصحيح في أرض نقية وواظب على تعهدها وجاء بشروط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي أن تكون أحوال المتقين فاعلم أن من يأخذ المعارف من الألفاظ والأمثلة يكثر زلله وذلك وإن أوردناه مثالا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لأن سبب غلبة الرجاء

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/١٥٥

العلم الحاصل بالتجربة إذ علم بالتجربة صحة الأرض ونقاؤها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها وإنما مثال مسألتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها وهي في بلاد ليس يدري أتكثر الصواعق فيها أم لا فمثل هذا الزارع وإن أدى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسألتنا هو الإيمان وشروطه صحته دقيقة والأرض القلب وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب إليها في مستقبل الزمان وإن سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة إذ قد تعرض من الأسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب مثله ثم الحصاد والإدراك عند المنصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سيحكى في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وإن كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فأما أن يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئا إذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين (١)

فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وإن اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه وإخفاء عيبه عنه وإن وثق به فمن أين يثق ببقائه على ذلك إلى تمام **حسن الخاتمة** وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر // حديث إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبرا وفي رواية الأقدر فواق ناقة الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار وللبزار وللطبراني في الأوسط سبعين سنة وإسناده حسن وللشيخين في أثناء حديث لابن مسعود أن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع الحديث ليس فيه تقدير زمن للعمل بخمسين سنة ولا ذكر شبر ﴿ولا﴾ فواق ناقة

وفي رواية إلا قدر فواق

---

(١) حديث أن حذيفة كان خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين أخرجه مسلم من حديث

حذيفة في أصحابي اثنا عشر منافقا تمامه لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الحديث." (١)

"سنة أسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لأني لا أدري ما ظهر له من التقلب

وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام لأني لا أدري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وباب الدار

وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عن الموت إلا سلبه

وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال وقلوبهم وجلة

ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أو على ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا

وحكي عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه فقال إذا حضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي فإن رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المنفلت وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة

فقال وبم اعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه

وكان سهل يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر

وكان أبو زيد يقول إذا توجهت إلى المسجد فكأن في وسطي زنارا أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي في كل يوم خمس مرات

وروي عن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه قال يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر

وروي في أخبار الأنبياء أن نبيا شكى إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فأوحى الله تعالى إليه عبدي أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر

فإن كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/١٦٥

ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو أعلم أني برئ من النفاق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهم ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر (١)

وفي لفظ آخر وإذا عاهد غدر

وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه إلا صديق إذ قال الحسن إن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذا المعاني

---

(١) حديث أربع من كن فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم في قواعد العقائد." (١)

"بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس معتادة ونسى كونها منكر الكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة رضي الله تعالى عنه إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا إني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات (١) حديث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر الحديث أخرجه البخاري من حديث أنس وأحمد والبزار من حديث أبي سعيد وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن فرص وصحح إسناده وتقدم في التوبة

وقال بعضهم علامة النفاق أن تكره من الناس ما تأتي مثله وأن تحب على شيء من الجور وأن تبغض على شيء من الحق

وقيل من النفاق أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك

وقال رجل لابن عمر رحمه الله إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم فيما يقولون فإذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسو الله صلى الله عليه وسلم (٢)

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٧٢/٤

وروي أنه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا

قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) حديث إن نفرا قعدوا عند باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج سكتوا الحديث لم أجد له أصلا

وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق وكان يقول إنه يأتي على القلب ساعة يمتلئ بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة ويأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للأيمان فيه مغرز إبرة فقد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الخاتمة وأن سببه أمور تتقدمه منها البدع

ومنها المعاصي ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك وإن ظن أنه خلا عنه فهو النفاق إذ قيل من أمن النفاق فهو منافق

وقال بعضهم لبعض العارفين إني أخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات إلى السابقة والخاتمة خائفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار (٤)

والله المستعان

بيان معنى سوء الخاتمة

فإن قلت إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الخاتمة فما معنى الخاتمة فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين

إحداهما أعظم من الأخرى فأما الرتبة العظيمة الهائلة فأن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك وإما الجحود فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على

---

(١) حديث حذيفة إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا الحديث أخرجه أحمد من حديث حذيفة وقد تقدم في قواعد العقائد وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر

(٢) حديث قال رجل لابن عمر إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم بما يقولون الحديث رواه أحمد والطبراني وقد تقدم في قواعد العقائد

(٣) حديث سمع ابن عمر رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال أرأيت لو كان الحجاج حاضرا الحديث تقدم هناك ولم أجد فيه ذكر الحجاج

وأشد من ذلك ما روي أن نفرا قعدوا على باب حذيفة بنتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٤) حديث العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى الحديث أخرجه البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم في ذم الدنيا ذكره ابن المبارك في كتاب الزهد بلاغا وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجه ولده في مسند الفردوس." (١)

"القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى أبدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه إلى الدنيا وصارفا وجهه إليها

ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب

ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ نار الله الموقدة لا تأخذ إلا المحجوبين عنه فأما المؤمن السليم قلبه من حب الدنيا المصروف همه إلى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه إذ لا تصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع إلى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة فإنه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فإن كان إيمانه في القوة إلى حد مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٧٣/٤

فإن قلت فما ذكرته يقتضي أن تسرع النار إليه عقيب موته فما باله يؤخر إلى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الإيمان بل الصحيح عند ذوي الأبصار ما صحت به الأخبار وهو أن القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (١)

وأنه قد يفتح إلى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم (٢)

كما وردت به الأخبار فلا تفارقه روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد شقي **بسوء الخاتمة**

وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر (٣)

والتعذيب بعده (٤)

ثم المناقشة في الحساب (٥)

والافتضاح على ملأ من الأشهاد في القيامة (٦)

ثم بعد ذلك خطر الصراط (٧) حديث هو الزبانية أخرجه الطبراني من حديث أنس الزبانية يوم القيامة أسرع إلى فسقة حملة القرآن منها الى عبدة الأوثان والنيران قال صاحب الميزان حديث منكر وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلا في خزنة جهنم ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب //

إلى آخر ما وردت به الأخبار فلا يزال الشقي مترددا في جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الأحوال معذب إلا أن يتغمده الله برحمته ولا تظنن أن محل الإيمان لا يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها إلى أن يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الأجزاء المتفرقة وتعاد إليها الروح التي هي محل الإيمان وقد كانت من وقت الموت إلى الإعادة إما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة وإما على حالة تضاد هذه الحال إن كانت والعياذ بالله شقية

---

(١) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب وتقدم في الأذكار

(٢) حديث إنه يفتح إلى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم لم أجد له أصلا

(٣) حديث سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر تقدم في قواعد العقائد

(٤) حديث عذاب القبر تقدم فيه

(٥) حديث المناقشة في الحساب تقدم فيه

(٦) حديث الافتضاح على ملأ الأشهاد في القيامة رواه أحمد والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد جيد من انتقى من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله على رءوس الأشهاد وفي الصحيحين من حديث ابن عمر وأما الكافر والمنافق فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم والطبراني والعقيلي في الضعفاء من حديث الفضيل بن عياض فضوح الدنيا أهون من فوضح الآخرة وهو حديث طويل منكر

(٧) حديث خطر الصراط تقدم في قواعد العقائد

وهول الزبانية." (١)

"فإن قلت فما السبب الذي يفضي إلى **سوء الخاتمة** فاعلم أن أسباب هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها أما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الأعمال كالمبتدع الزاهد فإن عاقبته مخطرة جدا وإن كانت أعماله صالحة ولست أعني مذهبا فأقول إنه بدعة فإن بيان ذلك يطول القول فيه بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه إما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصم وعليه يعول وبه يغتر وإما أخذا بالتقليد ممن هذا حاله فإذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا إذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادىء سكراته منه فقد ينكشف به بعض الأمور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لالتجائه فيه إلى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له إذ لم يكن عنده فرق في إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكه فيها فإن اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله عز وجل قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وكما أنه ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الأمور إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من أن ينظر إلى الملكوت فيطالع ما في

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٧٤/٤

اللوح المحفوظ لتنكشف له الأمور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به إما تقليدا وإما نظرا بالرأي والمعقون فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه إلا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانا مجملا راسخا كالأعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا صغوا إلى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله (١)

ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التأويل لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كئودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله تعالى بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض والقلوب لما ألقى إليها في مبدأ النشأة آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في أول الأمر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فإذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على

---

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله أخرجه البزار من حديث أنس وقد تقدم." (١)

"أن يدعي الكمال أو الإحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين إليهم وتأكد ذلك بطول الألف فيهم فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الإيمان ويظن أن ما وقع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين وينبغي أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٧٥/٤

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

واعلم يقينا أن كل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج فربما يتفق أن يلقيه إلى الساحل وذلك بعيد والهلاك عليه أغلب

وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم إما مع الأدلة التي حرروها في تعصباتهم أو دون الأدلة فإن كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وإن كان واثقا فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين إلا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الأحمر وإني يتيسر وإنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام أو الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب المخطرة في سوء الخاتمة

وأما السبب الثاني فهو ضعف الإيمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب

ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس ولا يظهر له أثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في إتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب فلا يزال يطفئ ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا فإذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعني حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بإنكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك

من حيث إنه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما أن الذي يحب ولده حبا ضعيفا إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فإن اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذين يفضي إلى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم أصناف الخلق

وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى إذ لا يحبه إلا من عرفه ولهذا قال تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره فإذن كل من فارقته روحه في حالة خطرة الإنكار على الله تعالى بباله وظهر بغض فعل الله بقلبه في تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه فيكون موته قدوما على ما أبغضه وفراقا." (١)

"ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في فطامه نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فإنه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بقال أنه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة فيقول خمسة ستة أربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال إلفه له قبل الموت

وقال بعض العارفين من السلف العرش جوهرة تتلألأ نورا فلا يكون العبد على حال إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فإذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فإن النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهي جزء من أجزاء النبوة فإذا رجع **سوء الخاتمة** إلى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وإن كان لطول الإلف فيه تأثير فبهذا عظم خوف العارفين من **سوء الخاتمة** لأنه لو أراد الإنسان أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وإن كانت كثرة الصلاح والموظبة عليه مما يؤثر فيه ويكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ أبا علي الفارمذي رحمة الله عليه يصف لي وجوب حسن أدب المريد لشيخه وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه قال حكيت لشيخي أبي القاسم السكرماني مناما لي وقلت رأيت قلت لي كذا فقلت لم ذاك قال فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال لولا أنه كان في باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال إذ قلما يرى الإنسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذي

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٧٦/٤

نسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار أمر الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا أن الأمن من سوء الخاتمة بأن ترى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فإن كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بد وأن يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من أحوال الأنبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها ضائعة إن لم يسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح وإن سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكلة جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول إني لا أعجب ممن هلك كيف هلك ولكني أعجب مما نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقد مات على الخير والإسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا

وكان الثوري يوما يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا

فالآن نبكي على الإسلام

وبالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطرابا من السفينة وأمواج الخواطر أعظم التطاما من أمواج البحر وإنما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب (١)

ولا يتسع

---

(١) حديث إن الرجل ليعمل بعمل أه ل الجنة خمسين سنة الحديث تقدم." (١)

"فواق الناقة لأعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف

وقال سهل رأيت كأني أدخلت الجنة فرأيت ثلثمائة نبي فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا قالوا سوء الخاتمة ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجأة مكروها أما الموت فجأة فلأنه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب لا يخلو عن أمثاله إلا أن يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٧٨/٤

وأما الشهادة فلأنها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب إذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت إلا حبا لله وطلبا لمرضاته وبائعا دنياه بآخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله به إذ قال تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والبائع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه عن القلب ومجرد حب العوض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب في بعض الأحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فإن من هذا حاله وأن قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الأخبار // حديث المقتول في الحرب إذا كان قصده الغلبة والغنيمة وحسن الصيت فهو بعيد عن رتبة الشهادة متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري أن رجلا قال يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وفي رواية الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء وفي رواية غضبا

وإذ بان لك معنى **سوء الخاتمة** وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهدك فإن ذلك أيضا يؤثر في قلبك ويصرف إليه فكرك وخواطرك وإياك أن تسوف وتقول سأستعد لها إذا جاءت الخاتمة فإن كان نفس من أنفاسك خاتمتك إذ يمكن أن تختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة وإياك أن تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك إذ يمكن أن تختطف فيها روحك هذا ما دمت في يقظتك وأما إذا نمت فإياك أن تنام إلا على طهارة الظاهر الباطن وأن يغلبك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست أقول على لسانك فإن حركة اللسان بمجردها ضعيفة الأثر

واعلم قطعا أنه لا يغلب عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالبا عليه وأنه لا يغلب في النوم إلا ما كان غالبا قبل النوم ولا ينبعث عن نومك إلا ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبيه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد إلا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء إلا على ما عاش عليه ولا يحشر إلا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا أن الموت والبعث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب إن لم تكن أهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب أنفاسك ولحظاتك وإياك أن تغفل

عن الله طرفة عين فإنك إذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف إذا لم تفعل والناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم

واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي أن يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك." (١)

"فقامت إليه فجعلت تنادي في أذنه يا أمير المؤمنين إني رأيتك والله قد نجوت إني رأيتك والله قد نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه

ويحكى أن أويسا القرني رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فإذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه

وكان طاوس يفرش له الفرش فيضطجع ويتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين

وقال الحسن البصري رحمه الله يخرج من النار رجل بعد ألف عام يا ليتني كنت ذلك الرجل وإنما قال ذلك لخوفه من الخلود **وسوء الخاتمة**

وروي أنه ما ضحك أربعين سنة قال وكنت إذا رأيته قاعدا كأنه أسير قد قدم لتضرب عنقه وإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها فإذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه

وعوتب في شدة حزنه وخوفه فقال ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع في على بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فأنا أعمل في غير معتمل

وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي أن لا نسمع غيرها

قلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلو دين إما في الجنة أو في النار ثم غاب عني ففقدته في المجلس الآخر فلم أره فسألت عنه فأخبرت أنه مريض يعاد فأتيته أعوده فقلت يا أخي ما الذي أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلو دين إما في

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/١٧٩

الجنة أو في النار

قال ثم مات رحمه الله فرأيته في المنام فقلت يا أخي ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة قلت بماذا قال بالكلمة

فهذه مخاوف الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين ونحن أجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة وإلا فليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحنا إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا

ومن العجائب أنا إذا أردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا

وإن أردنا طلب رتبة العلم فقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وشهرنا ونجتهد في طلب أرزاقنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم إذا طمعت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بأن نقول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي إليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ يا أيها الإنسان ما عزك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا فما هذه إلا محنة هائلة إن لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجيرنا فنسأل الله تعالى أن يتوب علينا بل نسأله أن يشوق إلى التوبة سرائر قلوبنا وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل إذا سمعنا الوعظ بكينا وإذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا علامة للخذلان أعظم من هذا فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والرشد بمنه وفضله." (١)

"في ربع المهلكات فإذا دلت العلامة على وجودها فكر في الأسباب التى تقبح تلك الصفات عنده وتبين أن منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة

كما لو رأى من نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول إنما عمل ببدني وجارحتى وبقدرتى وإرادتى وكل ذلك ليس مني ولا إلى وإنما هو من خلق الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وإرادتي وهو الذي حرك أعضائي بقدرته وكذلك قدرتي وإرادتي فكيف أعجب بعملي أو بنفسي ولا أقوم لنفسي بنفسي

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/١٨٨

فإذا أحس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت مقربا إلى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت **بسوء الخاتمة**

فإذا عرف أن الكبر مهلك وأن أصله الحماقة فيتفكر في علاج إزالة ذلك بأن يتعاطى أفعال المتواضعين

وإذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في أن هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن الملائكة المقربين أبعد

وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب

فمن يريد أن يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب

وأما النوع الرابع وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والإخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا بأفعاله والشوق إليه والخشوع والتواضع له

وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا أسبابه وعلاماته

فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة إلى الله تعالى فإذا افتقر إلى شيء منها فليعلم أن٥١ أحوال لا يثمرها إلا علوم وأن العلوم لا يثمرها إلا أفكار

فإذا أراد أن يكتسب لنفسه أحوال التوبة والندم فليفتش ذنوبه أولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه

ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق عند نفسه أنه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم

وإذا أراد أن يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في إحسان الله إليه وأياديه عليه وفي إرساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك

وإذا أراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنشير إلى طرف منه في القسم الثاني من الفكر وإذا أراد حال الخوف فلينظر أولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق

على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الأمر عنده أنه يصرف إلى الشمال فيكون من أصحاب النار أو يصرف إلى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بعد أهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها وأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا إلى جميع ما ورد في القرآن من شرحها

وإذا أراد أن يستجلب حال الرجاء فلينظر إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم." (١)

"من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه وفقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه (١) وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فأنظر أي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار ودخل مروان على أبي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم اشدد ثم بكى أبو هريرة وقال والله ما أبكى حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر إحدى البشريين من ربى بجنة أم بنار

وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله إذا رضى عن عبد قال يا ملك الموت أذهب إلى فلان فأتني بروحه لأريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده مالك يا سيدنا فيقول أما ترون ما أعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما (٢) وقال الحسن لا راحة للمؤمن إلا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه

وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة إلى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه إليه ثم قال يا إخوناه الساعة والله افارقكم إلى النار أو إلى الجنة

وقال محمد بن واسع عند الموت يا إخوناه عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله وتمنى بعضهم أن يبقى

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٤٣٠

في النزع أبدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب فخوف **سوء الخاتمة** قطع قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت

وقد ذكرنا معنى **سوء الخاتمة** وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكننا لا نطول بذكره وإعادته

بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت

أعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى

أما الصورة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينة ودمعت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به وإذا غط غطيط المخنوق وأحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به // حديث ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه وذرفت عيناه الحديث أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح

وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه الحديث متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت

(٢) حديث أن الله إذا رضى على عبده قال يا ملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه لأريحة الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث تميم الدالي باسناد ضعيف بزيادة كثيرة ولم يصرح في أول الحديث برفعه وفي آخره ما دل على انه مرفوع وللنسائي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح إذا حضر الميت أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون أخرجي راضية عنك إلى روح الله وريحان ورب راض غير غضبان الحديث." (١)

"لقنوا موتاكم لا إله إلا الله (١) وفي رواية حذيفة فإنها تهدم ما قبلها من الخطايا (٢) وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة (٣) وقال عبيد الله

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٤٦٥

وهو يشهد وقال عثمان إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة

وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا إله إلا الله

وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص (٤)

وينبغي للملقن أن لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدى إلى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب **سوء الخاتمة**

وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وإن كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا إليها متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يتفضل الله تعالى بالقبول

وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله

دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله قال أغرقتني ذنوب لي وأشرفت على هلكة ولكني أرجو رحمة ربي فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا المظن إلا أعطاه الله الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف (٥) (٦) وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكان له أم تعظه كثيرا وتقول له يا بني إن لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه وجعلت تقول له يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوما فقال يا أمه إن لي ربا كثير المعروف وإني لأرجو أن لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له أمه يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمى لا تسلبينيه فإن فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما دفن رؤى في المنام فقال أخبروا أمي أن الكلمة قد نفعتني وأن الله قد غفر لي

ومرض اعرابي فقيل له إنك تموت فقال أين يذهب بي قالوا إلى الله قال فما كراهتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه

وق ا ل أبو المعتمر بن سليمان قال أبي لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلى ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكى يحسن ظنه بربه

---

(١) حديث لقنوا موتاكم لا إله إلا الله تقدم

(٢) حديث حذيفه فانها تهدم ما قبلها تقدم

(٣) من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة تقدم

(٤) حديث أبي هريرة حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين والطبراني والبيهقي في الشعب وإسناده جيد إلا أن في رواية البيهقي رجلا لم يسم وسمى في رواية الطبراني إسحق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف

(٥) حديث دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله وفيه يقول الله أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما يشاء أخرجه ابن حبان بالمرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقي في الشعب به جميعا

(٦) حديث دخل على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي الحديث تقدم." (١)

"ونهاية، وظاهر وباطن، ولا وصول إلى نهايتها إلا بعد إحكام بدايتها، ولا عثور على باطنها إلا بعد الوقوف على ظاهرها.

وهأنا مشير عليك ببداية الهداية؛ لتجرب بها نفسك، وتمتحن بها قلبك، فإن صادفت قلبك إليها مائلا، ونفسك بها مطاوعة، ولها قابلة؛ فدونك التطلع إلى النهايات والتغلغل في بحار العلوم.

وإن صادفت قلبك عند مواجهتك إياها بها مسوفا، وبالعمل بمقتضاها مماطلا؛ فاعلم أن نفسك المائلة إلى طلب العلم هي النفس الأمارة بالسوء، وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ليدليك بحبل غروره؛ فيستدرجك بمكيدته إلى غمرة الهلاك، وقصده أن يروج عليك الشر في معرض الخير حتى يلحقك (بالأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) . وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء، وما ورد فيه من الأخبار والآثار. ويلهيك عن قوله صلى الله

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤٦٦/٤

عليه وسلم: (من ازداد علما ولم يزدد هدى، لم يزدد من الله إلا بعدا) ، وعن قوله صلى الله عليه وسلم: (أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) وكان صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، وعمل لا يرفع، ودعاء لا يسمع) .

وعن قوله صلى الله عليه وسلم: (مررت ليلة أسرى بي بأقوام تقرض شفاههم بمقارض من نار، فقلت: من أنتم؟ قالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه) .

فإياك يا مسكين أن تذعن لتزويره فيدليك بحبل غروره، فويل للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة، وويل للعالم حيث لم يعمل بما عمل ألف مرة.

واعلم أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال: رجل طلب العلم ليتخذه زاده إلى المعاد، ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة؛ فهذا من الفائزين.

ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة، وينال به العز والجاه والمال، وهو عالم بذلك، مستشعر في قلب ركاكه حاله وخسة مقصده، فهذا من المخاطرين. فإن عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه من **سوء الخاتمة**، وبقي أمره في خطر." (١)

"بكم لاحقون) (١) على الإيمان ويعود ذلك إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، وإلى أصحابه معا (٢) إذ قد علمنا فيه - صلى الله عليه وسلم - خاصة قطعا موته على الإيمان **وحسن الخاتمة**، وقوله. وددت أني رأيت إخواننا، تمنى - صلى الله عليه وسلم - ما لا يكون، والتمني تعلق الإرادة بما في المستقبل والآسف تعلق الإرادة بالماضي، والتمني لا يجوز إلا في أمور الدين، وقد بينا ذلك في شرح كتاب التمني واستوفيناه، وفي تشريف الأمة بتمني النبي، - صلى الله عليه وسلم -، أن يراها فنحن أولى أن نكون لرؤيته أشد تمنيا وأكثر تطلعا وقوله إخواننا بيان لقوله عز وجل: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (٣) قالت له الصحابة: ألسنا أخوانك؟ قال لهم: بل أنتم أصحابي، فأعطاهم اسما هو أخص من الأخوة وأشرف منه. والأسماء ثلاثة: صحابي (٤) وتابعي (٥) ومؤمن (٦)، ولكل اسم مرتبته شرحناها في كتاب الدقائق عند ذكرنا رتب الخلق.

وقوله: "وأنا فرطهم (٧) على الحوض" يريد عند حوضه ينتظر أمته قالت له

---

(١) قال الصنعاني: التقييد بالمشيئة للتبرك وامتثالا لقوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا *

---

(١) بداية الهداية أبو حامد الغزالي ص/٢٦

إلا أن يشاء الله﴾ وقيل المشيئة عائدة إلى تلك التربة بعينها. سبل السلام: ٢/ ١١٨، وانظر نيل الأوطار: ٤/ ١٢٧.

(٢) في "م" جميعا.

(٣) سورة الحجرات آية ١٠.

(٤) تعريف الصحابي من لقي النبي - صلى الله عليه وسلم -، مؤمنا به، ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسه أو قصرت، ومن روى عنه، أو لم يرو، ومن غزا معه، أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى، الإصابة: ١/ ٧، مقدمة ابن الصلاح: ٢٦٢، تدريب الراوي ١/ ٣٩٤، شرح نخبة الفكر لعلي القارئ: ١٧٦، معرفة علوم الحديث للحاكم: ٢٢، الكفاية: ٤٩.

(٥) قال ابن الصلاح قال الخطيب: التابعي من صحب الصحابي وقال: بعد نقل عبارة الخطيب قلت: ومطلقه مخصوص بالتابعي بإحسان، وكلام الحاكم أبي عبد الله وغيره يشعر بأنه يكفي فيه أن يسمع من الصحابي أو يلقاه وإن لم توجد الصحبة العرفية والاكتفاء في هذا بمجرد اللقاء والرؤية أقرب منه إلى الصحابي نظرا إلى مقتضى اللفظين فيهما. مقدمة ابن الصلاح: ٢٧١، تدريب الراوي: ١/ ٤١٦، شرح نخبة الفكر لعلي القارئ: ١٨٤، معرفة علوم الحديث: ٤١.

(٦) المؤمن هو من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويؤمن بالقدر خيره وشره، كما جاء في حديث جبريل من رواية عمر بن الخطاب عند مسلم. في كتاب الإيمان: ١/ ٣٧.

(٧) قال الباجي: يريد أنه يتقدمهم إليه ويجدونه عنده يقال: فرطت القوم إذا تقدمتهم لترتاد لهم الماء وتهيىء لهم الماء والرشاء وافترط فلان أنباله، أي تقدمه المنتقى: ١/ ٧٠.." (١)

"فضل الشهداء:

خطط الإسلام أربعة. نبوة. صديقية. شهادة. صلاح (١).

وقد بينا معانيها ومراتبها في كتاب المشكلين على الاستيفاء والإشارة فيه أن النبي من جاءه رسول الله بوحيه.

والصديق من صدق فعله قوله واعتقاده على الإطلاق، والصالح من سلم عمله من المفسدات وقوله من المبطلات، واعتقاده من الشبهات وإن نال عمله رحض (٢) من الكدرات. وأما الشهادة فاختلف العلماء فيها على خمسة أقوال:

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/١٥٣

الأول: أنهم الذين شهد لهم بالإيمان وضمن لهم **حسن الخاتمة**، وهذا كقول النبي، - صلى الله عليه وسلم -، "أنا شهيد على هؤلاء" (٣)، وليس في الحقوق أثبت من حق شهد به النبي، - صلى الله عليه وسلم -، فعيل بمعنى مفعول.

الثاني: أنه حضر يقينه معاينا مشاهدا على جوارحه لائما لغيره لأنه قال أنا مؤمن بقلبي محقق بيقيني فيصوم ويصلي ولحج ويتصدق وكلها محتملة أن تكون صدرت عن إخلاص أو لغرض، فإذا بذل نفسه وعرضها للإتلاف في أمر الله تعالى فهو دليل قطعي على صدق النية لأن الجود بالنفس أقصى غاية الجود. فعيل بمعنى فاعل.

الثالث. أنه جرى دمه على الأرض أو أجري، والشهادة وجه (٤) الأرض. فعيل مطلق أو بمعنى مفعول.

الرابع. أن الملائكة شهدته، فعيل بمعنى مفعول.

الخامس. أن دليله معه لا يفارقه، قال النبي، - صلى الله عليه وسلم -: "ما من أحد يكلم في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله" (٥) الحديث. فعيل بمعنى فاعل أو مفعول.

---

(١) يشير إلى الآية ٦٩ من سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾.

(٢) رحض رحضة كمنعة، وأرحضه غسله، فهو مرحوض، والمرحاض: المغتسل، وقد يكنى به عن مطرح العذرة، والمرحضة شيء يتوضأ فيه مثل الكنيف، والرحضاء عرق يغسل الجلد كثرة. مختار القاموس ٢٤٢. وانظر ترتيب القاموس للأستاذ طاهر أحمد الزواوي ٢/ ٣١٥.

(٣) البخاري في كتاب الجنائز باب من يقوم في اللحد ٢/ ١١٥، وأبو داود ٣/ ١٩٦ والترمذي ٣/ ٣٥٤ وقال حسن صحيح. والنسائي ٤/ ٦٢ كلهم من رواية جابر ابن عبد الله.

(٤) كذا في جميع النسخ. قال في القاموس ١/ ٣٠٦ وسمي الشهيد لسقوطه على الشهادة أي الأرض.

(٥) حديث متفق عليه أخرجه البخاري في الجهاد باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله =." (١)

"١٢ - (١٠٢٨) حدثنا محمد بن أبى عمر المكى، حدثنا مروان بن معاوية الفزارى، عن يزيد - وهو ابن كيسان - عن أبى حازم الأشجعى، عن أبى هريرة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/٣٠٩

من أصبح منكم اليوم صائما؟ ". قال أبو بكر: أنا. قال: " فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ ". قال أبو بكر: أنا. قال: " فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ ". قال أبو بكر: أنا. قال: " فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ ". قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة ".

محاسبة ولا مجازاة على شيء من عمل، وإلا فمجرد الإيمان يوجب بفضل الله دخول الجنة. واجتماعها فى يوم يدل على دوام السعادة، **وحسن الخاتمة**، ووجوب الجنة بذلك.

وقوله فى كلام البقرة، وكلام الذئب، وتعجب الناس من ذلك: " آمنت به أنا وأبو بكر وعمر " وما هما فى القوم: ثقة منه - عليه السلام - وتحقيقا لصحة إيمانهما، وقوة (١) يقينهما، ومعرفتهما بسلطان الله، وعظيم قدرته على ما يشاء. وفيه خرق العوائد إذا شاءها الله لمن أراد.

وقوله عن الذئب: " من لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيرى؟ ": كذا الرواية بضم الباء، قال الإمام: بعض أهل اللغة يقولون (٢): " يوم السبع " بإسكان [الباء، وتفسيره بأنه أراد يوم القيامة. قال بعضهم: " من لها يوم السبع ": السبع] (٣): الموضع الذى عنده المحشر يوم القيامة، أراد من لها يوم القيامة.

قال الإمام: وقد سألت بعض أئمة اللغة عن هذا، فقال لى: ما أعرف لتسمية يوم القيامة بهذا الاسم وجها، لكنى (٤) أعرف فى اللغة: سبعت الرجل سبعة سبعا: إذا طعنت عليه، فلعله لا كان يوم القيامة يوم الكشف عن المساوئ سمى بذلك اليوم سبعا، هذا الذى ذكر لى من سألته. وقد رأيت فى بعض كتب اللغة: يقال: سبعت الأسد: إذا دعوته (٥). قال الطرماح:

فلما عوا ليث السماك سبعته ... كما أنى أحيانا لهن سبوع

يصف الذئب، ويكون المعنى على هذا: من لها يوم الفزع، ويوم القيامة أيضا يوم الفزع، وحكى صاحب الأفعال: سبعت الرجل سبعا: وقعت فيه، والقوم صرت

---

(١) فى ز: وقوله.

(٢) فى ح: يقول.

(٣) فى هامش ح.

(٤) فى ز: لأنى، والمثبت من ح.

(٥) فى ح: زعرته.." (١)

". . . . .

وقوله فى الحديث: " فيقضى ربك ما شاء ": فيرجع الكلام كله إلى هذا؛ ولأن خلقه جميع الأعضاء والذكورية والأنوثة على حد سواء ووقت متفق، وهذا يشاهد فيما يوجد من أجنة الحيوان مشاهدة، وهو الذى يقتضى الخلقة واستواء الصورة، ثم يكون للملك فيه تصرف آخر وهو وقت نفخ الروح فيه، وما ذكره فى الحديث من إرسال الملك له فمراده - والله أعلم بمراده - يوجهه (١) للتصرف فى هذه الأحوال وامتثال هذه الأفعال، وإلا فقد ذكر فى حديث أنس أنه موكل بالرحم وأنه يقول: " يا رب نطفة، أى رب علقة، أى رب مضغة " وهو ظاهر حديث ابن مسعود.

وقوله فى حديث آخر (٢): " فإذا أراد الله أن يقضى خلقا قال: يا رب، أذكر أم أنثى؟ شقى أم سعيد؟ " ليس يخالف ما تقدم، ولا يدل أنه يقول ذلك بعد المضغة، بل هو ابتداء كلام وإخبار عن حالة أخرى، أخبر أولا. بحال الملك مع النطفة، ثم أخبر أن الله - تعالى - إذا أراد إظهار خلق النطفة علقة وإبقاء أثرها لقوله تعالى: ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ (٣)، وذلك يرجع عند تخليق النطفة علقة كما تقدم. ومثل هذا جميع ما ورد فى الرزق والأجل من قوله: " فيقضى ربك ما شاء من ذلك ويكتب " أى يظهر ذلك للملك ويأمره بإنفاذه وكتابته وإلا فقضاؤه سابق، وعلمه بما يكون من ذلك وإرادته فيه متقدمة أزلية لا أول لها، وعلى هذا تتفق الأحاديث وتطابق الآية، ولا يكون بينهما تخالف ولا تعارض، ولا يجد الملحد للكلام فى ذلك سبيلا.

وقوله: " إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها " الحديث: هذا راجع إلى [أن الأمر بالخواتيم، فإذا كل أحد يتوفى على ما سبق له فى أم الكتاب، وذهب بعضه إلى أن] (٤) المراد به الحيف فى الوصية وهذا يبعد عن سياق هذا الحديث ولا يدل عليه، وإنما يدل على **سوء الخاتمة**، بدليل قوله بعده فى حديث أبى هريرة: " إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يختم له بعمل أهل النار "، وفى البخارى: " وإنما الأعمال بالخواتيم " (٥).

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٣٩١/٧

وفى هذا أن الثواب والعقاب راجع إلى أمر الخاتمة، وأن التوبة تكفر الذنوب، وأن من مات على شيء حكم عليه به من خير أو شر إلا ما عفا الله عنه من السيئات، وسمح فيه لأهل الإيمان من التبعات.
وقوله: " ما بينه وبينها إلا ذراع " على طريق التمثيل للقرب من موته ودخولها بأثره مثل من وصل إلى شىء بينه وبين هذا القدر ثم منع منه.

---

(١) فى ح: توجيهه.
(٢) فى ح: أنس.
(٣) طه: ٧٢.
(٤) فى هامش ح.
(٥) البخارى، ك القدر، ب العمل بالخواتيم ٨/ ١٥٥.." [١]

"(١٦) باب فى التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره

٥٣ - (٢٧٠٧) حدثنى عمرو الناقد وزهير بن حرب، قالا: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنى سمى عن أبى صالح، عن أبى هريرة؛ أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من سوء القضاء، ومن درك الشقاء، ومن شماتة الأعداء، ومن جهد البلاء.
قال عمرو فى حديثه: قال سفيان: أشك أنى زدت واحدة منها.

وقوله: "كان يتعوذ من سوء القضاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء، وجهد البلاء ": جهد البلاء: مشقته، والجهد: ما لا طاقة لحمله ولا يقدر على دفعه؛ فهو المستعاذ به، يقال بالضم والفتح. قال نفطويه (١): بالضم: الوسع والطاقة، وبالفتح: المبالغة والغاية. وقال الشعبى (٢): بالفتح: فى العمل، وبالضم: فى الفتنة، يعنى العيش. وقال غيره: إذا كان من الاجتهاد والمبالغة ففيه الوجهان. قال ابن دريد: هما لغتان صحيحتان لمعنى جهده، وجهده. وفى كتاب العين: الجهد بالضم: الطاقة، وبالفتح: المشقة. وروى عن ابن عمر قال: جهد البلاء: قلة المال وكثرة العيال (٣).
ودرك الشقاء، بفتح الراء: اسم للإدراك كما يلحق من اللحاق، وضبطه بعضهم بالإسكان، والوجه بالفتح هنا. وقال بعضهم: درك الشقاء يكون فى أمور الدنيا والآخرة وكذلك سوء القضاء فى النفس وفى المال،

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ١٢٨/٨

ويكون ذلك فى **سوء الخاتمة**. ودرك الشقاء عند الموت، ويكون ما يدرك من عقوبة الله فى الآخرة. وقد يكون من الشقاء أيضا: ما يدرك من ذلك فى الجهد وقلة المعيشة فى الدنيا.

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة، أبو عبد الله العتكى الأسدى الواسطى النحوى، ولد سنة أربعين ومائتين ولقب " نفطويه " نسبة له بالنفط، سكن بغداد وحدث بها وكان صدوقا، وله مصنفات كثيرة منها: كتاب كبير فى غريب القرآن، وكتاب التاريخ، وكان فقيها عالما بمذهب داود رأسا فيه، وكان مسندا فى الحديث، وتوفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة. تاريخ بغداد: ٦/ ١٥٩ - ١٦٢ برقم (٣٢٠٥)، وله ترجمة فى لسان الميزان ١/ ٩، وفيات الأعيان ١/ ١١.

(٢) هو عامر بن شراحيل الشعبى الحميدى أبو عمرو الكوفى، متفق على توثيقه، سمع من ثمانية وأربعين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، وقال العجلى: مرسل الشعبى صحيح، لا يرسل إلا صحيحا، وقد أخرج له الجماعة، توفى سنة تسع ومائة، وانظر: طبقات ابن سعد الكبرى ٦/ ١٧١، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٩ وتهذيب التهذيب ٥/ ٦٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٧٩.

(٣) ذكره ابن حجر فى الفتح دون تخريج فى ب التعوذ من جهد البلاء ١٣/ ٣٩٩. وجاء القول فى إكمال الإكمال منسوبا لأبى عمر بن عبد البر ٧/ ١٣٣.." (١)

"الشهداء (١)، فيكون بمعنى شاهد. وقيل: سمي بذلك؛ لأنه شهد له (٢) بالإيمان **وحسن الخاتمة** بظاهر حاله فيكون بمعنى مشهود له.

وقيل: لأن الملائكة شهدته. وقيل: لأنه شهد له بوجوب الجنة. وقيل: من أجل شاهده على قتله، وهو دمه؛ لأنه يجيء وجرحه يثعب دما (٣).

وقول أبي هريرة: "ثلاثا أشهد بالله" (٤) أي: أشهد بالله ثلاثا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالها ثلاثا، أي: أحلف، والشهيد من أسمائه سبحانه؛ لأن العباد يشهدونه، أي: يعرفونه فهو بمعنى مشهود. وقيل: هو بمعنى المبين للدلائل والحجج، ومثله: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ [آل عمران: ١٨] أي: بين، قاله ثعلب (٥)، ومنه سمي الشاهد؛ لأنه يبين الحكم، ومثله: ﴿إنا أرسلناك شاهدا﴾ [الأحزاب: ٤٥] قيل: مبينا. وقيل: شاهدا على أمتك بالتبليغ إليهم. وقيل: الشهيد في وصفه هو الذي لا يغيب عنه شيء. وقيل: شاهد (٦) للمظلوم الذي لا شاهد له، والناصر لمن لا ناصر له.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٢٠٥/٨

قوله: "يشهد إذا غبنا" (٧) أي: يحضر.

---

(١) روى مسلم (١٨٨٧) عن ابن مسعود في تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [آل عمران: ١٦٩] فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: "أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل ... " الحديث.

(٢) في (س، د، ش): (لهم).

(٣) "الموطأ" ٢/ ٤٦١ من حديث أبي هريرة.

(٤) "الموطأ" ٢/ ٤٦٠، والبخاري (٧٢٢٧).

(٥) في (س): (الثعلب).

(٦) في (د): (الشهيد).

(٧) مسلم (٢٤٦١) من قول أبي موسى يعني بقوله ابن مسعود.." [(١)]

"الأنثيان إلى أعالي موضعهما وتخضر أنامله

فلا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم وليس هو من عرق واحد بل من العروق كلها

ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها وينغلق دونه باب التوبة وتحيط به الندامة والحسرة

ويروى أن العبد يقول لملك الموت عند الموت يا ملك الموت أخرني يوما استعتب فيه وأتوب إلى ربي وأعمل صالحا فيقول له فنيت الأيام فلا يوم فيقول أخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه عند الغرغرة فيغلق باب التوبة دونه ويحجب عنها وتنقطع الأعمال وتطوى الصحف وتتم الأوقات ويبقي عدد الأنفاس يشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحد بصره فإذا كان في آخر نفس يدركه ما سبق له من السعادة فتخرج روحه على الإيمان فذلك **حسن الخاتمة** أو يدركه ما سبق له من الشقاوة فتخرج روحه على الكفر أو الشك وذلك **سوء الخاتمة** ونعوذ بالله ثم نعوذ بالله

---

(١) مطالع الأنوار على صحاح الآثار ابن قرقول ٨١/٦

وأنشد بعضهم

كأني بنفسي على ضعفها ... تجرع رغما كؤوس الردى

وقد كشف الله عنها الغطا ... فحنت هناك لكشف الغطا

ومدت إليها يد فظة ... لفظ غليظ شديد القوى

فما شئت من نفس ضيق ... وجذب عروق وقطع الحشا

ونفس تساق أشد مساق ... فتضغط في لهوات الفتى

ولا دافع يرتجى دفعه ... ولا قائل ما به يفتدى

ومالي انتصار ولا لي قرار ... ومالي من حيلة ترتجى." (١)

"ويروى عن أنس بن مالك أن غلاما من اليهود كان يخدم النبي فمرض فأتاه صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فعرض عليه الإسلام فقال له أسلم فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده فقال له أبوه أطع أبا القاسم فأسلم فقام النبي وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه بي من النار

ذكر هذا الحديث البخاري وأبو داود وغيرهما

وينبغي أن لا يلح على الميت بتلقين الشهادتين قال ابن المبارك لقنوا الميت لا إله إلا الله فإن قالها فدعوه ولأنه يخاف عليه إذا ألح عليه بها أن يبرم ويضجر ويثقلها الشيطان عليه فيكون ذلك سببا **لسوء الخاتمة**

ذكر أبو بكر الدينوري في كتاب المجالسة عن الحسن بن عيسى قال لما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه أجعل رأسي على التراب قال فبكى نصر فقال ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هذا تموت فقيرا غريبا فقال اسكت فإني سألت الله أن يحييني حياة السعداء ويميتني ميتة الفقراء ثم قال لقني الشهادة ولا تعد علي إلا أن أتكلم بكلام ثان

والمقصود أن يموت الرجل ولا يكون في قلبه إلا الله وحده لأن المدار على القلب وعمل القلب هو الذي ينظر فيه وتكون النجاة بسببه وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما في القلب فلا فائدة فيها ولا خير عندها

وأما حسن الظن بالله تعالى عند الموت فواجب قال عليه الصلاة والسلام لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى ذكره مسلم

وقال عبد الله بن مسعود والذي لا إله غيره لا يحسن أحدكم الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير

---

(١) العاقبة في ذكر الموت عبد الحق الأشبيلي ص/١١١

بيده

وقال عبد الله بن عباس إذا رأيتم الرجل قد نزل به الموت فبشروه حتى يلقى ربه وهو حسن الظن بالله تعالى وإذا كان حيا فخوفوه بربه واذكروا له شدة عقابه." (١)

"الباب السادس ما يحذر من **سوء الخاتمة** وما سبق من ذلك لأكثر الخلق في السابقة

اعلم رحمك الله أن هذا أمر إذا ذكر حقيقة ذكره انفطرت له القلوب وتشققت وانصدعت له الأكباد وتقطعت ولولا أن الآجال محدودة والأنفاس معدودة فلا يتجاوز ذلك المحدود ولا يزاد على ذلك المعدود لزهقت الأنفس عند أول ذكره زهوقا لا تجد لسرعته طعم وفاة بل تكاد تنعدم معه انعداما لا تعود معه إلى وجود ولا حياة ولكنها مربوبة مدبرة مقهورة مصرفة تخرج إذا أذن لها في الخروج وتلج إذا أذن لها في الولوج وقد كتب عليها الوجود والبقاء فلا انعدام ولا مطمع لها في ذلك ولا مرام

وما يمنع القلوب رحمك الله من الانشقاق والانصداع والانفطار والانقطاع والذي يلقى المختوم له بهذه الخاتمة عذاب لا تقوم السموات والأرض لشدته ولا آخر لمدته وما منا أحد إلا ويخاف أن يكون هو وما الذي أمنه منه وما الذي حاد به عنه والخاتمة مغيبة والعاقبة مستورة والأقدار غالبة والنفس كما تدري والشيطان منها بحيث تدري وهي مصغية إليه ملتفتة نحوه مقبلة عليه." (٢)

"وقال إذا كان الرضا والغضب صفة أزلية فما تنفع الأذيال المقصرة والأقدام المورمة والوجوه المصفرة وقيل يا ابن آدم أي شيء يمنعك وأي مكان يعصمك إذا كانت الأقدار تطلبك

ومر على بعض الصالحين بيهودي ميت قد أوصى أن يدفن ببيت المقدس فقال أيكابر هؤلاء الأقدار أما علموا أنهم لو دفنوا في الفردوس الأعلى لجاءت لظى بأنكالها حتى تأخذه إليها وتنطلق به معها

وقال آخر من حكم له بالسعادة لا يشقى أبدا وإن ألح غاويه وكثر معاديه وأحيط به من جميع نواحيه ومن حكم له بالشقاوة لا يسعد أبدا وإن عمر ناديه وأخصب واديه وحسنت أواخره ومباديه كم من عابد ظهرت عليه أنوار العبادة وآثار الإرادة وبدت منه مخايل السعادة وارتفع صيته وانتشر في الآفاق ذكره وعظم في الناس شأنه وقدره جمحت الأقدار به جمحة ردته على عقبيه وسلبته ما كان في يديه وأخذت بناءه من قواعده فألقته عليه فنعوذ بالله من درك الشقاء وجهد البلاء وشماتة الأعداء برحمته

---

(١) العاقبة في ذكر الموت عبد الحق الأشبيلي ص/١٤٥

(٢) العاقبة في ذكر الموت عبد الحق الأشبيلي ص/١٧١

وأعلم رحمك الله أن **لسوء الخاتمة** أعاذنا الله منها أسبابا ولها طرق وأبواب أعظمها الإكباب على الدنيا والإعراض عن الأخرى والإقدام بالمعصية على الله تعالى

وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية وجانب من الإعراض ونصيب من الافتراء فملك قلبه وسبى عقله وأطفأ نوره وأرسل عليه حجبه فلم تنفع فيه تذكرة ولا نجعت فيه موعظة فربما جاءه الموت على ذلك فسمع النداء من مكان بعيد فلم يتبين المراد ولا علم ما أراد وان أعاد عليه وأعاد

يروى أن بعض رجال الناصر بن علناس نزل به الموت فجعل ابنه يقول له قل لا إله إلا الله فقال الناصر يا مولاي فأعاد عليه فأعاد هو ثم أصابته." (١)

"فزاد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر فنعوذ بالله من المحن والفتن

ويروى أن رجلا عشق شخصا واشتد كلفه به وتمكن حبه من قلبه حتى وقع لما به ولزم الفراش من أجله وتمنع ذلك الشخص واشتد نفاره عنه فلم تزل الوسائط تمشي بينهما حتى وعد بأن يعوده فأخبر بذلك البائس ففرح واشتد سروره وانجلى غمه وجعل ينتظر الميعاد الذي ضرب له فبينما هو على ذلك إذ جاءه الماشي بينهما وقال إنه وصل معي إلى بعض الطريق ورجع فرغبت إليه وكلمته في إنجاز وعده والوفاء بعهده فقال إني أخاف الفضيحة ولا أدخل مداخل السوء والريب ولا أعرض نفسي لمواقع التهم وسألته فأبى وانصرف فلما سمع البائس هذا سقط في يده وعاد إلى أشد مما كان به وبدت علائم الموت وأماراته عليه قال الراوي فسمعته يقول وهو في تلك الحال

سلام يا راحة العليل ... وبرء داء المدنف النحيل

لقاك اشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق ال‍جليل

قال فقلت له يا فلان اتق الله فقال قد كان فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت قد قامت عليه فنعوذ بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة بكرمه

واعلم أن **سوء الخاتمة** أعاذنا الله منها لا يكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه وإنما يكون ذلك لمن كان له فساد في العقل وإصرار على الكبائر وإقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة ويثب عليه قبل الإنابة ويأخذه قبل إصلاح الطوية فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند

---

(١) العاقبة في ذكر الموت عبد الحق الأشبيلي ص/١٧٨

تلك الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله أن يكون لمن كان مستقيما لم يتغير عن حاله ويخرج عن سنته ويأخذ في غير طريقه." (١)

"فيكون ذلك سببا **لسوء الخاتمة** وشؤم العاقبة والعياذ بالله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

وقد سمعت بقصة بلعام بن باعوراء وما كان آتاه الله من آياته وأطلعه عليه من بيناته وما أراه من عجائب ملكوته

أخلد إلى الأرض واتبع هواه فسلبه الله سبحانه جميع ما أعطاه وتركه مع من استماله وأغواه

ويروى أنه كان بمصر رجل يلزم مسجدا للأذان والصلاة فيه وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة فرقي يوما المنارة على عادته للأذان وكان تحت المنارة دار لذمي نصراني فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها فترك الأذان ونزل إليها ودخل الدار عليها فقالت له ما شأنك وما تريد فقال أنت أريد قالت لماذا قال لها قد سلبت لبي وأخذت بمجامع قلبي قالت له لا أجيبك إلى ريبة

قال لها أتزوجك قالت أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك قال لها أتنصر قالت إن فعلت أفعل فتنصر الرجل ليتزوجها وأقام معهم في الدار فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات فلا هو بها اتصل ولا هو بدينه حصل فنعوذ بالله ثم نعوذ بالله." (٢)

"حسرات المحرومين

ثلاثة من المحرومين حسرتهم أوجع حسرات المتحسرين عبد كان يرجو الوفاة على الإسلام فأدركه عند الموت **سوء الخاتمة** وعبد كان يرجو التوبة وهومصر على الخطيئة وعبد يرجو اللحاق بأولياء الله فحرمته المقادير بلوغ ما رجا حرمت مقلتي طيب الرقادي وحلتم بين خدي والوسادي أريد القرب منكم تبعدوني وأنتم قادرون على مرادي وحقكم لقد أسلفتموني بطردى عنكم شر البلادي فيا حسرات ما يلقاه قلبي ويا حرقات ما يغشى فؤادي فلاكم قد شف بالإسلام حمى وخالف بين جفني والسهادي وشردني عن الأوطان حتى بقيت مهيما في كل وادي وكيف يقر مهجور قضيتم عليه بالصدود وبالعبادي محب لم يطع فيكم عذولا ولم يسمع وشايات الأعادي ويطوى سركم عن كل حي وينشر ذكركم في كل نادي فلو حدثتموه ما

---

(١) العاقبة في ذكر الموت عبد الحق الأشبيلي ص/١٨٠

(٢) العاقبة في ذكر الموت عبد الحق الأشبيلي ص/١٨١

سلا عن محبتكم إلى يوم التنادي فدتكموا اجبروا كسري وفقري ولو ان تمنوا باليسير من الرقادي عسى طيف يلم فإن طرفي إلى رؤياكم في النوم صادي." (١)

"منك ومن العباد

فيأمر الله تعالى به إلى النار فيمضي العبد وهو يرد رأسه ويقول يا رب وعزتك وجلالك ما عصيت بهذا كله استخفافا بحقك وما ظننت بك إلا أن تغفر لي كما سترت علي في الدنيا وقد أيقنت أن عصياني ذلك لا يضرك وأن رحمتك ي لا تنقصك

فيقول الله تبارك وتعالى عبدي صدقت لم تقطع رجاءك من رحمتي

فوعزتي وجلالي لأغفرن لك اليوم يا ملائكتي مروا بعبدي إلى الجنة

ومن العباد من يقول يا رب العذاب علي أهون من توبيخك لي أرسل بي إلى النار كما يفعل بالعبد الآبق عن مولاه

فيقول الله تبارك وتعالى عبدي ما وبختك إلا لأعرفك أن ذنوبك بعيني إذ عصيني بها وجعلت توبيخي لك كفارة لذنوبك وقد غفرتها لك وقد رحمتك وأنا أرحم الراحمين مروا بعبدي إلى الجنة

جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة أجمعين وتوفانا برحمته مسلمين وختم لنا عند فراق الدنيا **بحسن الخاتمة** وكلمة التقوى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وشرف وكرم وحشرنا معه في المقام الأعظم مع أصحابه وأزواجه الكرام أمهات المؤمنين آمين يا رب العالمين." (٢)

"على عصياني، وأنا غذيتك برزقي وإحساني، أما خلقتك بيدي؟ أما نفخت فيك من روحي؟ أما علمت فعلي بمن أطاعني، وأخذي لمن عصاني؟ أما تستحي تذكرني في الشدائد وفي الرخاء تنساني؟ عين بصيرتك أعماها الهوى. قل لي بماذا تراني، هذا حال من لم تؤثر فيه الموعظة، فإلى كم هذا التواني؟ إن تبت من ذنبك، آتيتك أماني. اترك دارا صفوها كدر، وآمالها أماني. بعت وصلي بالدون، وليس لي في الوجود ثاني. ما جوابك إذا شهدت عليك الجوارح بما تسمع وترى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا﴾ آل عمران ٣٠.

وأنشدوا:

تعصي الإله وأنت تدعي حبه ... هذا محال في القياس بديع

---

(١) التذكرة في الوعظ ابن الجوزي ص/١٧٢

(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين ابن الجوزي ص/٩٩

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

قال مالك بن دينار: دخلت على جار لي وهو في الغمرات يعاني عظيم السكرات، يغمى عليه مرة، ويفيق أخرى، وفي قلبه لهيب الزفرات، وكان منهمكا في دنياه، متخلفا عن طاعة مولاه، فقلت له: يا أخي، تب إلى الله، وارجع عن غيك، عسى المولى أن يشفيك من ألمك، ويعافيك من مرضك وسقمك، ويتجاوز بكرمه عن ذنبك. فقال: هيهات هيهات! قد دنا ما هو آت، وأنا ميت لا محالة، فيا أسفي على عمر أفنيته في البطالة. أردت أن أتوب مما جنيت، فسمعت هاتفا يهتف من زاوية البيت: عاهدناك مرارا فوجدناك غدارا.

نعوذ بالله من **سوء الخاتمة**، ونستغفره من الذنوب المتقادمة.

يا أخي أقبل على قبلة التوجه إلى مولاك، وأعرض عن مواصلة غيك وهواك وواصل بقية العمر بوظائف الطاعات، واصبر على ترك عاجل الشهوات، فالفرار أيها المكلف كل الفرار من مواصلة الجرائم والأوزار، فالصبر على الطاعة في الدنيا أيسر من الصبر على النار.

وأنشدوا:." (١)

"للأكفان، فتفطرت قلوبنا له اشفاقا ودعونا له **بحسن الخاتمة**، واتحفناه ببعض ما كان عندنا مما رغب فيه. وأبلغ في مجازاتنا ومكافأتنا واستكتمناه سائر اخوانه من الفتيان.

ولهم في فعل الجميل أخبار مأثورة، وفي افتكاك الأسرى صنائع عند الله مشكورة. وجميع خدمتهم على مثل أحوالهم. ومن عجيب شأن هؤلاء الفتيان أنهم يحضرون عند مولاهم فيحين وقت الصلاة فيخرجون أفذاذا من مجلسه فيقضون صلاتهم. وربما يكونون بموضع تلحقه عين ملكهم فيسترهم الله عز وجل، فلا يزالون بأعمالهم ونياتهم وبنصائحهم الباطنة للمسلمين في جهاد دائم، والله ينفعهم ويجمل خلاصهم بمنه. ولهذا الملك بمدينة مسينة المذكورة دار صنعة البحر تحتوي من الأساطيل على ما لا يحصى عدد مراكبه، وله بالمدينة مثل ذلك.

مغادرة صقلية

فكان نزولنا في أحد الفنادق، وأقمنا بها تسعة أيام، فلما كان ليلة الثلاثاء الثاني عشر للشهر المبارك المذكور، والثامن عشر لدجنبر، ركبنا في زورق متوجهين الى المدينة المتقدم ذكرها، وصرنا قريبا من الساحل بحيث نبصره رأي العين، وأرسل الله علينا ريحا شرقية رخاء طيبة زجت الزورق أهنأ تزجية وسرنا

---

(١) بحر الدموع ابن الجوزي ص/١٠

نسرح اللحظ في عمائر وقرى متصلة وحصون ومعاقل في قنن الجبال مشرفة، وأبصرنا عن يمننا في البحر تسع جزائر قد قامت جبالا مرتفعة: على مقربة من بر الجزيرة اثنتان منها، تخرج منهما النار دائما، وابصرنا الدخان صاعدا منهما، ويظهر بالليل نارا حمراء ذات السن تصعد في الجو، وهو البركان المشهور خبره، وأعلمنا ان خروجها من منافس في الجبلين المذكورين يصعد منها نفس ناري بقوة شديدة تكون عنه النار، وربما قذف فيها الحجر الكبير فتلقي به في الساعة الى الهواء لقوة ذلك النفس وتمنعه من الاستقرار والانتهاء الى القعر، وهذا من أعجب المسموعات الصحيحة.

وأما الجبل الشامخ الذي بالجزيرة، المعروف بجبل النار، فشأنه أيضا عجيب، وذلك أن نارا تخرج منه في بعض السنين كالسيل العرم، فلا تمر بشيء الا أحرقته." (١)

"وضع في أعناقنا ربقة الرق فغايننا التبرك بلقاء امثالكم من الحجاج واستهداء ادعيتهم والاغتباط بما تتلقاه منهم من تحف تلك المشاهد المقدسة لنتخذها عدة للإيمان وذخيرة للأكفان، فتفطرت قلوبنا له إشفاقا ودعونا له **بحسن الخاتمة** وأتحفاه ببعض ما كان عندنا مما رغب فيه وأبلغ في مجازاتنا ومكافأتنا واستكتمنا سائر إخوإنه من الفتيان.

ولهم في عفل الجميل أخبار مأثورة وفي افتكاك الأسرى صنائع عند الله مشكورة. وجميع خدمتهم على مثل أحوالهم. ومن عجيب شأن هؤلاء الفتيان أنهم يحضرون عند مولاهم فيحين وقت الصلاة فيخرجون أفذاذا من مجلسه فيقضون صلاتهم وربما يكونون بموضع تلحقه عين ملكهم فيسترهم الله عز وجل فلا يزالون بأعمالهم ونياتهم وبنصائحهم الباطنة للمسلمين في جهاد دائم والله ينفعهم ويجمل خلاصهم بمنه. ولهذا الملك بمدينة مسينة المذكورة دار صنعة البحر تحتوى من الأساطيل على مالا يحصى عدد مراكبه وله بالمدينة مثل ذلك.." (٢)

"وكان إماما بمسجد الزبير بمصر، وكان مجاب الدعوة، كثير البركة. تفقه على مذهب مالك، وسمع الحديث بمصر من أبى محمد عبد المولى بن محمد اللخمى، وبدمشق من أبى أكثم على بن الحسين بن عساكر. وحدث وصنف كتاب «البغية والاغتباط فيمن ولى مصر الفسطاط» «١» وصنف كتابا فى الوعظ. ومولده فى آخر شهر رمضان سنة ٢٧٥ هـ. وله كرامات عديدة.

ومن كراماته «٢» العظيمة أن رجلا دخل عليه فى وقت صلاة الصبح، وقال له: يا سيدى إن عمى سجنه

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٢٦٩

(٢) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٣٠٠

كاتب من كتاب السلطان بسبب ضمانة «٣» ضمنها له، فعسى أن تكتب له رقعة تستعطفه فيها!

فقال له: يا بنى، أنا لا أعرف الكاتب، ولكن أنا أدعو له بالخلاص.

ثم سأل الله تعالى أن يحسن خلاص الرجل. وذهب الرجل، ثم دخل عند صلاة المغرب ومعه رجل آخر، فقال: يا سيدى، هذا عمى الذي سألتك فى أمره، أطلقه الكاتب!

فقال له: كيف وقع «٤» ؟ قال: يا سيدى، لما ذهبت من عندك دعاه الكاتب إليه «٥» وقال له: أنا أعرف أنك رجل مظلوم، وكل جهة فى مصر.» .. «٦» .

فقال: ليس لى أحد سوى الله تعالى، غير أن إنسانا من الفقهاء الصلحاء دعا لى. قال: فأطلقه ثم قال له: اسأل لى الرجل «٧» الذي دعا لك أن يدعو لى **بحسن الخاتمة**." (١)

"«إلهى، جلت عظمتك أن يعصيك عاص، أو ينساك ناس، ولكن أوحيت روح أوامرك فى أسرار الكائنات، فذكرك الناسى بنسيانه، وأطاعك العاصى بعصيانه، وإن من شيء إلا يسبح بحمدك، إن عصى داعى إيمانه فقد أطاع داعى سلطانك، ولكن قامت عليه حجتك، ولله الحجة البالغة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

. «١»

ومن كلامه- فى الكتاب نفسه- على حديث: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ... » الحديث:

«فيه إشارة إلى أن خشية **سوء الخاتمة** مخصوص بأهل أعمال الجنة، وأما أهل الإخلاص لأعمال التوحيد، فلا يخشى عليهم **سوء الخاتمة**، ولهذا قال:

«فيعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها ... » فأفهم بذلك أن المتقرب متقربان: متقرب إلى الجنة بأعمالها، ومتقرب إلى الله بذكره، كما ثبت فى حديث: «أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى ... » إلى قوله:

«وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا» ، وذلك يفهمك أن المتقرب إلى الله تعالى لا يمكن أن يبقى بينه وبينه ذراع، لأن ذلك الذراع إن كان التقرب به مطلوبا من العبد لم يبق بعده مقدار يتقرب الله تعالى به إليه، وحينئذ فيستلزم الخلف «٢» فى خبره، وهو محال، وإن كان موعودا به من الله لزم تنجز وعده، وتحقق

---

(١) مرشد الزوار الى قبور الابرار زين الدين ابن الموفق ١/٦١٠

القرب للعبد، فلا يبقى بعد ولا دخول إلى النار، فعلم أن ذلك الذراع مخصوص بأهل القرب إلى الجنة، التى لا يلزم ممن يقرب إليها، فافهمه، فإنه بديع «٣» .." (١)

"قرأت بخط أبي المكارم محمد بن عبد الملك بن احمد بن أبي جرادة الحلبي في جزء أحضره إلي رفيقنا أبو الفتح بن الصفار ذكر فيه جماعة من شيوخ حلب وأحوالهم ومواليدهم ووفاتهم فقرأت فيه بخط الشيخ أبو علي: الحسن بن طارق ابن الحسن رحل في التجارة وأقام بخراسان ثلاثين سنة أو أكثر من ذلك، وسمع شيئا من الحديث، مولده سنة أربع وسبعين وأربعمائة، وتوفي في عامنا هذا ليلة الاثنين الثالث عشر من المحرم سنة سبع وخمسين- يعني- وخمسمائة، والله سبحانه وتعالى المسؤول **حسن الخاتمة** وصلاح العاقبة، وإجزال الثواب والعفو والصفح عن الزلل والتوبة.

سمعت القاضي أبا محمد الحسن بن ابراهيم بن الخشاب يقول: أخبرني ابن اليحمولي أن سبب موت الحسن بن طارق أنه كان نائما فانتبه فوجد على صدره حية فمات (٢٤١- و) .

ذكر من اسمه طاهر في اباء من اسمه الحسن

الحسن بن طاهر بن الحسين:

أبو علي الصوري الفقيه، فقيه من فقهاء الشيعة ومتكلميهم، وله مصنف في مذهبهم وتصدر في حلب لإقراء الفقه والاصول، قرأ عليه أبو المكارم حمزة بن علي ابن زهرة الحسيني، ومحمد بن عبد الملك بن أبي جرادة الحلبيان.

الحسن بن طاهر بن يحيى:

ابن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو محمد بن أبي القاسم بن أبي الحسين النسابة العلوي، شريف حسيني رئيس جواد كان مختصا بالإخشيذ، محمد بن طغج وسيره الى محمد بن رائق، وهو بحلب ليصلح بينهما، ثم توجه الإخشيذ الى حلب، ومضى معه الى المتقي وهو بالرقة وأكرمه المتقي ثم ان الإخشيد سيره بعد ذلك الى سيف الدولة أبي الحسن علي بن حمدان، فأصلح بينهما، وزوج سيف الدولة بابنة الإخشيد، وكان مثريا متمولا.

وذكر أبو الحسن الديلمي في «سيرة سيف الدولة» في حديث وقعة قنسرين." (٢)

---

(١) مرشد الزوار الى قبور الابرار زين الدين ابن الموفق ٩٨/٢

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٢٤٠٨/٥

"الثاني من يكره ذنوبه ويحزنه تقصيره ولا يسعى في التخويف الحامل للتوبة ولكنه يسوف به من وقت إلى وقت ومن زمان إلى زمان

الثالث المصر على الذنوب غير مكترث بها ولا عازم على الإقلاع عنها ولا على التخويف لها لأنه يحتقرها ولا يراها عظيمة عند الله ﴿وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾ النور أو لاعتقاده أن توبة مثله لا تقبل أو لاعتقاده أن التخويف لا ينجع في مثله

وطريق القسمين الأولين أن يذكرا شيئين

أحدهما مباغتة الموت ومعالجته قبل التوبة فيلقيا ربهما وهو عليهما ساخط غضبان

والثاني التخويف من أن يؤديهما الإصرار على الذنوب إلى الرين والطبع على القلوب فيقال للذي يسوف بالتوبة ويؤخرها أنت لا تخلو من ثلاثة أحوال

إما أن تموت قبل التوبة فتتعرض لسخط الله تعالى

أو أن يران على قلبك فلا يؤمن عليك **سوء الخاتمة**." (١)

"٨٢ - فصل في ترك الكبر على الفساق والتباس الكبر بالبغض لله سبحانه والغضب لله سبحانه وتعالى

الناس بالنسبة إليك أقسام

أحدها من لا تعرفه ولا تعرف أنك فضلت عليه

الثاني من تعرفه بذنوب أقل من ذنوبك فلا يمكنك أن تتكبر على هذا ولا على القسم الأول

الثالث من عرفت أن ذنوبه أكثر من ذنوبك وعيوبه أكبر من عيوبك مع أنك من عيوبك على يقين ومن عيوبه على ظن

فإن كنت تخاف على نفسك من العقوبة أكثر مما تخاف عليه فلست بمتكبر عليه وإن خفت عليه أكثر مما تخاف على نفسك فأنت متكبر عليه فإن سبب الخوف العصيان

فلو كان خوفك لأجل معصيته مع قلتها لكان خوفك على نفسك مع كثرة معاصيك أكثر وإن كانت معاصيه أكثر من معاصيك فالطريق في ترك الكبر عليه بأن تعرف نعمة الله عليك بعصمته إياك من مثل عمله وأن تغضب عليه وتجانبه غضب الله تعالى مع خوفك على نفسك بحيث لا ترى أنك ناج وهو هالك إذ لا

---

(١) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل ابن عبد السلام ص/٥٠

تدري بما يختم له وبما يختم لك

وأنك أمرت بالخوف على نفسك دون الخوف عليه إلا من طريق الإشفاق مع ملازمتك الخوف من **سوء الخاتمة** ومما اقترن بأعمالك الصالحة من المفسدات كالرياء والعجب وغيرهما

فكم من عاص ختم الله أعماله بأحسن الأعمال وكم." (١)

"ليلا بفجر، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين، والإلحاح عليه إذا هو تلقنها أو فهم ذلك عنه.

قال ابن المبارك: لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه.

قال أبو محمد عبد الحق: وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا لج عليه بها أن يتبرم ويضجر، ويثقلها الشيطان عليه، فيكون سببا **لسوء الخاتمة**.

وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به.

قال الحسن بن عيسى: قال لي ابن المبارك: لقني ـ يعني الشهادة ـ ولا تعد علي إلا أن أتكلم بكلام ثان، والمقصود أن يموت الرجل وليس في قلبه إلا الله عز وجل لأن المدار على القلب، وعمل القلب هو الذي ينظر فيه، وتكون النجاة به.

وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما في القلب فلا فائدة فيها، ولا عبر عندها.

قلت: وقد يكون التلقين بذكر الحديث عند الرجل العالم كما ذكر أبو نعيم." (٢)

"يقول: أعظم ما كان علي تغميضك قبل أن أموت.

باب ما جاء أن الميت يحضر الشيطان عند موته وجلساؤه في الدنيا وما يخاف من **سوء الخاتمة**

«روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد إذا كان عند الموت قعد عنده شيطانان الواحد عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن يمينه على صفة أبيه، يقول له: يا بني إني كنت عليك شفيقا ولك محبا، ولكن مت على دين النصارى فهو خير الأديان، والذي على شماله على صفة أمه، تقول له: يا بني إنه كان بطني لك وعاء، وثديي لك سقاء، وفخذي لك وطاء، ولكن مت على دين اليهود وهو خير الأديان» ، ذكره أبو الحسن القابسي في شرح رسالة ابن أبي زيد له، وذكر معناه أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة، وإن عند استقرار النفس في التراقي والارتفاع تعرض عليه الفتن وذلك أن إبليس قد أنفذ أعوانه إلى

---

(١) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل ابن عبد السلام ص/١٤٩

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة شمس الدين القرطبي ص/١٧٩

هذا الإنسان خاصة واستعملهم عليه ووكلهم به، فيأتون المرء وهو على تلك الحال فيتمثلون له في صورة من سلف من الأحباب الميتين الباغين له النصح في دار الدنيا، كالأب." (١)

"على لساني يمنعني من قولها.

قلت: أفما يمنعك إلا من قولها؟ فقال: نعم.

قلت: وما كان عملك به؟ قال: ما أخذت ولا أعطيت به إلا حقا في علمي، غير أني كنت أقيم المدة لا أفتقده ولا أحتبره.

فكان يونس بعد ذلك يشترط على من يبايعه أن يأتي بميزان ويزن بيده وإلا لم يبايعه.

باب ما جاء في سوء الخاتمة وما جاء أن الأعمال بالخواتيم

مسلم «عن أبي هريرة عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الرجل ليعمل الزمان الطويل يعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة» .

وفي البخاري «عن سهل بن سعد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم» .

قال أبو محمد عبد الحق: اعلم أن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا." (٢)

"فتنصر ليتزوجها، وأقام معها في الدار.

فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقي إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، فلا هو بدينه ولا هو بها.

فنعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سوء العاقبة وسوء الخاتمة.

ويروى أن رجلا علق بشخص وأحبه، فتمنع عنه واشتد نفاره فاشتد كلف البائس إلى أن لزم الفراش، فلم تزل الوسائط تمشي بينهما حتى وعد بأن يعود، فأخبر بذلك ففرح واشتد فرحه وسروره، وانجلى عنه بعض ما كان يجده، فلما كان في بعض الطريق رجع وقال: والله لا أدخل مداخل الريب، ولا أعرض بنفسي لمواقع التهم فأخبر بذلك البائس المسكين فسقط في يده، ورجع إلى أسوأ ما كان به وبدت علامات الموت

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة شمس الدين القرطبي ص/١٨٥

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة شمس الدين القرطبي ص/١٩٢

وأمارته عليه.

قال الراوي: فسمعته يقول وهو في تلك الحال:." (١)

"يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) [آل عمران: ١٣٦] .

١١٥٠ - وروينا في " صحيحي البخاري ومسلم " عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدق ".

واعلم أن من تكلم بحرام أو فعله، وجب عليه المبادرة إلى التوبة، ولها ثلاثة أركان: أن يقلع في الحال عن المعصية، وأن يندم على ما فعل، وأن يعزم أن لا يعود إليها أبدا، فإن تعلق بالمعصية حق آدمي، وجب عليه مع الثلاثة رابع، وهو رد الظلامة إلى صاحبها أو تحصيل البراءة منها، وقد تقدم بيان هذا، وإذا تاب من ذنب، فينبغي أن يتوب من جميع الذنوب، فلو اقتصر على التوبة من ذنب صحت توبته منه، وإذا تاب من ذنب توبة صحيحة كما ذكرنا ثم عاد إليه في وقت، أثم بالثاني، ووجب عليه التوبة منه، ولم تبطل توبته من الأول، هذا مذهب أهل السنة، خلافا للمعتزلة في المسألتين، وبالله التوفيق.

(باب في ألفاظ حكي عن جماعة من العلماء كراهتها وليست مكروهة)

اعلم أن هذا الباب مما تدعو الحاجة إليه لئلا يغتر بقول باطل ويعول عليه.

واعلم أن أحكام الشرع الخمسة، وهي: الإيجاب، والندب، والتحريم، والكراهة، والإباحة، لا يثبت شئ منها إلا بدليل، وأدلة الشرع معروفة، فما لا دليل عليه لا يلتفت إليه، ولا يحتاج إلى جواب، لأنه ليس بحجة، ولا يشتغل بجوابه، ومع هذا فقد تبرع العلماء في مثل هذا بذكر دليل على إبطاله.

ومقصودي بهذه المقدمة أن ما ذكرت أن قائلا كرهه ثم قلت: ليس مكروها، أو هذا باطل أو نحو ذلك، فلا حاجة إلى دليل على إبطاله، وإن ذكرته كنت متبرعا به، وإنما عقدت هذا الباب لأبين الخطأ فيه من الصواب لئلا يغتر بجلالة من يضاف إليه هذا القول الباطل.

إعلم أني لا أسمي القائلين بكراهة هذه الألفاظ لئلا تسقط جلالتهم ويساء الظن بهم، وليس الغرض القدح فيهم، وإنما المطلوب التحذير من أقوال باطلة نقلت عنهم،

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة شمس الدين القرطبي ص/١٩٤

= ويحدث نفسه أنه ما قدر عليه فعله ولا ينوي توبة ولا يرجو وعدا لحسن ظنه، ولا يخاف وعيدا على سوء عمله، هذا حقيقة الاصرار ومقام أهل العتو والاستكبار، ويخاف على مثل هذا **سوء الخاتمة**، لانه سالك طريقها والعياذ بالله.

(*)."(١)

"يخلو: إما أن يكون مما يفرح به كالعلم والورع، أو مما لا يصلح أن يفرح به، كالجاه والمال.

أما الأول: فينبغي أن يحذر من الخاتمة، فإن الخوف منها شغل عن الفرح بالمدح، ثم إن كنت تفرح بها على رجاء **حسن الخاتمة**، فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح الناس.

وأما القسم الثاني، وهو المدح بسبب الجاه والمال، فالفرح بذلك، كالفرح بنبات الأرض الذي يصير عن قريب هشيما، ولا يفرح بذلك إلا من قل عقله، وإن كنت خاليا عن الصفة التي مدحت بها، ففرحك بالمدح غاية الجنون.

وقد ذكرنا آفات المدح فيما تقدم في كتاب آفات اللسان، فلا ينبغي أن تفرح به، بل تكرهه، كما كان السلف يكرهونه، ويغضبون على فاعله.

وعلاج كراهية الذم يفهم من علاج حب المدح، فإنه ضده، والقول الوجيز فيه أن من ذمك، إما أن يكون صادقا فيما قال، قاصدا للنصح لك، فينبغي أن تتقلد منته، ولا تغضب، فإنه قد أهدى إليك ع‍يوبك، وإن لم يقصد بذلك النصح، فإنه يكون قد جنى هو على دينه، وانتفعت بقوله، لأنه عرفك ما لم تكن تعرف، وذكرك من خطاياك ما نسيت، وإن افترى عليك بما أنت منه بريء، فينبغي أن تتفكر في ثلاثة أشياء:

أحدها: أنك إن خلوت من ذلك العيب لم تخل من أمثاله، فما ستر الله عز وجل عليك من عيوبك أكثر، فاشكره إذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك فذكر ما أنت عنه بريء.

الثاني: أن ذلك كفارات لذنوبك.

الثالث: أنه جنى على دينه، وتعرض لغضب الله عليه، فينبغي أن يسأل الله العفو عنه، كما روى أن رجلا شج إبراهيم بن أدهم، فدعا له بالمغفرة وقال: صوت مأجور بسببه، فلا أجعله معاقبا بسببي، وقد تقدمت هذه الحكاية في فضل الحلم.." (٢)

---

(١) الأذكار للنووي ت الأرنؤوط النووي ص/٣٨٢

(٢) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٢١٣

"ولذلك قيل: والمخلصون على خطر عظيم (١).

وقال الإمام احمد رحمه الله للشيطان حين قال له عند الموت: فتني. فقل: لا بعد.

فلا ينبغي أن يفارق الخوف قلوب الأولياء أبدا. نسأل الله تعالى السلامة من الغرور، **وحسن الخاتمة**، إنه قريب مجيب. آخر الغرور.

وبه تم ربع المهلكات، ونشرع الآن في ربع المنجيات.

---

(١) قطعة من خبز موضوع طالما تردد على ألسنة القصاص الذين لا يكفون عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولفظه بتمامه كما أورده العجلوني في "كشف الخفاء": "الناس كلهم موتى، إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم غرقى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم" وبعضهم يرويه: هلكى في الكل، ونقل عن الصغاني قوله: وهذا حديث مفترى ملحون.." (١)

"الحساب، ثم يعفو، وقد يضرب بالسياط أو يعذب بغيرها من أنواع العذاب.

وتفاوت منازل أهل السعادة على نحو ذلك في النعيم، فهذه الأمور الكلية معلومة بالنقل ونور المعرفة.

فأما من جهة التفصيل، فنقول: كل من أحكم أصل الإيمان، واجتنب جميع الكبائر، أحسن جميع الفرائض ولم يكن منه إلا صغائر متفرقة لا يصر عليها، فيشبه أن يعفى عنه، فقد نص القرآن على اجتناب الكبائر مكفر للصغائر.

وهذا إما أن يلتحق بالمقربين، أو أصحاب اليمين، وذلك بحسب إيمانه، ويقينه، فإن قل أو ضعف، دنت منزلته، وإن كثر وقوى، علت منزلته.

ثم إن المقربين يتفاوتون بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى، ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر، لأن بحر المعرفة لا ساحل له، وإنما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم، فأعلى درجات أصحاب اليمين، أدنى درجات المقربين، هذا حال من اجتنب الكبائر وأدى الفرائض.

فأما من ارتكب، أو أهمل أركان الإسلام، فإنه إن تاب توبة نصوحا قبل قرب الأجل، التحق بمن لم يرتكب، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والثوب المغسول كالذي لم يتسخ أصلا.

فأما إن مات قبل التوبة، فأمره خطر، إذ ربما يكون موته على الإصرار سببا لتزلزل إيمانه، فيختم له **بسوء الخاتمة**، لا سيما إذا كان إيمانه تقليدا فإنه قابل للانحلال بأدنى شك وخيال، والعارف الموقن أبعد من

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٢٥٠

أن يخاف عليه **سوء الخاتمة**. ثم إن عذاب الميت عن غير توبة يكون بحسب قبح الكبائر ومدة الإصرار. ثم ينزل البله المقلدون الجنة، وينزل العارفون المستبصرون أعلى عليين، وما ذكرناه من مراتب العباد في المعاد حكم ظاهر الأسباب، يضاهى حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لا محالة، ولا يقبل إصلاح العلاج، وعلى مريض آخر بأن عارضه خفيف، وعلاجه هين، فإن ذلك ظن يصيب غالبا، وقد تثوب إلى الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب، وقد يساق إلى ذي العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه، وذلك لأسرار الله تعالى الخفية، وفى أرواح الأحياء غموض للأسباب التي رتبها المسبب، وليس في قوة البشر الوقوف على كنهها، وكذلك الفوز والهلاك في الآخرة لهما أسباب خفية ليس في قوة." (١)

"بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله يحب المؤمن المفتن التواب" (١).

الطبقة الثالثة: أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة، ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب، فيقدم عليها لعجزه عن قهر الشهوة، إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات، وترك جملة من الذنوب مع القدرة عليها والشهوة لها، وإنما قهرته شهوة واحدة أو شهوتان، وهو يود لو أقدره الله على قمعها، وكفاه شرها، فإذا انتهت ندم، لكنه يعد نفسه بالتوبة عن ذلك الذنب، فهذه هي النفس المسؤولة، وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا﴾ فأمر هذا من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته لما يتعاطاه مرجو لقوله تعالى: ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ [التوبة: ١٠٣] وعاقبته خطرة من حيث تأخيره وتسويفه، فربما يختطف قبل التوبة، فإن الأعمال بالخواتيم، فعلى هذا يكون الخوف من الخاتمة، وكل نفس يمكن أن يتصل به الموت، فتكون الخاتمة، فليراقب الأنفاس، وليحذر وقوع المحذور.

الطبقة الرابعة: أن يتوب ويجرى مدة على الاستقامة، ثم يعود إلى الذنوب منهمكا من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، ومن غير أن يتأسف على فعله، فهذا من المصرين، وهذه النفس هي الأمارة بالسوء، ويخاف على هذا **سوء الخاتمة**.

فإن مات هذا على التوحيد، فإنه يرجى له الخلاص من النار، ولو بعد حين، ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه، إلا أن التعويل على هذا لا يصلح، فإن من قال: إن الله تعالى كريم، وخزائنه واسعة، ومعصيتي لا تضره، ثم تراه يركب البحار في طلب الدينار، فلو قيل له: فإذا كان الحق كريما فاجلس في بيتك لعله يرزقك، استجهل قائل هذا وقال: إنما الأرزاق بالكسب فيقال له: هكذا النجاة بالتقوى.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٢٥٦

٧ . فصل [فيما ينبغي للتائب فعله]

وقد ذكرنا أن التائب ينبغي له أن يأتي بحسنات تضاد ما عمل من السيئات،

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في "زوائد المسند" رقم (٦٠٥) و (٨١٠) من حديث علي رضي الله عنه، وفي سنده أبو عبد الله مسلمة الرازي لا يعرف وأبو عمرو البجلى، واسمه عبيدة بن عبد الرحمن، قال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج به يروي الموضوعات عن الثقات وعبد الملك بن سفيان الثقفي مجهول. والمفتن بفتح التاء المشددة، أي: الممتحن بالذنب.." (١)

"الإيمان، وقل أن ينفع مع خبث القلب وسوء أخلاقه، كما لا ينمو البذر في الأرض السبخة.

فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضا طيبة، وألقى فيها بذرا جيدا غير مسوس ولا عفن، ثم ساق إليها الماء في أوقات الحاجة، ونقى الأرض من الشوك والحشيش وما يفسد الزرع، ثم جلس ينتظر من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة، إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته، فهذا يسمى انتظاره رجاء.

فأما إن بذر في أرض سبخة صلبة مرتفعة لا يصل إليها الماء ولم يتعاهدها أصلا، ثم انتظر الحصاد، فهذا يسمى انتظاره حمقا وغرورا، لا رجاء.

وإن بث البذر في أرض طيبة، ولكن لا ماء لها، وأخذ ينتظر مياه الأمطار، سمى انتظاره تمنيا لا رجاء.

فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلا ما ليس إلى اختياره، وهو فضل الله سبحانه، بصرف الموانع المفسدات، فالعبد إذا بث بذر الإيمان، وسقاه ماء الطاعات، وطهر القلب من شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره لذلك رجاء محمودا باعثا على المواظبة على الطاعات والقيام بمقتضى الإيمان إلى الموت، وإن قطع بذر الإيمان عن تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق، وانهمك في طلب لذات الدنيا، ثم انتظر المغفرة، كان ذلك حمقا وغرورا.

قال الله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾ [الأعراف: ١٦٩] وذم القائل: ﴿ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ [الكهف: ٣٦].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٢٦٣

وروى شداد بن أوس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل الأماني" (١).

وقال معروف الكرخي رحمه الله: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق. ولذلك

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦١) وأحمد ٤/ ١٢٤، وابن ماجة (٤٢٦٠) وفي سنده أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني وهو ضعيف كان قد سرق بيته، فاختلط، وأخرجه الحاكم ١/ ٥٧، وصححه على شرط البخاري، فتعقبه الذهبي بقوله: لا والله أبو بكر واه.." [١]

"غاب ذلك السبب عن الحس، رجع القلب إلى الغفلة، فهو خوف قاصر قليل الجدوى، ضعيف النفع، وهو كالقضيب الضعيف الذي يضرب به دابة قوية فلا يؤلمها ألما مبرحا، فلا يسوقها إلى المقصد، ولا يصلح لرياضتها، وهذا هو الغالب على الناس كلهم، إلا العارفين والعلماء، أعنى العلماء بالله وبآياته، وقد عز وجودهم. وأما المرتسمون برسوم العلم، فإنهم أبعد الناس عن الخوف.

وأما القسم الأول، وهو الخوف المفرط، فهو كالذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، فهو أيضا مذموم، لأنه يمنع من العمل، وقد يخرج المرض والوله والموت، وليس ذلك محمودا، وكل ما يراد لأمر، فالمحمود منه ما يفضي إلى المراد المقصود منه، وما يقصر عنه أو يجاوزه، فهو مذموم، وفائدة الخوف الحذر، والورع، والتقوى، والمجاهدة والفكر، والذكر، والتعبد وسائر الأسباب التي توصل إلى الله تعالى، وكل ذلك يستدعى الحياة، مع صحة البدن وسلامة العقل، فإذا قدح في ذلك شيء، كان مذموما.

فإن قيل: فما تقول فيمن مات من الخوف؟

فالجواب: أنه ينال لموته على تلك الحال مرتبة لا ينالها لو مات من غير خوف، إلا أنه لو عاش وترقى إلى درجات المعارف والمعاملة، كان أفضل، فإن أفضل السعادة طول العمر في طاعة الله تعالى، فكل ما أبطل العمر والعقل والصحة فهو نقصان وخسران.

٥ . بيان أقسام الخوف

اعلم: أن مقامات الخائفين تختلف، فمنهم من يغلب على قلبه خوف الموت قبل التوبة، ومنهم من يغلب

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٢٩٨

عليه خوف الاستدراج بالنعم، أو خوف الميل عن الاستقامة، ومنهم من يغلب عليه خوف **سوء الخاتمة**.
وأعلى من هذا خوف السابقة، لأن الخاتمة فرع السابقة، والله تعالى يرفع من يشاء من غير وسيلة، ويضع من يشاء من غير وسيلة، لا يسأل عما يفعل.
وقد قال: "هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي".
ومن أقسام الخائفين، من يخاف سكرات الموت وشدته، أو سؤال منكر ونكير، أو عذاب القبر.
ومنهم من يخاف هيبة الوقوف بين يدي الله تعالى، والخوف من المناقشة والعبور على الصراط، والخوف من النار وأهوالها، أو حرمان الجنة، أو الحجاب عن الله سبحانه." (١)

"ويروى أن نبيا من الأنبياء، شكا إلى الله تعالى الجوع والعرى، فأوحى الله عز وجل إليه: عبدى، أما رضيت أن عصمت قلبك أن يكفرني حتى تسألني الدنيا؟!
فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال: بلى قد رضيت، فاعصمني من الكفر.
فإذا كان هذا خوف العارفين من **سوء الخاتمة** مع رسوخ أقدامهم، فكيف لا يخاف ذلك الضعفاء؟!
ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت، مثل البدعة، والنفاق، والكبر، ونحو ذلك من الصفات المذمومة، ولذلك اشتد خوف السلف من النفاق.
قال بعضهم: لو أعلم أني برى من النفاق، كان أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، ولم يريدوا بذلك نفاق العقائد، إنما أرادوا نفاق الأعمال، كما ورد في الحديث الصحيح: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان".
وسوء الخاتمة على رتبتين:
إحداهما أعظم، وهو أن يغلب على القلب والعياذ بالله شك، أو جحود عند سكرات الموت وأهواله، فيقتضي ذلك العذاب الدائم.
والثانية دونها، وهى أن يسخط الأقدار، ويتكلم بالاعتراض، أو يجوز في وصيته، أو يموت مصرا على ذنب من الذنوب.
وقد روى أن الشيطان لا يكون في حال أشد على ابن آدم من حال الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا، فإنه إن فاتكم اليوم لم تلحقوه.
وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه كان يدعو: "اللهم إنى أعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٣٠٤

عند الموت" (١).

قال الخطابي: وذلك أن يستولي على الإنسان حينئذ، فيضله ويحول بينه وبين التوبة أو يمنعه الخروج من مظلمة، أو يؤيسه من رحمة الله ويكره إليه الموت، فلا

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٥٢) والنسائي ٨/ ٢٨٢ من حديث أبي اليسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو: "اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، وأعوذ بك من الحرق والغرق والهدم وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا" وسنده قوي، وصححه الحاكم.." (١)

"يرضى بقضاء الله عز وجل.

والأسباب التي تفضي إلى **سوء الخاتمة** لا يمكن انحصارها على التفصيل، لكن يمكن الإشارة إلى مجامع ذلك. أما الختم على الشك والجحود، فسببه البدعة، ومعناها أن يعتقد في ذات الله تعالى، أو صفاته، أو أفعاله خلاف الحق، إما تقليدا، أو برأيه الفاسد، فإذا انكشف الغطاء عند الموت، بان له بطلان ما اعتقده، فيظن أن جميع ما اعتقده هكذا لا أصل له.

ومن اعتقد في الله سبحانه وصفاته اعتقادا مجملا على طريق السلف من غير بحث ولا تنقر، فهو بمعزل عن هذا الخطر إن شاء الله تعالى.

وأما الختم على المعاصي، فسببه ضعف الإيمان في الأصل، وذلك يورث الانهماك في المعاصى، والمعاصى مطفئة لنور الإيمان، وإذا ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى، فإذا جاءت سكرات الموت، ازداد ذلك ضعفا، لاستشعاره فراق الدنيا، فإن السبب الذي يفضي إلى مثل هذا الخاتمة، وهو حب الدنيا، والركون إليها، مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله، فمن وجد في قلبه حب الله تعالى، أغلب من حب الدنيا، فهو أبعد من هذا الخطر، وكل من مات على محبة الله تعالى، قدم به قدوم العبد المحسن المشتاق إلى مولاه، فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم، فضلا عما يستحقه من الإكرام.

ومن فارقه الروح في حال، خطر بباله فيها لإنكار على الله سبحانه في فعله، أو كان مصرا على مخالفته، قدم على الله قدوم من قدم به قهرا، فلا يخفى ما يستحقه من النكال.

فمن أراد طريق السلامة، تزحزح عن أسباب الهلاك، على أن العلم بتقليب القلوب وتغيير الأحوال، يقلقل

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٣٠٩

قلوب الخائفين.

وقد ورد في "الصحيحين" من حديث سهل بن سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، وإنه لمن أهل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنه وإنه من أهل النار".

وروى: "إن العبد إذا عرج بروحه إلى السماء، قالت الملائكة: سبحان الله! نجا هذا العبد من الشيطان: يا ويحه! كيف نجا"؟!." (١)

"وإذا عرفت معنى **سوء الخاتمة**، فاحذر أسبابها، وأعد ما يصلح لها، وإياك والتسويف بالاستعداد، فان العمر قصير، كل نفس من أنفاسك بمنزلة خاتمتك، لأنه يمكن أن تخطف فيه روحك، والإنسان يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه.

واعلم: أنه لا يتيسر لك الاستعداد بما يصلح، إلا أن تقنع بما يقيمك، وترفض طلب الفضول، وسنورد عليك من أخبار الخائفين ما نرجو أن يزيل بعض القساوة من قلبك، فانك متحقق أن الأنبياء والأولياء كانوا أعقل منك، فتفكر في اشتداد خوفهم، لعلك تستعد لنفسك.

٨ . ذكر خوف الملائكة عليهم السلام

قال الله تعالى في صفتهم: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥٠].

وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته" (١).

وذكر تمام الحديث.

وبلغنا أن من حملة العرش من تسيل عينيه مثل الأنهار، فإذا رفع رأسه قال: سبحانك ما تخشى حق خشيتك، فيقول الله: لكن الذين يحلفون باسمي كاذبين لا يعلمون ذلك.

وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لما كان ليلة أسرى بى، رأيت جبريل عليه السلام كالشن (٢) البالي من خشية الله تعالى".

وبلغنا أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكى فقال: له: "ما يبكيك، قال: ما جفت لى عين منذ خلق الله جهنم مخافة أن أعصيه، فليقيني فيها".

وعن يزيد الرقاشي قال: إن لله تعالى ملائكة حول العرش تجرى أعينهم مثل الأنهار إلى يوم القيامة، يميدون كأنما تنفضهم الريح من خشية الله تعالى، فيقول لهم

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٣١٠

(١) لم نجده.

(٢) الشن: القربة الخلق.." (١)

"التوبة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله يقبل التوبة من العبد مالم يغرغر".

وقد روى أن الملكين الموكلين بالعبد يتراءيان له عند الموت، فإن كان صالحا أثنيا عليه، وقالا: جزاك الله خيرا، وإن كان صحبهما بشر، قالا: لا جزاك الله خيرا (١).

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله عز وجل وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله، فإذا مات قالا: قد مات، أتأذن لنا أن تصعد إلى السماء؟ قال: فيقول الله تعالى: إن سمائي مملؤة من ملائكتي يسبحوني. فيقولون: فتأذن لنا فنقيم في الأرض؟ فيقول الله تعالى: إن أرضى مملوءة من خلقي، يسبحوني. فيقولان: فأين تقيم؟ فيقول: قوما على قبر عبدى، فسبحاني واحمداني وكبراني وهللاني، واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة".

وفى "الصحيحين" من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، وأما صاحب النار الذي ختم له بسوء فهو يبشر بها وهو في تلك الأهوال".

وقد كان كثير من السلف يخافون **سوء الخاتمة**، وقد ذكر ذلك في كتاب الخوف، وهو لائق بهذا المكان، نسأل الله أن يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء، وأن يلطف بنا، وأن يختم لنا بخير إنه جواد كريم.

وأما ما يستحب من الأحوال عند المحتضر، فأن يكون قلبه يحسن الظن بالله تعالى، ولسانه ينطق بالشهادة، والسكون من علامات اللطف، وهو أمارة على أنه قد رأى الخير، وقد روى أن روح المؤمن تخرج رشحا. ويستحب تلقينه: لا إله إلا الله، كما جاء في الحديث الصحيح من رواية مسلم: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله".

وينبغى للملقن أن يرفق به، ولا يلح عليه. وقد جاء في حديث آخر: "احضروا موتاكم، ولقنوهم لا إله إلا الله، وبشروهم بالجنة، فإن الحليم العليم من الرجال و النساء يتحير عند ذلك المصرع، وإن إبليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن" (٢). وذكر الحديث إلى آخره.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٣١١

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا عن وهيب بن الورد بلاغا.

(٢) ضعيف أخرجه أبو نعيم في "الحلية".." (١)

"ـــــ

وقال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه **سوء الخاتمة.**

وقال آخر: من كان محبا للدنيا، أو مصرا على الهوى- لم يتحقق بشيء من هذا العلم أبدا. وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا العلم حرفان، كبر وبدعة. وقد سبق نبذ من هذا من أوائل حالهم ومنشأ علومهم في الحديث السابق. ومما أنشد:

تنافس أهل الجود في طلب المجد وحثوا مطايا الشوق في مخلص القصد

وداموا لعزم السير في طلب العلى ففازوا بطيب الوصل من دوحتي نجد

إذا ما دعوا يوما لكشف ملمة لهم همم تسمو إلى العلم الفرد

هم القوم هاموا فاستقاموا على السرى رأيت الفتى النشوان كالأسد الورد

بحار الحياء والحلم والعلم والتقى ديار السخا والعز والشكر والحمد

كنوز الصفا والعشق والصدق والولا لهم من بحار الغيب ورد على ورد

عليهم سلام الله ما هبت الصبا قبيل ابتسام الصبح في طالع سعد

لعمري! لقد أحسن وصدق فيما قال وأجاد، إذا ما دعوا يوما لكشف ملمة البيت؛ لأنهم هم الرجال الذين استقاموا على ما قالوا، وصدقوا فيما عاهدوا. وأما المتسمون برسمهم والمسمون باسمهم، الذين قنعوا في الحقيقة بالاسم والرسم، وتقنعوا بالمراقع والرقص فليسوا من الرجال في شيء بل هم أعجز من العجائز في المعارك.

قال الشيخ أبو حامد- رحمه الله-: متصوفة أهل الزمان- إلا من عصمه الله تعالى- اغتروا بالرأي، والمنطق، والهيئة من السماع والرقص، والطهارة، والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر، ومن تنفس الصعداء، أو خفت الصوت في الحديث إلى غير ذلك، فظنوا بذلك أنهم منهم، فلم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة، ومراقبة القلب، وتطهر الباطني والظاهر من الآثام الخفية والجلية، وكل ذلك من أوائل منازل المتصوفة ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم من الصوفية، فكيف ولم يحوموا قط حولها؟ بل يتكالبون على الحرام والشبهات، وأموال المسلمين، ويتنافسون

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٣٨٨

في الفلس والرغيف والحبة، ويتحاسدون على النقير والقطمير، ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء.

ومثالهم مثال عجوز سمعت أن الشجعان تكتب أسماؤهم في الديوان، فتاقت نفسها أن يكتب اسمها فيهم، فلبت درعا ووضعت على رأسها مغفرا، وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وحركاتهم والتفاتهم وشمائلهم فيها، وتوجهت إلى المعسكر، فلما نفذت إلى ديوان." (١)

"(٣٦) باب القنوت

الفصل الأول

١٢٨٨ - عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدعو علي أحد، أو يدعو لأحد؛ قنت بعد الركوع، فربما قال إذا قال: ((سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد: اللهم أنج الوليد ابن الوليد، وسلمه بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، اللهم اشدد وطأتك علي مضر، واجعلها سنين كسني يوسف))، يجهر بذلك. وكان يقول في بعض صلاته: اللهم العن فلانا وفلانا لأحياء من العرب، حتى أنزل الله: ((ليس لك من الأمر شيء) الآية. متفق عليه.

قوله: ((إلا كانتا له)) ((إلا)) شرطية، يعني إن قام في الليل بعد ذلك فصلي فيه، وإن لم يقم كانتا كافيتين له. والله أعلم بالصواب.

باب القنوت

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أنج الوليد)) دعا بالنجاة لهؤلاء الثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أسراء في أيدي الكفار. قوله: ((وأشدد وطأتك)) ((تو)): الوط في الأصل الدوس بالقدم، فسمي به الغزو والقتل، لأن من يطأ علي الشيء برجله فقد استقصى في هلاكه وإهانته، والمعنى أخذا شديدا. قوله: ((واجعلها)) ((قض)): المضير للوطأة، أو للأيام وإن لم يجر لها ذكر. لما دل عليه المفعول الثاني الذي هو ((سنى)): جمع السنة التي بمعنى القحط، وهي من الأسماء الغالبة كالبيت والكتاب، و ((سنى يوسف)) السبع الشداد التي أصابهم فيها قحط. قوله: ((اللهم العن)) اللعن هو الطرد والبعد عن رحمة الله تعالي، وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: ((كيف يفلح قوم شجوا نبيهم))،

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢/٧١٦

وعدم الفلاح هو **سوء الخاتمة**، والموت علي الكفر. فقيل له: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾. المعنى: أن الله مالك أمرهم، فإما أن يهلكهم، أو يهزمهم، أو يتوب عليهم إذا أسلموا، ويعذبهم إن أصروا علي الكفر وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم.

((خط)): فيه دليل علي جواز القنوت في غير الوتر، وعلي أن الدعاء لقوم بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يقطع الصلاة، وأن الدعاء علي الكفار والظلمة لا يفسدها. ((مح)) اعلم أن القنوت مسنون في صلاة الصبح دائما، وأما في غيرها ففيه ثلاثة أقوال، والصحيح المشهور أنه إذا نزلت نازلة، كعدو وقحط أو وباء وعطش وضرر ظاهر في المسلمين ونحو ذلك، قنتوا في جميع الصلوات المكتوبة وإلا فلا.." (١)

"١٩٠٩ - وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء ((. رواه الترمذي. [١٩٠٩]

١٩١٠ - وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك)). رواه أحمد، والترمذي. [١٩١٠]

١٩١١ - وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك الرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر

وكان من مقالته ما هو جامع لمكارم الأخلاق من حسن المعاشرة مع الخلق بإفشاء السلام، وإطعام الطعام، وصلة الأرحام، ومع الحق بالتقرب إليه بالتهجد، قال الله تعالي: ((ما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا)) الحديث.

الحديث الثالث عن أنس رضي الله عنه: قوله: ((ميتة السوء)) ((تو)): الميتة – بالكسر - الحالة التي يكون عليها الإنسان من الموت، وأراد بها ما لا يحمد عاقبته، ولا يؤمن غائلته من الحالات، كالفقر المدقع، والوصب الموجع، والألم المقلق، والأعلال التي تفضي به إلي كفران النعمة، ونسيان الذكر، والأحوال التي تشغله عما له وعليه، ونحوها. ((مظ)): هي ما تعوذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه: ((اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، ومن الغرق والحرق والهرم، وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبرا، وأعوذ بك أن أموت لديغا)).

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٤/١٢٣٠

أقول: ويجوز أن يحمل إطفاء الغضب علي المنع من إنزال المكروه في الدنيا، كما ورد ((لا يرد القضاء إلا الصدقة))، وموت السوء علي **سوء الخاتمة**؛ ورخامة العاقبة من العذاب في الآخرة كما ورد ((الصدقة تطفئ الخطيئة)) وقد سبق أنه من باب إطلاق السبب علي المسبب. وقد تقرر أن نفي المكروه لإثبات ضده أبلغ من العكس، وكأنه نفي الغضب، وميتة السوء، وأراد الحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الحسن في العقبى، وعليه قوله تعالي:﴿ فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾.

الحديث الرابع والخامس، عن أبي ذر رضي الله عنه: قوله: ((في أرض الضلال)) أضاف." (١)

"[المجلد الخمسون (سنة ٦٧١- ٦٨٠)]

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إني أسألك **حسن الخاتمة** بمنك وكرمك ذكر الحوادث الكائنة في الطبقة الثامنة والستين من «تاريخ الإسلام»

سنة إحدى وسبعين وستمائة

مسير السلطان بيبرس إلى دمشق

ففي المحرم سار السلطان من دمشق على البريد، وفي صحبته البيسري، وجرمك الناصري، وأقوش الرومي، فوصلوا في ستة أيام، وأقام خمسة، ورجع فوصل دمشق في خمسة [١] .

[عدوان صاحب النوبة والرد عليه]

وفي المحرم قدم الكافر صاحب النوبة [٢] فنهب عيذاب، وقتل خلقا، منهم واليها وقاضيها، فسار متولي قوص وقصد بلاد النوبة، فدخل بلد الجون، وقتل من فيه وأحرقه، وكذا فعل بحصن إبريم، وأرمنا [٣] ، وغير ذلك. وهو علاء الدين آيدغدي الحرب دار [٤] .

---

[١] تاريخ الملك الظاهر، لابن شداد ٥١، التحفة الملوكية ٧٥، زبدة الفكرة ٧٧ ب، المقتفي للبرزالي ١/ ورقة ٣١ أ، تاريخ الدولة التركية. ورقة ١١، منتخب الزمان لابن الحريري ٢/ ٣٥٨، دول الإسلام ٢/ ١٧٣، الجوهر الثمين ٢/ ٧٦، السلوك ج ١ ق ٢/ ٦٠٤، ٦٠٥، عقد الجمان (٢) ١٠٠، النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٨، ذيل مرآة الزمان ٣/ ١.

[٢] هو «داود ابن أخت مرتشكر» ، كما في المصادر.

[٣] في الأصل: «ارميا» ، والتصحيح من: تاريخ الملك الظاهر.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٥٥١/٥

[٤] تاريخ الملك الظاهر ٥٣، ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢ و ١٩٠ وفيه: «أيدكين بن عبد الله علاء الدين الخزندار الصالحي» ، الدرة الزكية ١٦٨، النهج السديد، لمفضل ابن أبي الفضائل، ورقة ٤٠ ب، البداية والنهاية ١٣/ ٢٦٣، حسن المناقب، ورقة ١٣٢ ب، المقتفي." (١)

"[جفاف تربة ببولاق وغلاء الماء]

وفي هذه السنة تربت جزيرة هائلة تجاه بولاق، وبعد البحر عن القاهرة، وغلا سعر الماء.

[الإفراج عن السنجاري]

ويوم عرفه أفرج عن البرهان السنجاري الوزير، ولزم بيته بعد مشاق شديدة.

[تدريس ابن الزملكاني بالأمينية

وفي رجب درس بالأمينية الشيخ علاء الدين ابن الزملكاني، شد منه الشمسي، وتعجب الفضلاء، فإنه كان قليل الفقه، لكنه مليح الشكل، ثم أخذت منه، ثم وليها.

آخر هذه العشر، ويتلوه المتوفون في الطبقة الثامنة والستين في سنة إحدى وسبعين وستمائة وأسأل الله **حسن الخاتمة** بكرمه." (٢)

"كأنما يتمثل وقوفه بين يديه يوم القيامة.

وكان الوليد أخوه ولاه فلسطين فأحدث مدينة الرملة، وبنى مسجدها، وأتاه نعي الوليد، وكان ولي العهد بعده، فخرج من فلسطين إلى دمشق، فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر، فأسف الرعايا على ملكه القصير، وزمانه الغض النضير، ولكن ليالي الوصل فيهن تقصير، ومات بدابق، ودفن بها وكفن، ثم وسد في مضاجع تربها، وذلك في سنة تسع وتسعين، وكان يوم مات ابن خمس وأربعين، وحسبه من **حسن الخاتمة** في الدنيا والإمارة الدالة على تنقله في الدرجات العليا، أن صلى عليه الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ورحل من حرم الخلافة المستباح، إلى حرز الله الحريز، وكان له أولاد، منهم أيوب المكنى به، وكان من قريش عفافا وأدبا، وكان أبوه قد بايع له بالعهد، وكان مؤدبه وحاضنه عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر، وقال فيه جرير:

[البسيط]

إن الإمام الذي ترجى فواضله ... بعد الإم١م ولي العهد أيوب [ص ٢٧٥]

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥٠/٥

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥٠/٦٢

وهلك في حياة أبيه، ورثاه عبد الله بن عبد الأعلى، بقصيدة يقول فيها:

[الكامل]

قد بان أيوب الذي لفراقه ... سر العدو غضاضتي وتخشعي

أيوب كنت تجود عند سؤالهم ... وتظل منخدعا وإن لم تخدع

قال البلاذري: خرج سليمان إلى دابق «١» ليغزي منها، فأغزاهم وعليهم ابنه أيوب، ومعه مسلمة بن عبد الملك، وكان أيوب ولي عهده، فلما احتضر." (١)

"والاقتداء بالمتقين الخاشعين المهتدين المصلحين من عباد الله.

وأما في الآخرة: فاستمع- يا أخي الكريم! - إلى قول الله تعالى في حديثه القدسي الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه: فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري.

وقوله سبحانه في هذا الحديث:" آذنته" أي: أعلمته بأني محارب له. وأي حرب أشد من حرب الله تعالى، ومن يطيق حربه سبحانه وتعالى؟. وما أعلن سبحانه وتعالى الحرب إلا على طائفتين:

أما الحرب الأولى ففي قوله تعالى في حق آكلي الربا: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون

سورة البقرة- الآيتان ٢٧٨- ٢٧٩".

وأما الحرب الثانية: فكانت على آكلي لحوم الأولياء، الواقعين في أعراضهم، كما جاء في الحديث القدسي السابق. نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله السلامة من العصيان، والعفو والعافية إنه كريم منان.

فحذار يا أخي المسلم الحبيب! من الوقوع في أعراض إخوانك من المسلمين عامة، فضلا عن أعراض الصالحين من عباد الله المخلصين، وأوليائه العارفين، فتقع في المحذور، وتندم حين لا ينفع الندم، فإن لحوم هذه الطائفة الشريفة مسمومة- كما قيل- لا ينالهم أحد إلا وأصابه الخزي في الحال والمال والمآل،

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٠٦/٢٤

ويخشى عليه من **سوء الخاتمة** والعياذ بالله، فسلم تسلم، وإياك والاعتراض إلا على الكفر البواح، وإذا ورد عليك من كلامهم أو أحوالهم ما." (١)

"أنكرته، فسألت شيخا هناك: ما هذه القرية؟ فقال: من أين أنت؟. فقلت: من بغداد.

خرجت منها من ساعة. فقال: أظنك لا تعقل ما تقول، بينك وبين بغداد أكثر من سنة!.

فقلت: والله لقد خرجت منها من أقل من ساعتين. فقال: حدثني قصتك. فحكيت له أمري عن حليته، فقال: إن كنت صادقا فارجع إلى المسجد الذي دخلت إليه معه فانتظره، فإنه سيعود إليه. فرجعت إلى ذلك المسجد، فلما كان وقت العصر، حضر ذلك الشخص الذي تبعته، فلزمته، وتشبثت به، وبكيت، وتضرعت إليه، فانتهرني، ثم رق لي، ورجع بي إلى بغداد، فوصلناها في مثل المسافة التي خرجنا منها، وصحبته، وخدمته مدة، وأراد السفر، فأردت صحبته، فمنعني، وقال: لا تقدر على ذلك!. وأنا مسافر إلى البلد الفلاني، وأموت في الوقت الفلاني، فإذا كان ذلك الوقت، فاحضر ذلك المكان، واشهدني. فلما دنا الميعاد، حضرت فوجدته في الموت، وقد توجه إلى الشرق، فأدرته إلى القبلة، وهو ينحرف إلى الشرق، وتكرر ذلك منه ومني، فنظر إلي، وقال: لا تتعب- هو إنما يموت نصرانيا! - وتكلم بما يدين به النصارى ويعتقده، ففارق، فحملناه إلى دير مشهور هناك، فيه جماعة من الرهبان، فوجدناهم في تألم شديد، وذكروا لنا أنهم كان عندهم راهب عظيم، قد أتى عليه مائة سنة، وأنه توفي تلك السنة، بعد أن أسلم، فسلمنا إليهم صاحبنا، فتولوا أمره ودفنوه، وتسلمنا ذلك الراهب وغسلناه، ودفناه. فألام على كثرة البكاء؟!.

فنسأل الله تعالى **حسن الخاتمة**، وأن يتوفانا على الإسلام والسنة، آمين.

توفي الشيخ علي البكاء- رحمه الله تعالى- ببلد الخليل عليه السلام في أوائل شهر رجب سنة سبعين وستمائة، ودفن بزاويته.." (٢)

"فكيف يوفق [٤٤/ ب] **لحسن الخاتمة** من أغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره، واتبع هواه، وكان أمره فرطا؟ فبعيد من قلب بعيد من الله تعالى، غافل عنه، متعبد (١) لهواه، أسير لشهواته (٢)؛ ولسان (٣) يابس من ذكره، وجوارح (٤) معطلة من طاعته مشتغلة بمعصيته = أن توفق (٥) للخاتمة بالحسنى.

ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين، وكأن المسيئين الظالمين قد أخذوا توقيعا بالأمان! (٦) ﴿أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون (٣٩)﴾ [القلم: ٣٩].

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٨/ ١١

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٨/ ٢٦٦

يا آمنا مع قبيح الفعل منه أهل ... أتاك توقيع أمن أنت تملكه (٧)

جمعت شيئين أمنا واتباع هوى ... هذا وإحداهما في المرء تهلكه (٨)

والمحسنون على درب المخاوف قد ... ساروا وذلك درب لست تسلكه

فرطت في الزرع وقت البذر من سفه ... فكيف عند حصاد الناس تدركه

هذا وأعجب شيء منك زهدك في ... دار البقاء بعيش سوف تتركه (٩)

---

(١) ف: "متبع".

(٢) ف: "لشهوته".

(٣) س: "ولسانه".

(٤) س: "وجوارحه".

(٥) ل، ز: "يوفق". ولم يضبط في س.

(٦) س، ل: "بالأيمان".

(٧) ل: "قبح الفعل".

(٨) ز: "أمن".

(٩) ل: "سوف تدركه". وفي البيت التالي فيها: "سوف تتركه".." [1]

"الحسنة بحسنة أخرى (١).

وإذا نظرت إلى كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين **حسن الخاتمة** (٢)، عقوبة لهم على أعمالهم السيئة. قال الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي رحمه الله (٣): "واعلم أن **لسوء الخاتمة**- أعاذنا الله منها- أسبابا (٤)، ولها طرق وأبواب، أعظمها: الإكباب على الدنيا، والإعراض عن الأخرى، والإقدام والجرأة على معاصي الله عز وجل. وربما غلب على الإنسان

ضرب من الخطيئة، ونوع من المعصية، وجانب من الإعراض، ونصيب من الجرأة والإقدام، فملك قلبه، وسبق عقله، وأطفأ نوره، وأرسل عليه حجبه (٥)، فلم تنفع فيه تذكرة، ولا نجعت فيه موعظة. فربما جاءه الموت على ذلك، فسمع النداء من مكان بعيد، فلم يتبين له المراد، ولا علم ما أراد، وإن كرر عليه الداعي وأعاد! ".

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٢١٩

قال: "ويروى أن بعض رجال الناصر (٦) نزل به الموت، فجعل ابنه يقول: قل: لا إله إلا الله، فقال: الناصر مولاي! فأعاد (٧) عليه القول، فأعاد مثل ذلك. ثم أصابته غشية، فلما أفاق قال: الناصر مولاي. وكان

---

(١) "فتتضاعف ... بحسنة أخرى" ساقط من ل.

(٢) س: "بينهم وبين الجماعة"!

(٣) في كتاب العاقبة (١٧٨ - ١٨٠).

(٤) ما عدا س: "أسباب".

(٥) ف، ل: "محنة" وكذا في حاشية س.

(٦) بعده في س كلمة تشبه "بين".

(٧) س: "وأعاد".." (١)

"عليه، ثم يفيق ويقرأ: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١١٠)﴾ [الأنعام: ١١٠]. فمن هذا خاف السلف من الذنوب أن تكون حجابا بينهم وبين الخاتمة بالحسنى.

قال (١): "واعلم أن **سوء الخاتمة**– أعاذنا الله منها– لا تكون لمن استقام ظاهره، وصلح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم به، ولله الحمد.

وإنما تكون لمن له فساد في العقيدة (٢)، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم. فربما غلب ذلك عليه، حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيأخذه قبل إصلاح الطوية، ويصطلم (٣) قبل الإنابة، فيظفر به الشيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة. والعياذ بالله".

قال: "ويروى أنه كان بمصر رجل يلزم مسجدا للأذان والصلاة (٤)، وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة، فرقي يوما المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني، فاطلع فيها، فرأى ابنة صاحب الدار، فافتتن بها، فترك الأذان ونزل إليها، ودخل الدار عليها، فقالت له: ما شأنك؟ وما تريد؟ قال: أريدك. قالت: لماذا؟ قال: قد سبيت لبي، وأخذت بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة (٥) أبدا. قال: أتزوجك. قالت: أنت مسلم، وأنا ﴿٨٤/ ب﴾ نصرانية، وأبي لا يزوجني منك. قال لها: أتنصر. قالت: إن

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٣٨٦

فعلت أفعل. فتنصر الرجل

---

(١) يعني عبد الحق الإشبيلي. انظر كتاب العاقبة (١٨١).

(٢) ف: "العقائد". ز: "العقد".

(٣) من اصطلمه الموت أو العدو: استأصله.

(٤) س: "يلازم المسجد ... ". ف: "يأوي مسجدا للصلاة والأذان".

(٥) س: "زنية".." (١)

"الكاملات على سيد الأبرار وخير الأخيار محمد المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما دائما كثيرا".

وهذه أقدم النسخ المعروفة لكتاب الداء والدواء.

تبدأ النسخة بعد البسملة و "رب يسر وأعن برحمتك" بالعبارة الآتية: "سئل شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشامي تغمده الله برحمته، وأسكنه جنته، فقال السائل ... ".

وهي بداية غريبة، فإن المؤلف رحمه الله كنيته أبو عبد الله، وهو محمد بن أبي بكر، وهو شامي أيضا، ولكن ما اشتهر به هو أنه "أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية". أما الصورة الواردة في فاتحة هذه النسخة، فكأن المقصود بها إخفاء اسم المؤلف شيئا ما عن بعض المقلدة أو بعض المناوئين، لكيلا يصد بعضهم تعصبه على المؤلف عن قراءة الكتاب أو يحمله على التعدي عليه.

أما صفحة العنوان فتحمل اسم الكتاب وختمين وعددا من قيود التملك والقراءة وغيرها. عنوان الكتاب: "كتاب الداء والدواء"، ولكنه لم يكتب في موضعه، بل في النصف الأسفل من الصفحة، ولعله ليس بخط ناسخ الأصل.

أما القيود، فأقدمها قيد مطالعة مؤرخة في سنة ٧٧٨، ونصه: "نظر فيه داعيا لمالكه **بحسن الخاتمة** محمد بن محمد بن عبد الرحيم القادري المغربي ... ".

ومن قيود التملك:

١ - "قد إنتظمت المجموعة الشريفة هذه في سلك ملك الفقير إلى." (٢)

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٣٩١

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٠

"أمر محقق وحسن الخاتمة أمر موهوم لعطلوا الأعمال جملة وكذلك الاجراء والصناع والملوك والجند وكل طالب امر من الامور الدنيوية والأخروية لولا بناؤه على الغالب وما جرت به العادة لما احتمل المشقة المتيقنة لأمر منتظر ومن هاهنا قيل أن إنكار هذه المسئلة يسلتزم تعطيل الدنيا والآخرة من وجوه متعددة
الوجه السابع والخمسون قولكم ويعارضه معنى ثالث وراءهما فيفكر العقل في انواعه وشروط أخرى وراء مجرد الانسانية من العقل والبلوغ والعلم والجهل والكمال والنقص والقرابة والاجنبية فيتحير العقل كل التحير فلا بد إذا من شارع يفصل هذه الخطة ويعين قانونا يطرد عليه امر الامة ويستقيم عليه مصالحهم
فيقال لا ريب أن الشرائع تأتي بما لا تستقل العقول بإدراكه فإذا جاءت به الشريعة اهتدى العقل حينئذ إلى وجه حسن مأموره وقبح منهيه فسرته الشريعة على وجه الحكمة والمصلحة الباعثين اشرعه فهذا مما لا ينكر وه ذا الذي قلنا فيه ان الشرائع تأتي بمجازات العقول لا بمحالات العقول ونحن لم ندع ولا عاقل قط أن العقل يستقل بجميع تفاصيل ما جاءت به الشريعة بحيث لو ترك وحده لاهتدى إلى كل ما جاءت به إذا عرف هذا فغاية ما ذكرتم أن الشريعة الكاملة اشترطت في وجوب القصاص شروطا لا يهتدي العقل إليها وأي شيء يلزم من هذا وماذا يقبح لكم ومنازعكم يسلمونه لكم وقولكم ان هذا معارض للوصف المقتضى لثبوت القصاص من قيام مصلحة العالم إما غفلة عن الشروط المعارضة وإما إصلاح طار سيم فيه مالا يهتدي العقل إليه من شروط اقتضاء الوصف لموجبه معارضة فيالله العجب أي معارضة ها هنا إذا كان العقل والفطرة قد شهدا بحسن القتل قصاصا وانتظامه للعالم وتوقفا في اقتضاء هذا الوصف هل يضم إليه شروط آخر غيره أم يكفي بمجرد وفي تعيين تلك الشروط فأدرك العقل ما استقل بإدراكه وتوقف عما لا يستقل بإدراكه حتى اهتدى إليه بنور الشريعة يوضح هذا
الوجه الثامن والخمسون أن ما وردت به الشريعة في اصل القصاص وشروطه منقسم إلى قسمين أحدهما ما حسنه معلوم بصريح العقل الذي لا يستريب فيه عاقل وهو اصل القصاص وانتظام مصالح العالم به والثاني ما حسنه معلوم بنظر العقل وفكره وتأمله فلا يهتدي إليه إلا الخواص وهو ما اشترط اقتضاء هذا الوصف أو جعل تابعا له فاشترط له المكافأة في الدين وهذا في غاية المراعاة للحكمة والمصلحة فإن الدين هو الذي فرق بين الناس في العصمة وليس في حكمة الله وحسن شرعه أن يجعل دم وليه وعبده وأحب خلقه إليه وخير بريته ومن خلقه لنفسه واختصه بكرامته واهله لجواره في جنته والنطر إلى وجهه وسماع كلامه في دار كرامته كدم عدوه وامقت خلقه عليه وشر بريته والعادل به عن عبادته إلى عبادة الشيطان الذي خلقه للنار

وللطرود عن بابه والإبعاد عن رحمته وبالجملة فحاشا حكمته أن يسوى بين دماء خير البرية ودماء شر." (١)

"وخنت من آمنك وانقاد لك صاغر ... سودت وجهك في الأول وفي الآخر

ولما كان بيبغاروس على دمشق وتوجهنا نحن مع النائب بالشام الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى لد وأقمنا بها زائدا عن أربعين يوما، وفي كل يوم نسمع من الأخبار ما ينكد عيشنا من جهة أهل دمشق وأهلنا وأولادنا، جاءني من القاضي شرف الدين حسين بن ريان كتاب قبل خروجي من دمشق، فلما عدت من لد كتبت جوابه، وجاء منه: " وحاول المملوك الجواب فجاءت هذه العوائق التي ما احتسبت والحوادث التي لم تكن كيوم القيامة، فإن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت، يا مولانا: هذه مصائب عمت وطمت وصرحت بالشر وما عمت، وقيدت إليها الأهوال وزمت ودعت الجفلى إلى مآدبها وأصم المسامع نعي نوادبها، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قول من ضاقت به حيلته، واتسعت عليه بالهموم ليلته:

وكان ما كان مما كنت أذكره ... فظن شرا ولا تسأل عن الخبر

ونسأل الله تعالى حسن الخاتمة، وفجر هذه الليلة العاتمه، فقد بلغت القلوب الحناجر، وحزت الغلاصم بالخناجر، وكسرت براني الصبر، وحسد من امتطى ظهر الأرض من استكن في جوانح القبر، وهذه رزية شموس التثبت بها كاسفه، وليس لها من دون الله كاشفه، اللهم اكشف هذه البلية عن البريه، ولق النفوس الظالمة ووق البريه، وأجرنا على عادة وعجل فك أسرنا بأسرنا، إنك بالإجابة جدير، وعلى كشف هذه اللأواء قدير ".." (٢)

"مناظرته، فقال له أبو حامد: هذا شيء تركناه بصبية بالعراق، يعني: ترك المغالبة بالعلم والمفاخرة فيه لصبية - جميع صبي - كأنه شبه من يطلب هذا بالصبيان لغلبة الهوى عليهم، نسأل الله التوفيق لصالح الأعمال وحسن الخاتمة عند منتهى الآجال.

؟ سنة إحدى وعشرين وخمس مائة

فيها أقبل السلطان محمود بن محمد ابن ملك شاه في جيشه محاربا للمسترشد بالله، فتحول أهل بغداد كلهم إلى الجانب الغربي، ونزل محمود والعسكر بالجانب الشرقي، وتراموا بالنشاب، وترددت الرسل في الصلح، فلم يفعل الخليفة، فنهبت دار الخلافة، فغضب الخليفة، وخرج من المخيم. والوزير ابن صدقة بين

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٢/٩٩

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٤/٨٦

يديه – فقدموا السفن في دفعة واحدة، وعبر عسكر الخليفة، وألبسوا الملاحين السلاح، وسبح العيارون وصاح المسترشد: يا لبني هاشم، فتحركت النفوس معه، هذا وعسكر السلطان مشغولون بالنهب، فلما رأوا الجد ولوا الأدبار، وعمل فيهم السيف، وأسر منهم خرلق، وقتل جماعة أمراء، ودخل الخليفة إلى داره، وكان معه يومئذ قريب من ثلاثين ألف مقاتل، ثم وقع الصلح. وفيها ورد الخبر بأن سنجر صاحب خراسان قتل من الباطنية اثني عثر ألفا، ومرض السلطان محمود، وتعلل بعد الصلح، فرحل إلى همدان، وولي بغداد الأمير عماد الدين زنكي، ثم صرف بعد أشهر، وفوض إليه الموصل، وسار إليها لموت متوليها. وفي السنة المذكورة توفي أبو السعادات أحمد بن أحمد بن عبد الواحد الهاشمي العباسي المتوكلي، شريف صالح خير. روى عن الخطيب وغيره، وعاش ثمانين سنة. ختم التراويح ليلة سبع وعشرين، ورجع إلى منزله فسقط من السطح فمات رحمه الله تعالى. وفيها توفي أبو الحسن بن الدينوري علي بن عبد الواحد، روى عن القزويني وأبي محمد الخلال، وهو أقدم شيخ لابن الجوزي، وأبو العز القلانسي محمد بن الحسين بن بندار الواسطي مقرىء العراق وصاحب التصانيف في القراءات. وفيهما توفي عبد الله بن مـحمد المعروف بابن السيد البطليوسي النحوي، كان عالما بالآداب واللغات، متبحرا فيهما ومقدما في معرفتهما وإتقانهما، وكان الناس يجتمعون إليه ويقرؤون عليه، ويقتبسون منه، وكان حسن التعليم جيد التفهيم، ثقة ضابطا، ألف كتبا نافعة، منها كتاب المثلث فى مجلدين، أتى فيه بالعجائب، ودل على اطلاع عظيم، فإن." (١)

"في العربية، ووضع لها شرحا بين فيه مجملها، وفتح مقفلها، وله ديوان خطب جمعة وفي كل جمعة يضيف خطبه يخطب بها، وله في علم الحديث مصنف مفيد جمع فيه كتب ابن الصلاح والنووي، وتوفي وهو يصنف تفسير القرآن جاءت سورة البقرة في مجلدين منه قيل: لو كمل لم يوجد في التفاسير مثله لأنه كان رحمه الله نهاية في علوم القرآن، وفي الأصلين والجدل، وإمامته في الفقه مشهورة، وبراعته في العلوم مذكورة، وله نظم رائق، وشعر فائق.

سنة خمسين وسبع مائة

فيها توفي الإمام العلامة، المدرس المفتي نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف الأصفهاني الشافعي نزيل الحرم الشريف مولده سنة سبع وسبعين وست مائة، وفيها توفي آخر أيام التشريق في منى، ودفن بالمعلى سمع الحديث على جماعة، وتفقه وقرأ الأصول والعربية والفرائض والجبر والمقابلة، وقرأ القراءات السبعة، وله

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ١٧٣/٣

مصنفات منها مختصر الروضة في مجلدين اشتهر كثير من البلاد، وكان رحمه الله حسن الأخلاق، سليم الباطن، مشهورا بالصلاح، وكثرة المحاسن، حسن الاعتقاد رآني في وقت، وقال لي: كنت إذا رأيتك في المنام في بلادي، وأنا مريض تعافيت، وقال لي لما وقف على بعض كتبي هذا الكتاب ما يجيء تصنيفه إلا بعلوم كثيرة، ثم قال لي: ينبغي لك أن تصنف كتابا في الرد على المبتدعين، فلما وضعت كتابي الموسوم بمرهم العلل المعضلة في الرد على فئة المعتزلة بالبراهين القاطعة المفصلة، وذكر عقيدة أهل السنة المفصلة والفرق الاثنتين والسبعين، والمخالفين المبتدعين ذكرت بعد ذلك أنه كان رحمه الله قد حرضني على ذلك، نسأل الله تعالى **حسن الخاتمة**، والسلامة من المهالك.

ولما وضعت كتاب نشر المحاسن في العقيدة وغيرها، ولقبته بكفاية المعتقد ونكاية المنتقد في فضل سلوك الطريقة، والجمع بين الشريعة والحقيقة، ووقف عليه، وطالعه الفقيه الإمام مفتي الأنام البارع العلامة فخر الدين المصري، قال لي: لقد انتفعت بهذا الكتاب بعد أن سمع على أشياء رحمه الله تعالى من كتاب الإرشاد، نسأل الله تعالى الكريم التوفيق، وسلوك طريق الرشاد، والعفو والعافية، والفوز يوم المعاد، مع سائر الأحباب والمحبين آمين.

تنبيه

اعلم أيها الواقف على هذا الكتاب أني إنما لم أذكر تاريخ موت أحد من أعيان متأخري شيوخ اليمن الصالحين، وعلمائه العاملين مع كثرتهم سوى ستة مضى ذكرهم إلا." (١)

"ومن الفوائد والملح عنه والأشعار

فمن شعره ما أورده في كتابه المتشابه في الربانيات

(تشاغل عنا بوسواسه ... وكان قديما لنا يطلب)

(محب تناسى عهود الهوى ... وأصبح في غيرنا يرغب)

(ونحن نراه ونملي له ... ويحسبنا أننا غيب)

(ونحن إلى العبد من نفسه ... ووسواس شيطانه أقرب)

ومن مناجاته في هذا الكتاب وهو مما أخذ عليه

إلهي جلت عظمتك أن يعصيك عاص أو ينساك ناس ولكن أوحيت روح أوامرك في أسرار الكائنات فذكرك

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٤/٢٤٩

الناسي بنسيانه وأطاعك العاصي بعصيانه وإن من شيء إلا يسبح بحمدك إن عصى داعي إيمانه فقد أطاع داعي سلطانك ولكن قامت عليه حجتك ولله الحجة البالغة ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾

ومن كلامه فيه على حديث (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة) الحديث فيه إشارة إلى أن خشية سوء الخاتمة مخصوص بأهل أعمال الجنة وأما أهل الإخلاص لأعمال التوحيد فلا يخشى عليهم سوء الخاتمة ولهذا قال (فيعمل بعمل أهـ." (١)

"قال ابن جرير: وبلغنا أن تلك الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فتسلمها حارسه فوضعها في بيت المال، وقيل إن الوليد قال له: ذلك المال وصل إلينا واذهب إلى إبلك فخذها، وقيل إنه دفع إليه شيئا من ذلك المال يقيته وعياله.

وقال نمير بن عبد الله الشعناني عن أبيه قال: قال الوليد بن عبد الملك: لولا أن الله ذكر قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكرا يفعل هذا بذكر.

قلت: فنفى عن نفسه هذه الخصلة القبيحة الشنيعة، والفاحشة المذمومة، التي عذب الله أهلها بأنواع العقوبات، وأحل بهم أنواعا من المثلات، التي لم يعاقب بها أحدا من الأمم السالفات وهي فاحشة اللواط التي قد ابتلى بها غالب الملوك والأمراء، والتجار والعوام والكتاب، والفقهاء والقضاة ونحوهم، إلا من عصم الله منهم، فإن في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر والتعداد، ولهذا تنوعت عقوبات فاعليه، ولأن يقتل المفعول به خير من أن يؤتى في دبره، فإنه يفسد فسادا لا يرجى له بعده صلاح أبدا، إلا أن يشاء الله ويذهب خبر المفعول به.

فعلى الرجل حفظ ولده في حال صغره وبعد بلوغه، وأن يجنبه مخالطة هؤلاء الملاعين، الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد اختلف الناس: هل يدخل الجنة مفعول به؟ على قولين، والصحيح في المسألة أن يقال إن المفعول به إذا تاب توبة صحيحة نصوحا، ورزق إنابة إلى الله وصلاحا، وبدل سيئاته بحسنات، وغسل عنه ذلك بأنواع الطاعات، وغض بصره وحفظ فرجه، وأخلص معاملته لربه، فهذا إن شاء الله مغفور له، وهو من أهل الجنة، فإن الله يغفر الذنوب للتائبين إليه (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) [الحجرات: ١١] (ومن تاب وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) [المائدة: ٣٩] وأما مفعول به صار في كبره شرا منه في صغره، فهذا توبته متعذرة، وبعيد

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٩/٩٥

أن يؤهل لتوبة صحيحة، أو لعمل صالح يمحو به ما قد سلف، ويخشى عليه من **سوء الخاتمة**، كما قد وقع ذلك لخلق كثير ماتوا بأدرانهم وأوساخهم، لم يتطهروا منها قبل الخروج من الدنيا، وبعضهم ختم له بشر خاتمة، حتى أوقعه عشق الصور في الشرك الذي لا يغفره الله.

وفي هذا الباب حكايات كثيرة وقعت للوطية وغيرهم من أصحاب الشهوات يطول هذا الفصل بذكرها.

والمقصود أن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له.

فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان.

فيقع في **سوء الخاتمة**.

قال الله تعالى (وكان الشيطان للإنسان خذولا) [الفرقان: ٢٩] بل قد وقع **سوء الخاتمة** لخلق لم يفعلوا فاحشة اللواط، وقد كانوا متلبسين بذنوب أهون منها.

وسوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله، وصدق في أقواله وأعماله، فإن هذا لم يسمع به كما ذكره عبد الحق الأشبيلي، وإنما يقع **سوء الخاتمة** لمن فسد باطنه عقدا، وظاهره عملا، ولمن له جرأة على الكبائر، وإقدام على الجرائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة.." (١)

"فقال: يموت وأنا لا أدخل مدخلا يسخط الله علي ويغضبه، وأبى أن يدخل، وانصرف راجعا إلى دارهم، فدخل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه، وقد كان غلام ابن كليب دخل عليه قبل ذلك وبشره بقدوم معشوقه عليه، ففرح بذلك جدا، فلما تحقق رجوعه عنه اختلط كلامه واضطرب في نفسه، وقال لذلك الرجل الساعي بينهما: اسمع يا أبا عبد الله واحفظ عني ما أقول، ثم أنشده: أسلم يا راحة العليل * رفقا على الهائم النحيل وصلك أشهى إلى فؤادي * من رحمة الخالق الجليل فقال له الرجل: ويحك اتق الله تعالى، ما هذه العظيمة؟ فقال: قد كان ما سمعت، أو قال القول ما سمعت.

قال فخرج الرجل من عنده فما توسط الدار حتى سمع الصراخ عليه، وسمع صيحة الموت وقد فارق الدنيا على ذلك.

وهذه زلة شنعاء، وعظيمة صلعاء، وداهية دهياء، ولولا

أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب، وتنبيه لذوي البصائر والعقول، أن يسألوا الله رحمته وعافيته، وأن يستعيذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقهم **حسن الخاتمة** عند

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٨٤/٩

الممات إنه كريم جواد.

قال الحميدي: وأنشدني أبو علي بن أحمد قال: أنشدني محمد بن عبد الرحمن لأحمد بن كليب وقد أهدى إلى أسلم كتاب الفصيح لثعلب: هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح وهبته لك طوعا * كما وهبتك روحي الحسن (١) بن أحمد ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران البزاز، أحد مشايخ الحديث، سمع الكثير، وكان ثقة صدوقا، جاء يوما شاب غريب فقال له: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: اذهب إلى أبي علي بن شاذان فسلم عليه وأقره مني السلام.

ثم انصرف الشاب فبكى الشيخ وقال: ما أعلم لي عملا أستحق به هذا غير صبري على سماع الحديث، وصلاتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما ذكر.

ثم توفي بعد شهرين أو ثلاثة من هذه الرؤيا في محرمها، عن سبع وثمانين سنة ودفن بباب الدير.

---

(١) في الكامل ٩ / ٤٤٥ الحسين، قال: وكان مولده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ببغداد.

(*)."[١]

"بعزل (١) الأمير علي عن نيابة دمشق، فأحضر الأمراء إلى دار السعادة وقرئ المرسوم الشريف عليهم بحضوره، وخلع عليه خلعة وردت مع البريد، ورسم له بقرية دومة وأخرى فبلاد طرابلس على سبيل الراتب، وأن يكون في أي البلاد شاء من دمشق أو القدس أو الحجاز، فانتقل من يومه من دار السعادة وبباقي أصحابه ومماليكه، واستقر نزوله في دار الخليلي بالقصاعين التي جددها وزاد فيها دويداره يلبغا، وهي دار هائلة، وراح الناس للتأسف عليه والحزن له انتهى.

طلب قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي الشافعي إلى الديار المصرية

ورد البريد بطلبه من أخر نهار الأحد بعد العصر الحادي عشر من شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة، فأرسل إليه حاجب الحجاب قماري وهو نائب الغيبة أن يسافر من يومه، فاستنظرهم إلى الغد فأمهل، وقد ورد الخبر بولاية أخيه الشيخ بهاء الدين بن السبكي بقضاء الشام عوضا عن أخيه تاج الدين، وأرسل يستنيب ابن أختهما قاضي القضاة تاج الدين في التأهب والسير، وجاء الناس إليه ليودعوه ويستوحشون له، وركب من بستانه بعد العصر يوم الاثنين ثاني عشر شعبان، متوجها على البريد إلى الديار المصرية، وبين يديه قضاة القضاء والأعيان، حتى قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكي، حتى ردهم قريبا من الجسورة

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٤٨/١٢

ومنهم من جاوزها والله المسؤول في **حسن الخاتمة** في الدنيا والآخرة، انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

أعجوبة أخرى غريبة لما كان يوم الثلاثاء العشرين من شعبان دعيت إلى بستان الشيخ العلامة كمال الدين بن الشريشي شيخ الشافعية وحضر جماعة من الأعيان منهم الشيخ العلامة شمس الدين بن الموصلي الشافعي، والشيخ الإمام العلامة صلاح الدين الصفدي، وكيل بيت المال، والشيخ الإمام العلامة شمس الدين الموصلي الشافعي، والشيخ الإمام العلامة مجدالدين محمد بن يعقوب الشيرازي من ذرية الشيخ أبي إسحق الفيروز ابادي، من أئمة اللغويين، والخطيب الإمام العلامة صدر الدين بن العز الحنفي أحد البلغاء الفضلاء، والشيخ الإمام العلامة نور الدين علي بن الصارم أحد القراء المحدثين البلغاء، وأحضروا نيفا وأربعين مجلدا من كتاب المنتهى في اللغة للتميمي البرمكي، وقف الناصرية وحضر ولد الشيخ كمال الدين بن الشريشي، وهو العلامة بدر الدين محمد، واجتمعنا كلنا عليه، وأخذ كل منا مجلدا بيده من تلك المجلدات، ثم أخذنا نسأله عن بيوت الشعر المستشهد عليها بها، فينشر كلا منها ويتكلم عليه بكلام مبين مفيد، فجزم الحاضرون والسامعون أنه يحفظ جميع شواهد اللغة ولا يشذ عنه منها إلا القليل الشاذ، وهذا من أعجب العجائب، وأبلغ الاعراب.

---

(١) في بدائع الزهور ١ / ٥٨٨ قال أنه لم يعزل بل طلب استعفاءه منها.." (١)

"وممن توفي فيها من الأعيان

أحمد بن كليب الشاعر

وهو أحد من هلك بالعشق، روى ابن الجوزي في المنتظم بسنده أن أحمد بن كليب هذا المسكين المغتر عشق غلاما يقال له أسلم بن أبي الجعد، من بنى خلد [١] وكان فيهم وزارة، أي كانوا وزراء للملوك وحجابا، فأنشد فيه أشعارا تحدث الناس بها، وكان هذا الشاب أسلم يطلب العلم في مجالس المشايخ فلما بلغه عن ابن كليب ما قال فيه استحى من الناس وانقطع في دارهم، وكان لا يجتمع بأحد من الناس، فازداد غرام ابن كليب به حتى مرض من ذلك مرضا شديدا، بحيث عاده منه الناس، ولا يدرون ما به، وكان في جملة من عاده بعض المشايخ من العلماء، فسأله عن مرضه فقال:

أنتم تعلمون ذلك، ومن أي شيء مرضى، وفي أي شيء دوائي، لو زارني أسلم ونظر إلي نظرة ونظرته نظرة

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٣٧/١٤

واحدة لبرأت، فرأى ذلك العالم من المصلحة أن لو دخل على أسلم وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة مختفيا، ولم يزل ذلك الرجل العالم بأسلم حتى أجابه إلى زيارته، فانطلقا إليه فلما دخلا دربه ومحلته تجبن الغلام واستحى من الدخول عليه، وقال للرجل العالم: لا أدخل عليه، وقد ذكرني ونوه باسمي، وهذا مكان ريبة وتهمة، وأنا لا أحب أن أدخل مداخل التهم، فحرص به الرجل كل الحرص ليدخل عليه فأبى عليه، فقال له: إنه ميت لا محالة، فإذا دخلت عليه أحييته. فقال:

يموت وأنا لا أدخل مدخلا يسخط الله علي ويغضبه، وأبى أن يدخل، وانصرف راجعا إلى دارهم، فدخل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه، وقد كان غلام ابن كليب دخل عليه قبل ذلك وبشره بقدوم معشوقه عليه، ففرح بذلك جدا، فلما تحقق رجوعه عنه اختلط كلامه واضطرب في نفسه، وقال لذلك الرجل الساعي بينهما: اسمع يا أبا عبد الله واحفظ عنى ما أقول، ثم أنشده:

أسلم يا راحة العليل ... رفقا على الهائم النحيل

وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

فقال له الرجل: ويحك اتق الله تعالى، ما هذه العظيمة؟ فقال: قد كان ما سمعت، أو قال القول ما سمعت. قال فخرج الرجل من عنده فما توسط الدار حتى سمع الصراخ عليه، وسمع صيحة الموت وقد فارق الدنيا على ذلك. وهذه زلة شنعاء، وعظيمة صلعاء، وداهية دهياء، ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب، وتنبيه لذوي البصائر والعقول، أن يسألوا الله رحمته وعافيته، وأن يستعيذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقهم **حسن الخاتمة** عند الممات إنه كريم جواد.

قال الحميدي: وأنشدنى أبو علي بن أحمد قال: أنشدني محمد بن عبد الرحمن لأحمد بن كليب وقد أهدى إلى أسلم كتاب الفصيح لثعلب:

---

[١] في النجوم الزاهرة: أسلم بن أحمد بن سعيد قاضى قضاة الأندلس.." (١)

"الكتاب على هذا المنوال لعظيم جدا، فاجتمعنا في اليوم الثاني وهو مستهل شعبان في المكان المذكور، وحضر قاضي القضاة الشافعي وجماعة من الفضلاء، واجتمع العامة محدقين فقرأ على العادة غير أنه لم يطول كأول يوم، وسقط عليه بعض الأحاديث، وصحف ولحن في بعض الألفاظ، ثم جاء القاضيان الحنفي والمالكي فقرأ بحضرتهما أيضا بعض الشيء، هذا والعامة محتفون به متعجبون من أمره، ومنهم من

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٣٨/١٢

يتقرب بتقبيل يديه، وفرح بكتابتي له بالسماع على الإجازة، وقال: أنا ما خرجت من بلادي إلا إلى القصد إليك، وأن تجيزني، وذكرك في بلادنا مشهور، ثم رجع إلى مصر ليلة الجمعة وقد كارمه القضاة والأعيان بشيء من الدراهم يقارب الألف.

عزل الأمير علي عن نيابة دمشق المحروسة

في يوم الأحد حادي عشر شعبان ورد البريد من الديار المصرية وعلى يديه مرسوم شريف بعزل الأمير علي عن نيابة دمشق، فأحضر الأمراء إلى دار السعادة وقرئ المرسوم الشريف عليهم بحضوره، وخلع عليه خلعة وردت مع البريد، ورسم له بقرية دومة وأخرى في بلاد طرابلس على سبيل الراتب، وأن يكون في أي البلاد شاء من دمشق أو القدس أو الحجاز، فانتقل من يومه من دار السعادة وبباقي أصحابه ومماليكه، واستقر نزوله في دار الخليلي بالقصاعين التي جددها وزاد فيها دويداره يلبغا، وهي دار هائلة، وراح الناس للتأسف عليه والحزن له انتهى.

سفر قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكى الشافعي مطلوبا إلى الديار المصرية معزولا عن قضاء دمشق

ورد البريد بطلبه من أخر نهار الأحد بعد العصر الحادي عشر من شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة، فأرسل إليه حاجب الحجاب قماري وهو نائب الغيبة أن يسافر من يومه، فاستنظرهم إلى الغد فأمهل، وقد ورد الخبر بولاية أخيه الشيخ بهاء الدين بن السبكى بقضاء الشام عوضا عن أخيه تاج الدين، وأرسل يستنيب ابن أختهما قاضى القضاة تاج الدين في التأهب والسير، وجاء الناس إليه ليودعوه ويستوحشون له، وركب من بستانه بعد العصر يوم الاثنين ثاني عشر شعبان، متوجها على البريد إلى الديار المصرية، وبين يديه قضاة القضاة والأعيان، حتى قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكي، حتى ردهم قريبا من الجسورة ومنهم من جاوزها والله المسئول في **حسن الخاتمة** في الدنيا والآخرة، انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

أعجوبة أخرى غريبة

لما كان يوم الثلاثاء العشرين من شعبان دعيت إلى بستان الشيخ العلامة كمال الدين بن الشريشي شيخ الشافعية وحضر جماعة من الأعيان منهم الشيخ العلامة شمس الدين بن الموصلي." (١)

"وقد اختلف الناس: هل يدخل الجنة مفعول به؟ على قولين، والصحيح في المسألة أن يقال إن المفعول به إذا تاب توبة صحيحة نصوحا، ورزق إنابة إلى الله وصلاحا، وبدل سيئاته بحسنات، وغسل

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٩٥/١٤

عنه ذلك بأنواع الطاعات، وغض بصره وحفظ فرجه، وأخلص معاملته لربه، فهذا إن شاء الله مغفور له، وهو من أهل الجنة، فان الله يغفر الذنوب للتائبين إليه ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ٤٩: ١١ فمن تاب ٥: ٣٩ ... وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ٥: ٣٩. وأما مفعول به صار في كبره شرا منه في صغره، فهذا توبته متعذرة، وبعيد أن يؤهل لتوبة صحيحة، أو لعمل صالح يمحو به ما قد سلف، ويخشى عليه من **سوء الخاتمة**، كما قد وقع ذلك لخلق كثير ماتوا بأدرانهم وأوساخهم، لم يتطهروا منها قبل الخروج من الدنيا، وبعضهم ختم له بشر خاتمة، حتى أوقعه عشق الصور في الشرك الذي لا يغفره الله. وفي هذا الباب حكايات كثيرة وقعت للوطية وغيرهم من أصحاب الشهوات يطول هذا الفصل بذكرها.

والمقصود أن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الايمان. فيقع في **سوء الخاتمة**. قال الله تعالى وكان الشيطان للإنسان خذولا ٢٥: ٢٩ بل قد وقع **سوء الخاتمة** لخلق لم يفعلوا فاحشة اللواط، وقد كانوا متلبسين بذنوب أهون منها. **وسوء الخاتمة** أعاذنا الله منها لا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله، وصدق في أقواله، وأعماله، فان هذا لم يسمع به كما ذكره عبد الحق الإشبيلي، وإنما يقع **سوء الخاتمة** لمن فسد باطنه عقدا، وظاهره عملا، ولمن له جرأة على الكبائر، وإقدام على الجرائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة.

والمقصود أن مفسدة اللواط من أعظم المفاسد، وكانت لا تعرف بين العرب قديما كما قد ذكر ذلك غير واحد منهم. فلهذا قال الوليد بن عبد الملك: لولا أن الله عز وجل قص علينا قصة قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكرا يعلو ذكرا. وفي حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» . رواه أهل السنن وصححه ابن حبان وغيره. وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من عمل عمل قوم لوط ثلاث مرات، ولم يلعن على ذنب ثلاث مرات إلا عليه، وإنما أمر بقتل الفاعل والمفعول به لأنه لا خير في بقائهما بين الناس، لفساد طويتهما، وخبث بواطنهما، فمن كان بهذه المثابة فلا خير للخلق في بقائه، فإذا أراح الله الخلق منهما صلح لهم أمر معاشهم ودينهم. وأما اللعنة فهي الطرد والبعد، ومن كان مطرودا مبعدا عن الله وعن رسوله وعن كتابه وعن صالح عباده فلا خير فيه ولا في قربه، ومن رزقه الله تعالى توسما وفراسة، ونورا وفرقانا عرف من سحن الناس ووجوههم أعمالهم، فان أعمال العمال بائنة ولائحة على وجوههم وفي أعينهم وكلامهم.." (١)

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٦٣/٩

"١١٨٩ - ابن يعيش عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن يعيش أبو الفرج الكاتب سبط قاضي القضاة أبي الحسين علي بن محمد الدامغاني تقدم عبد الرحمن ووالده محمد بن علي والله سبحانه وتعالى أعلم

يتلوه الكتاب الجامع لمصنفه = الكتاب الجامع = بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين هذا كتاب سميته بالجامع وختمت به كتابي الجواهر على عادة علماء المدينة فى ختم تصانيفهم بالجامع أذكر فيه إن شاء الله تعالى فوائد جمة ونفائس مهمة والله أسأله **حسن الخاتمة**

فائدة قال بعضهم الفائدة يجوز أن تكون مشتقة من الفواد لأنها تحصل فى فواد المستفيد إذا فهمها وتثبت فيه

فائدة اختلف فيه حد الصحابي فالمعروف عند المحدثين أنه كل مسلم رأي النبي صلى الله عليه وسلم وقال فى كفاية الفحول فى علم الأصول اسم الصحابي يقع على من طالت صحبته مع النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه وعليه الجمهور وبه قال الجاحظ ونصره الشيخ أبو عبد الله وقال كثير من أصحاب الحديث أنه يقع على من لقي الرسول وسمع منه شيئا ولو مرة وعن أصحاب الأصول أو بعضهم أنه من طالت مجالسته على طريق التتبع وعن." (١)

"٩٢٥ - هم المولى وإن جنفوا علينا ... وإنا منن لقائهم لزور

قال أبو عبيدة: المولى هاهنا في موضع الموالي، أي: ابن العم؛ لقوله تعالى: ﴿ثم يخرجكم طفلا﴾ [غافر: ٦٧] ، وقيل: هو الجسور.

قال القائل: [الكامل]

٩٢٦ - إني امرؤ منعت أرومة عامر ... ضيمي وقد جنفت علي خصوم

يقال: جنف بكسر النون، يجنف، بفتحها، فهو جنف، وجانف، وأجنف: جاء بالجنف، ك «ألأم» أي: أتى بما يلام عليه.

والفرق بين الجنف والإثم: أن الجنف هو الميل مع الخطأ، والثم: هو العمد.

فصل في **سوء الخاتمة** بالمضارة في الوصية

روي عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الرجل، أو المرأة، ليعمل بطاعة الله

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية عبد القادر القرشي ٤١١/٢

سبعين سنة، ثم يحضرهما الموت، فيضاران في الوصية؛ فتجب لهما النار» ، ثم قرأ أبو هريرة: «من بعد وصية» إلى قوله: ﴿غير مضآر وصية﴾ [النساء: ١٢] .

فصل

والضمير في «بينهم» عائد على الموصي، والورثة، أو على الموصى لهم، أو على الورثة والموصى لهم، والظاهر عوده على الموصى لهم، إذ يدل على ذلك لفظ «الموصي» ، وهو نظير «وأداء إليه» في أن الضمير يعود للعافي؛ لاستلزام «عفي» له؛ ومثله ما أنشد الفراء: [الوافر]

٩٢٧ - وما أدري إذا يممت أرضا ... أريد الخير أيهما يليني

فالضمير في «أيهما» يعود على الخير والشر، وإن لم يجر ذلك الشر، لدلالة ضده عليه، والضمير في «عليه» وفي «خاف» وفي «أصلح» يعود على «من» .

فصل في بيان المراد من المصلح

هذا المصلح [من هو؟] الظاهر أنه الوصي، وقد يدل تحته الشاهد، وقد يكون." (١)

"ذكر الخطيب والامام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما

وكان الامام بالمسجد الشريف في عهد دخولي إلى المدينة بهاء الدين بن سلامة «٥٧» من كبار أهل مصر، وينوب عنه العالم الصالح الزاهد بغية المشايخ عز الدين الواسطي «٥٨» ، نفع الله به، وكان يخطب قبله ويقضي بالمدينة الشريفة سراج الدين عمر المصري «٥٩» .

حكاية [سراج الدين وحلمه]

يذكر أن سراج الدين هذا أقام في خطة القضاء بالمدينة والخطابة بها نحو أربعين سنة، ثم إنه أراد الخروج بعد ذلك إلى مصر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما في النوم ثلاث مرات، في كل مرة ينهاه عن الخروج منها، وأخبره باقتراب أجله فلم ينته عن ذلك، وخرج فمات بموضع يقال له السويس على مسيرة ثلاث من مصر قبل أن يصل اليها، نعوذ بالله من **سوء الخاتمة**، وكان ينوب عنه الفقيه عبد الله محمد بن فرحون، رحمه الله وابناؤه الآن بالمدينة الشريفة: أبو محمد عبد الله مدرس المالكية، ونائب الحكم، وأبو عبد الله محمد، وأصلهم من مدينة تونس، ولهم بها حسب وأصالة «٦٠» . وتولى الخطابة والقضاء

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٤٧/٣

بالمدينة الشريفة بعد ذلك جمال الدين الأسيوطي «٦١» من أهل مصر وكان قبل ذلك قاضيا بحصن الكرك.." (١)

"أربعين سنة ثم أنه أراد الخروج بعد ذلك إلى مصر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ثلاث مرات في كل مرة ينهاه عن الخروج منها وأخبره باقتراب أجله فلم ينته عن ذلك وخرج فمات بموضع يقال له سويس١ على مسيرة ثلاث من مصر قبل أن يصل إليها نعوذ بالله من **سوء الخاتمة**. وكان ينوب عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون رحمه الله وأبناؤه الآن بالمدينة الشريفة أبو محمد عبد الله مدرس المالكية ونائب الحكم وأبو عبد الله محمد وأصلهم من مدينة تونس ولهم بها حسب وأصالة. وتولى الخطابة والقضاء بالمدينة الشريفة بعد ذلك جمال الدين الأسيوطي من أهل مصر وكان قبل ذلك قاضيا بحصن الكرك

خدام المسجد الشريف وسدنته والمؤذنون به:

وخدام هذا المسجد الشريف وسدنته فتيان من الأحابيش وسواهم وهم على هيئات حسان وصور نظاف وملابس ظراف وكبيرهم يعرف بشيخ الخدام وهو في هيئة الأمراء الكبار ولهم المرتبات بديار مصر والشام ويؤتي إليها بها في كل سنة ورئيس المؤذنين بالحرم الشريف الإمام المحدث الفاضل جمال الدين المطري من مطرية٢ قرية بمصر وولده الفاضل عفيف الدين عبد الله والشيخ المجاور الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي المعروف بالتراس قديم المجاورة وهو الذي جب نفسه خوفا من الفتنة.

وكان أبو عبد الله الغرناطي خديما لشيخ يسمى عبد الحميد العجمي وكان الشيخ حسن الظن به يطمئن إليه بأهله ويتركه متى سافر بداره فسافر مرة وتركه على عادته بمنزله فعلقت به زوجة الشيخ عبد الحميد وراودته عن نفسه فقال إني أخاف الله ولا أخون من ائتمنني على أهله وماله فلم تزل تراوده وتعارضه حتى خاف على نفسه الفتنة فجب نفسه وغشي عليه ووجده الناس على تلك الحالة فعالجوه حتى بريء، وصار من خدام المسجد الكرام ومؤذنا به،

---

١ هي الآن مدينة السويس إحدى محافظات مصر.

٢ هي الآن مدينة المطرية بمحافظة الدقهلية بمصر.." (٢)

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٣٥٦/١

(٢) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٩١/١

"اعترض على القضاء والقدر!

قال ابن الجوزي: رأيت رجلا كبيرا أعرفه قد قارب الثمانين، وهو من أهل الدين المحافظين على الجماعة، فمات ولد لابنته، فقال: ما ينبغي لأحد أن يدعو فإنه ما يستجيب، ثم قال: إن عاندنا فما يترك لنا ولدا، فعلمت أن صلاته وفعله للخيرعادة، لا أنه ينشأ عن معرفة إيمان، وهؤلاء الذين يعبدون الله علىحرف.

ثم قال ابن الجوزي: حدثني خالي لعمي محمد بن عثمان قال: كنت مشدا بقرية التل، فسمعت عن شيخ قد جاوز الثمانين ولا يصلي، وقد كان قبل ذلك كثير الصلاة مع الجماعة وفعل الخير، ثم ترك ذلك، فدعوته وقلت: يا شيخ، لم لا تصلي؟ فقال: وكيف أصلي، وكان لي أولاد فماتوا، وكان لي غنم ففنيت؟ فأنا ما بقيت أصلي له ولا ركعة، فضربته، وطفت به البلد، فكان بعد ذلك يواظب على الجامع.

انتهى ما ذكره.

فلا شيء أنفع من العلم، لأن العالم، لو حصل له هلع شديد في مصيبته، يعلم أنها زلة منه، فيدري كيف يتنفس، والعابد الجاهل، كلما غاص إلى أسفل، يظن أنه صاعد إلى فوق.

فإذا امتحن الشخص، ينبغي له أن يتداوى بالأدوية الشرعية، فإنه يقال: عند الامتحان يكرم الشخص أو يهان، أما علم لابد من الفرقة؟ وقد روى داود، «عن الحسن بن جعفر، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال جبريل: يا محمد عش ما عشت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه» ، فنعوذ بالله من عدم الصبر عند المحنة، ونسأله الثبات في الأمر، فإنه والعياذ بالله يخاف على الشخص من **سوء الخاتمة** إذا سخط الأقدار.

ونازع القضاء والقدر أهله، فنسأل الله تعالى **حسن الخاتمة**." (١)

"أحدها: لأنه حي كما فصل تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ .

الثاني: لأن الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة.

الثالث: لأن الملائكة تشهده.

الرابع: لقيامه بشهادة الحق حتى قتل.

الخامس: لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل.

السادس: لأنه شهد لله بالوجود والإلهية بالفعل لما شهد غيره بالقول.

---

(١) تسلية أهل المصائب المنبجي ص/٢٦

السابع: لسقوطه بالأرض وهي الشاهد له.

الثامن: لأنه شهد له بوجوب الجنة.

التاسع: من أجل شاهده وهو دمه.

العاشر: لأنه شهد له بالإيمان **وحسن الخاتمة**.

فهذه عشر أقوال، من أماكن متفرقة، جمعت إليك رخيصة الأثمان، فهذه الأقوال في المخلص الذي قصد بجهاده وجه الله تعالى، والدار الآخرة، فإنه سبحانه وتعالى، إذا علم قصد العبد وإخلاصه، أعانه وأغاثه، قال تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي، في جزء الثبات عند الممات، في هذا المعنى، عن علي بن الموفق، قال: سمعت حاتم الأصم يقول: لقينا الترك وكان بيننا جولة، فرماني تركي بسهم فقلبني عن فرسي، فنزل عن دابته، فقعدعلى صدري، وأخذ بلحيتي، وأخرج من خفه سكينا ليذبحني، فوحق سيدي، ما كان قلبي عنده، ولا عند سكينه، وإنما كان قلبي عند سيدي، أنظر ماذا ينزل القضاء منه، فقلت: سيدي، قضيت علي أن يذبحني هذا؟ فعلى الرأس والعين، إنما أنا لك وملكك، فبينما أنا كذلك، وهو قاعد على صدري، إذا رماه بعض المسلمين بسهم،." (١)

"وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول عن معروف معه أصل العلم خشية الله: فأصل العلم بالله الذي يوجب خشيته ومحبته والقرب منه والأنس به والشوق إليه. ثم يتلوه العلم بأحكام الله وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد: فمن تحقق بهذين العلمين كان علمه علما نافعا وحصل له العلم النافع والقلب الخاشع والنفس القانعة والدعاء المسموع.

ومن فاته هذا العلم النافع وقع في الأربع التي استعاذ منها النبي صلي الله عليه وسلم وصار علمه وبالا وحجة عليه فلم ينتفع به لأنه لم يخشع قلبه لربه. ولم تشبع نفسه من الدنيا بل ازداد عليها حرصا ولها طلبا. ولم يسمع دعاؤه لعدم امتثاله لأوامر ربه. وعدم اجتنابه لما يسخطه ويكرهه.

هذا إن كان علمه علما يمكن الانتفاع به وهو المتلقى عن الكتاب والسنة. فإن كان متلقى من غير ذلك فهو غير نافع في نفسه ولا يمكن الانتفاع به بل ضره أكثر من نفعه. وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع أن يكسب صاحبه الزهو والفخر والخيلاء وطلب العلو والرفعة في الدنيا. والمنافسة فيها. وطلب مباهاة العلماء ومماراة السفهاء وصرف وجوه الناس إليه وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم) إن من طلب العلم لذلك فالنار النار (وربما ادعى بعض أصحاب هذه العلوم معرفة الله وطلبه والأعراض عما سواه وليس غرضهم

---

(١) تسلية أهل المصائب المنبجي ص/٢٣٠

بذلك إلا طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغرهم وإحسان ظنهم بهم وكثرة اتباعهم. والتعظم بذلك على الناس.

وعلامة ذلك إظهار دعوى الولاية كما كان يدعيه أهل الكتاب. وكما ادعاه القرامطة والباطنية ونحوهم. وهذا بخلاف ما كان عليه السلف من احتقار نفوسهم وازدرائها باطنا وظاهرا وقال عمرو من قال إنه عالم فهو جاهل ومن قال إنه مؤمن فهو كافر ومن قال هو في الجنة فهو في النار.

ومن علامات ذلك عدم قبول الحق والانقياد إليه والتكبر على من يقول الحق خصوصا إن كان دونهم في أعين الناس. والإصرار على الباطل خشية تفرق قلوب الناس عنهم بإظهار الرجوع إلى الحق وربما أظهروا بألسنتهم ذم أنفسهم واحتقارها على رؤوس الأشهاد ليعتقد الناس فيهم أنهم عند أنفسهم متواضعون فيمدحون بذلك وهو من دقائق أبواب الرياء كما نبه عليه التابعون فمن بعدهم من العلماء ويظهر منهم من قبول المدح واستجلابه مما ينافي الصدق والإخلاص فإن الصادق يخاف النفاق على نفسه ويخشى على نفسه من سوء الخاتمة فهو في شغل شاغل عن قبول المدح واستحسانه.

فلهذا كان من علامات أهل العلم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالا ولا مقاما ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبرون على أحد قال الحسن إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المواظب على عبادة ربه وفي رواية عنه قال الذي لا يحسد من فوقه ولا يسخر ممن دونه ولا يأخذ على علم علمه الله أجرا وهذا الكلام الأخير قد روي معناه عن ابن عمر من قوله وأهل العلم النافع كلما ازدادوا في هذا العلم ازدادوا تواضعا لله وخشية وانكسارا وذلا.

قال بعض السلف ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعا لربه فانه كلما ازداد علما بربه ومعرفة به ازداد منه خشية ومحبة وازداد له ذلا وانكسارا ومن علامات العلم النافع أنه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا وأعظمها الرئاسة والشهرة والمدح فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في مجانبته من علامات العلم النافع.

فإذا وقع شيء من ذلك من غير قصد واختيار كان صاحبه في خوف شديد من عاقبته بحيث أنه يخشى أن يكون مكرا واستدراجا كما كان الإمام أحمد يخاف ذلك على نفسه عند اشتهار اسمه وبعد صيته.

ومن علامات العلم النافع أن صاحبه لا يدعى العلم ولا يفخر به على أحد ولا ينسب غيره إلى الجهل إلا من خالف السنة وأهلها فإنه يتكلم فيه غضبا لله لا غضبا لنفسه ولا قصدا لرفعتها على أحد.

وأما من علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس وإظهار فضل علمه عليهم ونسبتهم إلى الجهل وتنقصهم ليرتفع بذلك عليهم وهذا من أقبح الخصال وأرداها.." (١)

"قوله (: " وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون ": المقصود من هذا الدعاء سلامة العبد من فتن الدنيا مدة حياته، فإن قدر الله عز وجل على عباده فتنة قبض عبده إليه قبل وقوعها، وهذا من أهم الأدعية فإن المؤمن إذا عاش سليما من الفتن ثم قبضه الله تعالى إليه قبل وقوعها وحصول الناس فيها كان في ذلك نجاة له من الشر كله، وقد أمر النبي (أصحابه أن يتعوذوا بالله من الفتن ما ظهر وما بطن. وفي حديث آخر: " وجنبنا الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن ". وكان يخص بعض الفتن العظيمة بالذكر، فكان يتعوذ بالله في صلاته من أربع، ويأمر بالتعوذ منها: " أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال ".

ففتنة المحيا تدخل فيها فتن الدين والدنيا كلها، كالكفر والبدع والفسوق والعصيان. وفتنة الممات يدخل فيها سوء الخاتمة وفتنة الملكين في القبر، فإن الناس يفتنون في قبورهم مثل أو قريبا من فتنة الدجال. ثم خص فتنة الدجال بالذكر لعظم موقعها، فإنه لم يكن في الدنيا فتنة قبل يوم القيامة أعظم منها، وكلما قرب الزمان من الساعة كثرت الفتن.

وفي حديث معاوية عن النبي (أنه قال: " إنه لم يبق من الدنيا إلا." (٢)

"وقيل: معناه: أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة. وقيل: غير ذلك مما فيه ضعف (١).

وأما رواية: "بعلها" فالصحيح في معناها: أن البعل هو السيد أو المالك، فيكون بمعنى ربها على ما سلف. قال أهل اللغة: بعل الشيء: ربه ومالكه (٢). قال تعالى: ﴿أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين (١٢٥)﴾ [الصافات: ١٢٥] أي: ربا؛ قاله ابن عباس والمفسرون (٣)، وقيل: المراد هنا: الزوج.

وعلى هذا معناه نحو ما سبق: أنه يكثر بيع السراري حتى يتزوج الإنسان أمه وهو لا يدري، وهذا أيضا معنى صحيح إلا أن الأول أظهر؛ لأنه إذا أمكن حمل الروايتين في القضية الواحدة على معنى واحد كان أولى.

ومع هذا فللقائل بأن المراد الزوج أن يقول: ليس في هذا ترجيح هنا؛ لأن المراد هنا بيان علامات من

---

(١) بيان فضل علم السلف على علم الخلف ابن رجب الحنبلي ص/٨

(٢) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ابن رجب الحنبلي ص/١١٨

علامات الساعة وهي غير منحصرة في هذا المذكور، فإن من جملتها: رفع العلم، وظهور الجهل، وظهور الزنا، وقلة الرجال، وكثرة النساء، وكثرة الهرج، وتوسيد الأمر إلى غير أهله، وغير ذلك مما تظاهرت عليه الأحاديث الصحيحة، وهذه العلامات قد وقع أكثرها وتزايدت. ونسأل الله **حسن الخاتمة**.

الثانية بعد العشرين: ليس في الحديث دلالة على إباحة بيع أمهات الأولاد، ولا منع بيعهن، وقد استدل به إمامان جليلان أحدهما: على

---

(١) انظر هذه الأقوال في "المفهم" ١/ ١٤٨.

(٢) انظر: "تهذيب اللغة" ١/ ٣٦٢.

(٣) انظر: "تفسير الطبري" ١/ ٥٢٠ - ٥٢١ (٢٩٥٧٠ - ٢٩٥٧١ - ٢٩٥٧٢ - ٢٩٥٧٣).." [١]

"وبالصعيد بقايا سحر قديم، حكى الأمير طقطبا والي قوص في أيام الناصر محمد بن قلاون قال: أمسكت امرأة ساحرة، فقلت لها: أريد أن أبصر شيئا من سحرك؟ فقالت:

أجود عملي أن أسحر العقرب على اسم شخص بعينه، فلا بد أن تقع عليه ويصيبه سمها، فتقتله. فقلت: أريني هذا واقصديني بسحرك؟ فأخذت عقربا وعملت ما أحبت، ثم أرسلت العقرب فتبعني! وأنا أتنحى عنه، وهو يقصدني فجلست على تخت وضعته على بركة ماء، فأقبل العقرب إلى ذلك الماء، وأخذ في التوصل إلي، فلم يطق ذلك، فمر إلى الحائط وصعد فيه، وأنا أشاهده، حتى وصل إلى السقف ومر فيه إلى أن صار فوقي وألقى نفسه صوبي، وسعى نحوي حتى قرب مني، فضربته فقتلته، ثم قتلت الساحرة أيضا.

وأرض الصعيد كثيرة المواشي من الضأن وغير ذلك لكثرة نتاجه، حتى أن الرأس الواحد من نعاج الضأن، يتولد عنه في عشر سنين، ألف وأربع وعشرون رأسا! وذلك بتقدير السلامة، وأن تلد كلها اناثا، وتلد مرة واحدة في كل سنة، ولا تلد في كل بطن غير رأس واحد، وإلا فإن ولدت في السنة مرتين، وكان في كل بطن رأسان تضاعف العدد، وتأمل حساب ما قلناه تجده صحيحا، وقد شوهد كثيرا أن من أغنام الصعيد، ما يلد في السنة ثلاث مرات ويلد في البطن الواحد، ثلاثة أرؤس.

وكانت الكثرة والغلبة ببلاد الصعيد لست قبائل، وهم: بنو هلال، وبلى، وجهينة، وقريش، ولواته، وبنو كلاب، وكان ينزل مع هؤلاء عدة قبائل سواهم من الأنصار، ومن مزينة، وبني دراج وبني كلاب وثعلبة وجذام.

وبلغ من عمارة الصعيد، أن الرجل في أيام الناصر، محمد بن قلاون، وما بعدها كان يمر من القاهرة إلى

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٣/١٨٠

أسوان، فلا يحتاج إلى نفقة، بل يجد بكل بلد وناحية، عدة دور للضيافة، إذا دخل دارا منها، أحضر لدابته علفها، وجيء له بما يليق به من الأكل ونحوه، وآل أمره الآن إلى أن لا يجد الرجل أحدا فيما بين القاهرة وأسوان يضيفه لضيق الحال، ثم تلاشى أمر بلاد الصعيد منذ سنة الشراقي في أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون سنة ست وسبعين وسبعمائة، وتزايد تلاشيه في أيام الظاهر برقوق لجور الولاة، ولم يزل في إدبار، إلى أن كانت سنة ست وثمانمائة، وشرقت مصر بقصور مد النيل، فدهي أهل الصعيد من ذلك بما لا يوصف، حتى أنه مات من مدينة قوص سبعة عشر ألف إنسان، وذلك كله سوى الطرحى على الطرقات، ومن لا يعرف من الغرباء ونحوهم، ثم دمر في أيام المؤيد شيخ، فلم يبق منه إلا رسوم تبذل الولاة الجهد في محوها، نسأل الله **حسن الخاتمة**." (١)

"نسأل الله تعالى

حسن الخاتمة

قال محققه: وكان الفراغ من تحقيق هذا السفر العظيم في السيرة النبوية، في ليلة النصف من شهر شعبان لسنه تسعة عشر ومائة وألف من هجرة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم، الموافق الثالث من ديسمبر سنة ثمان وتسعين وتسعمائة وألف من ميلاد المسيح عليه السلام.

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل الجليل ولو بكلمة طيبة، وأخص بالذكر كلا من:

* مكتب المحمدية لنظم المعلومات والميكروفيلم، الأستاذين: حسن النميسى وحسين النميسى حيث قاما بالإشراف على إخراج الكتاب في مراحله المختلفة.

* الأستاذة/ [أم الشيماء] هانم محمد على سعد، التي قامت بنسخ المخطوطة من الميكروفيلم، ثم معالجة تجارب الطبع، فجزاها الله تعالى عن السيرة النبوية خير الجزاء.

* الأستاذة/ نجوى محمد فراج، التي قامت بعمليات الجمع والتنسيق والطبع.

* دار الكتب العلمية بيروت لبنان، وعلى رأسها الأخ الكريم الأستاذ الفاضل/ محمد على بيضون، الذي لم يدخر جهدا ولا مالا في إبراز هذا الكتاب القيم، من غياهب المخطوطات إلى عالم المطبوعات، خدمة للسيرة النبوية، وإثراء للمكتبة العربية الإسلامية، تيسيرا على الباحثين من عباد الله في أرض الله. والحمد لله

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٣٥١

الذي بنعمته تتم الصالحات.

وبذلك أرجو أن أكون قد رددت الفضل إلى أهل الفضل، فإن ذلك من بركة العلم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون* وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين." (١)

"وفيه ورد الخبر بأنه خرج على الحاج بعد أن انفصلوا من المدينة ريح حارة وأعقبها سموم أضعفت الأبدان وأهلكت الجمال ومات منها من بني آدم عدد كثير، منهم القاضي محب الدين محمد بن أبي الحسن البكري نائب الحكم، وكان عارفا بالأحكام متثبتا في القضايا، وقورا عاقلا، كثير الاحتمال، مشاركا في الفقه ولم يشتغل في غيره وقد درس في المدرسة الخروبية بشاطئ النيل نحوا من عشر سنين، وكان قد توجه إلى الحجاز في الرجبية فجاور ثم رجع، وذكر لي من أثق به من أنه كان كثير الطواف وأنه واظب على خمسين أسبوعا في كل يوم، وهو من قدماء معارفنا وأهل الاختصاص بنا - فالله يعظم أجرنا فيه ويبدلنا به خير منه وقد غبطته بما اتفق له من **حسن الخاتمة** بالحج والمجاورة وزيارة الحضرة الشريفة النبوية والموت عقب ذلك في الغربة، وكانت وفاته بالينبع وصلى عليه هناك ودفن به، وقد جاوز السبعين بسنتين.

شهر ذي الحجة الحرام ،ختتام السنة أوله الثلاثاء بالرؤية - يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة بالرؤية، فيه استقر نور الدين علي بن أحمد ابن آقبرس في نظر الأوقاف عوضا عن تقي الدين بن عبد الرحمن - ابن تاج الدين عد الوهاب ابن ناصر الدين - بن نصر الله ابن أخي الصاحب بدر الدين - وكان تقي الدين استقر فيها بعد صلاح الدين ابن عمه، وكان عمه الصاحب بدر الدين إذ ذاك موعوكا فبلغه ذلك فشق عليه وشغله الضعف، ثم توجه للعافية واستمر نور الدين في الوظيفة.

وفي الثامن من ذي الحجة ورد الخبر بموت أقبغا التركماني في محبسه بسجن الكرك، وكان أحد الأمراء الكبار في الدولة الأشرفية، وولي النظر على الخانقاه الناصرية بسرياقوس؛ فذكر بعض الكبراء إن السلطان أمر كاتب السر أن يكتب إلى نائب الكرك بأن." (٢)

"خاتمة الطبع

قد تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الثالث من الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة بالطبعة الثانية يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٩٤ هـ = ١٣ أغسطس سنة ١٩٧٤ م تحت

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٦٢٩/١٤

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١٤٧/٤

مراقبة مدير الدائرة وعميدها أحد أعلام الهند من أولى الألباب أفضل العلماء بروفسور السيد عبد الوهاب البخارى أبقاه الله لخدمة العلم والدين

واعتنى بتصحيحه ثانيا والتعليق عليه ووضع الاستدراكات الملحقة بآخر الكتاب مواضعها فى المتن مصحح الدائرة الحافظ عزيز بيك كامل الفقه من الجامعة النظامية - حفظه الله تعالى وقد رمز فى الهامش إلى تصحيحه هذا بحرف ع كما رمز الى تصحيح المصحح الأول المستشرق المرحوم سالم كرنكو الألمانى بحرف ك

وعنى بتنقيحه خادم العلم والعلماء راقم هذه الخاتمة غفر الله له ولوالديه أو يليه الجزء الرابع إن شاء الله تعالى أوله وذكر من اسمه علي

وفى الختام ندعو الله سبحانه ان ينفعنا به ويوفقنا لما يحبه ويرضاه وهو المسؤل **لحسن الخاتمة** ونصلى ونسلم على من علم فواتح الخير وخواتمه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد رئيس قسم التصحيح من الدائرة المعارف العثمانية." (١)

"خاتمة الطبع

قد تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الرابع من الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة بالطبعة الثانية يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٥ = = ٥ \ يونيو سنة ١٩٧٥ م تحت مراقبة مدير الدائرة وعميدها أفضل العلماء بروفسور السيد عبد الوهاب البخارى - ابقاه الله لخدمة العلم والدين

وأعتنى بتصحيحه ثانيا والتعليق عليه ووضع الاستدراكات الملحقة بآخر الكتاب مواضعها فى المتن مصحح الدائرة سابقا الحافظ السيد خورشيد على كامل التفسير من الجامعة النظامية - حفظه الله تعالى وقد رمز فى الهامش إلى تصحيحه هذا بحرف خ كما رمز إلى تصحيح المصحح الأول المستشرق المرحوم سالم كرنكو الالمانى بحرف ك

وعنى بتنقيحه خادم العلم والعلماء راقم هذه الخاتمة - غفر الله له ولوالديه ويليه الجزء الخامس إن شاء الله تعالى أوله ذكر من اسمه محمد

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/٣

وفى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به ويوفقنا لما يحبه ويرضاه وهو المسؤل **لحسن الخاتمة** ونصلى ونسلم على من علم فواتح الخير وخواتمه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد رئيس قسم التصحيح من الدائرة المعارف العثمانية." (١)

"رمضان سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ودفن بسطح المزة، ونسأل الله تعالى **حسن الخاتمة** بمنه ويمنه، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه أجمعين، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، كتب فقير عفو الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عربشاه الحنفي سامحه الله تعالى في غرة شهر الله المبارك ذي الحجة الحرام عام ثلاث وخمسين وثمانمائة بالقاهرة المنصورة جعلها الله دار الإسلام إلى يوم القيامة بخانقاه سعيد السعداء، أقامه الله تعالى في زمرة الشهداء، والحمد لوليه، والصلاة على نبيه، وآله الطاهرين وأصحابه والتابعين والسلام.

من نظمه أيضا معمى:

وجهك الزاهي كبدر ... فوق غصن طلعا

واسمك الزاكي كمشكا ... ة سناها لمعا." (٢)

"الشاش، فلم تسمع؟ ما تموتين إلا نصرانية؛ فأخبرت أمها بذلك، فأخذتها، وأتت بها إلى الشيخ سراج الدين البلقيني، فحكت له ما جرى، فقال: قول النبي - صلى الله عليه وسلم - حكم، ولكن اذهبي إلى الكنيسة وصلي بها ركعتين، ثم أحضري حتى يتوسل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعل ذلك ينفعها؛ فتوجهت إلى الكنيسة وصلت، ثم خرت ميتة؛ فتركتها والدتها ومضت؛ فأخذتها النصارى ودفنوها عندهم. انتهى كلام العيني.

قلت: نسأل الله **حسن الخاتمة** بمنه وكرمه. وقد رأيت أنا هذا الشاش المذكور، كان على صفة الحلى التي تحلى به العروس، بل كان أكثر تعبا في تعديله، انتهى.

ودام الملك الظاهر في ملكه إلى أن قدم عليه البريد في تاسع عشر شوال سنة تسع وثمانين وسبعمائة بأن الأمير تمربغا الأفضلي المدعو منطاش نائب ملطية خامر ووافقه القاضي برهان الدين أحمد صاحب سيواس،

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٣٢٥/٤

(٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ١٤٤/٢

وقرأ محمد التركماني؛ فصار السلطان يأخذ في هذا الكلام ويعطي، ثم رسم لنواب البلاد الشامية بالتوجه لقتال منطاش.." (١)

"وكان شكلا تاما، ذا شيبة منورة، ووجه أحمر. وكان يميل إلى دين وخير، ويحب الفقراء وأهل الصلاح، وكان مثريا، وله عدة أملاك ودور معروفة به. رحمه الله تعالى.

الموفقي

بيبرس بن عبد الله الموفقي المنصوري. الأمير ركن الدين.

أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون الصالحي الألفي، وترقى إلى أن صار من جملة الأمراء بالقاهرة، ثم وقع حوادث نقل فيها أميرا بدمشق؛ فدام بها إلى أن مات في يوم الأربعاء ثالث عشرين جمادى الآخرة سنة أربع وسبعمائة، وصلى عليه ودفن، ثم ظهر بعد ذلك أن مماليكه خنقوه وهو نائم سكران، نسأل الله **حسن الخاتمة**.

الأتابكي

بيبرس بن عبد الله الظاهري الأتابكي، أحد مماليك الملك الظاهر برقوق وابن أخته.." (٢)

"إنه سم، لأنه كان أراد الخروج عن الطاعة، فعاجلته المنية، وقد تقدم ذكره مع خشداشه يلبغا العمرى الخاصكى وما وقع له معه في ترجمة الملك الناصر حسن وكيفية خروجه من الديار المصرية والقبض عليه فلا حاجة للإعادة هاهنا.

وتوفى الأتابك سيف الدين أسندمر بن عبد الله الناصرى صاحب الواقعة مع الملك الأشرف شعبان محبوسا بثغر الإسكندرية في شهر رمضان وقد تقدم أيضا ذكر واقعته مفصلا في ترجمة الملك الأشرف.

وتوفى الأمير سيف الدين قنق بن عبد الله العزى أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية على هيئة عجيبة؛ نسأل الله تعالى **حسن الخاتمة** بمحمد وآله. وخبره أنه كان قد عصى مع أسندمر الناصرى المقدم ذكره، ركب معه من جملة اليلبغاوية، فلما انكسرت اليلبغاوية ساق قنق هذا فرسه إلى بركة «١» الحبش ونزل بشاطئ البركة وبقى يشرب الماء ويستف الرمل إلى أن مات، فآنظر إلى هذا الجاهل وما فعل فى نفسه.

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٢٩١/٣

(٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٤٨١/٣

وتوفى السلطان الملك المنصور أحمد ابن الملك الصالح صالح ابن الملك المنصور غازى بن قرا أرسلان بن أرتق الأرتقى صاحب ماردين «٢» بها وقد جاوز الستين سنة من العمر وكانت مدة ملكه ثلاث سنن، وكان صاحب همة علية وحرمة سنية.

رحمه الله تعالى.

وتوفى الشاب الفاضل تاج الدين محمد بن السكرى- رحمه الله- وكان فاضلا عالما ودرس وبرع- رحمه الله- وفيه يقول ابن نباتة: [السريع]

سألته في خده قبلة ... فقال قولا ليس بالمنكر

عليك بالصبر ومن ذا الذي ... ينفعه الصبر عن السكرى." (١)

"فى عشر مجلدات، وشرح آخر في ستة أجزاء، وله: «رسالة في الحديث» وغير ذلك. رحمه الله تعالى.

وتوفى شيخ أهل الميقات ناصر الدين محمد بن الخطائى فى يوم الأربعاء ثالث عشرين شعبان وكان إماما في وقته.

وتوفى أيضا قرينه في علم الميقات شمس الدين محمد بن الغزولى في رابع شهر رجب. وكان أيضا من علماء هذا الشأن.

وتوفى ملك الغرب صاحب مدينة فاس وما والاها السلطان موسى ابن السلطان أبى عنان فارس بن أبى الحسن المرينى في جمادى الآخرة. وأقيم بعده المستنصر محمد بن أبى العباس أحمد المخلوع بن أبى سالم فلم يتم أمره وخلع بعد قليل. وأقيم الواثق محمد بن أبى الفضل ابن السلطان أبى الحسن، كل ذلك بتدبير «١» الوزير ابن مسعود وهو يوم ذاك صاحب أمر فاس.

وتوفى القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن الزركشى أمين الحكم فجاة بالقاهرة فى ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأول واتهم أنه سم نفسه، حتى مات لمال بقى عليه، فنسأل الله تعالى **حسن الخاتمة**.

وتوفى الأمير أحمد ابن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى جمادى الآخرة بمجلسه في قلعة الجبل بالحوش السلطانى.

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٠٣/١١

وتوفى قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن التقى الحنبلى قاضى قضاة الحنابلة بدمشق بها «٢» فى هذه السنة.." (١)

"إقطاع الأتابك آقبغا التمرازى، وصار بيننا وبينه مستحق أيتام آقبغا فى الإقطاع المذكور، فإذا به لا يحلل ولا يحرم، وعنده من الطمع وقلة الدين ما يقبح ذكره عن كائن من كان، هذا مع حدة زائدة وشراسة خلق وظلم زائد على حواشيه وخدمه، حتى أنه كان يضرب الواحد منهم نحو ألف عصاة على الذنب اليسير، ولم يكن له مهابة فى النفوس، لكونه كان من مماليك سودون الجلب، وأيضا من قرب عهده بالفقر، وخدم الأمراء، مع من كان عاصره من أكابر الأمراء الظاهرية البرقوقية ممن كان أكبر من أستاذه سودون الجلب، وأعظم فى النفوس- انتهى.

وتوفى الأمير سيف الدين قانى باى الجكمى حاجب حجاب حلب، على هيئة نسأل الله تعالى **حسن الخاتمة**، فى أواخر هذه السنة وكان من خبر موته أنه سكر ونام فى أيام الشتاء، وقد أوقد النار بين يديه على عادة الحلبيين وغيرهم فعظم الدخان عليه وعلى مملوكه فى البيت، وصارا من غلبة السكر لا يهتدى كل واحد «١» منهما إلى الخروج من باب الدار، من عظم الدخان وشدة السكر، فماتا على تلك الحالة؛ وكتب بذلك محضر وأرسل إلى السلطان [لئلا يتوهم خلافه] «٢» .

وكان أصل قانى باى هذا من مماليك الأمير جكم من عوض نائب حلب، ثم صار بعد موت الملك المؤيد شيخ خاصكيا، ودام على ذلك دهرا طويلا لا يلتفت إليه، إلى أن خلع عليه الملك الظاهر جقمق، باستقراره فى حجوبية حجاب حلب دفعة واحدة من الجندية؛ وعيب ذلك على الملك [١٨٧] الظاهر لكون قانى باى المذكور لم يكن من أعيان الخاصكية، ولا من المشاهير بالشجاعة والإقدام، ولا من العلماء «٣» ولا من العقلاء العارفين بفنون الفروسية، بل كان مهملا مسرفا على نفسه عاريا من كل علم وفن، ولم يدر «٤» أحد لأى معنى كان قدمه الملك الظاهر جقمق، فرحمه الله تعالى وسامحه على." (٢)

"وفيها توفى شمس الدين أحمد بن على بن هبة الله بن السديد الإسنائى خطيب إسنا «١» ونائب الحكم بها وبأدفو «٢» وقوص «٣» فى شهر رجب، وكانت قد انتهت إليه رياسة الصعيد، وبنى بقوص مدرسة، وكان قوى النفس كثير العطاء مهابا ممدوحا يبذل فى بقاء رياسته الآلاف الكثيرة، يقال إنه بذل فى نيابة الحكم بالصعيد مائتى «٤» ألف، وصادره الأمير كراى المنصورى وأخذ منه مائة وستين ألف

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣١٠/١١

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٥١١/١٥

درهم، فقدم القاهرة ومات بها.

وفيها توفى الأمير بيبرس الموفقى «٥» المنصورى أحد الأمراء بدمشق بها فى يوم الأربعاء ثالث عشر «٦» جمادى الآخرة مخنوقا وهو سكران. نسأل الله **حسن الخاتمة** بمنه وكرمه.." (١)

"سنة ثمان وأربعين وثمانمائة

استهلت والولاة على حالهم والأسعار متوسطة وسعر الدينار الذهب مائتا درهم وخمسة وثمانون درهما في الصرف وتسعون في المعاملة والأفرنتي بأنقص من الأشرفي خمسة دراهم في الجالبين والمثقال الذهب بثلاثمائة وخمسة وثلاثين والدرهم من الفضة بأربعة وعشرين من الفلوس والدرهم من الفلوس بثمانية أعداد مخلوطة بالنحاس وغيره وكان سعر القمح في وسط السنة الماضية بثلاثمائة الإردب وهو الآن بمائتين فما دونها وبقية الأسعار رخيصة غير أن الطاعون كان ابتدأ في أوائل ذي الحجة من السنة الخالية وفشا الآن في أوائل هذه فنسأل الله **حسن الخاتمة**." (٢)

"الحافظ الحجة أبو الفرج ابن الجوزي في المنتظم من القدح في الدين، وأيضا ما ذكره عنه الإمام الناقد البارع [شمس الدين] يوسف بن قزاغلي في تاريخه ((مرآة الزمان)) ما نقله عنه من العظائم في دينه ودنياه. نسأل الله السلامة في الدين **وحسن الخاتمة**. إنتهى.

وقد خرجنا عن المقصود، ولنعود إلى ذكر الرشيد ووفاته.

ولما كانت سنة ثلاث وتسعين ومائة خرج الرشيد إلى الغزو؛ فأدركته المنية بطوس - من أعمال خراسان - في ثالث جمادى الآخرة [من] سنة ثلاث وتسعين المذكورة، وصلى عليه ابنه صالح.

ودفن بطوس وله خمس وأربعين سنة. [وتخلف بعده ابنه الأمين محمد ابن زبيدة] .

وكانت [خلافة الرشيد] ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وخمسة عشر يوما،." (٣)

"عباس وجماعة: معنى «لرفعناه» لشرفنا/ ذكره، ورفعنا منزلته لدينا بهذه الآيات «١» التي آتيناه، ولكنه أخلد إلى الأرض، أي: تقاعس إلى الحضيض الأسفل الأخس من شهوات الدنيا ولذاتها وذلك أن الأرض وما ارتكن فيها: هي الدنيا وكل ما عليها فان، ومن أخلد إلى الفاني، فقد حرم حظ الآخرة الباقية. ت: قال الهروي: قوله: أخلد إلى الأرض: معناه: سكن إلى لذاتها، واتبع هواه، يقال: أخلد إلى كذا، أي:

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٨/٢١٦

(٢) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ابن تغري بردي ١/١٠٣

(٣) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ابن تغري بردي ١/١٣٦

ركن إليه واطمأن به. انتهى.

قال عبد الحق الإشبيلي رحمه الله في «العاقبة» : واعلم رحمك الله أن **لسوء الخاتمة** أعاذنا الله منها أسبابا، ولها طرق وأبواب، أعظمها: الإكباب على الدنيا، والإعراض عن الآخرة، وقد سمعت بقصة بلعام بن باعوراء، وما كان آتاه الله تعالى من آياته وأطلعه عليه من بيناته وما أراه من عجائب ملكوته، أخلد إلى الأرض، واتبع هواه فسلبه الله سبحانه جميع ما كان أعطاه وتركه مع من استماله و أغواه. انتهى.

وقوله: فمثله كمثل الكلب، شبه به في أنه كان ضالا قبل أن يؤتى الآيات، ثم أوتيها، فكان أيضا ضالا لم تنفعه، فهو كالكلب في أنه لا يفارق اللهث في كل حال هذا قول الجمهور.

وقال السدي وغيره: إن هذا الرجل عوقب في الدنيا، فإنه كان يلهث كما يلهث الكلب، فشبه به صورة «٢» وهيئة، وذكر الطبري، عن ابن عباس أن معنى: إن تحمل عليه: إن تطرده «٣» .

وقوله: ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، أي: هذا المثل، يا محمد، مثل هؤلاء الذين كانوا ضالين قبل أن تأتيهم بالهدى والرسالة، ثم جئتهم بها، فبقوا على ضلالتهم، ولم ينتفعوا بذلك، فمثلهم كمثل الكلب.

وقوله: فاقصص القصص، أي: اسرد عليهم ما يعلمون أنه من الغيوب التي لا يعلمها إلا أهل الكتب الماضية ولست منهم لعلهم يتفكرون في ذلك فيؤمنوا.

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ١٢٥) برقم: (١٥٤٣٦) ، وذكره ابن عطية (٢/ ٤٧٨) ، والبغوي (٢/ ٢١٥-٢١٦) بنحوه، والسيوطي (٣/ ٢٦٧) بنحوه، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري (٦/ ١٢٨) برقم: (١٥٤٥٢) بنحوه، وذكره ابن عطية (٢/ ٤٧٨) .

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ١٢٧) برقم: (١٥٤٤٩) بنحوه، وذكره ابن عطية (٢/ ٤٧٨) .." [1]

"وقوله: عالم الغيب المعنى: هو عالم الغيب، وقرأ أبو عمرو «١» وغيره: «عالم» بالجر اتباعا للمكتوبة.

وقوله سبحانه: قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين أمر الله تعالى نبيه- عليه السلام- أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظلمة إن كان قضي أن يرى ذلك، و «إن» شرطية و «ما» زائدة و «تريني» جزم بالشرط لزمته النون الثقيلة وهي لا تفارق، «أما» عند المبرد، ويجوز عند سيبويه أن تفارق، ولكن استعمال القرآن لزومها، فمن هنالك ألزمه المبرد، وهذا الدعاء فيه استصحاب الخشية والتحذير

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣/٩٥

من الأمر المعذب من أجله، ثم نظيره لسائر الأمة دعاء في **حسن الخاتمة**، وقوله ثانيا: «رب» اعتراض بين الشرط وجوابه.

وقوله سبحانه: ادفع بالتي هي أحسن السيئة أمر بالصفح ومكارم الأخلاق، وما كان منها لهذا فهو محكم باق في الأمة أبدا، وما كان بمعنى الموادعة فمنسوخ بآية القتال.

وقوله: نحن أعلم بما يصفون يقتضي أنها آية موادعة.

وقال مجاهد «٢» : الدفع بالتي هي أحسن: هو السلام، تسلم عليه إذا لقيته.

وقال الحسن «٣» : والله لا يصيبها/ أحد حتى يكظم غيظه، ويصفح عما يكره، وفي ٣٣ ب الآية عدة للنبي صلى الله عليه وسلم، أي: اشتغل أنت بهذا وكل أمرهم إلينا، ثم أمره سبحانه بالتعوذ من همزات الشياطين، وهي سورات الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه وكأنها هي التي كانت تصيب المؤمنين مع الكفار فتقع المجادلة، ولذلك اتصلت بهذه الآية، وقال ابن زيد:

همز الشيطان: الجنون «٤» ، وفي «مصنف أبي داود» : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان: همزه، ونفخه، ونفثه» «٥» . قال أبو داود: همزه: الموتة، ونفخه:

---

(١) وقرأ بها ابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم.

ينظر: «السبعة» (٤٤٧) ، و «الحجة» (٥/ ٣٠١) ، و «إعراب القراءات» (٢/ ٩٤) ، و «معاني القراءات» (٢/ ٥٩١) ، و «شرح الطيبة» (٥/ ٧٩) ، و «شرح شعلة» (٥٠٩) و «حجة القراءات» (٤٩١) ، و «إتحاف» (٢/ ٢٨٧) .

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤١) رقم (٢٥٦٤٥) ، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥٥) .

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤١) رقم (٢٥٦٤٧) ، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥٥) .

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤٢) برقم (٢٥٦٤٨) ، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥٥) ، والسيوطي (٥/ ٢٨) ، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٥) أخرجه أبو داود (١/ ٢٦٢- ٢٦٣) كتاب الصلاة: باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، حديث (٧٦٤) ، وابن ماجه (١/ ٢٦٥) كتاب الصلاة: باب الاستعاذة في الصلاة، حديث (٨٠٧) ، وأحمد (٤/ ٨٥) من حديث جبير بن مطعم.." (١)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/١٦١

"أسلم يا راحة العليل ... ويا شفاء الدنف «١» النخيل

رضاك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق..... «٢»

فقلت له: اتق الله. قال: قد كان.

فقمت عنه فما تجاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت.

[المؤذن وجارته النصرانية] :

ويروى أنه كان بمصر رجل يلزم مسجدا للأذان والصلاة وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة، فرقى يوما المنارة على عادته للأذان وكان ملاصق المنارة دار لنصراني فاطلع عليها فرأى أن صاحب الدار.... «٣» بها، فترك الأذان [و] نزل إليها ودخل الدار عليها فقالت له: ما شأنك وما تريد، قال: أريدك. قالت: لماذا، قال: قد سبيت لبي وأخذت بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة. قال أتزوجك. قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية، وأبي لا يزوجني منك قال لها: أتنصر. قالت: إن فعلت أفعل.

فتنصر الرجل ليتزوجها. فأقام معهم في الدار. فلما في أثناء ذلك اليوم. رقى إلى السطح كأن في الدار فسقط منه ومات، فلم يظفر بها، وفاته دينه. أسأل الله **حسن الخاتمة**. اللهم نعوذ بك من الحور بعد الكور.

وقال هذا العاشق الخبيث:

يترشفن من فمي رشفات ... هن أحلى فيه من التوحيد»." (١)

"للمسلمين في غزوة الاسلام وأول قتال الملائكة عليهم أفضل الصلاة والسلام وفض عناد قلوب المشركين صدمتها حتى ورد في صحيح البخاري انه لم يظهر عبد الله بن أبى ومن معه من المنافقين الاسلام تقية الا بعدها وتظاهرت نصوص الكتاب والسنة على فضلها وعظم موقعها وفضل شاهديها ومزاياهم على بقية الصحابة والله أعلم.

[مطلب فى خبر حاطب بن أبي بلتعة ومكاتبة لمشركي قريش]

من ذلك قصة حاطب بن أبى بلتعة حيث كتب الى أهل مكة ينذرهم بمسير النبى صلى الله عليه وآله وسلم عام الفتح فاستأذن عمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ضرب عنقه فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم أليس هو من أهل بدر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم فدمعت عين عمر وقال الله ورسوله أعلم. وعن أنس قال أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام

---

(١) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ٣٣٢/٢

فجاءت أمه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد عرفت (وأول قتال الملائكة عليهم الصلاة والسلام) قال السبكى سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع ان جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه فقلت وقع ذلك لارادة أن يكون الفعل للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الاسباب التي أجراها الله في عباده والله تعالى فاعل الجميع (وفض) بالفاء والمعجمة أى كسر (قلوب) مفعول (صدمتها) فاعل (تقية) بفتح الفوقية وكسر القاف وتشديد التحتية أى خوفا (قصة حاطب) بالمهملتين (ابن أبى بلتعة) بفتح الموحدة والفوقية والمهملة واسكان اللام. قال ابن عبد البر واسم أبي بلتعة عمرو بن راشد بن معاذ اللخمى وكان حاطب حليفا لقريش ويقال انه من مذحج وقيل هو حليف الزبير بن العوام وقيل بل كان عبدا لعبد الله بن جميل شهد بدرا والحديبية مات سنة ثلاثين بالمدينة وهو ابن خمس وستين سنة وصلى عليه عثمان (حيث كتب الي أهل مكة) ستأتي قصته ان شاء الله تعالى (لعل) حرف ترج وهو هنا واجب وللحاكم من حديث أبى هريرة ان الله اطلع (اعملوا ما شئتم) فقد سبقت لكم العناية ومن سبقت له العناية لا تضره الجناية فبشرهم **بحسن الخاتمة** وكان الامر كذلك فلم يمت أحد منهم بحمد الله الا على أعمال أهل الجنة تحقيقا لقوله (فقد وجبت لكم الجنة) وقد ثبت أنه لم يشهدها الا مؤمن كما أنه لم يجاوز النهر مع طالوت الا مؤمن (فقد غفرت لكم) قال العلماء معناه الغفران لهم في الآخرة والا فلو توجه على أحد منهم حد أقيم عليه في الدنيا كما نقل عياض الاجماع عليه وضرب النبى صلى الله عليه وآله وسلم مسطحا الحد وكان بدريا وأقامه عمر أيضا على بعضهم (فدمعت عينا عمر) يحتمل أن يكون ذلك فرحا وأن يكون ذلك حزنا على مبادرته (حارثة) بالمهملة والمثلثة هو ابن سراقة الانصاري استشهد يوم حنين كما سيأتي (وهو غلام) ليس المراد أنه صبي بل العرب تطلق لفظ الغلام على غيره توسعا (أمه) هى الربيع بالتصغير بنت النضر بن أنس بن مالك وأخت أنس بن النضر (قد عرفت) بتاء الخطاب." (١)

"أو من الناس فقلت ولى فاستغفر فقال اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما قال أبو بردة احداهما لابى عامر والأخرى لابى موسى. وروي ابن هشام عمن يثق به من أهل العلم ان أبا عامر الاشعري لقى يوم أوطاس عشرة أخوة من المشركين فحمل عليه احدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ثم كذلك واحدا بعد واحد حتى قتل تسعة وبقي العاشر فحمل على أبى عامر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام ويقول اللهم أشهد عليه

---

(١) بهجة المحافل وبغية الأماثل العامري الحرضي ١٨٨/١

فقال الرجل اللهم لا تشهد كما رواه البخارى والنسائي عن ابن عمرو في كسوف الشمس كما رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن عبد الرحمن بن سمرة وعلى الصفا يوم فتح مكة كما رواه مسلم وأبو داود عن أبى هريرة وفي البقيع اذ جاء جبريل فقال ان ربك يأمرك ان تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم ففيه ثم رفع يديه ثلاث مرات كما رواه البخارى ومسلم والنسائي وابن ماجه عن عائشة وفي حديث صاحب الطفيل بن عمرو الذي قطع براجمه فشخبت حتى مات ففيه انه صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم وليديه فاغفر كما رواه مسلم والبخاري في كتاب رفع اليدين وابن حبان في صحيحه عن جابر وفي قوله اللهم أمتي أمتي وبكى رفع يديه كما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص وفي دعائه لسعد بن عبادة يوم زاره في منزله كما رواه أبو داود والنسائي عن قيس بن سعد ويوم شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر كما رواه أبو داود والحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه عن عائشة وعند عزوراء بين مكة والمدينة كما رواه أبو داود عن سعد بن أبي وقاص وفي مرض موته وهو يدعو لاسامة كما رواه الترمذي وحسنه عن أسامة وفي مرض موته رفع يديه يقول اللهم لا تمتني حتى تريني عليا وكان علي غائبا رواه الترمذي وحسنه عن أم عطية وفي استسقائه عند أحجار الزيت قريبا من الزوراء كما رواه البخاري في كتاب رفع اليدين وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان في صحيحه عن عمير مولى آبي اللحم وفي قوله صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر أيما رجل من المؤمنين آذيته الى آخره كما رواه البخاري في كتاب رفع اليدين عن عائشة وفي حديث الوليد لما شكته امرأته رفع يديه وقال اللهم عليك بالوليد كما رواه البخاري في كتاب رفع اليدين عن علي وفي غزوة تبوك لما أصابهم العطش رفع يديه فلم يرجعهما حتى حالت السماء كما رواه الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عباس وفي دعائه لاهل بيته كما رواه الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن جعفر وفي دعائه لعائشة كما سيأتي ذكره المحب الطبري في الخلاصة (من خلقك أو من الناس) شك من الراوي (اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه) فيه جواز الدعاء بالمغفرة للحي ليضمنها الدعاء له **بحسن الخاتمة** وفي جوازها لعموم المسلمين خلاف والاصح كما قاله ابن عبد السلام الجواز نعم يكره ذلك لجميع الخلق اذ يدخل فيه المخلدون في النار (مدخلا كريما) بضم الميم وفتحها (قال أبو بردة) هو ابن أبي موسى واسمه الحارث وقيل عامر." (١)

"رواه مسلم ومنه اللهم انى اعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم انى اعوذ بك من المأثم والمغرم رواه الشيخان. وفي سنن ابو داود باسناد

---

(١) بهجة المحافل وبغية الأماثل العامري الحرضي ١/٤٢٧

صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل كيف تقول في الصلاة قال أتشهد واقول اللهم انى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أما انى لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال النبى صلى الله عليه وسلم حولها يدندون* قال العلماء وهذا كله في التشهد الآخر اما الاول فيكره فيه الدعاء لانه مبني على التخفيف قالوا ويسن أن لا يزيد الدعاء على قدر التشهد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم.

(فصل) ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد التشهد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مرتين يلتفت في الاولى على جانبه الأيمن حتى يرى خده الايمن وكذا في الجانب الايسر وبه يخرج من الصلاة وعلى هذا لازم واستمر عمله عليه حتى توفاه الله. ورواه عنه العدد الكثير من الصحابة وعليه واظبوا. ثم ان مذهب الشافعي انه لا يجب الا تسليمة واحدة والثانية سنة وعنده أيضا ان الالتفات الى الجانبين مسنون غير واجب وقال مالك وآخرون تسن تسليمة واحدة* وقال أبو حنيفة لا يجب السلام وعنده يحصل التحلل من الصلاة بكل شيء كقول الشخص اللهم ان فعلت ذنبا فاغفره لى فلا يحتاج الي تأويل (رواه مسلم) وابو داود والترمذي والنسائي عن أنس عن على (فتنة المحيا) ما يعرض للانسان في حياته من الفتنة بالدنيا والشهوات والجهالات وأعظمها أمر الخاتمة عند الموت اعاذنا الله من **سوء الخاتمة** بمنه وكرمه (و) فتنة (الممات) أي الفتنة عند الممات أو فتنة القبر احتمالان (المأثم) هو الاثم (والمغرم) هو الدين (رواه الشيخان) وأبو داود والنسائي عن عائشة وللنسائي فقالت له عائشة ما أكثر ما تستعيذ من المغرم فقال ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلف وهو في غير رواية النسائي مع ابهام السائل قال السيوطى سر دعائه صلى الله عليه وسلم بذلك تعليم أمته وسلوك طريق التواضع واظهار العبودية والتزام خوف الله تعالى واعظامه والافتقار اليه والرغبة (وفي سنن أبى داود باسناد صحيح) عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وروى الحديث ابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن أبى صالح عن أبي هريرة (قال لرجل) قال الخطيب هو سليم الانصاري السلمي (دندنتك) بفتح الدال المهملة المكررة والنون الثانية والفوقية وبين الدالين نون ساكنة قال الهروى قال أبو عبيد هو أن يتكلم الرجل بالكلام يسمع نغمته ولا يفهم وهو مثل الهينمة والهيلمة الا انها ارفع قليلا منها حولها أى حول هذه الدعوة (خاتمة) من اذكار التشهد اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم أخرجه الشيخان والترمذي والنسائى وابن ماجه عن أبى بكر." (١)

(١) بهجة المحافل وبغية الأماثل العامري الحرضي ٢/٣٣٣

"التعريف بالعادات النبوية في الصلوات وما أهمل الناس فيها فهي من السنن المأثورات.

[فصل أذكر فيه أنواعا من الصلوات وأقدم عليه فيما اتفق عليه الشيخان]

(فصل) اذكر فيه أنواعا من الصلوات وأقدم عليه ذكر شيء من رواياته المكتوبات فمنه ما اتفق عليه الشيخان انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى ركعتين خفيفتين قبل الفجر وركعتين قبل الظهر وكذا بعدهما وركعتين بعد المغرب والعشاء والجمعة. وروى البخارى عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان لا يدع أربعا قبل الظهر. وروى مسلم عنها انه كان يصليهن في بيته وروى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم كان يصليهن وقال انها ساعة تفتح فيها أبواب السموات وأحب ان يصعد لى فيها عمل صالح. وروى غيره انهن يعدلن بصلاة السحر وانهن ليس بينهن تسليم. وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار رواه الترمذي والحاكم وصححه. وروي الترمذى وحسنه انه صلى الله عظيما (التعريف) بالرفع خبر الذي (خاتمة) أخرج العقيلى بسند فيه ضعف عن أبى سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة قال ثلاث مرات سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين واخرج أبو داود والنسائي عن زيد بن أرقم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في دبر الصلاة اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد انك الرب وحدك لا شريك لك اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد ان محمدا صلى الله عليه وسلم عبدك ورسولك أنا شهيد ان العباد كلهم اخوة اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلنى مخلصا لك وأهلى في كل ساعة في الدنيا والآخرة يا ذا الجلال والاكرام اسمع واجب الله الاكبر الاكبر الاكبر الله نور السموات والارض الله الاكبر الاكبر الاكبر حسبى الله ونعم الوكيل الله الاكبر الاكبر الاكبر وأخرج النسائي والحاكم في المستدرك بسند صحيح على شرط مسلم عن أبى بكرة انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر الصلاة اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر واخرج الحاكم في المستدرك عن أبي أيوب الانصارى قال ما صليت وراء نبيكم صلى الله عليه وسلم الا سمعته حين ينصرف من صلاته يقول اللهم اغفر لى خطاياي وذنوبي كلها اللهم العشنى واحيني وارزقني واهدنى لصالح الاعمال والاخلاق انه لا يهدى لصالحها ولا يصرف سيئها الا أنت.

(فصل) في ذكر أنواع من الصلوات (ما اتفق عليه الشيخان) عن ابن عمر وأخرجه عنه أيضا مالك وأبو داود والنسائى (والجمعة) في رواية وكان لا يصلى بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلى ركعتين في بيته (وروى البخاري عن عائشة) أخرجه عنها أبو داود والترمذي (أربعا قبل الظهر) تتمته وركعتين قبل الغداة (وروي غيره انهن يعدلن بصلاة السحر) أخرجه الطبراني في الاوسط عن أنس بلفظ أربع قبل الظهر كعدلهن بعد العشاء

وأربع بعد العشاء كعدلهن من ليلة القدر (وانهن ليس بينهن تسليم) أخرجه أبو داود والترمذى في الشمائل وابن ماجه وابن خزيمة عن أبي أيوب (حرمه الله على النار) أي لا يدخلها أبدا فان دخلها لم يخلد ففي ذلك بشارة له **بحسن الخاتمة** (رواه) أبو داود و (الترمذي) والنسائى وابن ماجه (والحاكم)." (١)

"حال الله أكبر كبيرا كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن كنت أمرتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وأعذني من النار كما أعذت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى فإن مت في مرضك ذلك فإلى رضوان الله والجنة وإن كنت قد اقترفت ذنبا تاب الله عليك رواه ابن أبي الدنيا ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على أحد صحابته يعوده فقال قل اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى سعة رحمتك فإنك تعطي إحداهن وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنين المريض تسبيح وصياحه تهليل ونفسه صدقة ونومه على فراشه عبادة وتقلبه من جنب إلى جنب كأنما يقاتل العدو في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من مريض يقول سبحان الله الملك القدوس الرحمن الديان لا إله إلا أنت مسكن العروق الضاربة ومنيم العيون الساهرة إلا شفاه الله تعالى رواه ابن أبي الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أيما مسلم دعا في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطاه الله أجر شهيد وإن برأ غفر الله له جميع ذنوبه رواه الحاكم وقال

النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه الله فقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد يقول الله لا إله إلا أنا إلي الملك ولي الحمد وإذا قال لا إله إلا الله لا حول ولا قوة إلا بالله قال الله لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي وكان يقول من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار رواه الترمذي وقال حديث حسن.. السابعة جاء في الصحيحين أن امرأة قال البرماوي في شرح البخاري وهي أم مبشر بتشديد الشين المعجمة وقال الإمام أحمد هي أم سليم ووافقه الطبراني في الكبير لكنه في الأوسط أنها أم أيمن قالت يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا يوما من نفسك نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله فأتاهن فعلمهن مما علمه الله قال ما منكن امرأة تقدم بين يليها ثلاثة من ولدها إلا كانوا لها حجابا من النار قالت امرأة واثنين قال واثنين ونسينا أن نسأله عن الواحد وقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة قالت عائشة رضي الله عنها فمن كان له فرطا من

---

(١) بهجة المحافل وبغية الأماثل العامري الحرضي ٣٣٧/٢

أمتك قال ومن كان له فرط من أمتي بالموافقة قالت فمن لم يكن له فرط من أمتك قال فأنا فرط أمتي لن يصابوا بمثلي.. الثامنة مات ولد لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فأوحى الله إليه ما كان يعدل هذا الولد عندك قال يا رب كان عندي ملء الأرض ثوابا قال لك عنمي يوم القيامة ملء الأرض ثوابا وقال داود عليه السلام رأيت في المنام كأني دخلت الجنة فرأيت صبيانا يلعبون بالتفاح ورأيت واحدا ما وحده مغموما فسألت عنه فقالوا ببكاء أهله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد قال بعضهم وفيه دليل على **حسن الخاتمة**." (١)

"ويشارك بهائم الطير وهي التي تأكل الحب وتشارك سباعها وهي التي تأكل اللحم فهو يأكل الحب والجراد ولا يعيق أكثر من سنة لكثرة جماعة ولحم القنبر ينفع من القولنج وحبس البطن والفالج والإكتحال بزبل العصافير الدورية يجلو بياض العين ... فائدتان.. الأولى: خلق الله تعالى ملكا له ألف رأس في كل رأس ألف وجه في كل وجه ألف فم في كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى فقال يوما يا رب خلقت خلقا أعبد لك مني قال نعم خلقت رجلا من بني آدم فاستأذن في زيارته فأذن له فلم يجده يزيد على الفرض فقال هل لك من عمل غير هذا قال نعم أذكر أسماء الله الحسنى كل يوم صلاة الصبح عشر مرات قال القرطبي سميت بالحسنى لما فيها من التعظيم والثواب قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحصاها أي حفظها دخل الجنة أو لحس سماعها في القلوب وقال أيضا يدعو كل اسم بما يناسبه كيا رحيم ارحمني ويا رزاق ارزقني ورأيت في كشف الأسرار لابن العماد عن النبي صلى الله عليه وسلم يسلط الله على الكافر تسعا وتسعين تنينا لو نفخ تنين منها على الأرض لما أنبتت خضرا والحكمة في التسعة والتسعين لأنه كفر بأسماء الله وهي تسع وتسعون.. الثانية: نقل أبو السعادات رضي الله عنه أن الله تعالى خلق ملكا له أربعمائة ألف رأس في كل رأس أربعمائة ألف وجه في كل وجه أربعمائة ألف فم في كل فم أربعمائة ألف لسان لكل لسان لغة لا تشبهها الأخرى فقال يا رب هل خلقت أحدا أكثر لك مني ذكرا قال نعم عبدي يوشع بن نون فاستأذن في زيارته فأن له فسأله عن ذكره فقال أقول إذا أصبحت عشر مرات وإذا أمسيت عشر مرات سبحان الله وبحمده عدد ما سجد به خلقه وأضعاف ذلك كله حتى يرضى ربنا وكما ينبغي لكريم وجهه عز جلاله وعظم ربوبيته وكما هو له أهل وأهلله كذلك وأحمده كذلك وأشكره كذلك ... حكاية: كان ببلاد الكفر راهبان يخدمهما أسير مسلم وكان كثير التلاوة للقرآن فحفظا منه آيتين: الأولى

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ٧٢/١

واسألوا الله من فضله الثانية وقال ربكم ادعوني أستجب لكم فأكلا طعاما في بعض الأيام فغص أحدهما بلقمة فناوله الأسير خمرا فلم ينتفع به فقال في نفسه يا رب قلت واسألوا الله من فضله وأنت قلت أدعوني أستجب لكم فإن كان حقا فاسقني فخرج ماء من صخرة فشرب منه فذهبت غصته فكان ذلك سببا لإسلامهما وأما الأسير فإنه مات كافرا نعوذ بالله من **سوء الخاتمة** ... حكاية: كان رجل يتجر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فرآه لص فأراد قتله فقال خذ المال ودعني فقال لابد من قتلك قال أمهلني حتى اصلي ركعتين فلما فرغ منهما رفع يديه وقال يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما تريد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني ثلاث مرات فنزل ملك وقتل اللص وقال للتاجر اعلم أني من ملائكة السماء الثالثة ولما قلت يا مغيث أغثني سمعنا لأبواب السماء قعقعة في الثانية فتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار وفي الثالثة نزل جبريل وقال من لهذا المكروب فقلت أنا.. واعلم يا عبد الله أن من دعا بها في كروبه فرج الله عنه ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم." (١)

"في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه نوبة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فظهرت له يد النبي صلى الله عليه وسلم فقبلها ولا إنكار في ذلك فإن إنكار ذلك يؤدي إلى **سوء الخاتمة** والعياذ بالله وإن كرامات الأولياء حق والنبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره سميع بصير منعم في قبره وقال بعضهم بلغنا أن من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ هذه الآية إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية ثم قال صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة ويستحب لمن زاره أن يصلي بين القبر الشريف والمنبر فإنها روضة من رياض الجنة قيل معناه البقعة تستحق روضة من الجنة وقيل أن تلك البقعة بعينها تكون في الجنة يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة في مسجدي بألف صلاة والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة رواه الطبراني وقد صرح بعض العلماء بأن المشي إلى قبره صلى الله عليه وسلم أفضل من المشي إلى الكعبة لأن البقعة التي ضمت أعضاءه الطاهرة أفضل من العرش والكرسي وكيف لا وقد رفع الله تعالى ذكره وقرن إسمه مع إسمه وكتبه في كل موضع من الجنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها وقال النبي صلى الله

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ١/٨٩

عليه وسلم ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن جعفر بن محمد عن أبيه إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من إسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم ... قال في الشفاء أن الله تعالى حمى إسم محمد وأحمد أن يسمي بهما غيره قبل زمانه فلما قرب زمانه سمي جماعة من العرب أبناءهم بمحمد طمعا في أن يكون أحدهم هو قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات أول من سمي في الإسلام محمد بن حاطب فهو صحابي ابن صحابي ابن صحابية رضي الله عنهم وأبو حاطب أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس صاحب الإسكندرية فقال له صاحبكم نبي قال نعم قال فلم لا يدعو على قومه فقال ما بال عيسى لم يدع على قومه فقال له أحسنت أنت حكيم جئت من عند حكيم وأعطاه هدية منها مارية وأختها سيرين بالسين المهملة فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم مارية لنفسه وزوج أختها لحسان بن ثابت رضي الله عنه ثم قال أيضا في تهذيب الأسماء واللغات ولم يسم أحد بأحمد بعد نبينا صلى الله عليه وسلم قبل أحمد بن الخليل بالبصرة عام سبعين ومائة والله اعلم.

باب في فضل الجهاد

قال الله تعالى " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " الآية قال ابن عباس رضي الله عنه قال عبد الله بن رواحة لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه فنزل الجهاد فكرهوه فنزل قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما نزل قوله جل ذكره هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم فقالوا لو نعلم ما هي لاشتريناها بالأرواح." (١)

"من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال إن السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال إن الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه ثم قال إن الجمعة لكثيرة من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال إن اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال إن الساعة لكثير من تاب قبل أن يغرغر تاب الله عليه.. الخامسة: تفكر إبراهيم عليه السلام في أمر آدم عليه السلام وقال يا رب خلقته ونفخت فيه من روحك واسجدت له ملائكتك وأسكنته الجنة بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من الجنة فأوحى الله إليه يا إبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب لحبيبه أمر شديد.. السادسة لما عصى آدم بكى عليه كل شيء في الجنة إلا الذهب والفضة فأوحى الله إليهما ما

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ١/١٩٠

لكما لا تبكيان على آدم فقال كيف نبكي على من خالف أمرك وعزتي وجلالي لأجعلكما قيمة كل شيء ولأجعلن بني آدم خدما لكما فإن قيل كيف حرم الله أجساد الأنبياء على الأرض فالجواب إن التراب أحد الطهورين فهر مطهر للنجاسة الكلية والذنوب أقبح النجاسات إلى الطهارة بالتراب فلذلك تأكل الأرض أجسادا غير الأنبياء لأنهم معصومون من الذنوب عمدا وسهوا قبل النبوة وبعد النبوة.. السابعة: نختم بها هذا الباب ختم لنا وللمسلمين بخير وعافية وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا علي ألا أعلمك كلمات تدعو بهن لو كان عليك عدد المدر ذنوبا غفرت لك قل اللهم لا إله إلا أنت الحليم الكريم تباركت سبحانك رب العرش العظيم.

باب في فضل العدل واجتناب الظلم

الشفقة على خلق الله وإكرام المشايخ وفضل الخضاب

قال الله تعالى إن الله يأمر بالعمل والإحسان الآية قال العلائي العمل هو الإنصاف والإحسان إلى من أساء إليك والفحشاء هو القبح من قول أو فعل والمنكر هو ما لا يعرف في شريعة ولا سنة والبغي هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان وقال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم قال ربكم عز وجل وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوما يقدر أن ينصره ... حكاية: مر أبو حنيفة في بعض الطرقات فأصاب بقدمه قدم صبي فقال يا أبا حنيفة ما تخشى القصاص يوم القيامة فوقع مغشيا عليه وقال رضي الله عنه يؤدي الظلم إلى **سوء الخاتمة** والعياذ بالله والله المستعان ... موعظة: مرت على صدر سيدنا سليمان عليه السلام نملة وهو نائم فلما أحس بها أخذها فألقاها فقالت يا نبي الله ما هذه السطوة أما علمت أنك تقف بين يدي ملك قاهر يأخذ للمظلوم من الظالم مغشي عليه فلما أفاق قال لها هلا تجاوزي عمن ظلمك قالت نعم بثلاثة شروط الأول أن لا ترد سائلا الثاني أن لا تضحك بطرا في الدنيا الثالث أن لا تدفع جاهك لمن استغاث بك فعفت عنه ... حكاية: أخذ رجل من أعوان السلطان سمكة من صياد قهرا عنه فلما أخذها واصلح أمرها وأراد أن يأكل منها فتحت فاها وعضته على إصبعه عضا شديدا فذهب إلى طبيب فقال له الطبيب اقطع إصبعك ففعل فسرى الألم إلى." (١)

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ٤٦/٢

"فإن عدم من وجب له الحق، أو نائبه انتقل الحق إلى المساكين، إن كان مما ينتقل إليهم. وقد ذكر بعض العلماء، أن من استغفر لمظلومه دبر كل صلاة خمسا وفى حقه، وأظنه في العرض، والله أعلم.

والذمي، كالمسلم في عرضه وماله ونفسه كأنه لم يعط ذمته إلا ليحفظ بذمة الإسلام، وقد نص على ذلك في العرض أبو بكر بن العربي رحمه الله وغيره.

ويجزيء التحري في مقدار ذلك.

والتوبة من ذنب مع المقام على غيره، صحيحة، والكمال التوبة من كل ذنب، وهي واجبة على الفور، فيجب من تأخيره لها التوبة من التأخير، كما يجب على مدمن الخمر التوبة منه ومن عدم النكير على جلسائه.

وذكر الذنب لا يوجب التوبة منه، بل ندبها على الصحيح، إن لم يكن فرحا بذكره، فيجب التوبة من فرحه به ورضاه بوقوعه، والعودة له هل توجب رجوع إثم قولان، والصحيح: لا، والله أعلم.

المطلب الثاني

المحارم

الغصن الأول المحارم اللسانية والمحارم التي يجب اجتنابها في اللسان أربعة: الكذب والغيبة، والفضيحة، والباطل.

الفرع الأول

الكذب

فأعظم الكذب الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يوجب حكما، أو ينقض أصلا.

ثم الكذب في الأخبار التي لا توجب ذلك عنده، وإن أوجبت مصلحة، كصلوات الأيام والليالي الفاضلة.

والآيات وسائر الأحاديث الموضوعة، وروايتها من غير بيان إثم، كعامل بها، وهي ما روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه، في فضائل السور، سورة سورة، وقال الشيخ أبو عبد الله البلالي: وأخطأ من ذكره من المفسرين.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار) قيل وهذا تبشير **بسوء الخاتمة**. وحكى إمام الحرمين قولا في الإرشاد بتكفير الكاذب عليه صلى الله عليه وسلم متعمدا، وهو ضعيف.

ثم الكذب على العلماء في نقل حكم، أو ما يقتضيه، وإن وافق الحق، لأن للوارث من الحرمة ما للموروث

في باب ما ورث عنه.
ثم الكذب فيما يوجب حكما من أحوال الناس، وهي شهادة الزور المقتضية للتلبيس على الحاكم الشرعي، حتى يخرج الحكم في غير ما وضع له، ولذلك عزمه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ألا وقول الزور) مرتين أو ثلاث. وجاء: (من شهد زورا علق من لسانه يوم القيامة) .
ثم الكذب باعتبار التحكم على الله بالحتم بجنته أو ناره لأحد، وقد قيل: إن هذا كفر، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم (من تألى على الله يكذبه) وهذا في غير المعين في النص منه عليه الصلاة والسلام في الجهتين.
ثم الكذب على المنام، لأنه لعب بما هو من أجزاء النبوة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (من تحلم بحلم لم يره، كلف أن يعقد بين شعيرتين يوم القيامة وليس بعاقد) .
ثم الكذب فيما يوجب فوات حق مسلم، أو أخذ ماله، كالكذب في ثمن السلعة، ليأخذ فوق معتادها، أو الشهادة عليه بما لم يجب، أو السعي للظالم بغير حق.
ثم البهتان وهو: رمي المرء بما لم يفعل مما لا تعلق له بك، أو له بك تعلق. قال الله سبحانه: (ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) .
ثم الكذب باليمين بالله تعالى، فقد جاء (اليمين الغموس تترك الديار بلاقع) وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها في النار.
وقال عليه السلام: (اليمين منفقة للسلعة ممحقة للمال) وقال: (من حلق على يمين وهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان) . ثم الكذب فيما يوجب ضررا غير متعلق بمال، ولا غيره، كمدح السلعة بما لا يوجب زيادة في الثمن، والكذب في الأراجيف المشوشة للذهن، والمضحكات، ونقل ذلك، فقد قال عليه السلام: (كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع) وقال: (بئس مطية الكذب زعموا) .
وقال: (إن الرجل ليتكلم بكلمة يرضي بها جلساءه تبلغ من سخط الله ما لم يظن) .
ثم الكذب في المدح لتحصيل منفعة، والكذب في الوعد يخلفه، والكذب في تزكية المرء لنفسه لتحصيل غرض، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا مدح أحدكم أخاه فليقل: أحسبه، ولا أزكي على الله أحدا) وقال عليه السلام: (ثلاث من كن فيه فهو منافق، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن

خان) وقال: (المتشبع بما لم يعطه كلابس ثوبي زور) ونهى صلى الله عليه وسلم عن النجش، وهو: أن يزيد في السلعة لا لرغبة، بل ليخدع غيره.." (١)

"فقال له: خذ العهد تعن على ما أنت عليه، ففعل، وكان ذلك زيادة له في شره، علق المؤلف على ذلك بقوله: وهذه فضيحة له في الآخرة، وضحكة في الدنيا عند من له عقل، على التابع والمتبوع (١).

ومن المخالفات التي يذكرها المؤلف فطم الشيوخ أتباعهم عن كل علم سوى ما عندهم، وتسخيرهم في خدمتهم، ويوهمونهم أن ذلك في حقهم منفعة وتطهير لسرهم، مثل قول الشيخ للمريد: السر في التراب، والحكمة في الخدمة، فيقيمه خديما للطاحونة، وحليفا للمسحاة على حد قوله.

وعقد المؤلف فصلا للشيوخ الذين يتعززون بالطريقة، ويأكلون بالدين، ويراهم شر الناس، ويحذر الشيوخ الذين يؤثرون المعتقدين لهم على غيرهم، أو يؤثرون الأغنياء وأصحاب الجاه، كما يحذر الذين يمنون أتباعهم بالمقامات، وبما لا يقدرون عليه لأنفسهم، **كحسن الخاتمة** والثبات عند السؤال والصراط، وقد عرف من الشرع أن هذه المواقف لا ينفع فيها أحد أحدا، ويقول: م ا قطع قلوب الأكابر إلا هذه المواقف، وإذا كان **حسن الخاتمة** أمرا لا يتق به الشيخ لنفسه، فكيف يدعيه في حق غيره، ودعاء الرسل عند الصراط اللهم سلم سلم – كما ورد في الصحيح – وهم أكرم الخلق على الله، فكيف بغيرهم (٢).

٥ – أنواع الطوائف المدعية:

يذكر المؤلف عددا من الطوائف المدعية، وهم كثير، فمنها:

أ – طائفة تدعي الفناء، وأنها سلبت الاختيار، فتفعل المحرمات والمعاصي، وربما جرى على لسانهم ما يشبه الحقائق، فيظنه الجاهل ناتجا عن أحوال ربانية، وهو في الحقيقة عقارب تلسع، وحيات تلدغ، وربما أراد أحد المعتقدين فيهم التخلي عنهم، فيمسه الشيطان بأمر سوء، فيظنه

---

(١) انظر فصل ١٤.

(٢) انظر فصل ٣٨ وفصل ٧٥.." (٢)

---

(١) النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية زروق ص/٤

(٢) عدة المريد الصادق زروق ص/٢٣

"وأما القصد فشاهد الحال منكم طلب الاستتباع والتكاثر بالأتباع، لأنكم تغلبون في ذلك كل من يأتيكم، وتدعون له من لم يأتكم، وتهملونه بعد الأخذ عنكم من النظر في أحواله، بل سمعت ممن أقبل قوله ما هو أنحس من هذا، وهو أن بعض مشيخة هذه الطائفة أتاه بعض اللصوص ليتبرك به، فقال له: خذ العهد، فقال: لا أطيقه، لأني لا أقدر على ترك ما أنا فيه من قطع الطريق ونحوه، فقال له: خذ العهد تعن على ما أنت فيه، وهذه مصيبة كبيرة، وضحكة عظيمة، فيها تجرئة للعصاة، وزيادة في إذاية المسلمين، وفتح باب الاستخفاف بالفقراء، واستهزاء بالدين، نسأل الله العافية بمنه.

وأما الحقيقة: فالمصافحة مرادة للتبرك في حق المحب، وشرطها البيان والإيناس في حق المنتسب، وشرطها التعيين والإفادة في حق المريد، وشرطها الاهتمام، ولكل قوم فيها وجه، وله بعدها معاملة تخصه، وله فتح يليق به، وهم قد عمموا الأمر، وربما جعلوا دعواهم في ذلك ضمان الدرك عند الموت (١) بالثبات، وعند السؤال كذلك، وعند الصراط، إحالة منهم على غائب، حتى لا يفتضحوا، فانعكس الأمر بظهور الفضيحة، وذلك بشواهد الأخبار النبوية والعقود الإيمانية، فقد عرف أن هذه المواقف لا ينفع فيها أحد أحدا إلا الله سبحانه، دون واسطة ولا علة إلا مزيد الإيمان، لقوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (٢) وما قطع قلوب الأكابر إلا هذه المواقف، لعدم العلم بها، وتوقفها على مراد الحق سبحانه الذي لا تدخله علة ولا سبب، حسبما هو معلوم من الدين ضرورة، وإذا كان **حسن الخاتمة** أمرا لا يثق به الشيخ في نفسه، فكيف يدعيه في حق غيره، وأيضا فدعاء الرسل عليهم السلام عند

---

(١) أي: يقولون له: إن الشيخ يضمن لك هذه الثلاثة؛ الموت على الخاتمة والثبات عند السؤال وعند الصراط، ومعلوم أنه لا شيء من هذه الثلاثة يقدر أحد أن يضمنه لنفسه، فكيف يقدر عليه لغيره، قال تعالى على لسان نبيه: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾، وجاء في الصحيح أن دعاء الرسل يومئذ: "اللهم سلم سلم"، ولكنه الجهل والاغترار بالمراتب، وانظر فيما يأتي فصل ٧٥.

(٢) إبراهيم ٢٧.." (١)

"قلوبهم قاسية﴾ (١) الآية، ويعرفه أن النقض يجر إلى **سوء الخاتمة** والعياذ بالله، قالوا: ثم يضع يده اليمنى فوق باطن يد التائب اليمنى، ويعرفه بأنه شريكه في التوبة، لاستوائهما في أمر الله لهما، بقوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ (٢) الآية، وهذا كله حسن له مستند من الشرع في

---

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/١٢٥

صورة البيعة.

قالوا: ثم يغمض عينيه ويسكت ساعة ليجتمع همة، ثم يتعوذ، ويبسمل، ويقول: أستغفر الله العظيم ثلاثا، نسقا، ثم يقول بعد الثالثة:

وأتوب إليه وأسأله التوبة والتوفيق لما يحب ويرضى، ثم يصلي على النبي (ص)، ويقول: الحمد لله رب العالمين، ويتبعه المريد في ذلك كله، ثم إن شاء ذكر مشايخه وأستاذه أو استغنى عن ذلك، قالوا: وكذا يفعل في تلقين الذكر، ولبس الخرقة (٣) ثم يأمره بلزوم التقوى والطاعات، واجتناب المخالفات، والبحث عما فيه رضى الله تصريحا وتلويحا، وهذا كله أمر اصطلاحي، ولكن له مستندات تجري على أصل القوم في العمل بما يقتضي جمع قلوبهم مما لم يجمع على تحريمه.

---

(١) المائدة ١٣.

(٢) النور ٣١.

(٣) ما يروى من لبس خرقة الصوفية، وكون الحسن البصري لبسها من علي (ض)، وكذلك نسبتها إلى أويس القرني، وأن النبي (ص) أوصى له بها، كل ذلك لا أصل له، قال ابن الصلاح: باطل، ولم يسمع الحسن من علي حرفا بالإجماع، فكيف يلبسه منه، وقال الحافظ: ليس في شيء من طرقها ما يثبت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي (ص) ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لبعض أصحابه، ولا أمر أحدا من الصحابة بفعل ذلك، وكل ما يروى صريحا في ذلك فباطل، ومن لبسها وألبسها فإنما اعتمد على مستندها من طريق الصوفية تبركا بهم، لا من طريق السنة، قال الحافظ السخاوي: لبسها وألبسها جماعة، كالدمياطي والذهبي وأبي حيان والعلائي ومغلطاي والعراقي وابن الملقن و البرهان الحلبي وابن ناصر الدين، وأوضحت ذلك كله مع طرقها في جزء مفرد، هذا مع إلباسي إياها لجماعة من أعيان الصوفية، تبركا بذكر الصالحين، واقتفاء لمن أثبته من الحفاظ المعتمدين، انظر المقاصد الحسنة ص ٣٣١، وكشف الخفاء ٢/ ١٩٨، وأسنى المطالب ص ٢٤٧.." (١)

"كما تفعل الأعاجم بملوكها " (١) وفي الصحيح لم يكن أحب إليهم من رسول الله (ص)، ولكنهم كانوا إذا رأوه لم يقوموا له (٢) لما يعلمون من كراهيته لذلك وشدته عليه، وأعظم من ذلك قوله (ص): "من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار" (٣) وهذا تبشير **بسوء الخاتمة** والعياذ

---

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/١٣٣

(١) المراد بزي العجم هنا، محاكاتهم في الهيئة التي يفعلونها من قيام بعضهم لبعض، وليس خصوص اللباس، ولفظ حديث أبي أمامة (ض) في المسند: قال: خرج علينا رسول الله (ص) وهو يتوكأ على عصا، فقمنا إليه، فقال: "لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا" وخرجه الطبراني في الكبير رقم ٨٠٧٢ وأبو داود ٥٢٣٠ وابن ماجه ٣٨٣٦، ومن بعض أسانيده أو العدبس مجهول وفي أسانيده الأخرى اضطراب، لذا قال الطبري: حديث ضعيف مضطرب السند فيه من لا يعرف، كما في فتح الباري ١٣/ ٢٨٨، وانظر الفتح الرباني ١٧/ ٣٥٤.

(٢) عن أنس (ض): لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله (ص)، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا، لما يعلمون من كراهيته لذلك، الترمذي حديث رقم ٢٧٥٤، وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأحمد في السند، المسند مع الفتح الرباني ١٧/ ٣٥٣.

(٣) خرجه الترمذي حديث رقم ٢٧٥٥، وأبو داود رقم ٥٢٢٩، من حديث معاوية يرفعه إلى النبي (ص) بلفظ: "من أحب أن يتمثل له الرجال قياما ... "، وقال الترمذي: حديث حسن، وهو مخرج في صحح أبي داود برقم ٤٣٥٧، وفي رواية بلفظ: "من أحب أن يستجم له الناس صفوفا ... "، أي: يجتمعون له، كما في النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٠١.

حكم القيام للقادم: قال في الفتح الرباني ١٧/ ٣٥٣: إنما كره (ص) قيامهم له تواضعا لربه، مخالفا لعادات المتكبرين حتى لا يتخذها المتكبرون من الأفراد سنة، وهذا لا ينافي القيام للوالدين وأهل الصلاح والتقوى من الأمراء وغيرهم، فقد روى أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه عن عائشة (ض): قالت: ما رأيت أحدا أشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله (ص) من فاطمة (ض)، كانت إذا دخلت قام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكانت إذا دخل عليها قامت إليه، وأخذت بيده، وقبلته وأجلسته في مجلسها، وفي الصحيح أن النبي (ص) أرسل إلى سعد بن معاذ عندما نزل أهل قريظة على حكمه، فجاء، فقال النبي (ص): "قوموا إلى سيدكم ... "، البخاري مع فتح الباري ١٣/ ٢٨٨، قال الخطابي: فيه من العلم أن قول الرجل لصاحبه: يا سيدي غير محظور إذا كان صاحبه خيرا فاضلا، وإنما جاءت الكراهة في تسويد الرجل الفاجر، وفيه أن قيام المرؤوس للرئيس الفاضل وللولي العادل، وقيام المتعلم للعالم مستحب غير مكروه، وإنما جاءت الكراهة فيمن كان بخلاف هذه الصفات، ومعنى ما روي من قوله: من أحب =." (١)

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/١٣٧

"أحمد بن عبد الله المنهلي، وطلب الحديث وأكثر عن بقايا الشيوخ سماعا وإجازة وحصل بعض مسموعه وكان يراجعني في كثير من الأسانيد مع قراءة البخاري وغيره علي وتحصيل جانب من شرح الألفية وقراءة بعضه وربما استملى علي وضبط الأسماء في بعض السنن على المنشاوي بحضرة الخيضري وكذا قرأ على الديمي والسنباطي وآخرين، وحج وتنزل في الصلاحية والبيبرسية وغيرهما وأقرأ ولد العبسي وقتا وتكسب بالشهادة وشارك في الفقه ونحوه وأذن له الجوجري في الإقراء من سنة ست وثمانين والشرف عبد الحق فيه وفي الإفتاء وكذا إجازة المارداني والعميري والمنهلي والسنتاوي والخيضري وغيرهم وكتبت له: وقفت على هذه الأجايز الصادرة ممن صيرهم الله تعالى يشار إليهم بالتدريس والإفادة وأحكام التأسيس والإرادة نفع الله بهم ورفع بالعلم من تمسك بسببهم وعولت على ما أبدوه ومشيت فيما اعتمدوه ورأوه وقلت إن المجاز نفع الله به غير متأخر عن هذه المرتبة لاجتهاده في العلم واعتداله فيما تحمله وكتبه بحيث أنه لازمني رواية ودراية وساومني فيما ارتفع له بين أهل الحديث راية بل قرأ وسمع الكثير وصار المرجع في معرفة من صار يذكر في هذه الأزمان بالإسناد والتذكير لأنه حصل من ذلك جملة وتفضل على القاصرين بما فضله منه وأجمله كل ذلك مع سلوك الاعتدال واشتهاره بتجنب الطريق المصاحبة للاعتلال بل جلس للتدريس سنين متعددة وأزال عن الطلاب ما كان لديهم فيه الإشكال والتلبيس وبعده وكان يحضر في ختومه الأعيان من الفضلاء والشبان وذكر باستحضار الفقه والمشاركة في غيره ثم لم يزل في ارتقاء في عمله وخيره وكنت ممن سبق مني الأذن له في ذلك وتحقق مني المشي في هذه المسالك رزقني الله وإياه الإخلاص بالقول والعمل ووفقني لما يكون وسيلة **لحسن الخاتمة** عند الأجل.

وحج في سنة ست وتسعين في البحر وجاور بقية السنة وجلس بباب السلام بل أقرأ وعاد مع الركب فمات بالمويلحة في المحرم سنة سبع وتسعين وتأسفنا عليه فنعم الرجل كان.

أحمد بن داود بن محمد شهاب الدين الدلاصي. / شاهد الطرحي كان من الأعيان المعتبرين بالقاهرة. مات في ربيع الأول سنة اثنتين. قاله شيخنا في أنبائه، وطول المقريزي في عقوده ترجمته وأنه باشر عند جماعة من الأمراء في دواوينهم وناب عنه في الحسبة وسكن في ذلك وأنه زاد على الستين وكان." (١)

"كثير الاحتمال مشاركا في الفقه لم يشتغل في غيره درس بالبدرية الخروبية بشاطئ النيل نحوا من عشر سنين وتوجه إلى الحجاز في الرجبية فجاور ثم رجع، وذكر لي من أثق به أنه كان كثير الطواف يواظب على خمسين أسبوعا في كل يوم قال وهو من قدماء معارفنا وأهل الاختصاص بنا فالله يعظم أجرنا فيه

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢٩٨/١

ويبدلنا به خيرا منه، قال: وقد غبطته بما اتفق له من **حسن الخاتمة** بالحج والاعتمار والمجاورة وزيارة الحضرة الشريفة النبوية والموت عقب ذلك في الغربة رحمه الله وإيانا. قلت: وقول البقاعي إنه من قضاة السوء على ما نقلوا قاله لغرض على جاري عوائده وإلا فقد علمت بطلانه. محمد بن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المغيث الشمس الأبياري ثم القاهري الشافعي ويعرف بابن المغيربي بميم مضمومة ثم معجمة مصغر نسبة لجده فإنه كان كأسلافه مغربيا ثم تحول منها انتقل أبوه عن مذهبهم، وسمى بعضهم جد أبيه عبد المؤمن بن عبد البر بن محمد بن القسم بن ربيعة بن عبد القدوس. ومن املائه هو كتبت ما أسلفته وقال لي أنه ولد في سنة سبع وسبعين وسبعمائة بأبيار ونشأ بها فحفظ القرآن وبعض المنهاج الفرعي ثم قدم القاهرة فأكمله وألفية النحو والملحة والشذرة الذهبية والمقصورة الدريدية وبحث بأبيار ألفية ابن معطي على التاج محمد القروي وأقام بالقاهرة عند الأبناسي الكبير وبحث عليه المنهاج وكذا لازم البلقيني في بحثه والغماري والبدر الطنبدي في العربية وغيرها وآخرين بل بحث العضد والتلخيص على قنبر وصحب محمدا العطار خاتمة مريدي يوسف العجمي وناب عن الصدر المناوي بالقاهرة وفي أبيار وعملها عن الجلال البلقيني ثم أعرض عنه مع حلفه بالطلاق على عدم قبوله وكذا عرض عليه الزين عبد الباسط ضبط الشؤون السلطانية فأبى تعففا وتورعا مع كثرة المتحصل من هذه الجهة وكان قبل ذلك تكسب بالشهادة وقتا بعد ثبوت عدالته على العز البلقيني والد البهاء، وباشر)
الشهادة بالاسطبل وصحب الظاهر جقمق قبل تملكه، فلما استقر اختص به ومال إليه فصار من ذوي الوجاهات وأثرى وكذا اختص بولده الناصري محمد مع مزيد رغبته في التقلل من التردد إليهما، وحج مرارا وجاور اجتمعت به غير مرة وكتبت عنه من نظمه ما طارح به شيخنا مما أودعته الجواهر والمعجم وغير ذلك. وكان خيرا دينا ساكنا منعزلا عن أكثر الناس سيما بأخرة حسن المحاضرة متقدما في حل المترجم وله." (١)

"٦٠٦ – مرجان الأرفي برسباي شاد السواقي يقال له ستمائة / اشتغل في الحساب والهيئة والهندسة والميقات وصحب عبد القادر بن همام الماضي وكان يجيء معه للسماع على شيخنا.
مات وقد أسن في سنة أرعب وتسعين وخلف موجودا كثيرا من كتب وغيرها.
٦٠٧ – مرجان التقوى الظاهري / وولي مشيخة الخدام بعد سرور الطربيهي سنة أربع وسبعين إلى أن عزل في سنة ثمان وثمانين واستقر بعده إينال الفقيه.

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٦٤/٨

٦٠٨ – مرجان الرومي الشريف تاجر السلطان في المماليك ونزيل بيت قراجا / بالقرب من جامع الأزهر. كان ذا وجاهة وشكالة. مات في شعبان سنة ثمانين وقد جاز الخمسين وشهد السلطان الصلاة عليه بسبيل المؤمني، ثم دفن بتربة الدوادار الكبير يشبك من مهدي عفا الله عنه.

٦٠٩ – مرجان العيني / زمان الأشرف ثم الناصر صاحبا اليمن بل ولي إمرة زبيد. مات في سنة أربع عشرة. ذكره شيخنا في إنبائه.

٦١٠ – مرجان الزين العادلي المحمودي الحبشي الحصفي الطواشي. / أصله من خدام العادل سليمان صاحب حصن كيفا اشتراه ورباه وأدبه وأعتقه واختص به. فلما مات وذلك في سنة سبع وعشرين خرج من الحصن وهو فقير فدار البلاد كفقراء العجم ودخل أذربيجان وغيرها وقاسى فقرا لكنه تأدب وتهذب بالأسفار إلى أن قدم البلاد الشامية فاتصل بخدمه تعزى بردى المحمودي وغيره على حاله في البؤس والقلة حتى صار من جملة خدام الطباق بالقلعة ثم مقدم بعضها فحسنت حاله وملك فرسا وصار يعلف الدجاج ويقدمه لمقدم المماليك ونائبه ثم لمغلباي طاز وزاد في التردد غليه إلى أن قفز به الظاهر جقمق وعمله نائب المقدم بسفارته بعد توقفه في ذلك ثم رقاه للتقدمة فعظم وضخم ونالته السعادة ثم عزله الأشرف إينال ثم أعيد ببذل وحج في سنة اثنتين وستين أمير الأول فساءت سيرته ورجع فصادر من كان هو معه كالخادم وله عليه من الأيادي ما لا يوصف بالضرب والمال. ولم يلبث أن مات في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وقد قارب الستين وكان جسيما طوالا أسود اللون ظالما عسوفا طماعا مسرفا على نفسه سيئة من سيئات الدهر وغلطاته اشتمل على قبائح أنزه قلمي عنها وتبدل ما كان عليه في أول مباشرته التقدمة من المحاسن نسأل الله **حسن الخاتمة**.) (سقط)." (١)

"يدرس ويفتي في مدينة تعز إلى قيام دولة مولانا صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب فبعد قيام دولة مولانا صلاح الدين ترك التدريس ونشر العلم لاشتغاله بالوزارة مع السلطان المذكور إلى أن توفي وهو على الحال المذكور سنة ثمان وتسعين وثمانمئة نسأل الله **حسن الخاتمة**

ومن المتوفين قديما بمدينة تعز من الذين لم يذكرهم المؤرخون جماعة منهم الشيخ الصالح رضي الدين أبو بكر بن أحمد البزاز الشهير بابن قرينع اشتهرت عنه فضائل وبراهين بعد وفاته وفي الحياة وقبره بالأجيناد معروف يزار ويتبرك به

ومنهم الشيخ رضي الدين أبو بكر بن أحمد الجبرتي اشتهر بصاحب ذي النون وظهرت له فضائل وبراهين

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٠/١٥٣

ولم يزل أهل تعز يقصدون قبره للتبرك به وهو بالأجيناد رحمه الله ونفع به

ومنهم الإمام العلامة عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الأحمر الخزرجي كان فقيها عالما مدرسا مفتيا محققا مدققا توفي بتعز ودفن بالأجيناد رحمه الله ونفع به

وأما المتوفين بجبل صبر وحوالي مدينة تعز وذخر وما والى ذلك فمنهم المشايخ الصلحاء بنو الرميمة قد ذكر الجندي أكثرهم واقدمهم وهو الشيخ علي الرميمة وقال إنه تلميذ الشيخ مدافع وحقق له وللشيخ مدافع كرامات

وأما ذرية الشيخ علي فمنهم الشيخ الصالح إبراهيم بن مسعود أخبرت أنه كان." (١)

"سابق علمه أو هو نبي حينئذ (وجعلني مباركا): معلما للخير (أين ما كنت): حيث كنت (وأوصاني): أمرني (بالصلاة والزكاة): زكاة المال، أو تطهير النفس (ما دمت حيا وبرا) عطف على مباركا أي: بارا أو منصوب بفعل بمعنى أوصاني وهو كلفني، (بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا): مستكبرا عن عبادة الله وبر والدتي (والسلام علي يوم ولدت): فلا ينالني شيطان، (ويوم أموت) فأنجاني من **سوء الخاتمة** (ويوم أبعث حيا): فليس لي هول (ذلك): الذي وصفناه هو (عيسى ابن مريم): لا ما تصفه النصارى (قول الحق) أي: هو قول الحق الذي لا ريب فيه، فالإضافة بيانية أو الحق هو الله تعالى أو خبر ثاني لذلك، ومن قرأ بنصب قول جعله مصدرا مؤكدا (الذي فيه يمترون) فبعضهم يقولون إنه لزنية ساحر وبعضهم إنه ابن الله (ما كان لله أن يتخد من ولد سبحانه) تكذيب للنصارى وتنزيه لجناب قدسه (إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) فلا يناسبه خلقه ولا يحتاج إلى ولد يعضده (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه) عطف على إني عبد الله وهو من مقول عيسى ومن قرأ أن بالفتح فتقديره ولأن أو عطف على." (٢)

"[٢٥٨٣] لعن الله السارق الخ أي ابعده الله تعالى عن رحمته والمذهب ان اللعن على رجل مخصوص لم ينص كفره عن الشارع كابليس وفرعون وأبي جهل غير جائز وإنكان كافرا لأنا لا نقطع **بسوء الخاتمة** لاحد ولم يبين الشارع لنا ولذا منع السلف عن اللعن على يزيد وجوزوا اللعن على قاتل مؤمن لقوله تعالى من قتل مؤمنا متعمدا فجزاءه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما فاللعن على قوم مخصوص بفعل كالسرقة والقتل جائز وقد ورد أمثاله على لسان الشرع كثيرا ثم المراد من البيضة قيل بيضة الحديد وهو ما يلبسه المحارب عند القتال ومن الحبل هو حبل السفينة وهما ذو ثمن وقيل المراد

---

(١) طبقات صلحاء اليمن = تاريخ البريهي عبد الوهاب البريهي ص/٢٥٠

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤٧٩/٢

منهما الشيء اليسير فإن عشرة دراهم مثلا يسيرة في جنب اليد بفوات المنفعة العظيمة بقطعها فكأنه قال لعن الله السارق يسرق الشيء التافه فتقطع يده بسببه (إنجاح)

قوله يسرق البيضة قال في النهاية يعني بالبيضة الخوذة وقال بن قتيبة الوجه في الحديث ان الله لما انزل والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما نزل عليه يعني بيضة الدجاجة ونحوها ثم أعلم الله بعد ان القطع لا يكون الا في ربع دينار فما فوقه وانكرتا ويلها بالخوذة لأن هذا ليس موضع تكثير لما يأخذه السارق إنما هو موضع تقليل فإنه لا يقال قبح الله فلانا عرض نفسه للضرب في عقد جوهر إنما يقال لعن الله فلانا تعرض لقطع يده في خلق رث أو كبة شعر (زجاجة)

قوله يسرق البيضة قيل أراد بيضة الفضة وحبل السفينة والا فالبيضة والحبل المعروفان من الأشياء التافهة ولا يصح فيها قطع العضو والحق ان ذلك وارد بطريق التمثيل وليس الغرض بيان حكم القطع فيهما بخصوصهما وهذا كما جاء في حديث الجمعة من قرب دجاجة من قرب بيضة مع ان الدجاجة والبيضة لا يصح التقرب بهما وإنما الغرض تصوير الثواب القليل لمولانا المعظم الشيخ عبد العزيز الدهلوي قدس الله سره

[٢٥٨٥] لا تقطع اليد الا في ربع دينار وبه اخذ الشافعي وذهب مالك وأحمد الى انه سبع دينار أو ثلاثة دراهم وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يقطع الا في عشرة دراهم وقالوا ان الاخذ بالأكثر في هذا الباب أولى احتيالا للدرء فاعرف انه قد قيل في ثمن المجن أكثر مما ذكر ولحديث ايمن رواه الحاكم عن مجاهد عن ايمن قال لم تقطع اليد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في ثمن المجن وثمنه يومئذ دينار وقد اختلف في تقويم المجن فروى ثلاثة أو عشرة فيجب الاخذ بالأكثر لايجاب الشرع الدرء ما أمكن ثم يقوى ما رواه النسائي بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان ثمن المجن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم وقال الترمذي وقد روى عن بن مسعود أنه قال لا قطع الا في دينار أو عشرة دراهم وهو مرسل وروى الدارقطني والبيهقي عن علي رضي قال لا تقطع اليد في أقل من عشرة دراهم ولا يكون المهر أقل من عشرة دراهم وقال محمد بلغنا ذلك عن علي وعبد الله بن عمر وعامر وإبراهيم فتح القدير مختصرا

قوله

[٢٥٨٩] فبيعوه بنش النش عشرون درهما وهو بإظهار العيب لأنه لا يليق المسلم ان يغتر المسلم وفي الحديث الصحيح تحب لاخيك ما تحب لنفسك قال الطيبي العبد إذا سرق قطع آبقا كان أو غير آبق وعن عمر بن عبد العزيز أمر به وهو قول مالك والشافعي وعامة أهل العلم (إنجاح)

قوله

[٢٥٩٠] من رقيق الخمس أي المال الذي خمس من المغنم وإنما لم يقطعه إما بعدم الحرز وإما لكونه في دار الحرب وذلك بسبب خوف الارتداد واللحوق بهم والله أعلم (إنجاح)

قوله

[٢٥٩٥] فهلا قبل ان تأتيني به أي فهلا تصدقت وتركت حقك قبل وصوله الي وأما الآن فقطعه واجب ليس لك فيه حق بل هو حق الشرع ثم انهم شرطوا في كون المسجد حوزا ان يكون هنا محافظ وقال في الدر ويعتبر أي الحافظ في المسجد لأنه ليس بحرز وبه يغتي انتهى (إنجاح)

قوله

[٢٥٩٦] ما اخذ في أكمامه الاكمام جمع كم وهو بالكسر دعاء الطلع وغطاء النور كالكمامة بالكسر فيهما وجمعه اكمة واكمام وكمام كذا في القاموس (إنجاح)

قوله فاحتمل أي حمل تلك الثمار وذهب بها فثمنه أي فعليه غرامة ثمنه ومثله معه وهذه سياسة والا فقد قال الله جل ذكره فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وما كان في الجرن في القاموس الجرن بالضم وكامير ومنير البيدر انتهى وفي المجمع هو موضع لتجفيف التمر وهو له كالبيدر للحنطة والشعير انتهى ففيه القطع قال الطيبي الحرز مشروط فلا قطع الا فيما سرق من حرز والمعتبر فيه العرف قلت اما عندنا فلا قطع فيما يتسارع اليه الفساد كاللبن واللحم والفواكه الرطبة لقوله عليه السلام لا قطع في ثمر وقوله عليه السلام لا قطع في الطعام والمراد ما يتسارع اليه الفساد كالمهيا للأكل وما في معناه كاللحم والتمر كذا في اللمعات (إنجاح)

قوله وان أكل ولم يأخذ فليس عليه وهذا أيضا محمول على العرف فإن لم يرض به صاحب البستان فيعزر قال الشاة الحريسة أي التي تحرس بالجبل ففيه ثمنها ومثله معه وهذا أيضا سياسة كما مر والنكال العقوبة وقوله ما كان في المراح وهو مأوى الإبل والغنم بالليل ففيه القطع للحرز (إنجاح)

قوله

[٢٠٩٧] ما اخالك سرقت بكسر الهمزة أفصح أي ما اظنك وفيه انه لو انكر فلا قطع قال في الدر وندب تلقينه كيلا يقر بالسرقة وأما إذا كان عليه شهود فلا يسقط الحد (إنجاح)

قوله استغفر الله الخ هذا منه صلى الله عليه وسلم يدل على ان الحد ليس مطهرا بالكلية مع فساد النية وإنما مطهر لعين ذلك الذنب فلا عتاب عليه ثانيا من جهة الرب قال القاضي بهذا الحديث يستشهد على ان للامام ان يعرض للسارق بالرجوع قال بن الهمام ويجب القطع بإقراره مرة واحدة وهذا عند أبي حنيفة ومالك والشافعي وأكثر علماء الأمة وقال أبو يوسف لا يقطع وهو قول أحمد وابن أبي ليلى وزفر وابن شبرمة لهذا الحديث حيث لم يقطعه الا بعد تكرار اقراره ولأبي حنيفة ما اسنده الطحاوي الى أبي هريرة في هذا الحديث قالوا يا رسول الله ان هذا سرق فقال ما اخاله سرق فقال السارق بلى يا رسول الله قال اذهبوا به فاقطعوه ثم احسموه ثم ائتوني به قال فذهب به فقطع الحديث فقد قطعه بإقراره مرة انتهى (مرقاة)

قوله." (١)

"الشامية الجوانية بعوض ليحيى بن العطار١ وهو رجل ديون وكان من سنين لا بسا زي الجند نسأل الله تعالى **حسن الخاتمة** وحصل في وظائفه خبط كثير ولم يحصل لأحد من طلبة العلم منها شيئا توفي ليلة الأربعاء عاشرة واجتمع في جنازته خلق كثير من الناس وصلي عليه عند قناة ابن العوني تقدم عليه في الصلاة القاضي السراج الحمصي الشافعي ودفن بباب الفراديس بطرفها الشرقي ولم يظهر له طائل انتهى. وقال الشيخ تقي الدين بن قاضي شهبة: ووليتها أنا عن الشيخ شمس الدين الكفيري بولاية معلقة وحكم بها قاضي القضاة الحنفي وفقد ولم تحصل لي ولا للشيخ تقي الدين انتهى. وقال في صفر سنة ثلاث وعشرين: وفي يوم الأحد عاشره ابتدأت في الدرس بالشامية البرانية ثم في يوم الأربعاء ثالث عشره حضرت

---

(١) شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره السيوطي ص/١٨٦

في العزيزية في النصف الذي كان للشيخ شمس الدين الكفري وأخذت في باب قسم الفيء والغنيمة من التنبيه انتهى. وقال في شهر ربيع الآخر منها: وفي يوم الأحد ثامن عشريه دعيت بالشامية البرانية وكان جملة الحضور بها في هذه العمالة أول النهار سبعة عشر درسا وحضرت في العزيزية في النصف الذي كان للشيخ شمس الدين الكفيري سبعة دروس وغال مدارس دمشق لم يحضر بها أحد في هذه السنة فلا حول ولا وقوة إلا بالله العلي العظيم انتهى. ثم قال في جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة: دعيت بالشامية البرانية وكان الحضور بها في أول النهار أربعة عشر درسا وكان الحضور بالتقوية ست مرات وبالقوصية سبع مرات وقل من حضر من مدارس دمشق في هذه السنة ولم يحضر قاضي القضاة الشافعية مطلقا والحنفية لم يحضروا إلا قبل البطالة بدرسين وفي يوم الأحد ثانية وهو اليوم الذي دعيت فيه درس القاضي كاتب السر كمال الدين بن ناصر الدين ابن البارزي في المدرسة العزيزية في النصف الذي كان بيد القاضي شمس الدين الكفيري وكنت قد تلقيته عنه بولاية معلقة على الشغور وباشرته في العام الماضي وكان مع

١ شذرات الذهب ٧: ٢٧٨.." (١)

"ذي القعدة وأرسلوا إلى الملك الصالح ايوب يستدعونه فأتاه فرج لم يسمع بمثله وسار ومعه الناصر داود إلى مصر وصار يلتقيه في كل يوم فرج من العساكر إلى أن دخل إلى قلعة الجبل بكرة يوم الأحد لست بقين من ذي القعدة وزينت له البلاد وفرح الناس بقدومه ولما استقر في ملك مصر خاف الناصر داود أن يقبض عليه فطلب دستورا وتوجه إلى بلاد الكرك وفي سنة ثمان وثلاثين وستمائة قوى خوف الصالح اسماعيل صاحب دمشق من ابن اخيه الصالح أيوب صاحب مصر فسلم صفد والشقيف إلى الافرنج ليعضدوه ويكونوا معه على ابن اخيه الصالح ايوب فعظم ذلك على المسلمين " ذكر تسليم القدس الشريف إلى الإفرنج " لما دخلت سنة إحدى واربعين وستمائة حصلت فيها المراسلة بين الملك الصالح أيوب صاحب مصر والملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق بالصلح وان صاحب دمشق يطلق الملك المغيث فتح الدين عمر بن الصالح أيوب وحسام الدين بن علي الهدماني وكانا معتقلين عند الصالح اسماعيل فأطلق حسام الدين وجهزه إلى مصر واستمر الملك المغيث في الاعتقال واتفق الصالح اسماعيل مع الناصر داود صاحب الكرك واعتضدا بالافرنج وسلما اليهم طبرية وعسقلان فعمر الافرنج قلعتهما وسلما أيضا اليهم القدس بما فيه من المزارات قال القاضي جمال الدين ومررت إذ ذاك بالقدس متوجها إلى مصر ورأيت

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٣٠١/١

القسس قد جعلوا على الصخرة قناني الخمر للقربان فالحكم لله العلي الكبير وكان الناصر داود فتح بيت المقدس –كما تقدم – في سنة سبع وثلاثين ثم فعل هذه الفعلة القبيحة فأبدل حسنة بسيئة وقد انتقم الله منه فيما بعد على ما سنذكره عند وفاته فنعوذ بالله من **سوء الخاتمة** والضلال بعد الهداية." (١)

"الأول: طهارة الفؤاد، وهي صرفه عما دون الله تعالى.

الثاني: طهارة السر، وهي رؤية المشاهدة.

الثالث: طهارة الصدر، وهي الرجاء والقناعة.

الرابع: طهارة الروح، وهي الحياء والهيبة.

الخامس: طهارة البطن، وهي الأكل من الحلال والعفة.

السادس: طهارة البدن، وهي ترك الشهوات.

السابع: طهارة اليدين، وهي الورع والاجتهاد.

الثامن: طهارة المعصية، وهي الحسرة والندامة.

التاسع: طهارة اللسان، وهي الذكر والاستغفار.

العاشر: طهارة التقصير، وهي خوف **سوء الخاتمة** نسأل الله تعالى السلامة.

وسمي صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه المستجمع لجميع أنواع الطهارة، لأن الله تعالى طيب باطنه وظاهره وزكى علانيته وسرائره. وسيأتي في الخصائص القول بطهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم.

«الطبيب»

«خا» «عا» فعيل بمعنى فاعل من الطب، وهو علاج الجسم والنفس بما يزيل السقم، أي الذي يبرئ الأسقام ويذهب ببركته الآلام.

«الطراز المعلم» :

أي العلم المشهور الذي يهتدى به. والطراز في الأصل– بكسر الطاء آخره زاي: علم الثوب، فارسي معرب. وسمي به صلى الله عليه وسلم لتشريف هذه الأمة به، كما يشرف الثوب بالطراز. والمعلم بالبناء للمفعول: المرسوم من العلامة، وهي ما يحصل به امتياز الشيء عن غيره، صفة للطراز.

---

(١) الأنس الجليل أبو اليمن العليمي ٢/٦

«طس» .

«طسم» .

ذكرهما «ذ» والنسفي، من أسمائه صلى الله عليه وسلم، وذكرهما جماعة في أسماء الله تعالى، وهذه الأسماء على ضربين: أحدهما: ما لا يتأتى فيه الإعراب نحو كهيعص. والثاني:

ما يتأتى فيه الإعراب وهو نوعان: الأول ما كان اسما مفردا كصاد وقاف. فهو محكى لا غير.

والثاني: أن يكون أسماء عدة مجموعها بوزن اسم مفرد كحم وطس ويس، فإنها بوزن قابيل وهابيل فيجوز فيه الإعراب والحكاية، وكذلك «طسم» يتأتى أن تفتح نونها وتصير مضمومة إليها فيجعلا اسما واحدا مركبا ك «دارا بجرد» لأنه مركب من «دارا» اسم الملك «وبجرد» اسم بلد.

«طه» :

ذكره خلائق في أسمائه صلى الله عليه وسلم وورد في حديث رواه ابن مردويه بسند ضعيف." (١)

"المسألة الرابعة: اختلف العلماء في إيمان المقلد، والمقلد هو أن يسمع إنسان الناس يقولون: إن للخلق ربا خلقهم وخلق كل شيء، ويستحق العبادة عليهم وحده لا شريك له، فيجزم بما سمعه منهم، والمختار الذي عليه الفقهاء وكثير من العلماء صحته من غير نظر واستدلال، لحصول الجزم بالإيمان الذي يحصله الاستدلال، ولأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقبلون إيمان عوام الأمصار التي فتحوها من العجم حال كون إيمانهم صادرا تحت السيف، ولا استدلال.

ومنع كثير من المعتزلة صحته وورد عليهم بأنه يلزم من قولهم تكفير العوام وهو غالب المؤمنين.

المسألة الخامسة: اختلف في أنه هل يجوز للإنسان أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله

تعالى؟

فذهب أبو حنيفة وأصحابه وكثير من العلماء إلى أنه ليس له أن يقول: ذلك، وإنما يقول: أنا مؤمن حقا.

والذي ذهب إليه الإمام الشافعي وأصحابه والإمام مالك وأصحابه والإمام أحمد وأصحابه وأكثر العلماء وأكثر السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى جواز قول الإنسان: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى وبه

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ١/٤٨٤

قالت الأشعرية هذا إذا كان جازما بالإيمان حال التكلم، أما إذا شك في إيمانه حال التكلم وقال: إن شاء الله للشك في إيمان فإن إيمانه يكون منفيا لأن الشك في ثبوته الحال كفر وليس محل قول إن شاء الله بالاتفاق بل محل النزاع بين الفريقين إنما هو إيمان الموافاة وهو الذي يموت العبد عليه، ويأتي متصفا به آخر حياته أول منازل آخرته، وهو المعتبر في النجاة في الدار الآخرة، وهو الملحوظ عند المتكلم بالمشيئة، فإذا جزم الإنسان بالإيمان في الحال ولكن لا يعلم هذا الحال يبقى هذا الإيمان إلى الوفاة أم، فله عند الفريق الثاني أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى أي: أنا أموت على الإيمان إن شاء الله وهو أمر مستقبل فالقائل: أنا مؤمن إن شاء الله مقتد بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وعامل بقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا * إلا أن يشاء الله [الكهف: ٢٣، ٢٤] أيضا يقول: إن شاء الله للتبرك بالمشيئة خوفا من **سوء الخاتمة**، مع جزمه بالإيمان في الحال فكان القائل: أنا مؤمن إن شاء الله يقول: أطلب **حسن الخاتمة**، فكم من إنسان سلب الإيمان عند موته، نسأل الله العظيم أن يختم لنا وللمسلمين بخير في عافية بلا محنة.

وحكى الإمام الغزالي حجة الإسلام قدس الله روحه في منهاج العابدين: أن تلميذ." (١)

"وإن كانوا قد استغنوا ... فأنا عنهم أغنى

وقال الإمام أبو محمد رحمه الله تعالى: خرج ثلاثة من الزهاد يريدون الحج إلى بيت الله الحرام في وسط السنة متوكلين بغير زاد، فنزلوا قرية بها نصارى فوقع نظر رجل منهم على محاسن امرأة فتعلق بها، فلما عزموا على السفر احتال بحيلة، فقعد وسار صاحباه وتركاه في القرية، فأفشى سره لأبي المرآة وخطبها منه فقال: مهرها كثير لا تقدر عليه فقال: وما هو فقال: تترك دين الإسلام وتدخل في دينها دين النصرانية، فتنصر وتزوجها وولد له منها ولدان ومات على دين النصرانية، فرجع صاحباه من سياحتهما وسألا عنه فقيل لهما: إنه توفى على دين النصرانية ودفنوه في مقابرهم، فذهبا إلى المقبرة فوجد امرأته وولديه يبكيان عليه، فجعل صاحباه يبكيان من بعيد فقالت لهما المرآة: مما تبكيان من بعيد، فقصا عليها القصة وذكرها عبادته وزهده وصلاحه، فلما سمعت رق قلبها إلى الإسلام فأسلمت هي وولداها فقال الشيخ أبو محمد: سبحان الله مات من كان مسلما على الكفر وأسلم من كان كافرا، فلذلك ينبغي أن يخاف المسلم عاقبة أمره ويسأل الله **حسن الخاتمة** ولله در القائل:

سبحان من خلف الأشياء وقدرها ... ومن يجود على العاصي يستره

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية شمس الدين السفيري ٢٩٧/١

يخفي القبيح ويبدي كل صالحة ... ويغمر العبد إحسانا ويشكره

ويغفر الذنب للعاصي ويقبله ... إذا تاب وبالغفران يجبره

ومن يلوذ به في دفع نائبة ... يعطيه من فضله عزا وينصره

ولا يضيع مقالا لمجتهد ... في ماله بل يربيه ويدخره

ومن يكن قلبه من ذنبه فاسدا ... فبالمدامع والتقوى طهره

فليس للعبد تصريف وأن له ... مولاه إن شاء يغنيه ويفقره

فلا الحذار ينجي العبد من قدر ... يريده الله وأمر يدبره

فنسأل الله حقا حسن خاتمة ... عند الممات وصفوا لا يكدره

وعن أبي يزيد البسطامي -رحمه الله- أنه كان إذا توضأ وقعت الزلزلة على أعضائه إلى أن يقوم إلى الصلاة ويكبر فيسكن عنه ذلك، فقيل في ذلك فقال: أخاف أن تدركني الشقاوة فأخطي إلى كنائس اليهود والنصارى وبيعهم، فتعوذ بالله من مكر الله.

وعن سفيان الثوري -رحمه الله- أنه خرج إلى مكة حاجا فكان يبكي من أول الليل إلى آخره في المحمل فقال له شيبان الراعي: يا سفيان، فما بكاؤك فإن كان لأجل." (١)

"المعصية فلا تعصه فقال: أما الذنوب فما خطرت ببالي قط كبيرها وصغيرها، وليس بكائي يا شيبان من أجل المعصية ولكن خوف العاقبة، لأني رأيت شيخا كبيرا كتبنا عنه العلم، وكان تلتمس بركته ويستقى به الغيث، فلما مات تحول وجهه عن القبلة ومات على الشرك كافرا، فما أخاف إلا من **سوء الخاتمة** فقال له: إن ذلك من شؤم المعصية والإصرار على الذنوب، فلا تعص ربك طرفة عين.

وقال منصور بن عمار -رحمه الله-: إذا دنا موت العبد قسم حاله على خمسة أقسام المال للوارث، والروح لملك الموت، واللحم للدود، والعظم للتراب، والحسنات للخصوم، ثم إن ذهب الوارث للمال يجوز، وإن ذهب ملك الموت بالروح يجوز، فيا ليت الشيطان لا ينهب بالإيمان عند الموت، فيكون فراقا من الرب سبحانه وتعالى، نعوذ بالله من ذلك، فإن كل فراق إلى اجتماع، وفراق الرب سبحانه صعب لا يدركه أحد.

وعن محمد بن نعيم قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما جاءني جبريل - عليه السلام - إلا وهو رعد فرقا وخوفا من الجبار - عز وجل -» (١) .

وقيل: لما ظهر على إبليس ما ظهر من المخالفة والطرد بعد القرب والعبادة، طفق جبريل وميكائيل عليهما

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية شمس الدين السفيري ٢٩٩/١

السلام يبكيان فأوحى الله إليهما ما لكما تبكيان هذا البكاء وإني لا أظلم أحدا قالا: يا رب لا نأمن مكرك أي: ما نأمن أن تقضي علينا بالبعد بعد القرب، وبالشقاوة بعد السعادة فقال: الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري.

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه خرج إلى صلاة الجمعة فلقيه إبليس في صورة شيخ عابد فقال: له إلى أين يا عمر؟ فقال له: إلى الصلاة، فقال: قضينا الصلاة وفاتتك الجماعة، والجمعة فعرفه فمسكه بتلابيبه وخنقه وقال له: ويلك ألم تك رأس العابدين وقدوة الزاهدين، فأمرت بسجدة واحدة فأبيت واستكبرت وكنت من الكافرين، وطردت وأبعدت إلى يوم القيامة فقال: تأدب يا عمر هل كانت الطاعة بيدي أم الشقاوة بمشيئتي، إني كنت أبسط سجادة عبادتي تحت قوائم العرش، ولم أترك في السماوات بقعة إلا فيها سجدة وركعة ومع هذا القرب قيل لي: أخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين، فإن كنت يا عمر أمنت مكر الله فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، فقال له عمر: اذهب فلا طاقة لي بكلامك، أين الذين كانوا في اللذات يتقلبون ويتجبرون على الخلق ويتكبرون، مزجت لهم كؤوس المنون، فهم لها يتجرعون، وتركوا الأموال التي كانوا لها يجمعون، وفارقوا الذي كانوا به، وفاتهم النعيم الذي كانوا به ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون، فلو رآهم يا هذا في حلل الندامة

---

(١) لم نقف عليه.." (١)

"وكان النبى صلى الله عليه وسلم قبل قدوم بشر أخبر الناس بتلك القصة*

بعث غالب الليثى الى الميفعة

وفى رمضان هذه السنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثى فى مائة وثلاثين رجلا الى الميفعة بناحية نجد من المدينة على ثمانية برد على جمع من بنى عوال وبنى عبد بن ثعلبة فهجموا عليهم فى وسط محالهم فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة* قالوا وفى هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيك بن مرداس بعد أن قال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا شققت قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال أسامة لا أقاتل أحدا يشهد أن لا اله الا الله* وفى الاكليل فعل ذلك أسامة فى سرية كان هو أميرا عليها سنة ثمان وفى البخارى عن أبى ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يقول

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية شمس الدين السفيري ١/٣٠٠

بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف الانصارى عنه وطعنته برمحى حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت انى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم أورده فى المواهب اللدنية وستجىء هذه القصة فى الموطن الثامن فى سرية غالب بن عبد الله الليثى الى فدك*

سرية بشر بن سعد الى يمن وجبار

وفى شوال هذه السنة كانت سرية بشر بن سعد الانصارى الى يمن وجبار بفتح الجيم وهى أرض لغطفان ويقال لفزارة وعذرة وبعث معه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا للاغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشر هربوا وأصاب لهم نعما كثيرة فغنمها وأسر رجلين وقدم بهما المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما

سرية ابن عمر الى قبل نجد

وبعث صلى الله عليه وسلم سرية قبل نجد وفيها ابن عمر رضى الله عنهما قال فبلغت سهماننا اثنى عشر بعيرا ونفلنا بعيرا فرجعنا بثلاثة عشر بعيرا يحتمل ان تكون هذه السرية هى سرية ابان بن سعيد المذكورة وأن تكون غيرها*

كتابه الى جبلة بن الايهم

وفى هذه السنة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبلة بن الايهم آخر ملوك غسان ودعاه الى الاسلام قال فلما وصل اليه الكتاب أسلم وكتب جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه باسلامه وأرسل الهدية وكان ثابتا على اسلامه الى زمان عمر بن الخطاب* وفى خلافته قدم مكة للحج وحين كان يطوف فى المطاف وطئ رجل من فزارة ازاره فانحل فلطم الفزارى لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه فشكا الفزارى الى عمر واستغاثه فطلب عمر جبلة وحكم بأحد الامرين اما العفو واما القصاص قال جبلة أتقتص له منى سواء وأنا ملك وهو سوقى قال عمر الاسلام سوى بينكما ولا فضل لك عليه الا بالتقوى قال فان كنت أنا وهذا الرجل سواء فى هذا الدين فسأتنصر قال عمر اذا أضرب عنقك قال فأمهلنى الليلة حتى أنظر فى أمرى فلما كان الليل ركب فى بنى عمه وهرب الى قسطنطينية وتنصر هناك ومات مرتدا

نعوذ بالله من ادراك الشقاوة **وسوء الخاتمة** قيل اليه أشار الشاعر بقوله

أخذت بالجمة رأسا أزعرا ... وبالثنايا الواضحات الدردرا

وبالطويل العمر عمرا جيذرا ... كما اشترى المسلم اذ تنصرا

وبعض أهل الاسلام على أن جبلة عاد الى الاسلام ومات مسلما والله أعلم وقد مر فى هذا الموطن فى ذكر كتابه الى الحارث بعض ما يخالف هذا*

قتل شيرويه اباه

وفى هذه السنة قتل شيرويه اباه على ما سبق ذكره قال الواقدى كان قتله ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الاخرة أو جمادى الاولى سنة سبع من الهجرة لست أو سبع ساعات مضين* روى أنه لما قتل أباه كان الملك لا يستقر عليه حتى قتل سبعة عشر أخاله ذوى أدب وشجاعة فابتلى بالاسقام فبقى بعده ثمانية أشهر وقيل ستة أشهر ثم مات ويقال مدة عمر شيرويه اثنان وعشرون سنة*

هدية المقوقس

وفى هذه السنة وصلت هدية المقوقس ملك الاسكندرية." (١)

"فيها النقل الى المدرسة التي بنتها قبل ذلك في المدينة المزبورة فنقل المرحوم عنها الى هذه المدرسة بالوظيفة المذكورة ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة ايا صوفيه بستين ثم الى احدى المدارس السليمانية ثم قلد قضاء المدينة المنورة ثم نقل الى قضاء مكة المشرفة ولم يتفق لاحد من علماء الروم في سالف العصور تولية القضاء في الحرمين الشريفين غير المولى المزبور ولاختصاصه بهذه الفضيلة من البين لقبه اهل هذه الديار بقاضي الحرمين وانتقل رحمه الله بمكة المشرفة في اوائل ذي الحجة سنة تسع وسبعين وتسعمائة وقد وقع وصول ماء عرفات بمكة في هذه السنة وكان يعمل له في سنة سبعين بهمة السيدة مهروماه بنت السلطان سليمان فانها لما وصلت اليها قلة المياه بمكة ومضايقة اهل الحرم الشريف فيها واخبرت بامكان مجيء ماء عرفات الى مكة شرفها الله تعالى قصدت اليه واعتنت بعمارته وافنت فيه اموالا جزيلة الى ان تيسرت لها هذه المثوبة العظمى في السنة المزبورة فاتفق دخولها بموت المولى المزبور وكذلك مجيء الحاج في السنة المزبورة فاتفق ان اجتمع في جنازته خلق كثير وجم غفير من العلماء والصلحاء

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس الديار بكري ٦١/٢

وشهدوا له بالخير **وحسن الخاتمة** ودعوا له بالمغفرة الدائمة وكان المرحوم من اعيان افاضل الروم معدودا من الرجال مذكورا في عداد ارباب الفضل والكمال نظيفا وجيها عظيم التؤدة والوقار بحيث نسبه الناس الى الغرور والاستكبار غفر له الملك الغفار

ومن العلماء الاعلام وفضلاء الاعجام المولى مصلح الدين اللاري

ولد رحمه الله في اللار وهي بالراء المهملة مملكة بين الهند والشيراز اشتغل رحمه الله على مير غياث بن مير صدر الدين المستغني بشهرته التامة عن التوصيف والتبيين وقرا ايضا على ميركمال الدين حسين تلميذ المولى المعروف لدى القاصي والداني جلال الملة والدين محمد الدواني ثم ذهب الى بلاد الهند واقتحم شدائد الاسفار واتصل بالامير همايون من اعاظم ملوك هذه الديار وحل عنده محلا رفيعا ومنزلا منيعا وتلمذ منه ولقبه بالاستاذ وعامله باللطف والرأفة الى ان افناه الدهر واباد وقامت الفتن والحوادث من بعده في تلك البلاد فخرج المرحوم عنها." (١)

"الرحمة معنى يوجده الله تعالى فيمن يشاء من خلقه وفيها يتفاوتون. (قال: نعم، كنت أخشى العاقبة) أي آخر أمري من **سوء الخاتمة** لما وقع لإبليس من الزلة (فأمنت) بفتح فكسر وضبطه التلمساني بصيغة المجهول ففي القاموس الأمن ضد الخوف أمن كفرح وقد أمنه كسمع ائتمنه واستأمنه انتهى ولا يخفى أن بناء المجهول غير ظاهر في المعنى إذ المراد فصرت آمنا ببركة القرآن الذي نزل عليك (لثناء الله عز وجل علي بقوله: ذي قوة عند ذي العرش مكين) أي صاحب مكانة (مطاع) أي بين الملائكة (ثم) أي فيما هنالك (أمين [التكوير: ٢٠- ٢١]) أي على أمر الوحي وغيره ووجه الاستدلال به أنه تعالى حيث مدحه في محكم كتابه العظيم وأخبر عن حسن حاله للنبي الكريم لا يتصور تبدل حاله ولا تغير مآله ولا يبعد أن يجعل قوله أمين بمعنى مأمون العاقبة وقد سنح بالبال والله تعالى أعلم بالحال أنه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم رحمة لجميع خلق الله تعالى فإن العالمين لا شك أنه حقيقة فيما سواه ولا صارف بالاتفاق يصرفه عن دلالة الإطلاق ثم من المعلوم أنه لولا نور وجوده وظهور كرمه وجوده لما خلق الإفلاك ولا أوجد الاملاك فهو مظهر للرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء من الحقائق الكونية المحتاج إلى نعمة الإيجاد ثم إلى منحة الإمداد وينصره القول بأنه مبعوث إلى كافة العالمين من السابقين واللاحقين فهو بمنزلة قلب عسكر المجاهدين والأنبياء مقدمته والأولياء مؤخرته وسائر الخلق من أصحاب الشمال واليمين ويدل

---

(١) الشقائق النعمانيه في علماء الدوله العثمانيه طاشكبري زاده ص/٤١٩

عليه قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ومن جمله انذاره للملائكة قوله سبحانه وتعالى ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ويقويه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت إلى الخلق كافة وقد بينت وجه ارساله إلى الموجودات العلوية والسفلية في رسالتي المسماة بالصلاة العلية في الصلاة ا لمحمدية. (وروي عن جعفر بن محمد) أي الباقر (الصادق) نعت لجعفر (في قوله تعالى:

فسلام) أي فسلامة من كل ملامة (لك) أي لرحمتك (من أصحاب اليمين [الواقعة: ٩١]) خبر سلام أي حاصل من أجلهم ولو كان من أعظمهم وأجلهم. (أي بك) أي بسبب وجودك أو بسبب كرمك وجودك (إنما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بالشفاعة العظمى فإنها شاملة للنفوس العليا والسفلى من الأولى والأخرى فشملت رحمته في الابتداء والانتهاء في الدنيا والعقبى وقال التلمساني لمحمد روي باللام والباء واللام تعليلية والباء سببية فتكون كرامة مضافة إلى ضمير الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى انتهى والنسخ المصححة والأصول المعتمدة على الإضافة إلى المفعول وهو الظاهر في المعنى قال الدلجي أي من أجل إكرام الله إياه فوضع الظاهر موضع المضمر وإلا ظهر أنه التفات من الخطاب إلى الغيبة ثم أغرب الدلجي أن من على ه ذا زائدة ويجوز أنت كون بمعنى لام التعدي أي لسببك وقع السلام لأصحاب اليمين من أجل إكرام الله تعالى اياك وما قاله تكلف بعيد انتهى والكل تكلف بل تعسف والتحقيق أنه أراد أن الخطاب في." (١)

"الله عليه وسلم تسليما كثيرا) أي سلاما كثيرا يترتب عليه مراما كبيرا هذا وقد ثبت أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت ربي لأمتي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها وفي مسلم استأذنت ربي في أن استغفر لها يعني أمه فلم يؤذن لي واستأذنت في أن أزور قبرها فأذن لي والله سبحانه وتعالى أعلم ثم قيل آخر من يخرج من النار هناد بعد سبعة آلاف سنة قال الحسن يا ليتني كنت هنادا يعني لقطعه **بحسن الخاتمة** خوفا من سوء العاقبة فنسأل الله تعالى العافية.

فصل [في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة]

(في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة بالوسيلة) وهي منزلة القربة والوصلة (والدرجة الرفيعة) أي

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٤٦/١

العالية التي ليس فوقها درجة (والكوثر) فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير والعطاء الوفير وفي الحديث أعطيت الكوثر وهو نهر في الجنة يعني ويصب منه في حوض الكوثر يوم القيامة (والفضيلة) أي الصفة الزائدة التي عجز عن بيانها الواصفون مما لا عين رأي ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد أن يراد بها أنواع الفضيلة فهو تعميم بعد تخصيص (حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) تقدم، (والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد) سبق (بقراءتي عليهما قالا ثنا) أي حدثنا (أبو علي الغساني) بتشديد السين المهملة مر ذكره (قال حدثنا النمري) بفتح النون هو الحافظ ابن عبد البر (حدثنا ابن عبد المؤمن) أي عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي (حدثنا أبو بكر التمار) بتشديد الميم نسبة إلى التمر (حدثنا أبو داود) وهو محدث العصر صاحب السنن (حدثنا محمد بن سلمة) أي المرادي أبو الحارث المصري وكان أحد الأئمة الأثبات. (حدثنا ابن وهب) سبق ذكره (عن ابن لهيعة) بفتح فكسر حضرمي بصري ضعيف وكان قاضي مصر (وحيوة) بفتح الحاء المهملة وسكون التحتية ابن شريح المصري الحمصي كان حافظا مجاب الدعوة روى عنه البخاري وغيره (وسعيد بن أبي أيوب) أي المصري ثقة (عن كعب بن علقمة) وفي نسخة عن كعب عن علقمة والأول هو الصواب كما صرح به الحلبي وغيره وهو تابعي روى عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة (عن عبد الرحمن بن جبير) بضم الجيم وفتح الموحدة مصري فقيه مقرئ ثقة وكان مؤذنا (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) وفي نسخة العاصي بالياء والصواب الأول (أنه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) قال الحلبي هذا الحديث أخرجه القاضي كما ترى من سنن أبي داود وقد أخرجه أبو داود في الصلاة وأخرجه مسلم أيضا فيها بالسند الذي أخرجه أبو داود سواء إلا أنه قال عن ابن وهب عن حيوة بن شريح وسعيد بن أيوب وغيرهم كلهم عن كعب بن علقمة به وأخرجه الترمذي في المناقب وقال صحيح والنسائي في الصلاة وفي اليوم والليلة وإنما أخرجه المصنف من." (١)

"حصول الذنب عمدا من أرباب النبوة بخلاف أصحاب الولاية ولذا لما سئل جنيد أيزني العارف أطرق مليا ثم قال وكان أمر الله قدرا مقدورا وبهذا يتبين أنه لا يوجد في النبي ما يكون سببا لسلب النبوة أو الإيمان والمعرفة بخلاف الولي فإنه قد يخرج عن مرتبة الولاية بارتكاب الكبيرة ويخاف عليه من **سوء الخاتمة** نسئل الله العافية ولعل هذا التفصيل يبين لك معنى قوله، (وإن) بكسر الهمزة وفتحها (تلك الأقدار) أي المقدرات جمع قدر محركة وتسكن (لم تحطه عنها) بتشديد الطاء أي لم تنزله عن درجة النبوة (حبة

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٤٧٩/١

خردل) وهي حبة الرشاد (ولا أدنى) أي أقل منها بقدر ذرة بل أقول إنها كلها كانت أسباب زيادة مثوبة ورفعة درجة من حيث إنها نشأت عن الغضب في الله والهجرة في مرضاته إلا أن بعضها كان خلاف الأولى بالنسبة إلى المقام الأعلى فإن حسنات الأبرار سيئات الأحرار فعوتب في ذلك تنبيها لما هنالك؛ (وسنزيد في القسم الثالث في هذا) أي المبحث (بيانا) أي شافيا كافيا (إن شاء الله تعالى) أي أراد كونه جامعا مانعا (فقد بان لك الغرض) بفتح الغين المعجمة والراء أي المقصود (وسقط بما حررناه شبهة المعترض) أي المردود، (وبالله التوفيق) أي على طاعة المعبود (وهو المستعان) أي في كل مورود (لا إله إلا هو) أي الواجب الوجود وصاحب الكرم والجود وهو نعم الإله ولا إله سواه.

فصل [في أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته]

(في أسمائه عليه الصلاة والسلام وما تضمنته من فضيلته) أي المشعرة بتفضيله على سائر الأنبياء الكرام اعلم أن ابن العربي المالكي في الأحوذي شرح الترمذي حكى عن بعضهم أن لله تعالى ألف اسم وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ألف اسم ثم ذكر منها على التفصيل نيفا وستين قال الحلبي وقد رأيت مجلدين في القاهرة مصنفا يقال له المستوفى في اسماء المصطفى لابن دحية الحافظ جمع فيه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوق الثلثمائة قلت وكان شيخ مشايخنا السيوطي اختصره في كراريس وسماها بالبهجة البهية في الاسماء النبوية واقتصر منها على التسعة والتسعين وفق عدد اسماء الله الحسنى الثابتة بالطرق المرضية إذ قد قال ابن فارس هي الفان وعشرون وفي الجملة كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى المشعرة بكثرة النعوت والأوصاف (حدثنا أبو عمران) بكسر أوله (موسى بن أبي تليد) بفتح فكسر (الفقيه) بالرفع (ثنا) أي حدثنا (أبو عمر الحافظ) أي ابن عبد البر، (ثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن أصبغ) بفتح همزة وسكون مهملة وفتح موحدة فغين معجمة غير مصروف الإمام الحافظ محدث الأندلس سمع ابن قتيبة وابن أبي الدنيا وروى عنه حفيده قاسم بن محمد والحافظ الباجي وفي آخر عمره قطع الرواية خوفا من الغلط وانتهى إليه علو الإسناد والحفظ والجلالة وتوفي بقرطبة سنة أربعين وثلاثمائة (ثنا محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة (ثنا يحيى) أي راوي الموطأ (ثنا مالك) أي الإمام (عن ابن شهاب) أي الزهري." (١)

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٤٨٩/١

"في المواهب ذكره العاصي عياض في الشفاء ونقله عنه عبد الحافظ أبو الفضل في فتح الباري، (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما رواه أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجة عنه أنه قال (صعد) بكسر العين أي طلع (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا) بضمتين وهو جبل عظيم قرب المدينة (فرجف بهم) بفتح الجيم أي اضطرب من هيبتهم وارتعد من خشيتهم (فقال أثبت أحد) أي يا أحد (فإنما عليك نبي) أي ثابت النبوة (وصديق) أي مبالغ في ثبوت الصداقة (وشهيدان) أي ثابتان في مرتبة الشهادة ومنزلة **حسن الخاتمة** بالسعادة ووقع في أصل الدلجي بعد قوله فرجف بهم فضربه برجله وهو غير موجود في النسخ المعتبرة وفي أصل التلمساني أو صديق أو شهيد فهي كالواو للمصاحبة أو للتفصيل (ومثله) أي مثل ما روى أنس في أحد روى (عن أبي هريرة في حراء) بكسر الحاء ومد الراء منصرفا وممنوعا وقصره وهو جبل بمكة على يسار الذاهب إلى منى (وزاد) أي أبو هريرة (معه) أي مع ما ذكر (وعلي) أي قوله وعلي بالعطف على ما قبله والمعنى روى ومعه علي (وطلحة والزبير وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد) وفي رواية وسعد بن أبي وقاص بدل وعلي فتحركت الصخرة فقال اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد رواه مسلم والترمذي في مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدأ بدل اسكن (والخبر) أي الذي رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رواه الترمذي والنسائي (في حراء أيضا عن عثمان قال) أي عثمان (ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد) أي عثمان (عبد الرحمن) أي ابن عوف كما في نسخة (وسعدا) وهو ابن أبي وقاص (قال) وفي نسخة وقال أي عثمان (ونسيت) بفتح فكسر والأولى بضم فكسر مشددا (الاثنين) لعلهما طلحة والزبير.

(وفي حديث سعيد بن زيد) أي كما رواه أبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة (أيضا مثله) أي مثل الخبر المروي قبله (وذكر عشرة وزاد) أي سعيد (نفسه) أي ذكرها فيهم.

(وقد روي) بصيغة المجهول أي في حديث الهجرة من السيرة (أنه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حين طلبته قريش قال له: ثبير) بفتح المثلثة وكسر الموحدة اسم لجبل بظاهر مكة على ما في القاموس وفي النهاية جبل معروف انتهى والمشهور أنه جبل عظيم بمنى قبالة مسجد الخيف على يسار الذاهب إلى عرفات وأما قول الشمني جبل بمزدلفة فمعناه أنه متصل بآخر مزدلفة وأما قول الحجازي جبل عظيم بالمزدلفة على يمنة الذاهب من منى إلى عرفات فأظنه أنه سهو أو هو من اسمائه وليس بمراد هنا (اهبط يا رسول الله) أي انزل عني (فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله تعالى) أي بمشاهدة هذا الأمر فوقي وتحمل هذا الفعل مني (فقال حراء إلي) أي التجئ واصعد إلي وارتفع لدي (يا رسول الله) وكان

الخوف غالبا على ثبير والرجاء على حراء. (وروى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ) أي على المنبر (وما قدروا الله حق قدره [الأنعام: ٩١]) أي وما عظموه حق عظمته أو ما عرفوه حق معرفته بجعلهم له شريكا في الوهيته ووصفهم إياه بما لا يليق." (١)

"أنه يعدل ويلك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا والحديث في الكشاف وفيه دليل على جواز إطلاق اسم الراعي على الأنبياء وأن ذلك لا يستوجب التأديب إذا لم يقصد القائل به منقصة ولعل هذا الحديث لم يبلغ مالكا أو لم يصح عنده انتهى ولا يخفى أن الحديث إذا لم يصح عنده كيف يخفى عليه أن موسى عليه السلام رعى الغنم (قال) أي مالك (ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا) فيما صدر عنهم من خطأ في قول أو فعل (أن يقولوا) في جواب العتاب (قد أخطأت الأنبياء قبلنا) فإن هذا خطأ من وجوه إذ لا يقاس الحدادون بالملائكة فإن خطأ الأنبياء ما كانت إلا زلات نادرة في بعض أوقات تسمى صغائر بلا خلاف الأولى بل حسنات بالنسبة إلى سيئات غيرهم وهي مع هذا ممحوة بتوبة عقيبها وتحقيق قبولها كما أخبر الله تعالى بها بخلاف ذنوب الأمم فإنها شاملة للكبائر وغيرها عمدا وخطأ واستمرارا وعلى تقدير توبتهم لا يعرف تحقق شروط صحتها وقبولها بل ولا يدري خاتمة أمر صاحبها بخلاف الأنبياء فإنهم معصومون من الإصرار على المعصية ومأمونون من سوء الخاتمة فلا تصح هذه المقايسة، (وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له: قد كان أبو النبي كافرا. فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي أبدا) وهذا يوافق ما قال إمامنا في الفقه الأكبر أن والدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماتا على الكفر وقد كتبت في هذه المسألة رسالة مستقلة ودفعت فيها ما ذكره السيوطي من الأدلة على خلاف ذلك في رسائله الثلاث لكي لا يجوز أن يذكر مثل هذا في مقام المعيرة (وقد كره سحنون أن يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب) أي قصده (والاحتساب) أي طلب الأجر (توقيرا له وتعظيما كما أمرنا الله) بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما (وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح) أي صورته (كأنه وجه نكير) هو أحد ملكي سؤال القبر والآخر منكر وإنما سميا بذلك لأنهما يأتيان العبد بهيئة منكرة وصورة مغيرة امتحانا من الله لعبده في المقبرة، (ولرجل) أي أو قال رجل لرجل (عبوس) أي وجهه وجبينه (كأنه) أي وجهه (وجه مالك الغضبان) على أهل العصيان وهو خازن النار قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون وروي ملك بدون الألف وصوابهما أن يكونا بالتنوين وغضبان نعتهما (فقال) أي القابسي (أي شيء) بالرفع ويجوز نصبه أي ما

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٦٣٢/١

الذي (أراد بهذا) الكلام (ونكير أحد فتاني القبر) بتشديد الفوقية أي أحد الممتحنين في القبر والجملة معترضة حالية وكذا قوله (وهما) أي نكير ومنكر أو نكير ومالك (ملكان) من جملة الملائكة المقربين ولما طال الفصل بالجملتين أعاد الكلام بقوله (فما الذي أراد أروع) بفتح الراء أي أخوف وأفزع (دخل عليه) أي على القائل (حين رآه) أي المقول له وفي نسخة إذ رآه (من وجهه) متعلق بدل أي من جهة هيبه وجهه (أم عاف النظر إليه) أي كره رؤيته لديه ووقوع بصره عليه وفي نسخة عاب بدل عاف (لدمامة خلقه) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة أي حقارة صورته (فإن كان) مراد (هذا) أي القصد الثاني (فهو شديد) في التنكير (لأنه جرى." (١)

"نثني عليه بما يوافي نعمه ويكافي كرمه (على ما هدى) أي دلنا (إليه من جمعه وألهم) من عزمه (وفتح البصيرة) الباطني (لدرك) بسكون الراء وفتحها أي لادراك (حقائق ما أودعناه وفهم) دقائق ما بيناه وعيناه مما يتعلق بمصطفاه، (ونستعيذه) أي نعوذ به ونلوذ (جل اسمه) كمسماه (من دعاء لا يسمع) أي لا يقبل (وعلم لا ينفع) أي غير نافع صاحبه (وعمل لا يرفع) أي لا يصعد بل يرد على وجه كاسبه وورد زيادة ونفس لا تشبع ومن هؤلاء الأربع إجمالا بعد تفصيل إكمالا (فهو الجواد) بفتح الجيم وتخفيف الواو وقد ورد في الحديث غير أني جواد ماجد أي صاحب الجواد والعظمة في مقام الشهود (الذي لا يخيب) بفتح الياء وتضم وكسر الخاء المعجمة وفي نسخة بضم الياء الأولى وتشديد الثانية أي لا يضيع ولا يخسر (من أمله) بتشديد الميم أي قصده ورجاه (ولا ينتصر) على عدوه (من خذله) أي ترك نصرته ومنع حرمته (ولا يرد دعوة القاصدين) لقوله تعالى ادعوني أستجب لكم والحديث أن الله ليستحي أن يرد يد عبده صفرا إذا رفعها إليه (ولا يصلح عمل المفسدين) لأمر الدين (وهو حسبنا) أي كافينا في كل قليل وجليل (ونعم الوكيل) أي الموكول إليه والمعتمد عليه وهي كلمة قالها إبراهيم الخليل لما ألقي في النار ومحمد الجليل وصحبه الجميل لما قيل إن الناس قد جمعوا لكم وروي أنه من خشي عدوه فليقل حسبي الله ونعم الوكيل وقيل لما ألقى يوسف عليه السلام في الجب قال حسبي الله ونعم الوكيل فعذب ماؤها بعد ما كان مالحا فهو سبحانه وتعالى حسبنا ونعم الوكيل ربنا ونعم الشفيع نبينا ونسأل الله دوام العافية وتوفيق تمام الطاعة **وحسن الخاتمة** والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا على جميع ما أنعم من النعم ما علمت منها وما لم أعلم والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ربنا توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين وأدخلنا الجنة آمنين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين فرغ

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢/٤٤٧

مرلفه رحم هو وسلفه أواسط رمضان المبارك عام أحد عشر بعد الألف من الهجرة النبوية إلى المدينة السكينة وذلك بمكة المكرمة الأمينة وأنا الفقير إلى ربه الباري علي ابن سلطان محمد القاري الحنفي عاملهما الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي ومن أحسن ما نظم في تحسين هذا الكتاب ما قاله بعض أولي الألباب من الأصحاب.

نظم

شفى داء النفوس لنا الشفاء ... أضاء النور منه والثناء

ونال محبه كل الأماني ... وزال به عن القلب الصداء

تلألأ نوره أبدا علينا ... ظلام الليل عاد لنا ضياء

جواهر نظمه درر وأبهى ... من الياقوت حقا لأمراء

حوى حكما وموعظة وحكما ... فصاحة من له شهدت ظباء

فصاحة خير رسل الله فيه ... ومدح الله فيه والثناء." (١)

"فنسأل الله العافية، **وحسن الخاتمة**، ثم ما دمت في هذا الدار، فلا تستغرب وقوع الأكدار فقد ورد: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة"١، إذ عيشها لا كدر معه، والحمد لله أولا وآخرا، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه٢.

---

١ روى البخاري في كتاب الرقاق ١١٥/٤، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ١٤٣١/٣، رقم (١٨٠٥) ، واللفظ له بسندهما عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول في غزوة الخندق: " اللهم! لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة"

٢ كان الفراغ من تحقيقه - ولله الحمد والمنة - غرة شهر رمضان المبارك عام ١٤١٣هـ في المدينة المنورة.." (٢)

"من الحق الواجب فيه ولا تطالب بإخراج شيء آخر منه (ت) وقال غريب (هـ ك) في الزكاة (عن أبي هريرة) قال ك صحيح

(إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره) أي الدنيوي الذي هو تلفه ومحق البركة منه والأخروي الذي

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٥٥٨/٢

(٢) تسلية الأعمى عن بلية العمى الملا على القاري ص/٧١

هو العذاب (ابن خزيمة) في صحيحه (ك) في الزكاة (عن جابر) بن عبد الله مرفوعا وموقوفا وهو صحيح

(إذا أذن) بالبناء للمجهول (في قرية) أو بلد أو نحوها من أماكن الاجتماع (أمنها الله) بالقصر والمد أي أمن أهلها (من عذابه) أي من إنزال عذاب بهم (في ذلك اليوم) الذي أذن فيه بأن لا ينزل عليهم بلاء ولا يسلط عليهم عدوا أو المراد يمتنع قتالهم (طص عن أنس) بن مالك

(إذا أذن المؤذن يوم الجمعة) أي بين يدي الخطيب لأنه المعروف وأما الأذان الأول فأحدثه عثمان (حرم) على من تلزمه (العمل) أي الشغل عنها بما يفوتها لما فيه من التفريط في الواجب الذي دخل وقته (فائدة) الأذان شرع بعد الهجرة وما في خبر أن بلالا أذن بمكة ضعيف (فر عن أنس) بن مالك بإسناد ضعيف

(إذا أراد الله بعبد خيرا جعل صنائعه) أي فعله الجميل جمع صنيعة وهي العطية والكرامة (ومعروفه) أي حسن صحبته ومواساته (في أهل الحفاظ) بكسر الحاء وتخفيف الفاء أي الدين والأمانة (وإذا أراد) الله (بعبد شر جعل صنائعه ومعروفه في غير أهل الحفاظ) أي جعل عطاياه وفعله الجميل في غير أهل الدين والأمانة والأول علامة **حسن الخاتمة** والثاني ضده (تنبيه) قال بعضهم أصحاب الأنفس الطاهرة والأخلاق الزكية اللطيفة يؤثر فيها الجميل فينبعثون بالطبع والمروأة إلى توفية الحقوق ومكافأة الخلق بالإحسان إليهم ومن لم يكن كذلك فهو بالضد وحكى أن همام بن مرة كان قد أخذ ناشرة من أمه لما مات أبوه وعجزت عن تربيته فرباه وأحسن إليه فلما بلغ فعل قبيحا فنهاه عنه فتركه حتى نام واغتاله (فر عن جابر) بن عبد الله بإسناد فيه كذاب فزعم صحته وهم

(إذا أراد الله بعبد خيرا) قيل المراد بالخير المطلق الجنة وقيل عموم خيري الدنيا والآخرة (جعل غناه في نفسه) أي جعله قانعا بالكفاف لئلا يتعب في طلب الزيادة وليس له إلا ما قسم له (وتقاه) بضم الفوقية وتخفيف القاف (في قلبه) بأن يملأه بنور اليقين ويمن عليه بزواجر التذكير ليؤب ويتوب (وإذا أراد) الله (بعبد شرا جعل فقره بين عينيه) فلا يزال فقير القلب حريصا على الدنيا منهمكا فيها وإن كان موسرا (الحكيم) الترمذي (فر) كلاهما (عن أبي هريرة) وفي إسناده مجهول

(إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين) أي فهمه الأحكام الشرعية أو أراد بالفقه العلم بالله وصفاته التي تنشأ عنها المعارف القلبية (وزهده) بالتشديد صيره زاهدا (في الدنيا) بأن يجعل قلبه معرضا عنها محتقرا لها رغبة في الدار الآخرة (وبصره) بالتشديد (عيوبه) أي عرفه بها وبينها له ليتجنبها ويحذرها ومن لم يرد الله به خيرا يعمى عن عيوب نفسه قال بعضهم

(إن المرآة لا تريك ... عيوب نفسك في صداها)

(وكذاك نفسك لا تريك ... عيوب نفسك في هواها)

وقال المتنبي

(ومن جهلت قدره نفسه ... رأى غيره منه ما لا يرى)

(هب عن أنس) بن مالك (فر عن محمد بن كعب القرظي) بضم القاف وفتح الراء ومعجمة نسبة." (١)

"(منه) أي من الله (استدراج له) أي استنزال له من درجة إلى أخرى حتى يدنيه من العذاب فيصبه عليه صبا ويسحه عليه سحا فالمراد بالاستدراج هنا تقريبه من العقوبة شيئا فشيئا (حم طب هب عن عقبة بن عامر) الجهني وإسناده صحيح

(إذا رأيت من أخيك) في الدين (ثلاث خصال) أي فعل ثلاث خصال (فارجه) أي فأمل أن تنتفع به عن قرب ويكون مشاورا في الأمور مسترشدا في التدبير وهي (الحياء والأمانة والصدق) فإن هذه الخصال أمهات مكارم الأخلاق فإذا وجدت في عبد دلت على صلاحه فيرجى ويرتجى (وإذا لم ترها) مجتمعة فيه (فلا ترجه) لشيء مما ذكر ولا ترجو له الفلاح (عد فر عن ابن عباس) بإسناد ضعيف

(إذا رأيت كلما) بالنصب هنا على الظرفية (طلبت شيئا من أمر الآخرة) أي من الأمور المتعلقة بها المقربة إليها (وابتغيته يسر لك) أي تهيأ وحصل لك بسهولة وعدم تعب (وإذا أردت شيئا من أمر الدنيا) أي من الأمور المتعلقة بها (وابتغيته عسر عليك) أي صعب فلم يحصل لك إلا بتعب وكلفة ومشقة (فاعلم أنك على حالة حسنة) أي مرضية عند الله تعالى لأنه إنما زوى عنك الدنيا وعرضك للبلاء لينقيك من دنسك ويريحك ويرفع درجتك في الآخرة (وإذا رأيت كما طلبت شيئا من أمر الآخرة وابتغيته عسر عليك وإذا طلبت شيئا من أمر الدنيا وابتغيته يسر لك فأنت على حالة قبيحة) أي غير مرضية عنده تعالى فإن النعم محن والله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلوا بالنقمة والأول علامة **حسن الخاتمة** والثاني ضده والمسئلة رباعية فبقي ما إذا كان يعسر عليه أمر الدنيا والآخرة وما إذا كانا يتيسران له ولم يتعرض لهما لوضوحهما (ابن المبارك في) كتاب (الزهد عن سعيد بن أبي سعيد مرسلا) هو ابن كيسان المقبري (هب عن عمر بن الخطاب) وفيه انقطاع

(إذا رأيتم من) أي مكلفا (يبيع أو يبتاع) أي يشتري وهو (في المسجد فقولوا) له ندبا وقيل وجوبا (لا أربح الله تجارتك) دعاء عليه بالخسران أو احتمال الخبر بعيد (وإذا رأيتم من) أي مكلفا (ينشد) بفتح أوله يتطلب (فيه ضالة) بالهاء تقع على الذكر والأنثى وهي أصالة الحيوان وهنا أي شيء ضاع (فقولوا) له ندبا

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٦٣/١

(لا ردها الله عليك) دعاء عليه بعدم الوجدان زجرا له عن ترك تعظيم المسجد والمساجد لم تبن لهذا كما في خبر مسلم (ت ك عن أبي هريرة) وإسناده صحيح

(إذا رأيتم الرجل يتعزى) أي ينتسب (بعزاء الجاهلية) أي بنسبها والانتماء إليها (فأعضوه) أي اشتموه (بهن أبيه) أي قولوا له اعضض بهن أبيك أي بذكره وصرحوا بلفظ الذكر (ولا تكنوا) عنه بالهن تنكيلا وزجرا (حم ت عن أبي) بن كعب وإسناده صحيح

(إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد) التي هي جنان الدنيا يعني وجدتم قلبه معلقا بها من حين يخرج منها إلى أن يعود إليها لنحو صلاة واعتكاف (فاشهدوا له بالإيمان) أي اقطعوا له بأنه مؤمن حقا فإن الشهادة قول صدر عن مواطأة القلب اللسان على سبيل القطع وللحديث تتمة وهي فإن الله يقول ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله﴾ (حم ت هـ وابن خزيمة) في صحيحه (حب ك ن هق عن أبي سعيد) الخدري بإسناد صحيح

(إذا رأيتم الرجل) في رواية بدله العبد (قد أعطى) بالبنا للمفعول أي أعطاه الله (زهدا في الدنيا) أي استصغارا لها واحتقارا لشأنها (وقلة منطق) كمحمل أي عدم كلام في غير طاعة إلا بقدر الحاجة (فاقتربوا منه فإنه يلقى) بقاف مشددة مفتوحة (الحكمة) أي يعلم دقائق." (١)

"ضاق اتسع قالوا يتخرج على ذلك جميع رخص الشرع وتخفيفاته (خ ن عن أبي هريرة) والحديث معدود من جوامع الكلم

(أن الذكر في سبيل الله) أي حال قتال الكفار (يضعف) بالتضعيف وعدمه مبني للمجهول تفخيما أي يضعفه الله (فوق النفقة سبعمائة ضعف) أي أجر ذكر الله في الجهاد يعدل ثواب النفقة فيه ويزيد بسبعمائة ضعف والظاهر أن المراد به التكبير حال القتال (حم طب عن معاذ) بن أنس الجهني

(أن الرجل) يعني المكلف رجلا كان أو غيره (ليعمل عمل أهل الجنة) من الطاعات (فيما يبدو للناس) أي يظهر لهم وهذه زيادة حسنة ترفع الإشكال من الحديث قال التاج السبكي هذه الزيادة عظيمة الوقع جليلة الفائدة عند الأشعرية كثيرة النفع لأهل السنة في أنا مؤمن إن شاء الله فليفهم الفاهم ما نبهت عليه (وهو) في الباطن (من أهل النار) بسبب أمر باطني لا يطلع الناس عليه (وأن الرجل) يعني المكلف ول أنثى (ليعمل عمل أهل النار) من المعاصي (فيما يبدو) أي يظهر (للناس وهو) باطنا (من أهل الجنة) لخصلة خير خفية تغلب عليه فتوجب **حسن الخاتمة** أما باعتبار ما في نفس الأمر فالأول لم يصح له عمل أصلا لأنه كافر

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ١/٩٩

باطنا والثاني عمله الذي يحتاج لنية باطل وغيره صحيح (ق عن سهل بن سعد) الساعدي (زادخ) في روايته على مسلم (وإنما الأعمال بخواتيمها) يعني أن العمل السابق غير معتبر وإنما المعتبر الذي ختم به
(أن الرجل ليعمل الزمن الطويل) وهو مدة العمر وهو منصوب على الظرفية (بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار) أي يعمل عمل أهل النار في آخر عمره فيدخلها (وأن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم عمله بعمل أهل الجنة) أي يعمل عمل أهل الجنة في آخر عمره فيدخلها واقتصر على قسمين مع أن الأقسام أربعة لظهور حكم الآخرين من عمل بعمل أهل الجنة أو النار طول عمره (م عن أبي هريرة
أن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى) بكسر الراء أي مما يرضيه ويحبه (ما يظن أن تبلغ ما بلغت) ما رضا الله بها عنه (فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة) أي بقية عمره حتى يلقاه يوم القيامة فيقبض على الإسلام ولا يعذب في قبره ولا يهان في حشره (وأن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله) أي مما يغضبه (ما يظن أن تبلغ ما بلغت) من سخط الله (فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة) بأن يختم له بالشقاوة ويعذب في قبره ويهان في حشره حتى يلقاه يوم القيامة فيورده النار (مالك) في الموطأ (حم ت ن هـ حب ك عن بلال بن الحرث) المزني المدني وفي الحديث قصة مذكورة في الأصل
(أن الرجل ليوضع الطعام) ومثله الشراب (بين يديه) ليأكله أو يشربه (فما يرفع حتى يغفر له) أي الصغائر كما نظائره وذكر الرفع غالبى والمراد فراغ الأكل قيل يا رسول الله وبم ذاك قال (يقول بسم الله إذا وضع والحمد لله إذا رفع) أي يغفر له بسبب قوله في ابتداء الأكل بسم الله وعند فراغه الحمد لله فالتسمية والحمد عند الشروع فيه والفراغ منه سنة مؤكدة (الضياء) المقدسي (عن أنس) ضعيف لضعف عبد الوارث مولى أنس
(أن الرجل) يعني الإنسان (ليحرم) بالبناء للمفعول أي يمنع (الرزق) أي بعض النعم الدنيوية والأخروية وحذف الفاعل لاستهجان ذكره في مقام المرزوق (بالذنب يصيبه) أي بشؤم كسبه للذنب ولو بنسيان العلم أو سقوط منزلته من القلوب أو قهر أعدائه له (ولا يرد القضاء إلا الدعاء) بمعنى أنه يهونه حتى يصير القضاء النازل كأنه ما نزل." (١)

"لها في نفس الأمر (ومنها ما يهم به الرجل) يعنى الإنسان (في يقظته فيراه في نومه) لتعلق حواسه به (ومنها جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة) أي جزء من أجزاء علم النبوة والنبوة غير باقية وعلمها باق

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢٨٢/١

وهذا هو الذي يؤول ويظهر أثره (هـ عن عوف بن مالك

الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة) فإن قيل إذا كانت جزأ منها فكيف كان للكافر منها نصيب قلنا هي وإن كانت جزأ من النبوة فليست بانفرادها نبوة فلا يمتنع أن يراها الكافر كالمؤمن الفاسق (خ عن أبي سعيد) الخدري (م عن ابن عمرو) بن العاص (د عن أبي هريرة) معا (حم هـ عن أبي رزين) العقيلي (طب عن ابن مسعود) // بأسانيد صحيحة // وإشارة بتعداد مخرجيه إلى تواتره

(الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزأ من النبوة) مجازا لا حقيقة لأن النبوة انقطعت بموته وجزء النبوة لا يكون نبوة (حم هـ عن ابن عمر) بن الخطاب (حم عن ابن عباس) ورجاله رجال ،/ الصحيح //

(الرؤيا الصالحة جزء من خمسة وعشرين جزأ من النبوة) اختلاف العدد يرجع إلى اختلاف درجات الرؤيا والرائى فلا تعارض (ابن النجار عن ابن عمر

الرؤيا سنة) أي ستة اضرب أو أنواع أو أقسام (المرأة خير) أي رؤيا المرأة في النوم خير (والبعير حرب) أي يدل على وقوعه (واللبن فطرة) أي يدل على العلم والسنة والقرآن لأنه أول شيء يناله المولود من الدنيا وبه حياته كما أن بالعلم حياة القلوب (والخضرة جنة والسفينة نجاة والتمر رزق) أي هذه المذكورات تؤذن بحصول ما ذكر (ع في معجمه عن رجل من الصحابة) من أهل الشام

(الربا سبعون بابا) أي سبعون وجها أو نوعا (والشرك مثل ذلك) لأن من طفف في ميزانه فتطفيفه ربا بوجه ما فلذلك تعددت أبوابه (البزار عن ابن مسعود الربا ثلاثة وسبعون بابا) المشهور أن الربا في هذا وما قبله بالموحدة وصحف من جعله بالمثناة لكن اقترانه بالشرك فيما قبله يدل على أنه بمثناة (هـ عن ابن مسعود) // بإسناد صحيح //

(الربا ثلاثة وسبعون باب أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه) هذا زجر وتخويف لأن العرب كانوا قد تظاهروا عليه وشق عليهم تحريمه (وأن أربى الربا عرض الرجل المسلم) من الوقيعة فيه واستغابته لأن فاعله حاول محاربة الشارع بفعله حيث قال فأذنوا بحرب من الله ورسوله (ك عن ابن مسعود) // وإسناده صحيح //

(الربا وان كثر فإن عاقبته تصير إلى قل) بالضم القلة كالذل والذلة أي وإن كان زيادة في المال عاجلا يؤل إلى نقص ومحق عاجلا (ك عن ابن مسعود) // بإسناد صحيح //

(الربا إثنان وسبعون باب أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه) في الدين أي استحقاره والترفع عليه والوقيعة فيه (طس عن البراء) بن عازب // بإسناد صحيح //

(الربا سبعون حوبا) بفتح المهملة وتضم أي ضربا من الإثم فقوله الربا أي اسم الربا فلابد من هذا التقدير

ليطابق قوله (أيسرها) مثل (أن ينكح الرجل أمه) وفيه وما قبله أن الربا من أعظم الكبائر قال بعضهم وهو علامة على **سوء الخاتمة** (هـ عن أبي هريرة) بإسناد مختلف فيه

(الربوة) بتثليث الراء (الرملة) أي هي رملة يعنى قوله تعالى وآويناهما إلى ربوة هي رملة بيت المقدس وقيل دمشق وقيل مصر (ابن جرير) الطبري (وابن أبي حاتم) عبد الرحمن (وابن مردوية) في التفسير (عن مرة بضم الميم ابن كعب وقيل كعب بن مرة السلمى (البهزى)

(الرجل) بكسر الراء وسكون الجيم (جبار) بالضم والتخفيف أي ما أصابته الدابة برجلها." (١)

"صبره اذ المصيبة ليست فعله ذكره ابن عبد السلام ونوزع ولو عزى مصابين فأكثر دفعة فهل يتعدد الاجر فيه تردد لابن العماد (ت هـ عن ابن مسعود) واسناده ضعيف

(من عشق) من يتصور حل نكاحها لها شرعا لا كامرد (فعف ثم مات مات شهيدا) أي يكون من شهداء الاخرة لان العشق وان كان مبدؤه النظر لكنه غيرموجب له فهو فعل الله بالعبد بلا سبب (خط عن عائشة من عشق فكتم) عشقه عن الناس (وعف فمات فهو شهيد) والعشق التفاف الحب بالمحب حتى يخالط جميع أجزائه (خط عن ابن عباس) واسناده كالذي قبله ضعيف

(من عفا عند القدرة) على الانتصار لنفسه والانتقام من مظالمه (عفا الله عنه يوم العسرة) أي يوم الفزع الاكبر وكفى العفو شرفا أن أجره مضمون للعبد على الله تعالى ففي خبر ابن عساكر والحكيم اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم من كان أجره على الله فلا يقوم الا العافون عن الناس (طب عن أبي امامة) وضعفه الهيثمي فتحسين المؤلف له ليس في محله

(من عفا عن دم لم يكن له ثواب الا الجنة) أي دخولها (خط عن ابن عباس) ثم قال انه معلول

(من عفا عن قاتله دخل الجنة) يعني حصل له الامن من **سوء الخاتمة** (ابن منده عن جابر) بن عبد الله (الراسبي) قال الذهبي حديث مظلم

(من علق) على نفسه أو غيره من ظفله أو دابته (تميمة) هي ما علق من القلائد لدفع العين (فقد أشرك) أي فعل فعل أهل الشرك وهم يريدون به دفع المقادير المكتوبة (حم ك عن عقبة بن عامر) الجهني واسناده صحيح

(من علق دعة) بالتحريك يخرج من البحر كالصدف على نحو ولده (فلا ودع الله له) أي لا جعله في دعة وسكون وهو لفظ بني من الودعة أي لا خفف الله عنه ما يخافه (ومن علق تميمة فلا تمم الله له) ما أراده

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٣٩/٢

من الحفظ (حم ك عنه) واسناده صحيح

(من علم ان الصلاة عليه حق واجب دخل الجنة) لانه اذا تيقن حقيتها وانها عليه واجبة لا يتركها واذا واظبها كفرت ما بينها فدخلها ومن جحد حقيتها كفر (حم ك عن عثمان (ورجاله ثقات

(من علم ان الله ربه وأني نبيه موقنا من قلبه) زاد الطبراني وأومأ بيده الى خلده (حرمه الله على النار) أي نار الخلود (البزار عن عمران) بن حصين وضعفه الهيثمي بعمران القصير وغيره فرمز المؤلف لحسنه ممنوع

(من علم ان الليل يأويه الى أهله فليشهد الجمعة) أي فليحضرها (هق عن أبي هريرة) قال الذهبي كابن الجوزي واه

(من علم الرمي) بالسهام (ثم تركه) رغبة عن السنة (فليس منا) أي ليس متصلا بنا ولا عاملا بأمرنا (م عن عقبة ابن عامر) الجهني

(من علم) بفتح اللام المشددة (علما) أي علم غيره علما شرعيا (فله اجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل) شيأ لان العالم هو الذي يصحح للعامل عمله (هـ عن معاذ بن أنس) واسناده حسن

(من علم) بالتشديد غيره (آية من كتاب الله أو بابا من علم أنمى الله أجره الى يوم القيامة) أي فاذا مات لا ينقطع (ابن عساكر) في تاريخه (عن أبي سعيد) الخدري

(من عمر) بالتشديد (ميسرة المسجد) أي صلى أو اعتكف أو ذكر الله في جهته اليسرى الذي يعدل عنها الناس الى اليمنى (كتب الله له كفلين من الاجر) أي نصيبين منه قاله لما ذكر له ان ميسرة المسجد تعطلت (هـ عن ابن عمر) وفي اسناده مقال

(من عمر) بفتح العين والتشديد بضبطه (جانب المسجد الايسر لقلة أهله فله أجران) لا يعارضه أن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف لان ما ورد لعارض يزول بزواله (طب عن ابن عباس) وفيه بقية مدلس (من عمر) بضم العين وكسر الميم." (١)

"الايمان المقترن بالعمل الصالح فليس بشرط (البزار عن أبي سعيد) ورجاله ثقات

(من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له بها نخلة في الجنة) أي غرست له بكل مرة نخلة فيها وخص النخل لكثرة منافعه وطيب ثمره (ت حب ك عن جابر) باسناد صحيح

(من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة) أي ولو متفرقة وفي أثناء النهار لكن متوالية واوله أفضل (حطت خطاياه) أي غفرت ذنوبه (ان كانت مثل زبد البحر) كناية عن المبالغة في الكثرة والمراد الصغائر

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٤٣١/٢

(حم ق ت هـ عن أبي هريرة

من قال في القرآن بغير علم) أي قولا يعلم أن الحق غيره أو من قال في مشكله بما لا يعرف (فليتبوأ مقعده من النار) أي فليتخذ لنفسه نزلا فيها حيث نصب نفسه صاحب وحي يقول ما شاء (ت عن ابن عباس) وقال صحيح ونوزع

(من قال في القرآن برأيه) أي بما خطر في ذهنه من غير دراية بالاصول ولا خبرة بالمعقول والمنقول (فأصاب) أي وافق هواه الصواب دون نظر في كلام العلماء ومراجعة القوانين العلمية (فقد أخطأ) في حكمه على القرآن بما لم يعرف أصله وشهادته على الله بأن ذلك مراده أما من قال بدليل أو تكلم على وجه التأويل فغير داخل في هذا الخبر (٣ عن جندب) بن عبد الله البجلي رمز المؤلف لحسنه ولعله لاعتضاده

(من قام رمضان) أي أتى بقيام رمضان وهو التراويح أو قام الى صلاة رمضان أو الى احياء لياليه بالعبادة غير ليلة القدر تقديرا (ايمانا) تصديقا لوعد الله بالثواب (واحتسابا) اخلاصا (غفر له ما تقدم من ذنبه) الذي هو حق الله والمراد الصغائر (ق ٤ عن أبي هريرة

من قام ليلة القدر) أي أحياها مجردة عن قيام رمضان (ايمانا واحتسابا) أي اخلاصا من غير شوب نحو رياء (غفر له ما تقدم من ذنبه) وفي رواية وما تأخر ولا يتأخر تكفير الذنوب بها الى انقضاء الشهر بخلاف صيام رمضان وقيامه (خ ٣

عن أبي هريرة من قام ليلتي العيد) أي أحياهما (محتسبا لله لم يمت قلبه يوم تموت القلوب) أي لا يشغف بحب الدنيا لانه موت أو يأمن من سوء الخاتمة ويحصل بمعظم الليل وقيل بصلاة العشاء والصبح جماعة (هـ عن أبي امامة

من قام في الصلاة فالتفت رد الله عليه صلاته) أي لم يقبلها بمعنى انه لا يثيبه عليها وأما الفرض فيسقط (طب عن أبي الدرداء) واسناده ضعيف

(من قام مقام رياء وسمعة فإنه في مقت الله حتى يجلس) أي حتى يترك ذلك ويتوب (طب عن عبد الله الخزاعي) رمز المؤلف لحسنه لكن ضعفه الهيثمي

(من قبل بين عيني أمه) اكراما لها وشفقة وتعظيما (كان له) ذلك أي ثوابه (سترا من النار) أي حائلا بينه وبينها مانعا من دخوله اياها وخص الام لان برها آكد (عدهب عن ابن عباس) ثم قال مخرجه ابن عدي منكر اسنادا ومتنا

(من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا قد حل دمه) لانها شاركت ابليس في ضرر دم وبنيه وعداوتهم فالعداوة بينهما متأصلة (حم عن ابن مسعود) واسناده صحيح

(من قتل حية أو عقربا فكأنما قتل كافرا) ومن قتل كافرا كان فداءه من النار) خط عن ابن مسعود

من قتل حية فله سبع حسنات ومن قتل وزغة) بفتحات سام أبرص) فله حسنة) ومن له حسنة مقبولة دخل الجنة كما في الحديث المار ولو قتل حيات أو أزاغ بضربة واحدة فله بكل حية عشر حسنات وبكل وزغ واحدة ولا نظر الى اتحاد الفعل ذكره ابن عبد السلام (حم حب عن ابن مسعود) باسناد صحيح

(من قتل عصفورا) زاد في رواية فما فوقها (بغير حقه) في." (١)

"محل يستقر فيه تعالى الله عن ذلك (طب عن جرير) بن عبد الله واسناده صحيح واقتصار المؤلف على تحسينه غير حسن

(من لا يرحم لا يرحم) أكثر ضبطهم فيه الضم على الخبر (ومن لا يغفر لا يغفر له) دل بمنطوقه على انه من لم يكن رحيما لا يرحمه الله ومن لا يغفر لا يغفر الله له ودل بعكس مفهومه أن من كان رحيما يرحمه الله ومن يغفر يغفر له (حم عن جرير) واسناده صحيح

(من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له ومن لا يتب لا يتب عليه) في منطوقه ومفهومه العمل المذكور (طب عن جرير) واسناده صحيح

(من لا يستحي من الناس لا يستحيي من الله) فلا يسامحه ومفهومه أن من يستحيي من الله يستحيي الله منه فيسامحه ولا يعاقبه (طس عن أنس) وسببه ان انسانا خرج للجمعة فوجد الناس راجعين منها فتوارى عنهم ثم ذكره واسناده حسن

(من لا يشكر الناس لا يشكر الله) روى برفع الجلالة والناس ومعناه لا يشكر الناس لا يشكره الله وبنصبهما أي من لا يشكر الناس بالثناء عليهم بما أولوه لا يشكر الله فانه أمر بذلك خلقه (ت عن أبي هريرة

من يتزود في الدنيا) من العمل الصالح (ينفعه في الآخرة) ولا معول الا على نفعها (طب هب والضياء عن جرير) واسناده صحيح

(من يتكفل) أي يضمن (لي أن لا يسأل الناس شيأ) أي من يلتزم عدم السؤال (واتكفل) بالرفع (له بالجنة) أي اضمنها له على كرم الله وهو لا يخيب ضمان نبيه (دك عن ثوبان) بالضم

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٤٣٤/٢

(من يحرم) من الحرمان وهو متعد الى مفعولين الاول الضمير العائد الى من والثاني (الرفق) ضد العنف (يحرم الخير كله) أي يصير محروما من الخير وفيه فضل الرفق وشرفه (حم م ده عن جرير) بن عبد الله
(من يخفر ذمتى) أي يزيل عهدي وينقضه والخفرة بضم الخاء المعجمة العهد (كنت خصمه) يوم القيامة (ومن خاصمته خصمته) لاني المؤيد المنصور في الدارين (طب عن جندب) واسناده صحيح
(من يدخل الجنة ينعم) بفتح المثناة التحتية والعين أي يصب نعمة أو يدوم نعيمه (فيها) فكان مظنة ان يقال كيف فقال (لا ييأس) بفتح الهمزة لا يفتقر وفي رواية بضمها أي لا يحزن ولا يرى بأسا (لا تبلى ثيابه) لانها غير مركبة من العناصر (ولا يفنى شبابه) اذ لا هرم ثم ولا موت (م عن أبي هريرة
من يرائي) أي يظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم وليس هو كذلك (يرائى الله به) أي يظهر سريرته على رؤس الخلائق ليفتضح (ومن يسمع) الناس علمه ويظهره لهم ليعتقدوه (يسمع الله به) أي يملأ اسماعهم مما انطوى عليه جزاء وفاقا (حم ت ه عن أبي سعيد) واسناده حسن
(من يرد الله به خيرا) أي عظيما كثيرا (يفقهه في الدين) أي يفهمه اسرار أمر الشارع ونهيه بنور رباني (حم ق عن معاوية حم ت عن ابن عباس ه عن أبي هريرة
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) أي يفهمه علم الشريعة (ويلهمه برشده) بباء موحدة أوله بخط المؤلف وفيه كالذي قبله شرف العلم وفضل العلماء وان التفقه في الدين علامة **حسن الخاتمة** (حل عن ابن مسعود) قال المؤلف كإبن حجر حسن والذهبي منكر
(من يرد الله يهديه يفهمه) علم الذات والصفات الناشئ عنه ملابسة كل خلق سيئ وتجنب كل خلق دنئ (السحرى عن عمر) باسناد حسن
(من يرد الله به خيرا يصب منه) بكسر الصاد للاكثر والفاعل الله وروى بفتحها ورجح أي ينل منه بالمصائب ويبتليه بها ليثيبه عليها أو يوصل له المصائب ليطهره من الذنوب ويرفع درجته (حم خ عن أبي هريرة
من يرد هو ان قريش أهانه الله) خرج مخرج الزجر والتهويل ليكون الانتهاء عن اذاهم." (١)
"١٧١ - (اجتنبوا) أبعدوا وهو أبلغ من لا تفعلوا لأن نهي القربان أبلغ من نهي المباشرة ذكره الطيبي (السبع) أي الكبائر السبع ولا ينافيه عدها في أحاديث أكثر لأنه أخبر في كل مجلس بما أوحى إليه أو ألهم أو سنح له باعتبار أحوال السائل أو تفاوت الأوقات أو لزيادة فحشها وفظاظة قبحها أو لأن مفهوم العدد غير حجة أو لغير ذلك (الموبقات) بضم الميم وكسر الموحدة التحتية المهلكات جمع موبقة وهي

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢/٤٤٨

الخصلة المهلكة أو المراد الكبيرة أجملها وسماها مهلكات ثم فصلها ليكون أوقع في النفس وليؤذن بأنها نفس المهلكات وقول التاج السبكي الموبقة أخص من الكبيرة وليس في حديث أبي هريرة أنها الكبائر تعقبه الحافظ ابن حجر بالرد قال ابن عباس وهي إلى السبعين أقرب وابن جبير إلى السبع مئة أقرب أي باعتبار أصناف أنواعها وللحافظ الذهبي جزء فيه نحو الأربع مئة ذكره الأذرعي (الشرك) بنصبه على البدل ورفعه وكذا ما بعده على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ومنها الشرك (بالله) أي جعل أحد شريكا لله والمراد الكفر به وخصه لغلبته حينئذ في الوجود فذكره تنبيها على غيره من صنوف الكفر (و) الثانية (السحر) قال الحراني: وهو قلب الحواس في مدركاتها عن الوجه المعتاد لها في ضمنها من سبب باطل لا يثبت مع ذكر الله تعالى عليه وفي حاشية الكشاف للسعد هو مزاولة النفس الخبيثة لأقوال وأفعال يترتب عليها أمور خارقة للعادة قال التاج السبكي والسحر والكهانة والتنجيم والسيمياء من واد واحد (و) الثالثة (قتل النفس التي حرم الله) قتلها عمدا كان أو شبه عمد لا خطأ كما صرح به شريح الروياني والهروي وجمع شافعيون أي فإنه لا كبيرة ولا صغيرة لأنه غير معصية (إلا بالحق) أي بفعل موجب للقتل وأعظم الكبائر والشرك ثم القتل ظلما وما عدا ذلك يحتمل كونه في مرتبة واحدة لكونه سردها على الترتيب لأن الواو لا توجبه والأظهر أن هذا النهي وشبهه إنما ورد على أمر مخصوص فأجاب السائل على مقتضى حاله وصدور هذه الخصال منه أوهمه بها أو كان في المجلس من حاله ذلك فعرض به إما أنه مما أوحي إليه أو عرفه بما له معجزة (و) الرابعة (أكل مال اليتيم) يعني التعدي فيه وعبر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع (و) الخامسة (أكل الربا) أي تناوله بأي وجه كان. قال ابن دقيق العيد: وهو مجرب **لسوء الخاتمة** ولهذا ذكره عقب ما هو علامة سوء خاتمتها وتردد ابن عبد السلام في تقييده بنصاب السرقة (و) السادسة (التولي) أي الإدبار من وجوه الكفار (يوم الزحف) أي وقت ازدحام الطائفتين إلا إن علم أنه إن ثبت قتل بغير نكاية في العدو فليس بكبيرة بل ولا صغيرة بل يباح بل يجب. قال ابن عبد السلام: وأشد منه ما لو دل الكفار على عورة المسلمين عالما بأنهم يستأصلونهم ويسبون حريمهم والزحف الجيش الدهم سمي به لكثرته وثقل حركته يرى كأنه يزحف زحفا أي يدب دبيبا (و) السابعة (قذف المحصنات) بفتح الصاد المحفوظات من الزنا وبكسرها الحافظات فروجهن منه والمراد رميهن بزنا أو لواط (المؤمنات) بالله تعالى احترازا عن قذف الكافرا ت فإنه من الصغائر قال الراغب: والقذف الرمي البعيد استعير للشتم والعيب والبهتان (الغافلات) عن الفواحش وما قذفهن به فهو كناية عن البريئات \ لأن الغافل بريء عما بهت به من الزنا والقذف -[١٥٤]- به كبيرة إلا لصغيرة لا تحتمل الوقاع ومملوكة وحرة متهتكة فصغيرة لأن الإيذاء في قذفهن دونه في كبيرة مستترة قاله الحليمي

وتوقف الأذرعي ونظر الزركشي في المملوكات لخبر من قذف عبدة أقيم عليه الحد يوم القيامة وإلا في قذف المحصنة بخلوة بحيث لا يسمعه أحد إلا الله والحفظة فليس بكبيرة موجبة للحد لانتفاء المفسدة قاله ابن عبد السلام لكن خالفه البلقيني تمسكا بظاهر ﴿الذين يرمون المحصنات﴾ والخبر المشروح قال الزركشي: ويظهر قول ابن عبد السلام في الصادق لا الكاذب لجرأته عليه تعالى وإلا فقذفه زوجته إذا علم زناها أو ظنه مؤكدا فليس بكبيرة بل ولا صغيرة وكذا جرح راو وشاهد بالزنا إن علم به بل يجب قال ابن عبد السلام وأشد منه ما لو أمسك محصنة لمن يزني بها أو مسلما لمن يقتله

(ق د ن عن أبي هريرة)." (١)

"٣٧٦ - (إذا أراد الله بعبد خيرا جعل غناه في نفسه) أي جعله قانعا بالكفاف لئلا يتعب في طلب الزيادة وليس له إلا ما قدر له والنفس معدن الشهوات وشهواتها لا تنقطع فهي أبدا فقيرة لتراكم ظلمات الشهوات عليها فهي مفتونة بذلك وخلصت فتنتها إلى القلب فصار مفتونا فأصمته عن الله وأعمته لأن الشهوات ظلمة ذات رياح هفافة والريح إذا وقع في أذن أحد أصم والظلمة إذا وقعت في العين أعمت فلما صارت الشهوة من النفس إلى القلب حجبت النور فعميت وصمت فإذا أراد الله بعبد خيرا قذف في قلبه النور فأضاء ووجدت النفس لها حلاوة وروحا ولذة تلهي عن لذات الدنيا وشهواتها وتذهب مخاوفها وعجلتها وحرقتها وتلهبها فيطمئن القلب فيصير غنيا بالله والنفس جارة وشريكة ففي غنى الجار غنى وفي غنى الشريك غنى (وتقاه) بضم المثناة فوق وخفة القاف خوفه من ربه (في قلبه) بأن يقذف فيه -[٢٥٥]- نور اليقين فينخرق الحجاب ويضيء الصدر فذلك تقواه يتقي بها مساخط الله ويتقي بها حدوده. وبه يؤدي فرائض ربه وبه يخشاه فيصير ذلك النور وقايته (وإذا أراد الله بعبد شرا جعل فقره بين عينيه) كناية عن كونه يصير مستحضرا له أبدا ومشفقا من الوقوع فيه سرمدا فهو نصب عينيه على طول المدى فلا يزال فقير القلب حريصا على الدنيا متهافتا عليها منهمكا في تحصيلها وإن كان موسرا ممتد الطمع وإن طال الأمد فلا يزال بين طمع فارغ وأمل كاذب حتى توافيه المنية وهو على هذه الحالة الردية وذلك من علامات **سوء الخاتمة** والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث تحملها عليه وتقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما لا يتصور اتصاف الباري تبارك وتعالى به ولذلك اختلف العلماء في معنى إرادته فقيل إرادته الأفعال أنه غير ساه ولا مكره وقيل اشتمال الأمر على النظام الأكمل والوجه الأصلح والحق أنها ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى يوجب هذا الترجيح ذكره

---

(١) فيض القدير المناوي ١/١٥٣

القاضي

(الحكيم) الترمذي (فر عن أبي هريرة) كتب الحافظ ابن حجر على هامش الفردوس بخطه ينظر في هذا الإسناد انتهى وأقول فيه دراج أبو السمح نقل الذهبي عن أبي حاتم تضعيفه وقال أحمد أحاديثه مناكير." (١)

"٣٨٨ - (إذا أراد الله بأهل بيت خيرا) نكره لإفادة التعميم أي إذا أراد جميع الخير والمقام يقتضيه (فقههم في الدين) أي جعلهم فقهاء فيه والفقه لغة الفهم أو لما دق وعرفا العلم بالأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد وقيل معرفة النفس ما لها وعليها عملا قال الكرماني: والأنسب هنا المعنى اللغوي ليشمل فهم كل علم من علوم الدين. وقال الغزالي: أراد فهمهم أمره ونهيه بنور رباني يقذفه في قلوبهم (ووقر) بشد القاف عظم ويجل (صغيرهم كبيرهم) في السن أو المراد بالكبير العالم وبالصغير غيره أي ورحم كبيرهم صغيرهم كما يدل عليه خبر ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا وإنما لم يذكره هنا لأنه كان يخاطب كل أحد بما يليق بحاله ففهم من المخاطب التقصير في التوقير دون القرينة الثانية (ورزقهم الرفق) بكسر الراء اللطف والدربة وحسن التصرف والسياسة (في معيشتهم) أي ما يتعيشون به أو ما يتوصلون به إلى العيش أي إلى الحياة وفي ذلك البركة والنمو كما صرح به في خبر الخرق شؤم والرفق يمن ثم عطف عليه عطف خاص على عام اهتماما بشأنه بقوله (والقصد) بفتح وسكون (في نفقاتهم) -[٢٦١]- أي الوسط المعتدل بين طرفي الإفراط والتفريط فيها قال تعالى ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ والقصد العدل والاستقامة يقال قصد في الأمر إذا توسط وطلب الأسد ولم يجاوز الحد (وبصرهم عيوبهم) أي ذنوبهم أي عرفها لهم وجعلها نصب أعينهم وشغلهم بها عن عيوب غيرهم (فيتوبوا) أي ليتوبوا أي يرجعوا إلى الله (منها) بالطاعة وترك المنهي والعزم على عدم العود (وإذا أراد بهم غير ذلك) أي أراد بهم شرا. ولم يذكره لاقتضاء المقام استهجان ذكره يعني **سوء الخاتمة** أو العذاب (تركهم هملا) بالتحريك أي ضلالا بأن لا يلهمهم فعل ذلك ويخلي بينهم وبين أنفسهم حتى يهلكوا لغضبه عليهم وإعراضه عنهم وهذا كقوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ الآية قال ابن عطاء الله: كل من وكل إلى نفسه لم تفته معصية وإن لم يكن فاعلا ومن نصرته العناية لم تفته طاعة وإن لم يكن فاعلا وقال: الكلب المعلم يغل في السلاسل ليعمل بمقتضى علمه والكلب الجاهل يترك ويتخلى وشهواته وأنشد بعضهم:

---

(١) فيض القدير المناوي ٢٥٤/١

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه. . . كما يجلي سواد الظلمة القمر
والعلم فيه حياة للقلوب كما. . . تحيا البلاد إذا ما مسها المطر
(قط) في كتاب (الأفراد) بفتح الهمزة (عن أنس) وقال غريب تفرد به ابن المنكدر عنه ولم يروه عنه غير موسى ابن محمد بن عطاء وهو متروك انتهى وفي ل؟ ؟ (١) كذبه أبو زرعة وأبو حاتم

(١) [أحرف ساقطة في الأصل.]." (١)

"٣٩٤ - (إذا أراد الله بعبيد خيرا رزقهم الرفق في معايشهم) أي مكاسبهم التي يعيشون بها جمع معيشة ولهذا لا تهمز (وإذا أراد بهم شرا رزقهم الخرق) بضم أوله المعجم وسكون الراء ضد الرفق (في معايشهم) والخرق شؤم كما يجيء مصرحا به في خبر فالمراد إذا أراد بأحد خيرا رزقه ما يستعين به مدة حياته ووفقه في الأمور ولينه في تصرفه مع الناس وألهمه القناعة والمداراة التي هي رأس العقل وملاك الأمر وإذا أراد به سوءا ابتلاه بضد ذلك والأول علامة **حسن الخاتمة** والثاني بضده
(هب عن عائشة) لم يرمز له بشيء وهو ضعيف فيه سويد بن سعيد فإن كان الدقاق فقال الذهبي منكر الحديث أو غيره فقال أحمد متروك وأبو حاتم صدوق." (٢)

"-[٢٦٤]- ٣٩٦ - (إذا أراد الله بالأمير) على الرعية وهو الإمام ونوابه (خيرا جعل له وزيرا) من الوزر وهو الثقل لتحمله عن الملك أو من الوزير وهو الملجأ لاعتصامه برأيه وإلتجائه إليه أو من المؤازرة وهي المعاونة (صدق) أي صالحا صادقا في نصحه ونصح رعيته قال الطيبي: أصله وزير صادق ثم قيل وزير صدق على الوصف به ذهابا إلى أنه نفس الصدق ثم أضيف لمزيد الاختصاص بالقول ولم يرد بالصدق الاختصاص بالقول فقط بل بالأقوال والأفعال (إن نسي) شيئا من أحكام الشرع وآدابه أو نصر المظلوم أو مصلحة الرعية (ذكره) بالتشديد أي ما نسيه ودله على الأصلح والأنفع والأرفق (وإن ذكر) بالتخفيف أي الأمير واحتاج لمساعدة (أعانه) بالرأي أو اللسان أو البدن أو بالكل (وإذا أراد به غير ذلك) أي شرا ولم يعبر به استهجانا للفظه واستقباحا لذكره (جعل له وزير سوء) بالفتح والإضافة (إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه) على ما فيه الرشد والفلاح بل يحاول ضده وذلك علامة **سوء الخاتمة** كما أن الأول علامة حسنها

(١) فيض القدير المناوي ١/٢٦٠
(٢) فيض القدير المناوي ١/٢٦٣

قال في الكشاف: والسوء الرداءة والقبح في كل شيء [١] قال الأحنف: لا يتم أمر السلطان إلا بالوزراء والأعوان ولا تنفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة ولا تنفع المودة والنصيحة إلا بالرأي والعفاف وأعظم الأمور ضررا على الملوك خاصة وعلى الناس عامة أن يحرموا صالح الوزراء والأعوان وأن يكون وزراؤهم وأعوانهم غير ذي مروءة ولا حياء وقال ليس شيء أهلك للوالي من وزير أو صاحب يحسن القول ولا يحسن العمل وقال حلية الولاة وزينتهم وزراؤهم فمن فسدت بطانته كان كمن غص بالماء ولم يصلح شأنه (تتمة) أخرج البيهقي عن علي الجراح قال سألت أولاد بني أمية ما سبب زوال دولتكم قالوا خصال أربع أولها أن وزراءنا كتموا عنا ما يجب إظهاره لنا الثانية أن جباة خراجنا ظلموا الناس فرحلوا عن أوطانهم فخلت بيوت أموالنا الثالثة انقطعت الأرزاق عن الجند فتركوا طاعتنا الرابعة يئسوا من انصافنا فاستراحت نفوسهم لغيرنا (د هب عن عائشة) قال في الرياض رواه أبو داود بإسناد جيد على شرط مسلم لكن جرى الحافظ العراقي على ضعفه فقال ضعفه ابن عدي وغيره ولعله من غير طريق أبي داود." [٢]

"٥٤٥ - (إذا جاء الموت لطالب العلم) الشرعي العامل به وقال الغزالي: المراد به في هذا ونحوه علم طريق الآخرة والمراد بطالبه هنا ما يشمل من يطلب نشره ونفع عباد الله فيدخل فيه المعلم والمدرس والمفتي -[٣٢٥]- والمؤلف فليس المراد المتعلم فقط (وهو على هذه الحالة) أي حالة طلبه له لله خالصا (مات وهو شهيد) شهادة أخروية أي في حكم شهيد الآخرة فينال درجة شهيد الآخرة فذلك دليل **حسن الخاتمة** وفيه ترغيب عظيم في طلب العلم والدوام عليه وإن طعن في السن وأشرف على الهرم ليأتيه الموت على تلك الحالة فيكون من الشهداء

(البزار) في مسنده (عن أبي ذر) الغفاري (و) عن (أبي هريرة) معا وضعفه المنذري وقال الهيتمي وغيره فيه هلال بن عبد الرحمن الحنفي متروك وهذا من الأباطيل التي زعم حاتم المغافري أن مالكا حدثه بها عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة انتهى ولذلك قال المصنف في الأصل وضعفه." [٣]

"٦٧٧ - (إذا سرتك) أي أفرحتك وأعجبتك وأصل السرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه (حسنتك) أي عبادتك لكونك جازما بصدق الشارع فيما جاء به عن الله تعالى من حصول الثواب عليها سميت حسنة لأن بها يحسن حال فاعلها وهي سبب إحسان الله تعالى وإضافتها له من حيث الكسب

---

(١) تنبيه

(٢) فيض القدير المناوي ١/٢٦٤

(٣) فيض القدير المناوي ١/٣٢٤

(وساءتك سيئتك) أي أحزنك ذنبك لكونك قاطعا بصدق الشارع فيما توعد به من العقاب عليها سميت سيئة لأن بها يسوء حال فاعلها وهي سبب كل سوء ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ (فأنت مؤمن) أي فذلك علامة إيمانك بل ذلك هو حقيقة الإيمان وليس الإيمان إلا تصديق الشارع فيما جاء به وفي الحزن على السيئة إشعار بالندم الذي هو أعظم أركان التوبة فكأنه قال إذا أتيت بالطاعة المأمور بها وكلما أذنبت ذنبا تبت منه كان ذلك علامة **حسن الخاتمة** وأنك تموت على الإيمان حقا وقد أشار إلى ما قررته أولا قول الطيبي يعني إذا صدرت منك طاعة وفرحت بها متيقنا بأنك تثاب عليها وإذا أصابتك معصية وحزنت عليها فذلك علامة الإيمان

(حم حب طب ك هب والضياء عن أبي أمامة) قال قيل يا رسول الله ما الإيمان فذكره قال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبي قال العراقي في أماليه حديث صحيح وقال الهيتمي رجال الطبراني رجال الصحيح إلا أن فيه يحيى بن أبي كثير مدلس وإن كان من رجاله ورواه الإمام أحمد أيضا عن أبي موسى بإسناد رجاله ثقات لكن فيه انقطاع بلفظ من عمل حسنة فسر بها ومن عمل سيئة فساءته فهو مؤمن." (١)

"١٩٧١ - (إن الرجل) (١) بضم الجيم وفيه لغة بسكونها وذكر الرجل وصف طردي والمراد المكلف رجلا أم امرأة إنسيا أم جنيا وكذا يقال فيما بعده (ليعمل عمل) أهل (الجنة) من الطاعات (فيما يبدو للناس) أي فيما يظهر لهم (٢) قال الزركشي وهذه زيادة حسنة ترفع الإشكال من الحديث (وهو من أهل النار) بسبب دسيسة باطنة لا يطلع الناس عليها (٣) (وإن الرجل ليعمل عمل) أهل (النار) من المعاصي (فيما يبدو) أي يظهر (للناس وهو من أهل الجنة) لخصلة خير خفية تغلب عليه آخر أثر عمره فتوجب **حسن الخاتمة** أما باعتبار ما في نفس الأمر فالأول لم يصح له عمل قط لأنه كافر باطنا وأما الثاني فعمله الذي لا يحتاج لنية صحيح وما يحتاجها باطل من حيث عدم وجودها قال النووي فيه التحذير من الاغترار -[٣٣١]- بالأعمال وأن لا يتكل عليها ولا يركن إليها مخافة من انقلاب الحال للقدر السابق وكذا ينبغي للعاصي أن لا يقنط من رحمة ربه

(ق عن سهل) بن سعد الساعدي (زاد خ) في روايته على مسلم (وإنما الأعمال بخواتيمها) فعلى الخاتمة سعادة الآخرة وشقاوتها قيل ولا تنكشف إلا بدخول الجنة وقيل بل تستبين في أول منازل الآخرة وقال الزمخشري: هذا تذييل للكلام السابق مشتمل على معناه لمزيد التقدير أي إن العمل السابق غير معتبر والمعتبر العمل الذي ختم به اه

---

(١) فيض القدير المناوي ١/٣٧٤

(١) وسببه عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال أي رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وبعد فراغ القتال في ذلك اليوم وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا تبعها يضربها بسيفه وشاذة وفاذة بتشديد المعجمة: ما انفرد عن الجماعة وهما صفة لمحذوف أي نسمة شاذة ولا فاذة – فقال – أي بعض القوم – ما أجزأ اليوم أحد كما أجزأ فلان – أي ما أغنى – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه من أهل النار فقال رجل أنا أصاحبه قال فخرج معه كلما وقف وقف معه فإذا أسرع أسرع معه قال فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت فجعل نصل سيفه بالأرض وذؤابته بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل الذي تبعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أشهد أنك رسول الله قال صلى الله عليه وآله وسلم وما ذاك؟ قال الرجل الذي ذكرته آنفا إنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذؤابته بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل فذكره وقد استشكل ما ذكر من كون الرجل من أهل النار بأنه لم يتبين منه إلا قتل نفسه وهو بذلك عاص لا كافر وأجيب بأنه يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اطلع على كفره في الباطن وأنه استحل قتل نفسه اه

(٢) قال العلقمي قال شيخ شيوخنا هو محمول علي المنافق والمرائي اه

(٣) كما وقع لبرصيصا العابد حكي أنه كان له ستون ألفا من التلامذة وكانوا يمشون في الهواء وكان يعبد الله تعالى حتى تعجبت منه الملائكة فقال لهم الله تعالى لماذا تتعجبون منه إني أعلم ما لا تعلمون في علمي أنه يكفر ويدخل النار أبد الآبدين فكان الأمر كما قال الله تعالى وقصته مشهورة. وكسحرة فرعون عاشوا كفارا ثم ختم لهم بالإيمان قال قتادة كانوا أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة ثم إن من لطف الله تعالى وسعة رحمته أن انقلاب الناس من الشر إلى الخير كثير وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندرة ونهاية القلة ولا يكون إلا لمن أصر على الكبائر. قال بعضهم ومن علامة البشرى للميت أن يصفر وجهه ويعرق جبينه وتذرف عيناه دموعا ومن علامات السوء والعياذ بالله أن تحمر عيناه وتزبد شفتاه ويغط كغطيط البكر اه." (١)

---

(١) فيض القدير المناوي ٢/٣٣٠

"-[٣٨٤]- ٣٧١٦ - (حسبي رجائي من خالقي) أي يكفيني قوة رجائي فيه أنه يفيض علي صنوف الخيرات ويرفعني في أعلى الدرجات والرجاء ارتياح القلب لانتظار محبوب متوقع وهذا بالنسبة لمنصب المعصوم ظاهر أما غيره فإنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما لا يدخل تحت اختياره وهو فضل الله بصرف القواطع فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات وطهر قلبه عن شر الأخلاق الرديئة انتظر من فضل الله تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا باعثا على القيام بمقتضى الإيمان وإن قطع عرى بذر الإيمان تعهده بماء الطاعة أو ترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق وانهمك في اللذات ثم تشبث بالرجاء فهو حمق وغرور (وحسبي ديني من دنياي) لأن المال غاد ورائح والعاقل من آثر ما يبقى على ما يفنى والدنيا مزرعة الآخرة. والحاصل أن قوة رجاء عبد في ربه تعالى يكفي صاحبه لمهمات الدارين

(حل) من حديث الحسن بن عبد الله القطان عن إسماعيل بن عمرو الحمصي عن يزيد بن عبد ربه عن بقية (عن إبراهيم بن أدهم) بن منصور العجلي وقيل التميمي البلخي الزاهد ذي الكرامات والخوارق (عن أبي ثابت) أيمن بن ثابت أو محمد بن عبد الله (مرسلا) وإبراهيم هو البلخي الزاهد العارف المشهور روى عن منصور وأبي إسحاق وطائفة من التابعين وعنه بقية والفزاري وضمرة وخلق." (١)

"٣٩٢٤ - (خلقان) تثنية خلق بالضم وهو الطبع والسجية (يحبهما الله) أي يرضاهما ويثيب عليهما ثوابا جزيلا (وخلقان يبغضهما الله) أي ينهى عنهما ويعاقب عليهما (فأما اللذان يحبهما الله فالسخاء) بالمد الجود والكرم (والسماحة) أي الإعطاء بطيب نفس وفي رواية للديلمي الشجاعة بدل السماحة (وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل) وهما مما يقرب إلى النار ويقود إليها كما في عدة أخبار (وإذا أراد الله بعبد خيرا) أي عظيما جدا كما يفيده التنكير (استعمله على قضاء حوائج الناس) أي ثم ألهمه القيام بحقها والوفاء بما استعمل عليه فمن وفقه الله لذلك فقد أنعم عليه بنعم جليلة يلزمه الشكر عليها وذلك علامة حسن الخاتمة لكن الأمر كله على النية والعمل لوجه الله تعالى لا الغرض ولا لعرض وإلا انعكس الحال فاعلم ذلك فإنه لا بد منه

(هب) وكذا أبو نعيم والديلمي (عن ابن عمرو) بن العاص ورواه الأصفهاني وغيره." (٢)

---

(١) فيض القدير المناوي ٣/٣٨٤

(٢) فيض القدير المناوي ٣/٤٤٤

"٣٩٦٢ - (خمس من عملهن في يوم) أي يوم كان (كتبه الله) أي قدر أو أمر الملائكة أن تكتب أنه من (أهل الجنة) وهذا علامة على **حسن الخاتمة** وبشرى له بذلك (من صام يوم الجمعة) صوم تطوع (وراح إلى الجمعة) أي إلى محلها -[٤٥٨]- لصلاتها (وعاد مريضا) ولو أجنبيا (وشهد جنازة) أي حضرها وصلى عليها (وأعتق رقبة) لوجه الله تعالى أي خلصها من الرق

(ع حب عن أبي سعيد) الخدري قال الهيثمي: رجاله ثقات." (١)

"٤٦٣٣ - (سباب) بكسر السين والتخفيف (١) (المسلم) أي سبه وشتمه يعني التكلم في عرضه بما يعيبه وهو مضاف إلى المفعول (فسوق) أي خروج عن طاعة الله ورسوله ولفظه يقتضي كونه من اثنين قال النووي: فيحرم سب المسلم بغير سبب شرعي قال: ومن الألفاظ المذمومة المستعملة عادة قوله لمن يخاصمه يا حمار يا كلب ونحو ذلك فهذا قبيح لأنه كذب وإيذاء بخلاف قوله يا ظالم ونحو ذلك فإن ذلك يتسامح به لضرورة المخاصمة مع أنه صدق غالبا فقل إنسان إلا وهو ظالم لنفسه ولغيرها (وقتاله) أي محاربته لأجل الإسلام (كفر) حقيقة أو ذكره للتهديد وتعظيم الوعيد أو المراد الكفر اللغوي وهو الجحد أو هضم أخوة الإيمان قال الحافظ ابن حجر: لما كان المقام مقام الرد على المرجئة اهتم لذلك وبالغ في الزجر معرضا عما يقتضيه ظاهره من تقوية مذهب الخوارج المكفرين بالذنب اعتمادا على ما تقرر من دفعه في محله اه وتقدمه لنحوه ابن الءربي فقال: قال الخوارج: لما غاير المصطفى صلى الله عليه وسلم بينهما وجعل القتال كفرا كان يكفر بقتاله قلنا: فيلزمكم كونه كافرا بفسوقه فالتزموه وقد بينا في الأصول بطلانه وإنما فائدة خبر المصطفى صلى الله عليه وسلم إن الفسوق خفيف لجريانه عادة بين الناس ولا يتعدى صورته إلى المشاهدة والحس والقتال إنما يجري عند اختلاف الدين فإذا فعلوه كان كفعل الكفار وربما جر **لسوء الخاتمة** لهتك الحرمة فيكون من أهل النار

(حم ق) في الإيمان (ت) في البر (ن) في المحاربة (هـ عن ابن مسعود هـ عن أبي هريرة وعن سعد) بن أبي وقاص (طب عن عبد الله بن مغفل) وفيه عند الطبراني كثير بن يحيى وهو ضعيف ذكره الهيثمي (وعن عمرو بن مقرن) بضم الميم وفتح القاف وشدة الراء مكسورة ونون (قط في الأفراد عن جابر)

---

(١) فيض القدير المناوي ٤٥٧/٣

(١) مصدر سب وهو أبلغ من السب فإن السب شتم الإنسان والتكلم في عرضه بما يعيبه والسباب أن يقول فيه بما فيه وما ليس فيه." (١)

"٤٩٩٦ - (صدقة المرء المسلم تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء) بكسر الميم وفتح السين أصله موتة قلبت الواو ياء وهي الحالة التي يكون عليها الإنسان من الموت وأراد بميتة السوء ما لا تحمد عاقبته ولا تؤمن غائلته من الحالات التي يكون عليها الإنسان عند الموت فالفقر المدقع والوصب الموجع وموت الفجاءة والغرق والحرق ونحوها ذكره التوربشتي وقال الحكيم وتبعه جمع: هي ما تعوذ منه المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم في دعائه وقال الطيبي: هي **سوء الخاتمة** ووخامة العاقبة (ويذهب الله بها الفخر والكبر) لا ينافي زيادتها في العمر ﴿وما يعمر من معمر﴾ لأنه من تسمية الشيء بما يؤول إليه -[١٩٤]- أي وما يعمر من أحد ألا ترى أنه يرجع الضمير في قوله ولا ينقص من عمره إليه والنقصان من عمر المعمر محال وهو من التسامح في العبارة فقد يفهم السامع هذا بحسب الجليل من النظر وقضية النظر الدقيق أن المعمر الذي قدر له العمر الطويل يجوز أن يبلغ حد ذلك العمر (١) وأن لا يزيد عمره على الأول وينقص على الثاني ومع ذلك لا يلزم التغير في التقدير لأن المقدر على كل شخص الأنفاس المعدودة لا الأيام المحدودة والأعوام الممدودة وما قدر من الأنفاس يزيد وينقص بالصحة والحضور والمرض والتعب ذكره ابن الكمال أخذا من الكشاف وغيره (٢) مما ورد أنه يزيد في العمر إسباغ الوضوء فقد روى ابن عدي عن أنس مرفوعا أسبغ الوضوء يزد في عمرك

(أبو بكر بن مقسم في جزئه عن عمرو بن عوف) الأنصاري البدري قضية صنيع المصنف أن ذلك لم يخرجه أحد من المشاهير والأمر بخلافه بل خرجه الطبراني والديلمي عن عمرو المذكور باللفظ المزبور من هذا الوجه

---

(١) قال كعب الأحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لو دعا ربه أن يؤخر أجله لأخره قيل له إن الله عز وجل يقول ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ فقال هذا إذا حضر الأجل وما قبل ذلك فيجوز أن يزاد أو ينقص وقرأ هذه الآية ﴿إن ذلك على الله يسير﴾." (٣)

---

(١) فيض القدير المناوي ٤/٨٤

(٢) تنبيه

(٣) فيض القدير المناوي ٤/١٩٣

"٥١٤٣ - (الصدقة تمنع ميتة السوء) بكسر الميم الحالة التي يكون عليها الإنسان من الموت قال التوربشتي: وأراد بها ما لا تحمد عاقبته ولا تؤمن غائلته من الحالات كالفقر المدقع والوصب الموجع والألم المقلق والعلل المفضية إلى كفران النعمة ونسيان الذكر والأهوال الشاغلة عما له وعليه ونحوها وقال الطيبي: الأولى أن يحمل موت السوء على **سوء الخاتمة** ووخامة العاقبة من العذاب في الآخرة قال أبو زرعة: ليس معناه أن العبد يقدر له ميتة السوء فتدفعها الصدقة بل الأسباب مقدرة كما أن المسببات مقدرة فمن قدر له ميتة السوء لا تقدر له الصدقة ومن لم يقدر له ميتة السوء يقدر له الصدقة قال العامري: ميتة السوء قد تكون في الصعوبة بسبب الموت كهدم وذات جنب وحرق ونحوها وقد تكون سوء حالة في الدين كموته على بدعة أو شك أو إصرار على كبيرة فحث على الصدقة لدفعها لذلك

(القضاعي) في مسند الشهاب (عن أبي هريرة) قال ابن حجر: فيه من لا يعرف وبه يرد قول العامري: صحيح." (١)

"٥٤٧٣ - (علم الباطن) كذا هو بالميم في خط المصنف ورأيته أيضا في نسخة قديمة من الفردوس مضبوطة مصححة بخط الحافظ ابن حجر علم الباطن فما في نسخ من أنه على تحريف (سر من أسرار الله عز وجل وحكم من حكم الله يقذفه في قلوب من يشاء من عباده) قال الغزالي: علم الآخرة قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة وعلم المكاشفة هو علم الباطن وذلك غاية العلوم وقد قال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب منه يخاف عليه **سوء الخاتمة** وأدنى النصيب منه التصديق وتسليمه لأهله وقال بعضهم: من كان فيه خصلتان لم يفتح عليه منه بشيء بدعة أو كبر ومن كان محبا للدنيا أو مصرا على الهوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره من الصفات المذمومة وهذا هو العلم الخفي الذي أراده المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله

(فر عن علي) أمير المؤمنين ورواه أيضا ابن شاهين وغيره." (٢)

"٧٨٥٤ - (ما بر أباه من شد إليه الطرف بالغضب) وما بعد البر إلا العقوق فهو إشارة إلى أن العقوق كما يكون بالقول والفعل يكون بمجرد اللحظ المشعر بالغضب وقد ذم الله العقوق في كتابه وجاء من السنة فيه ما لا يكاد يحصى وأقبح بخصلة هي علامة على **سوء الخاتمة** إن لم يتدارك الله العبد بلطفه

---

(١) فيض القدير المناوي ٢٣٦/٤

(٢) فيض القدير المناوي ٣٢٦/٤

وعفوه ومن ثم كان من أعظم الكبائر وإذا كانت -[٤٣٢]- نظرة الغضب عقوقا للأب فللأم أولى لأنها مقدمة عليه في البر والملاطفة

(طس وابن مردويه) في تفسيره (عن عائشة) قال الهيثمي: فيه صالح بن موسى وهو متروك." (١)

"-[٥٢]- ٨٣٩٧ - (من ازداد علما ولم يزدد في الدنيا زهدا لم يزدد من الله إلا بعدا) ومن ثم قال الحكماء: العلم في غير طاعة الله مادة الذنوب وقال الماوردي: قال الحكماء: أصل العلم الرغبة وثمرته السعادة وأصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة فإذا اقترن العلم والزهد فقد تمت السعادة وعمت الفضيلة وإن افترقا فياويح مفترقين ما أضر افتراقهما وأقبح انفرادهما وقال مالك بن دينار: من لم يؤت من العلم ما يقمعه فما أوتي من العلم لا ينفعه وقال حجة الإسلام: الناس في طلب العلم ثلاثة رجل طلبه ليتخذه زادا إلى المعاد لم يقصد إلا وجه الله فهذا من الفائزين ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال به الجاه والمال ومع ذلك يعتقد خسة مقصده وسوء فعله فهذا من المخاطرين فإن عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه **سوء الخاتمة** وإن وفق لها فهو من الفائزين ورجل استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الأتباع وهو مع ذلك يضمر أنه عند الله بمكان لاتسامه بسمة العلماء فهذا من الهالكين المغرورين إذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين

(فر عن علي) أمير المؤمنين قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف أي وذلك لأن فيه موسى بن إبراهيم قال الذهبي: قال الدارقطني: متروك ورواه ابن حبان في روضة العقلاء موقوفا عن الحسن بن علي وروى الأزدي في الضعفاء من حديث علي من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد من الله عليه غضبا." (٢)

"٨٥١٦ - (من أكل بالعلم) يعني اتخذ علمه ذريعة إلى جلب المال والتكالب على جمعه رجاء أن يقضي من الدنيا وطره ويتنعم بأكل الطيبات (طمس الله على وجهه) وفي رواية الديلمي طمس الله عز وجل عينيه (ورده على عقبيه وكانت النار أولى به) وإن انتفع الناس بعلمه لأن ما أفسد بعلمه أكثر مما أصلحه بقوله إذ لا يستجرى الجاهل على الرغبة في الدنيا إلا باستجراء العالم واتخاذهم العلم مجلبة لحطامها فقد صار علمه سببا لجرأة عباد الله على معاصيه ونفسه الجاهلة مع ذلك تمنيه وترجيه وتخيل له أنه خير من كثير من الناس وبذلك ينقطع عن التوبة فيخاف عليه **سوء الخاتمة** فإياك يا مسكين أن تذعن لتزويره وتتدلى بحبل غروره قال حجة الإسلام: والعلم النافع مما يزيد الخوف من الله والبصيرة بعيوب النفس ويقلل الرغبة

---

(١) فيض القدير المناوي ٤٣١/٥

(٢) فيض القدير المناوي ٥٢/٦

في الدنيا ويزيد الرغبة في الآخرة ويطلع على مكائد الشيطان وغروره وكيفية تلبيسه على علماء الشر حتى عرضهم لمقت الله وسخطه حيث أكلوا الدنيا بالدين واتخذوا العلم ذريعة إلى أخذ الأموال من السلاطين وأكل أموال الأوقاف واليتامى والمساكين وصرف هممهم طول نهارهم الى طلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق واضطرهم ذلك إلى المماراة والمنافسة والمباهاة - إلى هنا كلام الحجة

(الشيرازي) في الألقاب (عن أبي هريرة) ورواه عنه أيضا أبو نعيم والديلمي." (١)

"٨٨٥٦ - (من عفا عن قاتله دخل الجنة) أي مع السابقين الأولين أو من غير سبق عذاب أو هو إعلام بوفاته على الإسلام والأمن من سوء الخاتمة

(ابن منده) الحافظ المشهور (عن جابر) بن عبد الله (الراسبي) قال صالح جزرة نزل البصرة قال الذهبي في الصحابة: جاء في حديث مظلم عن أبي شداد عنه اه. وهنا أمران الأول أن المصنف أطلق العزو لابن منده فاقتضى أنه خرجه ساكتا عليه والأمر بخلافه بل تعقبه بقوله هذا حديث غريب إن كان محفوظا اه. الثاني أنه تبعه على قول الراسبي وليس بصواب فقد قال أبو نعيم قوله الراسبي وهم وإنما هو الأنصاري اه. بنصه وأقره عليه الحافظ ابن حجر." (٢)

"٨٩٠٣ - (من قام ليلتي العيد) الفطر والأضحى أي أحياهما (محتسبا) لله (لم يمت قلبه يوم تموت القلوب) أي لا يشغف بحب الدنيا لأنه موت أو يأمن من سوء الخاتمة ﴿أومن كان ميتا فأحييناه﴾ أي كافرا فهديناه ويحصل ذا بمعظم الليل وقيل بصلاة العشاء والصبح جماعة على ما مر

(هـ عن أبي أمامة) الباهلي." (٣)

"٩١٠٤ - (من يرد الله به خيرا) بالتنكير في سياق الشرط فيعم أي من يرد الله به جميع الخيرات (يفقهه) بسكون الهاء لأنها جواب الشرط (في الدين) أي يفهمه علم الشريعة بالفقه لأنه علم مستنبط بالقوانين والأدلة والأقيسة والنظر الدقيق بخلاف علم اللغة والنحو والصرف. روى أن سلمان نزل على نبطية بالعراق فقال: هنا مكان نظيف نصلي فيه قالت: طهر قلبك وصل حيث شئت فقال: فقهت أي فهمت فمفهوم الحديث أنه من لم يتفقه في الدين أي يتعلم قواعد الإسلام لم يرد الله به خيرا (ويلهمه برشده) بباء موحدة أوله بخط المصنف وفيه كالذي قبله شرف العلم وفضل العلماء وأن التفقه في الدين علامة على

---

(١) فيض القدير المناوي ٨٤/٦

(٢) فيض القدير المناوي ١٨٠/٦

(٣) فيض القدير المناوي ١٩١/٦

حسن الخاتمة وروى البخاري في الصحيح معلقا من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما العلم بالتعلم هكذا ذكره معلقا بهاتين الجملتين ووصله ابن أبي عاصم من حديث معاوية

(حل عن ابن مسعود) رمز لحسنه وهو فيه تابع لابن حجر حيث قال في المختصر: إسناده حسن لكن قال الذهبي: هو حديث منكر ورواه عنه الطبراني أيضا." (١)

"٩٩٦٢ - (لا يدخل الجنة قاطع) أي قاطع رحم كما جاء مبينا هكذا في مسلم عن سفيان بل وردت هذه اللفظة في الأدب المفرد للبخاري فقول الشيخ شهاب الدين ابن حجر الهيثمي أن لفظ رحم لم ترد وإنما هو حكاية لاختلاف العلماء في معنى قاطع قصور عجيب وهجوم قبيح وكان الأدب أن يقول لا أقف على ذلك والمراد لا يدخل الجنة التي أعدت لوصال الأرحام أو لا يدخلها مع اتصافه بذلك بل يصفي من خبث القطيعة إما بالتعذيب أو بالعفو وكذا يقال في نحو لا يدخل الجنة متكبر وشبهه وهو محمول على المستحل أو على **سوء الخاتمة** وقد ورد الحث فيما لا يحصى من الأخبار على صلة الرحم ولم يرد لها ضابط فالمعول على العرف ويختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمنة والواجب منها ما يعد به في العرف واصلا وما زاد تفضل ومكرمة الرحم والقرابة وهو من بينك وبينه نسب وإن لم يرث ولم يكن محرما على الأصح

(حم ق) في الأدب (د) في الزكاة (ت) في البر (عن جبير) بن مطعم." (٢)

"من كتب الوالد رحمه الله فاجتمع عندي منها جملة عديدة ولما بلغني ان سيدي الشيخ علد الله العيدروس رضي الله عنه قال من حصل كتاب أحياء علوم الدين وجعله غي أربعين جلدا ضمنت له على الله بالجنة فحصلته كذلك بهذه النية ولله الحمد ووقفت لاستماع الأحاديث النبوية واشتغال الأوقات بها مع صدق النية وطالعت كثيرا من الكتب باعانة الله تعالى ووقفت على أشياء غريبة فيها وفيما تلقيته عنالمشايخ الأفراد وفضلاء العصر الأمجاد وغيرهم من الثقات فلم تفتني بحمد الله سبحانه إشارة صوفية أو مسألة علمية أو نكتة ادبية ولكني مع ذلك اظهر التجاهل في ذلك لأن الكلام على اشارات التصوف ومقامات الصوفية لا ينبغي الشخص أن يصفها إلا إذا كان متحققا بها ومع ذلك فلا يجوز له ان يتكلم فيها مع غير أهلها لانها مبنية على المواجيد والاذواق لا يطلع على بيان حقيقتها بالألسنة والأوراق

واما نكت الأدب فلا يحسن بعاقل أن يشتهر بمعرفة علمها والله المسؤول ان يجعل ذلك مقربا اليه وموجبا

---

(١) فيض القدير المناوي ٢٤٢/٦

(٢) فيض القدير المناوي ٤٤٨/٦

للزلفى عنده ولديه وان يتم لنا كمال السعادة بان يرزقنا **حسن الخاتمة** عند الموت حتى نظفر بالحسنى وزيادة مع الدنيا وأحبابنا ومشايخنا وأصحابنا وأخواننا وذرارينا انه أكرم مسؤول قريب مجيب وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإلي انيب ثم من الله علي بعد ذلك وله الحمد لا أحصى ثناء عليه بما لا كان لي قط في حساب فسبحان المتفضل المنعم المعطي الوهاب حتى سارت بمصفاتي الرفاق وقال بفضلي علماء الآفاق ورزقت محبة ارباب القلوب من اولياء الله تعالى وحظيت بدعواتهم الصالحة وعظمني العلماء شرفا وغربا وخضع لي الرؤساء طوعا وكرها وكاتبني ملوك الاطراف وأرفدوني بصلاتهم الجليلة وهباتهم الجزيلة ووصلت إلى المدائح مكن الآفاق كمصثر واقصى اليمن وغيرهما من البلاد البعيدة وأخذ عني غير واحد من الاعلام وانتفع بي عدة من الانام

وممن لبس مني خرقة التصوف من الأعيان السيد الجليل العلامة جمال الدين محمد بن يحيى الشامي المكي والشيخ الكبير العلامة الشهير بدر الدين حسين بن داود الكوكني الهندي والشيخ الصالح العلامة الفقيه." (١)

"لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا، تنطحه بقونها، وتطؤه بأظلافها ". الحديث الشهير. قال صاحب المعلم: بطح لها البقاع قرقر، أي ألقى على وجهه، والقاع: المستوى من الأرض، والقرقر: كذلك؛ هذا ما حض من الجواب. وبقي في مكتوبكم حشو كثير من كلام الإقذاع، وفحش بعيد من الحشمة والحياء، رأيت أن من الصواب الإضراب عن ذكره، وصون اليد عن الاستعمال فيه، والظاهر أنه إنما صدر عنكم وانتم بحال مرض، فلا حرج فيه عليكم إن شاء الله، أجلكم، ومكن أمنكم، وسكن وجلكم، ومنه جل اسمه نسأل لي ولكم **حسن الخاتمة**، والفوز بالسعادة الدائمة، والسلام الأتم يعتمدكم، والرحمات والبركات من كتابه علي بن عبد الله بن الحسن، وفقه الله.

وذلك بتاريخ أخريات جمادى الأولى من عام ثلاثة وسبعين وسبع مائة.

وقيد رحمه الله في مدرج طي هذا الكتاب ما نصه: يا أخي، أصلحنى الله وإياكم، وبقي من الحديث شيء، الصواب الخروج عنه لكم، إذ هذا أوانه، وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه، وليكن البناء بعد أن كان على أصل صحيح بحول الله، وحاصله:

أنكم عددتم ما شاركتم فيه بحسب الأوقات، وقطعتم بنسبة الأمور كلها لنفسكم، وأنها إنما صدرت عن

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العيدروس ص/٣٠٢

أمركم وبأذنكم، من غير مشاركة في شيء منها لكم، ثم مننتم بها المن القبيح، المبطل لعمل بركم، على تقدير." (١)

"مناقبه ما حكاه عنه الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، أن السلطان قايتباي أرسل إليه مرسوما، بعشرة أنصاف مصرية من الجوالي في كل يوم، فانقبض خاطر الشيخ من ذلك، فوضع المرسوم في عمامته، وركب حمارته، وخرج لحاجة فبينما هو تحت بيت إذ سمع امرأة تقول لجارتها: هذا الشيخ هو الذي أخذ جوالي ولدي، فعرف البيت، وأرسل المرسوم إلى قايتباي، وقال: إن كنت تريد البر لي فامسح اسمي، واكتب اسم ولد المتوفي، وما زال يبرم على السلطان حتى كتب العشرة أنصاف لولد تلك المرأة، وهو ولد المتوفي، ثم جاءها بالمرسوم وأعطاها إياه، وقال: ابرئي ذمة عبد الرحيم، وادعي له بالموت على الإسلام، فإني خائف من **سوء الخاتمة**، فبكت المرأة وبكى الشيخ، ولعله أدرك أوائل هذه الطبقة، رحمه الله تعالى.

٤٧٥ – عبد الرزاق: عبد الرزاق...... الشيخ الصالح المربي المسلك الشافعي الحموي القادري نسبا وخرقة، توفي بحماة في سنة إحدى وتسعمائة، وصلي عليه غائبة بالأموي بدمشق يوم الجمعة تاسع ربيع الأول منها.

٤٧٦ – عبد الرزاق بن أحمد الأريحي: عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الشيخ ولي الدين بن زين الدين الشيخ العلامة شمس الدين الأريحي، ولد سنة خمس وأربعين وثمانمائة، وتوفي سنة اثنتين وتسعمائة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

٤٧٧ – عبد الرزاق بن أحمد العجيمي: عبد الرزاق بن أحمد بن أحمد بن محمود بن موسى، المعروف جده أحمد في القدس الشريف بالعجيمي، وجده الأعلى موسى بالتركماني الشيخ الفاضل المقري المجود زين الدين ابن الشيخ الإمام المقرئ، كاتب المصاحف شهاب الدين أحمد المقدسي الأصل، الدمشقي السافعي، ولد في سادس عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وأخذ القراءات وغيرها عن والده وغيره، وتوفي في سنة تسع وتسعمائة، ودفن بمقبرة المزرعة المعروفة الآن بالجورة بالقرب من ميدان الحصا عند أخيه الشيخ إبراهيم المقدسي.

٨٧٤ – عبد السلام: عبد السلام، الشيخ الصالح، خادم الشيخ علي أبي تراب، الكائن." (٢)

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢١٦/١

(٢) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ٢٣٧/١

"ذلك، واشتغل بالزهد، والعبادة، والرياضة [١] ، والمجاهدة، حتى صار علما من أعلام الدين، يهتدي به الخلق إلى الله، ثم قدم بغداد في سنة خمس وخمسمائة وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية، وصادف بها قبولا عظيما من الناس، وكان قطب وقته في فنه.

وذكر ابن النجار في «تاريخه» أن فقيها يقال له ابن السقاء سأله عن مسألة وأساء معه الأدب، فقال له الإمام يوسف: اجلس فإني أجد- ويروى أشم- من كلامك رائحة الكفر، وكان أحد القراء حفظة القرآن، فاتفق أنه [٢] تنصر ومات عليها، نعوذ بالله من **سوء الخاتمة**، وذلك أنه خرج إلى بلد الروم رسولا من الخليفة، فافتتن بابنة الملك، فطلب زواجها فامتنعوا إلا أن يتنصر، فتنصر، ورؤي في القسطنطينية مريضا وبيده خلق مروحة يذب بها الذباب عن وجهه، فسئل عن القرآن، فذكر أنه نسيه إلا آية واحدة وهي ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ١٥: ٢ [الحجر: ٢] وذكرت حكاية ابن السقاء في «البهجة» المصنفة في مناقب الشيخ عبد القادر، وأن ابتلاءه كان بسبب [٣] إساءته إلى بعض الأولياء، يقال له: الغوث، فالله أعلم.

---

[١] في «آ» : «والرئاسة» .

[٢] أي السائل.

[٣] في «آ» : «سبب» .." (١)

"يا نزول الصفح من إضم ... بعدكم أفنى قوى بدني

حبذا أيامنا وبكم ... كانت الأقدار تسعدني

حيث وجه الدهر منبلج ... وخيول اللهو ليس تني

وسرابيل الصبا قشب ... لم تمزقها يد المحن

ليت شعري والرجا طمع ... بكم الأيام تجمعني

يا ديار الأنس جادك من ... فيض دمعي هامل المزن

إن أكن قد بنت لا برضا ... ففؤادي عنك لم يبن

آه كم من ليلة سلفت ... فيك محفوظا من الحزن

ليس ينسيني تذكرها ... غير مدح المصقع اللسن

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ١٨٢/٦

فاضل العصر الذي يده ... حلت الأجياد بالمنن

من به الآداب قد فخرت ... وبدت في منظر حسن

يدرك الأشيا بفطنته ... وذكاه وهي لم تكن

فكره كم حل مشكلة ... وقفت عنها ذوو الفطن

عمدتي في كل نازلة ... جردت ن؛ وي ظبا الفتن

يا عفيف الدين عبد هوى ... بك لم يغدر ولم يخن

قمت تدعوه بمفردة ... أصبحت كالقرط في الأذن

فاختبرني يا أبا حسن ... ترني المخبور بالحسن

وتقبل مدحة برزت ... من شح ناء عن الشجن

جمدت أفكاره زمنا ... فرمي بالعي واللكن

رفض الأشعار عنه فلو ... وزنوا الأموال لم يزن

دمت سما للعدى سندا ... لي يا أطروفة الزمن

لو دعاني من غير أرضك داع ... لغرام لكنت غير ملبي

وأما أنت أيها الأخ الشقيق. والصديق الشفيق.

سمعا لأمرك الواجبة إطاعته المفروضة إجابته، الممتنعة مخالفته، المستحيلة مجانبته.

لو قيل تيها قف على جمر الغضا ... لوقفت ممتثلا ولم أتوقف

كيف وقد دعوتني إلى شيء أتمنى حصوله، وأترقب وصوله.

وكنت أرى نيله كالمستحيل للسائل، وطالما قلت: أين الثريا من يد المتناول.

فظهر لي قيام الحظ بعد قعوده، وتبدل نحوسه الملازمة بسعوده.

وطفقت أسحب ذيل الإعجاب مرحا، وتزايد بي السرور حتى بكيت فرحا.

يا قلب قر فمن تحب ... أتى على وفق المراد

فثق مني بخلوص ود لا يشوبه غش الانفصام، حتى تفارق بعد العمر الطبيعي أرواحنا الأجسام.

ألقني في لظى فإن غيرتني ... فتيقن أني لست بالي اقوت

والله المسئول أن يجعل عيون الحاسدين عنا نائمة، ويرزقنا والمسلمين **حسن الخاتمة.**

وكتب إليه، وقد وعده بمشترى تمر له:

يا مالك الفضل ويا خل الأدب ... ويا كريم الأصل يا فخر العرب

طال اشتياقي فاستمع مقالي ... لخضم تمر كالزلال حالي

شبهته لم أعد في تشبيهه ... طريقة القصد لدى مريده

مخازن من العقيق نبتت ... أقفالها من النضار جعلت

أو أنملات للغواني طليت ... بالزعفران أعجبت وفتنت

وأكؤسا من النضار الصافي ... تشربها وخلك المصافي

كأنه خلقك في حلاوته ... ولفظك الباهر في براعته

يا حسنه حين يرى في أدمه ... يوجد شخص الجوع بعد عدمه

أحببته حب الصغير أمه ... ولا عجيب حب ابن العمه

فانعم به دمت مدى الدهور ... تسحب ذيل الانس والحبور." (١)

"(قد ذقت من حديثه حلو السمر ... كم ليلة لذبها طول السهر)

(فلفظه الدار إذا ما نثرا ... على بساط السمع من غير مرا)

(كأنه من نفس النبوة ... أجل لما فيه من النبوة)

(فطالما أوقرت منه سمعا ... قد جمع الحكمة فيه جمعا)

(وكل ما فيه أنا من نعم ... فأنه آثار تلك الحكم)

(فالله يبقيها ويبقى مددى ... منها ويغنيني بهذ السيدا)

(دهرا طويلا سالما من الغير ... ولن يشوب صفوه شوب الكدر)

(ممتعاله خصوصا بالقوي ... وناشرا لنصره ذاك اللوا)

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٧٨/٢

(وكافينه كل ما أهمه ... من عين كل حاسد ملمه)

(يبيد بالقدرة من عاداه ... بطالع السعد الذي حواه)

(ومن تولى نصره الله فمن ... يخذله وذاك مولانا الحسن)

(وإلى عليه ربنا مكارمه ... موصولة منه **بحسن الخاتمة)**
وكانت وفاته ليلة الخميس لثلاث خلت من جمادى الآخرة سنة عشرة بعد الألف في مكان يقال له الرفاعية بعد أن توعك نحو يومين وحمل إلى مكة على محفة البغال وجهز في ليلته وصلى عليه في المسجد الحرام في محفل جمع من العلماء والأشراف والعامة ودفن بالمعلاة وبني عليه قبة عظيمة وله من العمر نحو تسع وسبعين سنة واستقل بعده ابنه الشريف أبو طالب كما ذكرنا في ترجمته سابقا وأول من ولي مكة من أجداده الشريف قتادة بن الشريف إدريس أخذها من ملوكها الهواشم في سنة سبع أو ثمان أو تسع وتسعين وخمسمائة واستمر ملكهم إلى هذا الحين أدامه الله تعالى وقد جمع الإمام محمد الشلي بأعلوي الحسيني رسالة فيمن ملك منهم من قتادة إلى ملك زمانه والله تعالى أعلم
الشيخ حسن بن أحمد بن إبراهيم أبا شعيب الحضرمي الواسطي الشافعي الإمام المؤلف الزاهد العابد أخذ عن الشيخ أبي بكر بن سالم وتخرج به وصحب جماعة من أكابر العارفين واشتغل بالعلوم الشرعية حتى حصل منها طرفا صالحا وحج وأخذ بالحرمين عن غير واحد منهم الشيخ أبو بكر الشبامي أخذ عنه الفقه وغيره وانتهت إليه رياسة العلوم والمعارف في بلده الواسطة من أعمال حضر موت وكان قدوة في القول والعمل وأخذ عنه جمع كثير منهم الشيخ زين العابدين العيدروس." (١)

"لا تلتفت الى ما كتبه هذا الظالم وكان حاضرا فى المجلس وانظر الى عباد الله بنور الله فعمل على مراده وترك ما أراد المتولى وله من هذا القبيل أشياء أخر وله تحريرات على التفسير وغيره لكنها لم تجمع وذهبت وولى آخر أمره تدريس البخارى فى الاشهر الثلاثة تحت قبة النسر بجامع بنى أمية ودرس وكان يقرر تقريرا جيدا الا انه كان ضيق العبارة وكانت وفاته ليلة الخميس رابع شهر ربيع الاول سنة ثمانين وألف بداء الاستسقاء ودفن بتربة باب الصغير

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١٤/٢

محمد بن محمد بن موسى بن علاء الدين أبو اليسر الملقب كمال الدين العسيي القدسي ينتهي نسبه الى الشيخ عبد الرحمن الصنابحى ذكره ابن قيم الجوزية فى صفة الصفوة كان عالما محدثا حافظا لكتاب الله تعالى محبا للفقراء والصالحين محسنا اليهم اجازه جده الشيخ ابن قاضى الصلت الامام بالمسجد الاقصى بحديث الاولية وكان عمره اذ ذاك اثنتى عشرة سنة رحل إلى مصرفى سنة خمس وخمسين وألف هو وأخوه يوسف وأخذ بها الحديث عن المعمر الشيخ اسماعيل بن ماضى بن يونس بن اسماعيل ابن خطاب السنجيدى الشافعى خطيب جامع الحاكم وله اجازات جمة من علماء الازهر منهم الشيخ عبد الرحمن اليمنى اجازه فى القرآت السبع ومنهم البرهان اللقانى والشيخ ابراهيم البيجورى شيخ القراء بمقام الامام الشافعى وكان مواظبا لزيارته فى كل ليلة سبت والقراءة معه فى المقرأ الكبير وولى الامامة بالمسجد الاقصى وحج ثلاث مرات وأخذ بمكة عن ابن علان الصديقى واجتمع القطب الغوث بمكة فى المرة الثالثة ودعا له **بحسن الخاتمة** فجاء من الحج فى تلك السنة وهى سنة سبع وثمانين وألف متوعكا وتوفى فى شهر بيع الاول من تلك السنة

محمد ميرزا بن محمد المعروف بالسروجى الدمشقى الميدانى كان فى ابتداء أمره وهو بدمشق يشتغل السروج ويبيعها ثم طلب العلم وأخذ عن الشيم الميدانى والنجم الغزى وعن أبى العباس المقرى وأجازه بجميع مؤلفاته ومروياته وأخذ عن العارف بالله تعالى المحقق الصوفى عبد الله الرومى البوسنوى شارح الفصوص الشهير بعبدى رحمه الله ورحل الى الحرمين وأخذ بمكة عن الشيخ الولى الكامل تاج الدين النقشبندى قدس الله روحه ونور ضريحه وأخذ بالمدينة المنورة عن الشيخ غرس الدين الخليلى وجاور بالمدينة نحو أربعين سنة وكان يحج غالب السنين وكان تقيا ورعا زاهدا فى الدنيا ورياستها ملازما للعبادة والذكر كثير المطالعة." (١)

"فخرج إلى مصر كذا قاله الذهبي قلت العباس رضي تعالى عنه لم يحضر السقيفة فالرد مردود على أن قول الشاعر حاضر لا يلزم منه حضوره عند السقيفة حتى يرد ما قاله هذا القائل بل مراده حضوره أي وجوده في ذلك الزمن يعني زمن اجتماعهم في السقيفة لا حضور نفس الاجتماع فيها وكانت مدارس بغداد يضرب بها المثل في ارتفاع العماد وإتقان المهاد وطيب الماء ولطف الهواء ورفاهية الطلاب وسعة الطعام والشراب وأول مدرسة بنيت في الدنيا مدرسة نظام الملك فلما سمع علماء ما وراء النهر هذا الخبر اتخذوا ذلك العام مأتما وحزنوا على سقوط حرمة العلم فقالوا حين سئلوا عن ذلك إن للعلم ملكة شريفة لا تطلبها

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢٠٢/٤

إلا النفوس الشريفة بجاذب الشرف الذاتي فلما جعلت عليه الأجور تطلبته النفوس الرذلة لتجعله مكسبا وسلما لحطام الدنيا لا لتحصيل شرف العلم بل لتحصيل المناصب الدنيوية الأسفلية الفانية فيرذل العلم لرذالتهم ولا يشرفون بشرفه ألا ترى إلى علم الطب فإنه مع كونه شريفا لما تعاطاه اليهود والنصارى رذل برذالتهم ولم يشرفوا بشرفه وهذا حال طلبة العلم في هذا الزمان الفاسد كذا في الأعلام قلت قد كان هذا قبل وأما اليوم فلا طلب ولا مطلوب ولا رغبة ولا مرغوب نسأل الله اللطف **وحسن الخاتمة** ومن جملة خدام المستنصر بالله الأمير شرف الدين وإقبال الشرابي المستنصري وفي سنة ست وثلاثين وستمائة وقع باليمن مطر عظيم عمه جميعا وكان فيه برد عظيم قتل من الدواب والوحوش شيئا كثيرا ونزلت فيه بردة كالجبل الصغير لها شناخيب يزيد كل واحد منها على ثلاثة أذرع وقعت في مفازة من بلاد سنحان وزراحة وذلك بمرحلتين بمسير الجمال عن صنعاء فغاب في الأرض أكثرها وكانت يدور حولها عشرون رجلا فلا يرى بعضهم بعضا وبشاذروان الكعبة الشريفة في وسط مصلى جبريل عليه الصلاة والسلام وهي الحفيرة المسماة الآن بالمعجنة حجر من الرخام الأزرق ومنقور فيه بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا." (١)

"كبيش فلما أراد أن يقبل الجمل على ما كان يفعله الشراكسة من الجهل وثب إليه اثنان من الزعر من المحمل كل واحد بيده خنجر طعناه فمات من حينه فعوجل بالعقوبة في هذه المدة اليسيرة إذ قد تقدم أن مدة ولايته مستقلا مائة يوم نسأل الله **حسن الخاتمة** ونعوذ به من سوء القضاء وفر عمه كبيش إلى جده فتبعوه فلم يحصلوه وألبسوا الشريف عنان بن مغامس الخلعة ودخلوا به مكة فوليها عنان بن مغامس فلما وصلوا إلى أجياد تلقاهم بعض أصحاب الشريف محمد من العبيد والقواد فتقاتلوا معهم فلم يلبثوا أن ولوا هربا وحج بالناس الشريف عنان والناس في غاية الاضطراب والخوف ثم لما عزم الحاج أرسل عنان إلى كبيش عسكرا ليخرجه من جدة ففر منها وسامح الشريف عنان الشيبيين فترك ما كان تأخذه الأشراف منهم بالقوة وهو خمسة آلاف درهم في كل عام وجانب من الكسوة مع البرقع وثوب مقام الخليل وجرى بينه وبين كبيش فتن وجموع ولم تصف البلاد له بحيث إنه عجز عن إقامة الجند والأشراف فأخذ حاصل السلطان وما فيه ونهب جدة وأموال التجار والمراكب غير مرة ثم إن كبيش المذكور عاد إلى جدة وحده فنهبها وعاث عبيده في الطرقات فخشي عنان من كثرتهم وأشرك معه في الإمرة ابني عمه أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك ثم أخاه علي بن مبارك ثم دعا لهم معه على المنبر وزمزم وظن بذلك أن يقوي أمره ولم يساعده القدر فبلغت أحواله إلى السلطان برقوق بمصر فعزل عنان في رجب سنة تسع وثمانين وسبعمائة

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٣/٥١٥

ثم ولى عوضه علي بن عجلان فوليها علي بن عجلان في السنة المذكورة بعد عزل عنان حنقا عليه لما اتفق في ولايته من استيلاء كبيش وجماعة عجلان وابنه أحمد ومن انضم إليهما وعجز عنان عن دفعهم عن الاستيلاء على جدة فوصل النجاب إلى عنان ليسلم مكة لعلي بن عجلان وجماعته في النصف الثاني من شعبان من السنة المذكورة فأقبل علي بن عجلان في جموع متقدما فمنعهم عنان وأصحابه من دخول مكة وامتنع هو وجماعته من آل أبي نمي من تسليم مكة لآل عجلان فتحارب الفريقان بالقرب من ثنية أذاخر في التاسع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة فقتل كبيش بن." (١)

"﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ ، فهذا فضل ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ [الشورى: ٤٠] ، فهذا تحريم للظلم.

وقوله: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ ، فهذا إيجاب للعدل وتحريم للظلم ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ [النحل: ١٢٦] ندب إلى الفضل.

وكذلك تحريم ما حرم على هذه الأمة صيانة وحمية لهم، حرم عليهم كل خبيث وضار، وأباح لهم كل طيب ونافع، فتحريمه عليهم رحمة، وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة، كما أشرت إليه قريبا.

وهداهم لما ضلت عنه الأمم قبلهم كيوم الجمعة، كما سأذكره إن شاء الله تعالى في.

كانوا يسبونه بعد إسلامه بما كان منه قبله، فكفوا عنه، ﴿فمن عفا﴾ عن ظلمه ﴿وأصلح﴾ الود بينه وبينه بالعفو عنه، ﴿فأجره على الله﴾ أي: إن الله يأجره لا محالة، "فهذا فضل.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: "من عفا عند القدرة عفا الله عنه يوم العسرة"، رواه الطبراني، وقال: "من عفا عن دم لم يكن له ثواب إلا الجنة". رواه الخطيب.

وقال عليه السلام: "من عفا عن قاتله دخل الجنة"، رواه ابن منده، أي: مع السابقين، أو بلا سبق عذاب أو هو إعلام بوفاته على الإسلام وإلا من **سوء الخاتمة** ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ أي: البادين بالظلم فيرتب عليه عقابهم، "فهذا تحريم للظلم" وفي الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا". "وقوله: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ ، هذا إيجاب للعدل وتحريم للظلم" وهو العقاب بغير مثل ما عوقبوا به، ﴿ولئن صبرتم﴾ عن العقاب، ﴿لهو﴾ أي الصبر ﴿خير للصابرين﴾ ندب على الفضل دون إيجابه فترتاح النفوس، بذكره وتسمح به، "وكذلك تحريم ما حرم الله

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤/٢٦٤

على هذه الأمة صيانة وحمية لهم" عما يضرهم كالميتة والدم المسفوح، "حرم عليهم كل خبيث" كما قال ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ ، "وضار" كالخنزير، "وأحل لهم كل طيب" أي: مستلذ لا ضر فيه؛ كما قال: ﴿اليوم أحل لكم الطيبات﴾ ، "ونافع" للبدن والعقل، "فتحريمه عليهم رحمة وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة؛ كما أشرت إليه قريبا" في قوله: "وقد كان بنو إسرائيل إذا نسوا شيئا مما أمروا به وأخطئوا عجلت لهم العقوبة"، فحرم عليه شيء من مطعم أو مشرب، "وهداهم لما ضلت عنه الأمم قبلهم؛ كيوم الجمعة كما سأذكره إن شاء الله تعالى في." (١)

"الموت، أو إلى يوم القيامة.

لا يقال: إنه تعالى قال: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم﴾ [التوبة: ١٤] وقال تعالى: ﴿ليعذب الله المنافقين﴾ [الأحزاب: ٧٣] ؛ لأنا نقول: تخصيص العام لا يقدح فيه.

وفي "الشفاء" للقاضي عياض: وحكى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل: "هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم، كنت أخشى عاقبة الأمر فأمنت، لثناء الله تعالى علي بقوله: ﴿ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين﴾ " [التكوير: ٤٠] . انتهى.

وذكر السمرقندي في تفسيره بلفظ: وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل: "يقول

عليهم عذابين، كالأمم السابقة، "لا يقال: إنه تعالى قال: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله﴾ بقتلهم ﴿بأيديكم ويخزهم﴾ أي: يذلهم بالأسر والقهر، "وقال عالى: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ [الأحزاب: ٧٣] ؛ "لأنا نقول: تخصيص العام" وهو العالمين من رحمة للعالمين ببعض إفراده، وهو المنافق والمشرك، "لا يقدح فيه"؛ لأنه يكفي في عمومه صدقه على غير ما خصص به.

"وفي الشفاء للقاضي عياضك وحكي" بالبناء للمجهول كما قال البرهان؛ "أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل: "هل أصابك من هذه الرحمة شيء"؟ فيه إشارة إلى أنه مرحوم مقرب، وإنما السؤال عن رحمة نالته من رحمة المصطفى، كما أفاده اسم الإشارة، قال: نعم، كنت أخشى العاقبة" أي: سوءها، أو المراد بالعاقبة السيئة بجعل التعريف للعهد بقرينة الخشية، فإنها بمعنى الخوف، وإنما يكون في المكروه، والعاقبة ما يعقب الشيء ويحصل منه خيرا كان أو شرا، "فأمنت" "بفتح الهمزة المقصورة، وكسر الميم الخفيفة، مبني للفاعل من الأمن ضد الخوف"، وضبطه "بضم الهمزة مبني للمفعول"، خلاف المشهور، ثم إن كان بشد

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٦٤/٧

الميم، فظاهر، وإن كان بتخفيفها، فركيك جدا؛ لأنه إن كان من ضد الخيانة، فلا يناسب المقام، أو من الأمن، فكذلك؛ لأن مفعوله الثاني من المعاني، لا الذوات، فيحتاج لتقدير وحذف، أي: أمنت سوء عاقبتي، ولا داعي له "لثناء الله تعالى علي قوله": ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ ﴿ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين﴾ ، عند الله في علمه، أو في حكمه وقضائه؛ لأن ثناءه يقتضي رضاه وقبوله، وهو لا يرضى، ويقبل الأمن، كان مرحوما مقربا، فلما علم ذلك من القرآن الذي هو رحمة نازلة بالمصطفى اطمأن خاطره وأمن **سوء الخاتمة**. "انتهى".

نقل عياض: قال السيوطي: ولم أجده مخرجا في شيء من كتب الحديث.

"وذكر السمرقندي في تفسيره بلفظ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل: "يقول الله." (١)

"علمهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضا، وشهد جنازة وصام يوما وراح إلى الجمعة وأعتق رقبة".

وعند أحمد عن كعب مرفوعا: "من عاد مريضا، خاض في الرحمة، فإذا جلس عنده استنقع فيها". زاد الطبراني: "وإذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج".

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص يوما من الأيام بعيادة المريض، ولا وقتا من الأوقات، وترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة، ابتدعه يهودي طبيب لملك قد مرض وألزمه بملازمته، فأراد يوم الجمعة أن يمضي لسبته فمنعه، فخاف على استحلال سبته، ومن سفك دمه، فقال: له إن المريض لا يدخل عليه يوم السبت، فتركه

ثقات، "مرفوعا: "خمس" من الخصال "من علمهن في يوم" أي يوم جمعة "كتبه الله" أي قدر أوامر الملائكة أن تكتب له أنه "من أهل الجنة" وهذا علامة على **حسن الخاتمة**، وبشرى له بذلك: "من عاد مريضا" أي زاره في مرضه، ولو أجنبيا. "وشهد جنازة" أي حضرها وصلى عليها، "وصام يوما" وفي رواية أبي يعلى: وصام يوم الجمعة، أي تطوعا، "وراح إلى الجمعة" إلى محل صلاتها، "وأعتق رقبة" أي خلصها من الرق لوجه الله، وظاهره أنه لا يكتب له ذلك إلا بفعل الخمس في يوم واحد يكون يوم جمعة، أي جمعة كانت، وعند أحمد عن معاذ مرفوعا: "خمس من فعل واحدة منهن كان ضامنا على الله؛ من عاد مريضا، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازيا، أو دخل على إمامه يريد تعزيزه وتوقيره، أو قعد في بيته وسلم

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٩٢/٨

الناس منه وسلم من الناس".

"وعند أحمد عن كعب" بن مالك، "مرفوعا" عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من عاد مريضا خاض في الرحمة" حال ذهابه لعيادته، "فإذا جلس عنده استنقع فيها" أي شملته وعمت جميع أجزائه "زاد الطبراني" في روايته لهذا الحديث: "وإذا قام من عنده، فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج" أي حتى يعود إلى مكانه الذي جاء منه للعيادة، فأفاد الحديث خوضه فيها ذاهبا وراجعا، والاستنقاع مدة جلوسه عنده، "ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص يوما من الأيام بعيادة المريض، ولا وقتا من الأوقات" ولكن جرت العادة بها طرفي النهار، كما مر عن الحافظ، ومن آدابها عدم تطويل الجلوس عنده، فربما شق على المريض أو على أهله، "وترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة ابتدعه يهودي طبيب لملك" سلطان "قد مرض، وألزمه بملازمته، فأراد يوم الجمعة أن يمضي لسبته، فمنعه، فخاف على استحلال سبته" إن جاء، "ومن سفك دمه"." (١)

"المساكين، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون" رواه في الموطأ.

وكان يدعو: "اللهم فالق الإصباح، وجاعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسبانا، اقض عني الدين وأغنني من الفقر، وأمتعني بسمعي وبصري وقوتي، وتوفني في سبيلك" رواه في الموطأ.

أي: الإقدار على فعلها والتوفيق له، "وترك المنكرات" أي: المنهيات، "وحب المساكين" يحتمل إضافته إلى الفاعل، وإلى المفعول وهو أنسب بما قبله، قال الباجي: وهو من فعل القلب، ومع ذلك فيختص بالتواضع، وفيه: إن فعل الثلاثة إنما هو بفضل الله وتوفيقه، "وإذا أردت" بتقديم الدال على الراء من الإدارة، أي: أوقعت.

وفي رواية: بتقديم الراء على الدال من الإرادة، "بقوم" لفظ الموطأ: في الناس، "فتنة" بلايا ومحننا، "فاقبضني إليك غير مفتون" فيه إشارة إلى طلب العافية واستدامة السلامة إلى **حسن الخاتمة**.

"رواه في الموطأ" بلاغا، قال ابن عبد البر: هو حديث صحيح ثابت من حديث عبد الرحمن بن عابس وابن عباس، وثوبان، وأبي أمامة، "وكان" صلى الله عليه وسلم "يدعو: "اللهم فالق الإصباح" خالقه ومظهره، "وجاعل الليل سكنا" يسكن فيه، "والشمس والقمر" منصوبان على محل الليل، ويجوز جرهما عطفا على لفظه، "حسبانا" قال ابن عبد البر: أي: حسبانا، أي: بحساب معلوم، وقد يكون جمع حساب كشهاب

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٩/٣٣٩

وشهبان.

وقال الباجي: أي يحسب بهما الأيام والشهور والأعوام، قال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ [يونس: ٥] "اقض عني الدين" قال ابن عبد البر: الأظهر فيه دين الناس، ويدخل فيه دين الله بالأولى، وفي الحديث: "دين الله أحق أن يقضى" ، "واغتنى من الفقر" وهو ما لا يدرك معه القوت، وقد أغناه كما قال: ﴿ووجدك عائلا فأغنى﴾ [الضحى: ٨] ، ولم يكن غناه أكثر من اتخاذه قوت سنة لعياله، والغنى كله في قلبه ثقة بربه، "وأمتعني بسمعي" لما فيه من التنعم بسماع الذكر وما يسر، "وبصري" لما فيه من التدبر برؤية مخلوقات الله، "و" أمتعنى "قوتي" بفوقية قبل الياء واحدة القوى.

وروي: وقوني -بنون بدل الفوقية، قال ابن عبد البر: والأول أكثر عند الرواة، "وتوفني في سبيلك" الجهاد أو جميع أعمال البر؛ من تبليغ الرسالة وغيرها، فذلك كله سبيل الله، قاله الباجي "رواه في الموطأ" عن يحيى بن سعيد الأنصاري أنه بلغه فذكره، "وكان -صلى الله عليه وسلم- يتعوذ فيقول: "." (١)

"خاتمة:

عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إلي من نفسي، إنك لأحبك إلي من أهلي، وإنك لأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي

"خاتمة":

ونسأل الله من فضله **حسن الخاتمة** في عافية بلا محنة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار بوجاهة الحبيب المختار، "عن عائشة" رضي الله عنه تعالى عنها "قالت: جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم" هو ثوبان أو عبد الله بن زيد الأنصاري، كما يأتي "فقال: يا رسول الله، إنك" والله "لأحب" فاللام جواب قسم مقدر "إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من أهلي، وإنك لأحب إلي من ولدي".

زاد في رواية: ومالي، ولا يلزم من تقديمه على نفسه تقديمه على من بعده؛ لأن الإنسان قد يسمح بموت نفسه عند حصول المشاق دون ولده، حرصا على بقاء العقب، وهذا هو الإيمان الكامل المشار إليه بحديث: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" ودخل في عموم الناس

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٢/١٦

نفسه، ونص عليها في حديث آخر.

كما مر بسط ذلك في مقصد المحبة، وأن لها علامات كثيرة، منها: أنه لو خير بين فقد غرض من أغراضه وبين رؤيته -عليه السلام، لو أمكنته- لكانت أشد عليه من فقد غرضه، فهو كامل الحب، ومن لا فلا.

قال القرطبي: كل من آمن به -صلى الله عليه وسلم- إيمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، ولكنهم يتفاوتون فيها تفاوتا ظاهرا، فمنهم من أخذ بالحظ الأوفى، ومنهم أخذ بالأدنى؛ لاستغراقه في الشهوات وحجبه بالغفلات، لكن الكثير منهم إذا ذكره -صلى الله عليه وسلم- اشتاق إلى رؤيته؛ بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده، ويلقي نفسه في الأمور الصعبة، ومن ذلك من يؤثر زيارة قبره ومواضع آثاره على جميع ما ذكر؛ لما ثبت في قلوبهم من محبته، غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفات. انتهى.

"وإني لأكون في البيت" أي: بيتي "فأذكرك" أي: أتذكرك في ذهني وأتصورك، أو أذكر اسمك وصفاتك، فهو من الذكر بالكسر أو الضم، "فما أصبر" عن رؤيتك للجزع والقلق الزائدين "حتى آتيك فأنظر إليك" فتطمئن نفسي وينشرح صدري، فقوله: "إنك لأحب، أي: أوثر محبتك حبا اختيارا إيثارا لك على ما يقتضي العقل رجحانه من حبك إكراما لك، وإن كان حب نفسي وولدي وغيرهما مركوزا في غريزتي، "وإذا" وفي رواية: "وإني "ذكرت موتي." (١)

"التفسير لحديث عثمان وهو من توضأ نحو وضوئي الخ وعلى هذا فقوله أحسن الوضوء هو أن يتوضأ نحو ذلك الوضوء وقوله في حديث عثمان لا يحدث نفسه فيهما هو أن يقبل عليهما بقلبه ووجهه وقوله في ذلك الحديث غفر له الخ أريد به أنه يجب له الجنة ولا شك أن ليس المراد دخول الجنة مطلقا فإنه يحصل بالإيمان بل المراد دخولا أوليا وهذا يتوقف على مغفرة الصغائر والكبائر جميعا بل مغفرة ما يفعل بعد ذلك أيضا نعم لا بد من اشتراط الموت على **حسن الخاتمة** وقد يجعل هذا الحديث بشارة بذلك أيضا والله تعالى أعلم قوله الوضوء من المذي بفتح الميم وسكون ذال معجمة وتخفيف ياء أو بكسر ذال وتشديد ياء هو الماء الرقيق اللزج يخرج عادة عند الملاعبة والتقبيل قوله مذاء بالتشديد والمد للمبالغة في كثرة المذي لرجل جالس إلى جنبي الظاهر أن المراد أي في مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم فهذا يدل على حضوره مجلس الجواب كما جاء في بعض الروايات وهذا يرد على من استدل بالحديث على جواز الاكتفاء بالظن مع إمكان حصول العلم وفيه أنه ينبغي أن لا يذكر ما يتعلق بالجماع والاستمتاع عند الاصهار

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٢/٤١٥

قوله

[١٥٣] إذا بنى الرجل إلى قوله فسل كان جواب إذا مقدر أي ماذا عليه ما أدري فسل يغسل مذاكيره هو جمع ذكر على غير قياس وقيل جمع لا واحد له وقيل واحده مذكار وإنما جمع مع أنه في الجسد." (١)

"[٥٤٩١] من درك الشقاء الدرك بفتحتين وحكى سكون الثاني اللحاق والشقاء بالفتح والمد الشدة أي من لحاق الشدة وقال السيوطي والمراد بالشقاء **سوء الخاتمة** نعوذ بالله منه وسوء القضاء قال الكرماني هو بمعنى المقضي إذ حكم الله من حيث هو حكمه كله حسن لا سوء فيه قالوا في تعريف القضاء." (٢)

"- (بخر) من رأى في منامه أن به بخرا فإنه يتكلم بكلام يثني به على نفسه ويتكبر ويقع منه في شدة وعذاب وإن كان وجده من غيره فإنه يسمع قولا قبيحا سمجا فإن رأى أنه لم يزل أبخر فإنه يكثر الخنا والفحش والبخر جفاء وقسوة.

- (برسام) من رأى في منامه أنه مبرسم فهو رجل متجرئ على المعاصي وقد نزلت به عقوبة من السلطان وأنذر ليتوب.

- (بثر) من رأى في منامه أنه خرجت به بثرة ثم انمشقت وسال صديد أو قيح صار ذلك ظفرا له وكذلك كل من أكل بدنه شيء آذاه وظفر به وأخذه فإنه في التأويل ظفر وأخذه إفادة مال من غنيمة فإن رأى على جسده بثرا أو قروحا فإنه يصيب مالا بقدر قوتها في المدة وكثرتها لأن تأويل المدة هو ممدود وشبه الغلات وكل ما مضى منها عاد مكانه وكل زيادة في الجسم إذا لم تضر صاحبها فهي زيادة في النعمة والخير.

- (بيع) من رأى في منامه أنه يباع أو ينادى عليه فإنه يكرم وينال عزا وسلطانا إن اشتراه رجل ناله هم وكلما كان ثمنه أكثر كان أكرم.

- (ومن رأى) أنه يباع وكان من العبيد والفقراء والمأسورين ومن يريد أن تتغير حالته فإن ذلك دليل خير وأما في المياسير والمرضى وأصحاب الإمامات فإن ذلك شر والاختلاف بين أن يعرض الإنسان للبيع وبين أن يشترى هو أن العرض للبيع قد يعرض لجميع من أراده وأما وقوع البيع فإنه ربما لم يكن إلا أن يعرض على البيع والبيع يختلف في التأويل بحسب اختلاف المبيع وكلما كان شرا للبائع وكان خيرا للمبتاع وقيل إن البيع زوال ملك والبائع مشتر والمشتري بائع والبيع إيثار على المبيع فإن باع ما يدل على الدنيا أثر الآخرة

---

(١) حاشية السندي على سنن النسائي السندي، محمد بن عبد الهادي ٩٦/١

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي السندي، محمد بن عبد الهادي ٢٦٩/٨

آثر الدنيا عليها وإلا استبدل حالا على قدر المبيع والثمن وبيع الحر دولة وحسن عاقبة لقصة يوسف عليه السلام والبيع في المنام فراغ عما باعه ورغبة فيما اشتراه فإن باع في المنام شيئا حقيرا واشترى شيئا نفيسا وكان في غزو مات شهيدا ولو باع شيئا نفيسا واشترى شيئا حقيرا دل على **سوء الخاتمة** والعياذ بالله تعالى وربما آثر الدنيا على الآخرة أو الأمة على الحرة أو المعصية على الطاعة وربما دل البيع على ذلة الحر إذا بيع في المنام لكن تكون عاقبته حميدة قياسا على قصة يوسف عليه السلام.

- (بغض) من رأى في المنام أنه يبغضه إنسان أو يبغض إنسانا فهو دليل رديء لجميع الناس لأن البغضة هي سبب المعاداة والأعداء لا يتجاوبون ولا يتعاونون والناس يحتاجون إلى معاونة أمثالهم من الملوك والبغض لمن يحبه دال على الحقد والغل في الصدور وربما دلت البغضاء على الأمر بالطاعة والعدول عن المعصية وإن رأى في المنام من يبغضه في اليقظة دل على ضيق الصدور والابتلاء بمن لا تؤثر صحبته.

- (بغي) من رأى في منامه أن رجلا بغى عليه بوجه من الوجوه من جهة مال أو عرض فإن البغي راجع عليه بمثل ما بغى والمبغي عليه منصور والبغي يدل على الدنيا وإقبالها وإن كان أهلا للملك ملك لكن عاقبته مذمومة هذا إذا كان هو الباغي فإن بغى عليه دل على أن الله ينصره.

- (بغاء) في المنام يدل على الداء الذي ينزل بالفحم حتى يحتاج إلى ما يشفيه وينزل على الهمة النازلة قال بعض العارفين بفساد العامة تظهر ولاة الجور وبفساد الخاصة تظهر الدجاجة الفتانون عن الدين.

- (بكاء) هو في المنام للمعهود من سكن أو آدمي يدل على بقاء ما هو عليه وعلى طول العمر وربما دل على الزيادة في التوحيد أن ذكر الله تعالى أو سبح أو هلل لأن ذلك أكثر ما يقال عند رؤية المعالم والآثار وإن لطم وجهه أو بكى بكاء شديدا دل على الأنكاد والهموم ممن دل ذلك الأثر عليه.

- (بلاء) هو في المنام دال على الأفراح والسرور والفرج بعد الشدة.

- (بؤس) من رأى أنه أصاب بؤسا وشدة فإنه يفتقر والبؤس مرض يلحقه والبأس عداوة وتفرقة.

- (برهان) من رأى في منامه أنه برهن على أمر فإنه ينال حجة.

- (ومن رأى) كأنه يأتي ببرهان على شيء فإنه في خصومة مع إنسان والحجة عليه فيها.." (١)

"دلت على المسكن كان مجاورا لأهل الفسق والغفلة وإن دلت على المرض كانت عاقبته الموت مع **سوء الخاتمة** وإن دلت على الخدمة كانت مع ذي سلطان جائر وإن دلت على العلم كان بدعة وإن دلت على العمل كان عملا غير مقبول وإن دلت على الولد كان ولدا من الزنا وربما دل دخول النار على ذي

---

(١) تعطير الأنام في تعبير المنام النابلسي، عبد الغني ص/٤٢

السؤال بعد الغنى وتدل على دار البدعة والفساق وعلى الكنيسة والبيع وبيوت النار والحمام والمدبغة والمسلخ والفرن وما يوقد فيه النار لمصلحة ويدل دخولها على الظفر بالشهوات وإن دخل لظى كان ممن جمع فأوعى وكذلك الحطمة وربما كانت الحطمة لذي الهمز واللمز والجمع وجهنم للكفار والمنافقين وسقر تدل على ترك الصدق والخوض فيما لا يعني والشح وعلى التكذيب بيوم الدين والسعير للشياطين ولمن تخلق بأخلاقهم والهاوية دالة على البخس في الكيل والميزان أو لمن خفت موازينه ولم يثقلها بالعمل الصالح والجحيم لمن طغى وآثر الحياة الدنيا والدرك الأسفل لأرباب النفاق فإن أكل من زقومها أو شرب من غسلينها أو لدغته عقاربها أو نهشته حياتها أو تبدل جلده بجلود أهلها أو سحب على وجهه أو تردى من صعود على رأسه أو ضرب بمقامعها أو نهرته زبانيتها فذلك كله وما أشبه دليل على البدع في الدين ومشاركة الظلمة والتمسك بسنن الكافرين والتخلق بأخلاق المشركين والمستهزئين ومخالفة النبيين وهجران المتقين والردة على الدين والبخل بمال الله عن المستحقين والمعصية لرب العالمين أو إنكار ربوبيته وقدرته وتشبيهه بخلقه سبحانه وتعالى ورؤية مالك خازن النار دالة لمن انتقل في صفته أو أطعمه شيئا حسنا على المحبة لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين والعزة والسلطان وعلى البعد من النفاق والإقلاع من الذنوب والهوى بعد الضلالة وعلى الغيرة في الدين.

– (فإن رأى) الخازن عليه السلام مقبلا عليه دل على سلامته وأمنه من ناره.

– (وإن رآه) معرضا عنه أو متغيرا عليه بوجهه أو هيئته دل على وقوعه فيما يوجب ناره وخزنة جهنم هم الأمناء والحفظة والجنود والأعوان وأصحاب الشرطة والأهل والأقارب لمن دل مالك عليه.

– (ومن رأى) أن مالكا أخذ بناصيته وألقاه في النار فإن رؤياه توجب له ذلا.

– (وإن رأى) أنه دخل النار وخرج منها فإنه يدخل الجنة إن شاء الله تعالى أو يصيب معصية ويتوب منها.

– (وإن رأى) جوارحه تكلمه فإنه دليل على الزجر عن المعاصي والتيقظ لأمر الآخرة.

– (جهاد) هو في المنام دال على المسارعة في قوت العيال وينال ثناء حسنا وذكرا جميلا وقيل الجهاد يدل على الرزق وقد يدل على سلوك طريق الخير والسداد ومناظرة أهل البغي والعناد.

– (ومن رأى) أنه يذهب إلى الجهاد فإنه ينال غنية وفضلا ودرجات في الآخرة.

– (فإن رأى) أنه يجاهد في سبيل الله تعالى ويقاتل الكفار فإنه مجتهد في أمر عياله وجهد القتال جهد الكسب.

– (فإن رأى) أنه يذهب إلى الجهاد بسلاحه فإنه مسلم مجتهد معتصم يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة.

– (فإن رأى) أنه يقاتل الكفار وحده بسيفه يضرب به يمينا وشمالا فإنه ينتصر على أعدائه.

– (فإن رأى) أنه قتل في سبيل الله فإنه ينال فرحا وسرورا ورزقا هنيئا.

– (فإن رأى) أنه في الغزو ووجهه عن القتال مولي فإنه يترك الجهد على العيال ولا يسعى في إصلاح حالهم ويفسد دينه وتتبدد عشيرته في الدنيا وإن كان في الغزو ورأى أنه نصر فإنه يربح في كسبه.

– (فإن رأى) أنه يغير فإنه ينال غنيمة إذا كان في غزو أو جهاد والجهاد لأعداء الدين في المنام دليل على مشاققة أهل الظلم والنفاق والنصرة عليهم والجهاد في البحر دليل على الفقر والفشل والوقوع في المهالك والدخول تحت الدرك بين عدوين البحر والعدو أو طلب الرزق من البحر أو ممن دل البحر عليه وجهاد أهل البغي في المنام يدل على انتصار للدين وللآباء والأمهات أو الغيرة على الزوجة فإن صار الإنسان من حرب أهل البغي خشي عليه الردة عن الإسلام أو مخالفة الوالدين أو خلف من تجب عليه طاعته أو ترك الصلاة.

– (جزية) هي في المنام دالة لمن أعطاها من المسلمين للكفار على الذل وإذا أخذت من الكفار دلت على العز والنصر.

– (جند) هم في المنام جند الله عز وجل وهم ملائكة الرحمة والغاغة ملائكة العذاب.

– (فإن رأى) الإنسان أنه جندي يأكل رزق ملك في ديوانه فإنه يلي ولاية على بلاد بلا جهد.

– (ومن رأى) أنه أثبت اسمه في الديوان فإنه ينال خيرا يرجو به الكفاية أو ينال دون ما يتمنى.

– (ومن رأى) كأنه جندي في العساكر فإنه إن كان مريضا يموت وإلا دل على غم وخسران.

– (ومن رأى) كأنه يكون جنديا أو يخرج إلى العسكر فإن ذلك للمرضى دليل الموت وقد يدل ذلك على خيبة." (١)

"فإنه لا تموت ولا تقدر أن تعيش فإنه يصير أعمى.

– (ومن رأى) أنه خوف بالله ولا يخاف فإن المخوف ينال أمسنا وذكرا والمخيف شنعة وضررا.

– (خداع) من رأى في المنام أن أحدا يخدعه فإن الله يؤيده بنصره والخادع مقهور والمخدوع منصور.

– (خسف) في المنام تهديد من السلطان.

– (ومن رأى) أن الأرض انخسفت به فإنه يصيبه عذاب والخسف في جهة من الأرض مرض شديد يصيب أهل تلك الجهة أو جراد أو برد شديد أو قحط أو خوف.

---

(١) تعطير الأنام في تعبير المنام النابلسي، عبد الغني ص/٦٢

– (ومن رأى) الأرض خسفت به فإن كان من أهل الشر فإنه عقوبة تنزل به أو سفر بعيد ويخاف أن لا يرجع.

– (خراب) في المنام يدل على شتات شمل الأهل وموتهم وخراب المدينة يدل على موت ملكها أو ظلمه وموت الملك يدل على خراب المدينة.

– (ومن رأى) نفسه في خراب فإنه يبتلى بقوم لا طاقة له بهم.

– (ومن رأى) أن مدينة خربت من الزلازل أو غيرها فإنه يحكم على أحد بالقتل أو ينتقص جاه أشراف من الناس.

– (ومن رأى) قرية عامرة خربت ومزارعها تعطلت فإنه ضلالة أو معصية لأربابها وإن رآها عامرة فهو صلاح دين أهلها.

– (ومن رأى) الدنيا خربت من المزارع والمساكن ورأى نفسه في خراب مع حسن هيئة من لباس ومركب فإنه دنيا يصيبها في ضلالة.

– (ومن رأى) حيطان الدار خربت من سيل فهو موت امرأته.

– (ومن رأى) أن بيته سقط عليه وكان هناك غبار فهو حصبة وربما كان سقوط السقف عليه نكبة.

– (ومن رأى) خرابا عاد عمرانا صحيحا فإن ذلك صلاح في دين صاحبه ورجوعه من الضلالة إلى الهدى.

– (ومن رأى) سقوط شيء من داره أو قصره أو بيته إلى داخل وكان له غائب قدم عليه وإن كان عنده شيء يخطب إليه خطب منه ابنته أو أخته أو غيرهما وإن هدمت الريح دار فهو موت في ذلك المكان على يد سلطان جائر.

– (ومن رأى) أنه يهدم دارا أو بنيانا عتيقا فإنه يصيب هم وشر.

– (ومن رأى) أن داره انهدمت عليه أو بعضها فإنه يموت إنسان بها أو يصيب صاحبها مصيبة كبيرة أو حادث شنيع فإن رأت امرأة أن سقف بيتها انهدم فإنه موت زوجها.

– (ومن رأى) موضعا من العمران خرب أو تساقط فإنه مصائب تكون في ذلك الموضع.

– (ومن رأى) أن اسطوانة بيته انكسرت أو انهدمت فإنه يموت هو أو بعض أهله ممن يعز عليه وكذلك كل كسر أو هدم من بيت أو جدار فهي مصيبة وإن رأى سلطان أن داره انهدمت فإن ذلك عزله على كل حال.

– (خباء) في المنام دال على النفاق والتستر بقبيح الأعمال.

– (ختم) في المنام إذا كان مفرغا أو بيد جنى أو يختم به على الأسماع أو الأبصار أو الأفواه أو القلوب فإن ذلك دليل مقت الله عز وجل لمن أصابه شيء على الظلم والغفلة وربما دل على تعطيل نفع من خزم في المنام وإن خزم إبلا أو غيرها دل على الرزق أو القهر للأعداء.

– (خدمة الفقراء والصالحين) في المنام والتواضع لهم والوقوف بين أيديهم ممتثلا لأوامرهم دليل على الحظ الوافر عند الله وحسن الخاتمة وعلى مرافقته الصالحين وربما ساد قدره.

– (خشن) من اللباس أو المأكول أو الكلام في المنام لأصحاب الأموال المترفين يدل على زوال مناصبهم وتغير أحوالهم وتقليل أرزاقهم إلا أن يؤثروا ذلك على طيباتهم فإنه يدل على تواضعهم وقنعهم وسلامة مذهبهم وإن لم يؤثروا ذلك دل على مقت الله تعالى لهم والكلام الخشن نفور بين المتحابين.

– (خمول) رؤية الإنسان نفسه خاملا في المنام دليل على الانثناء عن القصد الحسن إلى ما يوجب الخمول في اليقظة وربما دل ذلك على نفاذ الرزق والأجل.

– (خلع الرجل امرأته من عصمته) في المنام فرقة بموت أو عزل أو سفر قال الله تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ فهي تخلع لباسها من لباسه وربما دل الخلع في المنام على البيع بشرط الرد وربما دل على الردة عن الإسلام.." (١)

"فإن كان مجهولا وكان شيخا فإن صديقه ينم عليه وإن كان شابا فإن عدوه ينم عليه وقيل السرقة محمودة وهي دليل خير إلا لمن يريد أن يخدع.

– (ومن رأى) أنه يتلصص أو يسرق خيف عليه اللصوص وقد تكون السرقة معصية يفعلها السارق.

– (ومن رأى) أنه يسرق فإنه يزني أو يكذب لأن الزاني يختفي كما يختفي السارق.

– (سفه) هو في المنام الجهل فمن رأى أنه سفه فانه يجهل.

– (ومن رأى) أنه سفه على الناس فسد دينه وكذلك إذا رأى أنه أفسد دينه يسفه على الناس والسفه في المنام دليل على النصر على الأعداء وعلو القدر والكلمة إذا كان السفه على ذمي أو مبتدع.

– (سخرية) هي في المنام غبن يغبن به في المعاملة فمن رأى أنه سخر منه غبن.

– (سب) هو في المنام القتل والسب لأهل الذمة ولمن سواهم من الكفار دال على الإملاء بين الناس ورمي الكلام أو أن يسب من تجب عليه طاعته وبره واصل إليه دل على عقوق الوالدين والإعراض عن الله تعالى أو طاعة من سبه في المنام.

---

(١) تعطير الأنام في تعبير المنام النابلسي، عبد الغني ص/١١٠

- (سحر) هو في المنام فتنة وغرور فمن رأى أنه يسحر أو سحر به فإنه يفرق بين الرجل وامرأته بالباطل والسحر في المنام يدل على الكفر والسحر يدل على فراق الزوجة.

- (ومن رأى) أنه مسحور أو يسحر فإن الساحر فتنة وكيد فإن كان الساحر من الجن فإنه أقوى كيدا أشد حيلة.

- (سحر الليل) وهو أواخره من رآه في المنام فيقول كأني استسحرت فربما يسحر أو يسحر وربما يقع في ذنب يوجب الاستغفار لقوله تعالى: ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ .

- (سحور) الصائم في المنام يدل على مكيدة الأعداء وعلى التوبة للعاصي والهداية للكافر والرزق اليسير.

- (سوء) هو في المنام إذا كان مبهما يعلمه الإنسان فإنه دال على **سوء الخاتمة** والارتداد عن الدين وإذ ذكر شيئا من أفعال السوء فإنه دال على الشر منه لمن آسى عليه.

- (سهو) في المنام دال على الهموم والأنكاد ووضع الشيء في غير محله.

- (سف ، الرمل والتراب في المنام يدل على الفاقة والأسف والطمع المردي والبرطيل لأرباب الأمور.

- (سلخ) من رأى في المنام أن جلده سلخ رقيقا بين فخذيه فإنه يصيب خيرا أو يتزوج امرأة تعطيه مالها وذلك إلى قريب.

- (وقيل من رأى) أن جلده يسلخ أو ينسلخ منه فإنه يفارق ماله ويخرج عنه وإن كان مريضا فهو موته وانسلاخه من الدنيا.

- (سعوط) هو في المنام يدل على الإجابة إلى الولد أو الأم أو رئيس الإنسان أو يصاب في عقله.

- (ومن رأى) أنه يسعط فإنه يبلغ الغضب منه ما تضيق فيه الحيلة بقدر ما سعط به دواء أو غيره.

- (سعال) هو في المنام يدل على الشكوى فمن رأى أنه يسعل فإنه يشكو من إنسان متصل بالسلطان فإن سعل حتى شرق فإنه يموت وقيل إن السعال يدل على أنه يهم بشكاية إنسان ولا يشكوه.

- (سلعة) من رأى في منامه في جسده سلعة أصاب مالا.

- (سم) هو في المنام مال فمن رأى أنه سقي السم فانتفخ وتورم وصارت فيه المدة والقيح فإنه يصيب مالا بقدر الورم والانتفاخ وإن لم ير القيح نال كربا وغما والسموم القاتلة في الرؤيا دليل الموت والسم هم لمن شربه إذا لم يقيح مكانه ولا ورم.

- (ومن رأى) من العبيد كأنه شرب سما فإنه يعتق أو يتزوج.

- (ومن رأى) أنه يسقي غيره سما فإنه يزني بامرأة لأن السم لا يسقى إلا خفية وكذلك الزنا لا يفعل إلا

خفية.

- (ومن رأى) أنه يشرب السم فإن حياته تطول.

- (سقوط) الأسنان من الإنسان في المنام طول العمر دون نظرائه في السن فإن رأى أن جميع أسنانه سقط وأخذها في كمه أو في حجرة فإنه يعيش عيشا طويلا حتى تسقط أسنانه ويكثر عدد أهل بيته وإن رأى جميع أسنانه سقطت." (١)

"رأى) وجهه أسود ولا حامل له فإنه عاص وصفرة الوجه تدل على ذلة وحسد وقد تكون صفرته نفاقا لأن الصفرة مرض والمرض نفاق وقيل صفرته تدل على العبادة لقوله تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ . وهي الصفرة في وجوههم.

- (ومن رأى) من الحبشة أو الزنج أن وجهه أبيض دل على نفاقه وقلة حيائه.

- (ومن رأى) وجهه أسود وجسده أبيض فسريرته خير من علانيته وإن كان وجهه أبيض وجسده أسود فعلانيته خير من سريرته.

- (ومن رأى) أنه نبت على وجهه شعر حيث لا ينبت في اليقظة فهو دين غالب عليه وذهاب جاهه.

- (ومن رأى) وجهه تغير عن حاله ونقص عن حسنه وجماله فإنه يدل على نقص ويكون ممن يكثر المزاح لأن المزاح ينقص ماء الوجه وإن رأى لحم خديه ذهب فإنه يسأل الناس ولا يعيش إلا بالمسألة وفي الحديث: (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وما في وجهه مزعة لحم) . وإن رأى في وجهه ظلمة أو غبرة أو اعوجاجا جادل على فساد دينه أو نقص جاهه وإن رأى وجهه أزرق أو بعينيه زرقة فإنه مجرم لقوله تعالى: ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقا﴾ . وإن رأى وجهه أسود فإنه يدل على كثرة كذبه أو على بدعة أحدثها في دينه وإن كان وجهه أحمر فإن كان مع الحمرة بياض فإنه دليل فرج وعز وعيش طيب وإن كان صالحا أصابه أمر يستحي منه وإن كان وجهه كبيرا دل على وجاهته وإن رأى وجهه رشح عرقا فإنه يدل على حيائه وحشمته وربما دلت صفرة الوجه على العشق والمحبة.

- (ومن رأى) وجهه أحمر عبوسا فإنها نازلة تنزل به أو غمة تلحقه وإن عبس في وجهه أحد رأى منه ما يكره وإن رأت امرأة أنها سودت وجهها بسخام فهو موت زوجها وإن رأت أنها تتعطر ببياض وكحل ونحوهما فإنه صلاح لها ولزوجها وطلاقة الوجه وتبسمه وبياضه دليل على حسن حال صاحبه حيا كان أو ميتا وحسن وجه المرأة أو الطفل أو الفرس دليل على بركته وبالعكس.

---

(١) تعطير الأنام في تعبير المنام النابلسي، عبد الغني ص/١٧٩

- (ومن رأى) أن له وجهين في المنام دليل على **سوء الخاتمة** لقوله عليه الصلاة والسلام: (ولا ينظر الله إلى ذي الوجهين) .

- (ومن رأى) أن له وجوها دل على ارتداده عن الإسلام لقوله تعالى: ﴿والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ . وإن كان عالما تصرف في وجوه العلم وتقطيب الوجه وبكاؤه وتشويهه وسواده دليل على زوال المنصب والكذب وربما دل سواد الوجه على الخوف وإن رأى على عارضيه شعرا حسنا فإنه رجل سليم الصدر فإن لم يكن عليها شعر فإنه رجل خبيث وتشقق الوجه قلة حيائه.

- (ومن رأى) أن وجهه طري صبيح فإنه صاحب حياء والسماجة في الوجه عيب والعيب سماجة.

- (وجنة) هي في المنام علامة الخير والخصب والعيشة والفرج والضر والهم والصحة والسقم والحدث فيها من زيادة ونقصان فهو فيما ذكرته والخدان عمل الرجل واحمرار الوجنة وسمنها دليل على الوجاهة والبرء من الأسقام والحظ والقبول والبشرة وصفرتها وسوادها دليل على الخوف والأحزان وانحطاط القدر.

- (ودج) (من رأى) في المنام أن ودجه انفجر دما فإنه يموت وربما دلت الأوداج على العهد أو الرباطات في العمل الشديد والأوداج مداجاة.

- (وتين) هو في المنام مهجة الرجل لأنه عرق بين الصلب والقلب والعنق والفرج والحرقة والأحزان منه.

- (وريد) الوريد في المنام تدل على موت الإنسان وحياته وربما دل على كل من الرائي فيه نفع ومساعدة كالشريكين أو الأخوين أو الأبوين أو الزوجة ووليها الذي يحفظ عصمتها أو مالها الذي تقيم به أودها.

- (ورد) هو في المنام رجل فيه شرف أو ولد أو قدوم غائب أو امرأة.

- (ومن رأى) أنه جنى وردا نال كرامة ومحبة ونعمة ومن التقط من بستان وردا أبيض فإنه يقبل امرأة ورعة وإن التقط وردا أحمر فإنه يقبل امرأة ذات لهو وطرب ومن شم وردة صفراء فإنه يقبل امرأة مريضة مسقامة والورد الكثير قبلات متواترة والورد الذي لم يفتق يفسر بولد يسقط لمن له حامل وقيل الورد يدل على امرأة تفارق أو تموت أو تجارة تزول أو فرح لا يدوم أو عهد لا يبقى.

- (ومن رأى) شابا ناوله وردا فإنه يعاهده عهدا لا يدوم عليه.

- (ومن رأى) على رأسه إكليلا من الورد فإنه إن كان أعزب يتزوج وكذا إذا رأته المرأة والورد المبسوط زهرة الدنيا ولا يكون لها دوام ويدل الورد على طيب الذكر ودهن الورد يدل على الذكاء وصفاء الذهن والتقرب

إلى الناس ولين الجانب والورد يدل على الفرح والسرور وإن رأى المريض الورد مفروشا تحته أو لبسه أو لبس منه ثوبا فإنه يموت بعد أربعين يوما لأنها مدة إقامة الورد وقيل إن الورد قدوم مسافر أو ورود." (١)

"خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان

كان يختم القرآن في ثلاث وكان يختم في رمضان سبع عشرة ختمة. قال إبراهيم بن علية: كان يعطيني أكياس الدنانير أقسمها في الصالحين، وكان يقول: لولا أن الله عز وجل ذكر اللواط في كتابه العزيز، ما ظننت أن أحدا يفعله.

قال الحافظ ابن عساكر: كان الوليد عند أهل الشام من أفضل خلفائهم، بني المسجد بدمشق وفرض للمجذومين ما يكفيهم وقال: لا تسألوا الناس، وأعطى كل مقعد خادما وكل أعمى قائدا.

وذكر أن جملة ما أنفق على المسجد الأموي أربعمائة صندوق، في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار. وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل، وما كمل بناءه إلا أخوه سليمان لما ولي الخلافة وفعل خيرات كثيرة وآثارا حسنة، وبعد هذا كله فقد روي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: لما أدرج في أكفانه وغلت يداه إلى عنقه، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ونسأله **حسن الخاتمة**." (٢)

"وقد جمعها ولده الفقير محمد سعيد بن الشيخ محمد المؤلف، ورقة ورقة، وعجزت عن ترتيبها، لأن جمعها كان سنة سبع وثمانين، وقد جمعتها وإن كانت غير مرتبة، لأنها لا تخلو عن الفائدة، لأن فيها تراجم بعض الصالحين والعلماء والأولياء والسلاطين.

ونسئله **حسن الخاتمة** وأن تكون سيرتنا بعد وفاتنا حسنة عند الله وعند العباد، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا به، نعم الولي ونعم النصير.

حرر في نهار الخميس، يوم عشرين ربيع الأول سنة سبع وثمانين وماية وألف." (٣)

"قال شيخنا في كتابه تحفة الأبرار: اعلم أن من هيأ شيئا رجاء حصوله سمى راجيا فكذلك من أطاع الله رجاء القبول أو تاب ورجا الغفران. وأما من داوم على التفريط ورجا عنه فإنه مغرور لا راج قال عليه السلام: " الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ". وأما الخوف فإنه توقع جناية، وينبغي لكل ذي حظية أن يكون خائفا من العقوبة وقد يقع من

---

(١) تعطير الأنام في تعبير المنام النابلسي، عبد الغني ص/٣٧٠

(٢) نوادر الخلفاء = إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس الإتليدي ص/٥٩

(٣) يوميات شامية ابن كنان ص/١٤٢

السابقة ومن الخاتمة والمؤمن لابد له من الخوف. قال الدرامي: كل قلب ليس فيه مخافة فهو خراب وقد يقود الخوف إلى القلق والبكاء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل وقال عليه السلام: " لما أسرى بي رأيت جبريل عليه السلام كالحلس البالي ملقى من خشية الله تعالى ". وقد كان أبو بدر الصديق رضى الله عنه يقول: " ليتني شجرة تعضد لم تؤكل ". ولقد مر عمر رضى الله عنه بتبنه فقال: ليتني كنت هذه التبنة. وقال على يوم الجمل: " وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ". وقال أبو عبيدة: " لوددت أي كنت كبشا فذبحني أهلي وأكلوا لحمي وحسوا مرقي ". وقال ابن مسعود: " لو وقفت بين الجنة والنار فخيرت بينهما أو أكون ترابا، لأخترت أن أكون ترابا ". وقال عمران بن حصين: " ليتني كنت رمادا فتذروه الرياح ". وقالت عائشة رضى الله عنها: " ليتني كنت نسيا منسيا ". وخوف السلف وبكاؤهم مشهور. وقال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما، وقال العارفون: يجب على العبد أن يكون في صحة بدنه خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال مرضه يكون رجاؤه، وفي حال وقوعه في المعصية يكون خائفا فإنه أعون على دفع المعصية. واعلم يا أخي أن القلب إذا خلا من الخوف خرب، والخوف سوق يسوق ويعوق: يسوق إلى الطاعة، ويعوق عن المعصية. قال سيدي عبد العزيز الديريني: الخوف على معان: خوف النار، وخوف البوار، وخوف السابقة، وخوف الخاتمة. نسأل الله تعالى **حسن الخاتمة**.

فصل

في بيان المعاصي

قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله: اعلم أن المعاصي على قسمين: ترك فريضة وفعل محرم.." (١)

"سمعت عليه التلويح «١» . وبهذا نختم لما قرأناه ليكون الختام مسكا مع الترجيح.

وقد قدمنا أن تاريخ الولادة (غدق) ، والتاريخ في هذا الوقت سبع وخمسون ومئة وألف، فقد بلغت الآن من العمر ثلاثة وخمسين عاما، وعلى الله إتمام باقي العمر بالخير.

نسأل **حسن الخاتمة** والعفو والعافية في الدين والآخرة، آمين. وقد بلغت مؤلفاتي الآن عشرة مؤلفات، وإن من الله علي بطول العمر خدمت صحيح البخاري بتعليق شرح عليه، وأكملت محاكمتي بين الدماميني والشمني «٢» الواقعين على مغني اللبيب «٣» .." (٢)

---

(١) سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان المشتولي ص/٥١

(٢) النفحة المسكية فى الرحلة المكية السويدي ص/٨٧

"الحمق (صح) ".

(إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله) قيل: وما استعماله؟ قال: يفتح له عملا صالحا بين يدي موته) استعارة جعل للموت يدا ثم أثبت لها البينية التي لليد الحقيقية والمراد عمل يتصل بموته فيموت عليه وهذا من **حسن الخاتمة** أيضا والتوفيق (حتى يرضى عنه من حوله) من أهله وجيرانه ومعارفه وغيرهم فيثنون عليه خيرا فيتقبل الله شهادتهم وتزكيتهم وهذا قرينة لتفسير عسله بطيب الثناء (حم ك (١) عن ابن عمرو بن الحمق) بفتح الحاء المهملة وكسر الميم آخره قاف هو الخزاعي صحابي هاجر بعد الحديبية وشهد مع علي عليه السلام حروبه الجمل وصفين والنهروان وقتله عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وبعث برأسه إلى معاوية وهو أول رأس بعث به في الإسلام، والحديث رمز المصنف لصحته وصححه الحاكم وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح.

٣٨٠ - " إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله، قيل: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت، ثم يقبضه عليه (حم ت حب ك) عن أنس (صح) ".

(إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قيل كيف يستعمله؟) سؤال عن الكيفية وفي الأول عن معنى الاستعمال والمآل واحد وكأنها كانت تختلف المواقف أو أن الرواة تصرفوا في الألفاظ فعبر كل واحد بلفظ يقارب معنى اللفظ الآخر (قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه) وقد لزم ما ذكره في الحديث الأول من أنه يرضي عنه من حوله (حم ت حب ك عن أنس (٢)) رمز المصنف

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٢٤)، والبزار (٢١٥٥ -كشف)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٠) وابن حبان (٣٤٢) وقال الهيثمي (٧/ ٢١٤) ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح، وصححه الألباني في الجامع (٣٠٤) والسلسلة الصحيحة (١١٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٠٦) والترمذي (٢١٤٢) وقال: حسن صحيح، وابن حبان (٣٤١) والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٠) وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه=." (١)

"الماء من فوق الأرض أي الماء الذي تحت الأرض فقال له قائل: فلم لا يرى الفخ حين ينصب له فقال: إذا نزل القدر عمي البصر.

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٥٢٣/١

حكى الصولي قال: اجتمع عند يحيى بن خالد (١) في آخر دولتهم البرامكة وهم يومئذ عشرة فأداروا بينهم الرأي في أمر فلم يصح لهم فيه رأي فقال يحيى: إنا لله ذهبت والله دولتنا كنا في إقبال دولتنا يبرم الواحد منا عشرة أراء مشكلة في وقت واحد واليوم نحن عشرة في غير مشكل ولم يصح لنا فيه رأي نسأل الله **حسن الخاتمة** (فإذا مضى أمره رد إليهم عقولهم ووقعت الندامة) حيث لا تنفع ولا تزيدهم إلا حسرة (فر عن أنس وعلي (٢)) رمز المصنف لضعفه وفيه سعيد بن سماك كذاب متروك وفي الميزان خبر منكر وذكر المؤلف في الدرر أنه أخرجه الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف.

٤٠٦ - " إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء (م) عن أبي سعيد (صح) ".

(إذا أراد الله خلق شيء) قاله - صلى الله عليه وسلم - لمن سأل عن العزل من النساء فقال: إذا أراد الله خلق شيء أي أي نسمة يريد خلقها (لم يمنعه شيء) إخبار عن نفوذ مراده وأنه لا مانع له عما يريد ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (٨٢)﴾ [يس: ٨٢]. وفيه أن من حملت ومن هي تحته يعزل عنها فإنه يلحقه من حملت به (م عن أبي سعيد) (٣).

---

(١) يحيى بن خالد البرمكي توفي في سجن الرشيد وله سبعون سنة سنة ١٩٠، انظر: العبر في خبر من مخبر (١/ ٣٠٦)، والمنتظم (٩/ ١٨٨).

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس (٩٦٦) عن ابن عمر. وكذلك القضاعي في مسند الشهاب (١٤٠٨) وأورده الذهبي في الميزان (٦/ ٣٢٥) في ترجمة محمد بن محمد بن سعيد المؤدب وقال: وأتى بخبر منكر، وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٣٤٢)، والخطيب (٤/ ٩٩)، وضعفه الألباني كما في السلسلة (٢٢١٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٢٢) وفي السلسلة الضعيفة (٢٢١٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٣٨).." [1]

"١٩٦٦ - "إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يختم عمله بعمل أهل الجنة" (م) عن أبي هريرة (صح).

(إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار).

إن قلت: الأعمال الصالحة سبب للخاتمة الصالحة كما دل له ﴿فأما من أعطى واتقى (٥) وصدق بالحسنى

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٥٤٢/١

(٦) فسنيسره لليسرى﴾ [الليل: ٥ – ٧] الآية، في الأمرين وقوله: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ [الأنعام: ١١٠].

قلت: ليس المراد يعمل بعمل أهل الجنة أو بعمل أهل النار في نفس الأمر وحقيقته ولكن فيما يظهر للناس كما صرح بهذا القيد الحديث الأول إلا أنه يبعد هذا ما عند الشيخين في معناه من حديث ابن مسعود: "وأنه يكتب رزق العبد وأجله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها". ومثله ذكر في العامل بعمل أهلها ثم يختم له بعمل أهل الجنة فإنه يشعر بأنه عمل بالنظر إلى الحقيقة لا أنه باعتبار ما يراه الراءون إلا أن يقال لو كان صالحا مقبولا ما تخلف عن سبب **حسن الخاتمة** أو طالحا غير مقبول لما تخلف عن قبحها فما ذاك إلا أنه عمل مدخر له غير صالح وسبق الكتاب **بحسن الخاتمة** أو قبحها متفرع عما علمه الله من اختياره للحسن والقبيح وسبق الكتاب قد دل أنه لا يخلص أعماله عن شائبة عدم القبول فلا تكون سبب لإحسان خاتمته والعكس في السيئات فإن سبق الكتاب" قد دل على إنه وإن ارتكب القبائح ففيه من الخير جزء يجذبه إلى خاتمة الخير باختياره وحاصله منع أن من ختم له بشر خلص له عمل صالح ومن ختم له بخير يخلي." (١)

"عن أسباب الخير وقد أرشد إليه الحديث فإنه أفاد أن كلا من العاملين قد قرب إلى أحد الدارين ولن يستحق أن يكون من أهلها وما ذاك إلا لعائق عاقه هو عدم خلوص طاعته في الأول وعدم خلوه من الخير في الآخر فالأعمال قد قربت كل واحد من أحد الدارين ولما نجح ثم غلب الجزء الخيري لفاعل المقبحات فختم له بخير وبعده عن النار وغلب الجزء الشري لفاعل الطاعات فختم له بشر وبعده عن الجنة ولا يهلك على الله إلا هالك قال ابن القيم (١): واعلم أن **سوء الخاتمة** أعاذنا الله منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به ولله الحمد وإنما تكون بفساد في العقيدة أو إصرار على الكبائر وإقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة فيأخذه قبل صلاح الطوية ويفطم قبل الإنابة فيظفر به الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله، يقال: كان بمصر رجل يلزم مسجدا للآذان والصلاة وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة فرقى يوما المنارة على عادته للآذان وكان تحت المنارة دارا لنصراني، فرأى ابنة النصراني فافتتن بها وترك الأذان ونزل إليها، ودخل الدار عليها، فقالت: ما شأنك وما تريد؟ قال: أريدك، قالت: لماذا؟ قال: قد سلبت لبي

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣/٤٤٤

وأخذت بمجامع قلبي، قالت: لا أجيبك إلى ريبة، قال: أتزوجك، قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك، قال: أتنصر، قالت: إن فعلت أفعل، فتنصر الرجل ليتزوجها وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء الليل رقا إلى سطح وكان في الدار فسقط منه فمات ولم يظفر بها وفاته دينه. ذكر هذه القصة ابن القيم في كتابه الجواب الشافي (٢). (وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يختم عمله بعمل أهل الجنة) قد

---

(١) الجواب الكافي (ص: ١١٨).

(٢) المصدر السابق (ص: ١١٨).." [(١)]

"آسية عن خديجة وفاطمة مع أنها أقدم منهما زمانا. (حم ت حب ك) (١) عن أنس) قال الحاكم: على شرطهما وأقره الذهبي.

٣٦٩٩ - "حسبي الله ونعم الوكيل" أمان لكل خائف". (فر) عن شداد بن أوس.

(حسبى الله ونعم الوكيل) أي التكلم بهذه الكلمات مع إخلاص القلب. (أمان لكل خائف) وتقدم في أول الكتاب أنه قالها الخليل عليه السلام عند الإلقاء في نار الكفار وتقدم الكلام على معناها وعلى العطف في نعم على حسبي فراجعه. (فر) (٢) عن شداد بن أوس) وفيه بقية بن الوليد وحاله معروف ومكحول قال الذهبي: حكى ابن سعد أنه ضعف ووثقه غيره.

٣٧٠٠ - "حسب رجائي من خالقي، وحسبي ديني من دنياي". (حل) عن إبراهيم بن أدهم عن أبي ثابت مرسلا (ح).

(حسب رجائى من خالقي) أي يكفيني ما أرجوه من إفضاله برفعي عالي الدرجات والرجاء ارتياح القلب وانتظار المحبوب المتوقع وهذا أنسب بمنصب المعصوم وأما غيره فإنه يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما لا يدخل تحت اختياره وهو فضل الله سبحانه وتعالى بصرف القواطع فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه بالطاعات وطهر قلبه عن دنس الأخلاق الردئة وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك إلى الموت **وحسن الخاتمة** كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا داعيا

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣/٤٤٥

إلى القيام بمقتضى الإيمان وإن قطع من بذر الإيمان تعهده بالطاعات وترك القلب

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥)، والترمذي (٣٨٧٨)، وابن حبان (١٥/ ٤٦٤) رقم (٧٠٠٣)، والحاكم (٣/ ١٧١، ١٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٤٣).

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس (٢٦٨٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٧١٣).." [1]

"الصدق دائر معه لا يتخلف عنه بتخلف الأحوال لما عرف من شدته وصلابته في الدين وعزيمته وهي لازمة للصدق (ابن النجار (١) عن الفضل) المراد به ابن العباس ورمز المصنف لضعفه.

٥١٢٥ - "الصدقة تسد سبعين بابا من السوء. (طب) عن رافع بن خديج" (ض).

(الصدقة) الواجبة والنافلة. (تسد) أي تدفع. (سبعين بابا من السوء) قيل: إنه في نسخ صحيحة وأصول مقروءة بالمعجمة والراء والموجود فيما رأيناه بالمهملة والواو والمهملة مفتوحة مع الإضافة إليه كما في المصباح، وذكر السبعين تكثير ومحتمل الحقيقة. (طب (٢) عن رافع بن خديج) رمز المصنف لضعفه، قال الهيثمي: فيه حماد بن شعيب ضعيف.

٥١٢٦ - "الصدقة تمنع ميتة السوء. القضاعي عن أبي هريرة (صح) ".

(الصدقة تدفع ميتة السوء) بكسر الميم، قيل: المراد بها ما لا تحمد عاقبته ولا تؤمن غائلته من الحالات كالفقر المدقع والوصب الموجب للإثم والقلق والعلل المفضية إلى كفران النعمة ونسيان الذكر والأحوال الشاغلة عما له وعليه، قال الطيبي: الأولى حملها على **سوء الخاتمة** ووخامة العاقبة من العذاب في الآخرة، وقيل: ميتة السوء قد تكون في صعوبة سبب الموت كهدم وذات الجنب ونحو ذلك وقد تكون بسوء حاله في الدين ككونه على بدعة أو شك أو إصرار على كبيرة.

قلت: ونعم القول هذا فالصدقة الخالصة تدفع الكل. (القضاعي (٣) عن أبي

---

(١) أخرجه البزار (٢١٥٤)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٤٢): موضوع.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ٢٧٤) (٤٤٠٢)، وانظر قول الهيثمي في المجمع ٣/ ١٠٩، وضعفه

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٥/٣٥١

الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٤٣)، والضعيفة (٣٧٩٧).

(٣) أخرجه القضاعي (٩٨)، انظر التلخيص الحبير (٣/ ١١٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٤٦)، والضعيفة (٦٦٥).." [١]

"ربي الرفيع"، لكن روى عنه أن أول ما تكلم به لما ولدته أمه حين خروجه من بطنها: "الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا".

آخر الشمائل من حرف الكاف والحمد لله عدة أحاديث هذه الأحرف

سبعمائة حديث وخمسة وعشرون حديثا، وإلى هنا فرغ رقم الجزء

الثالث من التنوير شرح الجامع الصغير وكان الفراغ من رقمه

صباح يوم الاثنين لعله خامس وعشرين من شهر جمادي

الآخرة سنة سبعة وخمسين ومائة وألف سنة من الهجرة

النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد

لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي

العظيم، وذلك بعناية سيدي الوالد العلامة

عز الدين محمد بن إسماعيل الأمير

حفظه الله وحماه وبلغه من الدارين

ما يهواه وصلى الله على محمد

وآله وسلم.

وكاتبه مستمد ممن اطلع عليه الدعاء له

سيما بالمغفرة ولوالديه وللمؤمنين،

نسأل الله التوفيق **وحسن الخاتمة** (١).

---

(١) وفي آخره القراءة الآتية: فرغ عن قراءة هذا الربع يوم الربوع: (٢٠/ ربيع آخر/ ١٢٩٧)، على يد الفقير:

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٦٢/٧

سالم بن محمد بن عبد الرحمن بن شيخ الحسيني. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.." (١)

"(ولبكيتم كثيرا) حزنا من الثاني، وإنما كان كثيرا لأن كل عبد يعلم من نفسه أنه مذنب فيخاف من عذابها ومن هنا يعرف الجواب عن السؤال بأنه إن كان المخاطب الكفار فليس لهم ما يوجب الضحك أو المؤمنين فليس عليهم ما يوجب البكاء، إذ مآلهم إلى الجنة، فيقال: بل الخطاب للمؤمنين والبكاء لخشية **سوء الخاتمة** وترجيح جانب المخافة. (حم ق ت ن هـ (١) عن أنس) قال: خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطبة ما سمع مثلها قط، ثم ذكره وجاء في روايات أن تلك كانت خطبة الكسوف.

٧٤١٩ - "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب. (ك) عن أبي ذر (صح) ".

(لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب) تمامه عند الحاكم: "ولما نمتم على الفراش ولهجرتم النساء ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون ولوددت أن الله خلقني شجرة تعضد" انتهى. وفيه ما تراه من التخويف وأنه الأرجح عند الخطب وإلقاء الكلام إلى جملة الناس وأن المعصوم يخاف ويود أنه غير مكلف وأنه لا بأس في مثل هذا. (ك (٢) عن [٤/ ٤٤] أبي ذر" رمز المصنف لصحته، وقال الحاكم: على شرطهما وتعقبه الذهبي بأنه منقطع وفيه رافضي.

٧٤٢٠ - "لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى لا تدرون تنجون أو لا تنجون. (طب ك هب) عن أبي الدرداء (صح) ".

(لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولخرجتم إلى الصعدات)

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٢)، والبخاري (٥٤٠)، ومسلم (٢٣٥٩)، والترمذي (٢٣١٣)، والنسائي (٣/ ٨٣)، وابن ماجة (٤١٩١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٢٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٨١٦).." (٢)

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٦٤٠/٨

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ١٤٥/٩

"قلت: (بغيا) : مفعول له، علة للاختلاف.

يقول الحق جل جلاله: وما اختلف اليهود والنصارى في حقيقة الإسلام والتدين به، إلا من بعد ما جاءهم العلم أي: من بعد ما تمكنوا من العلم بصحته، وأن الدين عند الله هو الإسلام، فجحدوه ظلما وحسدا.

أو ما اختلف أرباب الكتب المتقدمة في دين الإسلام فأثبته قوم، وقال قوم: إنه مخصوص بالعرب، ونفاه آخرون مطلقا، إلا من بعد ما ثبت لهم العلم بصحته وعموم الدعوة له. أو في التوحيد فثلث النصارى، وقالت اليهود:

عزيز ابن الله، بعد ما صح لهم العلم بالتوحيد فغيروا. وقال الربيع: أن موسى عليه السلام لما حضره الموت، دعا سبعين حبرا من قومه، فاستودعهم التوراة، فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت بينهم الفرقة، وهم:

الذين أوتوا الكتاب من أبناء السبعين، فأراقوا الدماء ووقع بينهم الشر والاختلاف.

وذلك من بعد ما جاءهم العلم، يعني بيان ما في التوراة، (بغيا بينهم) أي: طلبا للملك والرئاسة والتحاسد، فسلط عليهم الجبابرة، ومن يكفر بآيات الله المنزلة على رسوله، أو الدالة على وحدانيته، فإن الله سريع الحساب لا يشغله شأن عن شأن، وفيه تهديد لأهل الاختلاف.

الإشارة: الاختلاف على الصوفية، والإنكار عليهم، إن كان بغيا وحسدا وخوفا على زوال رئاسة المنكر، فهذا معرض لمقت الله، فقد آذن بحرب الله، وباله **سوء الخاتمة**، والعياذ بالله، وفي ذلك يقول القائل:

هممهم تقضى بحكم الوقت ... منكرهم معرض للمقت

وإن كان غيره على الشريعة، وسدا لباب الذريعة، فهذا معذور أو مأجور إن صح قصده، وهو منخرط في سلك الضعفاء، قال تعالى: ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله، ولا ينكر على الفقير إلا المحرم المجمع على تحريمه، وليس فيه تأويل، كالزنى بالمعينة، واللواط، وشبهه، والمؤمن يلتمس المعاذر، والمنافق يلتمس العيوب، وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

ثم بين الحق تعالى الدواء فى أذى المنكر، وهو الإعراض عنه، فقال:

[سورة آل عمران (٣) : آية ٢٠]

فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد (٢٠)

قلت: (ومن اتبعن) ، عطف على فاعل (أسلمت) الضمير «١» .

---

(١) أي: التاء في أسلمت.." (١)

"ذلك الذل والمسكنة والبواء بالغضب بسبب أنهم كانوا يكفرون بآيات الله المنزلة على رسوله، أو الدالة على توحيده، ويقتلون الأنبياء بغير حق بل ظلما وعدوانا، ذلك الكفر بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله، فإن الإصرار على الصغائر يفضي إلى الكبائر، والإصرار على الكبائر يؤدي إلى الكفر لأن المعاصي بريد الكفر، والعياذ بالله.

الإشارة: ولو آمن أهل العلم الظاهر بطريق الخصوص، وحطوا رؤوسهم لأهل الخصوصية لكان خيرا لهم، لتتسع عليهم دائرة العلوم، وتفتح لهم مخازن الفهوم، منهم من يقر بوجود الخصوصية، ويعجز عن حمل شروطها، وأكثرهم ينكرونها ويحتجون لأنفسهم بقول من قال: انقطعت التربية في القرن الثامن، فيموتون مصرين على الإنكار والعصيان، فلن يضركم إنكارهم أيها الفقراء، فإنهم لا قدرة لهم عليكم، للرعاية التي أحاطت بكم، إلا أذى بلسانهم، وعلى تقدير لحوق ضررهم في الظاهر، فإن الله يغيب ألم ذلك عنكم في الباطن، كما شاهدناه من بعض الفقراء، وإن يهددوكم بالقتل والجلاء، فإن الله لا ينصرهم في الغالب.

قلت: وقد هددونا بالضرب والرفع إلى السلطان والجلاء إلى بر النصارى، فلم يقدروا على شيء من ذلك، وقد وقع ذلك لبعض الصوفية زيادة في شرفهم وعزهم، فالمنكر على الصوفية «١» لا يزال في هم وغم وذل ومسكنة، لخراب باطنه من نور اليقين. فإن الانتقاد على الأولياء جناية واعتقادهم عناية، فإن استمر على أذاهم كان عاقبته **سوء الخاتمة**، فيبوء بغضب من الله بسبب اعتدائه على أولياء الله، «ومن آذى لي وليا فقد أذن بالحرب» ، رزقنا الله الأدب معهم، وأماتنا على محبتهم، آمين.

ولما كان من اليهود من أسلم وحسن إسلامه استثناه الله تعالى، فقال:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١١٣ الى ١١٥]

ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون (١١٣) يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين (١١٤) وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين (١١٥)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٣٥/١

قلت: (قائمة) أي: مستقيمة، من أقمت العود فقام، أو قائمة بأمر الله. و (آناء الليل) : ظرف، واحده: (إني) ، بكسر الهمزة وسكون النون، كنحى وأنحاء، أو (إني) ، كمعى وأمعاء، و (لن تكفروه) أي: لن تحرموه، وعدي (كفر) إلى مفعولين لتضمنه معنى حرم أو منع.

---

(١) أي: الصوفية الملتزمة، لا صوفية المزمار.." (١)

"وقيل: على المؤمنين لقوله: لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا. يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول أي: الذين جمعوا بين الكفر والعصيان يتمنون أن تسوى بهم الأرض فيكونون ترابا لما يرون من هول المطلع، فإذا شهدت عليهم الرسل بالكفر قالوا: والله ربنا ما كنا مشركين، فينطق ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بشركهم فيفتضحون ولا يكتمون الله حديثا واحدا، لأنهم كلما هموا بالكتمان شهدت عليهم جوارحهم بالكفر والعصيان.

وقيل: إن القيامة مواطن، في موطن لا يتكلمون ولا تسمع إلا همسا، وفي موطن يتكلمون ويقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، إلى غير ذلك من اختلاف أحوالهم. والله تعالى أعلم.

الإشارة: لا بد أن يحصل الندم لمن فاته صحبة أهل الخصوصية، حتى مات محجوبا عن مشاهدة أسرار الربوبية، لا سيما إذا انضم إليهم كفرهم بخصوصيتهم والإنكار عليهم، وذلك حين يكشف له عن مقامهم البهي وحالهم السني، مصاحبين للمقربين في جوار الأنبياء والمرسلين، وهو في مقام أهل اليمين، ثم يعاتب على ما أسر عليه من الكبائر، وهي معاصي القلوب والضمائر، وهذا إذا مات على الإسلام، وإلا فالإنكار على الأولياء شؤمه **سوء الخاتمة**. والعياذ بالله من ذلك. وقد تقدم أن العارفين بالله يشهدون على العلماء، والعلماء يشهدون على العموم، ونبينا- عليه الصلاة والسلام- يزكي من يحتاج إلى التزكية. والله تعالى أعلم.

ثم تكلم على عماد الدين وهى الصلاة، فقال:

[سورة النساء (٤) : آية ٤٣]

يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٩٦/١

صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا (٤٣)

قلت: جملة (وأنتم سكارى) : حال، وسكارى: جمع سكران، ويجمع على سكارى بالفتح، وسكرى بالسكون، و (لا جنبا) عطف على جملة الحال، و (جنب) يستوي فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث، لأنه يجري مجرى المصدر، فلا يثنى ولا يجمع. و (إلا عابري) مستثنى من عام الأحوال، وأصل الغائط: الموضع المنخفض من الأرض، ثم أطلق على الواقع فيه مما يخرج من الإنسان.." (١)

"و (من لعنة الله) : إما خبر، أي: هو من لعنه الله، أو بدل من شر، ولا بد من حذف مضاف، إما من الأول أو الثاني، أي: بشر من أهل ذلك الدين من لعنه الله، أو دين من لعنه الله.

ومن قرأ: (عبد) بفتح الباء، ففعل ماض، صلة لموصول محذوف، أي: ومن عبد، و (الطاغوت) : مفعول به، ومن قرأ بضم الباء، فاسم للمبالغة، كيقظ، أي: كثير اليقظة، وهو عطف على القردة، والطاغوت مضاف.

يقول الحق جل جلاله: قل لهم: هل أخبركم بأقبح من ذلك الدين الذي قلتم ما رأيتم شرا منه، هو دين من لعنه الله، أو نفس من لعنه الله، أي: أبعده من رحمته وغضب عليه بكفره وعصيانه، وهم اليهود، وجعل منهم القردة والخنازير أي: مسخ بعضهم قردة وخنازير، وهم أصحاب السبت، مسخ شبابهم قردة، وشيوخهم خنازير، وجعل منهم أيضا من عبد الطاغوت، وهم عباد العجل، أو الكهنة، أو كل من أطاعوه في معصية الله، أولئك شر مكانا أي: أقبح مكانا، أي: أقبح مرتبة وأخس حالا، جعل مكانهم شرا، ليكون أبلغ في الدلالة على شريتهم، وهم أيضا أضل عن سواء السبيل أي: عن وسط الطريق، بل حادوا عنه إلى طرق تفريط أو إفراط، حيث تركوا طريق الإسلام، الذي هو الصراط المستقيم.

الإشارة: من كان متلطخا بالمعاصي والذنوب، وباطنه محشو بالمساوئ والعيوب كالحسد والجاه وحب الدنيا وسائر أمراض القلوب، ثم جعل يطعن في طريق الخصوص، يقال له: هل أنبئك بشر من ذلك، هو من أبعده الله بسبب المعاصي والذنوب، وغضب عليه بسبب أمراض القلوب، ومسخ قلبه عن مطالعة أنوار الغيوب، فهذا أقبح مكانا وأضل سبيلا، فكل من أولع بالطعن على الذاكرين، يمسخ قلبه بالغفلة والقسوة، حتى يفضي إلى **سوء الخاتمة**. والعياذ بالله.

ثم وسمهم الحق تعالى بالنفاق، أي: اليهود، فقال:

[سورة المائدة (٥) : آية ٦١]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٥٠٦

وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١)

قلت: جملة: (وقد دخلوا) ، وجملة: (وهم قد خرجوا) ، حالان من فاعل (قالوا) ، ودخلت (قد) على دخلوا وخرجوا تقريبا للماضي من الحال، ليصح وقوعه حالا أي: ذلك حالهم في دخولهم وخروجهم على الدوام، وأفادت أيضا- لما فيها من التوقع- أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم.

يقول الحق جل جلاله فى ذكر مساوئ اليهود: وإذا جاؤكم ودخلوا عليكم، أظهروا الوفاق لكم، وقالوا آمنا بدينكم وهم قد دخلوا عليكم ملتبسين بالكفر في قلوبهم، وهم قد خرجوا أيضا به، فلم ينفع فيهم وعظ ولا تذكير، بل كتموا النفاق وأظهروا الوفاق، والله أعلم بما كانوا يكتمون فيفضحهم على رؤوس الأشهاد.." (١)

"وكانوا يستهزؤون بأمر الوحي والدين، فقال تعالى لنبيه- عليه الصلاة والسلام: قل لهم: استهزؤا تهديدا لهم، إن الله مخرج ما تحذرون من إنزال السورة فيكم، أو ما تحذرون من إظهار مساوئكم ولئن سألتهم عن استهزائهم، ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب فيما بيننا. روي أن ركبا من المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، في غزوة تبوك، فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل، يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه، هيهات هيهات!! فأخبر الله نبيه، فدعاهم فقال: «قلتم: كذا وكذا؟» فقالوا: لا، والله، ما كنا في شيء من أمرك، ولا من أمر أصحابك، ولكنا كنا في شيء مما يخوض فيه الركب، ليقصر بعضنا على بعض السفر «١» .

قال تعالى: قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن، توبيخا لهم على استهزائهم بما لا يصح الاستهزاء به، لا تعتذروا أي: لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة قد كفرتم بعد إيمانكم أي: قد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول والطعن عليه، بعد إظهار إيمانكم الكاذب. إن نعف عن طائفة منكم بتوبتهم وإخلاصهم، حيث سبق لهم ذلك كان منهم رجل اسمه مخشي، تاب ومات شهيدا. أو لكفهم عن الإيذاء، نعذب طائفة بأنهم كانوا في علم الله مجرمين مصرين على النفاق، أو مستمرين على الإيذاء والاستهزاء. والله تعالى أعلم.

الإشارة: الاستهزاء بالأولياء والطعن عليهم من أسباب المقت والبعد من الله، والإصرار على ذلك شؤمه **سوء الخاتمة**، وترى بعض الطاعنين عليهم يحذر منهم أن يكاشفوا بأسرارهم، وقد يطلع الله أولياءه على ذلك، وقد لا يطلعهم، وبعد أن يطلعهم على ذلك لا يواجهوهم بكشف أسرارهم لتخلقهم بالرحمة الإلهية. والله تعالى أعلم.

ومن مساوئ المنافقين أيضا: أمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف، كما قال تعالى:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٦/٢

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٦٧ الى ٦٩]
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون (٦٧) وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم (٦٨) كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون (٦٩)

---

(١) أخرجه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ١٧٣) عن قتادة.." [(١)]

"بعض الأخبار: «من تتبع عورة أخيه المؤمن تتبع الله عورته حتى يفضحه، ولو في جوف بيته» .

ومن اشتغل بإذاية الأولياء، ولم يتب، مات على **سوء الخاتمة**، وذلك جزاء من حارب الله- والعياذ بالله- .

ثم ذكر تخلف المنافقين عن الجهاد، فقال:

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٨١ الى ٨٣]
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١) فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢) فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣)
قلت: (خلاف رسول الله) : منصوب على الظرفية، أي: بعده، يقال: أقام خلاف الحي، أي: بعدهم، وقيل:
مصدر خالف، فيكون مفعولا لأجله، أو حال.
يقول الحق جل جلاله: فرح المخلفون أي: الذين خلفهم الله عن الغزو، وأقعدهم عنه، ولذلك عبر بالمخلفين دون المتخلفين، فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله أي: بعده في غزوة تبوك، وكرهوا أن يجاهدوا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/ ٤٠١

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله إيثارا للراحة والدعة على طاعة الله ورسوله. وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الأموال والمهج، وأما المنافقون فآثروا الراحة وقعدوا، وقالوا لا تنفروا في الحر، قاله بعضهم لبعض، أو قالوه للمؤمنين تثبيطا لهم. قال ابن جزي: قائل هذه المقالة رجل من بني سليم، ممن صعب عليه السفر إلى تبوك في الحر. هـ. قل نار جهنم أشد حرا، وقد آثرتموها بهذه المخالفة، لو كانوا يفقهون أن مآلهم إليها، أو كيف هي؟ ... ما اختاروها بإيثار الدعة على الطاعة.

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون، وهو إخبار عما يئول إليه حالهم في الدنيا والآخرة، أي: سيضحكون قليلا، ويبكون كثيرا لما يرون من سوء العاقبة، وأتى به على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم واجب وقوعه. قال ابن جزي: أمر بمعنى الخبر، فضحكهم القليل في الدنيا مدة بقائهم فيها،." (١)

"واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد- أي: (لا إله إلا الله) ، ودعوة الإسلام والقرآن، والكلمة الخبيثة بالإشراك بالله تعالى، والدعاء إلى الكفر، وتكذيب الحق. ولعل المراد بهما ما يعم ذلك، فالكلمة الطيبة: ما أعرب عن حق، أو دعا الى صلاح، والكلمة الخبيثة: ما كان على خلاف ذلك. وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة، وروي ذلك مرفوعا، وبشجرة في الجنة، والخبيثة بالحنظلة، ولعل المراد بهما أيضا ما يعم ذلك. هـ.

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهو: لا إله إلا الله، أو كل ما يثبت في القلب، ويتمكن فيه من الحق، بالحجة الواضحة في الحياة الدنيا مدة حياتهم، فلا يزلون إذا افتتنوا في حياتهم، أو عند موتهم، وهي **حسن الخاتمة**، وفي الآخرة عند السؤال، فلا يتلعثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في القبر، وعند الموقف، فلا تدهشهم أهوال القيامة. روى أنه صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال: «ثم تعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه في قبره، ويقولان له: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم. فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي. فذلك قوله تعالى: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت» «١» . قلت: والقدرة صالحة لهذا كله. قال الغزالي: هو أشبه شيء بحال النائم.

ويضل الله الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والتقليد، فلا يهتدون إلى الحق، ولا يثبتون في مواقف الفتن. ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض، وإضلال آخرين، من غير اعتراض عليه ولا تعقيب لحكمه.

الإشارة: الكلمة الطيبة، هي كلمة التوحيد، والشجرة الطيبة هي شجرة الإيمان، وأصلها هو: التوحيد الثابت

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤١١/٢

في القلب، وفروعها: الفرائض والواجبات، وأغصانها: السنن المؤكدات، وأوراقها: المندوبات والمستحبات، وأزهارها:

الأحوال والمقامات، وأذواقها: الوجدان وحلاوة المعاملات، وانتهاء طيب أثمارها: العلوم وكشف أسرار الذات، الذي هو مقام الإحسان، وهي معرفة الشهود والعيان. فمن لم يبلغ هذا المقام لم يجن ثمرة شجرة إيمانه. ومن نقص شيئا من هذه الفروع نقص بقدرها من شجرة إيمانه، إما من فروعها، أو من أغصانها، أو من ورقها، أو من حلاوة أذواقها، أو من عرف أزهارها، أو من طيب ثمرتها. ومعلوم أن الشجرة إذا نبتت بنفسها في الخلاء، ولم تلقح كانت ذكاره، تورق ولا تثمر، فهي شجرة إيمان من لا شيخ له يصلح للتربية، فإن الفروع والأوراق كثيرة، والثمار ضعيفة، أي ريح هاج عليها أسقطها. وراجع ما تقدم في إشارة قوله تعالى: وابتغوا إليه الوسيلة «٢» . وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه بنحوه مطولا أبو داود فى (السنة، باب المسألة فى القبر) والحاكم فى المستدرك (١/ ٣٧) وصححه من حديث البراء بن عازب. وأصل الحديث فى الصحيحين.

(٢) من الآية ٣٥ من سورة المائدة.." [١]

"وبدا لهم سيئات ما كسبوا أي: ظهر لهم سيئات أعمالهم التي كسبوها. أو: سيئات كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم، وكانت خافية عليهم، أو: عقاب ذلك. وحاق بهم أي: نزل بهم وأحاط، ما كانوا به يستهزؤن أي: جزاء هزئهم بالإسلام، ومن جاء به، ومن تبعه.

الإشارة: الآية تجر ذيلها على كل ظالم لم يتب، فيتمنى الفداء بجميع ما في الأرض، فلا يمكن منه. وقوله تعالى: وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، هذه الآية عامة، لا يفلت منها إلا الفرد النادر، الذي وصل إلى غاية المعرفة العيانية، ومن لم يصل إلى هذا المقام فهو مقصر، يظن أنه في عليين، وهو في أسفل سافلين، ولذلك عظم خوف السلف منها، فقد جزع محمد بن المنكدر عند الموت، فقيل له في ذلك، فقال: أخشى آية من كتاب الله: وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسب «١» . وعن سفيان أنه قرأها، فقال: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء. هـ.

وفي الإحياء: من اعتقد في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق، وخلاف ما هو عليه إما برأيه أو معقوله ونظره، الذي به يجادل، وعليه يعول، وبه يغتر، وإما بالتقليد، فمن هذا حاله ربما ينكشف له حال الموت

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٩/٣

بطلان ما اعتقده جهلا، فيتطرق له أن كل ما اعتقده لا أصل له، فيكون ذلك سببا في شكه عند خروج روحه، فيختم له **بسوء الخاتمة**، وهذا هو المراد بقوله تعالى: وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله: هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا «٢» .. الآية. انظر عبارته في كتاب الخوف، وقريبا منه في القوت، عصمنا الله من سوء القضاء، وختم لنا بالسعادة التامة بمنه وكرمه.

ثم ذكر حالة أخرى من قبائح أهل الشرك، فقال:

[سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٤٩ الى ٥١]

فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون (٤٩) قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٥٠) فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين (٥١)

---

(١) انظر تفسير البغوي (٧/ ١٢٤) .

(٢) الآية ١٠٣ من سورة الكهف.." (١)

"عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده وحفظ ذلك أو كتبه ويستخبر من هذا عن ذاك بلطف ورقة فإذا ورد عليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده فيقول له فلان من بلدة كذا فلا يخلو ما أن يكون عرفه من غيره سابقا أو عرف جاره أو قريبه فيقول له فلان طبيب فيقول نعم سيدي ثم يسأله عن اخيه فلان وولده فلان وزوجته وابنته ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها فيقوم ذلك المغربي ويقعد ويقبل الأرض تارة ويسجد تارة ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح فتراهم في أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح إلى الغروب وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئا ما فضة أو تمرا أو شمعا على قدر فقره وغناه وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ويلتمسون منه الاجوبة فمن ظفر منم بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة فكأنما ظفر **بحسن الخاتمة** وحفظها معه كالتميمة ويرى أنه قد قبل حجه وإلا فقد باء بالخيبة والندامة وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ودامت حسرته إلى يوم ميعاده وقس على ذلك ما لم يقل وشرع في شرح كتاب إحياء العلوم للغزالي وبيض منه اجزاء وأرسل منها إلى الروم والشام والغرب ليشتهر مثل شرح القاموس ويرغب في طلبه واستنساخه وماتت زوجته في سنة ست وتسعين

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٨٨

فحزن عليها حزنا كثيرا ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية وعمل على قبرها مقاما ومقصورا وستورا وفرشا وقناديل ولازم قبرها أياما كثيرة وتجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون ويعمل لهم الأطعمة والثريد والكسكسو والقهوة والشربات واشترى مكانا بجوار المقبرة المذكورة وعمره بيتا صغيرا وفرشه واسكن به امها ويبيت به احيانا وقصده الشعراء بالمراثي فيقبل منهم ذلك ويجيزهم عليه.

ثم تزوج بعدها بأخرى وهي التي مات عنها واحرزت ما جمعه من مال وغيره ولما بلغ ما لا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام وكثرت عليه الوفود من سائر الاقطار وأقبلت عليه." (١)

"يا رب كان عليك أن لا تخلقني وتدعني جليسا في زوايا العدم وتتركني. يقول الرب يا عبدي شأني الجود. وإفاضة الوجود. لا سيما وقد طلبته مني بجميع شراشرك. واقترحته علي بباطنك وظاهرك. وأنا الملك الحكيم. والرب الكريم. والإيجاد في نفسه رحمة. ولا يضر في ذلك أنه قد يترتب عليه نقمة. لا سيما إن كان ذلك مما تقتضيه الحكمة) قال الشيخ محيي الدين قدس سره (هذا يعني طلب الاستعداد الأزلي الغير المجعول لما يكون عليه العبد في الخارج هو حجة الله تعالى البالغة المذكورة في قوله تعالى) ولله الحجة البالغة (وإلى ذلك الطلب يشير ما حكي من أن عليا كرم الله تعالى وجهه دخل يوما على عمر رضي الله تعالى عنه فرآه مغموما فقال له ما عراك يا أمير المؤمنين فقال خوف **سوء الخاتمة**. فقال أما أنا فخوفي من سوء الفاتحة. فافهم ذاك. والله تعالى يتولى هداك.) لا يقال (يترائى من خلال الكلام أن للعلم التابع للمعلوم مدخلا في وجود الفعل وامتناعه وسلب القدرة والاختيار ويلزم ذلك أن لا يكون الله عز وجل فاعلا مختارا لكونه سبحانه عالما بأفعاله وجودا وعدما وهو خلاف مذهب المسلمين) لأنا نقول (ذاك غير لازم لأن الله تعالى غني بالذات عن العالمين ومقتضى غناه عنهم أن لا يكون صدور شيء من أجزاء العالم لازما لذاته وكلما كان كذلك جاز أن يرجح ما شاء منها لداع أو غير داع لأن الله تعالى غني حميد وكلما. كان له سبحانه الترجيح لما شاء من طرفي الممكن بالنظر إلى ذاته الغني عن العالمين كان فاعلا مختارا في الترجيح لا يتعين عليه ترجيح أحد الطرفين بخصوصه. وهذا هو الاستقلال في الاختيار لكن الله تبارك وتعالى مع استقلاله في الاختيار لا يرجح إلا ما اقتضته الحكمة. لما يقتضيه الجود والرحمة. من مراعاة مقتضى الحكمة. فهو تعالى بالنظر إلى غناه الذاتي مستقل في الاختيار يرجح أي طرف شاء وبالنظر إلى ما سبق به العلم من ترجيح ما اقتضته الحكمة بمقتضى الجود والرحمة لا للوجوب عليه سبحانه لا يرجح

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ١٠٩/٢

إلا أحد الطرفين على التعيين. ولا مناقاة بين الاعتبارين لأن الاستقلال في الاختيار بالنظر إلى الغنى الذاتي والتعيين بالنظر إلى مراعاة الحكمة فلا يلزم من تعيين أحد الطرفين بالترجيح نظرا إلى سبق العلم لمراعاة الحكمة أن لا يكون مستقلا بالاختيار في الترجيح من غير تعيين نظرا إلى غناه الذاتي وأما العبد فليس له جهة الغنى الذاتي حتى يصح له الاستقلال بالاختيار بوجه ما فإنه فقير بالذات إلى الله تعالى الغني بالذات في أصل وجوده وكمالاته النابعة لوجوده التي منها قدرته وإرادته إذ لا فعل إلا بقوة بالضرورة ولا قوة إلا بالله بالنص المتواتر. ثم أنه لا يفعل إلا ما يشاء بالضرورة ولا يشاء إلا ما يشاء الله فلا يفعل إلا ما يشاء الله تعالى ولا يشاء الله سبحانه إلا ما سبق به العلم لأن الإرادة نابعة للعلم ولا سبق العلم إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه لمكان التبعية فلا يفعل العبد إلا ما يقتضيه استعداده الأزلي وليس في استطاعته ترجيح غير ذلك فإنه لا ترجيح له بالنظر إلى ذاته إذ لا ترجيح له إلا بالله وإلا جاز الانقلاب وكلما كان كذلك بطل استقلال العبد بوجه ما في الاختيار في الطوع والإباء. واتضح الفرق بين الحق عز وجل والخلق وانكشف الغطاء. والحمد لله تعالى الذي نور الأرض والسماء. قاله العلامة الكوراني) وبالجملة (ما أبرز سبحانه ولا يبرز شيئا من خزائن علمه إلا موافقا لما هو عليه في نفسه وذلك عين الحكمة فهو عز وجل لا يسأل عما يفعل لأنه لا يفعل ما يسأل عنه لحكمته جل شأنه. وعز سلطانه. وليس نفي سؤاله تعالى عما يفعله لمجرد عظمته وجبروته أي أنه لا يجبر أحد أن يسأله الرهبة منه إذ ذاك شأن كثير من الملوك الظلمة فأي تمدح فيه ولو شاء سبحانه لهدى الناس جميعا لكنه جل وعلا لم يشأ ذرك لأنه خلاف ما سبق به العلم التابع للمعلوم فقول الذين أشركوا) لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء (كلمة حق أرادوا بها باطلا ولا يصح أن يكون حجة لهم على الله تعالى لما أشرنا إليه من أن مشيئته تعالى تابعة لعلمه التابع للمعلوم على ما هو عليه فانتقاء مشيئة عدم إشراكهم وتحريمهم ليس إلا من قبلهم وذلك سوء استعدادهم الأزلي الغير المجعول. وقد أشار سبحانه إلى ذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع." (١)

"كان في خير يستمر فيه وإن كان في شر يستمر فيه أيضا ومن رأى أن رجليه مربوطتان حتى لا يستطيع القعود فهو حصول أمر يكرهه ومن رأى أنه ربط إنسانا أو بهيمة فقال بعضهم إنه احتراس بالأمور وقال آخرون ربط البهيمة محمود وربط الإنسان ليس بمحمود ومن رأى أنه ربط إلى شجر أو خشب فليس بمحمود وإن ربط من أحد أعضائه إلى إنسان آخر فإنه يقارنه في أفعاله سواء كانت حميدة أو ذميمة (رؤية الغل والقيد)

---

(١) غرائب الاغتراب الألوسي، شهاب الدين ص/٢٠٥

وأما الغل فمن رأى أنه مغلول فإنه على كفر بالله أو بنعمته وربما كان ذلك دالا على سوء الخاتمة وقال بعضهم لا خير في رؤية الغل فمن رأى أنه أخذ وغل فإنه يقع في شدة عظيمة من حبس وغيره ومن رأى أن يده مغلولة إلى عنقه فإنه يدل على البخل وأما السلسلة فإنها تدل على ارتكاب معصية وأما القيد فيدل ثبات صاحب الرؤيا على أمر هو فيه في خير أو شر ومن رأى أن برجليه أربعة قيود فإنه يرزق أربعة أولاد ومن رأى كأنه مقرون في قيد مع رجل دلت رؤياه على اكتسابه معصية كبيرة يخاف عليه منها انتقام السلطان

(رؤية السجن)

وأما السجن فمن رأى أنه دخل سجنا مجهولا فإنه يؤول بالقبر وإن كان معروفا فإنه غم ومضرة وإن كان مريضا فمرض يطول ومن رأى أنه موثق في بيت فإنه يصيب خيرا وإن رأت امرأة أنها في سجن فإنها تتزوج رجلا كبير القدر وإن كانت متزوجة فلابد لها من الخير ومن رأى أنه معوق في مكان لا يستطيع الخروج منه فإنه سعة وفضاء ونعمة خصوصا إذا كان من طلبة العلم ومن رأى أنه خرج من الاعتقال فإنه." (١)

"ترجمة الشارح

ترجمة العبد الضعيف جامع هذه الأوراق، أوردها ليكون مذكرا ومعرفا عن أحوالي، لمن غاب عني أو يأتي بعدي، فيذكرني بدعاء حسن الخاتمة، وخير الدنيا والآخرة، وقد ذكرت نبذا منها في مقدمة "الجامع الصغير" للإمام محمد في الفقه الحنفي المسماة "النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير" بعد ما ذكرت تراجم شراحه، ليحشرني ربي معهم، ويجعلني معهم، ولست منهم، والبسط فيها مفوض إلى كتاب تراجم علماء الهند، الذي أنا مشتغل بجمعه وتأليفه، وفقني الله لختمه، ونذكر قدرا منها ههنا من غير اختصار مخل ولا تطويل ممل، رجاء أن يحشرني ربي في زمرة الشراح السابقين، ويجعلني في الدنيا والآخرة في عداد المحدثين وينادبني معهم يوم يدعو كل أناس بإمامهم، فأقول: أنا الراجي عفو ربه القوي، كنيتي أبو الحسنات، كناني به والدي بعد بلوغي، واسمي عبد الحي، سماني به والدي في اليوم السابع من ولادتي، وحين سماني به قال له بعض الظرفاء: حذفتم من اسمكم حرف النفي (يعني: حرف لم) ، فصار هذا فألا حسنا، لأن يطول عمري، ويحسن عملي، أرجو من الله تعالى أن يصدق هذا الفأل، ويرزقني ببركة اسمه المضاف إليه حياة طويلة، مع حسن الأعمال، وعيشا مرضيا يوم الزلزال. ووالدي مولانا محمد عبد الحليم صاحب التصانيف الشهيرة والفيوض الكثيرة، الذي كان يفتخر بوجوده أفاضل الهند والعرب والعجم، ويستند

---

(١) جامع تفاسير الأحلام = تنبيه الأفهام بتأويل الأحلام الملا الإحسائي ص/١١٩

به أماثل العالم، الفائق على أقرانه وسابقيه في حسن التدريس والتأليف، البارع السابق على أهل عصره ومن سبقه في قبول التصنيف، المتوفى في السنة الخامسة والثمانين بعد الألف والمائتين، من هجرة رسول الثقلين، ابن مولانا محمد أمين الله، ابن مولانا محمد أكبر، ابن المفتي أحمد أبي الرحم، ابن المفتي يعقوب، ابن مولانا عبد العزيز، ابن مولانا محمد." (١)

"في "المصباح": ينبغي أن يكون كذا وكذا، معناه يجب أو يندب بحسب ما فيه من الطلب. انتهى كلامه.

ومنها: أنه قد يذكر مذهب شيخه مالك أيضا موافقا أو مخالفا، ومذاهب الصحابة مسندة أو غير مسندة.

ومنها: أنه يطلق لفظ الأثر، ويريد معنى أعم شاملا للحديث المرفوع والموقوف على الصحابة ومن بعدهم، وهو كذلك في عرف القدماء، وخصه بعض من خلفهم بالموقوف، وهو مشهور عند متأخري الفقهاء كما حققه النووي في "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" وفصلته أنا في "ظفر الأماني بشرح المختصر المنسوب إلى الجرجاني" وفقني الله لختمته كما وفقني لبدئه.

ومنها: أنه يذكر بعض الآثار والأخبار غير مسندة، ويصدر بعضها بقوله: بلغنا، وقد ذكروا كما في "رد المحتار" وغيره أن بلاغاته مسندة.

خاتمة:

- ليس في هذا الكتاب حديث موضوع، نعم فيه ضعاف، أكثرها يسيرة الضعف المنجبر بكثرة الطرق، وبعضها شديدة الضعف لكنه غير مضر أيض، لورود مثل ذلك في صحاح الطرق، وستطلع على جميع ذلك إن شاء الله تعالى في مواضعها. هذا آخر المقدمة، ومن الله أرجو **حسن الخاتمة**، وعيش الدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.." (٢)

"وإنما سردت أسماء هؤلاء نصحا لدين الله تعالى ذلك - وشفقة على ضعفاء المسلمين، وليحذوا منهم اشد من الفلاسفة الذين كذبوا الله ورسله ويقولون بقدم العالم وينكرون البحث وقد أولع جهلة من ينتمي للتصوف بتعظيم هؤلاء وادعائهم أنهم صفوة الله تعالى وأولياءه والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين. انتهى بحروفه.

---

(١) التعليق الممجد على موطأ محمد اللكنوي، أبو الحسنات ١/١٠٩

(٢) التعليق الممجد على موطأ محمد اللكنوي، أبو الحسنات ١/١٤٦

وقال العلامة القارى أيضا: ثم اعلم أن من اعتقد حقية عقيدة ابن عربي فكافر بالإجماع من غير نزاع وإنما الكلام فيما إذا أول كلامه بما يقتضي حسن مرامه وقد عرفت من تأويلات من تصدي لتحقيق هذا المقام أنه ليس هناك ما يصح أو يصلح عنه دفع الملام. بقي من شك وتوهم أن هناك بعض التأويل إلا أنه عاجز عن ذلك القيل. فقد نص العلامة ابن المقرى كما سبق أن من شك في كفر اليهود والنصارى وطائفة ابن عربي فهو كافر وهو أمر ظاهر وحكم باهر. وأما من توقف فليس بمعذور في أمره، بل توقفه سبب كفره. اهـ.

وقال في آخر الرسالة: فالواجب على الحكام في دار الإسلام: أن يحرقوا من كان على هذه المعتقدات الفاسدة والتأويلات الكاسدة، فإنهم أنجس ممن ادعى أن عليا هو الله، وقد أحرقه على – رضي الله عنه – ويجب إحراق كتبهم المؤلفة ويتعين على كل أحد أن يبين فساد شقاقهم فإن سكوت العلماء واختلاف الآراء صار سببا لهذه الفتنة وسائر الفتنة وسائر أنواع البلاء، فنسأل الله تعالى **حسن الخاتمة** اللاحقة المطابقة للسعادة السابقة. آمين. انتهى.

وقد أطال في كتابه البحث بما له وعليه، فإن أردته فارجع إليه.

(القسم الثاني) : من يجعله من أكابر الأولياء العارفين، وسند العلماء العاملين بل يعده من جملة المجتهدين

قال في ((الشذرات)) :

قال الشيخ ((عبد الرءوف المناوي)) في ((طبقات الأولياء)) : كان عارفا بالآثار." (١)

"هو جدي وشيخ مشايخي أبو عبد الله محمد السنوسي بن عثمان بن محمد بن أحمد عرف ابن مهنية من حفدة الولي الصالح الشيخ سيدي عساكر بن ضيف الله بن محمد بن منصور بن إبراهيم بن محمد بن عامر بن موسى بن عبد الله بن عثمان بن بخت بن عياد بن ثابت بن منصور بن عامر بن موسى بن مسعود بن علي بن عبد المجيد بن عمران بن محمد بن داوود بن علي بن عبد الله بن إدريس بن إدريس الأصغر بن إدريس الأصغر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن الصبت ابن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كان سيدي عساكر من مشاهير الأولياء رضي الله عنه، وهو دفين قلعة سنان قرب الكاف.

كان حفيده أبو العباس أحمد بن مهنية القلعي خيرا، حج بيت الله الحرام. وتنقل ولده أبو عبد الله محمد بفتح أوله إلى بلد الكاف، وأقام بها إلى أن توفي ودفن بمقصورة الشيخ سيدي ابن حرزة الله.

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ابن الآلوسي ٨٨/١

ونشأ ولده الشيخ أبو النور عثمان في طلب العلم، فقرأ هنالك أولا، ثم ارتحل إلى تونس فقرأ بجامع الزيتونة على الشيخ عبد الله السوسي وقد استفدت ذلك من تقاريره التي على كتبه، وقرأ على غيره من علماء ذلك العصر وسكن المدرسة المرادية ن وأقرأ بها، وتقدم لخطة العدالة على عهد الأمير محمد الرشيد بن حسين بن علي في أواخر جمادى الأولى سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف، ثم قدمه الأمير علي باي ابن حسين مدرسا بالجامع الكبير ببلد الكاف، ومرتبه عن ذلك ستة نواصر، وذلك أوائل جمادى الأولى سنة ١١٧٧ سبع وسبعين ومائة وألف، فرجع إلى بلده وتصدى للإقراء.

وأخذ عنه هنالك الشيخ الحاج أحمد الزين قاضي بلد الكاف، والشيخ الحاج أحمد بن العلمي، والشيخ الحاج ونيس وغيرهم.

ثم قدمه الأمير المذكور لمشيخة المدرسة الحسينية بالكاف، ومرتبه سبعة نواصر، وذلك في أواسط المحرم سنة ١١٨١ إحدى وثمانين ومائة وألف، وزاده بعد ذلك في مرتبه ضعفيه حتى بلغ ست خرارب يوميا. وكان في أثناء إقامته يقدم لتونس لزيارة أحبته بها وألإجتماع بهم.

ولما قدم إلى حاضرة تونس أوائل سنة ١١٩٣ ثلاث وتسعين ومائة وألف قدمه الأمير علي باي لخطة الفتيا ببلد الكاف في التاسع والعشرين من صفر الخير سنة ١١٩٣ ثلاث وتسعين ومائة وألف على كره منه، ورجع إلى بلده كرها يطلب **حسن الخاتمة** فلم تطل إقامته في الخطة، وعاجله الأجل ودفن بمدفن والده بمقصورة سيدي ابن حرز الله، وإلى هذا اليوم على قبره تابوت وهو مزار في بلد الكاف.

وكان عالما عاملا ولوعا بالمعقول جميل الخط نسخ كتب قراءته كلها بخطه وكتب على جميعها التقريرات وتحريرات عن أشياخه ومن استظهاراته قد انتفعت بها حال قراءتي وإقرائي. وكان متخلقا بأخلاق الصالحين محبا في الأولياء، كثير الزيارة لهم، سمى أولاده على أسماء من تيمن بأسمائهم تفائلا، فسمى أكبرهم باسم عالم الكلام صاحب الكبرى الشيخ سيدي محمد السنوسي وسمى الثاني باسم الفقيه الصوفي الشيخ سيدي أحمد زروق، وسمى الثالث باسم القطب الشاذلي رضي الله عنه. وقد حقق الله رجاءه في جميعهم.

فأمل الشيخ محمد الشاذلي فكان عالما فاضلا كثير الخلوة ملازما للأذكار تقدم للتدريس بجامع بلد الكاف في المحرم سنة ١٢١٢ إثنتي عشرة ومائتين وألف، ومات قتيلا في الطريق بين تونس والكاف.

وترك ولدا من علماء الزيتونة وهو الشيخ محمد اللخمي قرأ على عميه وارتحل إلى صفاقس للأخذ على عالمها الشيخ محمد مقديش فأخذ عنه علوما انفرد بها من دقائق الحساب والهيئة وعلوم حكمية نظرية عملية وتعاطى بها فن الكيمياء والرمل والجفر كثيرا، وبرع بالمعقول والمنقول، وأقرأ بتونس كتب مهمة منها

شرح السعد على العقائد النفسية وكان حسن المحاضرة أديبا ظريفا فرضيا موثقا حسن الملاقاة والإلقاء وتوفي بالمرض العام سنة ١٢٦٦ ست وستين ومائتين وألف عليه رحمة الله آمين.

وأما الشيخ أحمد زروق فكان من فحول العلماء وخاصة البلغاء، وزان الخطط العلمية وتوفي على خطة قضاء المحلة المنصورة، عليه رحمة الله آمين.." (١)

"النعمة الظاهرة إلى النعم الباطنة فذكر ما هو أشرفها وختم به لأن المدار على **حسن الخاتمة** مع مافيه من الإشارة إلى كمال الانقياد في الأكل والشرب وغيرهما قدرا ووصفا ووقتا احتياجا واستغناء بحسب ما قدره وقضاه كذا قال القارىء في المرقاة

قال المنذري وأخرجه الترمذي والنسائي وذكره البخاري في تاريخه الكبير وساق اختلاف الرواة فيه

[٣٨٥١] (عن أبي عبد الرحمن الحبلي) بضم المهملة والموحدة اسمه عبد الله بن يزيد وثقه بن معين (إذا أكل وشرب) قال القارىء في شرح المشكاة الظاهر أن أو بمعنى الواو كما في نسخة أي إذا جمع بينهما (قال الحمد لله الذي أطعم وسقى) لعل حذف المفعول لإفادة العموم (وسوغه) بتشديد الواو أي سهل دخول كل من الطعام والشراب في الحلق (وجعل له) أي لكل منهما (مخرجا) أي من السبيلين فتخرج منهما الفضلة فإنه تعالى جعل للطعام مقاما في المعدة زمانا كي تنقسم مضاره ومنافعه فيبقى ما يتعلق باللحم والدم والشحم ويندفع باقيه وذلك من عجائب مصنوعاته ومن كمال فضله ولطفه بمخلوقاته فتبارك الله أحسن الخالقين

وقال الطيبي رحمه الله ذكر ها هنا نعما أربعا الإطعام والسقي والتسويغ وهو تسهيل الدخول في الحلق فإنه خلق الأسنان للمضغ والريق للبلع وجعل المعدة مقسما للطعام لها مخارج فالصالح منه ينبعث إلى الكبد وغيره يندفع من طريق الأمعاء كل ذلك فضل من الله الكريم ونعمة يجب القيام بمواجبها من الشكر بالجنان والبث باللسان والعمل بالأركان

قال المنذري وأخرجه النسائي

---

(١) مسامرات الظريف بحسن التعريف محمد السنوسي ص/٣٠٣

٤ - (باب في غسل اليد من الطعام)

[٣٨٥٢] (وفي يده غمر) بفتحتين أي دسم ووسخ وزهومة من اللحم (ولم يغسله) أي ذلك الغمر." (١)

"المترجم على الوالد في مذهب أبي حنيفة وحفظ كثيرا من الفروع الغريبة في المذهب والرياضيات، وكان به بعض رعونة. ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة وأخبر الوالد بذلك يظن سروره في انتقاله فلامه على فعله وسمعته يقول له:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

وانحط قدره عنده من ذلك الوقت وذلك بعد موت والده في سنة سبع وثمانين ومائة وألف. وأملق حاله وتكدر باله، ثم سافر إلى دمياط وأقام بها مدة يفتي على مذهب الحنفية، وراج أمره هناك لشغور الثغر عن مثله، ثم قدم مصر لأمر عرض له فأقام بمصر وأراد بيع داره ليصرف ثمنها في شؤونه فلم يجد من يشتريها بالثمن المرغوب. وكان إنسانا حسنا يذاكر بفوائد مع حسن المعرفة وصحة الذهن، وربما تعلق ببعض فنون غريبة، ولذا قل حظه وأنشدني لنفسه أبياتا مدح بها قاضي الثغر واسمه محمد نصري وبيت تاريخها هذا:

رجاه مذهب النعمان أرخ ... بشرع محمد نصري مقدم

وهما تاريخان كما ترى، توفي رحمه الله سنة سبع ومائتين وألف وحيدا في داره وهو جالس من غير سابقة مرض ولا إشارة نسأل الله **حسن الخاتمة**.

السيد عبد الرحمن بن بكار الصفاقسي نزيل مصر

العمدة الجليل والنبيه النبيل، العلامة الفقيه الشريف والفهامة اللطيف، قرأ في بلاده على علماء عصره ودخل كرسي مملكة الروم فأكرم وانسلخ عن هيئة المغاربة، ولبس ملابس المشارقة مثل التاج والفراجة وغيرها، وأثرى وقدم إلى مصر وألقى دروسا بالمشهد الحسيني، واتحد مع شيخ السادات الوفائية السيد أبي الأنوار فراج حاله، وزادت شوكته على أبناء جنسه وتردد إلى الأمراء وأشير إليه، ودرس كتاب الغرر في مذهب السادة." (٢)

"بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة فكأنما ظفر **بحسن الخاتمة**، وحفظها معه كالتميمة، ويرى أنه قد قبل حجه، وإلا فقد باء بالخيبة والندامة، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده، ودامت حسرته إلى يوم ميعاده،

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ٢٣٦/١٠

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٨٣٧

وقس على ذلك ما لم يقل.

وشرع في شرح كتاب إحياء العلوم للغزالي وبيض منه أجزاء، وأرسل منها إلى الروم والشام والغرب ليشتهر مثل شرح القاموس، ويرغب في طلبه واستنساخه.

وماتت زوجته في سنة ست وتسعين فحزن عليها حزنا كثيرا، ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية، وعمل على قبرها مقاما ومقصورة، وستورا وفرشا وقناديل، ولازم قبرها أياما كثيرة، وتجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون، ويعمل لهم الأطعمة والثريد والكسكسون والقهوة والشربات، واشترى مكانا بجوار المقبرة المذكورة وعمره بيتا صغيرا، وفرشه وأسكن به أمها، ويبيت به أحيانا، وقصده الشعراء بالمراثي فيقبل منهم ذلك ويجيزهم عليه، ورثاها هو بقصائد وجدتها بخطه بعد وفاته في أوراقه المدشتة، على طريقة شعر مجنون ليلى، منها قوله:

أعاذل من يرزأ كرزئي لا يزل ... كئيبا ويزهد بعده في العواقب

أصابت يد البين المشت شمائلي ... وحاقت نظامي عاديات النوائب

وكنت إذا ما زرت زبدا سحيرة ... أعود إلى رحلي بطين الحقائب

أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها ... من الخفرات البيض غير الكواعب

فتاة الندى والجود والحلم والحيا ... ولا يكشف الأخلاق غير التجارب

فديت لها، ما يستذم رداؤها ... عميدة قوم من كرام أطايب

عليها سلام الله في كل حالة ... ويصحبه الرضوان فوق المراتب

مدى الدهر ما ناحت حمامة أيكة ... بشجو يثير الحزن من كل نادب." (١)

"عليه ثم رجع إلى بنارس،

وأمره شيخه الحسن بن داود بالتدريس فسار إلى مصطفى آباد مئو ودرس بها زمانا، ولما سافر شيخه الحسن للحج وفد عليه بمصطفى آباد وألبسه الخرقة ولقنه الذكر وودعه، وكان نصير الدين يريد أن يسافر معه للحج فلما استخلفه الحسن جاء إلى جهونسي قرية بمقربة إله آباد ما وراء نهر كنك ودخل الأربعينية مرة بعد مرة، واشتغل بالذكر والصيام والقيام مع لزم الجمعة والجماعة، وأخذ الطريقة الشطارية عن الشيخ فريد الدين أحمد الكوالياري ورزق حسن القبول، له مصنف لطيف في أشغال الطريقة يسمى محبوب السالكين، ولقبه الشيخ فريد أسد العلماء، مات لعشر ليال بقين من ربيع

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٥٠١

الأول سنة ثمانين وتسعمائة بجهونسي، كما في كنج أرشدي.

الشيخ نصير الدين الجونبوري

الشيخ الصالح نصير الدين بن محمد بن رفيع الدين بن نجم الدين بن ركن الدين العباسي السمرقندي ثم الهندي الظفر آبادي أحد رجال العلم والطريقة، أخذ عن الشيخ قطب الدين البصير الجونبوري القلندر، وانتقل من جونبور إلى قرية بيكو من أعمال ماهل على عشرة أميال من جونبور فسكن بها، ومات لخمس بقين من جمادي الأولى سنة خمس عشرة وتسعمائة.

الشيخ نصير الدين الهندولي

الشيخ الصالح نصير الدين الهندولي أحد رجال العلم والطريقة، كان من خلفاء الشيخ سليمان بن عفان المندوي على ما صرح به محمد بن الحسن في كلزار أبرار وذكره البدايوني في تاريخه قال: إني أدركته بآكره في بيت السيد شاه مير بن أخ السيد رفيع الدين المحدث فوجدته شيخا منورا حسن الأخلاق، وكان مشتهرا بصناعة الكيمياء، وقيل: إن همايون شاه التيموري لما انهزم بجوسه - بفتح الجيم المعقود - ووصل إلى آكره أمره نصير الدين أن يجمع الأطباق وسائر آلات النحاس فجعلها ذهبا خالصا والسلطان حاضر عنده، انتهى، مات في عهد بيرم خان.

الشيخ نظام الدين الكاكوروي

الشيخ العالم الكبير نظام الدين بن سيف الدين بن نظام الدين العلوي الكاكوروي المشهور بالشيخ بهيكه وقيل: بهيكن - بكسر الموحدة - بعدها هاء وياء مد، كان من نسل محمد ابن الحنفية، ولد بكاكوري من أعمال لكهنو سنة تسعين وثمانمائة، وقرأ العلم على والده وعلى الشيخ عبد اللطيف الهروي، وقرأ صحيح البخاري وجامع الأصول على مولانا ضياء الدين المحدث قراءة تدبر وإتقان، ثم سافر إلى دهلي وأخذ الطريقة عن الشيخ إبراهيم بن معين الحسيني الأيرجي ولازمه مدة، ثم رجع إلى كاكوري ودرس وأفاد زمانا، ثم راح إلى كالبي وأخذ عن الشيخ إبراهيم بن أحمد بن الحسن الشريف الحسيني الكيلاني ورجع إلى كاكوري واشتغل بالتدريس والتلقين.

وكان لا يفشي حقائق الطريقة لعامة الناس ويقول: من يفشيها يخشى عليه من **سوء الخاتمة**، وكان يستمع الغناء وينهى عنه غيره، ذكره البدايوني.

ومن مصنفاته المنهج في أصول الحديث، والمعارف وشرح الملهمات القادرية كلاهما في الحقائق.

مات سنة إحدى وثمانين وتسعمائة، كما في كشف المتواري.

الشيخ نظام الدين المندوي

الشيخ الصالح نظام الدين بن شرف الدين بن غياث الدين الحسيني المندوي كان من نسل الشيخ الكبير محمد بن يوسف الحسيني الدهلوي المدفون بكلبركه، أخذ الطريقة عن الشيخ برهان الدين الجشتي واشتغل عليه بالأذكار والأشغال زمانا، وكان يتكسب بالمهنة ويأكل من عمل يده، تردد إليه بهادر شاه الكجراتي وهمايون شاه التيموري وأدركاه، وله أربعة وعشرون ابنا كلهم صلحاء.

مات لإحدى عشرة بقين من ذي الحجة سنة خمسين وتسعمائة فدفن بمندو على ساكرنال، كما في كلزار أبرار.

الشيخ نظام الدين النارنولي

الشيخ العالم الكبير نظام الدين بن عبد الكريم." (١)

"التحريمة ولا يجهر

بآمين بعد الفاتحة ولا يضع يده على صدره وإن كان ليوتر بواحدة ويصلي ثمان ركعات في التراويح.

وكان غاية في صفاء الذهن وسرعة الخاطر، وعذوبة التقرير وحسن التحرير، وشرف الطبع وكرم الأخلاف، وبهاء المنظر وكمال المخبر، وله من الحياء والتواضع ما لا يساويه فيه أحد، ولا يصدق بذلك إلا من تاخمه وجالسه، فإنه كان لا يعد نفسه إلا كأحد الناس، وهذه خصيصة اختصه الله بها سبحانه، ومزية شرفه بالتحلي بها، فإن التواضع مع مزيد الشرف أحب من الشرف مع التكبر، ثم له من حسن الأخلاق أوفر حظ وأجل، قل أن يجد الإنسان مثل حسن خلقه عند أصغر المتعلقين بخدمته.

ومن أعظم ما منحه الله سبحانه أن ألقى في قلبه محبة العلماء الربانيين، والميل إلى معالي الأمور، ولذلك كان يتطلع إلى أخبارهم ويتبرك بآثارهم، وكان له ميل عظيم ومحبة زائدة بشيخنا الإمام فضل الرحمن بن أهل الله البكري المراد آبادي، كان يذكره بالخير ويقول: إنه أحد العلماء الربانيين، ليس له نظير في اتباع السنة السنية والزهد والاستغناء عن الناس، ولذلك استقدمه إلى بهوبال ليبايعه، فأبى شيخنا الدخول وأرسل إليه عمامته ودعا له بالبركة **وحسن الخاتمة**، وأوصاه أن يواظب على الاستغفار، فأخذ السبحة ولازم الاستغفار، حتى أنه كان يشتغل به آناء الليل والنهار، وإني سمعت ولده أخانا في الله السيد نور الحسن عفا الله عنه كان يقول: إني لما رأيت السبحة بيده أول مرة

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٤٣٩/٤

عجبت وسألته عن ذلك فأجابني أنه ألزم نفسه الاستغفار منذ أوصاه الشيخ، وتلك كرامة جليلة صدرت عن أنفاس شيخنا الزكية، فإن أنوار الاستغفار لاحت عليه وازدات حينا بعد حين حتى قلعت مكارهه في آخر عمره وغلبت عليه الحالات السنية ثم وثم، حتى أنه وفق بالتوبة عما كان عليه من سوء الظن بأئمة الفقه والتصوف، وكتب ذلك في آخر مقالات الإحسان ومقامات العرفان وهو ترجمة فتوح الغيب للشيخ الإمام عبد القادر الجيلي رضي الله عنه وهو آخر مصنفاته، ثم بعثه إلى دار الطباعة فطبع، ووصل إليه في ليلة توفي إلى رحمة الله سبحانه في تلك الليلة، أخبرني بذلك صاحبه السيد ذو الفقار أحمد الحسيني المالوي.

وكان محافظا على الصلوات في الجماعة، يصليها في أوائل أوقاتها، محافظا على أداء الزكاة في كل حول، وقد تبلغ زكاة أمواله إلى ألوف كثيرة، مكثرا من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، محافظا على الأدعية المأثورة عند أوقاتها، متورعا في الأموال، قد تخلى عما لا يحل له أخذه أو ما يشك فيه، دائم البشر، حلو المنطق، مقلا من الكلام، غير جاف ولا عبوس، كثير الحلم قليل الغضب، عفيف اللسان لا يقترح لنفسه شيئا، مشغول الفكر بالمطالعة والتأليف، حتى قد كان في بعض الأحيان لا يميز بين أنواع الطعام المختلفة، منصفا يعرف لأقرانه ولكثير ممن يخالفه فضلهم، يقول ولده السيد علي حسن خان: إنه لا بلغه نعي العلامة عبد الحي بن عبد الحليم اللكهنوي وقد جرت بينهما مباحثات ومناظرات علمية، وألف كل واحد منهما في الرد على صاحبه كتبا ورسائل وضع يده على جبهته وأطرق رأسه برهة ثم رفع رأسه وعيناه تدمعان وهو يدعو للشيخ ويسترحم، وقال: اليوم غربت شمس العلم، وقال: إن اختلافنا كان مقصورا على تحقيق بعض المسائل، ثم أعلن الصلاة على الغائب، وكان كثر التعظيم لأهل العلم شديد الاعتناء بجمع الكتب النادرة، ونشر علوم السنة وكتب السلف، أنفق عليها الأموال الطائلة، فأمر بطبع تفسير ابن كثير مع فتح البيان وفتح الباري للعلامة ابن حجر العسقلاني، وقد اشترى نسخته من الحديدة وكانت بخط ابن علان وطبعه بمطبعة بولاق في مصر، وكلف طبعه خمسين ألف ربية، وأهداه إلى أهل العلم والمشتغلين بالحديث في الهند وخارجها، وقد انتسخ سنن الدارمي عند قفوله من الحج والبحر هائج والسفينة مضطربة.

كان يقوم قبل الفجر فإذا صلى اشتغل بتلاوة القرآن والدعاء والذكر وقراءة جزء من الحصن الحصين للجزري، حتى إذا ارتفعت الشمس اشتغل بسماع أخبار الإمارة وطلبات رجال الإدارة

ساعة، ثم يقبل إلى التأليف ومطالعة الكتب من غير أن يضيع دقيقة حتى ينتصف النهار ويدخل الظهر، فيتغدى ويقيل ساعة ثم يصلي الظهر، ويشتغل إلى المغرب بالأمور الإدارية." (١)

"في تحمل المشاق، وإن بلغت النفوس إلى التراق، نسأل الله أن يلطف بنا، وأن يعيننا وإياكم على مراعات حقه، بحسن إيمان وصدق، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجا، ومن كل ضيق مخرجا. بعد السلام عليكم، من كاتبه إليكم، من عبيد الله أصغر عبيده، وأحوجهم إلى عفوه ومزيده، عبيد الله تعالى أحمد ابن بوجمعة المغراوى ثم الوهرانى، كان الله للجميع بلطفه وستره، سائلا من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء، **بحسن الخاتمة** والنجاة من أهوال هذه الدار، والحشر مع الذين أنعم الله عليهم (٢F.) من الأبرار، ومؤكدا عليكم في ملازمة دين الإسلام آمرين به من بلغ من أولادكم. إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، وإن ذاكر الله بين الغافلين كالحى بين الموتى؛ فاعلموا أن الأصنام خشب منجور، وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع، وأن الملك الله ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله. فاعبدوه، واصطبروا لعبادته، فالصلاة ولو بالإيماء، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أو رياء؛ لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم، والغسل من الجنابة ولو عوما في البحور، وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء؛ وعليكم بالتيمم ولو مسحا بالأيدى للحيطان، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء (٣F. -١) والصعيد إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدى والوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يتيمم به، فاقصدوا بالإيماء، نقله ابن ناجى في شرح الرسالة لقوله عليه السلام: فأتوا منه ما استطعتم. وإن أكرهوكم فى وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية، وانووا صلاتكم المشروعة، وأشيروا لما يشيرون إليه من صنم، ومقصودكم الله، وإن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام؛ وإن أجبروكم على شرب خمر، فاشربوه لا بنية استعماله، وإن كلفوا عليكم خنزيرا فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم، ومعتقدين تحريمه، وكذا إن أكرهوكم على محرم، وإن زوجوكم بناتهم، فجائز لكونهم أهل الكتاب، وإن أكرهوكم (٣F. -٢) على إنكاح بناتكم منهم، فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه، وأنكم ناكرون لذلك بقلوبكم، ولو وجدتم قوة لغيرتموه. وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم، ثم

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ١٢٤٩/٨

ليس عليكم إلا رؤوس أموالكم، وتتصدقون بالباقى، إن تبتم لله تعالى. وإن أكرهوكم على كلمة الكفر، فإن أمكنكم التورية والإلغاز." (١)

"أهداف مشايخ الصوفية في دعوتهم

يهدف القوم في الغالب الكثير باسم الدعوة إلى. الإسلام يهدفون إلى الأمور الآتية:

١- تسخير العوام واستخدامهم في مصالحهم الخاصة بدعوى أنهم أهل الله وخاصته فيجب على الناس جميعا أن يخضعوا لهم ويكونوا طوع أمرهم مهما كلفهم الأمر وإن لم يكونوا كذلك فهم مهددون بسلب إيمانهم **وسوء الخاتمة**.

وتفاديا لهذا الخطر الجسيم يبالغ عوام المسلمين في الخضوع لهم إلى حد العبادة وهذا أحد مفاهيم الدعوة إلى الإسلام عند القوم فما رأى القاريء الكريم؟

وانطلاقا من هذا المفهوم تقول قاعدة صوفية معروفة:

يجب على المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، مسلوب الحرية والاختيار. فاقد الإرادة والحركة حتى حركة." (٢)

"٣٦ - (باب) بالإضافة إلى قوله: (خوف المؤمن من) ولفظة: «من» ساقطة في رواية ابن عساكر وهي مقدرة حينئذ؛ لأن المعنى عليها، (أن) مصدرية (يحبط) بفتح الباء، من باب علم؛ أي: يبطل، (عمله) بالرفع فاعل «يحبط»؛ أي: من حبط عمله؛ أي: ثوابه الموعود به لا يقال أن القول بإحباط [١] المعاصي الطاعات من قواعد أهل الاعتزال والخوارج؛ لأن الإحباط إحباطان:

أحدهما: إبطال الشيء وإذهابه جملة؛ كإحباط الكفر للإيمان والإيمان للكفر.

وثانيهما: نقصان الإيمان وإبطال ثواب العبادات لا الكفر ولا الخروج من الإيمان، والمراد بإحباط السيئات الحسنات هنا هو المعنى الثاني لا المعنى الأول، وما هو من قواعد الاعتزال والخوارج هو المعنى الأول فلا يلزم القول بما هو من قواعدهم.

(وهو لا يشعر) جملة اسمية وقعت حالا، و «يشعر» من باب نصر ينصر؛ أي: لا يعلم به ولا يفطن له، ومنه قولهم: ليت شعري، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [الزمر: ٤٧].

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٥/٣٤٣

(٢) الإسلام في أفريقيا عبر التاريخ محمد أمان الجامي ص/٢٣

قال النووي: مراد البخاري بهذا الباب هو الرد على المرجئة في قولهم: إن الله لا يعذب على شيء من المعاصي من قال: لا إله إلا الله، ولا يحبط شيء من أعماله بشيء من الذنوب وأن إيمان المطيع والعاصي سواء، فذكر في صدر الباب أقوال أئمة التابعين، وما نقلوه عن الصحابة رضي الله عنهم وهو كالمشير إلى أنه لا خلاف بينهم فيه، وأنهم مع اجتهادهم المعروف خافوا أن لا ينجوا من عذاب الله.

ووجه المناسبة بين البابين: أن المذكور في الباب السابق: هو أن حصول الثواب بالقيراطين، أو بالقيراط إنما يحصل إذا كان عمله احتسابا خالصا لله تعالى، وفي هذا الباب: ما يشير إلى أنه قد يعرض للعامل ما يحبط عمله فيحرم بسببه الثواب الموعود وهو لا يشعر، كأن لا يكون مخلصا في عمله بأن يكون قد عمله رياء وسمعة، فإن الرياء آفة تقلب الطاعة معصية.

(وقال إبراهيم) بن يزيد بن شريك (التيمي) تيم الرباب _ بكسر الراء _ أبو أسماء الكوفي، قيل: قتله الحجاج بن يوسف، وقيل: مات في سجنه لما طلب الإمام إبراهيم النخعي فوقع الرسول بإبراهيم التيمي فأخذه وحبسه فقيل له: ليس إياك أراد، فقال: أكره أن أدفع عن نفسي وأكون سببا لحبس رجل مسلم بريء الساحة، فصبر في السجن حتى مات، قال يحيى: هو ثقة مرجئ وهو تابعي عابد، قال الأعمش: قال لي إبراهيم التيمي: ما أكلت من أربعين ليلة إلا حبة عنب، وروي عنه أنه قال: ((إني لأمكث ثلاثين يوما لا آكل)) مات سنة اثنتين وتسعين، روى له الجماعة.

(ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبا) بفتح المعجمة؛ يعني: خشيت أن يكذبني من رأى عملي مخالفا لقولي فيقول: لو كنت صادقا ما فعلت خلاف ما تقول، وإنما قال ذلك؛ لأنه كان يعظ الناس، وروي: _ بكسر الذال _ وهي رواية الأكثرين، ومعناه: أنه مع وعظه للناس لم يبلغ غاية العمل، وقد ذم الله تعالى من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وقصر في العمل فقال: ﴿كبر مقتا عند الله

[ج ١ ص ٣٤٠]

==================

[١] ((من قوله: يبطل. .. إلى قوله: الطاعات)): ليس في (خ).

أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [غافر: ٣٥] فخشي أن يكون مكذبا؛ أي: مشابها للمكذبين بالدين حيث لم يكن ممن عمل بمقتضاه، أو بنفسي إذ أقول: إني من المؤمنين ولا أكون ممن يعمل بعملهم.

وقال البيضاوي في آية: ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ [البقرة: ٤٤] أنها ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه، وأن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالي عن العقل، فإن الجامع بينهما

تأبى عنه شكيمته، والمراد بها: حث الواعظ على تزكية النفس والإقبال عليها بالتكميل لتقوم فيقيم

==================

[غيره] [٢] لا منع الفاسق عن الوعظ فإن الإخلال بأحد الأمرين لا يوجب الإخلال بالآخر انتهى.

ومطابقة هذا الأثر للترجمة من حيث إنه كان يخاف أن يكون مكذبا فيحرم بذلك الثواب وهو لا يشعر، وهذا التعليق المذكور وصله المؤلف في ((تاريخه)) عن أبي نعيم، وأحمد ابن حنبل في ((الزهد)) عن ابن مهدي كلاهما عن سفيان الثوري، عن أبي حيان التيمي، عن إبراهيم المذكور.

(وقال ابن أبي مليكة) بضم الميم، هو عبد الله بن عبيد الله القرشي التيمي المكي الأحول، كان قاضيا لابن الزبير، ومؤذنا له في أوقات الصلاة، اتفق على جلالته، سمع العبادلة الأربعة وعائشة، وأختها أسماء، وأم سلمة، وأبا هريرة، وعقبة بن الحارث، والمسور بن مخرمة، وأدرك جماعة ولم يسمع منهم كعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، مات سنة سبع عشرة ومئة، روى له الجماعة.

(أدركت ثلاثين من أصحاب النبي) وفي نسخة: [١](صلى الله عليه وسلم) أجلهم المذكورون فيما سبق، (كلهم يخاف) ويخشى حصول (النفاق) في الأعمال أو في الخاتمة، (على نفسه) متعلق بقوله: »يخاف»، وإنما كانوا يخافون ذلك؛ لأنه قد يعرض للمؤمن في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم ذلك وقوعه منهم، وإنما ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى رضي الله عنهم، وقال ابن بطال: إنما خافوا؛ لأنهم لما طالت أعمارهم حتى رأوا من التغير ما لم يعهدوه ولم يقدروا على إنكاره خافوا أن يكونوا داهنوا بالسكوت، ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم﴾ [المؤمنون: ٦٠] فقال: ((هم الذين يصلون ويصومون، ويتصدقون ويفرقون أن لا يتقبل منهم)). وقال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [الزمر: ٤٧] أعمال كانوا يحسبونها حسنات بدلت سيئات.

(ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل) أي: لا يجزم أحد منهم بعدم عروض النفاق له كما يجزم بذلك في إيمان جبريل وميكائيل؛ لأنهما معصومان لا يطرأ

[ج ١ ص ٣٤١]

==================

عليهما ما يطرأ على غيرهما من البشر، وقال محمود العيني: معناه أنهم كلهم كانوا على حذر وخوف من

---

(١) رسول الله

أن يخالط إيمانهم النفاق، ومع هذا لم يكن منهم أحد يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل عليه السلام؛ لأن جبريل معصوم لا يطرأ عليه الخوف من النفاق بخلاف هؤلاء فإنهم غير معصومين، فإن قيل: روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا: ((من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله كان مؤمنا كإيمان جبريل)). أجيب: بأنه ذكره أبو سعيد النقاش في ((الموضوعات)).

وقال الكرماني: ويحتمل أن يكون قوله: «ما منهم ... » إلى آخره إشارة إلى مسألة زائدة استفادها من أحوالهم أيضا وهي أنهم كانوا قائلين بزيادة الإيمان ونقصانه، وتعقبه محمود العيني: بأنه لا يفهم ذلك من حالهم، وإنما الذي يفهم من حالهم أنهم كانوا خائفين **سوء الخاتمة**؛ لعدم العصمة، ويؤيد ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها، وما روي عن بعض السلف رحمهم الله كما مر، ثم إنه قد روي في معنى أثر ابن أبي مليكة حديث عن عائشة رضي الله عنها مرفوع رواه الطبراني في ((الأوسط)) لكن إسناده ضعيف.

(ويذكر)؛ على صيغة المضارع المجهول، (عن الحسن)؛ أي: البصري، وإنما أتى بـ ((يذكر)) الدال على التمريض مع صحة هذا الأثر؛ لأن عادته الإتيان بنحو ذلك فيما يختصره من المتون أو يسوقه بالمعنى وهنا كذلك على ما سيجيء الأثر المروي عنه مسلسلا، وصيغة التمريض عنده لا تختص بضعف الإسناد وحده، بل إذا وقع التغيير من حيث النقل بالمعنى أو من حيث الاختصار يذكره بصيغة التمريض أيضا، وهذا هو التحقيق في مثل هذا الموضع، وليس كما ذكره الكرماني من أنه يشعر بأن قولهما ثابت عنده صحيح الإسناد؛ لأن «قال» هو صيغة الجزم بأنه صدر منه، ومثله يسمى: تعليقا بصيغة التصحيح، بخلاف «يذكر» فإنه لا جزم فيه فيعلم أن فيه ضعفا، ومثله تعليق بصيغة التمريض.

(ما خافه)؛ وفي نسخة عن الحسن: [١]، وفي رواية: [٢]أي: النفاق، (إلا مؤمن، ولا أمنه)؛ بفتح الهمزة وكسر الميم، (إلا منافق)؛ قد جعل النووي الضمير في «خافه»، وكذا في «أمنه» لله تعالى، وتبعه جماعة في ذلك حيث قال قوله: ((ما خافه إلا مؤمن

[ج ١ ص ٣٤٢]

ولا أمنه إلا منافق)) يعني: الله تعالى، والخوف من الله تعالى وإن كان مطلوبا محمودا، لكن سياق [قول] الحسن البصري يأبى عنه رجوع الضمير إليه تعالى على ما أخرجه جعفر الفريابي عن قتيبة: حدثنا جعفر بن سليمان، عن المعلى بن زياد: سمعت الحسن يحلف بالله في هذا المسجد، بالله الذي لا إله إلا هو ما

---

(١) أنه قال: ما خافه

(٢) وما خافه

مضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن، وكان يقول: ((من لم يخف النفاق فهو منافق)).

قال: وحدثنا أبو قدامة عبيد الله بن سعيد: حدثنا مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن أيوب، عن الحسن: ((والله ما أصبح ولا أمسى مؤمن إلا وهو يخاف النفاق على نفسه))، وفي رواية عنه أنه كان يقول: ((إن القوم لما رأوا هذا النفاق يقول الإنسان لم يكن لهم هم غير النفاق))، وفي رواية أنه سئل عنه فقيل: تخاف النفاق فقال: ((وما يؤمنني وقد خافه عمر بن الخطاب رضي الله عنه)).

فهذه الآثار الصحيحة عند البخاري تعين أن الضمير للنفاق لا لله تعالى فتأمل، ثم إن كل واحد من «خاف» و «أمن» يتعدى بنفسه قال الله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ [الأعراف: ٩٩]، وليس من باب الحذف والإيصال كما قيل.

(وما) مصدرية (يحذر) هذا عطف على قوله: «خوف المؤمن»؛ أي: وباب ما يحذر بضم الياء وفتح الذال المعجمة مع التخفيف، وقال الحافظ العسقلاني: بتشديدها.

(من الإصرار على التقاتل)؛ وفي رواية: [(١)] والرواية الأولى هي الأولى؛ لأنها المناسبة لحديث الباب حيث قال فيه كما سيأتي إن شاء الله تعالى: ((وقتاله كفر)) [خ ¦ ٤٨].

(والعصيان من غير توبة)؛ وما بين الترجمتين من الآثار الثلاثة الصحيحة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما أوقعت بينهما؛ لتعلقها بالأولى فقط، وأما الآية والحديث الأول فمتعلقان بالترجمة الثانية، والحديث الثاني متعلق بالترجمة الأولى على ما سيتضح؛ ففيه لف ونشر لا على الترتيب، ثم إن الترجمة الثانية كذلك للرد على المرجئة حيث قالوا: لا حذر من المعاصي مع حصول الإيمان، ولما كان مفهوم الآية المذكورة يرد عليهم ذلك استدل المصنف بها على ذلك فقال:

(لقول الله تعالى) وفي رواية: [(٢)]، وفي رواية: [(٣)] ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ فعلة بالغة في القبح

[ج ١ ص ٣٤٣]

كالزنا ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ بأن أذنبوا أي ذنب كان، وقيل: الفاحشة: الكبيرة، وظلم النفس: الصغيرة، ولعل الفاحشة: ما يتعدى، وظلم النفس: ما ليس كذلك، ﴿ذكروا الله﴾ تذكروا وعيده، أو حكمه، أو حقه

---

(١) على النفاق

(٢) عز وجل

(٣) لقوله عز وجل

العظيم ﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾ بالندم والتوبة ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين، والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة، وعموم المغفرة، والحث على الاستغفار، والوعد بقبول التوبة.

(﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾) أي: ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين؛ لما رواه الترمذي من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم: ((ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة)).

(﴿وهم يعلمون﴾) حال من «يصروا»؛ أي: ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به؛ أي: بقبحه، وروى أحمد من حديث ابن عمر مرفوعا: ((ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون)) أي: يعلمون أن من تاب تاب الله عليه، ثم لا يستغفرون، قاله مجاهد وغيره.

ووجه الاستدلال بالآية على الرد على المرجئة: أنه في قولهم لا حذر من المعاصي مع حصول الإيمان أنه تعالى مدح من استغفر لذنبه ولم يصر عليه، فمفهومه أنهم إذا لم يستغفروا وأصروا على ذنوبهم يكون محل الحذر والخوف، وسبب نزول هذه الآية على ما قال الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء أنها نزلت في نبهان التمار أتته امرأة حسناء تبتاع تمرا فضمها إلى نفسه وقبلها، ثم ندم على ذلك، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية، وفي رواية الكلبي: أن رجلين أنصاريا وثقفيا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فكانا لا يفترقان قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه وخرج معه الثقفي، وخلف الأنصاري في أهله وحاجته، وكان يتعاهد أهل الثقفي فأقبل ذات يوم فأبصر امرأته ضاحية قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى إليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى وأدبر راجعا فقالت: سبحان الله خنت أمانتك وعصيت ربك

[ج ١ ص ٣٤٤]

ولم تصب حاجتك، قال: فندم على صنعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب إلى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فأخبرته امرأته بفعله، فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا لله عز وجل وهو يقول: رب ذنبي ذنبي قد خنت أخي فقال له: يا فلان قم فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسله عن ذنبك لعل الله عز وجل أن يجعل لك فرجا وتوبة، فأقبل معه حتى رجع إلى المدينة، وكان ذات يوم عند صلاة العصر نزل جبريل عليه السلام بتوبته فتلاها على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿والذين إذا فعلوا﴾ إلى قوله:

﴿ونعم أجر العاملين﴾ [آل عمران: ١٣٦] فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله، أخاص هذا لهذا الرجل أم للناس عامة؟ قال: ((بل للناس عامة في التوبة)) قال: الحمد لله رب العالمين.

==========

[١] (()من قوله: يبطل. .. إلى قوله: الطاعات)): ليس في (خ).

[٢] (غيره) زيادة من البيضاوي.

==================

[١] ((من قوله: يبطل. .. إلى قوله: الطاعات)): ليس في (خ).." (١)

"(﴿والله بما تعملون خبير﴾) تهديد لمن لم يمتثل الأمر أو استكرهه (وقوله عز وجل) (﴿رب﴾) وفي رواية: (٢)(﴿زدني علما﴾) أي: سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فإن ما أوحي إليك تناله لا محالة، وإنما فسر هكذا؛ لأن ما قبله نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته؛ أي: متابعته في القراءة حتى يتم وحيه، وكان كلما نزل شيء من القرآن ازداد به النبي صلى الله عليه وسلم علما.

وقيل: ما أمر الله تعالى رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم، وقد طلب موسى عليه السلام الزيادة فقال: ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ [الكهف: ٦٦] وكان ذلك لما سئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، واكتفى المؤلف رحمه الله في بيان فضيلة العلم بذكر هاتين الآيتين؛ لأن القرآن من أقوى الحجج القاطعة، والاستدلال به أقوى من الاستدلال بغيره، أو لأنه لم يقع له حديث من هذا النوع على شرطه، واخترمته المنية قبل أن يلحق بالباب حديثا يناسبه؛ لأنه كان كتب الأبواب والتراجم، ثم كان يلحق بكل باب ما يناسبه من الحديث على شرطه.

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: ((من التمس طريقا

[ج ١ ص ٤٠٧]

يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة)) فهو وإن صح لكنه اختلف فيه على الأعمش، والراجح أن بينه وبين أبي صالح فيه واسطة فلذا لم يخرجه المؤلف رحمه الله [٤].

والأحاديث في فضل العلم كثيرة ولو لم يكن من فضيلة العلم إلا أنه شهد الله فبدأ تعالى بنفسه وثنى

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٤٤٥

(٢) وقل رب

بملائكته، وثلث بأهل العلم كفى بذا شرفا، وأن العلماء ورثة الأنبياء وإذا لم يكن رتبة فوق النبوة فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة، لكن العلم الممدوح هو المقرون بالعمل؛ لأنه ثمرته، وفائدة العمر، وزاد الآخرة من ظفر به سعد، ومن فاته خسر، وأما العلم بلا عمل فلا يسمى علما حقيقة.

قال القسطلاني: (وينقسم العلم بانقسام المعلومات فمنها: الظاهر وهو المراد بالعلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه، وقد عد الشيخ عز الدين بن عبد السلام تعلم النحو، وحفظ غريب الكتاب والسنة، وتدوين أصول الفقه من البدع الواجبة ومنها: علم الباطن وهو نوعان):

[٢] الأول: علم المعاملة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة، فالمعرض عنه هالك بسطوة مالك الملوك في الآخرة، كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا، وحقيقة النظر في تصفية القلب، وتهذيب النفس باتقاء الأخلاق الذميمة التي ذمها الشارع كالرياء، والعجب، والغش، وحب العلو، والثناء، والفخر، والطمع ليتصف بالأخلاق الحميدة المحمدية كالإخلاص والشكر والصبر والزهد والتقوى والقناعة، فيصلح عند إحكامه ذلك للعمل بعلمه فيرث ما لم يعلم، فعلم بلا عمل وسيلة بلا غاية، وعكسه جناية وإتقانهما بلا ورع كلفة بلا أجرة، فأهم الأمور زهد واستقامة لينتفع بعلمه وعمله.

وأما الثاني: فهو علم المكاشفة: وهو نور يظهر في القلب عند تزكيته فيظهر به المعاني المجملة فيحصل له المعرفة بالله، وأسمائه، وصفاته، وكتبه، ورسله، وتنكشف له الأستار عن مخبآت الأمور والأسرار، فافهم وسلم تسلم، ولا تكن من المنكرين فتهلك مع الهالكين.

[ج ١ ص ٤٠٨]

قال بعض العارفين: من لم يكن له من هذا العلم شيء أخشى عليه من **سوء الخاتمة** وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله. هذا انتهى كلام القسطلاني رحمه الله.

==================

[٣] ((من قوله: في دينهم. .. إلى قوله: في الدنيا)): ليس في (خ).." (١)

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٥٢٤

"قد وقع الفراغ من جمع هذه القطعة الشريفة وهي القطعة الحادية عشر من «شرح صحيح الإمام البخاري» الذي جمعه العبد الفقير إلى عناية ربه الصمد، أبو محمد عبد الله بن محمد، المدعو بيوسف أفندي زاده، كتب الله لهم الحسنى وزيادة، بين عشائي ليلة الثلاثاء الليلة الثانية عشر من ليالي جمادى الآخرة من شهور سنة تسع وثلاثين ومائة وألف من هجرة من يأخذ العفو ويأمر بالعرف، ويتلوها إن شاء الله الملك المعين القطعة المبتدأة بكتاب الهبة، وهبنا الله تعالى **حسن الخاتمة**، ودخول الجنة بغير حساب، ويسر لنا إتمام هذا الشرح المبارك بمحض فضله وكرمه العزيز الوهاب، وإليه المرجع وعنده حسن المآب.

[ج ١١ ص ٦٣١]

==================." (١)

"٢٨٢٣ - (حدثنا مسدد) قال: (حدثنا معتمر) هو: ابن سليمان التيمي البصري،

[ج ١٣ ص ٢٦٤]

وأبوه سليمان بن طرخان البصري، مولى لبني مرة، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة (قال: سمعت أبي) سليمان المذكور (قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم) ويروى: (٢)(يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز) وهو: ضد القدرة.

وقال ابن بطال: اختلف في معنى العجز؛ فأهل الكلام يجعلونه ما لا استطاعة لأحد عليه؛ لأنها عندهم مع الفعل، وأما الفقهاء فيقولون: إنه هو ما لا يستطيع أن يعمله إذا أراد فإنهم يقولون: إن الحج ليس على الفور، ولو كان على المهلة عند أهل الكلام لم يصح معناه؛ لأن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل، والذين يقولون بالمهلة يجعلون الاستطاعة قبل الفعل (والكسل) وهو: ضعف الهمة وإيثار الراحة للبدن على التعب، وإنما استعيذ منه؛ لأنه يبعد عن الأفعال الصالحة.

وقال الحافظ العسقلاني: والفرق بين العجز والكسل أن الكسل ترك الشيء مع القدرة، والعجز عدم القدرة، وهو أقرب إلى الفهم.

(والجبن) قد مر آنفا [خ ¦ ٢٨٢١] ما يتعلق به (والهرم) قال الكرماني: الهرم ضد الشباب، وفي «المغرب»:

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٩٩٥٤

(٢) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

الهرم كبر السن الذي يؤدي إلى تماوت الأعضاء وتساقط القوى، وإنما استعيذ منه لكونه من الأدواء (وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات) مصدران ميميان بمعنى: الحياة والموت، وفتنة المحيا: أن يفتتن بالدنيا ويشتغل بها عن الآخرة، وفتنة الممات: أن يخاف عليه من **سوء الخاتمة** عند الموت (وأعوذ بك من عذاب القبر) مما يعرض له عند مسألة الملكين ومشاهدة أعماله السيئة في أقبح الصور، أعاذنا الله تعالى من جميع ذلك، بحرمة نبيه عليه الصلاة والسلام.

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله: ((والجبن))، والحديث أخرجه المؤلف في الدعوات [خ¦٦٣٦٧] أيضا، وأخرجه مسلم في الدعوات، وأبو داود في الصلاة، والنسائي في الاستعاذة.

==================". (١)

"وفيه: أن الصلاة في الجماعة شرعت قبل الهجرة، ومشروعيتها في السفر، والجهر بالقراءة في صلاة الصبح. وأن الاعتبار بما قضى الله للعبد من **حسن الخاتمة** لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ؛ لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك فغلب عليهم ما قضي لهم من السعادة **بحسن الخاتمة**، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون.

وسيأتي مزيد لذلك في كتاب «القدر» [خ¦٦٦٠٥] إن شاء الله تعالى. وقد مضى الحديث في كتاب «الصلاة»، في باب: «الجهر بقراءة صلاة الفجر» [خ¦٧٧٣].

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

==================". (٢)

"٤٩٤٥ - (حدثنا أبو نعيم) بضم النون، الفضل بن دكين، قال: (حدثنا سفيان) هو: ابن عيينة (عن الأعمش) سليمان (عن سعد بن عبيدة) بسكون العين في الأول، وبضمها في الثاني، مصغرا، هو أبو حمزة ــ بالمهملة والزاي ــ ختن أبي عبد الرحمن السلمي (عن أبي عبد الرحمن السلمي) بضم السين وفتح اللام (عن علي)

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٠٩٤٦

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٧٤٤١

[ج ٢١ ص ٣٩٥]
أي: ابن أبي طالب رضي الله عنه، أنه (قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بقيع الغرقد) بإضافة البقيع ــ بالموحدة وكسر القاف ــ إلى الغرقد ــ بفتح المعجمة وسكون الراء وفتح القاف وبالمهملة ــ وهو ما عظم من العوسج، والمراد مقبرة المدينة من الله علي بالدفن هنا مع **حسن الخاتمة**.
(في جنازة) لم يسم صاحبها (فقال) صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار) أي: موضع قعوده منهما، وهو كناية عن كونه من أهل الجنة، أو النار باستقراره فيها، والواو المتوسطة بينهما لا يمكن أن تجري على ظاهرها، فإن «ما» النافية، و «من» الاستغراقية تقتضيان أن يكون لكل أحد مقعد من النار ومقعد من الجنة، فيجب أن يقال: إن الواو بمعنى: أو، وقد ورد بلفظ «أو» من طريق محمد بن جعفر عن شعبة في الباب الآتي [خ¦٤٩٤٦] بعد الباب اللاحق.
(فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل) أي: أفلا نعتمد على كتابنا الذي قدر الله علينا. وعند ابن مردويه في تفسيره من طريق جابر رضي الله عنه أن السائل عن ذلك هو سراقة بن جعشم، وفي «مسند أحمد» أنه أبو بكر رضي الله عنه. وفي «مسند عمر» لأبي بكر المروزي والبزار أنه عمر رضي الله عنه، وقيل: إنه علي رضي الله عنه الراوي.
(فقال) صلى الله عليه وسلم: (اعملوا فكل ميسر) أي: أنتم مأمورون بالعمل، فعليكم بمتابعة الأمر، فكل واحد منكم ميسرا؛ أي: مهيئا لما خلق له، وقدر عليه (ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى*وصدق بالحسنى﴾ إلى قوله ﴿للعسرى﴾) أي: ﴿فأما من أعطى﴾ ماله ﴿واتقى﴾ ربه واجتنب محارمه ﴿وصدق بالحسنى﴾ أي: بالخلف يعني: أيقن أن الله تعالى سيخلف عليه.." (١)

"تعييره وشهرته بذلك، ومحض أذاه لم يجز؛ لأنه مأمور بالستر عليه وتعليمه وموعظته بالحسنى، فمهما أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفعله بالعنف؛ لأنه قد يكون سببا لإغرائه وإصراره على ذلك الفعل كما في طبع كثير من الناس من الأنفة، لاسيما إذا كان الآمر دون المأمور في المنزلة.
وقال النووي: اختلف في تأويل هذا الرجوع، فقيل: يرجع عليه الكفر إن كان مستحلا، وهذا بعيد من سياق الخبر. وقيل: محمول على الخوارج؛ لأنهم يكفرون المؤمنين، هكذا نقله القاضي عياض عن مالك وهو ضعيف؛ لأن الصحيح عند الأكثرين: أن الخوارج لا يكفرون ببدعتهم.
قال الحافظ العسقلاني: ولما قاله مالك وجه وهو أن منهم من يكفر كثيرا من الصحابة ممن شهد له رسول

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٧٥٦٥

الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وبالإيمان، فيكون تكفيرهم من حيث تكذيبهم للشهادة المذكورة لا من مجرد صدور التكفير منهم بتأويل، كما سيأتي إيضاحه في «باب من أكفر أخاه بغير تأويل» [خ¦٦١٠٣].
والتحقيق: أن الحديث سيق لزجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم، وذلك قبل وجود فرقة الخوارج وغيرهم، وقيل: معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره وهذا لا بأس به. وقيل: يخشى عليه أن يؤول به ذلك إلى الكفر، كما قيل: المعاصي بريد الكفر، فيخاف على من أدامها وأصر عليها سوء الخاتمة.
وأرجح من الجميع كله أن من قال ذلك لمن يعرف منه الإسلام ولم يقم له شبهة في زعمه أنه كافر فإنه يكفر بذلك، فمعنى الحديث: فقد رجع عليه تكفيره، فالراجع التكفير لا الكفر، فكأنه كفر نفسه لكونه كفر من هو مثله، ومن لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام. ويؤيده: أن في بعض طرقه: وجب الكفر على أحدهما.
وقال القرطبي: حيث
[ج ٢٥ ص ٤٧٦]
جاء الكفر في لسان الشرع فهو: جحد المعلوم من دين الإسلام بالضرورة الشرعية، وقد ورد الكفر في الشرع بمعنى: جحد النعم وترك شكر المنعم والقيام بحقه. وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه: ((يكفرن الإحسان ويكفرن العشير))..." (١)

"وفيه: الحث على الاستعاذة بالله من سوء الخاتمة، وقد عمل به جمع جم من السلف وأئمة الخلف، وأما ما قاله عبد الحق في كتاب «العافية» أن سوء الخاتمة لا يقع لمن استقام باطنه وصلح ظاهره، وإنما يقع لمن في طويته فساد وارتياب، ويكثر وقوعه للمصر على الكبائر، والمجترئ على الجرائم فيهجم عليه الموت بغتة، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، فقد يكون ذلك سببا لسوء الخاتمة. نسأل الله السلامة، فإنه محمول على الأكثر الأغلب.
وفيه: أنه لم يجعل الجماع على الولد؛ لأن الجماع قد يحصل ولا يكون الولد حتى يشاء الله ذلك. واستدل الداودي بقوله «فيدخل النار» على أن الخبر خاص بالكفار، واحتج بأن الإيمان لا يحبطه إلا الكفر، وتعقب بأنه ليس في الحديث تعرض للإحباط، وحمله على المعنى الأعم أولى فيتناول المؤمن حتى يختم له بعمل الكافر مثلا فيرتد فيموت على ذلك نستعيذ بالله من ذلك، ويتناول المطيع حتى يختم له بعمل العاصي فيموت على ذلك، ولا يلزم من إطلاق دخول النار أنه يخلد فيها أبدا بل مجرد الدخول صادق

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢١٠١٩

على الطائفتين.

واستدل به على أنه لا يجب على الله عز وجل رعاية الأصلح خلافا لمن قال به من المعتزلة؛ لأن فيه أن بعض الناس يذهب جميع عمره في طاعة الله، ثم يختم له بالكفر والعياذ بالله تعالى، فيموت على ذلك فيدخل النار، فلو كان يجب عليه رعاية الأصلح لم يحبط جميع عمله الصالح بكلمة الكفر التي مات عليها ولا سيما إن طال عمره وقرب موته من كفره.

واستدل به بعض المعتزلة على أن من عمل عمل أهل النار

[ج ٢٧ ص ٥٤٢]

وجب أن يدخلها لترتب دخولها في الخبر على العمل وترتب الحكم على الشيء يشعر بعليته.

وأجيب: بأنه علامة لا علة، والعلامة قد تتخلف، سلمنا أنه علة، لكنه في حق الكفار، وأما العصاة فخرجوا بدليل قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] فمن لم يشرك فهو داخل في المشيئة.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة في معناه. وقد أخرجه البخاري في «التوحيد» أيضا [خ ¦ ٧٤٥٤]، وأخرجه مسلم في «القدر»، وأخرجه بقية الجماعة.

==========

[١] في هامش الأصل: وفي نسخة جاءت بالكسر فقط.." (١)

"تمهيد

... ثبت فيما سبق ثبوتا قطعيا من خلال القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، عصمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها من كل ما يمس قلبه وعقيدته بسوء، من التمسح بالأصنام، أو الحلف بها، أو أكل ما ذبح على النصب أو نحو ذلك من مظاهر الكفر، والشرك، والشك، والضلال والغفلة، وكذا عصمته صلى الله عليه وسلم من تسلط الشيطان عليه، وعصمته من كل ما يمس عقله وخلقه بسوء؛ ومن ظن بأن الله تعالى يمكن أن يقدر على نبيه صلى الله عليه وسلم، عكس ذلك بعد اصطفائه فقد ظن السوء بربه. أعوذ بالله تعالى من الخزى والخذلان، **وسوء الخاتمة** والمنقلب.." (٢)

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٢٧٢٢

(٢) رد شبهات حول عصمة النبى صلى الله عليه وسلم عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى ص/١٧٧

"خامسا: وقيل فى الجواب عن الآيات التى معنا، أن الخطاب فى الظاهر فيها للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد بها غيره، إذ هو معصوم من مخالفة الأوامر، وارتكاب النواهى الواردة فى الآيات، ومستحيل عليه فعلها، لعصمة الله عز وجل له، وإنما هذا إفهام لغيره من المسلمين، أن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو رسول رب العالمين، ذو المنزلة الرفيعة، والمقام الأسمى عند الله عزوجل، إن افترض وقوع ذلك منه، فإن الله تعالى يجازيه على ما فرط، فكيف إذا فعل ذلك أحد من المؤمنين؟! فسيلقى عقابه من باب أولى، وذلك أيضا إيضاح لقدرة الله عزوجل، وأنه عدل، ولا يحابى أحدا من خلقه فليس أحد من المشركين بمأمن من عذابه تعالى حتى ولو كان نبيا، وهنا يفهم المؤمنون عامة، هذه الحقائق، فيرتدعون عن المعاصى والذنوب والآثام، خوفا منه تعالى وخشية، مادام سبحانه لا يستثنى أحدا من عذابه، إن أشرك.. حتى الأنبياء عليهم ـالصلاة والسلام – ولكنهم لا يشركون لعصمة الله عز وجل لهم (١) .

... ومن ظن بأن الله تعالى يمكن أن يقدر على الأنبياء، وعلى خاتمهم صلى الله عليه وسلم ارتكاب الكبائر من الكفر والشرك والشك أو نحو ذلك، فقد ظن السوء بربه، أعوذ بالله تعالى من الخزى والخذلان، **وسوء الخاتمة** والمنقلب أهـ.

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

المطلب الرابع: شبهتهم حول آيات ورد فيها مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعرض الشيطان له والجواب عنها

---

(١) ينظر: نوال المنى فى إثبات عصمة أمهات وأزواج الأنبياء من الزنى للشيخ محمد نسيب الرفاعى ص١١٤، ١١٥.." (١)

"القوم أنفسهم من قتله، وليبين للناس ضلال من اتهمه بالتبديل؛ وليؤكد لهم أيضا عصمة دمه، وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له **بحسن الخاتمة**، فيفهموا أن ما ألصقوه به من معايب لا تبيح قتله؛ لأنه على أقل الأحوال لا يخرج عن كونه مسلما معصوم الدم.

وردا على ما عابوه به من تخلف عن بيعة الرضوان، ذكرهم وناشدهم ببعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه إذ ذاك إلى المشركين من أهل مكة، ولما كانت البيعة قال: هذه يد عثمان فبايع له، فانتشد له رجال١.

---

(١) رد شبهات حول عصمة النبى صلى الله عليه وسلم عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى ص/٢١٤

فعدم حضوره جسديا للبيعة لا يعني فوات فضلها منه، كما أن عدم حضورها جسديا ليس بمذمة تلصق به، بل دليل على فضله ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث انتدبه لهذه المهمة العظيمة.

ولمنع القوم له من الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرهم وناشدهم بما كان منه من توسعة للمسجد يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يوسع لن١ هذا البيت في المسجد -يشير إلى بيت جانب المسجد- ببيت له في الجنة" وأنه ابتاعه من ماله فوسع به المسجد٢.

---

١ أحمد، المسند (بتحقيق أحمد شاكر١/ ٣٤٠-٣٤١) ، والنسائي، السنن (٦/٢٣٦) ، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٤٢-٣٤٣) ، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٣/ ٤٨٦-٤٨٧) ، كلهم من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عثمان رضي الله عنه، وإسناده حسن، انظر الملحق الرواية رقم: [٧٦] .

٢ انظر الحاشية السابقة، والترمذي، السنن (٥/ ٦٢٧) ، من طريق ثمامة القشيري عن عثمان رضي الله عنه.

وخليفة بن خياط، التاريخ (١٧٢) ، والطبري، تاريخ الأمم والملوك (٤/٣٨٣) ، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٤١-٣٤٢) وإسناده حسن إلى أبي سعيد مولى أبي أسيد وقد اختلف في صحبته، ووثقه ابن حبان وغيره، انظر الملحق الرواية رقم: [٦٦] .

وعبد الله بن أحمد (زيادات المسند ٢/ ١٣-١٤ بتحقيق أحمد شاكر) ، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٢٣٩-٢٤٠) من رواية ثمامة بن حزن القشيري، وفيه هلال بن حق الجريري، ولم يوثقه غير ابن حبان، انظر الملحق الرواية رقم: [١٦٤] .

وأحمد، المسند (بتحقيق أحمد شاكر ١/ ٣٨٠-٣٨١) ، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان، من رواية الأحنف وصحح إسناده أحمد شاكر، وفيه عمرو بن جاوان لم يوثقه غير ابن حبان. انظر الملحق الرواية رقم: [١٦٥] .

والدارقطني، السنن (٤/ ١٩٧-١٩٨) ، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان (٣٤٣-٣٤٤) من رواية موسى بن حكيم عن عثمان رضي الله عنه وفيه عمر بن عبيد الله وموسى بن حكيم لم يوثقهما غير ابن حبان، وبشر بن آدم صدوق، وباقي رجاله ثقات، انظر الملحق الرواية رقم: [١٩٨] .." (١)

---

(١) فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه محمد بن عبد الله غبان الصبحي ١٨٤/١

